

الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

تقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (٥٤٢هـ)

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

لقسم الثالث

المجلد الأول

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

مقدمة المحقق

جرى تحقيق هذا القسم من الذخيرة على فئتين من المخطوطات ،
الفئة الأولى تضم مخطوطتين وهما :

(١) مخطوطة الزاوية الحمزية بالخزانة العامة بالرباط (ورمزها : م)
وتقع في ٥٦٨ صفحة ، ولكن نصّ الذخيرة ينتهي فيها إلى الصفحة ٥٠٦
(الورقة ٢٠٣/أ) فقد جاء في هذه الصفحة : « هاهنا انتهى ما أثبتته ابن بسم
رحمه الله في القسم الثالث من كتاب الذخيرة » وعلى الحاشية إزاء هذه
الخاتمة كتب : « الحمد لله : هذه الأوراق — من أبي بكر بن الدوس إلى
ترجمة أبي بكر ابن رحيم من كتاب مطمح الأنفس في ذكر علماء الأندلس
للوزير الكاتب أبي النصر الفتح بن خاقان مؤلف قلائد العقيان » . وعند
مقارنة هذه الصفحات (٥٠٦ — ٥٦٨) بالمطمح المطبوع تتضح فروق
واسعة بينهما ، فلعل هذه الورقات هي إحدى صور المطمح في نسخته
الكبرى أو الوسطى .

ويحتوي الجزء الخاص بالذخيرة من هذه النسخة كل القسم الثالث
دون نقص ؛ والنسخة بخط مغربي جيد ، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً
ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحدة ١٢ كلمة ، والضبط على وجه
العموم حسن ، والأوهام قليلة ، ولهذا ولكمال النسخة أشرت إلى صفحاتها
في هذا التحقيق .

(٢) نسخة (رمزها : ب) كانت في ملك الأستاذ ليثي بروفنسال
وهي في ٢٣٤ ورقة ، وفيها نقص في أولها وآخرها ، وقد لحقت بها آثار

أرضة وبياض وطمس . وتشتمل كل صفحة من صفحاتها على ٣٣ سطرًا ومعدل الكلمات في السطر الواحد ٢٠ كلمة ، وخطها مغربي دقيق ، إلا أن غلبة العيوب التي أشرت إليها تجعل إقامة نص سليم منها أمراً صعباً . غير أنها تشبه النسخة (م) من جميع النواحي ، وكلتاها ترجع - فيما أقدر - إلى أصل واحد .

وتضمّ الفئة الثانية من مخطوطات هذا الجزء ثلاث نسخ وهي :
(٣) نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم : ١٣٢٤ (ورمزها : ط) وتقع في ١٩١ ورقة ويبدأ النص فيها ناقصاً على الصفحة الثانية من الورقة الثانية ، وقد تملكها شخص بمدينة فاس لقاء تسع عشرة أوقية سنة ١٢٠٤ ، وهي بخط مغربي جميل واضح ، فرغ نسخها أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي من نسخها سنة ١٠٠٣ ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٥ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ؛ وتعدّ على وجه الإجمال جيدة الضبط .

(٤) نسخة المجمع التاريخي بمدير - جيانجوس (ورمزها : س) وهي في ١٥٧ ورقة تمثل القسم الثالث من الذخيرة كاملاً ، وفي كل صفحة ٢٨ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة ، مكتوبة بخط مغربي دقيق ، قريب الشبه بخط النسخة (ط) .

(٥) النسخة البغدادية (ورمزها : د) وهي في ٢٩١ صفحة ، في الصفحة الواحدة ٢٩ سطرًا ، ومعدل الكلمات في السطر ١٠ كلمات ، وخطها مشرقى نسخى حديث ، وقد تمّ نسخها مساء نهار الاثنين ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥ هـ . على يد عبد اللطيف آل ثيان عن نسخة قديمة « مغلطة » فيها بياض كثير بخط مغربي « شكس » - كما يقول الناسخ . ولعلّها نسخت عن إحدى النسختين السابقتين ، أو عن نسخة تلتقي وإياهما

في الانتماء إلى أصل مشترك . فهذه النسخ الثلاث لا يقوم بينها من الفروق إلاّ ما ينشأ عن وهم أحد النساخ دون الآخر ، أو عن محاولة ناسخ (د) أن يصحح بعض ما وجده من خطأ بمراجعة النصّ على الأصول . على أن النسخة الأخيرة أكثر الثلاث أخطاء - رغم وحدة المنتمى - لصعوبة الخط المغربي لدى ناسخها المشرقي .

وبين هاتين الفئتين من المخطوطات فروق هامة أصيلة منها :
(١) أن سياق النصّ في الفئة الأولى يختلف أحياناً اختلافاً جذرياً عن سياقه في الفئة الثانية ، حتى ليسه أن يكون في الثانية تلخيصاً واختصاراً لما جاء في الأولى .

(٢) كل فئة تتضمن زيادات لا تتوفر في الفئة الأخرى ، ولكن الزيادات في الفئة الأولى أكثر وأغزر ، ولهذا السبب اعتبرت نصّ الفئة الأولى أساساً فلم أشر إلى الزيادات إلاّ في الصفحات الأولى من الكتاب على سبيل التمثيل ، أما الزيادات المستمدة من نسخ الفئة الثانية فقد وضعتها دائماً بين معقفين .

(٣) في بعض زيادات الفئة الأولى أمرٌ غريب يستوقف النظر ، وذلك هو دخول نصّ قلائد العقيان ضمن نصّ الذخيرة ، وقد نهت إلى ذلك بأن جعلت ما ينتمي إلى القلائد - على نحو حاسم - مطبوعاً بحرف أصغر في المتن ، وليس في نسخ الفئة الثانية مثل هذه الزيادات .

هذا ويطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لصديقي وأخي الدكتور محمود مكّي علامة الدراسات الأندلسية فهو الذي أمدّني بالنسختين (م) و (س) مكبّرتين ، وشجّعني على هذا العمل ، وآثرنى على نفسه إذ كان بحاجة إلى نسخة الذخيرة في دراساته وبحوثه ، فجزاه الله عني خير الجزاء . وإذا ذكرت أهل الفضل فلن أنسى الصديقين : الدكتور عفيف

عبد الرحمن المدرس بمعهد المعلمين بالكويت ، والأستاذ محمد رشاد عبد
المطلب بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية فكلاهما لم يضمنّ على هذا
العمل بما يكفل إنجازَه ، أما الأول فقد صوّر لي المخطوطات المحفوظة
بالمكتبة العامة بالرباط من نسخ الذخيرة ، وأما الثاني فقد تكرّم فأرسل
لي صور « ميكروفيلم » عن كلّ ما يحتفظ به المعهد من مخطوطات
الذخيرة ، فلهذين الصديقين أيضاً شكري الجزيل .
ولني لأرجو أن يتاح لي تقديم الأقسام الأخرى من الذخيرة محققة ،
فقد طال العهد والذخيرة تستدعي التحقيق ليفيد منها الدارسون ، معتمداً
في ذلك كله على عون الله وتوفيقه .

إحسان عباس

بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على مولانا محمد وآله وسلم

ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
وتسمية من نجم في أفقه من كواكب العصر
وبرز في ميادينه من فرسان النظم والنثر من
أول المدة المؤرخة صدر هذا الكتاب إلى وقتنا
الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة حسبما شرطنا ،
واجتلاب غرر رسائلهم وأشعارهم ، وما
اتصل بذلك من نوادرهم وأخبارهم .

قال أبو الحسن ابن بسام : ولما أدارت تلك الفتنة رحاها ، على حصرة
قرطبة وما والاها — إذ كانت على ما قدمنا ذكره منتهى الغاية ، ومركز
الراية — فقلصت أذيالها ، وانتسفت^١ جبالها ، واشتفت^٢ الماء من عودها ،
وألوت^٣ بمعظم طارفها وتليدها ، شد^٤ قوم^٥ من أهلها على حال لو رآها ابن
جبير^٦ لقال بالتقية ، وبين يدي قتال لو أحاط ببني ذبيان ليئسوا من البقية ،
بأذماء أنفسهم قد نازعهم الموت أرماقها ، وبقايا أحوال قد هتكت
النائب أستارها وأوراقها^٧ ، فأصبحوا طرائد سيوف ، وجلاء حتوف ،

١ م : وتشعبت .

٢ يعني سميد بن جبير ، وهو من أتقياء التابعين ، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث ، ولم يكن
يقول بالتقية .

٣ س : وأوراقها .

قد خلعهم لِيَنَّ العيشَ على خَشِينِهِ ، وأسلمتهم غفلاتُ الزمانِ إلى محنة ،
يلوذون بأفاقِ هذه الجزيرة المنكوبة ، لوأذَ الماءُ بأقطارِ الرَّجاجةِ المصبوبة ،
فكانوا كما وصف الملك الضليل حيث يقول ^١ :

فريقان منهم جازعٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم قاطِعٌ ^٢ نجدَ كَبْكَبٍ
لا بل كما قال ^٣ صاحبهم القسطليَّ أبو عمر يضجرُ من حاله ، ويحارُ
من إدباره بين تلك الفتنة وإقباله ، ويصفُ ^٤ ما حلَّ به وانجلى عن أهله
وأطفاله ، في قصيدةٍ فريدةٍ [١ ب] مدح بها خيران الصقلبيَّ فقال ^٥ :
تقسَّمهنَّ السيفُ والحيفُ والبلى ^٦ وشطَّتْ بنا عنها عصورٌ وأزمانُ
كما اقتسمتْ أخذاتهنَّ يدُ النوى فهم للردى والبرِّ والبحرِ إخوان
إذا شرَّقَ الحادي بهم غربتْ بنا نوى يومُها يومان والحينُ أحيان

وكان القسطلي -- حسبما قدَّمنا صَدَرَ هذا الديوان -- من فتنة ذلك
الزمان بمنشأ ليلها ، وعلى مَدْرَجِ سَيْلِها ، فأوثقتَه في حبالها ، وعركته عَرَكَ
الرحى بثقلها ^٧ ، ولم يزل يتقلبُ بين أطباقها ، ويترشَّف أسرارَ ثَمادِها وأرناقِها ،
فكم له من وفادةٍ أخزى من وفادة البرجمي ^٨ ، ووسيلةٍ أضيّع من المصحف

١ أي امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٣ .

٢ س : جازع .

٣ م : ذكر .

٤ م : ويذكر .

٥ م : يقول فيه ، وانظر ديوان ابن دراج : ٨٨ - ٨٩ .

٦ م : والجلا .

٧ من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

فتمزككم عركِ الرحى بثقلها فتلقح كشافاً ثم تنتج فتثم

٨ من المثل « إن الشقي وافد البراجم » (الميداني ١ : ٧) وله قصة .

في بيت الزنديق الأمي ، بقصائد لو مدح بها الزمان لما جار ، أو رواها
الزبرقان^١ لأمين السرار ، ورسائل أعذب من ماء الثغور ، وأعجب من
الدر بين الترائب والنحور ، يتخللها بشكوى أحر من الجمر ، وعذري في
البكاء أوضح من الفجر ، لو وجدت شفرة عتابه مَحَزًّا ، أو صادفت ريح
عتابه عِطْفًا مهتزًّا ، لا بل كما قال عمرو بن معديكرب^٢ :

لقد ناديت لو أسمعت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي
أو كما^٣ قال أبو عباد^٤ :

أهز بالشعر أقواماً ذوي وسنٍ لو أنهم ضربوا بالسوط ما شعروا
كقوله في مبارك ومظفر ، غلامين فدمين ، كانا يومئذ ببلنسية أميرين ، من
قصيدة يقول فيها^٥ :

فكم جزت من بحر الي ومهمه	يكاد ينسّي المستهام ادسارك
أذو الحظ من علم الكتاب هداك لي	أم الفلك الدوار نحوي أدارك
وكيف رضيت الليل متلبس طارق	وما ذرّ قرن الشمس الا استنارك
وكم دون رحلي ^٦ من بروج مشيدة	تحرم من قرب ^٧ المزار ، مزارك

١ الزبرقان : القمر .

٢ ورد هذا البيت في شعر كثير (ديوانه : ٢٢٢) ونسب لعبد الرحمن بن الحكم (الأغاني

١٥ : ١١٧ ط . دار الكتب) .

٣ هنا تبدأ المخطوطة (ط) .

٤ م : البحري ، والبيت في ديوانه : ٩٥٥ .

٥ ديوان ابن دراج : ١٠٣ - ١٠٤ .

٦ م : ودي .

٧ م : رب .

وأرضي سيول^١ من خيول مظفر^٢ وليلي نجوم^٣ من رماح^٤ مبارك
وممن كان أيضاً مدح^٥ صاحب دانية^٦ يومئذ ، الفتح^٧ بن أفلح ، بقصيدة
وصف فيها مشقة رحلته ، وتقلقه لمحتته على عادته ، فمنها قوله^٨ : [٢ أ]
غرائب مما أغرب الدهر أطلعت عليك هلال العلم من أفق الغرب
طوت فلولات الأرض نحوك وانطوت كبدري إلى محق ، وشهر إلى عقب
كؤوساً^٩ تساقتها الليالي تنادماً^{١٠} فجاءتك كالأفداح ردت على الشرب
تعاورهن^{١١} البر^{١٢} والبحر^{١٣} مثلما تُرد^{١٤} بأيدي الرسل أجوبة^{١٥} الكتُب
يكتبن^{١٦} صفحات^{١٧} السعود نواظراً وينفضن^{١٨} من أقلامهن^{١٩} على القلب
ويقضم^{٢٠} أطراف^{٢١} الهشيم تبلغاً إلى الروضة الغناء في المشرب العذب^{٢٢}
ويفحصن^{٢٣} في رصف^{٢٤} الحصى بمناسم^{٢٥} تهيم^{٢٦} إلى حصبا من اللؤلؤ الرطب
فتلقي جميعاً في الصخور كلاكلاً^{٢٧} تنوء^{٢٨} لأرض المسك زهواً على التراب
ولاح لها البرق^{٢٩} الذي أغدق^{٣٠} الثرى فهن^{٣١} إليه موفضات^{٣٢} إلى نصب^{٣٣}
فأي^{٣٤} رجاء قاد رحلي اليكم^{٣٥} وقد أضعفتني^{٣٦} مثل^{٣٧} راغية^{٣٨} السقب
بعيد^{٣٩} من الأوطان^{٤٠} مستشعر^{٤١} العدا^{٤٢} غريب^{٤٣} على الأمواه^{٤٤} متهم^{٤٥} الصحب
أقل^{٤٦} من الرثبال^{٤٧} في الأرض^{٤٨} آلفاً^{٤٩} وان كان^{٥٠} لجمي^{٥١} للحسود^{٥٢} وللخب^{٥٣}

١ م : سماء .

٢ ديوان ابن دراج : ٩٥ .

٣ ط : كؤوس .

٤ م : نتائجاً .

٥ هذا البيت وبمده أربعة أبيات لم ترد جميعاً في ط ر ، وفي موضعها : ومنها ، وقد

سقطت الأبيات ٤ - ٨ من س .

٦ الديوان : رضم .

٧ الديوان : اليكما . . . أضعفتني .

٨ م : الهدى .

٩ م س : يجمي للأسود ، وأثبت ما في الديوان .

وأعظمُ تأنيساً لدهرى من المنى وأوحشُ فيهم من فقى الحبِّ في الحبِّ^١
 فله من عزمٍ اليك استقادي فأفرطَ في بُعدٍ وفرطَ في قرب
 حياءٍ من الحال التي أنا^٢ عالمٌ بها كيف عاثتْ في سناها يدُ الخطب
 وتسويفَ يومٍ بعدَ يومٍ تخوفاً لعلِّي لا ألقاك منشرحَ القلب
 وشحاً بباقي ماءٍ وجهٍ بذلتُهُ لعلِّي أقضي قبلَ إنفادهِ نحيبي
 وتأخيرَ رجلٍ بعدَ تقديمِ أختها حذاراً لدهرٍ لا يغمضُ عن حربي

فكان في إهدائه الكلامَ ، إلى أولئك العبيد اللثام ، كمن يُهْدِي الهنمَ
 إلى الصنم^٣ ، ويجعلُ الحمارَ على وجه^٤ الحمار .

ولبارك ومظفر اللذين ذُكِرَا ونظرائيهما من أولئك العبيدِ أخبارٌ
 سارتُ بها الركائبُ ، وأحاديثُ تحدثُ بها المشارقُ والمغاربُ ، وقد أثبتُ
 في هذا المكانَ ، بعضَ ما وجدتُ منها لأبي مروان بن حيان ، حسبما شرطتُ ،
 وعلى حكم^٥ ما بسطت [٢ ب] .

جملة أخبار ونوادر ، ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتيان^٦ ابن أبي
 عامر ، ممن وصف القسطلي بعض أمره ، وتعلق شرط الكتاب بطرفٍ
 من ذكره .

قال أبو الحسن بن بسام^٧ : وأبدأ أنا فأقول : كانوا عبدان محنة ،

١ س : للجب . ٢ الديوان : أنت .

٣ م س : للصنم ؛ والهنم : التمر كله أو نوع منه .

٤ م : رأس .

٥ م : محكم .

٦ م : غلمان .

٧ انظر البيان المغرب ٣ : ١٦٢ .

وجتّانَ فتنةً ، قلّ الناس فأمرُوا^١ ، وخلّاهم الجوّ فباضوا وصفروا ،
 وغازوا الجماعة بقرطبة مدةً أيامهم ، ودرسوا أحسابَ الأحرار بأقدامهم ،
 مستمتعين^٢ بديناهم ، غافلين عن عادةِ الله في مَنْ جرى مَجْرَاهُمْ^٣ ،
 فربما سقطت الفتنةُ عليهم بزعماء الأنام ، وزفتْ إليهم عقائلُ الكلام ،
 فيعكفون منهم على رسوم ديار ، وأصداء قفار ، سواء عندهم سجعُ البلبِلِ
 ورغاءُ الإبل ، وسيمرّ في عرض القصص جملةٌ من غرائب ضياع الأدب ،
 في مدة أولئك^٤ المجاييب الصقلب ، مما فيه عظة لمن اعتبر ، وكان له نظر
 فنظر ، وبصيرة فتدبر^٥ .

رجع الحديث إلى سياقة نص ابن حيان :

قال أبو مروان^٥ : فمن غرائب هذه [الليالي و] الأيام ، اللعبة بالأنام ،
 أن مباركاً ومظفراً المذكورين كانا ولياً أولاً وكالة الساقية ببلد بلنسية^٦ ،
 ثم اتفق^٧ أن صرفا عنها فدخلا على الوزير عبد الرحمن بن يسار أيام
 خدمته بها سنة إحدى وأربعمئة ، وقد دعيا للحساب ، فكلماه^٨ ومسحا
 أعطافه^٩ ، ولثما أطرافه^٩ ، فكتب لهما بما نفعهما ، وكان سبباً لردّهما

١ أمروا : كثروا .

٢ د ط س : مستمتكين .

٣ ورد بعدها في م وحدها لفظة « الجبل » .

٤ م : فاذا ذكر .

٥ انظر البيان المغرب ٣ : ١٥٨ وما بعدها ، وفيه بعض اختلاف وإيجاز؛ والمغرب ٢ :

٢٩٩ .

٦ د ط س : بيلنسية .

٧ د ط س : فاتفق .

٨ م : وكلماه .

إلى عملهما ، وعند خروجهما بالكتاب يومئذ تعلقَ خادمٌ لابن يسار بهما ، كان مدلاً عليه ، يسألهما يره وجزاءه على ما تهبأ لهما عند مولاه ، فخلع لحامَ مبارك عن رأس فرسه وقد كان ركبهُ ، فخلأه فضيحةً لا يقدرُ على حركة ، ثم بعد لأيٍ ما ردهُ ؛ فلم تمض إلا مُدَيِّدة وضرب الدهر ضربانه ، ففضى لمبارك بالإمارة هنالك ، ونالت ابن يسار الوزير المذكور محنةً قرطبةً بعد ذلك ^١ ، فجال النواحي ، وأمَّ مباركاً هذا لا يشك في معرفته بمنزلته ، وحرصه على مبرّته ، فحلّ ببلنسية ، فوالله ما أنصفه في اللقاء فضلاً عن القرى .

ثم بلغ من سياسة هذين العبدین القدمین ، مبارك ومظفر ، في مدّة إمارتهما إلى أن تقارضا من صحّة الأُلُفّة فيها طول حياتهما بما فاتا في معنهما أشقاء الاخوة وعشاق [٣ أ] الأحبة : فنزلا يومئذ معاً في سلطانهما قصر ^٢ الإمارة مختلطين ، يجمعهما في أكثر أوقاتها مائدة واحدة ، ولا يتميز أحدهما عن الآخر في عظيم ما يستعملانه من كسوة وحلية وفراش ومركوب وآلة ، ولا ينفردان إلا في الحرم خاصة . على أن جماعة ^٣ حرمهما كنّ مختلطات في منازل القصر ، ومستويات في سائر الأمر ، مع أن لمبارك كان التقدم في المخاطبة هنالك في حقيقة رسوم الإمارة ، لفضل صرامة ونكراء كانتا فيه ، يقصّر فيهما مظفر لدمائة خلقه وانحطاطه لصاحبه في سائر أمره ، ورضاه بكل فعله ، على زيادة مظفر — زعموا — عليه ببعض كتابة ساذجة وفروسية . وبلغت جبايتهما لأول أيامهما إلى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر : سبعون ببلنسية وخمسون بشاطبة ، فيستخرجانها بأشدّ العنف من

١ م : اثر ذلك محنة قرطبة .

٢ د ط س : بقصر .

٣ م : جماعات .

كل^١ صنف ، حتى تساقطت الرعية وجلت^٢ أولاً فأولاً ، وخربت أقاليمهم
 آخراً ، فأقبلت الدنيا يومئذٍ عليهما وعلى نظرائهما بكثرة الخراج ، وتبوءوا
 المحبوبة بحيث لا يغاورون عدوآ ، ولا تطرقهم نائبة تضمّمهم لها^٣ نفقة حادثة ،
 فانتعشوا وكثروا ، ولحق بهم ، لأول^٤ أمرهم ، من موالي المسلمين ومن
 أجناس الصقلب والافرنجة والبشكنس عشيرتهم ، ودربوا على الركوب ،
 حتى تلاحق^٥ بلنسية [ونواحيها] جماعة من هؤلاء الأصناف ، فوارس^٦
 برزوا في البسالة والثّفاف ، وانفتح على المسلمين [ببلد الأندلس]^٧ باب
 شديد^٨ في إبقاء العبيد ، إذ نزع إليهم كل^٩ شريد طريد ، وكل عاق مشاق^{١٠} ،
 وزهدوا في الأحرار وأبنائهم ممن طرأ منهم عليهم ، فلم يواسوهم ؛
 وانتمت جماعة هذه الأخلاط^{١١} الممتحنة الأصاغر معهم إلى ولاء بني عامر ،
 وانتفت عن نسبها ابتغاء عرض الدنيا ، فكثروا وازدادوا ؛ وطلبت هذه العبدى
 المجاييب^{١٢} لما اتسعت لهم الدنيا فاخر^{١٣} الأسلحة والآلات ، والحيل المقرّبات ،
 ونفائس الحلّ والحلل ، فصارت دولتهم لأول وقتها أسرى الدول ، ولحق
 بهم كل^{١٤} عريف ، ورئيس^{١٥} كل^{١٦} صناعة معروف ، فنفق سوق^{١٧} المتاع
 لديهم ، وجلبت كل^{١٨} ذخيرة إليهم .

وشرع هذان الرئيسان مظفر ومبارك ، لأول سلطانهما هنالك ، في
 بناء بلنسية وتحصينها وسد^{١٩} عورتها بسور أحاط بالمدينة^{٢٠} ، تحت أبواب

١ م : وجلوا .

٢ البيان : تضمّمهم إل .

٣ د ط س : لحق .

٤ د ط س : بباب الأندلس .

٥ م : الأصناف .

٦ د ط س والبيان : وكانا بئها بلنسية وسدا عورتها بسور احاط بمرفئها .

حصينة ، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس إليها من كلِّ قطرٍ بالأموالِ ،
وطمحت بسكانها الآمالُ [٣ ب] واستوطنها جملةٌ من جاليةِ قرطبة
القلقة الاستقرار ، فألقَوْا بها عصا التسيار ، وأجمل عشرتهم ، فبنوا^١ بها
المنازلَ والقصور ، واتخذوا البساتينَ الزاهرة ، والرياضاتِ الناضرة ،
وأجروا خلالها المياهَ المتدفقة . وسلك مبارك ومظفر سبيلَ الملوك الجبارين
في إشادة البناء والقصور ، والتناهي في عِلَيَّاتِ الأمور ، إلى أبعد الغايات ،
ومنتهى النهايات ، بما أبقيا شأنهما حديثاً لمن بعدهما . واشتمل هذا الرأي
أيضاً على جميع أصحابهما ، ومن تعلَّقَ بهما من وزرائهما وكتابهما ،
فاحتدوا فعلهما في تفخيم البناء ، فهاموا منه في ثُرَّهاتٍ مُضِلَّةٍ ، وتسكعوا^٢
في أشغال متصلة ، لاهين عما كان يومئذ فيه الأمة ، كأنهم من الله على
عهد لا يُخْلِفُهُ ، واتسع الخدسُ في عظم^٣ ذلك الإنفاق ، فمنهم من
قُدِّرَتْ نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقلُّ منها وفوقها ، حسب تناهيهـم
في سروها : من نضار الخشب ورفيع^٤ العمد ونفيس المرمر ، مجلوباً من
مظانته ، وجلب اليهم سني الفرش من سائر الخلي والخلل^٥ ، فنفق سوق المتاع
بعقوتهم^٦ ، وبُعْثِرَ عن ذخائر الأملاك لقصرهم ، وضرَبَ تجارتها أوجهَ
الركاب نحوهم ، حتى بلغوا من ذلك البغية وفوق ملء فؤاد الأمنية^٧ ، فما
شئت من طِرْفٍ رائع ، ومركب ثقيل ، وملبس رفيع جليل ، وخادم

١ س : فتجوموا .

٢ د ط س : واتسعوا ؛ البيان : وتكسفوا .

٣ م والبيان : عظيم .

٤ م : واجتلب رفيع .

٥ وجلب . . . والخلل : سقط من ط د س .

٧ وفوق . . . الأمنية : سقط من ط د س .

نبيل ، وآلات متشاكلة ، وأمور متقابلة ، تروق الناظرين ، وتغيظ الحاسدين ،
حرّسها لهم المقدارُ إلى مدّة .

بلغني أنه دُخل دار رجلٍ من أصحابهما يُعرَفُ بمؤمِّل القشتالي^١ ووقع
البصرُ بها من سرّوها واكتمالِ النعمةِ فيها على ما لم يُشاهدْ مثلهُ قطُّ في
قصر الامارة بالحضرة العظمى قرطبة ، وأخبر المحدث أنه رأى في فرش
مجلسه مطارح من صُلب الفنك الرفيع مُطرّزةً كما تدور بسقلاطوني
بغذاذي ، وأنه كان يقابل ذلك المجلسَ شكلُ ناعورة^٢ مصوغة من خالص
اللجين من أغرب^٣ صنعة ، يحركها ماء جدولٍ يخترقُ الدارَ أبدعَ حركة ،
إلى أشياء تطابق هذا السرّو : من جودّة الآلة والآنية والمائدة وجمالِ
الخدم ورقة الأسمعة^٤ وفخامة الهيئة ما لا شيء فوقها .

وكان لمبارك ومظفر جملة^٥ ذلك النعيم ، وفازا بقبض^٦ الخراج ،
ولم يعرضهما عارضٌ لإنفاق بتلك الآفاق ، فانغمسا في النعيم إلى قمم رءوسهما
[٤ أ] وأخلدا إلى الدّعة وسارعا في قضاء اللذة ، حتى أربيا على من
تقدم وتأخر ؛ حدثني من رأى ركوبَ هذين العبدین الزلمتين^٧ في بعض أيام
الجمع للمسجد الجامع ببليسية بما أنسى مركبَ المظفر عبد الملك ابن [أبي]
عامر مولاها المتنبك^٨ — كان — للنعماء ، الوارث لحجابه الخلافة ، في فخرٍ

١ ط د س : بمولى القشتيلي .

٢ م : نعورة ؛ س : حوذة .

٣ م : بأغرب (وقبلها بياض) .

٤ الأسمعة : مجالس الفناء .

٥ د ط س والبيان : جنة .

٦ د ط س والبيان : بمنصر .

٧ س : الزلمتين ؛ وكلاهما صواب ، أي باللام والنون .

٨ المتنبك : المتكئ من النعمة .

لباسهما ووفور عدد أصحابهما وحسن خدمتهم لهما ، وأن كلاً منهما كان يظاهرُ الوشيَّ على الخز ، ويستشعرُ الديقي ، ويتقلَّسُ الوشي ، ويعتطفُ القسي .

قال ابن حيان ، قال لي المحدث : وكنت أعرفهما عبدي غيبة^٢ لمولاهما مفرج العامري ، فكانا حظي من الاعتبار بالدنيا ، إذ كانا على استخدامهما لما من الجهل والآفن واللكنة من حجج الله تعالى في القيسم البالغة الدالة على هوانها عنده ، إذ أنالهما منها بجوحة أضحت أبصار^٣ [أولي] النشهى نحوها شاخصة ، وقلوبهم مسلمة لمن له الحول والقوة ، وهما عن الاعتبار عنها بمنجاة من مندوحة الجهالة ، يحسبان أنهما نالا ذلك بالاستحقاق ، وإن لهما على الأيام دركاً ، يثان على ذلك سوق الرعية المضطهدة^٤ بسلطانهما ، ولا يعبان بما آدها من كلفهما ، ولا يرفقان لمجهود ما بلغ من عنفهما ، يقلدانهم شرار العمال ، ويستزيدان عليهم في الوظائف الثقال ، مع الأيام والليال ، حتى لغدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ، ويأكلون البقل والحشيش ، وربما أبره ذلك على القوم بعد القوم منهم فلا يقاومونه إلا بالجللاء عن مثواهم ، والتخلي عن قراهم ، فلا يأسف هذان العلجان ومن تلاهما ، ولا يخافان من مواجهة مثله لمن أقام بعدهم ، بل يتخذان ما جلا أهله من تلك القرى ضياعاً مستخلصة ، فاذا وقع عليها اسم كبير منهم

١ يتقلَّس : يتخذ قلنسوة ؛ م : ويتقلنس (وكلتاها صواب) .

٢ م والبيان : مهنة .

٣ م : أنفس .

٤ م : المضطرة .

٥ م : أثر .

٦ هنا تبدأ النسخة (ب) .

راجعها أهلها راضين منه بالاعتماد له بالسهمان^١ ، راجين في دفاعه من الحدثان ، على هذه السبيل سلك^٢ أكثر الثوار المنتزين على أكنافها ، الثائرين بأطرافها ، بعد افتراق سلطان الجماعة بقرطبة آخر دولة بني عامر .

وكان موت مبارك هذا هنالك أنه ركب يوماً من قصر بلنسية ينبغي الخروج للنزهة خارج البلد على فرسٍ وردٍ مطهَّم قلق الركاب ، وأهل بلنسية قد ضجروا لمال^٣ افترضه عليهم ، فقال لهم يومئذ هذا العلاج مبارك^٤ : اللهم ان كنت لا أريد لإنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلا تؤخر عقوبيتي يومي هذا ؛ وركب إثر ذلك [٤ ب] فلما أتى القنطرة ، وكانت يومئذ من خشب^٥ ، خرجت رجل فرسه من حدها فرمى به أسفلها ، واعترضته خشبة^٦ نابية من القنطرة شدَّحت وجهه ، وسقط لفيه ويديه ، وسقط الفرس عليه ، وكسر أعضائه وفتق^٧ بطنه ، ففاضت نَفْسُهُ لوقته ، وأمن أهل البلد من مقتته ، وكفاهم الله أمره ، فثاروا يومهم ذلك وانتهبوا قصره . ثم اتفقوا على تأمير لبيب الصقلي ، فأحدث أيضاً فيهم أحداثاً مقتوه بها ، فلاذ بالطاغية ريمنده أمير الفرنجة ببرشلونة يومئذ ، واستبلغ في الطافه حتى صير نفسه كبعض عماله ، فغاظ المسلمين وعرضهم لملك النصرانية ، فوثب أهل طرطوشة على لبيب وقضوا عليه^٨ ، واستصرخوا ابن هود

١ ط د س والبيان : بالسهم .

٢ ط د س : سلف .

٣ ط د س والبيان : يستغيثون في أن يرفقهم (يرفق لهم) .

٤ هذا العلاج مبارك : سقط من ط د س .

٥ ب : حطب .

٦ ط س : ثانية ؛ البيان : فائنة .

٧ م ب : ورتق .

٨ م : على هذا الظالم ، وفي الحاشية : عليه .

فلحق بهم ؛ وأظلم الأفق بينه^١ وبين مجاهد لما فاته من أمر طرطوشة ، وجرت بينهما حروبٌ خاف الناسُ وبال عاقبتها على ثغور مشغورة^٢ خلالَ كلمةٍ مختلفة ، وقوى متكتة ، ثم آلتُ حالُ تلك الناحية إلى تأثير عبد العزيز ابن أبي عامر ، حسبما نذكره في موضعه ان شاء الله .

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان ، في أخبار أولئك الفتيان^٣ .
قال أبو الحسن^٤ : على ان أكثر من لَفَظَتَهُ يومئذ تلك الفتنة القرطبية ، من الطبقة الأدبية ، فأفلت من شركها ، ونجا من دركها ، قومٌ لم تكن لهم بيوتٌ مشهورة ، ولا حظوظ من الأدب موفورة ، ولكنهم وجدوا ملوكاً أغماراً ، لا يعرفون إلا سُرَى الليل ، ومتون الخيل ، أسود شعاب ، وأسود لصاب^٥ ، قد ضروا على الدماء ، وترأسوا على الدهماء ، خالعين لسليمان ، المتقدم ذكره صَدَرَ هذا الديوان ، معارضةً للطاعة ، واستعراضاً للجماعة ، متمسكين^٦ من طاعة هشام الخليفة ، كان قبله حسبما وصفنا ، بجبلٍ قد انتكث طرفاه ، بغاء لتتميم آمالهم ، وحطباء في حبالهم :
لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدوره^٧ وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه^٨

واحتاجوا في جباية أموالهم ، وتدبير رجالهم ، إلى ذلك الفلّ من

١ ب م : بينهم .

٢ ب : ثغور شقوره ؛ د ط س : ثغوره .

٣ ط د س : انتهى كلام ابن حيان .

٤ ط د س : قال ابن بسام ؛ وكذلك هي الحال حيناً ورد .

٥ اللصاب : الشقوق ؛ والأساود : الحيات .

٦ ط د س : وتراموا .

٧ س : متمسكين .

٨ البت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ٢٢٩ .

الكتاب القرطبيين الذين أصبحوا يومئذ أيدي سبا وتفاريق العصا ، فشاركوهم في نعمتهم ، وألقوا إليهم بأزمتههم ، متمهدين بتدبيرهم لأكنافهم ، مؤتمنين بهم في شقاقتهم وخلافهم .

وقد كان الملك^١ سليمان أسيف على جماعة هؤلاء الفتيان لشرودهم^٢ عنه ، وانتباذهم^٣ منه ، وراسلهم بجملة رسائل [ه أ] من إنشاء ابن برد وغيره من كتاب دولته^٤ ، رجاء في كرامة الدولة بهم ، مقتنعاً منهم بالطاعة ، حسبما فعله مجاوروهم من أهل الثغور ، ليكون من وراء التدبير ، ويأمن من الهزيمة ، في إنفاذ الصريمة ، فضموا عن رفاقه وطردهوا^٥ رسله ، وخرسوا عن إجابته على كتبه ، وتجرّدوا لحربه — حسبما قد وصفته في أخبار سليمان وكتابه ابن برد أول هذا الديوان — .

ومنهم مجاهد المنتزي يومئذ على دائية والجزائر الشرقية نذكر أيضاً طرفاً من خبره النادر ، لأنه من غلمان ابن^٦ أبي عامر ، وإن كان لم يذكره القسطلي أبو عمر ، فأخباره تتعلق بأخبار من ذكر ، لأنه على قوالهم صَبَّ ، ومن ثناياهم انصبَّ ، وفي سبيلهم من الخلاف أَوْضَعَ وَخَبَّ . على أن إليه كانت هجرة أولي البقية^٧ ، وذوي الحرية ، من هذه الطبقة الأدبية القرطبية ، للين جَنَابِهِ ، وذكاء شهابه .

١ د ط س : الخليفة .

٢ ط د س : لشرودهم .

٣ س : من كتابه .

٤ ط د س : كثرة .

٥ ب م : وطردهوا .

٦ د ط س : وصفت .

٧ م : ذبي .

٨ م : البقية .

نسخت من كتاب أبي مروان^١ ابن حيان ، قال : كان مجاهد^٢ فقي أبراء دهره ، وأديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ، ونقوذه في علم القرآن ، عني بذلك من صباه وابتداء حاله ، إلى حين اشتهاله ، ولم يشغله عن التزيد عظيم ما مارسه من الحروب برأ وبحراً ، حتى صار في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة ، وكانت دولته أكثر الدول خاصّة ، وأسراها^٣ صحابة ، لانتحاله العلم والفهم^٤ ، فأمة جملة العلماء ، وأنسوا بمكانه ، وحيّموا في ظل سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ، وحلبة ظاهرة . على أنه كان — فيما بلغني — مع أدبه من أزهد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله ، وأنكرهم على منشده ، لا يزال يتعقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفاً لما زاع فيه من لفظة وسرقة^٥ ، فلا تسلم على نقده قافية ، ثم لا يفوز المتخلص من مضماره ، على الجهد لديه ، بطائل ، ولا يحظى منه بنائل ، فأقصر الشعراء لذلك عن مدحه ، وخلا الشعر من ذكره ؛ وكان مع ذلك بهمة ، وأكثر الناس علماً بالثقافة^٦ ، فلا يضم من الفرسان إلا الأبطال الشجعان ، ولم يكن في الجود والكرم ينهمك فيعزى إليه ، ولا قصر عنه فيوصف بضده ، أعطى وحرم^٧ ، وجاد وبخل ، فكأنه نجا من عهدة الذم . ثم أكثر التخليط مجاهد في أمره ، فطوراً كان ناسكاً مخبئاً معتكفاً متبرئاً

١ أبي مروان : سقطت من ط د س ؛ وانظر هذا النص في البيان المغرب ٣ : ١٥٦ .

٢ ب م : وأسرى .

٣ ط د س : الفهم والعلم .

٤ س : راع فيه من لفظه وشرفه .

٥ ط س : يخلو ؛ والصواب : يخل (بطائل) .

٦ ب : بالثقافة .

٧ د ط : ومنع .

من الباطل كله ، يعكفُ على دفاتر يقرؤها ، وتارة يعودُ خليعاً فاتكاً لا يسائرُ بلهو ولا لذة ، ولا يستفيقُ من شربٍ وبطالة ، ولا يأنسُ بشيء من الجدل والحقيقة ، له ولغيره من سائر ملوك الطوائف في هذا الباب [٥ ب] أنهار مأثورة مشهورة ؛ انتهى كلام ابن حيان^١ .

قال ابن بسام : وقد أثبت أيضاً^٢ في هذا القسم من الشعراء والكتاب ، ورؤساء^٣ أهل الآداب ، ممن كان في ذلك الأوان إلى وقتنا هذا ، من عُرِفَ مكانه ، واشتهر إحسانه ، وقدّمْتُ من تقدّم في حلبة البيان ، دون من سَبَقَ في الزمان ، على ما شرطت في صدر هذا الديوان ، والله العاصمُ من الزلل ، والموفقُ لأحسن القول والعمل ، بعزّته .

فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر [صاحب المظالم]
أبي عبد الرحمن بن طاهر^٤ ، وسياقة قطعة من رسائله ، وإيراد بعض شأنه ، والتنبيه على مكانته من الفضل ومكانه ، وشرح خلعه عن السلطان ، وعلى يدي من جرى ذلك^٥ وكان :

قال أبو الحسن : كان أبو عبد الرحمن بن طاهر أحدَ مَنْ جمع الحديثَ إلى القديم ، وارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم ، واتفق لبني

١ ط س : انتهى كلامه . ٢ س : أنا .

٣ ب م : ورساء .

٤ هو محمد بن أحمد بن اسحاق بن طاهر ، راجع بغية الملتبس رقم : ٢٣ وقلائد العقيان : ٥٨ والمغرب ٢ : ٢٤٧ والذيل والتكملة ٥ : ٥٩٠ والحلة ٢ : ١١٦ والخريدة ٢ : ٣١٣ والمصعب : ١٨٠ وأعمال الاعلام : ٢٠٢ ؛ وكانت وفاته سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ ببليسية ، وقد نيف على التسعين ، وكان أبوه أبو بكر من أعلام تدمير ، بلغت وفاته قرطبة سنة ٤٥٥ ؛ وآل طاهر كانوا ذوي بيت عامر وعدد وافر يفخرون بالعروبية وينتمون في قيس هيلان .
• ذلك : سقطت من د ط .

طاهر بالفتنة المطغية ، رياسة كورة مرسية ، — في خبر أضربت عنه لطوله
ولأني قد أوردته في كتابي المترجم : « سلك الجواهر من ترسيل ابن طاهر » —
فكان أبو عبد الرحمن يكتب عن نفسه بهذا الأفق ، كالصاحب ابن عباد
بالمشرق ، وله رسائل تشهد بفضله ، وتدلُّ على نبله ، لاسيما إذا هزل
فانه يتقدم على الجماعة ، ويستولي على ميدان الصناعة . ولما خبط أبو بكر
ابن عمار سَمَرَاتِ ملوكِ الأندلس بعصاه ، وتردَّدَ ينتجعهم بمكايدِه
ورقاه ، وانما كان يطلب سلطاناً ينثر في يديه^٢ سِلْكُهُ ، وملكاً يخلعُ على
عِطْفِه ملكه ، جعل أبا عبد الرحمن بن طاهر موقع همه^٢ ووجهَ أمته^٢ ،
ولما ألقى المعتمدُ إلى ابن عمار بيده ، وقلَّده — على ما شرحناه في أخباره —
تدبير دولته وبلده ، بعثه على حرب ابن طاهر بغاءً لنفسه ، وبناءً على
أسسه ، فأقبله وجوهَ الجياد ، وأخذ عليه الثغور^٢ والأسداد ، حتى فتَّ
في عَصْده ، وانتزع سلطانهُ من يده . ولما قال عَزْمُهُ وفَعَل ، وقام
وزَنُ أمره واعتدل ، مدَّ يده وبسطها ، وكفر نعمةَ ابنِ عبادٍ وغمطها ،
وانتزى له من حينه على مُرْسِيَّةٍ وقعد بها مقعدَ الرؤساء ، وخاطب سلطانه
مخاطبةَ الأكفاء ، مستظهراً على ذلك بجرِّ الأذيال ، وإفسادِ قلوبِ الرجال ،
معتقداً أنَّ الرياسة كاسٌ يشربها ، وملاءة مجون^٢ يسحبها ، فقيَّضَ له
يومئذ من عبد الرحمن بن رشيق ، عدوً في ثياب صديق : من رجلٍ مِدْرَةٍ
خَبَرٍ ، وجذَّيل خديعةٍ ومكر ، فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشعاب ،
حتى أخرجه [ه ب] من مرسية كالشهاب ، وأبو عبد الرحمن بن طاهر

١ ب : يده .

٢ ب م : موقع همته .

٣ ب م : بالثغور .

٤ مجون : سقطت من د ط س .

في أثناء تلك الحال ، متردد* بين النكبة والاعتقال ، فبعد لأيٍ ما سعى له الوزير أبو بكر بن عبد العزيز ، زعيمٌ بلنسية - كان - في ذلك الأوان^١ ، فخلص^٢ بعدُ أبو عبد الرحمن ، خلوصَ الثريا من يد الدَّبران ، والتقى هو وابن عمار بلنسية بعد ذلك ، وقد استوى الغالب والمغلوب ، وضَعُفَ الطالبُ والمطلوب ، وكان ابن عمارٍ أخفَشَ ، فقال له ابن طاهر ، وكان كثير النوادر^٣ : كذا يا أبا العيِّنا ، لا أنت ولا أنا . فصار ابنُ عمار مع ابن رشيق تحت المثل : « أنفقتُ مالي وحجَّ الجمل »^٤ .

ولابن طاهر عدةُ نوادرٍ أحرَّ من الجمر ، وأدْمَغَ من الصخر : أرسل إليه ابنُ عمار وقتَ القبض عليه ، وهو معتقل بين يديه ، يعرض له خلعةٌ يتسربلها ، ويشيرُ إليه بكرامة : هل يقبلها ؟ فقال لرسوله : لا أختارُ من خِلَعِهِ - أعزّه الله - إلا فروةً طويلةً ، وغفارةً صقيلةً^٥ . فعرّفها ابن عمار واعترف بها على رعوسٍ أشهاده ، وبحضرةٍ من وجوه قواده^٦ وأجناده ، وقال : نعم إنما يعرِّضُ بزيِّي يومَ قصدته ، وهينني حين أنشدته ، فسبحان مَنْ يعطي ويمنع ، ويرفعُ من يشاء ويضع .

وحدثني غير واحد من أهل مرسية قال : لما قام البلدُ على ابن طاهر خرج هو وابن أخيه مخفيينٍ لأثباتهما^٧ ، هارين بدمائهما ، وكلُّ شيءٍ لهما رصد ، وفي كلِّ فجٍّ عليهما عينٌ ويد ، فلقيا رجلاً من أهل مرسية

١ ط د س : زعيم بلنسية بعد ذلك وقد استوى في ذلك الأوان

٢ ب : فتخلص .

٣ انظر الحلة ٢ : ١١٩ .

٤ من أمثال المولدين ، انظر الميبداني ٢ : ٢١١ .

٥ ط س : صقيلة .

٦ ط د س : كتابه .

٧ م ب : مخفيين لأثباتهما .

يدعى القبيلة^١ ، كان عندهم مشهور المنزع ، مضروباً به المثل في برْدِ المقطع ، وقد حمل قناةً فاعتقلها ، ولبس فروةً فحوّنها^٢ ، وفي رأسه قَلَمُونٌ طويل ، أبردُ من طلعةِ العذول ، فقال ابن طاهر لابن أخيه : يا بنيّ أين المهرب ؟ قد قامت علينا كلُّ قبيلةٍ حتى العرب ، ما أرى هذا^٣ إلا عمرو بن معد يكرب أو يزيد بن الصقعب .

وحكوا أن ابن أخت لابن رشيق ذا لحيةٍ طويلة ، وطلعةٍ ثقيلة ، وقف عليه يوماً وهو معتقلٌ عندهم ، فجعل يتوجّعُ له ويتفجّع ، ويتملّقُ معه^٤ ويتصنّع ، فقال له ابن طاهر : خلاصي بيدك إن شئت ، لو أخرجتني في لحيتك لتخلصتُ وخَفَيْتُ . إلى نوادر كثيرة ، وأوابدَ عنه مأثورة ، لإيرادها خارجٌ عن غرض هذا التصنيف ، وليست من شرطِ هذا التأليف . ولا ابن طاهر أيضاً في الجود نوادر تشهد أن كرمه لم يكن تَكْرُماً ، وأن مجده لم يكن تكسباً^٥ ولا تقحماً : مرّ به ولدُ ابن عمار بعد مَقْتَلِ أبيه ، في فئته القليلة ، وساقته المنكوبة المفلولة ، وقد لفظتهم البلادُ ، وأنكرهم الطريفُ والتلاد ، وتغيّر لهم الأشكالُ والأضداد ، ورحمهم الأعداءُ والحساد ، فأقبل عليهم ابنُ طاهر ببقيةِ حالٍ هم جَنَوْا عليه إِدْبَارَهَا ، وحكّمهم في فضلِ ثيابٍ هم^٦ [٦ أ] سلبوه خِيَارَهَا ، وخلي بينهم وبين ماءٍ طالما حَسَّلَوه عن بَرْدِهِ ، ودفعوا في صدرِهِ دون وِرْدِهِ ، تعالى من لا يَدِلُّ سلطانه ، ولا يُجَحِّدُ إحسانه .

١ ب : القبيلة ؛ ط د س : النفيلة .

٢ ب م : فرق لها .

٣ ط د س : ما هو إلا .

٤ ط د س : يتوقع . ه ط د س : له .

٥ ب م : نسباً . ٧ س : قد .

ما أخرجته من نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى

لفصول من رسائله السلطانيات التي أجزاها مجرى الاخوانيات

كتب اليه أبو بكر ابن عمار المذكور^١ ، في أثناء ما وقع بينهما ،
رُقعةً عتابٍ وختمها بهذه الأبيات :

عندي حديثٌ إن سمعتَ قليلاً ولديّ نصيحٌ إن أردتَ قبولا
يا راكباً ظهرَ التجنيّ راكضاً في حلبتيه أما اعتقدتَ نزولا
لله دركٌ لو طلبتَ حقيقتي لوجدتني بدلَ العدوّ خليلاً
خذُ من عنانِ هوائِ يوماً للنهي وانهجْ لرأيك في اللجاجِ^٢ سبيلاً
وأفِقْ من الأنفِ الذي تعتدّه عزّاً فقد يدعُ العزيزُ ذليلاً

ومن بعضِ مخاطباتِ ابن طاهرٍ له ، رُقعةٌ حُدثتُ أنه كتبها إليه من
موضعٍ معتقله^٣ : بقطعةٍ فحمٍ على ظهرِ آجرٍ ، فيما زعم : قد كنتُ
— أعزّك الله — أتيقنُ من حسنِ طويّتك ، وكرمِ سجيّتك ، أنك لي
أسرعُ^٤ في الملمة من اليمين إلى الشمال ، فارتقبتُ ورودك ارتقابَ الصائمِ
لللهلال ، فلما وافيتَ تحدّثتُ بملاقاتك ، واطلعتُ إلى مراعاتك^٥ ، فأبطأ

١ المذكور : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : النجاح .

٣ ط د س : اعتقاله .

٤ ط د س : أسرع لي .

٥ ب م : ملاقاتك .

ذلك من سنائك ، ولزمني ^١ أن استعلم السبب الموجب له من تلقائك ،
وبالله أقسم لو مكنت من رقعة ومداد حاضر ، لحاطبتك بالمحجر وسواد
الناظر ، لكن منعت من كل سبب لغير ^٢ سبب ، وألحت عليّ النوائب
بطلب على طلب . وأما الحضرة المكرمة فكانت أعمر إليها مسافة الطريق ،
وأجد للقول فيها بليل ^٣ الريق ، وستسمع بالمشافهة كيف كان المنع لا التمتع ،
فلست أجهل ما آتي وما أدع . وأما أمور الفتنة فمهدورة ، وعند العاقل
مغفورة ، وهي كبساط النبذ ، يطوى على ما فيه ^٤ من المز واللذيد ،
ولولا صدع بالفؤاد ، وقلب ملي من الخطوب الحداد ، لنبت إليك ما
في النفس نبد النواة ، فأنت موضع السر والمناجاة ، لا زلت من الحوادث
بمعزل ، ومن المكارم بمنزل .

قال ابن بسام : وقد حدثت أنه بعد خروج ابن طاهر من البلد ،
رأى أن يلقي بيده إلى المعتمد ، إذ بدا له من ظاهر ^٥ ابن عمار ما سكن
بعض استيحاشه [٧ أ] فأنس ، فأصبحه كتباً أدرج له بينها صحيفة
الملتمس ، ووقف ابن طاهر على مستودعها ، بفك طابعها ^٦ ، فكتب إلى
ابن عمار رقعة قال فيها : بالخبر تنجلي الشكوك ، ومع الفرى تماز
المسؤوك ، وربّ معمل سلامة ، ومُرسل استنامة ، قد يكشف [له]

١ ب م : فلزم .

٢ ب م : بغير .

٣ ب م : بلل .

٤ ط د س : يطوى بما عليه .

٥ ظاهر : سقطت من ط د س .

٦ د ط س : طوابعها .

المستور من خيل^١ عن صيل^٢ ، بل عن لحم مُصِيل^٣ ، وهو الإناء ينضح بما فيه ، ومرسومُ الوعظ ليس بمجديه ، ولما بت^٤ على^٥ مرحلة من جنابك العاطر ، مستسقياً من سحابك الماطر ، لما أصبحتني من تلك الرقاع ، التي خلتها يد الاستدفاع^٦ ، مثّلَ بين عيني في النوم [شخص^٧] مائل ، يتغنّى بقول القائل :

لئن بُعِثْتُ إلى الحجاج يقتلني لأنّي لأحمق^٨ من تتخذي به العير^٩
مستصحباً صُحُفاً تدمي طوابعها وفي الصحائفِ حيات^{١٠} مناكير

فوثبتُ كالمذعور ، وأتيتُ إلى تلك الطوامير ، ففضضتُ ختامها ، واستعربتُ إعجامها ، فصرحت^{١١} لي بأقوال^{١٢} بل ؛ أقتال ؛ فأبن لي — عافاك الله — بأي شيء استحللت دمي ، وبعثتني لإراقته^{١٣} على قدمي ، لا تبّل^{١٤} :

إن الأيادي قروض^{١٥} كما تدين^{١٦} تسدان^{١٧}
من استلذت^{١٨} زماناً أرداه^{١٩} ذاك الزمان^{٢٠}

وطالبُ الثارِ لا ينام ، والله وليُّ الانتقام .

ومن رقعة عتاب^{٢١} له^{٢٢} يقول^{٢٣} فيها : [أستوهبُ اللهَ عقلاً يعقل^{٢٤} عن تكلف^{٢٥} ما لا أعلمه ، والتسور^{٢٦} على ما لا أحسنه^{٢٧} ولا أفهمه ، وأستعينه على

١ صل اللحم وأصل : أئتن .

٢ ب م : عن .

٣ د ط س : الاستشفاع .

٤ د ط س : هي .

٥ د ط س : لارقة دمي .

٦ د ط : لا تبالي ؛ س : لا تبال .

٧ د ط : وله من رقعة عتاب .

عملٍ يرضيه مني ، ويرضى به عني ، وأسأله لك السند الذي يعزى الجودُ
إلى بنانه ، ومنطقُ الفضل إلى لسانه ، محزاً آهلَ المعاهد ، وحرزاً ثابتَ
القواعد ، و [قد تصرفت في سهوبِ الاسهاب ، وتعلقت بأطناب الإطناب ،
وسلكت من البلاغة مسالكَ لا تجد حَيَاتُ الأذهان فيها مدبباً ، ولا أرواحُ
الأفكار في جوها مهيباً ، فان قرعتُ بابها معك ، وقد باشرت بدعك ،
زادني انغلاقاً ، وكنت ككودنٍ مع عتيقٍ لا يرجو له لحاقاً ، فالأحجى
بذي الحجى سلوكُ سبيل الاختصار والإيجاز ، إذ لا بدَّ من الوقوع تحت
الاقتصار والاعجاز ، والله يبقيك لإحياء رسم الأدب ، وإقامة أودٍ لسانِ
العرب .

وفي فصل منها : وأكرمُ بخطابك الأثير ، المضمن من الدرِّ النثير ،
ما لم يستخرج مثله غائصٌ من بحر ، ولا تقلدت الغواني شكَّله على نحر ،
فله أدبُك ما أبرعه ، [وحسنُ لفظك ما أبدعه] ، أوضحت به مناهجَ
العلماء ، وصدقت نتائج الحكماء ، ولم أزل ألمحه ، وأجبل طرفي فيه
وأأنصفحه ، متعجباً من غرائب كلمك ، وبدائع حكمتك ، إلى أن انكشفت
لي أغراضه المبتدعة ، وجَمَلُهُ المختَرعة ، عن ظنِّ حكمته في اليقين ، وشك
غلبته على الصبح المبين^٢ : أنا أنزه ميزك الثاقب ، ونظرك الصائب ، ورأيك
الواضح الدلائل ، وما أوتيت من علم جوامع [٧ ب] الفضائل ، عن
انتسابٍ مثل ذلك إليك ، واشتباه ما فيه عليك ، وكنت عهدتك تقضي
بالخير على طباع الناس ، ولا يوضع على بصيرتك فيه غطاءُ التباس ، حتى
فجأني^٣ منه ما لو أخبرت به عنك لأنكرته ، ولا أدري له سبباً ، ولا أعرف

١ ط د س : على .

٢ س : الحق المستبين .

٣ د ط : فاجأ ؛ س : فجأ .

له موجباً، إلاّ الاصغاء إلى من يضربُ ويسعى بالفساد ، ويدبُ بعقارب
الأحقاد ، وَيَشْغَبُ لكي يذكي نارَ الحرَد ، وَيُطِيرُ شرارَ الضَّمَد^١ ،
وأنت أجل من أن تلتفتَ إلى غاشٍ^٢ ، أو تعرّجَ على ساعٍ بالنميمة واشٍ .
ومنها : وأما ذمُّ الزمان وبنيه ، فقد أكثرَ الناسُ فيه ، وكنتُ أجلبُ
شيئاً [منه] للحاجةِ إليه والتورُّكِ^٣ عليه ، غير أني اقتصرتُ مخافةَ التطويل ،
وتجنبتُ آفةَ التثقيّل ، فقد قالوا : الاطالةُ تفضي إلى الملالة . وأما من صرّحتَ
في مُدْرِجَتِكَ باسمه ، وشكواه اليك ما جرى عليه بزعمه ، فهو سَعَرٌ
ناراً غدا حريقها ، وفجّرَ أنهاراً ظلَّ غريقها ، وأمره أحقرُ من أن أحبرَ^٤
فيه كلما ، وأعمل في ذكره قلماً . ومن قولك - أعزك الله - ان العهد بك
بعيد ، والشوقَ اليك شديد ، وتعريضكَ بقربِ النزولِ عليّ ، والخروجِ
عما تريدهُ من الشكوى إليّ^٥ ، خرّجَ لي أنّ الذي اتفق لي في زيارتك
من الإغباب ، سطرَّ أسطرَ هذا العتاب ، فمهلاً مهلاً ، وحلاً حلاً ، وربّ
سامع بأمرى لم يسمع عذري ، والله ما اعتمدتُ^٦ ذلك جهلاً بحقِّك ،
ولا قصدته إهمالاً لواجب تقدّمك^٦ وسبقك ، بل دفعتُ إليه ضروراتُ
مكابدةِ أحوالِ هذا الزمان ، القاطعة عما يريده الإنسان ، ولئن نافس الدهرُ
في الورود عليك ، والوصولِ اليك [وأحوج إلى تركِ النهوض اليك]
فليس ذلك مما يخلُ بالود^٧ ، ولا يخلُ وثيقَ العهد ، بل أنت كالشمسِ

١ الضمد : الحقد .

٢ م : والتورد .

٣ م : أجري .

٤ د ط س : لدي .

٥ س : هذا والله ما اعتمدته .

٦ د ط س : تقدّمك .

إن عدمنا مدارها^١ ، فما حرّمنا أنوارها ، وقد علمنا أن مكانها عليّ^٢ ،
وحُسْنُها جوهريّ ، وكان من الحكم أن أراجع على النظم ، لكن لا
آتي معك إحساناً ، ولو كنتُ حسّاناً ، فابسط العذر ، وسهّل الأمر ،
[والله يهنيك صحةً تكفُّلكَ ، وسلامةً تشمّلكَ ، برحمته ، والسلامُ
على من أراني عتابه^٣ ، ليعلم كيف ودّي عند ردّي جوابه^٤ ، ورحمة
الله] .

وله رسائل مطبوعة ، ومنازع إلى الأدب بديعة^٥ .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى ابن عبد العزيز من طريقه يومئذ رقعةً يقول
في فصل منها^٦ : كتابي وقد طَفَلَ العشي^٧ ، وسال^٨ بنا إليك المطي^٩ ،
ولها من ذكرك حاد ، ومن لقياك هاد ، وسنوافيك المساء ، فنغتفر^{١٠} للزمان
ما قد أساء [٨ أ] ونردُ ساحة الأمن^{١١} ، ونشكرُ عظيم ذلك المن^{١٢} ،
فهذه النفس^{١٣} أنت مُقِيلها ، وفي بَرْدِ ظلك يكون مَقِيلها ، فلله مجدك^{١٤}
وما تأتبه^{١٥} ، لا زلتَ للوفاء تحييه وتحويه :

١ ب : من نارها .

٢ هذه العبارة سقطت من د ط س ، ويبدو أنها مقحمة .

٣ وردت في قلائد العقيان : ٦٠ ، وذلك بعد أن تخلص من معتقله بمنى قوط بتأثير أبي بكر
ابن عبد العزيز ودفاعه عن ابن طاهر ، وقد صدرت هذه الرسالة عنه وهو بجزيرة شقر ؛
وانظر الدليل والتكملة ٥ : ٥٩١ والخريدة ٢ : ٣١٩ .

٤ د : وسار ؛ القلائد : ومال .

٥ ب : فتغتفر ؛ ط د س والقلائد والخريدة : فنغتفر .

٦ ط د س : النفوس .

٧ ب : درك .

٨ ط د : وما توليه .

* فدانك لك الدنيا ودامت بك العليا *

إن شاء الله تعالى ، بمنه .

وعند انجلاء تلك الظلماء [عنه] خاطب جماعة من الرؤساء ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، فمن ذلك رقعة خاطب بها صاحب المرية قال فيها : ولما تخلّست مني - أيديك الله - يد الزمان ونوائبه ، وتجلّست عني غمّراته وغياهبه ، ابتدرت مطالعتك ابتدار الفرض ، وهصرت من مجاذبتك بالغصن الغض ، فاتقأ لكمامة الفضل ، وعامراً لشريرة الوصل ، وحمدت الله تعالى مقدّم في السرّ والظهر ، على ما درأ من الحوادث النكر :

وإذا جزى الله امرأ حسناً فجزى أخاً لي ماجداً سمحاً
ناديته في كربتي فكأنّما ناديت عن ليل به صباحاً

ذلك الوزير [الأجل] أبو بكر مثنيت رسم الوفاء ، وباني مجده على قمة الجوزاء ، نبة لي كرم مسعاه ، دائباً ووالاه ، لم يكتحل سوى الأرق ، حتى استنقذني من بلجة الغرق ، ووافي بي على المنى ، وأحلّني من برّه المحل^١ الأسنى ، فأنام الله عنه عيون^٢ الأيام ، ولا أنساني له شكر ذلك المقام .

وله من أخرى^٣ خاطب بها ابن هود : إن الأيام - أيديك الله - تكون ألوانها ، وللمساءة إحسانها ، ما تدرّ شعباً إلا تصدّعه ، ولا وصلاً إلا

١ س : بالمحل .

٢ ب : عين .

٣ ط د س : ومن أخرى .

تقطعه ، إن أمرت عهداً نقضته ، أو بنت بنياناً قوضته ، على أنها قد تعود ،
ويكون لها الأثرُ المحمود ، ورميتي - أيدك الله - بسهامها ، وجرعتني
غُصَصَ حمامها ^١ ، فكان لله سترٌ وقى ، وصنعٌ أبقي ، مكّن النفسَ من
رجائه ، ووطّنَ الصبرَ على قضائه ^٢ ، طمعاً في الخطّ من ثوابه ، وتبلّج
الفرَجَ من أبوابه ^٣ ، إلى أن تبدّى فجره ، وتأتى أمره ، والحمد لله بحقه ،
منقّلي من الخطب وربقه ، هو المبلوّ بعواطفه ، المدعوّ بعوارفه ، وفي كلّ
حالٍ - أيدك الله - أخطرني ببالك ، ومددت عليّ من ظلالك ، ووصلت
من سببي ، ونفست من كُرْبِي ، وأوجدتني من ذراك مفزعاً ^٤ ، و[أوردتني]
من نعمك مَشْرَعاً ، لا زال بِرُكَّ شاملاً ، ولا انفكَّ سعدك كاملاً ،
فانك محيي الهمّة ومقيمها ، وموليّ النعمة ومديمها ، وكم أحييت من
همم ، وأوليت من نعم ؛ فكافأ الله الوليّ ^٥ السنّيّ واحدي الوزير الأجلّ
أبا بكر مكافأةً ماجدٍ جدّ في سعيه ، وجرّد [٨ ب] من رأيه ، لدرءٍ
مهمّي وكشفه ^٦ ، حتّى انتضاني في كفّه ، فخلطني بالعليّة نفسه ، ومهد
لي في جنبه وأنسه ، أيّده الله على شكره ، وفسح في عمره .

وله من أخرى كتب بها إلى الحاجب عماد الدولة ^٨ : كتبتُ - أيدك

١ د ط س : وعلّ قرب من مرامها .

٢ ب م : لقضائه .

٣ ب م : أثوابه .

٤ ومددت . . . مفزعا : سقط من ط د س .

٥ ب م : ومؤتي .

٦ ط د : ألوني ؛ س : السنّيّ الوافي .

٧ د ط س : وكشفه حقّي .

٨ زاد في د ط س : ابن المقتدر بن هود ؛ وهو عبد الملك بن أحمد المستعين ، وليس ابن =

الله - عند وصولي بلنسية ^١ ، متخلصاً من يد المحنة ، مُتلبساً لله فيها أعظم المنحة ، أن تدارك في غمراتها ، وجلّي المسودّ من هفواتها ، فله الحمد كثيراً ، والشكرُ نضيراً ؛ ولإني بلوثُ من إجمالك في حالي شدّتي ونجاتي ما عقّل اللسان ، وقبض البنان ، وأخجلّ الحوادث حتى كفت من اعتدائها ، وألوتُ تعثُرُ في استحيائها ، فإن أثّنتُ فمقتصرٌ عنك الثناء ، وإن دعوتُ فإلى الله يُرفعُ الدعاء . وتلقّاني بطريقي كتابك الرفيعُ فتملكني برّه ، وحيّاني بشرّه ^٢ ، وعظّمَ عندي قدره ، فله ما تبيده من فضلٍ وما تسره ، ولله درُّ الوزير الأجلُّ أبي بكر ، جوزي بوفائه ، وفسح الله له في ظلّه وبقائه ، فانه ما اكتحل في كربتي بنوم ، ولا تمتع بمسرةٍ في يوم ، ولقد كانت قذى عينيهِ ^٣ ، حتى حلّني من وثاقها بيديهِ .

ومن أخرى خاطب بها المظفر ^٣ صاحب لاردة قال فيها : ان الله تعالى يصرفُ الأمور كيف يشاء ، له النعماءُ والبأساء ، فان عافى واصلَ المنن ، وان امتحن أحسن ، لأنه يمنح الأجرَ الذي هو أسنى ، ويعودُ بعوائده الحسنى ، وما المرءُ إلا كالنصل ، يُشحذُ بالصقل ، تنفذُ عليه الأقدارُ ، ليقعَ

= المقتدر ، تولى بعد أبيه سنة ٥٠١ بسرقطة ، ثم انتزعها منه المثلثون سنة ٥٠٣ (انظر اعمال الأعلام : ١٧٥ والمغرب ٢ : ٤٣٨) .

١ ط د س : من بلنسية .

٢ مأخوذ من قول الشاعر : وهو إبراهيم الصولي :

سأشكر عمراً ان تراخت مني أيادي لم تمنن وان هي جلت
رأى خلقي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيهِ حتى تجلت

٣ زاد في ط د س بعد كلمة المظفر « أخاه » ؛ والمظفر يوسف بن سليمان (حسام الدواة صاحب لاردة) هو اخو أحمد المقتدر وايس بأخي عماد الدولة ولهذا اقتضى حذف الزيادة تخلصاً من الاضطراب .

٤ ط د س : النعمة .

الاختبار والاعتبار، ويبدو له الزمان وأهله، وحيث منبت الفضل وأصله؛ وكان لك — أيدك الله — من التهمم بجاني ، والارتماض لنوائي ، ما أطابَ ذكركَ ، وأبان قدركَ^١ ، وأخبرَ أنَّ الحميلَ من سجايك ، وأن محاسنَ الدهر بعضُ حُلَاك . ولما تَخَلَّصْتُ من تلك الأشرار ، وأذنَ الله منها — وله الحمد — بالانفكاك ، أسرعتُ إلى قضاء حقِّك وإنه لأعزُّ الحقوق ، وتوفيةُ الشكرِ لك بباهرِ مجدك السابقِ غيرِ المسبوق ، والثناءِ على أنعم الله تعالى قبل كلِّ شيءٍ وبعده التي جلَّستَ عن الإحصاء ، وجَلَّستَ من الغمَّاء . وقد أوليتَ ما أثبتَ لك في الرقابِ رِقَاً ، وما تخبُّ به الركائبُ غرباً وشرقاً ، وإن المستقلَّ بي والجادِبَ بضبيعي لمحبيي ميت^٢ الوفاء ، ومحورِ جزلِ الثناء ، قسيمي في المهملِّ ، وظهيري [٩ أ] على الملمِّ ، الوزيرُ الأجلُّ أبو بكر ، فإني تبوأْتُ في ذراه محلاً وداراً ، ورأيتُ الخطوبَ تعتذِرُ اعتذاراً .

وله من أخرى إلى^٣ القادر بالله ابن ذي النون^٤ : حُكِّمُ الزمانِ — أيدك الله — تعثُّرُ^٥ الإنسان ، ولولا دفاع^٦ الله لهوَتَ قدمُهُ ، واستوى عَدَمُهُ ، لا يبالي^٧ حيث انتحَتْ نوابه ، ولا من ازورَّ جانبه ، يُلْفَى الدهرَ عابساً ، ولثوب العذر لا بسا . وكتابي من بلنسية وقد وافيتها موافاة

١ ب : ذكركَ ؛ م : وأبان الله قدركَ .

٢ س : نبت .

٣ د ط س : ومن أخرى خاطب بها .

٤ هو يحيى بن اسماعيل بن المأمون بن ذي النون ، تولى سنة ٤٦٧ بعد جده المأمون .

٥ ط د : تمثير .

٦ ط : دفع .

٧ ب م : يقال .

الآمن بقراره ، خارجاً من ليلِ الحوادثِ واعتكاريهِ^١ ، مستبشراً^٢ بنهاره ، مستشفياً^٣ من آثاره ، فالحمد لله بما أولاه ، حمداً يبلغُ رضاه . وما أنا — أيدك الله — في أمري ، وما يسرُّه الله من انجلاء ضُرِّي ، بأجلدٍ مني لتوقف الأيامِ عن مكانك ، وقد أوضعتَ في بنيانك ، تظن أنَّ ما تُتلفُهُ ، لا تُصْرِفُهُ ، وكرمَ الله من لطف خفيٍّ ، وكرمٍ خفيٍّ ، وهو المستولُ بأحبِّ أسمائه ، أن يعيدَ عزَّكَ إلى بهائه^٤ . وان من تلقَى رايةً المجدِ ابتداراً ، وأخذني من أيدي الخطوب اقتساراً ، لتعلمُ الوفاء الذي إليه يشار ، وشخصُ السيادة الذي به يستنار ، واحدي الوزيرُ الأجلُّ أبو بكر — أدام الله عزَّه وأحسنَ جزاءه ، ووصلَ اعتلاءه — .

وكتب^٥ أيضاً في ذلك إلى بعض إخوانه : علمي — أعزَّكَ الله — بصدقِ وفائِكَ ، ومحضِ صفائِكَ ، وأُنك ضاربٌ في حالي بأوفى السهام ، أوجبَّ أن أسبقَ اليك بالمشاركة والإعلام ، وكتبتُ عند الخلاصِ من العقلةِ ، والتخلصِ من العطلةِ ، بفضلِ الله الذي له المشيئة الغالبة واليد العالية ، هو المردَّدُ حمدهُ بما أولى وسنَّى ، المرجوُّ لطفه بعوائدِ الحسنَى . ورعى الله الوزيرُ الأجلُّ أبا بكر ، وقارضه وفيَّ الشكر ، فلقد بزَّ الأنامَ طُرّاً ، ووافَتِ فعالتهُ الكريمة غرّاً ، لم يقصِّر عن أمدِّ السعي ، مُدَّةَ

١ م : باعتكاريه .

٢ م : مستتراً .

٣ م : مستشفياً .

٤ كان ابن ذي النون قد واجه ثورة بطليطة ففر منها حوالي سنة ٤٧٢ هـ فاستعان بأذفونش ملك قشنة فأعاده الى ملكه على شروط قاسية ، ثم ائترع منه طليطة .

٥ م ب : وبدر .

٦ تنفرد ب م بهذه القطعة .

ذلك البغي ، حتى أخذني من أيدي الخطوبِ عَنوةً ، وأحلّني من جزائه وبرّه صَقْوَه ، فله وفاقه وسَرُوهُ ، وغايته في العلاء وشأوه .

قال ابن بسام : وخاطبت جماعة من رؤساء الجزيرة يومئذ الوزيرَ أبا بكر [بن] عبد العزيز [المذكور] شاكرين له على ما كان في ذلك من سعيه الحميد [المذكور] ، منها رقعةٌ للمؤمن بن هود يقول فيها : وقد تتابع عنك — أعزك الله — أحسنُ الحديثِ المذيع لحفايا سرّوك وسرائره ، المعربِ عن سجايا سنائك ومآثره ، منذ انتدبت بشرفٍ منحاك [٩ ب] لما يسّره الله من حميد مسعاك ، فانتضيت من عزمك باتراً يفلُ نصالَ النوائب ، وأيقظت من حزمك ساهراً ينمُّ عيونَ الحوادثِ ، وسهّلَ الله الوعدَ بصدقٍ بصيرتك ، وذللَّ الصعبَ بيمنٍ نقيبتك ، حتى شردت المحنةُ وعمت المنحة ، بتخلّص ذي الوزارتين الكاتبِ الأجلِّ صاحبِ المظالم أبي عبد الرحمن سندي^١ ، والخطيرِ من عددي — [أبقاها الله] — من تلك الغمرة ، وانتضائه بالاستقلال من العثرة ، واستقرت الحال — أيديك الله — بدءاً وعوداً ، عما قصّرَ عليك أو فرّ الحمد ، ونشر عنك^٢ أنضّرَ العهد ، فجازاك^٣ الله أفضلَ ما جازى علماً من أعلام الوفاء ، ووفّاك^٤ اكرماً ما وفّى متقدماً في أحوال الصفاء ، متوحداً^٥ بحميلِ المقامِ وجليلِ الغناء ، وخاطبتك معلماً بحقيقة اعترازي^٦ بما يسّر الله على يديك من هذه العائدة^٧ ، وسنّاهُ

١ م ب : سيدي .

٢ د ط س : عليك .

٣ ط د س : فجازاك .

٤ ط د س : أكمل .

٥ ط د س : متودداً .

٦ م ب : اعتذاري .

٧ م : العارفة .

بلطفٍ توصُّلكَ إلى هذه الفائدة^١ ، فلو خصصتَ بذلك مَنْ يشاركني بالنسبة وهو قسيمي في اللحمة^٢ ، لم يَعدِلْ عندي بما أوليتَ في جانبِ مَنْ أَعَزَّهُ اللهُ باتِّمامِ النعمة ، فقد كان تألُّمي^٣ من إساءةِ الدهر في هَضْمِهِ ، وتطاوُلِ خطوبِهِ التَّكْرِرِ إلى ظُلْمِهِ ، بازاء ما يقتضيه الاعتدادُ بفضله ، والابتهاجُ بشرفِ محلِّهِ ؛ إذ كانت النفسُ تُشْفِقُ من حادثةٍ تصيبُ نبيهاً ، من الاخوان ، فضلاً عن نائبةٍ تحلُّ بساحةٍ جليل من الأعيان ، والله تعالى يصرفُ النُّوبَ عن فينائِكَ ، ويكفُّ المحاذِرَ دون أرجائك^٤ ، بمنته .

قال أبو الحسن : ونأخذ هنا بطرف من أخبار الوزير الأجل أبي بكر ابن عبد العزيز^٥ المذكور ، بهذا الموضوع ، حسبما اقتضاه سرد الكلام ، وأدى إليه شرط النظام .

كان أبو بكر أحدَ مَنْ سبق وادعاً ، وتجاوز ذروة الشرف متواضعاً ، كتب أبوه عن الوزير الكاتب أبي عامر بن التاكروني^٦ أيام وزارته لعبد العزيز ابن أبي عامر ، وأبو عامر أطلع جَدَّهُ ، وأرهف حدَّهُ ، وبلغ به الذرى ، حتى قيل : « كلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفَرَا »^٨ .

١ وخاطبتك . . . الفائدة : سقط من ط د س .

٢ ط د س : باللحمة .

٣ ط د س : نالني .

٤ د ط : نبيها .

٥ والله . . . أرجائك : سقط من ط د س .

٦ كان أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بطنسية التي بها تبصر ، توفي ببلنسية سنة ٤٥٦ هـ ؛

انظر أعمال الاعلام : ٢٠٢ وقلائد العقيان : ١٦٧ .

٧ ط د س : التاكروني .

٨ انظر فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ .

وقد ذكره أبو مروان ابن حيان فقال : وفي العشر الأواخر من [شهر] جمادى الآخرة سنة ست وخمسين نُعيَ إلينا وزيرُ بلنسية ، ابن عبد العزيز ، وكان — على خمول أصله في الجماعة — من أراجيح كبار الكتاب ، الطالعين في دمس هذه الفتنة المدهمة ، وذوي [١٠ أ] السداد من وزراء ملوكها^١ ، ذا حُكْمَةٍ ومعرفة ، وارتياض وتجربة ، وَهْدِي وقوام سيرة ، إلى ثراء وصيانة ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال أبو الحسن : ووزر أبو بكر بعد أبيه لعبد الملك بن عبد العزيز الملقَّب — كان — من الألقاب السلطانية بالمظفر ، فقطع ووصل ، واضطلع بما حَمَلَ ، ودارت عليه الرئاسة مداراً لم تَدُرْهُ رَحَى على قطب ، واشتملت عليه السياسة^٢ اشتمالاً لم تشمله جناجن^٣ على قلب^٤ : من رجل ركب أعناق خطوبها ، صَعَبَها وَرَكوبَها ، وامترى أخلاف شأبيها ، مُنْهَلِها وَسَكُوبَها ، فلما قصَّ يحيى بن ذي النون الملقَّب بالمأمون آثار آل^٥ ابن أبي عامر ، واجتث أصلهم من بلنسية آخر الدهر [الداهر] — حسبما سنأتي عليه ، إذا انتهينا إن شاء الله إليه^٥ — كان ابن عبد العزيز ، زعموا ، أحبَّ من أقام مَيْلَها ، وأوضح لابن ذي النون سُبُلَها ، حتى خلصت له مناصبها ، فكافأه ابن ذي النون لأوَّل تملكه إياها بأن ولاَّه^٦ أمورها ، وحلَّاه مناورها ، ولاث^٦ بحِمْيويه سياستها وتديرها ، فسامى الفراقده ،

١ : ملوكنا .

٢ : الرئاسة .

٣ : لم تشمله عليه . ب م : جناحان على قلب ؛ والجناجن : عظام الصدر .

٤ : آل : سقطت من د ط هـ .

٥ : حسبما فذكره إن شاء الله .

٦ : ولاث : ولاه .

وتألف الشارد ، وقدح^١ الحاسد ، وقهر^٢ العدو المكائد ، وهو من ابن
 ذي النون قريب على البعد ، وحاله^٣ عنده جديدة على قدم العهد . فلما مات
 يحيى بن ذي النون صفت^٤ مشاربه^٥ ، وخلا له جانبه ، وضعف عنه طالبه^٦ ،
 وكان خليفاً بسموه^٧ ، مهيباً في صدر عدوه^٨ ، طاوول^٩ الجبال^{١٠} بالآكام ،
 وفل^{١١} السيوف بالأقلام ، متشبهاً في مخالصة الإمارة ، من خصاصة الوزارة ،
 بأبي الحزم بن جهور ، فم^{١٢} له من ذلك ما نيف^{١٣} على المراد ، وأطال غم^{١٤}
 الأعداء والحساد ، واجتمع عنده من سعة^{١٥} المال ، وفخامة الحال ، ونضرة^{١٦}
 الإقبال ، وآلات^{١٧} الجلال^{١٨} ، ما سار في البلاد ، وقصر عنه كثير^{١٩} من
 الأشكال والأضداد^{٢٠}

ومن أعجب ما هياً له الزمان^{٢١} ، وأغرب ما سارت^{٢٢} عنه به الركب^{٢٣} ،
 أن ابن هود لما سما إلى دانية^{٢٤} فورد^{٢٥} صفوتتها^{٢٦} ، واقتعد^{٢٧} ذروتها^{٢٨} ، فيل^{٢٩}
 أهل بلده رأيه ، وعجزوا سعيه^{٣٠} ، في قصوره^{٣١} عن بلنسية ، إذ كانت
 أدنى لمن يريدتها ، وأجنى^{٣٢} على من يستفيدها ، لوفور غلاتها ، وتما^{٣٣}
 أدواتها ، واعجاز خواصها وذواتها ، ولخلوها عندهم من ملك^{٣٤} يفي

١ د ط س : وقدح .

٢ د ط س : وقهر .

٣ د ط س : الآكام .

٤ س د : جماعة .

٥ ب م : الجبال .

٦ م : والانداد .

٧ د : طارت ؛ س : صارت .

٨ ب م : وأقعد .

٩ د : فند ؛ ب : قفل .

١٠ د : وأجرى ؛ س ط : وأجدى .

بمقدارها ، ويدبُّ عن عَصْرِ دارها^١ ، فجأهروه بتعجيزهم [١٠ ب] وشاعتُ على الألسنةِ أعجوبة من ترجيزهم ، كلماتٌ في أعجميةٍ مزدوجة^٢ ، معناها : ما أحمقَ هذا وأهوجِه ، عَجَزَ عن الأيِّمِ ونكحَ المزوَّجةَ ؛ وحين تلقفها من الألسنةِ ، انتبه لها لا^٣ من سِنَةٍ ؛ وداخلَ الطاغيةِ أذفونش مفزعَ آمالهم ، وظهيرَ بَطالَتهم وباطلهم ، على عادتهم ، مَعَشَرَ الخلفاء ، من استنابته في زحوفهم ، وإجابته إلى مُرٍّ حتوفهم ، سَعياً عمَّهم بتنكيل ، ومكرراً أحاقه الله بهم عمّا قليل ؛ فاشترى منه بلنسية يومئذ [زعموا] بمائة ألفِ دينار ، تقرَّبَ إليه بحاضرها ، وأعطاه رهناً كفافاً بسائرها ، فغزا بلنسية وقتَه في جيشٍ تضاءلتْ ذُرَى أطوادِها^٤ عن أعلامه ، وتناكرتْ وجوهُ نجومها تحتَ قَتامه ، فلم يركزْ لواءه ، ولا رفع بناءه ، حتى خرج إليه ابن عبد العزيز منسلخاً مِنْ عديده ، في ثيابِ جُمُعتِه^٥ وعيده ، فكلَّمه بما^٦ أرقَّ قلبه ، وكفَّ غَرَبَه^٧ ، وكان مما قال له : هيَ بلادُكَ فقدَّمْ مَنْ شئتَ وأخَّرْ ، ونحن طاعتُكَ وقوادُكَ فأقلِّلْ منَّا أو أكثرْ ، في شبيه ذلك من لَبِنِ القولِ الذي يسُلُّ الأحقاد ، ويتألَّفُ الأضداد ، فانصرف عنه وقد ألحفهُ جناحُ حمايته ، ووطأ له كَنَفاً من عنايته ، ورجع ابنُ هود وقد نفّض يديه ، وأصبحتْ نفقتهُ حَسرةً عليه ، وكان الطاغيةُ بعد ذلك ، كلما جرى ذكرُ ابنِ عبد العزيز

١ وتمام . . . دارها : سقط من ط د س .

٢ كلمات . . . مزدوجة : سقط من د ه م س : كلمة أعجمية .

٣ لا : سقطت من ط د س .

٤ ط د س : جو .

٥ ط د س : أطواده .

٦ ب م : جمعه .

٧ ب : بأن .

شايعة وتولاه ، واسترجحه وزكاه ، حتى كان يقول — لعنه الله — : رجالُ الأندلسِ ثلاثة : أبو بكر ابن عبد العزيز و [أبو بكر] ابن عمار وششند^١ ، وسأجري في أخبار ابن ذي النون طرّفاً من ذكره ، وأشير إلى جهة من مآل أمره .

بقية ما استخرجته من رسائل ابن طاهر السلطانيات

فصل^٢ له من رقعة خاطبة بها ابن عباد يقول فيها : مَنْ وَجَدَ سَلَفَهُ عَلَى مَذْهَبٍ مِنَ الْخَيْرِ بَيِّن^٣ ، وَسَمِعَ مِنَ الْفَضْلِ مَبِين^٣ ، سَرَّهُ أَنْ يَتَحَلَّى بِتِلْكَ الْخُلُقِ ، وَيَتَجَلَّى مِنْ تِلْكَ الْأُفُقِ^٤ ، وَإِنْ الزَّمَانَ لِلدَّنِ الَّذِي انْقَضَى ، وَامْتَحَتْ صُورَتُهُ الْحُسْنَى ، نَظَّمَ بَيْنَ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ الْقَاضِي جَدُّكَ وَبَيْنَ أَبِي مَوْلَايَ ، كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَقَدَ الصَّلَاةَ ، وَأَبْرَمَ بَيْنَهُمَا حَبْلَ الْخُلَّةِ ، وَشَقَّ بَيْنَهُمَا الْمَصَافَاةَ شَقَّ الْأُبُلُمَةِ^٥ ، وَأَطْلَعَهُمَا نَجْمَيْنِ فِي أَكْبَرِ تِلْكَ اللَّمَّةِ ، يَفْتَرِقَانِ^٥ عِنْدَ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَيَحْمِلَانِ يَوْمَئِذٍ مُضْلِعَ الْأَثْقَالِ ، إِلَى أَنْ امْتَزَجَتْ بِهِمَا الْحَالُ امْتِزَاجاً ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِنَفْسِهِ صَاحِبُهُ غِذَاءً وَمِزَاجاً ، وَلَمْ يَقْنَعْ مِنْ ذَلِكَ الْإِتْفَافِ^٦ ، بِوَاقِعَةِ الْكَفَافِ ، حَتَّى أَتَمَّ

١ ط س : ششنداه ، وكان ششند أو ششنداه (سشندو دافيدس) من النصارى المستعربين ، وزر للمتضد بن عباد أولاً ثم فر إلى ملك قشتالة ، وكانت له أدوار متعددة في أحداث ذلك العصر ، وقد ولاه أذفونش على مدينة طليطلة عندما انتزعها من ابن ذي النون .

٢ ب م : مذهب .

٣ س : مبين مبين .

٤ ط د س : الطرق .

٥ م ب : مخترنان .

٦ م س : الالتفات .

[١١ أ] صنائعه^١ ، ورقم^٢ وشائعه^٣ ، خلال ما ابتداه ، ونهجه وهياه^٤ ، فضممنا والرئيس^٥ الأجل^٦ أبلك معتمد^٧دي . — كان — رضي الله عنه في زمرة الطلبة ، والأُسرة^٨ منهم المنتجة ، ورَتَعْنَا في رياضِ الاصطحاب ، واستدرينا من أدواحها بأمثالِ السحاب ، نُصِيبُ من بَرْدِها ودَرِّها ، إلى أن أطلعت الأيامُ شجرَ مرِّها ، برائعِ الفراق ، ولم نشفِ الأشواقَ ، وأقبلتِ الفتنُ والمحنُ تساق ؛ فلما اطمأنت بك قدمُ الرياسة ، واستقرت منك في شخصِ السيادةِ والنَّفَاسَةِ ، جعلتِ الهمةُ تَتَطَلَّعُ ، والارادةُ مَنِي تَفْقَادُ وتَتَبَعُ ، في الإلمامِ بمدخلتِكَ ، والتسبُّبِ لمطالعتِكَ ، ليلتئم باعترلاك ذلك الشعب ، ويستريح من بُرَحَائِهِ القلب ، والأيام على شِيَمِها وشُومِها ، في عوارضها ولُومِها ؛ إلا أي مع ذلك لم أُخْلِ^٩ مشاهدتي من الذكرِ لك ، والفخرِ بك ، حتى وافى رسولُكَ الناحيةَ ، فمددت يدَ المخاطبةِ لك ، وأحببتُ فتحها معك ، لأُعلِقَ منك كَفِّي ، بماجد يكونُ ركني وكهفي ، واثقاً بحسنِ المقابلةِ والقبولِ ، عارضاً^{١٠} ودِّي بمهَبِّ الصَّبَا والقبولِ^{١١} ، فان مننتَ بالمراجعة فذلك البغيةُ والمراد ، وإلا فما أخطأ الاجتهاد ، والله يُيسِّرُ المرتجى منك ، ويدفعُ محذورَ الناباتِ عنك ، [بقدرته الباهرة ومشيئته العالية]^{١٢} .

وله من أخرى [إليه] : الآن سَفَرَت من الأيام الحدودُ ، واهتزَّ منها

١ بنيت الأفعال في هذه العبارة (في د ط س) على التشنية ، ولم يقنعنا . . . أنما . . . رقما . . . الخ ، ولكن الضمير يعود إلى « الزمان الدن » .

٢ م ب : أقل .

٣ ط د س : عارضاً في .

٤ ب : أو القبول .

٥ موضع هذه العبارة في م : بعزته .

غُصْنُهَا الْأُمْلُودُ ، ووثقت نفوس^١ بالنجاح ، ودنا غمامها المطلوب حتى
 كاد يُدركُ بالراح ، لما أتت البشرى عن^٢ مولاي باقترابه ، وتعلقت الدنيا
 بأثوابه ، ولاذ به الإسلام ، وعزَّ جانبُه المستضام ، وما زلتُ أترقبُ الزمانَ
 أن يخطرني بباله ، ويعرضني على اهتباله ، فاذا به على ازوراره ، لا يبالي
 من صلي بناره ، فكيف أذمُّ الزمانَ ومولاي فيه ، وهو تابعُ أوامره ونواهيه ،
 لا زال جدُّه مقبلاً ، وسَعَدَه متصلاً ، ما صدع الفجرُ ، وطلع البدر .

وله من جواب على كتاب : ورد كتابه^٣ العزيز الذي شفع به المنن
 الروائح والخوادي ، فوريتُ بمضمَّنه زنادي ، وأخصبَ من^٤ مستودعه
 مرادي ، وتأتَّى بما التمحتهُ مُرادي ، وتصفحتُ الطولَ وافيَ الدوائب ،
 متصلَ السحاب ، ولبستُ^٥ ثوبَ الإجمال ، سابغَ الأذيال ، واسعَ الأطلال^٦ ،
 والله يُبقيهِ للواءِ الفضلِ يرفعه ، وشيتِ المكارمِ يجمعه .

وفي فصل منها^٧ : وأما كتابك فكان جواباً ما أحسبَ ! وبياناً ما أعذب !
 أنسَ من وحشةٍ ، وألبسَ منَّةً بعد منَّةٍ ، ووقفتُ منه على ما ملأ
 جوانحي مسرةً ، وبسبط من وجهي أسيرةً ، وحمدتُ الله تعالى [١١ ب]
 بالنعمة عليَّ في ذلك ، وبما هيَّأه الله على يدك هنالك ، وما زلتُ معشرَ هذه

١ ط د س : على .

٢ ط د س : كتابك .

٣ ط د : في .

٤ س : التمسته .

٥ ب م : وألبست .

٦ ط د س : الظلال .

٧ م ب : منه .

السَّلمة^١ الكريمة ، الزكية^٢ الأرومة ، تَشِيدون البناء^٣ ، وتخلّدون الثناء ،
وتحفظون الأرجاء ، وتمدّون الرفاء^٤ ، وأنّي بمثل سياستكم فيما فتحه
الله على المظفّر ؟ لقد أخضعتكم الرقاب ، وأطرتم الألباب .

وفي فصل من أخرى : [ورد لك كتابٌ كريم وثغورٌ] نجدك مبتسمةً^٥
منه ، وألسنةُ سرّوكَ ناطقةٌ عنه ، فطرّدَ العبوسَ ، وأحيا بخره النفوسَ ،
فهنّيتَ هذا الشرفَ التليدَ ، والمذهبَ الحميدَ ، وزادك الله جمالاً ،
كما اختار لك جلالاً ، وتناولتُ المُدْرَجَةَ الكريمةَ التي خطّتها اليدُ العزيزةُ ،
وجعلتها بيّني وبين الحوادثِ شعراً ودثاراً ، إذ تبينتُ فيها مخايلَ وآثاراً ،
بعد أن وضعتها تكرةً على رأسي ، وأحييتُ بها أُملي ونفسي^٦ ، وتوليتُ
من الدعاءِ المخلصِ ما اللهُ تعالى سامِعُهُ لك ، ومحقّقُهُ فيك . فأما الشكرُ
فلو أنّي فيه موصولُ اللسانِ ، بلسانِ الزمانِ ، لما وقّيتُ بحقّك منه ، ولما
قضيتُ وطراً به^٧ ، إلّا أنّي على قصوري عنه سأبرِزُهُ في غلائله ، كالربيعِ
في أوائله .

وخطابه^٨ ذو الرياستين [حسامُ الدولة أبو مروان] ابن رزيّن برقة
يخطُبُ فيها ودادَهُ ، ويستميلُ فؤادَهُ ، فراجعهُ ابنُ طاهرٍ برقة يقول^٩

١ ط د س : الشيمة .

٢ م ب : الزكي .

٣ م ب : بالبناء .

٤ وتمدون الرفاء : سقطت من ط د س .

٥ م : وأنسي .

٦ س : ولا اقتضيت به .

٧ هذه الرسالة وردت في القلائد : ٦٦ مع اختلاف يسير في الرواية ، وانظر الخريدة ٢ : ٣٢٦ .

٨ ط د س : خطب . . . واستمال . . . وقال .

فيها : كلُّ المعالي — أدام^١ الله تأييدَ الحَاجِبِ ذي الرياستين — إليه ابتسامُها ،
وفي يديه انتظامُها ، وعليه إصفاقُها ، ولديه إشرافُها ، وإنَّ كتابَه الرفيعَ
وافاني فكان كالزهرِ الجنيِّ ، والبشرى أتتْ بعد النَّعيِّ ، سرى إلى نفسي
فأحيَاها ، وسلَّى عنيَّ خطوبَ الكروبِ^٢ وجلَّأَها ، فلتأثينَه مني بالثناءِ
الركائبُ ، تحمله أعجازُها والغوارِبُ^٣ ؛ وأما ما وصَفَ به — أيده الله —
الأيامَ من ذميمٍ أوصافها ، [وتقلبها]^٤ واعتسافها ، فما جهلته ، [ولقد
بلوتها] خُبْرًا ، ولقد رددتها على أعقابها نكْرًا ، فلم أخضع لحفوتها ، ولم
أتضعع لنسبوتها ، وعلمتُ أنها الدنيا قليلٌ بقاؤها ، وشيكٌ فناؤها ،
وفي ذلك أنشدوا^٥ :

تفانى الرجالُ على حبِّها وما يحصلونَ على طائلِ

ومع ذلك ما عدمتُ من الله سِتْرًا كثيرًا ، ولا صُنْعًا لطيفًا ، له الحمدُ
ما ذرَّ شارِق ، وأومضَ بَارِق .

ورأيت ما انتدب إليه — أيده الله بسنائه — من الشفاعة عند القائدِ الأعلى^٥
— أعزّه الله — ، والصدقُ مَواعِدُهُ ، وقد كان بدائي بالإجمالِ لو عاد
عائده ، وبيدِ الله تعالى [١٢ أ] الأمورُ يَتَقَضِيها ، عليه التوكلُ فيها ،

١ ط د س : أيد .

٢ س : كرب الخطوب .

٣ زيادة من القلائد .

٤ البيت للمثنوي ، ديوانه : ٢٦٤ .

٥ ط د س : عند فلان ؛ والقائد الأعلى المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن عائشة ، وكان ابن
رزين قد سأله أن يرد على ابن طاهر ما أخذه المرابطون من أملاكه ، فأعلمه ابن عائشة « أن
أمير المسلمين حد له ألا يخلوله شيئاً ، ولا ينزوله منها نفساً ولا رياء » (القلائد : ٦٦) .

٦ د ط س : بالاحسان .

وفهمتُ ما أومى إليه من التنقلِ إلى ذَرَاهِ ، والورودِ على نَدَاهِ ، وأنّى لي بذلك وقد قيدتني الهمومُ^١ فما أستطيعُ نهضاً ولا أتقدّمُ ، ولو أطقتُ ذلك لأعدتُ العمرَ غضباً جديداً ، ولقيتُ الكمالَ شخصاً وحيداً ، عند مَنْ تُقِرُّ بسوابقه العَجَمُ والعربُ ، وتؤكّلُ خلائقه [بالضمير]^٢ وتُشربُ .

قال أبو الحسن : وكان ذو الرياستين^٣ قد رأى لو انتقل ابنُ طاهرٍ إلى ذَرَاهِ ، أن يستمدَّ برأيه ونُهاه ، وهيهات ! أبو عبد الرحمن كان أصونَ لفضله ، وأفطنَ بالزمانِ وأهليه ، من أن ينخدعَ بمنتَقِلِ ظِلِّه ، ويحكّمه فيما أبقَتِ الخطوبُ من جلالته ونبله : من رجلٍ شديداً الإعجاب [كان] بأمره ، بعيد الذهاب بقدره ، زارياً على زعماءِ أهلِ عصره ، إن ذُكِرَتِ الخيلُ فزيدُها ، أو الدهاءُ فسعيدُها وسعدُها ، أو الشعراءُ فجعْرُ ولُها وليبيدها ، أو الأمراءُ فزيادُها ويزيدها ، أو الكتابةُ فبديعُ هَمَدان ، أو الخطابةُ ففي حِرِّ امِّ سحبان ، أو النقدُ فقدامة ، أو العلمُ فلست من رجاله ولا كرامته ، وليس له من ذلك كلّهُ إلا البراءةُ من الإحسانِ ، والاستطالةُ بمكانه من السلطان ، أبى الله إلا انهماكه في الشرابِ والشطرنج^٤ ، وكان على ذلك ضيقُ الفناء ، جهَمَ اللقاء ، أحقَّ الناسِ بحرمانِ مَنْ قصده ، وأشدَّهمُ احتمالاً لمن لامه في البخلِ وفنّده ، وانتحاه بأصنافِ الذمِّ واعتمده ، على ما كان يداخلُه من كِبَرٍ ، ويعتقده لنفسه من جلالَةٍ

١ س : قيدني اليوم ، ط : قيدني الهرم ؛ وهو الصواب .

٢ بالضمير : لم ترد في م ب س .

٣ ط د س : ذو الوزارتين . ؛ وسأتي هذا اللقب نفسه بعد قليل في ب م ، فهو على هذا ذو الرياستين وذو الوزارتين .

٤ هذا التهكم موجه إلى ابن رزين .

٥ وليس له والشطرنج : سقط من د ط س .

قَدَرُ^١ ، وكان الشاعرُ إذا وفدَ عليه ، أو مثَلَ بين يديه ، أخذ يناقشهُ الحسابَ ، ويغلقُ دونه الأبوابَ ، ويتحىيه بضروبِ نقده ، ويصبُّ عليه من شآبيبِ بَرْدِهِ ، حتى يخرجَ بين الحائطِ والباب ، ويرضى من الغنيمة بالاياب ، على ذلك حججٌ أصحُّها جهله ، وأوضحها بخله^٢ .

حدثني^٣ من شهد ذا الوزارتين ابنَ عمار — المتقدم الذكر — وهو يقول : إليه عنك يا ذا الوزارتين ! بأيِّ شيء عارضت قصيدتي :

أدرِ الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى

أبقولك في أوَّل قصيدة :

أشمتُ نَشْرَكِ أم شمتُ العنبرا

ومصبتُ ريقك أم مصبتُ السكرَا

ومن ذكر هذا وأشباهه من القول ، حتى عدل به عن سبيلِ الطرب ، وكاد ينشق عليه جلدهُ من الغضب .

وأخبرني من سمع ابن رزين في ذلك المجلس أو نظيره^٤ يقول [١٢ ب] لمسلم المغنِّي ، وكان بحضرته يومئذ : أنا والله أغنى منك ، وأشعر من ذلك ، يعني ابنَ عمار ، فقال له ابن عمار ، بِذَرَبِ جَنَانِهِ ، وسلطة لسانه : وأرقصُ ممن — أعزك الله — ؟ فلم يجر جواباً ، وعاد نشاطُهُ لإطراقاً واكتئاباً .

وكان أدخلَ نفسه أيامَ إناخةِ الأميرِ مَزْدَلِي على بلنسية ، فما أمرٌ

١ على ما كان . . . قدر : سقط من د ط س .

٢ على ذلك . . . بخله : سقط من د ط س .

٣ ابتداء من هذا الموضع حتى آخر الفصل لم يرد في ط د س .

٤ م : أو في سائره .

ولا أحمى ، ولا سَبَقَ ولا صَلَّيْ ، ومات في أثناء ذلك ، وَنُصِبَ ابنه مكانه هُ
هنالك ، فضايق مداه ، وأسلمه في يد أمير المسلمين ما قدمت يداه ، فنسي .

ومن رسائل ابن طاهر الاخوانيات وما يجانسه^١

نسخة [من] رقعة يقول^٢ فيها : المرء إذا تحقَّق تأمُّله ، وعَرِفَتْ
في المودة سبيله ، تناسبت مذاهبه ، وتجانست ضرائبه ، وإنك — أحسن
الله مقامك — لما امتطيت ركاب النوى ، وتجرَّد منك ربع الغرب^٣
وأقوى ، كحلّ السهاد جفني ، وتمكَّن [الاشفاقُ مني ، وأخذت نفسي
في الذهوب ، وشمس أنسي في الغروب ، حتى طلع [البشيرُ بالقفول ،
فجعلت حينئذ أقول :

لله نذرٌ واجبٌ ولك البشارة يا رسول

وثابت إليَّ المسرة ، كأول مرة ، وظلت أرحُ في أثوابها ، وأننى
لي بها ، فالحمد لله على صنعه الكريم ، ومنه الجسيم ، أشكره شكرَ مَنْ
استعلى بسلامتك قدحهُ ، وعاد بإيالك صُبْحهُ ، وأسأله الإطالة في
بقائك ، والصيانة لحوائك .

وله من أخرى : الآن ساغ للكلام الالتماسُ ، وساعدت في معالجته
الأنفاسُ ، وتبادرت إلى إثباته الأناملُ ، وخفَّ فيه القلمُ العاملُ ، حين
أعيدَ إلى الجسم فؤاده ، ورُدَّ في البصر نُورهُ وسواده ، بأوْبَتِكَ التي

١ وما يجانسه : سقطت من د ط س .

٢ د ط س : قال .

٣ د ط س : القرب .

بَسَّطْتُ مِنِّي مَا انقبض ، وَهَدَّتَنِي إِلَى الْبَيَانِ وَقَدْ أَغْمَضُ ، فَلَمْ أَجِدْ فِي
فَمِ الشُّكْرِ رَيْقًا ، وَلَا إِلَى إِيضَاحٍ مَا أَلْقَى طَرِيقًا ، فَلَمَّا وَافَى بِأَخْذِكَ فِي
الصَّدْرِ الْبَشِيرِ ، وَوَقَعَ بِلِحَاقِكَ التَّقْدِيرِ ، فَكَأَنَّمَا انْتَشَطْتُ مِنْ عَقَالِ ،
وَأَمَنْتُ مِنْ نُكُوسٍ بَعْدَ لِبَالَالِ ، فَثَابَ إِلَيَّ مِنْ نَافِرِ الْقَوْلِ ثَابِتُهُ^١ ، وَتَرَاجَعَ
لَدَيَّ غَائِبُهُ وَغَارِبُهُ .

وله من أخرى : فَرَطْتُ الْمَسْرَةَ عَلَى الْإِطَالَةِ بَاعْثُ ، وَبِالْكَلامِ عَابْثُ ،
وَلَا سِيَمًا إِذَا طَلَعْتَ بَعْدَ أَفُولِ ، وَأَذْنْتَ مِنْ خَلٍّ بِقُفُولِ ، فَلَا تَنْكُرَنَّ
مِنْ مَقَالِي ، مَا يَمِيلُهُ لِسَانُ الشُّوقِ مِنْ حَالِي . لَمَّا تَحَقَّقْتُ [خَبَرَ] تَغْيِيبِكَ ،
لَا عَدَمْتُ [١٣ أ] الْأُنْسَ بِسَبَبِكَ ، هَاجَنِي مِنْ ذِكْرِكَ هَائِجُ ، وَمَسَّتِي
مِنْهُ حَرَقٌ وَاهِجُ ، شَرَّدَ لِي مَنَامِي ، وَرَدَّدَ قَعُودِي وَقِيَامِي ، وَأَقْرَحَ الْمَآقِي ،
وَبَلَغَ بِالنَّفْسِ الرَّاقِي ، تَأْسُفًا^٢ لِبَعْدِكَ ، وَمُخَالَفَةً^٣ لِلْهَمُومِ مِنْ بَعْدِكَ .

وله من أخرى : قَدْ أَثْقَلْتَنِي عَوَارِفُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - حَتَّى مَا أَبْقَيْتَ^٤
لِي يَدًا تَنْظُمُ ، وَلَا لِسَانًا يُعَرِّبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ لَكَ وَيُفْهِمُ ، فَأَنَا لَكَ
رَهْنٌ^٥ أَيَادٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الرِّكَابُ ، وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا الْإِطْنَابُ وَالْإِسْهَابُ ،
وَإِذَا كَانَ الْعَجْزُ عَنْ مَجَازَاةِ بِرِّكَ أَمْلَكَ وَأَحْصَرَ ، وَالْعِيَانُ فِي ذَلِكَ عَنْ
شَفُوفِكَ وَتَقْدِيمِكَ^٦ أَنْطَقَ وَأَخْبَرَ ، فَالاعْتِرَافُ لَكَ بِالتَّأَخَّرِ عَنْ مَضْمَارِكَ
أَجْدَرُ مَا سَمَّتَ إِلَيْهِ هِمَّةُ الْأَمَلِ ، وَسَايَرَتْ إِلَى مَدَى سَبْقِهِ^٦ يَدُ

١ ب م : ثانية .

٢ ب م : تأسيًا . ٣ د ط س : أبقت .

٤ س : رهن .

٥ ب م : وتقديمك .

٦ ب م : سبقك .

المتطاول ، والربُّ تعالى ينظم لك أشناتَ المحاسنِ والأثر ، كما أحيا بسنائِكَ
 كريمَ الآثارِ والسيَر ؛ وإن كتابَكَ - لا عدمته من روضِ ناضر ، وأنسِ
 محاضر - وردني مفتتحاً للفضل والتهمم ، وعارضاً صدقَ مشاركتك في
 حالتي^١ الصّحة والسَّقَم ، وإن الذي بلغكَ من الالتيافِ المطيفِ بي ،
 والوهنِ المساور لي ، أثارَ لفكرِكَ - أنعمه الله - شُغلاً ، وحملَ خاطرك^٢
 - أصحّه الله - ثِقلاً ، إلى ما وصل ذلك من سؤالِ مُلْطِفٍ ، وإيرادِ
 من قليبِ السحرِ مُغْتَرَفٍ ، ففقتُ لهذه الصلّةِ الكريمةِ على قدمِ التعظيم ،
 ووفيتها قسطَ الشكرِ محليّاً بالتوفيةِ والتميم ، وقلتُ : لله فعلٌ كريم ،
 يُثقلُ الرقابَ ، ويسترقُ الأبوابَ .

وله من أخرى : لما تراختِ المطالعةُ بيننا ، وتصدّتِ الموانعُ لنا ،
 حركني إليك عهدُ كريم . وودَّ بينَ الجوانحِ مُقيم ، وعندي من ذكرِ
 لك^٣ ، وشوقي نحوكَ ، ما لا يأتي عليه البيانُ ، ولا يتسعُ له الزمان ، وأما
 شكري لمشاركتك ، وثنائي على مظاهرتك ، فبحيثُ يقنعُ الربيعَ حياءً ،
 ويفضحُ الغصونَ لدونةٍ واثناءً ، ويكسبُ الماءَ عذوبةً ، والحجرَ رطوبةً .

وله من أخرى يعاتبُ بعضَ الأقارب :

وإذا الفتى صَحِبَ التباعِدَ واكتسى كِبَرًا عليّ فلستُ من أصحابهِ

نعم ، أعاذني الله من مَوجَدَتِكَ ، ولا حرمني جميلَ رفقِكَ وتؤدّتِكَ^٥ ،

١ ب م : حال .

٢ د س : ناظرِكَ ، وسقطت من ط . .

٣ م : من ذكَراك .

٤ ط د س : وتشوقي .

٥ س ط د : ومودّتكَ .

فاني قرأتُ الكتابَ الكريمَ الذي أطلتَ من جَنَاحِهِ ، وأطنبتَ ما شئتَ في
إفصاحِهِ ، وأكثرَتَ من أناشيدهِ وأهزاجِهِ ، وغَيَّرْتَ من عَدْبِيهِ بِأُجَاجِهِ ،
فجدَّدَ لي رسومَ إيناسِكِ ، وهبَّ بمعلولِ أنفاسِكِ [١٣ ب] وذكرَ
بأيامِكِ المراضِ ، ونشرَ من ألفاظِكِ العواضِ ٢ :

كلامٌ لو أنَّ اللحمَ يصلَى بحرِّهِ غريضاً أتى أصحابُهُ وهو منضَجٌ
ما البدرُ يُجْتَلَى في أعقابِ أسحارِهِ ، ولا الربيعُ يُنْتالُ في أثوابِ أنوارِهِ
وأزهارِهِ ، بأوضحَ من شِيائِهِ ، وأملَحَ من كلمائِهِ ، ضدَّرتَ بقولِ
ابنِ الحسينِ ٣ :

ما كانَ أخلقنا منكمِ بتكرمةٍ لو أنَّ أمرَكُمُ من أمرِنا أممٌ
وأخَّرتَ ذكرَ حكمتِهِ ومعجزتِهِ :

ولإذا كانتِ النفوسُ كباراً تعبتُ في مُرادِها الأجسامُ

وضربتُ المثلَ في صحيفةِ قريشَ على بني هاشمِ الأخيارِ ، وأغفلتُ ما كانَ
من تسلَّطِهِم على الجارِ ، وأردفتُ بقوله عليه السلامِ [في من وصل أو قطع
الرحم ، وتركتُ كلامِهِ على تفردِهِ] : « المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِن
لسانِهِ ويدهِ » ، فوعيتُ الكلَّ عنكَ وعيًّا ، واستوفيتُهُ شريًّا وأريًّا ،
وتصرَّفتُ بينَ محظورٍ منه ومباحٍ ، واستجمعتُ فيه إلى استعطافٍ لي واستصلاحٍ ،
ولعمركَ — وقيتَ الردى ، وجُنَّبتَ الهوى — ما صدَّرَ [صدورَ قالِ ،

١ س ط د : بمعلوم .

٢ ب م : المراضِ .

٣ يعني المتنبي ، والبيتان في ديوانِهِ : ٣٢٤ ، ٢٤٩ .

٤ س : شرباً ورياً .

ولا فسّد لقيلاً وقال ؛ ما تركتك توسّد^١ [للجاجة^١ ، إلا وقد يشت^١ من علاجك ، تمدّ في غلّوائك ، وتجدّ في استعلانك .

وفي فصل منها : وإيمُ الله يا معشرَ القرابة ما وجدتُ أبي [رحمه الله] يستكثرُ بكم من قِلّةٍ ، ولا يفرعُ إلى رأيكم في مِلّةٍ ، ولا يمتاركم^٢ عند نفقة^٢ ، ولا يمتازُ منكم على ما به من علو مرتبة^٣ ، يكلؤكم هاجعين ، ويقيمكم مائلين ، فانما أنتم عيالُ مَبَرّةٍ ، وأمّالُ درّةٍ ، وأتلاءُ عَقَبِهِ ، وأشلاءُ لولا غمامةُ سيبِهِ ، وأنا أفقو أثراً هادياً ، وأفتدحُ زنداً واريّاً :

لا أحتدي خُلُقَ القصي ولا أرى متشبّهاً في سؤدَدٍ بغريبٍ
وكذا النجاةُ لا يكونُ تمامها بنجيبٍ قومٍ ليس بابن نجيب

فمن أقبلَ منكم قبلتُ ودّه ، ومن تولّى تركتُ ردّه ، لا أترفعُ ولا أتقلّع ، كما لا أتخشعُ ولا أتصنّع .

ومن أخرى : التأميلُ ، إذا ثبتَ فيه الدليل ، وعصّدتهُ [من] المودّةِ شواهد ، يؤيّدُها الاختيارُ الناقد ، لم يُستربُ بجانبه ، ولا يفرغُ ماء الملام على مذانبه ، فيما تحظر منه موانعُ الانشغال^٤ ، وتُحجّرُ عنه مخافةُ الإضجارِ والإملال ، من مطالعةٍ يُجتنى بها زهرُ^٥ الكلام ، ويَروى بها ظمأُ الأفهام ؛

١ د : اللجاجة ؛ ط س : اللجاجة .

٢ ولا . . . نفقة : سقط من ط د س .

٣ د ط س : رتبة .

٤ البيهتان للبحري ، ديوانه : ٢٤٧ - ٢٤٨ مع اختلاف متعمد في الرواية .

٥ س ط د : أتوقع .

٦ س ط د : الأشغال .

٧ س ط د : تجتني بازهار .

وأنا - أدام الله أيام بهجتك - ، وإن قصّر بي عن متابعة المداخلة جلالتك ،
واقصرت بي على ما تحقّقته من إخلاصي وتعويلي لإحاطتك ، فغير مفارق
لدعاء صالح فيك أرفعه ، ولا لإهمال واجب لك أضيّعه ، إذ أشخاص
آمالي بك استشرافها [١٤ أ] عليك انحطاطها والتفافها ، ونحوك تني^١
أجياذها ، وإليك تبارى جياذها ، فمهما وقع تفريط ، فالعذر فيه مبسوط ،
والقلب بوجدك معمور ، وبالذكر لك معمور . ولما جدّ بي الشوق جده ،
وتجاوز بي حدّه ، أعملت في هذه الأحرف أنجلي ، وأملى خاطري واللوعة
لا تكاد تملي ، [لتنعيم بمراجعتي شافياً بشرح أحوالك ، لا زالت زهاء
أملك ، ممتناً ، إن شاء الله] .

ومن أخرى: أمّا جنّوحي إليك واعتدادي ، واقتصاري عليك واعتمادي ،
فقد وضع نهاره ، وفتّح بهاره ، ما المسك إلا دونه ، وكثير له أن
يكونه ، وقد علمت أني واليت^٢ أمير المسلمين وناصر الدين [أبا يعقوب
يرسف بن تاشفين] فيما منيت به من الأحوال ، وتصرف الأحوال ،
فأختر أمره^٣ المقدار ، وليس للمرء الخيار ، وناديت^٤ الآن نداء مستصرخ
قد انقطعت به الأسباب والعلق ، وزهق منه الرّمق ، ومثلك في علو
النصاب ، وشرف الانتساب ، أعار بياني عنده بسطاً ، ونصّ عليه من
اختلالي فرطاً ، ودعاه إلى ما يجده عند الله مُحضراً يوم القيامة ، وما

١ ب : نجني ؛ م : تجني ، ولعلها محرفة عن « تحنى » .

٢ يريد أنه والى الكتابة إليه .

٣ ب م : أمده .

٤ ب : الرقق .

٥ س ط د : يوم يلقاه .

يبقى إلا الأحاديثُ والدُّسُكْرُ^١ ، ولك بما تأتيه المنى والشكر ، [ثم] لا يزالُ له به دعاءٌ مرفوع ، وثناءٌ على أعجازِ الركائبِ موضوع ، وأنا أستنهضُ سرَّوكَ بحسنِ المناب ، إذ أعلقتُ سبي منكَ بأشرفِ الأسباب ، ثقةً بمجدك ، ومعرفةً بجذك ، ومِنْ مثلكَ فليكنِ الصُّنْعُ ، والمحتدُ الرفيعُ ينبتُ حوله الفَرَعُ ، ومراجعتك الكريمةُ مؤنسةٌ ، وعن النفسِ منفسةٌ .

وله من أخرى : كثيراً ما كنت أسمع إنشاد هذا البيت :

إذا أيقظتَكَ حروبُ العدا فنبهْ لها عُمرًا ثمَّ نَمْ^٢

فلا أدري مَنْ عمر ، إلى أن مررتَ ببالي فقلتُ : هو هو ، أخو الحياء والإنصاف ، ومشرَّبُ الأدبِ الصافي ، وانك أبا حفصٍ - على ما فيك من عظيمِ الانقباض ، وعليك من سِرِّبَالِ الحياءِ الفصفاض - لقبَسَ بيدِ المسترشد ، وسهمٌ في يدِ الرامي المسدّد ، خبأك^٣ الله فضيلةً لإخوانك ، وطُرفَتِ دونك^٤ عينُ زمانك .

وله من أخرى : وردني من لدنك كتابٌ وقفتُ به من مشهدك الحسن . وغيبك المؤمن ، على ما عرفتُ يقينه ، ووجدت قبلي قرينه ، ثناءً عليك يتأرجح ، وجيدةً لإخلاصٍ [لك] لا تنهَجُ ، والله يديمُ خلَّتنا نيرةً سُرَّجُها ، ضحماً بسلامتك تَبَجها .

١ فيه إشارة إلى قول حاتم :

أماوي ابن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

٢ هو من شعر بشار ، ديوانه : ٢١٧ (جميع العلوي) .

٣ ب م : حماك ؛ س ط : حباك .

٤ س ط د : عنك .

٥ ب م : خلتها .

ثم رأيتُ ما نشرتهُ من الرغبة [١٤ ب] في جَبْرِ فلان ، قَبَّحه
الله من إنسان ، وعاءُ فُسوقٍ ، له في البغي أكثفُ سوق ، وكلُّ شفاعتكم
عندي مقبول ، فالقلبُ على مودَّتكم مجبول ، لكنها معوذةٌ من أن
يُدنَّسَ بذلك الساقط طاهرُها ، وما قَتَلَ أرضاً جابرُها^٢ ، فليكنْ عندك
نَسْمَةٌ^٣ حرب ، وقرارةٌ رَيْبٍ ، ليس كما نُحِلَّتْ^٤ من الحلال ، ولا كما
قُلْتَهُ في الأحوال ؛ ووصفته بالحجِّ وإنما حَجَّتِ العير ، وبالفقه وإنما هو
منه الخليُّ الفقير ، وبالقراءة وما يحفظُ التنزيلَ ، ولا يميزُ المحرَّفَ من
الحروف ولا المستطيل .

جملة ما وجدت له^٦ من الرسائل ، في الشفاعات والوسائل

فصل^٥ له من رقعة في صفة الأستاذ^٧ أبي القاسم عبد الدائم : نحن
لا ننزلُ بالخُلَّةِ ، منازلَ الخُلَّةِ ، فتنناولها بأطرافِ البنان ، ونسلك بها شِعْبَ
أهلِ الزمان ، بل نصونها في مُضْمَرِ القلب ، ونحفظها على النأي والقرب ،
[وإنك — ما علمت — شيمتُكَ الوفاء ، وقرارتك] الصفاء ، وبعدُ :
فما زلتَ مفيدي ضروبَ الفوائد ، ومقلدي عجائب القلائد ، حتَّى كأنَّكَ

١ ط د س : خبر .

٢ د س ط : جبارها .

٣ ب م : سمة .

٤ ب : تخيلته ؛ م : تخيله .

٥ ط د س : الحرف .

٦ ط د س : ومما له .

٧ ط د س : نسخة رقعة له كتبها مع الأستاذ .

إذا رأيتَ ما بأرضي من الأدب الماحل ، والفهم الناحل ^١ ، أنزلتَ عليها
الماء فاهتزّت ورَبّتْ وأنبَتْ من كلِّ زوجٍ بهيج .
وقد طوّقتني بالأديب أبي القاسم عبد الدائم ^٢ — حرسه الله ^٣ — طوقَ
الحمامة ، وسقيتني به دَرَّ الغمامة ، فتنفستُ أنفاسَ العراق ، واجتليتُ ^٤
محاسنَ كالجمع بعد الفراق ، فأنا الشاكرُ صُنْعَكَ ، القائمُ معك . ولقد
لطف فيما ألَّفَ ، وأَوْضَعَ فيما وضع ، فسرَدَ المعاني أجملَ سرَد ، ونثرَ
الفقرَ نثرَ الجمانِ من عِقْد ، وصرَّفَ المتأملَ فيه بين جدٍّ وهزل ، ونقله
على أفتابٍ بين حقائقٍ وبُزُلٍ ، وقد قبلتُ ما أهداه ووضعتهُ على الرأسِ
لِكراماً ^٥ ، وجعلتُ له الحمدَ لزماً وزمماً ^٦ ، فله أنتَ والله هو ! لقد
شددتما أزرَّ العلم ، وأحييتما عافيَ الرسم ، وهنيئاً لقطركما لقد تدفق بكما
سَيْلُهُ ^٧ ، وتفرّجَ عن صبحكما ليلُهُ ^٨ ؛ وتصفحتُ ما قرن بتلك الأسفار ^٩ ،
من منتقى الأشعار ^{١٠} ، يتخللها من الكلم ^{١١} السلسال ، والمثل المثال ، ما
يستنزِلُ الطير من وكنائهِ ، ويفضحُ عمرو ^{١٢} البيان في نزعاتِهِ ، فشهدتُ
لقد أوتي البسطةَ والفنون ، إن سَكِمَ من العيون .

١ ب : النابل ، م : النائل .

٢ أرجح أنه عبد الدائم بن مروان بن جبر اللغوي، أبو القاسم، وهو من الطائرين على الأندلس
نزل المرية ، وكان قد روى كثيراً من كتب الآداب واللغات (الصلة : ٢٧٢) .

٣ حرسه الله : سقط من ط د س .

٤ ب م : واجتليت .

٥ وزمماً : سقطت من ط د س .

٦ ط د س : الأشعار .

٧ ط د س : الأخبار .

٨ ط د س : الكلام .

٩ عمرو بن بحر الجاحظ .

وكان وصولُ الكلِّ على يَدَيَّ فلان ، وقد وصفه بصفاته ، وصقله بمراعاته ، وقد حملته^١ ما أُنغِطِي^٢ منه ، إن لم تكن^٣ بفضلِكَ^٣ المعتدِرَ عنه .

وله أيضاً من أخرى فيه^٤ : [١٥ أ] إذا شئتَ — أعزَّكَ الله^٥ — أن تجلَّوَ البصر ، وتحبَّوَ الفكر ، فقد وافتكَ الأيامُ بجلائها ، ووفَّرت لك من حبايها^٦ . ويوافيك بكتابي — وافتك الآمالُ — الأديبُ الحلَّو الحلال ، أبو القاسم عبد الدائم ، قاصدُكَ [وسيدي] أبقاه الله ، وستلقى به الأدبَ الموفِّي ، والذهبَ المصفَى ، ونهزةَ الأصحاب ، ونُزْهَةَ الألباب . وقد كانت استقرتْ به الدارُ^٧ عندي ، وأضياءُ به أفقي وزَنْدي ، حتى أوجدتهُ النفسُ أدواء ، وآثَرَ بمكانك لها^٨ شفاءً ، حيثُ المحلُّ فسيح ، والهواءُ صحيح ، والطبيبُ موات ، غير آبٍ ولا عاتٍ ؛ وقد دعوتُ الله أن يُبرِّثهُ من وَصْبِهِ ، ويرعاه في تَقْلِبِهِ ، وأنت بمجدك تَوْمَنُ على الدُعاء ، وتبتدِرُ هذا العِلْقَ بالاحتواء ، وتلتزمه [من] مَهْرَةَ الاطباءِ كلِّ [محمود] النقيبة^٩ ، مأمونِ الضريبة ، وكم بذلك من ثناءٍ ترتديه ، وعلاءٍ تحتويه ، لا زال

١ ط د س : وحملته .

٢ ط د س : أيقظني ؛ وأنظي منه أي أستحيي ، يعني من عطاء أعطاء إياه ، وهو قليل .

٣ ط د س : ان تكون بفضلِكَ .

٤ ط د س : في خبره .

٥ أعزَّكَ الله : سقطت من ط د س .

٦ ب : حماها ؛ د : جنائها ؛ م : حمائها .

٧ ط د س : الحال .

٨ س ط د : له .

٩ ب : النقيبة .

مثلُ هذا النجم طالعاً في سماءك ، وزاد [الله] في مضائك ^١ وبهاك ،
بقدرته الغالبةِ الباهرة .

ومن أخرى ^٢ : وفلان ممن يأوي إلى خيرٍ وصلاح ، ويستضيئ من
طلب العلم بمصباح ، وبحسب ذلك أحبُّ حياطته ، وأريدُ إرادته ،
ورغبتِي حفية ^٣ لدى مجدك في أن تبضعه منك ببال ، وتخففَ ما يطرأ
عليه من أثقال ، وتقلّده من محافظتك ما يحصلُ به على مزيةٍ حال ، حتى
يُرى عليه أثر الشافع ، وتلدّ خبره أذنُ السامع ، وثقتي بما خططتُ لك
من سطوري هذه ، أغتني عن الاحتفال ، والإحاف في السؤال ، وأنت
أرطبُ عوداً ، وأخصبُ نائلاً وجوداً ، من أن يشنيك عن العلائق ، أو
يفتقر المشفوع لك فيه إلى ضمان ، فان حاشيته من تلك النوائب والدقائق ،
سار شكري اليك سيرة الفياق ، يوافيك بأحشاده ^٤ ، ويضيقُ جوك
بأعداده ، بقيتَ للفضل ربّعا يحطُّ إليه ، وثملاً يعولُ عليه ، وقدرُك
سام ، وزمانك مناضلٌ عنك رام ، وإنما أنت ركنُ الفضلِ وأُسّه ^٥ ،
وزينُ الدهرِ وأنسه ^٦ ، ومركزُ الكرم وقُطبه ^٧ ، وعينُ الشرفِ وقلبه .

وله من أخرى ^٨ : لما استحکم ما بيننا استحکام البنیانِ ذي القواعد ،

١ م : مراآك .

٢ ب م : وفي فصل .

٣ م : حقيقة .

٤ ط د س : له فيك .

٥ م : باحشاده .

٦ ط د س : عنه مناضل .

٧ ب م : ورأسه .

٨ هذه القطعة والقلمتان التاليتان لما لم ترد كليهما في د ط س .

وصار ذلك مستقرّاً في علم الصادر والوارد ، جُعِلْتُ إليك شفيعاً ،
وارتُجِي النُّجُحُ بي وشيكاً سريعاً . وتصلُ أحرفي هذه على يدي فلان من
أهل شلب ، ممن كانت له جال بذلك الغرب ، إلّا أن عادة الأيام في
مثله مَسْبُوءَةٌ ، ومنازلهم عندها مجفوءة ، وتَسْبَدَتْهُ عن الوطن والصميم ، كما
يُنْبَدُ الكراعُ من [١٥ ب] الأديم ، واعتمد هذا الوقف ، يرجو فيه
الرفق ، وأنت محطُّ أملي ، ويد عملي ، آثرك لتثير له أمراً يتقلّده ، فانك
منجزٌ به متعهدٌ ، ورغبتي مؤكدةٌ إلى مجدك فيه ، فله خلالٌ تُحظيه ،
وما يقع عنده من حسن صنيعتك فهو واقعٌ من اعتداده وودادي ، موقعٌ
الماء من ذي الغلّة الصادي ^١ ، وما خططتُ له بيدي ، إلّا تكرمةً لأمره ،
ومبالغةً في بره ، لمكانه عندي ، وتفعلُ يا معتمدي ما تحصلُ به على العاطر
من شكري وحمدي ، إن شاء الله .

وله من أخرى : أكرم يد - أعزك الله - يطوقها المرء جيد مجده ،
ويزينُ بها ديوانَ حمده ، ما سدَّ خلّةً من حسيب ، أقعدته يدُ الدهرِ
المريب ؛ وموصلُهُ - وصل الله حرمتك - بالسلامة من نكد الأيام -
ابن المستعين بالله ^٢ - رضي الله عنه وأرضاه - توسّلَ بي إلى مكارمك في
ترميح حالته ، والرمّ لحوالته ، لما جفّت غضارته < وعوضَ نكد العيشِ
من رغد النعمة ، وحوّلَ إلى الضيق بعد السعة ، وإلى التجوّل من الدعة ،
ومثلك - ولا مثيلَ لك - رقّ لما به [. . .] شرفه ونصابه ، واغنم

١ مقتبس من قول القطامي :

فمن ينيذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

٢ المستعين بالله هو أحمد بن هود ، ولعل هذه الرسالة شفاعة في أحد أولاده بعد التياث حال
بني هود في سرقسطة وإخراج أهلها لأحمد عماد الدولة وهو ابن المستعين (سنة ٥٠٣)
من سرقسطة .

الصنيعة ، وحقق ضماني عنده وما يرتجيه ، فانك ستجزى بما تسديه ، أجمل الذكر ، وأحفل الشكر ، مع الأجر المغبوط ، والدُّخْر المحوط ، والله لا يُعْدِمُكَ ارتهانَ المنِّ وارتباطَ الأحرار ، ويحرسُكَ من حوادثِ الليل والنهار .

وله من أخرى : لم تَزَلْ - أعزَّكَ الله - من الظلم مَعَصراً^١ ، وعند عماء مُبَصِّراً ، وعلى الخير مُعَاناً ، وللفضل عنواناً ؛ وموصلُ كتابي له طلبٌ قد دثر طَلَلُهُ ، بالأفق الذي بك ازديانُهُ وتجمُّلُهُ ، وتوجَّهَ باذن المظفَّر لاستخراجه ، وتشخيصِهِ على منهاجه ، ولا غنىَ به عن كريم مؤازرتك ، ومعلومِ سيادتك ، برأيٍ حسنٍ يظهرُ فيه ، يكونُ معه دنوٌ وطيره وتأتية ، وأنا أسألُ سناك العنايةَ بأمره ، وإيثارَ العدل الذي لستَ مع^٢ غيره ، وللرجل إليَّ أذمةٌ قديمة ، وقد استوجب على علاك بذلك ، غايةَ محافظتك واهتباك ، وهو موردٌ عليك شأنُهُ ، ومظهرٌ إليك برهانه ، وفصلك في الاصابة إليه ، والدلالة على ما حُزَّتْ به الصواب من طرفيه ، مرتهاً حمدي ، ومعيداً لليد البيضاء عندي .

وفي فصلٍ من أخرى^٣ : ومؤدِّي كتابي هذا لما تناكرتُ له الأيام ، وأعوزَهُ في استصلاحها المرام ، آثرَ جوارِي [١٦ أ] وقصدَ داري ، وما انتقل من ظلكَ إلا إلى ظلك ، ولا تعوَّضَ من محلكَ إلا بمحلك ، فسكن سكونَ المريح من تعبهِ ، البعيدِ عن نوبهِ ، ينتظرُ أن تنظرَ إليه عواطفك ، وتستجدَّ عليه عوارفك ، حتى إذا كان الآن ، ورأى عنانَ

١ المعصر : الملجأ .

٢ م : من .

٣ د ط س : ومن أخرى .

زمانه قد لان ، نبهني ونام ، وذكرني الدمام ، فوكلتُ عزمي برعيه
توكيلاً ، واستقبلتُ وجه كرامتي لديكَ تقييلاً ، أسألكَ فضلكَ المعهود ،
وشرفك المسودَّ لا المسود ، في أن ترفعَ عنه إساءةَ الحادثات ، وتجمعَ
له شملًا^١ من يدِ الشتات ، وتوجدَه سنن الحاجات إليك سهلاً ، وتقول
لذي العداوة فيه مهلاً ، وهذا — أعزك الله — يُربي^٢ لك ما سلف من
الأيادي ، ويخطُ سطورها لك في سواد^٣ فؤادي ، وأشكركَ عنه كما
شكر الروضُ صباه ، والعمرُ صباه .

وله من أخرى إلى ابن العطار ، وقد ثنيتُ له الوزارة : في إحاطتك
الوافية ، ودرايتك الوافرة ، أنني بك راجعُ ميزانِ الدُّخْرِ ، منهلُ ماءِ
الفخر ، ثريُّ أرضِ الودِّ ، عطرُ رائحةِ العهد ، وأنَّ بشرايَ تتابعت أنَّ
هلالك في الوزارة طلع بدرًا ، وأن نداءك بها صار شفعاً وكان وترًا ، فقلتُ :
ساقها^٤ شغفها ، وزانها^٥ شرفه لا شرفها ، فليهنها حلولك بفرقديها ،
وجمعك^٦ بين نسريها^٦ ، وأنك مقلدها^٧ من خلالك فذاً وتوأمًا^٨ ،
وملبسها^٩ من صفاتك طُرُزاً وأعلامًا^{١٠} ، حُسنَ يقين ، ومثانة^{١١} دين ،

١ د ط س : شلاً له .

٢ م ط : يرب ؛ س : يدب .

٣ سواد : سقطت من ط د س .

٤ ط د س : شاقها .

٥ م : وزانه .

٦ ط د س : نيريها .

٧ ط د س : تقلدها .

٨ ط د : وتوأمًا ؛ س : وتوأم .

٩ ط د س : وتلبسها .

١٠ ط د س : وعلمها .

١١ ط د س : ومثابة .

وطيبَ جِذْمٍ ، ورسوخَ ورعٍ وعلمٍ ، وأدباً^١ كالروضِ نبَّههُ الصُّبَا ،
وكرماً كالغيثِ غمرَ الرُّبَى ، ولقد قعدتُ للتهنئة فأقبلتُ إليَّ هوادياً ،
وانثالتُ عليَّ من حواضرها وبواديها^٢ [جميعهم يضحكُ وَيُسَرُّ ، ويقول
لكلِّ أناسٍ في جميلهم خبر ، أولُّهُ كلامي ، وإليك مقامي] فان تقدَّمتُ
فبفرطِ الهبة ، وان تأخَّرتُ فلِعِظَمِ الهيبة .

ومن رسائله^٣ في الدعابة والهزل

فصل له من جواب علي كتاب [عتاب] لابن عبدوس^٤ لتقديمه
صاحبيه ، في عنوان رقعة عليه :

وردني من لدنك كتابٌ كريمٌ^٥ انهلَّتْ عليَّ منه سحائبٌ^٦ فكاهتك
وَدَقًّا ، فلم يتركْ لي من فَرَطِ الضحكِ شِدْقاً ، مما عَدُّبَ استماعه ،
وذهب بالإبداع اختراعه ، وإن كنتَ قد تعدَّيتَ طورك ، وغلبتَ
ظنَّكَ وحكمتَ جورك ، ولم تحاسبْ نفسك عند الهجوم ، بما تقلِّعُ عنه
من الإفحام والوجوم ، إذا أقيمتُ عليك الحجة ، وسُدَّتْ دونك مناهجُها ،
وَعَرُضَتْ عليك المحجة ، وضاقَتْ عنك مخارجُها ، وعلمتَ أنك مذنبٌ
فيما فعلتَ ، منتشِبٌ [١٦ ب] فيما دخلت ، ووقعتَ بين ندامةٍ واعتذار ،

١ ط د س : وآداباً .

٢ م : حاضرها وبواديها .

٣ م ب : ومن رسالة .

٤ المعروف بهذا الاسم من معاصري ابن طاهر هو أحمد بن عبدوس ، منافس ابن زيدون في
حب ولادة ، وقد توفي سنة ٤٧٢ .

٥ كريم : سقطت من ط د س .

٦ س : سحابة ؛ ط : سحاب .

وتوبة واستغفار ، ولو أنك تمنعُ نظرك ، وتدمن تدبرك ، لما طارت بك فتخاءُ نشاطك ، ولما توهمت أنك إن جادلتَ لم أعاطيك ، كلا ، فإنَّ خصمك لا يتنكّلُ ، على أن لسانك الأطول ، فكيف أضعُك أبا عامر -- كما زعمت -- موضعَ قدَحِ الراكب^١ ، وأنت بمنزلة ما بين العين والحاجب ، وأصولُ بك على الأبعادِ والأقارب ، ولم أذهبْ إلى تأخيرك في العنوان ، وإن كنت شيخ الأوان ، إلا عنايةً بك وتحقيقاً لدعاويك ، فيما تنكره من سنيك ، وبقولك بملء فيك : إنك أصغرُ القوم سنّاً لا جسماً ، ولقد شهدتُ لك بما قلتَ عدواناً وظلماً ، لأنَّ ما يبدو من تغضبك يكذبني ، وحسبي أنَّ العقوبة^٢ منك ما مَطَلْتَنِي ، وهذا جزاء الافتراء ، وعاقبةُ المسامحة والإغضاء ، فأين عَزَبَتْ عنك بوادرُ فطنتك ، أم أين غَرَبَتْ شمسُ فهمك وتثبُّتِك ؟ لقد أوليتَ اليدَ^٣ كفراناً ، وقابلتَ بالاساءةِ إحساناً ، ولو أُنِي وَفَّقْتُ [لصَدَرْتُ بك] ، إذ تجري هذه المعاني على الأسنان ، وللدلتُ على ما يخفيه المقرضُ من شيبك ويعانيه من هرمِ شبابك ، وقد ولاك قفاه [إعراضاً] وطلَّقَكَ ثلاثاً ، فحيثُ كنتَ تحمدُ وتقول : فذلك النفس والولد ، وإنما من الله لعظةٌ لأهل الزور ، وعثرةٌ منك ، بينةُ العثور ، لا أقيلُكِ فيها ، ولا أقول لك : لعل ، منها .

١ الراكب يعلق قدحه في آخر رحله ، وفي الحديث « لا تجعلوني كقدح الراكب » أي لا تؤخروني في الذكر .

٢ اضطرب النص هنا سهواً في ط د س : إذ ورد « فأين عزبت عنك بوادر . . . » وهذا سيورد بعد قليل .

٣ ط د س : الندى .

٤ منك : سقطت من ط د س .

ومن أخرى : وقد نظمت أنساً ، وبسطت مني نفساً ، كان نأيك^١ قبضها ، وفراقك أوحشها وأمرضها ، والله هزلك ما أرقه وأعيقه ، وجدك ما أروقه^٢ وأعتقه ، إنك لفارس زمانها ، وغارس بستانها ، وإن كنت أنحيت في عتابك ، وأربيت في غلوائك لسجرائك^٣ في كتابك ، فانه حلوا من الرضى ، محمول بصحيح الهوى ، ولم أشك في الذي تضمنه من نزاعك [نخوي] ، والتياعك لبعدي ، وفي تلاحظ القلوب سلوة ، [وفي تسارب الكتب راحة ونشوة] ، أسأل الله إدالة^٤ الانتراح بقرب يعجله ، على ما نؤمله .

وعرضت عليه رقعة رجل^٥ يتزهد^٦ ، وهو بالضد^٧ ، أطال فيها اللفظ بالوعظ وردد ، فأجابه ابن طاهر برقعة يقول في فصل منها : ورد كتابك فوعظ وذكر ، ونصح فبصر ، ونبه من سينة الغفلة ، واغترار المهلة ، [١٧ أ] وحذر من يوم الندامة ، وبعث يوم القيامة ، فيرحمك الله من هاد ، وخائف معاد ، ومبتغي إرشاد ، وداع إلى صلاح وسداد ، لقد حركت أنفساً قاسية ، وهزرت جندلة راسية^٨ ، قد تحكّم فيها ضلالها ،

١ ب م : تانيك .

٢ م ب : أوثقه ؛ ط س : أورقه .

٣ من قول أبي تمام :

قدك اتشب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

والسجراء : النظراء ؛ وفي م : بسخريالك .

٤ ط د س : ازالة ؛ م : إذالة .

٥ ط د س : لرجل .

٦ م ب : متزهد .

٧ وهو بالضد : سقطت من د ؛ وفي س ط : وهو بضد .

٨ م ب : قاسية .

وأفرطَ في الجهالة لإيغالها ، فَمِعَوْلُكَ دونها نابٍ ، لا يؤثر فيها بظفري
ولا ناب .

وفي فصل منها : ولا يَغُرَّتْكَ ما ترى^١ فيه من سَمْتِ الوقار ،
ولزومِ الدار ، ومداومةِ^٢ التسبيح والاستغفار ، فتحتَ الرغبة مَدَقُ^٣ ،
ودون ذلك الشعار من الرياء فِسْقُ :

لا تمدحنَ امرءاً حتى تجربَه^٤ ولا تدمنَه^٥ من غيرِ تجريبٍ

استخبرَ مَنْ في أفْئِكَ ، ولا تطلقْ من عِنانِ قلمك ، إلا بعد اجتلاء
اليقين ، وتحفَظْ من عَدَوَى القرين ، فقد تعدى الصحاحَ مباركُ الحرب^٥ ،
وأنا أربأُ بك من قالٍ وقيل^٦ ، ومن ذا ينيب حينئذٍ لحجتك^٧ ، ويسفرُ
عن وجه القبولِ لمعدرتك ، كلاً ، فان الله لا يبدِّسُ منك ظاهراً ،
ولا يلبسُ عليك ظاهراً ، بل يكشفُ إليك ما يصرفُ القولُ عنك ويعلمك
ما لم تكن تعلم .

وله من أخرى إلى بعضِ إخوانه وقد حضر محاصرة شاطبة : ورأيتَ
مآلَ الأميرِ بوقوع الحرب ، وشروع النّقْبِ ، وأنه وُضِعَتِ الملاطيس^٨ :

١ ط د س : تعالين .

٢ د ط س : وادامة .

٣ ط : مذقة ؛ د : مذمة .

٤ البيت في فصل المقال : ٧٧ وهو من أبيات في حماسة البحري : ٢٣٣ تنسب لأبي
الأسود الكناني .

٥ هو من قول الشاعر :

جانبك من يحني عليك وقد تعدى ... البيت

٦ م : قيل وقال .

٧ س ط : يثبت ؛ م ب : يحجتك .

٨ الملاطيس : المناكير من حديد .

فقلت : الآن حمي الوطيس . فأرجو أن يُصْحِبَ الظفر ، ويُسْعِدَ^١
 القَدَر ؛ وحدثتُ أنه دُعِيَتْ « نَزَالِ » فكنتَ أوَّلَ نازل ، فقلتُ
 لمحدثي : أمْجِدُ أنت أم هازل ؟ ! سيدي أشدُّ بأساً ، وأعزُّ نفساً ، من أن
 يُرَى يومَ جِلاَد ، إلا على ظهرِ جواد ، فان لبسَ زَغَفاً ، هزم ألفاً ، وان
 تقلَّدَ صَمْصامَةً^٢ ، لم يُبقِ هامة ، ولكن أذكَّرَهُ^٣ بهذه الشهامة ،
 قولُ أبي دلامة^٤ :

ولو أنَّ بُرْعُوثاً على ظهرِ قملةٍ يكرُّ على صفِّي تميمٍ لولَّتِ
 وقوله :

إذا صَوَّتَ العصفورُ طار فؤادُهُ وليثٌ حديدُ النَّابِ عندَ الثَّرائدِ^٥
 وودِدْتُ أن أنظرَ عند الصبيحة إلى الحكيمِ أبي جعفر ، فتعجِّلِي العينُ
 منه أحسنَ منظر . وقد صَفَّفَ مَراهِمَهُ^٦ ، وجمعَ دراهمه ؛ وأما جارُّنا
 أبو الخطَّار ، ففي القنا الخطَّار ، وَخَصَّصَتْهُ^٧ بالتقديم للصدّاقة [والحوار] ،
 وأما الفقيهُ أبو مروان فرائحُ في قميصه المدلوك^٨ ، وعليه نصفُ جُلْجُلٍ
 من الوشي المحوِّك . يحذرُ من الفُرْقَةِ ، ويقصُّ على الفِرْقَةِ ، وإِنَّه لَأُنْسٌ^٩
 في السَّبْقَر ، وَزَيْنٌ في الحضر ؛ وأما سائرُ الإخوان ، فأرفعهم لغير هذا

١ م : ويسعف .

٢ م ب : أدركه .

٣ البيت من شعر الطرماح ، ديوانه : ٦٣ ؛ ورواية الشطر الثاني في م ب : رآته تميم يوم
 زحف لولت ؛ اختار نسبته إلى أبي دلامة ، حكماً ، وتشبيهاً لمن يتحدث عنه في الجهن
 بأبي دلامة .

٤ البيت لعمر بن ذي الأصبع العدواني ، انظر كتاب من اسمه عمرو : ٥٨ وروايته : إذا هتف .

٥ ط د س : مواهمه .

٦ المدلوك : المصقول .

الرهان^١ [١٧ ب] والله يبقيك ذخراً للزمان ، وعيناً في الأوان .

وله من أخرى : خُذْ هذه النادرة ، من يدي هذه الطالعة الفاترة ، وأنجزْ لها مَجْدَكَ الموعود ، وصلْ عندها فضلكَ المعهود ، فانها تقومُ مقامَ الجيشِ في الغناء ، وتصل الرواحَ بالغدو في الثناء ، ولولا غُنَّةٌ [فيها] ، تلفُفُ فكَّيها وتلويها ، لكانت أحسنَ الناسِ وصفاً ، ولا سيما إذا مَسَحَتْ أنفاً ، بسبابتها عند الكلام ، وحدثت حديثَ مصر والشام ، فهناك يقطفُ الزَّهر ، وتغرفُ^٢ الدُّرر :

* ولكن حديثاً ما حديثُ الرواحلِ^٣ *

فهي لا تقنعُ بشيء سوى الحاصلِ العاجل ، فأقبلْ على شأنها لا زلتَ قبلةَ القاصدِ والآمل .

وله من أخرى : [الشيخ أبو الفضل لما] استبدل الجارَ ، أنكرَ الدارَ ، فحصل من وساوسه في بيتٍ وبالٍ وسقوط ، وخشي أن يُظَنَّ أنه من بقيَّةِ قومٍ لوط ، وأتتْ له ويُعطى هذه الدرجة ، والسَّقَطُ يحرقُ الحرجة^٤ ، ورغب عن تلك الدارِ مُتَحَوِّلاً^٥ ، وقصد مجدك لا ينبغي سواه معولاً .

ومن أخرى : هذه - أعزَّكَ الله - عريضة^٥ من رأسِ الصباح ،

١ ط د س : الزمان .

٢ د ط س : يقطف . . . ويعرف .

٣ شطر بيت لامرئ القيس ، وصدره « فذع عنك نهياً صريح في حجراته » .

٤ السقط : الشرر عند القدح ، يقال للأمر الصغير يجر أمراً خطيراً .

٥ ط : غريدة ؛ د : غريرة ؛ س : عزيرة .

وَسَوْرَةٌ^١ شديدة من الاقتراح ، وقد وَرَدَتْ مستورة^٢ نَحْتَ الظلام ،
محفوظة بالختام ، فَأَقْسِمُ^٣ لقد قطعنا الليلَ بها ضَحِكًا وتعجبًا ، فما عندنا إلا
من ودَّعه صباحه ، وودعته نهاه ، وقد كان في الحل^٤ ما يكفي فهو نعم الإدام ،
كما قال عليه السلام ، ولكن أردتَ أن يكون لك في كل برٍّ مقام ،
وقلت : هذا الحلو الحلال والحرام ، ولولا أن الصبا عني ولّني ، لرشفناه^٥
رشفًا ، واستزدناك منه ضعفًا .

وله من أخرى : هذا الحلبي^٦ [أعزك الله] يوافي ذراك^٧ وماء الحجل يقطر^٨
من وجناتِهِ ، ويستغفرُ للذنب^٩ لم يكن - علم الله - من جناتِهِ ، وهو عِلْقُ^{١٠}
كما تراه لا علك ، وعند الشميم ندُّ أو مسكٌ ، فاشددْ يديك به ولكَ^{١١}
الربحُ ، واسمحْ له ومن عوائدك^{١٢} السَّمْحُ ، ومن الظلم أن يُحَلَّتِي بغير
حلاه ، فيقال كذوبٌ والصدقُ منجاةٌ ، أو يقال بذِي^{١٣} ، والعرضُ
نقيٌّ ، ومثلك رِقٌّ لِيُغْرِبَتِهِ ، وكشفَ من كربته ، فاجتلي الشكرَ في
غلائله ، واعتبقَ المجدَّ في غدائره ، لا بَرِّحَ الحمدُ من ذخائره .

١ د ط : مسرورة .

٢ د ط س : منشورة .

٣ ب م : الأجل .

٤ د ط س : لك من ؛ ب م : له في .

٥ م : يوم .

٦ الحلبي : سقاء ديف بالهلب ، وهو نوع من النباتات ؛ ط د س : الحلي .

٧ د ط : دارك .

٨ ب : للذنب ؛ ط : من ذنب .

٩ ب : عدائك .

١٠ ب : بدِي ؛ ط د م س : بري .

وفي فصل من أخرى : مرّ بنا كاتبك^١ السريّ وأمامه وزراؤه^٢ ،
عصابة^٣ كأنّها الخطي^٤ ، وقد حَفَّفَ من حواجه ، وأحْفَى من شواربه ،
وهو يتفكّه^٥ ، من قادمتي حمامة أَيْكَة^٦ ، كمن تصنّع وترفّع^٧ للقافية
فلا تواتيه^٨ ، فسألته عنك فقال بفتور : هو — أعزّه الله بـ لي سنان^٩ وأنا
له مِجَنّ^{١٠} ، فقلت : قرّرتُ بكما عين^{١١} ، لقد تخرّجُ من الحرب [١٨ أ]
بظهر المحتطب ، إن لم يكن لك درع^{١٢} تَقْيِكَ من القنا السُّلْبِ ، وأستغفرُ
الله مما يجنيه^{١٣} ، على أنّ الصدق لا إثمَ فيه ، ووجب لإعلامك بنادرة
هذا اللبيب^{١٤} ، فانها من الغريب ، لا برحت في كلّ شيء عَيْنَ المصيب ،
ومن كلّ فضلٍ وافرٍ النصيب .

ومن أخرى : لا بدّ للنفوس أن ترتاح ، وللنوادِر أن تُسْتَبَاحَ ، وفلان
أصابته طارقة ، وابنة الكرم له معانقة ، فنتفت عنه كل ريشة ،
[وتركته في أسوأ عيشة] ، ولاني لأعجب من غفلاته ، والحذر في مشتبهاته ،
حتى لقد يكون حارسه من اللصوص ، وأمنع من البنيان المرصوص ،

١ ط : كتابك .

٢ م ب : زواره .

٣ ب م : الحصى .

٤ فيه إشارة إلى قول النابغة :

تجأو بقادمي حمامة أَيْكَة برداً أسف لئانه بالأمم

أي انه يبتسم عن شفقتين لمياوين .

٥ س : كم يفتح ويديع ؛ ط : كم يقنع ويريع .

٦ د : بالآوبة ؛ م : بلا رسه ؛ س ط : وليه (دون إعجام) .

٧ ط : يجنب ؛ د : يجيب ؛ س : يجيب (دون إعجام) .

٨ ط د س : الهيت .

ومثلك رقّ له وأولاه^١ ، وعطف عليه لما دهاه ، وكان حسناً ، لو التمسَ له سكناً^٢ ، تكونُ من شرطه ، ومن خيرٍ رهطه^٣ ، فيقطعَ بها الليلَ الطويلَ ، وينفي معها الهمَّ الدّخيلَ .

وله من أخرى : أذكّرُ سرّوكَ بالشيخ ابنِ القزّاز أن تخاطبهُ بِمالك ، وتجعله من عمالك^٤ ، فسيحوك لك من الثناء بروداً ، وينظمُ عليك من لآليءِ الحمدِ عقوداً^٥ ، فإنه قد ترشّح للخطبة ، وتبجح لحلاوة الضبطة^٦ ، وشمّر عن ساقيه لمركب الغيبة ، وأخافُ أن يكونَ من مراكب السلف ، التي تحدى بأنْد خلف ، فهي لاصقة بالأرضِ ، مقيمة على شدّة الركنِ ، ففَضِّلَكَ بالتعجيلِ ، مستبدّاً بالشكرِ الجزيلِ .

ومن فصلٍ من أخرى : مثلي ومثلكَ مثْلُ رجلٍ من العرب ، استقرى عقيلةَ رَبِّ رَبِّ ، بل^٧ سليفةَ فضلٍ وحَسَب ، فأجزلتُ قِراهِ ، وأكرمتُ مثواه ، فلما اطمأنَّ المجلسُ ، وانتظم التأنُّسُ ، سَعَتُ إلى بعضِ أوطارها ، فراقه ما تحت إزارها^٨ ، فجعل يَنْشِدُ^٩ :

١ س ط : وآواه .

٢ السكن : الزوجة ؛ ط : مسكناً ..

٣ س ط : جيد .

٤ د ط س : وتخلطه بأعمالك وتجعله من عمالك .

٥ م : برداً . . . عقدا .

٦ م ب : السبطة .

٧ بل : سقّلت من ط د س .

٨ د ط س : أززارها .

٩ هو نهشل - أو سهيل - بن مالك مرّيجي بن طيء فأكرمت مثواه أخت حارثة بن لام ، فلما بهره جماها أنشد هذه الأبيات (انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ١ : ٣٢) .

يا أُنْحَتْ خَيْرَ الْبَدْوِ والحضارةُ ماذا تَرَيْنَ في فتي فزاره
أصبحَ يهوى حُرَّةَ مِعْطَارِهِ إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جاره
وكذلك غَيْرُكَ^١ المخاطَبُ في شتوني وأنتَ المراد ، وإليه^٢ الإيمان ،
وفيك يبدأ القولُ وَيَعَاد ، ولله أنتَ ما أعْطَرَ خِلَالَكَ ، وأكثرَ اهْتِبَالَكَ ،
لا زالت أَيْادِيكَ كالأطواقِ ، ومعاليك مِعْطَرَةُ الآفاقِ .

ومن أخرى : الكريم يلين بالهزة^٣ ، ولاسيما بجناح الإوزة ، وقد
وافْتَكَّ عاريةً من الريش ، خاليةً من الحشيش^٤ ، تمتُ إِيَّاكَ بِسَالِفِ
الدِّمَامِ ، وصالح الأيَّامِ ، وقَوَّامُ عَيْشِهَا أن تهيم^٥ لها غديرًا ، وحمى
كثيرًا ، ففصلكَ في أن يُصَحِّبَهَا^٦ رَأْيِكَ الجميل ، بخدمة وإن قلَّتْ ،
وكلاّ فليس منك قليل ، وستجدُ فيها منافعَ جمّةٍ ، منها أنها تكونُ مروحةً
عندَ السَّمُومِ ، ومُضْحَكَةً لك عند الوجوم ، فاذا رَأَيْتَهَا وصواحبها فوقَ
[ظهر] الماءِ ، رَأَيْتَ أَبْدَعَ الأشياءِ [١٨ ب] تحسبُها سفيناً في العيان ،
وكأنها بعضُ مرابضِ الغزلانِ ، ولو جيتُ أن أعدَّ أوصافها لطال الكتابُ ،
وامتدَّ الإسهابُ ، [فاعْتَمِ سَمَاحَ الزَّمانِ بها ، وأنزِلْها] من البرِّ في أسنى
مَرَاتِبِهَا ، وإلى فلانٍ هذا الإيمانُ وهو التصريح ، وعنه الكنايةُ وهو
النَّسَبُ^٧ الصريح .

١ ط د س : غير .

٢ ب م : وإليك .

٣ ب م : بالهزة ؛ ط س : بالهزة .

٤ م ب : الحشيش .

٥ د ط س : تتهيج .

٦ د ط س : يصحبها .

٧ ط د س : السبب .

وفي فصل من أخرى : وكأني أنظرُ اليكَ وقد استحرَّ الجِلادُ ،
وأدركك الإعجاب ، وهانَ عليك الكتاب ، وأنت تقول ، من فرط ما
تصول^١ :

إني انصرفت^٢ وأقلامي قوائِلُ لي المجدُ للسيِّفِ ليس المجدُ للقلَمِ .
اكتبْ بنا أبداً قبل^٣ الكتابِ به فانما نحنُ للأسيافِ كالخدم
لا تعجلْ ، فلها حجاج ، كأنها زجاج ، تُفَرِّى بها أوداج ، ولربَّ
جيشٍ هزمته ، ومُلْكٍ هدمته ، والله تعالى نعمةٌ عظيمةٌ فيما كان من الفتح ،
جاءتْ كفلتِ الصبح ، تبشِّرُ دولةَ الإسلام ، بالنصرِ وارتفاعِ^٤ الأعلام .

ومن رسائله^٥ في التعازي وما يجانسها^٦

فصل له من رقعة إلى ابن رزين يعزيه في أبيه^٧ : كتبتُ لفانٍ وقد
أسمعَ الناعي ، فأضرم نار الأسى بين أضلاعي ، للرزيةِ العظمى ، التي
رمى سَهْمُها فأصمى ، بوفاة مَنْ جُمِعَتْ فيه المحاسنُ والخلال ، وزال
كما تزولُ الجبال ، وقلَّ له المُشابهُ والنظير ، وماتَ بموته البَشَرُ الكثير ،
الحاجب ذي الرياستين أبيض ، ربَّ الشرفِ الصميم ، والحسبِ العِدِّ

١ البيتان المثنوي ، ديوانه : ٥١٢ .

٢ رواية الديوان : حتى رجعت .

٣ الديوان : بعد .

٤ ط د س : وإيقاع .

٥ ب : رسالة .

٦ وما يجانسها : سقطت من د ط س .

٧ توفي ذو الرياستين سنة ٩٦٤ هـ ، وهذا قد يعني تاريخ هذه الرسالة .

الكريم ، أوسع الله رحماه ، وجعل الجنة مأواه ، فانا لله وإنا إليه راجعون ؛
على الرزية فيه ، ليتني بالنفس أفديه^١ ؛ فأما القلبُ فمُنحَلٌ ومُنسَلَبٌ ،
وأما الدمعُ فمُنهلٌ ومنسكبٌ ، سقى الله جدته سبيل القطر ، ونفعه بحسن
المذهب وجلالة القدر ، وجزاه جزاء المحسنين ، وأنزله دار المقامة في
عليين ، وهناك الله ميراثه من الرياسة ، ومكانه العلي من النفاسة ،
ومنحك العمر الطويل ، وأمتعك العزّ الظليل ، وساعفك بكل ما تهواه
الزمان ، ولا زال بك يتجمل ويزدان .

وله من أخرى : كتبتُ وقد وافاني كتابك بما أطال ليلى وأسهر
عيني ، وحال بين التماسك وبيني ، للنازلة الفاجئة ، والحادثة الفاجعة ،
في المتوفاة^٢ — نصر الله وجهها وقدس روحها^٣ — فلقد رمتني الأيام
بشكلها فأصابني صميماً ، وسلبتني علقاً كريماً ، وأنساً عظيماً ، وأبقت
بقلبي ندوباً ، وتركتني على العزاء مغلوباً ، فانا لله وإنا إليه راجعون^٤ ،
تسليماً له فيما قضى ، وقولاً يوجبُ عنده الزلْفى والرضى ؛ وهو الحِمَامُ ،
والموتُ الزُّؤامُ ، جعلنا [١٩ أ] الله منه على حدّ ، ووفّقنا منه لخير
عملٍ ونظر .

وله من أخرى^٥ : وتوفّي فلان — عفا الله عنه — وكان البقيّة التي

١ أوسع الله . . . أفديه : سقط من د ط س ، وورد في موضعه « وفي فصل منها » .

٢ د ط س : بوفاة فلان .

٣ نصر . . . روحها : سقط من د ط س .

٤ م : رماني الزمان ؛ ثم الأفعال على التذكير : فأصاب ، وسلبتني ، وأبقت وتركتني .

٥ وإنا إليه راجعون : سقطت من ط د س ، وكذلك حيثما وقعت .

٦ د ط س : وفي فصل من أخرى .

يُؤَنَسُ لبقائها^١ ، وَيُعَشَى إلى أضوائها ، فاخْتَلَسَتْهُ المنيَّةُ ، وفجعتُ به الدنيا الدنيَّةُ ، فمن شأنها أن تذهب بالأفاضل ، وتخيم^٢ على الأمائل ؛ نقله الله إلى رضوانه ، وحفَّه بغفرانه ، وأحسن العزاء عنه ، وإن عزَّ العيَوضُ منه .

وأما عهدنا فقد درَسَ منه^٣ العهدُ ، بخطوبٍ يُستَمَنَّى معها الفقدُ : بلادُ لحقها التغيير ، واستولى عليها التدمير ، وأكلتِ الجوعَةُ بنيها ، وتعطلَّ الشرعُ والدينُ فيها ؛ فلا صلاةَ تُجمع ، ولا منبرَ يُرْفَعُ ، والكلُّ ذاهلٌ ، وفي حوضِ الردى ناهلٌ ، فليُنحَ على الإسلامِ نائحٌ ، وليُجبهْ صدىً من جانبِ القبرِ صائحٌ .

وهذا محلولٌ من شعري لتوبة^٤ بن الحمير ، ويتعلَّقُ بذيله خبرٌ رواه أبو عبيدة قال^٥ : إن ليلي الأخيلىة مرَّتْ مع زوجها في بعض نُجَعِهِمْ بالموضع الذي فيه قبرُ توبة ، فقال لها زوجها : لا بدَّ أن أعرجَ بك إلى قبره كي تسلمي عليه ، وأرى^٦ هل يحبكِ صداه كما زعم حيث يقول : ولو أنَّ ليلي الأخيلىة سلَّمتْ عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحٌ سلَّمتْ تسليمَ البشاشةِ أو زقا إليها صدىً من جانبِ القبرِ صائحٌ

فقالَتْ له : وما تريد من رمةٍ وأحجارٍ ؟ قال : لا بدَّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام

١ ط د س : لبقائها .

٢ ب م : وتخم .

٣ م : منا . ٤ م : قول توبة .

٥ أثبت صاحب الأغاني (١١ : ٢٢٩) رواية أخرى وفيها أن ليل هي التي أصرت على التسليم .

٦ ب م : حتى أرى .

عليه ، إذا بطائر قد استظلَّ بجِجَارَةِ القبر من فيحِ الهاجرة وطار فنفسَرَ راحلتها فَوُقِصَتْ^١ بها فماتت . وهذا اتفاقٌ غريب ، وحديثٌ في هذه الهامة عجيب ، وهي على ما زعم الأعرابُ طائرٌ يخرجُ في القبر من رأس القَتِيلِ فلا يزالُ يقولُ^٢ : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخِّدَ بثاره ، وفي ذلك يقول الآخر^٣ :

يا عمرو! لا تدعُ شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقولُ الهامةُ اسقوني
وهذا الخبرُ في شعرهم أشهرُ من أن يذكر .

وله من أخرى : الدنيا — صرفَ الله عنك صروفها — على الفجائع مبنية ، [وقُصَّارها كدرٌ أو منية] ، وإنَّ الحازمَ منْ وطنَ لأحداثها ، وأيقنَ بانتكاشها ، فأوسعها صدرأً رحيباً ، وقلباً صليباً ؛ وكتبْتُ والدمعُ محدود ، وقد حُمِّ قضاؤه ونفدَ مقدور ، بوفاة الولدِ الطيبِ المبارك أبي عبد الله ابننا ، وقرّة أعيننا ، كان — نصَّرَ الله وجهه ولقاه رحمته ومغفرته ، ورفع في دار المقام منزله^٥ — فناهيك بأسفي عليه وتوجعِي ، وما أوقد [١٩ ب] نارَ الأسى بين أضلعي ، فانه كان مرجواً في الأبناء ، معدوداً في النُجباء ، للسيادة مرشّحاً ، وبالفضائلِ مُوشَّحاً ، ينهلُ الخيرُ من أعطافه ، ويعجبُ الدهرُ من أوصافه ، أكرم به من سليل ، كان على أحسن خليقة وأهدى [طريقة وأقوم] سبيل ، ولكن يأبى الله إلا ما

١ وقصت بها : كسرت عنقها ؛ وفي ط د س : فرقصت بها فوقعت .

٢ ط س د : يصيح .

٣ هو ذو الاصبع العدواني ؛ انظر المفضليات : ٣٢١ .

٤ قد تقرأ في ب : بولد الولي .

٥ المبارك . . . منزله : سقط من د ط س .

٦ نار : سقطت من د ط س .

يريد ، فأسعد بجواره ونعم السعيد^١ .

ومن أخرى : كتبتُ مُجْمِلاً ومختصراً ، ومنتحياً مستعبراً^٢ ، وأعزّزُ عليّ بأنّ أعزّي^٣ مخاطباً ، ولا أكونَ مشاهداً ومواظباً ، وإنّ المقدمَ لحرمة ، لفائزٌ من الله بآتم نعمته ، فسلوا - أعزّكما الله - عن الحادث^٤ سلوا ، ودعاءً إلى الخالقِ مرجوّاً ، في أن يكشفَ عنكما الغمّاء ، وينيرَ بكما الظلمات ، وأبشرا على الصبر الجميل ، بالأجر الجزيل ، وما حطّ ما أصبتما به من قَدَرٍ ، وإنما حطّ من وزير .

وله من أخرى :

* عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ *

عاد والله بفيضِ الدموع ، وفضّ الضلوع ، ومفارقةِ الأعزّةِ الجلّةِ^٥ ، ومحالفةِ الأسى والدلّةِ ، فتوهّم - أبارك الله من نُوبه - ما بقلبي من تلهّبهِ ، للحال التي أنتم عليها^٦ ، وكيف مُقامي ، وانتحابي واحتدامي ، ولكنّي ضارعٌ إلى الله أن يغفرَ الذنوب ، ويكشفَ الكروب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون على هذا المنظرِ ، في هذا اليوم الأكبر ، وقد عهدناه أغرّ وضاحاً ، يُعيدُ الليلَ فجرّاً وصباحاً ، وهو المرجوُّ لتلافيّنا ، والإقالةِ من عثراتنا ومهاوينا .

١ ولكن السعيد : سقط من د ط س .

٢ د ط س : ومعتبراً .

٣ ط د س : أكون .

٤ م : الحادثات .

٥ د ط س : والأجلة .

٦ د ط س : بها .

وله من أخرى : أيُّ ذهنٍ - أيُّدك الله - ينطاع ، أم أيُّ كلامٍ يُستطاع ،
واللسانُ معقول ، والفؤادُ منقول ، والدمعُ هامرٌ ، والشجُوُّ دائرٌ ، لما
طرقتُ به الأيام ، وقرعَ به الحمام ، حين صرخ بالمجدِ ناعيه ، ونفضتِ
التربَ يد مواليه ، وقامت للبكاء نواديه ، طوراً تؤبنه^١ وطوراً تخاطبه :
[وكان حصداً للمنايا ازْدَرَعْنَه^٢ فهلاً تركزنَ النبتَ ما كان أخضراً^٣

ذلك بحر السياب ، من المقتبل الشباب] ، نخيلةِ الرجاء ، وسلالةِ
الرؤساء ، مولاي ، كان - قدس الله روحه وآنس بالعفو ضريحه^٣ -
من ، والله ، جدعَ لفقده أنفُ المكارم ، وصدعَ من شملها المتلائم ،
وانحسر به عن الدنيا زينُّها ، وفقدت بل فُقِشتُ منها عينها ، فهي عاريةٌ
عوراء ، ثاكلة غبراء^٤ ، لخطبٍ ما سكَّ المسامعَ شكُّهُ ، ولا صكَّ
الحدودَ مثله ، هَدَمَ ، والله ، جَلَسَني ، وجَدَمَ يدي ، وقصمَ ظهري ،
وعاضني من عُرْفِي بِنُكْرِي ، وَعَصِيبَ له باللهاةِ الريقُ ، وحالفني السهرُ
والتأريق ، وكيف لا وقد قَرِحَتِ الجفونُ ، وسال بالدم غرْبُها الهتون ،
[إذ رمى الدهرُ فأصمى ، وغيمَ فأعمى ، والحمد لله الحاكم ببقائه ،
العادل في قضائه ، وما أُصِيبَ - أيُّدك الله - من أُنِيب ، والصبرُ أحقَّ ،
وهو بك أليق :

وكلَّ فتىٍّ وإن أمسى وأثرى ستخلجه وإيانا المنونُ]

وفي فصل منها : وبالله أجلّ الأقسام ، لولا مقيّداتُ لي من الأسقام ،
لسرتُ إليك سَيْرَ العَجُولِ ، وبادرتُ [٢٠ أ] بدارَ الثكول ، لأنتحب

١ ط د س : تؤبنه ؛ م : توانيه .

٢ البيت لأبي حزاب التميمي واسمه الوليد بن حنيفة (الأغاني ٢١ : ٥٩ ط . دار الكتب) .

٣ مولاي ... ضريحه : سقط من ط د س . ٤ ط د س : عبرا (عبري) .

شاهداً كما انتحبت^١ غائباً ، وأؤدي من مفترضات أياديك واجباً .

وله من أخرى : موهوبُ الدنيا - أيديك الله - إلى استلاب ، ومعمورها
إلى خراب ، ومطمعها كالأل والسراب ، تغافِصُ ذا العزّة ، وتقطع
دَرَ^٢ الدرة ، وتخونُ ذا الثقة المبررة .

وفي فصلٍ منها : فرعُ [والله] من الفضل ذوى ، ونجمٌ في الرياسة
خوى ، أظلمت بعده الآفاقُ ، وأدرك تمامها المحاقُ ، وإلى الله الشكوى ،
فهو أضحك وأبكى ، والحمد لله على نافذ أفضيته ، ومحتوم قدرته ،
وهو المنهلُ ، لا يُعَمَلُ منه الذي ينهل ، فالتماسكُ عند هجومه إلزمُ ،
ووفورُ الأجر عند ذوي النهى أحزم .

وفي فصل من أخرى : أسرع اليك يا معتمدِي الفِطامُ ، وأقصدتك
للحوادث سهام ، وحملت ثقلًا لا يُطاقُ ، وتغيرت له الآفاق ، فقبحاً
لدينا عَقَّتْ بيدها جمالها ، وَحَدَّتْ لارتحالِ بهجتها^٣ جِمالها .

ومن أخرى : كتابي عند ورودِ الخبرِ الصحيح بالتغلبِ على دانيةٍ
وثقيقِ قصبتهَا ، وتملكِ معزُّ الدولة - [استنقذه الله] - وهجومِ المنيةِ
على إقبالِ الدولة - [رحمه الله] - فاعجبُ يا سيدي من انتفاضِ الحالِ
بغثة^٤ على الفور ، وذهابِ دولة السؤدد^٥ والسرو^٦ ، على بُعدِ مرامها

١ ط د س : أُنْتُحِب . ٢ س : ذا .

٣ م ب : لَانْتَحَبَت إِلَى بَهْجَتِهَا .

٤ ط د س : بَعْدَهُ .

٥ ط د س : السُرور .

٦ م : وَالسُّور .

وشدة أركانها ، وعزة سلطانها ، أعاذنا الله من سوء القضاء ، وجعلنا في حيز الاحتماء . ولما وردَ هذا الخبرُ الذي يورد المنون ، ويسهرُ العيونَ ، طيَّرتُ به إليك على شرطٍ ما بيننا من التساهم في الأمور ، في القليل والكثير ، [والله يُقي جانبَكَ ويكفيه ، ويدبُّ عن قطرك ويحميه ، بقدرته] .

وفي فصل : يجبُ أن تعذرني — أعزك الله — إذا كتبتُ ، فالذهنُ قليل ، والقلبُ عليل ، والقول قليل ؛ وبلغني ما أصمتَكَ به الأيامُ في الصميم ، والظلُّ الكريم ، بوفاءِ الوالدة الطاهرة ، والجنتَّة الساترة ، ألحفها اللهُ رحمته ، وألحقها جنتَّتهُ ، ومثلَكَ في رُجحانه ، لم تُؤهِ المصائب من أركانه ، بل سلَّم الله في حكمه ، واسترجع للخطبِ على عظمه ، فغَنِمَ الثوابَ ، [وعلمَ المسأَب] .

وله من أخرى يعزِّي بموت المقتدر : أيُّ خطب — أيُّدك الله^٢ — طلعت به النوائب ، واسودَّتْ له المشارقُ والمغارب ، لقد ترك شملَ الإسلام صديقاً ، وصيَّرَ عبْرَةَ الشؤون^٣ نجيعاً ، بمن كنّا نلوذُ به : قريع الزمانِ ، ومُبِير العدا ومُولي الإحسان ، مولاي المقتدر بالله — نفع الله صداه ، وكرم مثواه^٤ — فلو درى الحمامُ بمن فتجع ، لارعى أو توجّع ، ولكن هكذا تزولُ الجبال ، وتنصرمُ الآمال ، وينهالُ السناء [٢٠ ب] وينهدمُ البناء . وفي فصل [منها] : وما أعملتُ يداً إلا والدمعُ منسجمٌ ، والشجْوُ

١ ط د س : تهد .

٢ ط د س : أعزك الله .

٣ م ب : غرة الشرف .

٤ مولاي . . . مثواه : سقط من ط د س .

مُحتدِمٌ" ، وقليلٌ أن تطيشَ الألبابُ ، وقد حَلَّ^١ هذا المصائبُ ، وفي مولاي الرجاء والعزاء ، وإليه الانتماء والاعتزاء ، لا زال يستقبلُ دهرًا جديدًا ، وعمراً مديداً ، حتى يخلدَ ذكراً مشيداً ، وفخراً تليداً .

وله من أخرى : مالي أرى المجدَّ - أعزك الله - قد سُدتْ معالمه ، وانهدَّتْ دعائمه ، بفقد من كان يُغرقُ البحرَ فيضُ نواله ، ويكاثُرُ نجومَ السماءِ بعضُ خياله ، واحدٍ الدنيا ، وجامعِ العليا ، ومن كان يُطريقُ الحليمُ لأناته ، ويحارُ الفهم من آياته^٢ ، ويعزّ الدينُ بمكانه ، ويذلُّ الشوكُ لسلطانه ، مولاي المقتدر بالله - قدس الله روحه ، ونور ضريحه^٣ - .

وفي فصل : وإني لأعلمُ نَيْلَ الخطبِ منك ، وصَدَرَ الرزءُ^٤ عنك ، وحيثُ انتهى [بك] البكاء والعويل ، وغناءُ لعمرى لذي^٥ المصائبِ قليل ، وما أعزَّيكَ وأتركَ نفسي ، وقد شردتما سَكَنِي وأنسي ، ولكن أعرِضْ^٦ عليك مكانَ السلو وقد لاح لي بدرُهُ ، بالرئيسِ الشهمِ^٧ المعظمِ قَدْرُهُ ، الحاجبِ مولاي المؤمن ، فذلَّ العصرُ^٨ ، ومقتادِ كلِّ كريمة ، [وورَّادِ كلِّ كريهة] مَنْ يحمي الحمى ، ويُسدي النعمى ، ويزاحمُ الأفلاكَ ، ويبهرُ الأملاكَ .

١ د ط س : جل .

٢ ب م : اناته .

٣ مولاي . . . ضريحه : سقط من ط د س .

٤ ط د س : الرزء .

٥ ط د س : الخطب .

٦ ب م : لذي .

٧ ط د س : السبي .

٨ الحاجب العصر : سقط من ط د س .

وله من أخرى : أني يُستطاعُ الكلامُ - أيّد الله مولاي^١ - وقد
 اغبرت الدنيا وأظلمت الآفاقُ ، ونُعِي^٢ الإسلامُ ، وعني به الحِمَامُ ،
 وقامت نوادبهُ ، وأوحشت مغانيه وجوانبهُ ، ولكنني أقولُ عن صُعدائها ،
 وللعينِ غصصٌ بمائها ، وللنفسِ تنفّسٌ من بُرحائها : لقد مات منقطعُ
 القرنين ، وكاليء هذا الدين ، مَنْ كان - والله - ينيرُ إذا دجّت الخطوب ،
 ويثيرُ إذا عنّ الهبوب^٣ ، ومَنْ يملأُ الأفواهَ طيبُ نثائه ، ويملكُ القلوبَ
 بشرُّ لقائه ، ومن كان يرهبُ الشركُ صَوْلَتَهُ ، ويخافُ العدوَّ وطأتهُ ،
 فبرّد الله ثراه ، وسقاه الحيا وروّاه ، فلو يعلمُ التربُّ ما ضمّ^٤ من كرمٍ
 ونائل ، وحلّمٍ إذا خفّت الحلوم غيرُ زائل ، لطاول^٥ السماءَ ، واعتنقَ
 الجوزاءَ ، ولقد قلتُ لما غالتني فيه الغوائل :

فما كان ما بيني لو آني لقيتُهُ وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل^٦

وله من أخرى : الدنيا - أعزّك الله - ليست بدارٍ قرارٍ ، والمرءُ منها
 على شفا جُرفٍ هارٍ ، وإنما هي جِسْرٌ على الطريق ، وعدوٌّ في ثياب صديق^٧ ،

١ م : أيّدك الله ، وسقطت العبارة من ط د س .

٢ س : وقد نعي .

٣ س : ذعر الهبوب ؛ ولعلها « الهبوب » .

٤ د ط س : ضمته . ه د ط س : لطال .

٦ محور بعض تحوير عن قول الخبطية في رثاء علقمة بن علاثة (ديوانه : ٢٤) :

وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

ومثله ينسب للناطقة الديباني (ديوانه : ١٩) .

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حجرٍ إلا ليالٍ قلائل

٧ مقتبس من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب فكشفت له عن عدو في ثياب صديق

ولما بلغتني وفاة فلان - [رحمه الله و] نصر^١ وجهه وبرّد ثراه - علمتُ أنك الجبلُ الذي لا يرتقي الجزعُ ذراه ، وإن كان سهمُ المنايا أصابَ حميماً ، واستلب كريماً ، فقد أبقي الله^٢ بك الصدّعَ مرؤوباً ، والجزعَ مغلوباً .

ومن أخرى : كتبتُ والدمعُ وآكفُ ، والحزنُ عاكفُ ، للرزية الشاملة ، والقاصمةِ النازلة ، في فلان ، فيا عظم ما [٢١ أ] دَهَمَت^٣ به الأيام ، وفُجِعَ فيه الإسلام ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، تسليماً لنافذ القضاء ، ومقدّرِ الفناء ؛ ولقد نالني من الكرب لهذا الخطب ما لو شهدته لراعتك المنظر ، ولجعلتُ نفسك الكريمة تتفطر ، وخاطبتُ الحاجبَ - أيد الله صبره ، وجبرَ صدّعه - مقيماً للرسم في تعزيته ، ولو استطعتُ لنهضتُ بنفسي لقضاء الحق وتوفيته ، فنُبِّ بفضلك عني مناباً [كريماً] ، وأعلمه - أيد الله - تفجّعي وتوجّعي ، وتأسّفي وتشيعي ، وفي بقائه ما يسدُّ الخللَ ، ويمدُّ الرجاءَ والأملَ .

فصول اقتضبتها من كلامه في وصف ثغور البلاد والاستنفار للجهاد

فصل له من رقعة : استوضحتُ جميعَ تلك الأحوال التي وصفتها ، والأحداث التي قصصتها ، فأكبرتُ وقوعها ، ثم عرفتُ للأيام صروفها

٢ س : لنا .

١ م ب : نصر الله .

٣ ط د : فدحت . س : قدحت .

٤ ب م : والاستعداد

وصدوعها ، وتألّت لما يجري على المسلمين من نكدٍ فاضح ، وتلفٍ فادح ، فليت شعري أين البصائر ، وحتّامَ تدورُ هذه الدوائر ، على رفق الجزيرة وقد أشفى ؟ أما أن النصر أن يتّبعَ [وللداء] أن يشفى ؟ نظر الله للكلِّ ، وأراهم مواضعَ الرشد ، من العقْدِ والحلِّ ، بمنه .

وفي فصل^١ : كتابي بعد أن^٢ وقفتُ على كتابِ فلان^٣ الذي أودعه ما ودّعَ من حيات^٤ ، ولم يدعْ مكاناً لمسلاة^٥ ، فانه للقلوب مؤذٍ ، وللعيون مقلدٌ ، وللظهور قاصمٌ ، وليعزى الحزم فاصمٌ ، فليندب الإسلام نادبٌ ، وليبك له شاهدٌ وغائب^٦ ، فقد طُفِيءَ مصباحه ، ووُطِيءَ ساحه ، وقُصَّ جناحه ، وهيض عضده ، وغيض ثمده ، إلى الله نفرع ، وإليه نضرع ، في طارق الخطبِ ومنتابه ، فلا حول ولا قوة إلاّ به ، فهو كاشفُ الكروب ، وناصرُ المحروب .

وفي فصل^٨ : واتّصل بنا أنه أباد الديار ، في جميع تلك الأمصار ، والمسلمون بينهم سوامٌ ترتع ، وأموالهم نهبٌ يوزّع ، والقتل يأخذ

١ القلائد : ٥٨ ، والرسالة إلى الممتصم بالله صاحب المرية أيام رياسته .

٢ كتابي بعد أن : سقطت من ط د س .

٣ القلائد : كتاب المنصور ملاذّي المعتد بك أيديك الله .

٤ ط د س : ما أودع من حياة .

٥ م : للمسلاة .

٦ م ب : وللظهر .

٧ القلائد : نوادبه . . . شاهده وغائبه .

٨ يذكر في الرسالة - كما أوردها صاحب القلائد - أن فرديناند نزل على قلعة أيوب محاصراً ، وغرسة بسرّسعة ، ورذير بوشقة وما والاها .

منهم فوقَ ما يدع ، فأطلِ الفكرةَ في هذا الحرمِ الداخل ، والبلاءَ الشامل ،
واللهُ المرجوُّ لكشفِ الغُمَّةِ ، وتلافي الأُمَّةِ ^١ .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك بالخطبِ الأبتعِ ، والحادثِ
الأشنعِ ، الجاري على المسلمين - نصر الله مقانبيهم ، وجمع على الائتلافِ
مذاهبهم - في مدينة بربرشتر ، وكانت صدرأ في القلاع المنيفة ، وعيناً من
عيونِ المدائن الموصوفة ، إلى ما سبق قبلُ في القلعة القلهرية وغيرها من
مهمات القلاع : الدروب ^٢ والمعاقيل ، وخطيرات الحصون والمنازل ،
فأطار الألباب ، وطأطأ ^٣ الرقاب ، [وصرم الآمال والهمم ، وأسلم
من الذلة والقلّة إلى ما قسم] وانك رأيتَ الحال في معرضِ جلالها للنواظر
[عياناً] ، ووصل [٢١ ب] بينها وبين الخواطر أسباباً وأسطاناً ، فما
شئتَ من دمعٍ مسفوحٍ مراقٍ ، ونفسٍ مترددةٍ بين هامةٍ وتراقٍ ، وأسىٍ
قد قرعَ حُصَيَّاتِ القلوبِ فرضَّها ، وعدل عن المضاجعِ بالجنوبِ فأفضَّها ،
ومآل تستكُّ من سماعه الأسماع ، وتضيّقُ عن إيراد حقيقته الرقاع ، فالله
[يدرأ] في نحرٍ ما فدح من الخطوب الكبار ويدفعُ ، ولإليه نلجأ فيما أَلْظُ
من عقيم الدواهي ونفزعُ ^٤ ، فمنه الغوثُ والانتصار ^٥ ، وعادةُ الإقالةِ إذا
جدَّ العثار .

وفي فصل من أخرى : وإن الملاءَ الكريمَ - تكفَّلَ الله به - وردَ وقد
امتطى العزمَ ظهراً ، واستشعر النصيحة سرّاً وجهراً ، ووسَّع نطاقَ البيان ،

١ ط د س : غمته . أمته .

٢ ط د س : مهمات الدور . ٣ في النسخ : فطارت . . . وطأطأت .

٤ ط د س : صدر . ٥ س ط د : يالجأ . . . ويفزع .

٦ ب م : والانتصار .

ونذب إلى ما فيه ثبات^١ الإيمان ، وأعرب عما رأيته وراه ، مَنْ في طاعتك من جموع المسلمين - وفقهم الله - من الاستنفارِ لأمرِ هذا العدو الذي قد سحبَ في الجزيرة أذيالَهُ ، وفوقَ للاستيلاء على حدودها^٢ نصالَهُ ، لما تحقّقَ له أن^٣ العزائمَ عن مقارعتة ناكلة ، والبلادَ من أعدادٍ تقاومُهُ عاطلة ، فبانتُ أصالتك وتفرّدُ جدّك ، وتجددَ الحفاظ والانتقاذ للملة الإسلام بجهدك ، وقد تعيّنَ البدارُ على كلِّ رئيس ومرعوس ، ولزم الجهادُ كلَّ شريفٍ ومشروفٍ ، وقبيحٍ على المسلم أن يحلَّ لإزاراً^٤ ، ويسوّغَ من الكرى غراراً ، وإخوته المسلمون بين مشدودٍ بالإسار ، أو جزرَ النيوب والأظفار ، تالله ما في النصّفة أن تُسكّن الظلال ، وأطواق حَمَلَة القرآن الأغلال ، [والله تعالى بصيرُ الأيدي في الدفاع يدأ ، ويعيدُ العدو المستأسد مهتضمّاً مضطهداً] .

ومن أخرى^٥ : كتبت - أيّد الله أمير المسلمين - وقد وافى الخبرُ المبهج بأنّ الجزيرة المهتزمة - حماها الله - حلّها إمامها العادل ، وسيفه العامل ، وليثها الحادر ، وقَرَمُها المبادر^٦ ، فكان عندي كالماء للظمان ، والنجم للحيران ، فقلتُ : خبرٌ والله جلّى الشك من اليقين ، وشفى صدور قومٍ مؤمنين ، فالحمدُ لله ربّ العالمين ، إذ يقيمُ الله به الحقّ مزاره ، ويحمي من الإسلام ذماره ، فأنفُ الكبير أجْدَعُ راغمٌ ، ووجهُ الظلم أسْفَعُ قائمٌ .

١ س ط د : ثبوت .

٢ م : حصونها .

٣ ط د س : لما تحقّقه من أن .

٤ وتفرّد البدار : سقطت من ط د س . ه ط س د : أزارا .

٦ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

٧ ب م : المعاذر ؛ ولعل الصواب « المناور » .

وودِدْتُ أَنْ أَسْعِدَ بَلْقَاهُ ، وَأَسْتَظِلَّ بِلَوَائِهِ ، وَأَلِمَّ بِجَوَانِبِهِ ، وَأَسِيرَ فِي كِتَابِهِ ، فَأُنَالَ حِظًّا جَسِيمًا ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ٧٢) . وَلَوْلَا أَنَّ الْعَدُوَّ - فَصَمَهُ اللَّهُ - بِهَذِهِ الْأَقْطَارِ ، يَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ ، فَلَا تَمَكُّنُ الْمَسَالِكُ ، وَلَا تَتَوَرَّدُ الْمَهَالِكُ ، لَكُنْتُ أَوَّلَ وَارِدٍ مَعَ الْوَرَادِ ، وَلَقَضَيْتُ فَرَضَ الْجِهَادِ ، وَمَلَأْتُ عَيْنِي مَدَنَ مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عَدْلًا ، وَزَادَ الْفَضِيلَةَ فَضْلًا ، وَإِنَّ الْعَيْنَ لَتَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ، لَمَّا جَدَّدْتُ بَنَى الْأَيَّامُ [٢٢ أ] فِي الْقَطْعِ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْسَحَ الْمَهْلَ ، وَيَرْفَعَ الْوَجَلَ ، وَيَبْرِئَ الْعِلَلَ ، وَيَبْلَغَ الْأَمَلَ .

وَفِي فَصَلٍ مِنْ أُخْرَى : وَفِيمَا ذَكَرْتُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ ، وَشَرَعُ الْأُنَابِيْبِ ، وَهَرَجُ يَشْمَلُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ، وَمَحْضُ وَدِي ، وَصَحِيحُ عَقْدِي ، وَمَا لَا يَشْكُ^١ فِيهِ عِنْدِي ، يَحْمِلُنِي لَكَ عَلَى الْإِنْتِصَاحِ ، شُحًّا مَنِي وَرَغْبَةً فِي الصَّلَاحِ ، وَحَسَمًا لِأَسْبَابِ الْفِتْنَةِ ، الَّتِي تَعْظُمُ مَعَهَا الْمِحْنَةُ ، فَإِنْ وَافَقَ قَوْلِي قَبُولًا ، وَكَانَ عَلَى أَحْسَنِ التَّأْوِيلِ مَحْمُولًا ، فَلِذَاكَ الَّذِي إِلَيْهِ عَرَضْتُ وَلَهُ تَعَرَّضْتُ ، وَإِذَا كَانَ مَا سِوَاهُ ، فَهِيَ أُمُورٌ يَرِيدُهَا اللَّهُ .

وَلَهُ مِنْ رَقْعَةٍ إِلَى ابْنِ جَحَّافٍ أَيَّامَ ثَوْرَةِ ابْنِ عَمَّةٍ بَبِلَنْسِيَّةٍ^٢ : قَدْ أَلْبَسْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ بَرِّكَ مَا لَا أَخْلَعُهُ ، وَحَمَلْتَنِي مِنْ ثَنَائِكَ^٣ مَا لَا أَضِيْعُهُ ، فَأَنَا أَسْتَرِيحُ إِلَيْكَ اسْتِرَاحَةَ الْمُسْتَنِيمِ ، وَأَصْرِفُ الذَّنْبَ عَلَى

١ ط د س : شك .

٢ انظر قلائد العقيان : ٧٠ و Recherches لدوزي ٢ : IV (من الملحقات) .

٣ ط د س والقلائد : شكرك .

الزمن المستليم^١ ، وإن ابن عمك - مد الله بسطته - لما ثار ثورته التي ظن أنه قد بلغ بها السّمك ، وبذّ معها الأملاك^٢ ، نظر إليّ متخازراً [متشاوراً]^٣ ، وتخيلني محاسداً أو منافساً ، ولعن الله من حسده جمالها :

فلم تك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح إلا لها

ثم تورّم عليّ أنف غرته ، فرماني بضروب^٤ محنته ، وفي كلّ ذا أنجرع^٥ على مَضْبَضه ، وأتغافل لغرضه ، وأطويه على بُلْكِه ، وما أنتصِرُ بشيء سوى عمله^٦ ، إلى أن رأى اليوم [سوء رأيه]^٧ ، ان يزيد في تعسّفه ، وبغيه ، فاستقبلت من الأمر غريباً ما كنت أحسبه ، ولا بان إليّ سببه ؛ ولما جاءه رسولي مستفهماً ، عبّسَ وبسرّ ، وتاه^٨ واستكبر ، فأمسكتُ محافظةً للجانب ، وعملاً على الواجب ، لا أن هيبة أبي أحمد قبضتني ، ولا أن مبرّته^٩ عندي اعترضتني . وأقسم بالله حلفّة برّ : لو الأيام قدفت بكم إليّ وأنا بمكاني ، لأوردتكم العذب من مناهلي ، ولجعلت^{١٠} جميعتكم على عاتقي وكاهلي ، ولكنّ الله يعمر بكم أوطانكم ، ويحمي من النّوب

١ ط د س والقلائد : المليم .

٢ س ط : الأثلاك .

٣ زيادة من القلائد .

٤ ب م : فلم تكن تصلح له ولم يكن يصلح لها ؛ س : ولا كان يصلح . . والبيت لأبي المتاهية ، ديوانه : ٦١٢ .

٥ القلائد : بصروف .

٦ ط د س والقلائد : بشيء من عمله

٧ زيادة من القلائد .

٨ القلائد : وأدبر

٩ د : ولجملت ؛ القلائد : وحملت ، س ط : وتملت .

مكانتكم^٥ ، ويحوط هذه السيادة الطالعة فيكم ، النابتة بعاليتكم^١ ، فلا يسرك^٦ مفضعه ، وليسوك^٧ مصرعه ، فما مثله يُمطل^٨ ، ولا يلبث حيناً ولا يُمهّل^٩ .

قال أبو الحسن^٢ : ومُدَّ لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء ، حتى تجاوز [مصارع] جماعة الرؤساء ، وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدي الطاغية الكنبيطور^٣ - قصمه الله - وحصل بذلك الثغر ، في قبضة الأسر^٤ ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة^٥ ، ومنها كتب رقعة إلى بعض إخوانه يقول^٦ فيها : كتبت منتصف صفر ، وقد حصلنا في قبضة الأسر ، بخطوب لم تجر في سالف الدهر ، فلو رأيت قطر بلنسية - نظر الله [٢٢ ب] إليه : وعاد بنوره عليه - وما صنع الزمان به وبأهليه ، لكنت تندبه وتبكيه ، فلقد عبث البلى برسومه^٧ ، وعفنى^٨ على أقماره ونجومه ، فلا تسأل عما في نفسي ، وعن نكدي ويأسي ، وضُمت الآن إلى الافتداء ، بعد مكابدة أهوال ذهبت بالذماء ، وما أرجو غير صنع الله الذي عود ، وفضله الذي عهد ؛ وساهمتك مساهمة الصفي ، لما أعلم من وفائك وتممك الحقي^٩ ، مستمطراً من تلقائك دعوة لإخلاص^{١٠} ، عسى^{١١} أن تكون سريعة

١ ط س والقلائد : البائية لعاليتكم .

٢ تارن بالحلة السراء ٢ : ١٢٥ ودوزي ٢ : ٧ .

٣ ط س : طاغية كان يدعى الكنبيطار ؛ قلت : وسيأتي التعريف به .

٤ ط م ن د : وحصل لديه أسيراً . . .

٥ علق ابن الأبار على هذا بقوله : كذا قال ابن بسام وإنما دخل الكنبيطور ببلنسية سنة سبع وثمانين .

٦ ط د س : قال . ٧ م : برسومه وبأهله .

٨ د ط س : وعدا .

٩ مساهمة . . . الحقي : سقط من د ط س . ١٠ ط س د : الاخلاص .

١١ م : على أنها عسى .

إلى فَرَجٍ وخلاص ، بإذنِ الله ، فهو — عزَّ وجهه — يقبلُ الدعاءَ من داعيه ، وما زال مكانكُ منه تُرى البركةُ فيه ^١ .

قال أبو الحسن : وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر بلنسية فلا بدَّ من الإعلان بمحنتها ، والإتيانِ ببندٍ من أخبارِ فتنها ، التي غرَّبَ شأوها في الإسلام ، وتجاوزَ عفوها جهدَ الكروبِ العظام ، وَذِكْرُ الأسبابِ التي جَرَّتْ جرائرها ، وأدارت على المسلمين دوايرَها ، والإشادةِ باسمٍ من سلك في طريقها ونهج ، ودخل أبوابَ عقوقها وخرج .

ذكر الخبر عن تغلب العدو عليها وعودة المسلمين إليها ^٢

قال أبو الحسن : ونذكر إن شاء الله في القسم الرابع ، نُكْتاً وجوامعَ ، تؤدي إلى كيفية تغلبِ أذفونش طاغيةِ طاغوتِ الجلالة — قصمها الله — على مدينة طليطلة ، واسطة السلك ، وأشْمَخَ ذُرَى المَلِك ، بهذه الجزيرة ، ونشرحُ الأسبابَ التي مَلَكَتْهُ قِيادَها ، ووطَّأَتْهُ مهادها ، حتَّى اقتعد صَهَوَتُها ، وتبجحَ ذِرْوَتُها ، وأن ^٣ يحيى بن ذي النون ، المتلقَّب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله ، كان الذي هيَّجَ أولاً نارها ، وأججَ أوارها ،

١ باذن . . . فيه : سقط من د ط س .

٢ نشر دوزي هذا الفصل في Recherches ج ٢ : VI - XVIII وانظر في حادثة بلنسية البيان المغرب ٤ : ٣٤ وأعمال الاعلام : ٢٠٣ والجزء الثاني من كتاب ميراندا Hist. Mus. de Valencia .

٣ ونذكر . . . وان : سقط من د ط س ؛ وبدى الفصل بقوله : وكان يحيى بن ذي النون هو الذي سجر أولاً نارها . . .

٤ ب م : ثارها .

وكان عندما خلّى [بين] أذفونش وطليلة — جدّد الله رسمها ،
وأعاد إلى ديوان المسلمين ^١ اسمها — قد عامده على أن يعيدّ له صعباً بلنسية
ذكولاً ، وأن يمتّعه بنصرتها وتملّك حضرتها ولو قليلاً ، علماً منه أنه أسير
لديه ^٢ ، وعيال عليه . فصار تهرة ^٣ المعامل ، وتبرأ منه المراحل [بعد
المراحل] ، حتى استقرّ بقصبة قونكة ^٤ ، عند أشياعه بني الفرج — حسبما
نشرحه في القسم الرابع إن شاء الله تعالى — وهم كانوا ولاية أمره ، وواعية
عرفه ونكره ، بهم أولاً صدع ، وإليهم آخرأ نزع ، وطفق يداخل ابن
عبد العزيز بمعاذير يلفّقها ، وأساطير ينفّقها ^٥ ، وأعجاز من الباطل وصدور
يجمعها ويفرقها ، وابن عبد العزيز يومئذ يضحك قليلاً [٢٣ أ] ويبكي
كثيراً ، ويظهرُ أمراً ويخفي أموراً ، والفلك يدور ، وأمرُ الله يُسجدُ
ويغور . وورد الخبر بموت ابن عبد العزيز أثناء ذلك ، واختلاف إبنيه
بعده ^٦ هنالك ، فانسل ابن ذي النون إلى بلنسية انسلال القطا إلى الماء ،
وطلع عليها طلوع الرقيب على خلوات الأحباء ، وانتهجت السبيل بين ملوك
أقننا وبين أمير المسلمين [وناصر الدين] رحمه الله — على ما قدمنا ذكره —
سنة تسع وسبعين ، وصدّم أذفونش الطاغية — قصمه الله — تلك الصدمة
— المتقدمة الذكر — يوم الجمعة ، فرجع — لعنه الله — وقد هبّ جناحه ،
وركدت رياحه ^٧ ، وتنفّس خناق يحيى بن ذي النون هذا ، فتنسم روح

١ د ط س : الإسلام ، س : دين . ٢ ط س د : أسير يديه .

٣ م ودوزي : يهره ؛ د ط س : بهذه .

٤ قونكة (أو كونكة = Cuenca) مدينة تقع على بعد ٥٠ كيلو متراً شرقي وبلدة (Hueta) .

٥ ب م : وطاغية ؛ د ودوزي : واعية ؛ ط س : واغية .

٦ س ط د ودوزي : يشمّقها .

٧ س : إبله بذلك .

٨ ملوك : سقطت من س .

البقاء، وتبائع بما كان بقي له من ذماء، ودخل من معاقد أمير المسلمين فيما^١
دخل فيه معشر الرؤساء ؛ ولم يزل لإدبارهم* — على ما ذكرنا — يستشري
وعقارب بعضهم إلى بعض تدب وتسري ، حتى أذن الله لأمر المسلمين
[رحمه الله] في إفساد سعيهم ، وحسم أدواء بغيهم ، والانتصار لكواف^٢
المسلمين من فعلهم* الذمير ورأيهم ، فشرع في ذلك — على ما قدمته —
سنة ثلاث وثمانين ، فجعلت البلاد عليه تنال^٣ ، والمنابر بأسله تزدهي^٤
وتختال ؛ واستمر ينثر نجومهم* ، ويطمس رسومهم* ، باقي سنة ثلاث
وسنة أربع بعدها ، وفي ذلك يقول الأديب أبو تمام ابن رباح^٥ :

كأن بلادهم* كانت نساء تطالبها الضرائر بالطلاق

وفي ذلك أيضاً يقول أبو الحسين ابن الجدد ، وأراه عرض بصاحب
ميورقة بعد خلع بني عبّاد :

ألا قلّ للذي يرجو منسماً بعيداً بين جنبك والفراش
أبو يعقوب من حدثت عنه فرش ستم* العداوة أوفرش
إذا نفّس القضاء جبال رضوى فكيف تراه يصنع^٦ بالفراش

ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود، المنتزي إلى وقتنا هذا على ثغر

١ د ط س : ودخل من المحالفة فيما .

٢ م ودوزي : تزدان ؛ ط د س : تزهي .

٣ ط د س : يقول بعض أهل العصر ؛ وأبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام سترد
ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٤ ط س : أبو الحسن ، وكذلك في المغرب ١ : ٣٤٠ ؛ وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثاني
من الذخيرة .

٥ ط د س : فرش منه .

٦ ط د هـ : يفعل .

سرقسطة ، بعساكر أمير المسلمين تُقبِلُ^١ من كُلِّ حَدَبٍ ، وتطلعُ على أطرافه من كلِّ مَرَقَبٍ ، أسَدَ كلباً من أكلبِ الجلالة يسمّى برذريق^٢ ويدعى بالكبيطور^٣ ، وكان عقلاً ، وداءً عَضالاً ، له في الجزيرة وقائع ، وعلى طوائفها بضروب المكروهِ اطلّاعاتٌ ومطالع ، وكان بنو هود قديماً هم الذين أخرجوه من الحمولِ ، مستظهرين به على بغيهم الطويل ، وسعيهم المدمومِ المخدول^٤ ، وسلطوه على أقطارِ الجزيرة يضعُ قَدَمَهُ على صَفَحَاتِ أنجادها ، ويركزُ علمه في أفلاذِ [٢٣ ب] أكبادِها ، حتى غَلَطَ أمرُهُ ، وعمَّ أفاصيحها وأدانيها شرُّهُ ، ورأى هذا منهم حين خاف وَهْيَ ملكه ، وأحسَّ بانثار سلكه ، أن يضعه بينه وبين سَرَعَانِ عساكرِ أمير المسلمين ، فوطأ له أكنافَ بلنسية وجبى إليه^٥ المال ، وأوطأ عَقِبَهُ الرجالَ ، فنزلَ بساحتها وقد اضطربَ حبلُها ، وتسربَّ أهلُها ، وذلك أنَّ الفقيه أبا أحمدَ بنِ جحّاف متولّي القضاء بها يومئذٍ لما رأى عساكرَ المرابطين — [أيدها الله] — تَرى ، وأحسَّ بهذا الطاغية — لعنه الله — من جهة أخرى ، امتطى صهوةَ العقوق ، وتمثل : « من فُرِص اللصِّ ضجّةُ السوقِ » ، وطمعَ في الرياسة بنخدعِ الفريقين ، وذَهِلَ^٦ عن قِصَّةِ

١ ط د س : تنسل .

٢ ط د س : بلذريق ، حيثما وقع .

٣ Rodrigo Diaz de Vivar وقد اشتهر باسم El Cid Campeador أي « السيد » ؛ وقد كتبت عنه دراسات متعددة منها بحث لدوزي في Recherches ج ٢ : ١ - ٢٨٣ وكتاب لرامون مَنَدَثُ بَدَال La Espana del Cid (مدريد ١٩٤٧ الطبعة الثانية) ولبروفنسال بحث عنه في Revue Historique (١٩٣٧) والدكتور حسين مؤنس بحث مستفيض عنه في مجلة الجمعية التاريخية المصرية (١٩٥١) ؛ وانظر Hist. Mus. de Valencia (ج ٢) .

٤ وسعيهم . . . المخدول : سقطت من ط د س . ه ط د س : قاصيها ودانيها .

٥ ط س د : له . ٦ ط د س : وذهب .

الغلب بين الوعلين ، فاستجاشَ لأوّل تلك الوهلة لمةً يسيرةً من دُعاةِ أميرِ المسلمين^١ فهجمَ بهم على ساحةِ^٢ ابن ذي النون الجلاء على حين غفلته^٣ ، وانفضاضٍ من جملته ، واستشراءٍ من علته ، حيثُ لم يكن له ناصرٌ إلا الشكوى ، ولا هادٍ إلا صدر العصاة^٤ ، فقتله^٥ — زعموا — بيد رجلٍ من بني الحديديّ طلباً بئذٍ حلّ عما كان هو قد قتَلَ مِنْ سَلَفِهِ ، وهدمَ من بيوتِ شرفِهِ — في خبرٍ سيأتي ذكره ، ويُشرَحُ بمشيئة الله في موضع^٦ من هذا الكتاب^٧ أمرُهُ — وفي قتله لابن ذي النون القادر ، يقولُ أبو عبد الرحمن بن طاهر :

أيها الأخيفُ^٨ مهلاً فلقد جئت عويصاً
اذ قتلتَ الملكَ يحيى وتقمّصتَ القميصاً
ربّ يومٍ فيه تُجزى^٩ لم تجدْ عنه محيصاً

ولما تمّ لأبي أحمد^{١٠} شأنُهُ ، واستقرَّ^{١١} به — على زعمه — سلطانهُ ،

١ ط د س : لمة يسيرة من الخيل .

٢ د : ناحية .

٣ ط د س : من غفلته .

٤ ط د س : القنا .

٥ ط د س : فقتلوه .

٦ ط د س : في القسم الرابع ؛ دوزي : موضعه . ٧ ط س د : المجموع .

٨ ط د س والخريدة : الاحنف ؛ والجاء غير منقوطة في ب ؛ والأخيف من كانت إحدى عينيه زرقاء والاخرى سوداء ، وانظر الحلة ٢ : ١٢٥ .

٩ س : تجزى .

١٠ ط د س : لابن جحاف .

١١ ب م : واستمر .

وقع في هيراش ، و تفرقت الطيباء على خراش ، ودُفِعَ إلى النظر في أمور سلطانية لم يتقدم قبلُ في غوامض حقائقها ، وإلى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهد باقتحام مضيقها ، ولا بالدخول في ضنك مآزقها ، ولم يعلم أن تدبير الأقاليم غير تلقين الخصوم ، وإن عَقِدَ ألوية البنود ، غير الترجيح بين العقود ، وانتخال الشهود ، وشغل بما كان محتججاً من بقية ذخائر ابن ذي النون وشيعته عن استجلاب الرجال^١ ، والنظر في شيء من الأعمال ، وانفضت عنه تلك الحملة اليسيرة [من الخيل] المرابطة التي كان تعلق بسببها ، وموّه على الناس بها ، لضيق المذاهب ، وغلبة ذلك العدو المصائب ، وقوي طمع رذريق في ملك بلنسية فلزمها ملازمة الغريم ، وتلدّذ بها [تلذّذ] العُشّاق بالرسوم ، ينتسف أفواتها ، ويقتل حماة ، ويسبق إليها كل أمنية^٢ ، ويطلع عليها من كل ثنية ، قرب ذروة [١٢٤] عز قد طالما تلدّبت الأمانى والنفوس دونها ، ويشت الإقمار والشموس من أن تكونها ، قد ورد ذلك الطاغية يومئذ معينها ، وأذلّ مصونها ؛ وربّ وجه كانت تُدميه الدرّ ، وتحسده الشمس والبدر^٣ ، ويتغاير عليه المرجان والدرّ ، قد أصبح درية لزجاجه ، ونعلاً لأقدام أراذل أعلاجه ، وبلغ الجهد بأهلها والامتحان ، أن أحلّوا مُحَرَّم الحيوان ، وأبو أحمد المذكور في أنشطة ما سهّل وسنّى ، شرقاً بعُقبى^٤ ما جرّ على نفسه وجفى ، يستصرخ أمير المسلمين على بُعد

١ وشغل . . . الرجال : سقط من ط د س .

٢ م ودوزي : ويسوق . . . منية .

٣ وتحسده . . . والبدر : سقط من ط د س .

٤ د س ط ودوزي : وشرك ما .

داره^١ ، وتراخي مَزَّارَه ، فتارةً يُسمِّعُهُ ويحرِّكه ، وتارةً ينقطعُ دونه ولا يُدْرِكُهُ ، وقد كان من أمير المسلمين بموضع ، ومن رأيه الجميل برأى ومسمع ، ولكن أبطأ به عن نصره تنائي الدار ، ونفوذ المقدار ، وإذا قدَّر الله أمراً فتح أبوابه^٢ ، ويسر أسبابه^٣ ، فتم للطاغية^٤ رذريق — [قصمه الله] — مرَّادُهُ الذمِّيمُ من دخول بلنسية سنة ثمان وثمانين^٥ على وجه من وجوه غدره ، وبعد إذعان من القاضي [ابن جحاف] المذكور أُلْجَأَ بسطوة^٦ كفره ، ودخوله طائعا في أمره^٧ ، على وسائل اتخذها ، وعهود ومواثيق — بزعمه — أخذها ، لم يمتد لها أمد^٨ ، ولا كثر لأيامها عِلاد ، وبقي معه مُدَيِّدَةً يضجرُّ من صحبتها ، ويلتمسُ السبيل إلى نكبتها ، حتى أمكنته^٩ — زعموا — بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذي النون ، كان رذريق لأوَّلِ دخوله^{١٠} قد سأله عنها ، واستحلفه بمحضِر جماعة من أهل الملتين على البراءة منها ، فأقسم بالله جهد إيمانه ، غافلاً عما في الغيب من بلائه وامتحانه ، وجعل رذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضره الطائفتين ، وأشهد عليه أعلام الملتين ، إن هو انتهى [بعد] إليها ، وعثر [عنده] عليها ، ليستحلن إخفار ذمِّه ، وسفك دمه ، فلم ينشب رذريق أن ظهر على الذخيرة المذكورة لديه ، لما كان قد قدَّر الله^{١١} من إجراء محنته على يديه ، ولعلَّها كانت منه حيلةً أدارها ،

١ د ط س : دياره .

٢ ط د س : للكتيبطور . ٣ انظر ص ٩١ ، الحاشية : ه .

٤ ط د س : المذكور لسطوة .

٥ ودخوله . . . أمره : سقط من ط د س .

٦ لاول دخوله : سقط من د ط س .

٧ دوزي : قد حم ؛ س ط د : حم .

وداهية من دواهيہ سدّاها وأنارها ، فأنحى على أمواله بالنّهاب ، وعليه وعلى أهله وولده بالعذاب^١ ، حتى بلغ جهده ، ويشس مما عنده ، فأضرم له ناراً أتلفت ذمّاءه ، وحرقت أشلاءه .

حدثني^٢ من رآه في ذلك المقام ، وقد حُفِرَ له حفيرٌ إلى رُفْعِيته ، وأضرمَتِ النارُ حواليه ، وهو يضمُّ ما بعدَ من الخطب بيديه^٣ ، ليكونَ أسرعَ لذهابه ، وأقصرَ لمدةِ عذابه ، كتبها الله له في صحيفة حسناته ، ومحا عنه بها سالفَ سيئاته ، وكفانا بعدُ أليمَ نَقَمَاتِهِ ، ويسرنا [٢٤ ب] إلى ما يُزْلَفُ إلى مرَضَاتِهِ^٤

وهم [الطاغية] يومئذٍ — لعنه الله — بتحريق زَوْجِهِ وبناتِهِ ، فكلّمه فيهنّ بعضُ طُغَاتِيهِ ، فبعدَ لآيٍ ما لفته عن رائه ، وتخلّصهنّ من يدي نكرائه ؛ وأضرمَ هذا المصابُ الحليلُ يومئذٍ أقطارَ الجزيرةِ ناراً ، وجلّلاً سائرَ طبقاتِها خزيّاً وعاراً ؛ وغلظَ أمرُ ذلكَ الطاغيةِ حتى قدَحَ التّهائم والنجود ، وأخافَ القريبَ والبعيدَ . حدثني من سمعه^٥ يقول ، وقد قوي طمعه ، ولجّ به جشعه : على رذريق فتحت هذه الجزيرة^٦ ، ورذريق يستنقدها — كلمةٌ ملأت الصدور ، وخيّلت وقوعَ المخوف والمحذور^٧ . وكان هذا البائقةُ وقتَه في دربِ شهامته ، واجتماعِ حزامته ، وتناهي

١ دوزي : بأنواع العذاب .

٢ ط د س : أخبرني .

٣ ب م : حواليه .

٤ وكفانا . . . مرَضَاتِهِ : سقط من ط د س .

٥ ط د س : قلدح .

٦ ط د س : بلغني أنه كان .

٧ ط د س : فتحت الأندلس .

٨ ط د س : وقوع المحذور .

صرامته ، آية من آيات ربّه^١ ، إلى أن رماه [الله] سريعاً بحتفه ، وأماته ببلنسية حتّفَ أنفه ؛ وكان — لعنه الله — منصور العَلَم ، مظفرّاً على طوائف العجم ، لقي زعماءهم^٢ مراراً كغرسية المنبوز بالقم المعوج ، ورأس الافرنج ، وابن رذمير^٣ ، فقلّ حدّ جنودهم ، وقتل بعدده اليسير كثير عديدهم ، وكان — زعموا — تُدرّس^٤ بين يديه الكتب ، وتقرأ عليه سير العرب ، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفّه الطرب ، وطفق يعجب منها ويتعجب .

وفي بلنسية [يومئذ] يقول أبو اسحاق ابن خفاجة^٥ :

عائت بساحتك العدا يا دارُ ومحا محاسنك البلى والنارُ
فإذا تردّد في جنبك ناظرٌ طال اعتبارُ فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يدُ الحدّثان في عرّصاتها « لا أنت أنت ولا الديارُ ديار »

وتجرّد أمير المسلمين — رحمه الله — لما بلغه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزم الشنيع ، فكانت قذى أجفانه ، وجماع شانه ، وشغل يده ولسانه ، يُسرّب إليها الرجال والأموال ، وينصب عليها الحبال والحبال ، والحرب هنالك سجال ، والحال بين العدو وبين عساكر أمير

١ ط د س : الله .

٢ مراراً . . . رذمير : سقط من ط د س .

٣ ط د س : وكانت تدرس .

٤ ديوان ابن خفاجة : ٣٥٤ وقد وردت الابيات في الروض المعطار (بلنسية) ونفع الطيب

٤ : ٤٥٥ .

٥ ب م : البلى .

٦ ط د س : عندما .

المسلمين في ذلك إقبالاً وإقبال ، حتى رَحَصَ عارها ، وغسل شئارها ، وكان آخرَ أمراءِ أجناده ، المجهّزين إليها في جماهر أعداده ، الأميرُ أبو محمد مَزْدَلِي^١ ، ظُبَّةُ حَسَامِيهِ ، وَسَيْلُكَ نُظَامِيهِ^٢ ، ففتحها^٣ الله عليه ، وأذِنَ في تَخَلُّصِهَا على يديه ، في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، كتبَ اللهُ^٤ منزلَهُ في عليّين ، وجزاه عن جِدِّهِ [٢٥ أ] وجهادِهِ أَفْضَلَ جزاءِ المحسنين .

وفي ذلك^٥ كتب أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى الوزير أبي عبد الملك ابن عبد العزيز [رقعة] يقول فيها : كتبتُ مُتَتَصِّفَ الشهر المبارك ، وقد وافى بدخولِ بلنسية — جبرها الله — الفتحُ ، بعد ما خامرها القُبْحُ ، فأضرمَ أكثرَها ناراً ، وتركها آيةً للسائلين واعتباراً ، وتغشاها سواداً ، كما لبست عليه حداداً ، فهي تنظرُ من طَرْفٍ خفيٍّ ، وتتنفّسُ عن قلبٍ يَقلِّبُ^٦ على جَمَرٍ ذكيٍّ ، غير أنه بقي لها جسمُها الأنعم^٧ ، وتُرَبُّها الأكرمُ ، الذي هو المسكُ الأذفرُ ، والذهبُ الأحمرُ ، وحدائقها الغلبُ ، ونهرها العذب ، وبسعدِ أمير المسلمين [وناصر الدين] وإقباله عليها ينجلي

١ هو مَزْدَلِي بن بُو يَلْنِكان (او سولنكان او ملنكان) ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رقد استولى على بلنسية سنة ٤٩٤ (انظر خبر استيلائه عليها في البيان المغرب ٤ : ٤٩) ثم ولي تلمسان سنة ٤٩٧ وفي سنة ٥٠٥ تولى على قرطبة وغرناطة والمرية ، وفي السنة التالية استدعي إلى مراکش فبرأ نفسه مما لحقه من تهم ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ (انظر صفحات متفرقة من ج ٤ من البيان المغرب) .

٢ والخال . . . نظامه : سقط من د ط س .

٣ د ط س : حتى فتحها .

٤ د ط س : كتبها الله له منزلة .

٥ ط د س : وفي ذلك التاريخ .

٦ ط د س : يتقلب .

٧ ط د س : الأعظم .

عنها ظلامها ، ويعودُ عليها حليها ونظامها ، وتروحُ في الحلال ، وتبرزُ^١ كالشمسِ في بيتِ الحمل . فالحمدُ لله مالكِ الملوكِ ، مطهرُها من الشركِ ، وفي عودِتيها إلى الإسلامِ عزٌّ وعزاء ، عما نَفَذَ به قدرٌ وقضاء .

وكتب أيضاً إثر ذلك إلى الوزير الفقيه^٢ ابن جحاف يعزيه باين عمه أبي أحمد المحرق المتقدم الذكر : مِثْلُكَ - وقالَ الله المحاذيرَ - في وفور الدين ، وصحة اليقين ، وسلامة الضمير ، وعَدَمِ النّظير ، وقوة الرّجحانِ ، ومعرفة الزمان ، أعطى الحوادثَ صبراً ، وردّها على أعقابها صُغْراً ، فلم يخضعَ لِمَصَوْلَتِها ، ولم يَحْفَلْ بِسَوْرَتِها ، ودرى أنها الأيامُ والغَيْرُ^٣ ، والحمامُ والقَدَرُ .

ودارتِ الخطوبُ - عصمك الله من إلامها ، وحماك من اخترامها - بمصرع الفقيه القاضي أبي أحمد ، [ابن] عمك ، عفا الله عنه ، ومهلكه ، وانحطاطه من فلكه ، فانقضّتْ لعمري نجومُ المجد بانقضاضه ، وبكتْ سماءُ الفضلِ على تداعيه وانقضاضيه ، فانه كان من جمالِ المذاهبِ ، والغوثِ عند النوائبِ ، بحيث يكونُ الغيثُ في قنْطِ المحلِ ، والحَلَبُ عند انقطاع الرّسلِ ، بعيداً عن القسوة ، صفوحاً عن الهفوة ، عطوفاً على الجيران ، عزيزاً على الإخوان ، يستهوي القلوبَ ببشره ، ويتملّك الأحرارَ ببره ، وإن الدنيا بعده لفي حداد ، لما قصدته به من داهية نَادٍ ، قائماً بأعبائها ، مبيراً لأعدائها ، فهي تبكيه بأربعةِ سجامٍ* ، وتندبه في

١ ط د س : وتوزر .

٢ ط د س : وكتب يومئذ إلى الفقيه . ٣ ط د س : والعبر .

٤ ط د س : لما أصيبت به يد زناد .

• ناظر إلى قول المتنبي :

كأن الصبح يطردها فتجري مدامها بأربعةِ سجام

كل مقام ، فما أسرع ما سلبته المنون ، وقد قرئت به منكم العيون ،
وطوقكم طوق الفخار ، وأناف بقدركم على الأقدار ؛ فانا لله وإنا إليه
راجعون ، على أليم المصاب ، وعند [٢٥ ب] الله نحتسب كريم الأصل
والنصاب ، وطوداً منيعاً ، وقرماً رفيعاً ، وقد تساوينا في الرزية ، فلنعدل^١
إلى التسلية ، فذلك أوفر ذخراً ، وأعظم أجراً .^٢

قال أبو الحسن ؛ وأبو عبد الرحمن أكثر إحساناً ، وأوضح خبراً
وعياناً ، من أن يحاط بأخباره ، أو يعبر عن جلالة مقداره ، وقد استوفيت
معظم كلامه في كتاب مفرد ترجمته بـ « سلك الجواهر في ترسيل ابن
طاهر » وهو اليوم ببلنسية سالم ينطق ، وحي يرزق^٣ ، وقد نيف على
الثمانين ، وما أحوجت سمعته إلى ترجمان^٤ ، بل هو حتى الآن يهب
الطروس^٥ من ألفاظه ما يفضح العقود الدرية ، وتوسع معه الليالي
البدرية ، وفيما أوردناه كفاية ، ومن الذي يمكنه النهاية^٦ .

ذو الوزارين أبو عامر ابن الفرج^٤

من بيته رياسة ، وعيرة نقاسة ، ما منهم إلا من تحدى بالإمارة ،
وتردّى بالوزارة ، فأومض في آفاق الدول ، ونهض بين الخيل والخول ؛ وأبو

١ ب م : فلنعد .

٢ من قول عوف بن مخلم الخزاعي :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمي الى ترجمان

٣ ط د : للطروس .

٤ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٠٣ والخلة السира ٢ : ١٧١ والمطمح : ١٥ - ١٦ ونفع الطيب

٥ : ٤٠٨ ، ٤٤٢ - ٤٤٣ ؛ وهذه الترجمة مطابقة لما في المطمح ، وقد نبه ابن سعيد الى

هذا التماثل بين الذخيرة والقلائد (وليست له ترجمة في القلائد ولعل ابن سعيد سها فذكر =

عامر هذا أحد أنجادهم ، ومتقلد مجادهم ، فاقهم أدباً ونُبلاً ، وباراهم
 كرمًا [تخاله] وبلاً ، إلا أنه بقي وذهبوا ، ولقي من الأيام ما رهبوا ، فعين
 تسكرها ، وشرب عكرها ، وجال في الآفاق ، واستدر أخلاف الأرزاق ،
 وأجال للرجاء قداحاً متواليات الاخفاق ، فانخمل قَدْرُهُ ، وتوالى عليه جَوْرُ
 الزمان وغدره ، فاندفت أخباره ، وعشت آثاره ، وقد أثبت له بعض ما قاله
 وحالُه قد أدبرت ، والخطوبُ إليه قد انبرت ، فمن ذلك :

الشمسُ أنتَ وقد أظلل طاوِعها فاطلعُ وبين يديكَ فجرٌ صادقُ
 وكان له ابنٌ مكبُودٌ قد أعيا علاجهُ ، وتبأ للفسادِ بذلك مزاجهُ ، فدُلَّ
 على خمرٍ قديمةٍ فلم يعلم بها إلا عند فتى وسيم ، فكتب إليه :

أرسلُ بها مثلَ ودِّكَ أرقُ من ماءِ خدِّكَ
 شقيقةَ النفسِ فانضح بها جوى ابني وعبدك
 وكتب معتذراً عن تخلفه عن مجاءه منبذراً :

ما تخلفتُ عنكَ إلا لعذرٍ ودليلي في ذاك حرصي عليكِ
 هبَّكَ أن الفراقَ عن غيرِ عذري أتراه يكونُ إلا إليك . [٢٦١]

فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى ابن لبون^١

أحد وزراء ابن ذي النون المعتزين في دولته ، المعدن لبأسه وصولته^٢ ، ولكنه
 ثار ، وخاض الهول المثار ، وخلص من الهلك ، واقتنص زافر الملك ، وكان

١ القلائد بدلا من المطمح ؛ ولم ترد هذه الترجمة في ط د س كما أن ابن بسام لم يذكر هذه الترجمة
 في الفهرست العام الذي وضعه في مقدمة كتابه ، مما قد يدل على أنها ترجمة دخيلة .
 ترجمته في المغرب ٢ : ٣٧٦ والحلة ٢ : ١٩٧ وأعمال الاعلام : ٢٠٩ ونفح الطيب
 ١ : ٦٧٢ وازهار الرياض ٣ : ١٢٠ والقلائد : ٩٩ والخريدة ٢ : ٣٣١ والمسالك ١١ :
 ٤٤٥ وفي هذه الترجمة مشابه كثيرة مما جاء في القلائد ، وبعض العبارات مشتركة نساً بين
 الكتّابين ؛ وأم ترد هذه الترجمة في ط د س ، ولم يذكرها ابن بسام في الفهرست العام الذي
 وضعه في مقدمة كتابه الخريدة .
 ٢ م : رتدته .

شهم الفؤاد ، معدوداً في الأجواد ، مفضلاً في الوزراء والقواد ، حصل بمربطراً
واقطعها ، وحلّ بها سيلك الرياسة ومطلعها ، وما خلج اسم الوزارة ، ولا تسوّغ
سواها ممن أمته وزاره ، فغدت به منزح الوافد ، وكانت عنده مشاهد ، ترف للمنى
أبكارها نواهد ، يراق بها نجيع الراح ، ويساق إليها ترجيع الأقداح ، والدنيا
تُسعيدُهُ ، وتنجز له ما تعدّه ، إلى أن لعب عليه ابن رزين وتخذّعه ، ولم يف
له بما أعطاه منها عوضاً وأقطعه ، فبقي ضاحياً ، وغدا جوّه من تلك العيدة
صاحياً .

وله نظمٌ نَظَّم فيه من المحاسن جُملاً ، وأعاد سامعها ثَملاً ، وقد أثبت
له ما يدلُّ على نفاسة سبكه ، وجودة حبه ، فمن ذلك ما قاله متوجماً
لخليط ظعن ، وأوغلّ في شعاب البُمدِ وأمعن :

سقى أرضاً نووها^٢ كلّ مِزْنٍ وسائرهم سرورٌ وارتياحٌ
فما ألوى بهم مللٌ ولكن صروف الدهر والقدر المتاح
سأبكي بعدهم حزنًا عليهم بدمعٍ في أعنته جماح

وكان بقصر مربطري في المجلس المشرف منها ، والبطحاء قد لبست زخرفها ،
ودبح الغمام مطرفها ، وفيها حدائق ترنو على مقل من جنسها^٣ ، وتبث طيب
نفسها ، والجلتار قد لبس أردية الدماء ، وراع أثناة الندماء ، فقال :

قم يا نديم أدر عليّ القرفة أو ما ترى [زهر] الرياض موفوا
والجلتار دماء قتلى معرك والياسمين حباب ماء قد طفا

وله :

لما الله قلبي كم يحن إليكم وقد بقم حظي وضاع لديكم

١ مرديار - حسب الإمالة الغالبة على لسان أهل الاندلس - ومرباطر (Murviedro)

٢ تقع إلى الشمال من بلنسية .

٣ كما في الأصل ، ولعل السواب : نووها .

٤ م : حسنهما ؛ القلائد : درجسها .

إذا نحن أنصفناكم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكم
وله وقد كتب إليه راشد بن سليمان بالتمويل ، وكان عهد اليه ألا يخاطبه إلا^١
بالتسويد :

ثَقَلَتْ رُوحِي أَيْمًا ثَقِيلٌ فِيمَا قَصَدْتَ لَهُ مِنَ التَّمْوِيلِ [٢٦ ب]
هَذَا عَلَى أَتْيِ عَهْدَتِكَ خِفَةً كَرَسُولٍ بِرُزْمٍ حُلٍّ عِنْدَ عَلِيلٍ
فراجعه :

لا والذي ولأكَ أَلْوِيَةَ النَّدَى وَحَبَاكَ مِنْ خَطَطِ الْعُلَا بِجَزِيلٍ
مَا حَدَثُ عَنْ سَنَنِ الْكِتَابَةِ عَامِدًا وَلَوْ اعْتَمَدْتُ فَعَلْتُ فَعْلَ نَبِيلٍ
لَكِنْ بَنَانِي أَنْكَرْتُ مَا عَوَّدْتُ فَتَبَرَّعْتُ بِكِتَابَةِ التَّمْوِيلِ
وَلَرَبُّ سُرٍّ كَامِنٍ عِنْدَ-أَمْرِي أَبْدَاهُ بَعْضُ مَقَالِهِ الْمَفْعُولِ ٢
لِلَّهِ رُقْعَتُكَ الَّتِي ضَمَّنْتَهَا مَعْنَى النُّهَى مِنْ لَفْظِكَ الْمَعْسُونِ
نَظْمٌ وَعَيْشِيكَ أَوْ غَدَا نُرَا لِمَا قَدَّرْتُهُ إِلَّا مِنْ التَّنْزِيلِ
وَافِي بِهِ مِنْ لَوْ أَمَنْتُ صُدُودَهُ عَنِّي غَمَرْتُ يَدِيهِ بِالتَّقْبِيلِ
وله يرثي ذا الوزارتين أبا محمد أخاه :

قُلْ لِيَصْرِفِ الزَّمَانُ كَمْ ذَا التَّنَاهِي فِي تَلَقِّيكَ لِي بِهِذِي الدَّوَاهِي
كَانَ فِي عَامِرٍ وَأَرْقَمَ مَا يَكُ فَمِي فَهَلَا أَبْقَيْتَ عَبْدَ الْإِلَهِ
فِيهِ قَدْ كُنْتُ بَعْدُ اسْتَدْفَعُ الْخَطَّ بَ وَأَسْطُو عَلَى الْعَدَا وَأَبَاهِي
أَيُّ شَمْسٍ وَافِي عَلَيْهَا أَفُولُ فَلَّ غَرَبَتِي عَزَائِمِي وَنَوَاهِي
وكتب إلى ابن اليسع :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُ يَا هَذَا عَشِيَّتِنَا وَالْمَزْنَ يُسْكِبُ أَحْيَانًا وَيُنْهَدِرُ
وَالْأَرْضُ مُصْفَرَّةٌ بِالْمَزَنِ كَاسِيَةً أَبْصَرْتُ تَبْشِيرًا عَلَيْهِ الدَّرُّ يَنْثَرُ

١ التمويل : قوله يا مولاي ، والتسويد : يا سيدي .

٢ القلائد : فعاله المجهول .

وله :

يا ربَّ ليلٍ شربنا فيه صافيةً حمراءَ في لونها تنفي التبايها
تري الفراشَ على الأكواسِ طائفةً كأنَّها أبصرتَ منها مصابيحاً

وله بعد زواله عن ملكه ، وأخذ سلطانه من سلكه ، يحنُّ إلى ليلائه السالفة ،
وظلال أنسيه الوارفة ١ :

يا ليت شعري وهل في لَيْتٍ من أَرْبٍ هيهات لا تُقْتَضَى ٢ من لَيْتِ آرابٍ
أين الشموسُ التي كانت تطالعنا والجوُّ من فوقه ليلٍ جلباب
وأيْنَ تلك الليالي إذ تلمُّ بنا ٣ فيها وقد نام حُرَّاسٌ وحجاب
تبدي إلينا بلحناً حشوهُ ذهبٌ أناملُ العاج والأطرافُ عُناب [٢٧أ]

وله وقد بات له الأمسى ملء الجوانح ، وعوضَ بالبارح من السانح :

خليلي عوجاً بي على مسقط الحمى ٤ اعلَّ رسومَ الدار لم تتغيرا
فاسألَ عن ليلٍ تولَّى بئانسنا وأندُبَ أياماً خلتْ ثم أعصرا ٥
لياليَ إذ كان الزمانُ مسالماً وإذ كان غُصنُ العيش مياساً أخضرا
وإذ كنت أسقى الراح من كف أغيدٍ يناولنيها رائحاً أو مُبَكِّرا
أعاققُ منه الفصنَ يهترُّ ناعماً وألثمُ منه البدرَ يطلعُ مقمرا
وقد ضربتُ أيدي الأمانِ قبابها علينا وكفَّ الدهرُ عناً وأقصرا
فما شئتُ من لحوٍ وما شئتُ من ددٍ ومن مبسمٍ يُجنيك علباً مؤشرا
وما شئتُ من عودٍ يغنيك مفصحا « سمالك شوقٌ بعدما كان أقصرا » ٧

١ ب : الوافرة .

٢ القلائد والخريدة : قنقضي .

٣ م : نهم بها .

٤ القلائد والخريدة : الأولى .

٥ القلائد والخريدة : أياماً تقضت وأعصرا .

٦ القلائد والخريدة : فينان .

٧ صدر بيت لامرئ القيس ، وعجره : وحلت سليمى بطن قو فعرعرا .

ولكنّها الدنيا تخادعُ أهلها
لقد أوردتني بعد ذلك كلّهُ
وكم كابدت نفسي لها من مُليمةٍ
خليلي ما بالي على صدق نبي
ووالله ما أدري لأيّ جريمةٍ
ولم أكُ في كسبِ المكارم عاجزاً
لئن ساءَ تمزيقُ الزمان لدولتي
وأيقظت من نوم الغرارة نائماً

تغرُّ بصفوي وهي تطوي تكذراً
وارد ما ألفت عنهن مصدراً
وكم بات طرفي من أساها مُسهّراً
أرى من زماني ونيةٍ [وتعدّراً]
تجنّس ولا عن أيّ ذنبٍ تغيراً
ولا كنتُ في نيتل أنيل مقصّراً
لقد ردّ عن جهلٍ كثيرٍ وبصراً
وكسّبت علماً بالزمان وبالورى

وله يأنف من المقام على ما رتب له من الإجراء ، ويكلف بالإدلاج والإسراء :

ذروني أجب شرق البلادِ وغربها
فلست ككلبِ السوء يُرضيه مريضٌ
وكنْتُ إذا [ما] بلدةٌ لي تنكّرتُ
وسُرتُ ولا ألوي على متعلّزٍ
كشمسٍ تبدّت للعيون بمشرقٍ

لأشفي نفسي أو أموتَ بلدائي
وعظم ولكنّي عُقابُ سماءٍ
شدتُ إلى أخرى مطيَّ إبانِي
وصممتُ لا أصني إلى النصحاء
صباحاً وفي غربٍ أصيل مساء [٢٧ ب]

وله في ذم الدنيا :

نفضتُ كفي عن الدنيا وقلتُ لها
من كيمسّر بيتي لي روضٌ ومن كتبي
أدري به ما جرى في الدهر من خيرٍ
وما مصابي سوى موتي ويدفني

إليك عني فما في الحقّ أغتبنُ
جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمنُ
فعنده الحقّ مسطورٌ ونجّترنُ
قومٌ وما لهم علمٌ يمسّن دفنوا

فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين المتلقب
من الألقاب السلطانية بحسام الدولة ؛ والإعلان بأولية أمره ، وإثبات قطعة
من متخير شعره ^١ .

قال أبو الحسن : كان [جدّ] ابن رزين الأول ^٢ من كبار الجند ،
وأعلام الوفد ، ومشهور ^٣ أهل الحلّ والعقد ؛ انطوى عنّي كيف كان
نجومهم ، وخفيّ عليّ من أين نشأت غيومهم ، ولم أظفر من ذلك إلا
بما حكاه أبو مروان ابن حيان من خبر جدّه هذيل بن رزين ، وقد أثبتّه
بنصّه ، وأثبت من حديثهم ^٤ بفصّه :

قال ابن حيان ^٥ : وأما أبو محمد هذيل بن خلف بن لب بن رزين
المعروف بابن الأصلع صاحب السهلة — مَوْسَطَة ما بين الثغر الأعلى والأدنى
بقرطبة — فإنه كان من أكابر برابر الثغر ، ورث ذلك عن سلفه ، ثم سما
لأول الفتنة إلى اقتطاع عمله ، والامارة لجماعته ، والتقيّل بخاره إسماعيل
ابن ذي النون في الشّروء عن سلطان قرطبة ، فاستوى له من ذلك ما
أراد هو وغيره من جميع من انتزى في الأطراف ، غرباً وشرقاً وقبلة

١ أبو مروان عبد الملك بن رزين (٤٣٦ - ٤٩٦) راجع ترجمته في القلائد : ٥١ (والخريدة

٢ : ٣٠٨) والمغرب ٢ : ٤٢٨ والمطرب : ٣٩ والبيان المغرب ٣ : ٣٠٩ وأعمال الاعلام :

٣٠٦ والحلة السراء ٢ : ١٠٨ والمسالك ١١ : ٤٤٦ وكتاب Jacinto Bosch Vila: Historia

de Albarracin y Su Sierra, Tomo II, (Teruel, 1959).

وهذه الترجمة تلتقي في كثير مع نص القلائد .

٢ م ب : كان ابن رزين من الاول .

٣ د ط : ومشهود .

٤ د ط س : حديثه .

٥ نقل ابن الأبار في الحلة بعض هذا النص .

وجوفاً ، إلا أن هذيلاً هذا مع تعززه على المخلوع هشام لم يخرج عن طاعته ، ولا وافق الحاجب منذراً ولا جماعة المتماثلين على هشام في شيء من شأن سليمان عدوه ، إلى ٢ أن ظفيرة بهشام ، فسلك هذيل مسلكهم ، فرضي منه سليمان بذلك [وعقد له على ما في يده هنالك ، لعجزه عنه ، فزاده ذلك بعداً منه] وتقرّس به الحاجب منذر بن يحيى مُدرجاً له في طي من استتبعه واشتمل عليه من أصاغير أمراء الثغر النازلين في ضبته ٣ ، فأبّت له نفسه البخوع له والانضمام إليه ، فردّ أمره وحادة ، وصار ضده ، وأجاره منعة معقّله وشجاعة رجاله . وظاهر أعداء منذر حتى حالف الموالي العامريين ، واستمرّ معهم على دعوة هشام المخلوع وقطع دعوة سليمان ، وكانت واقية [٢٨ أ] الله عليه كونه بسطة ٦ الثغر ، فصار ذلك أردّ الأشياء للبرابر ٧ [عنه] ، فسلم من معرفة الفتنة أكثر وقته ، وتخطته الحوادث لقوة سَعْدِهِ ، فتبَنَّى النعمة ٨ وصفا عيشه ، واقتصر مع ذلك على ضبط بلده الموسم بولاية والده ، وترك التجاوز لحدّه والامتداد إلى شيء من أعمال غيره ، فاستقام أمره ، وعمر بلده ، وأنظِرَ بعدَ جمهور الثوار بالأندلس شأواً بحياة ٩ . وليس في بلد

١ د ط س : جماعته .

٢ ب م : إلا .

٣ الضمين : الناحية والكثيف ؛ د ط س : ضمته .

٤ البخوع : المناصحة في الطاعة .

٥ م : حلف .

٦ ط د س : موسطة ؛ والسطة : الوسط .

٧ س : أردى . . . إلى البرابرة .

٨ ط د س : فثبتت نعمته ؛ وتبَنَّى النعمة : تمكن منها .

٩ ط د س : شأوه .

الثغر أخصب بقعة من سهلته هذه المنسوبة إلى بني رزين ، سلفه ، في اتصال عمارتها ، فكثرت ماله إذ ناغى جاره وشبهه في جمع المال لإسماعيل ابن ذي النون ، وناقسه في خلال البخل وفرط القسوة فبذره ، وكان مع ذلك شاباً جميل الوجه حمي الأنف غليظة العقاب جباراً مستكبراً [صار] إليه أمر والده منبت الفتنة ، وهو فتي كما اجتمع وجهه ، تبع العشرين من سنه ، فأنجده الصبا على الجهالة ، وقواه الشباب على المعصية ، فبعد في الشرود شأوه ، فلم يحالف أحداً من الأمراء على أداء إتابة ، ولا حظي أمراء الفتنة منه بسوى إقامة الدعوة فقط ، دون بذل درهم معونة ، أو إمداد بفارس نصرته ، أو مشاركة للجماعة في حلوة أو مرة ، على كثرة ما طرق الحضرة من خطوب دهم استخففت البطالة ، وقربت البعداء فضلاً عن الأولياء ، إلا ما كان من هذه الحية الصماء ، فانه لم يزل على تصاممه عن كل نداء ، إلى أن مضى بسبيله والدم حبيس عليه ، والأخبار شائعة عن جهله وفظاظته ، حتى زعموا أنه سطا بوالدته لتهمة لحقتها عنده ، فتولّى قتلها [زعموا] بيده ، وكان أشنع ما كان من كبائره .

قال أبو مروان ^٧ : وكان هذيل هذا بارع الجمال ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، ظاهر المروعة ، لم ير في الأمراء أبهى منه منظراً مع طلاقة

١ جباراً مستكبراً : سقط من ط د س .

٢ ط د س : الشذوذ .

٣ د ط س : دون معونة بدرهم ولا إمداد بفارس ولا شارك . . .

٤ والدم . . . عليه : سقط من ط د س .

٥ د ط س : متتابعة .

٦ وكان . . . كبائره : سقط من ط د س .

٧ انظر هذا النص في ملحقات البيان المغرب ٣ : ٣٠٨ .

لسانه ، وحسن توصّله بالكلام إلى حاجته دون معرفة . وكان مع ذلك أرفع الملوك همةً في اكتساب الآلات والكسوة ، وهو أوّل من بالغ الثمن بالأندلس في شراء القينات ، اشترى جارية أبي عبد الله المتطبب ابن الكتاني^١ ، بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء سؤمها ، فأعطاه فيها ثلاثة آلاف دينار فملكها ، وكانت واحدة القيان في وقتها ، لا نظير لها في معناها ، لم يُرَ أخف منها روحاً ، ولا أملح [٢٨ ب] حركة ، ولا ألين إشارة ، ولا أطيّب غناء ، ولا أجود كتابة ، ولا أملح خطأ ، ولا أبرع أدباً ، ولا أحضر شاهداً على سائر ما تحسنه وتدّعه ، مع السلامة من اللحن فيما تكتبه وتغنّيه ، إلى الشروع في علم صالح من الطب ينسبط بها القول في المدخل إلى علم الطبيعة وهيئة تشريح الأعضاء الباطنة وغير ذلك مما يقصّر عنه كثير من منتحلي الصناعة ، إلى حركة بدية في معالجة صناعة الثقاف والمجاولاة بالحجفة واللعب بالسيوف والأسنة والخناجر المرفهة ، وغير ذلك من أنواع اللعب المطربة ، لم يُسمع لها بنظير ولا مثيل ولا عديل . وابتاع إليها كثيراً من المحسنات المشهورات بالتجويد ، طلبهن بكلّ جهة ، فكانت ستارته في ذلك أرفع ستائر الملوك بالأندلس . وحدث عنه أنه اجتمع عنده مائة وخمسون حظيّة ، ومن الصقلب المجايب ستون وصيفاً لم تُجمّع عند أحد من نظرائه^٢ ، انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام : وأما ذو الرياستين فكان له طبع يدعو فيه فيجيبه ، ويرمي ثغرة الصواب عن قوسه فيصيبه ، على ازدراء كان منه بالأئمة ، وقلة استخذاء لمن عسى أن يأخذ عنه من الأئمة ، وربما خالسه الكلمة بين

١ د ط س : ابن الكتاني المتطبب .

٢ د ط س : لغلاء سؤمها ، بثلاثة . . . الخ .

٣ وحدثت . . . نظرائه : سقط من ط د س .

مغالطة وأنفة ، وعولَ في أكثر ما يقرأ^١ على تعاليقه وصحفه ، وكثيراً ما رأيتُ في شعره وشعر غيره ممن سلك هذا المسلك ، ببداء مُضِلَّةٌ لا تُسَلِّكُ ، وأغاليط لا تُستدركُ . وبالجملة فلو جرى ذو الرياستين على عقوه ، وعرف منتهى شأوه^٢ ، لكان شاعراً مجيداً ، ونائراً معدوداً ؛ وقد أخرجتُ من نظمه ونثره^٣ ما هو الشاهدُ على ما أدَّيتُ^٤ من ذكره .

نسخة رقيقة له خاطبَ بها ابن طاهر المذكور قال فيها^٥ : من عَرَفَ — أعزك الله — الأيامَ وصروفها ، وخَلَقَها وصنوفها ، وخبرها على مناقيلها ، في وجوه تداولها ، وحلَّ محلَّك من التمييز ، والسبق والتبريز ، لم تَزِدْهُ شِدَّتْها إلا مُعْتَبِراً ، وشكراً لله وتدبُّراً ، وما زلتُ — أعزك الله — القاك بالودِّ على البعد ، فأراك بتقدُّمِك في الأعيان ، وإن لم أرك بالعيان ، واستخبرُ الأخبار فأسمعُ ما يقرعُ صفاةَ الكبدِ منك بالحاء الزمان عليك ، وتنكره لك ، إلى أن وردَ عليَّ فلان صادراً عن ذلك الأفق ، فما قدَّمتُ على الاستفهام عن ذلك ، والاستعلام بحالك ، فذكر ما أزعج وكدر ارتماضاً لمثلِكَ أن يُعَوِّزَهُ مَرَامٌ ، أو يَنْبُوَ [٢٩ أ] به مقامٌ ، فجزَّدتُ عن ساعدِ الشفاعة عند فلان في صرْفٍ ما يُمكن من أملاكك ، فوقعَ

١ م ب : يقرأ عليه .

٢ د ط س : وقد اجريت من شعره .

٣ د ط س : اجريت .

٤ وردت هذه الرسالة في موضعها هنا في ب م ، ثم مكررة في آخر الترجمة مع اختلاف في النص على النحو التالي : « وله يخاطب ابن طاهر مستدعيّاً الى الكون معه [برسالة] تدل على انافته في الفخر دلالة النسيم على الزهر والنشاط على النهر : انت ادام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه ، عارف باغارته واستلابه ، ومن عرفه حق معرفته لم تزده شدته الا معتبراً... الخ » ؛ وهذا مطابق لما ورد في القلائد : ٥٤ .

٥ د ط س : وخلافها .

الاعتذار بأنه أمرٌ محظورٌ ، تقدّم فيه من أمير المسلمين^١ أمرٌ محذور ، وأشار إلى إجراء ما يلمّ بالاكْتفاء .

وفي فصل منها : وأنا أعرضُ عليك - أعزّكَ الله - ما هو الأوفقُ لي ، والأحقُّ بي ، عن عزيمةٍ مكينةٍ ، ورغبةٍ وكيدةٍ ، من التّقلُّ إلى جهتي ، والاختلاطِ بي وبلحمتي ، فأستوفي الحظَّ من مؤانستِكَ ، واستنفد الوسعَ في تَكْرِمَتِكَ ، وأقاسمُكَ خاصَّ ضياعي ، ومعلومَ أملاكِي [ورباعي] ، وإن شقَّ عليك الكونُ بجهتي - جهَتِكَ - لبردِ هوائِها ، وبُعدِ أنحائها ، فهذه شَنْتَمَرِيَّةٌ أَقْفُ طاعتها عليك ، وأصرفُ أمرها إليك ، وعندي من العَوْنِ على الارتحال ، ما يقتضيه لك رفيعُ الحال ، ولك الفضلُ في مراجعتي بما يستقرُّ عليه رأيُكَ ، ويأتي به إيجابُكَ ، مُكرِّمًا مواصلاً ، إن شاء الله .

فراجعه ابن طاهر برقعة قد كتبناها في رسائله^٢ [وبالله التوفيق] .

ومن شعر ذي الرياستين مما نقلته من خط ابنه ، قال :

أدْرِها مُدْماً كالغزالةِ مُزَّةً تلينُ لرائيها وتأبى على اللّمسِ
وتبدو إلى الأبصارِ دون تجسُّمٍ على أنها تخفى على الدهنِ والحسِّ
إذا شعِشِعتْ في الكاسِ خلت حبايبها لآلئاً قد رُفِعْنَ في لبّةِ الشمسِ
موكّلةٌ بالهمِّ تهزَمُ جيشُهُ بجيشِ الأمانِ والمسرّةِ والأنسِ
فإن شئتُ^٣ قُلْ فيها أرقُّ من الهوا وإن شئتُ قُلْ فيها أرقُّ من النفسِ

قال أبو الحسن : البيتان الأولان من هذه القطعة صُبْحُ بلا صَبوح ،

١ من أمير المسلمين : سقط من ط د س .

٢ انظر ص : ٤٨ في ما تقدّم .

٣ ط د س : قلت .

وَجَسَدٌ^١ بلا روح ، استأذن بهما على قول الحسن^٢ فما وصل ، ودندن
حول ذلك المقطع المستحسن فما تحصل له ولا حصل ، ومنحى الحسن
الذي انتحاه ، وميدانه^٣ الذي رامه بزعمه وتعاطاه ، قوله^٤ :

أَكَلَ^٣ الدهرُ ما تجسَّم منها وتبقى لِبَابِهَا المكنونا
فإذا ما لمستها فهباءٌ تمنعُ الكفَّ ما تبيحُ العيوننا
ولبعضهم في قريب منه^٥ :

وخمارة من بنات الملوك ترى الزقَّ في بيتها سائلا [٢٩ ب]
مَدَدْنَا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا
وبلغني أنه غني المعتمد بن عباد بهما فزاد فيهما هذا البيت :
وقلنا خذي جوهرأ ثابثاً فقالت : خذوا عرساً زائلا
وقال ابن المعتز :

لم يُبقِ منها ألبى [شيئاً] سوى شبحٍ بقية الشك بين الصدق والكذب
ولبعض أهل العصر في قريب من هذا الوصف ، وإن كان في ذكر
السيف :

تدبُّ المنايا الحمرُ من جنباته على جامدٍ في الكفِّ ، في العينِ ذائبٍ
وقال ابن رزين :

١ يعني أبا نواس الحسن بن هاني .

٢ ديوان أبي نواس : ٣٣٩ .

٣ الديوان : درس .

٤ الديوان : اجتليتها .

٥ نسبها في بدائع البداه : ١٥٨ لابن المعتز ، وذكر أنه يشغل ذلك عن اللخيرة .

يا ربَّ ليلٍ أطال الهجرُ لذَّتهُ فأياسَ العمرَ عن إدراكٍ مُنتصفه
 ليلٌ تطاولَ حتى قد تبينَ لي عند التأملِ أنَّ الدهرَ من سُدفه
 وله ^١ :

أنا مَلِكٌ تجمعتُ في خمسٍ كلُّها للأنامِ محيٍ مميتُ
 هيَ ذهنٌ وحكمةٌ ومضاءٌ وكلامٌ في وقتهِ وسكوتُ

وهذا البيت قلب معناه ، فيما أراه ، من قول الأول ، وأحسن ما شاء :
 وإن كلامَ المرءِ في غيرِ كنهه لكالنبلِ يهوي ليس فيه نصاله ^٢
 ومن غريبِ شعرِ ابنِ رزین قوله :

أخسيسٌ بمجلسٍ معشرٍ ما فيه إلا الطنزِ برُّ
 جلساؤه قسومٌ ^٣ ثِقَا لُ كُلهُمُ خُبْتُ وشرُّ
 مسا فيهِمُ إلا ذني أو غبي أو مضرُّ
 أسدٌ على ثلبِ الكرا مـ وإن وزنتهمُ فذرُّ
 هذا يغوثٌ بسل أضه لُ وذا يعوقُ وذاك نسرُّ
 ذاك المحلُّ كوادٍ عو في ليس يلقي فيه حرُّ ^٤

وهذا من طرقِ تلك الزيزاء التي تعسَّفها وحدَه ^٥ ، وبعضِ الشؤون
 التي عولَ فيها على ما عنده ؛ إذ هذا المثل يضرب للسيد المتيع الذي غلب

١ س : وقال يفخر .

٢ د ط س : تهوي ليس فيها نصالها .

٣ ط س : قدم .

٤ سقط البيت من د ط س .

٥ فيه إشارة الى المثل : « لا حر بوادي عوف » ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني

٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥ .

الناسَ على السيادة ، أو قسرهم على ما تعيّنَ منهم وأرادهُ^١ ، ولو أُلْمِعْتُ
في هذا الكتاب بشيء [٣٠ أ] من التفسير لاجتلبتُ كلَّ ما قيل فيه ،
ولنُثِرْتُ ما خفيَ على ذي الرياستين من مطاويه ، وقد ذكرت من ذلك
جملةً موفورة ، في كتاب : « سرّ الدخيرة » .

ما أخرجته من شعر ذي الرياستين في النسيب وما يناسبه

[قال] :

أنحى^٢ على جسمي النحولُ فلم يدعْ مُتَوَهِّمًا من رَسْمِهِ المعلومِ
عَبَّثْتُ به أيدي الضنا فكأنه سرٌّ خفيٌّ في ضميرِ كتومِ

وقال :

أقسمتُ بالوردِ الجنيِّ ورنتي ناي وعودِ
لأواصلنك بالرضى أو تأففنَّ من الصدودِ
ولأشربنك بالمنى ولألثمننك من بعيدِ
ولأرضيننك أن سخطت بدلتة الدنِّفِ العميدِ
ولأعطفننك بالخضو ع وبالقنوع وبالسجودِ
فبحقَّ ما في فيك من لعسٍ ومن ثغرٍ برودِ
أدمي يضييع وشاهدا خديك في عقد الشهود^٣

وقال^٤ :

١ د ط س : أو يقسرهم على ما يعين لهم من إرادة . ٢ س : أخنى .

٣ ب م : الشهيد .

٤ هذه القطعة ، والقطعة الفسادية التي سترد رابعة ، وردتا مكررتين في ب في آخر الترجمة .

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقٍ ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاقٍ
وتعضُّ تفاحَ النهودِ شفاهاً فلطالما شُرِّدَ بالأحداقِ^١
ويعيدُ أنفُسَنَا إلى أجسادِها^٢ فلطالما شَرَدَتْ على الآفاقِ

وقال :

تزهدني في الزهدِ عينٌ مريضةٌ يمرِّضني من لحظها ما أعلَّني
ولم تبقْ نفسي غيرَ عطفاٍ شادنٍ عساني أفديهِ بها ولعلني
شكوتُ إلى فيه الذي بي من الظما فأنهلي عَذْبَ الرُّضابِ وعَلَّني

وقال ٣ :

إذا زهدتني في الهوى خيفةُ الردى جلَّتْ لي عن وجدٍ يزهد [في الزهدِ]
فلا دمعَ ما لم يجر في إثره دمٌ ولا وجد ما لم يغنَ عن صفةِ الوجدِ

وقال :

برَّحَ السقمُ بي فليس صحيحاً من رأت عينُهُ عيوناً مراضا
ان للأعينِ المراضِ سهاماً صيرتْ أنفَسَ الورى أغراضا
جوهرُ الحسنِ منذَ أعرَضَ للقلدِ بِ ثنى الجسمِ كلُّه أغراضا

وقال :

يا مُقلَّةَ الظبي الغري رِ ووجنةَ القمرِ المنيرِ
ومصيبَ حباتِ القلو بِ بزاعبياتِ^٤ الفتورِ

١ د ط س والخريدة : تفاح الحدود ؛ د ط س والقلاند : وترى بنا الاحداق بالاحداق ؛
الخريدة : وترى سنا . . . الخ .

٢ د ط س : أجسامها . ٣ سقط البيتان من ط د س .

٤ الزاعبيات : رماح منسوبة الى زاعب ، رجل أو بلد . وقال المبرد : تنسب الى رجل من
الحزرج ، كان يعمل الاسنة .

تالله إن لم تتَّركْ
لأسرحنَّ^١ لواحظي
ولآكلنَّك^٢ بالمنى
عن ذا الجفاء وذا النفور
في ذلك الوردِ النصير
ولأشربنَّك^٣ بالضمير

وقال يفخر :

من كثر الجند رأى سَعْدَه
ومن أذلَّ المالَ عزَّت به
فأهدمُ بناءَ البخلِ وارفض به
لا عاش إلا جائعاً نائعاً
يصعدُ حتى ينتهى حدَه
أيامُه وانصرفتْ جُنْدَه
من هدَّم البخلُ بنى مجده
مَن عاش في أمواله وحده

وقال :

شأوتُ آلَ رزينٍ غيرِ محتفلٍ
قومٌ إذا سئلوا أغنوا ، وإن حربوا
جادوا فما يتعاطى جوداً أنعمهم^١
وما ارتقيتُ إلى العليا بلا سببٍ
فمن يرَّم جاهدأ إدراكَ منزلي
وهمُ على ما علمتمُ أفضلُ الأممِ
أفنوا ، وإن سوبقوا جازوا^٢ مدى الكرمِ
مدُّ البحارِ ولا هَطَّالةُ الديمِ
هيهات هل أحدٌ يسعى بلا^٣ قدمٍ
فليحكني في الندى والسيفِ والقلمِ

وقال^٤ :

وروضٍ كساهُ الطلُّ وشياً مجدداً
إذا صافحته الريحُ خلَّتْ غصونَه
إذا ما انسكابُ الماءِ عاينتْ خيلتَه
وإن سكنتُ عنه حسبتُ صفاءَه
فأضحى مقيماً للنفوسِ ومُقعداً
رواقصٍ في خُضرٍ من العُصْبِ ميّداً
وقد كسرتَه راحةُ الريحِ مِبْرِداً
حساماً صقيلاً صافيَ المتنِ جُرّداً

١ ط د س : يرى . ٢ ط د : حازوا . ٣ ط د س : على .
٤ انظر القلائد : ٥٢ والمغرب ٢ : ٤٢٨ .

وغيث به ورق الحمايم حولنا غنايم يُنْسِيكَ الغريصَ ومعبدا
فلا تحقرن الدهر ما دام مُسْعِداً ومُدَّةً إلى ما قد حباك به يدا
وتخذها مُداماً من غزالٍ كأنه إذا ما سعى بدرٌ تحمّلَ فرقدا

وهذا البيت الأخير معناه مشهور وهو كثير في أشعارهم ؛ ومنه قول
عنان جارية الناطفي ، وقد روي لأبي نواس :
وكانها والكاسُ فوق بنائها شمسٌ يمدُّ بها إليك هلالُ
وقال ابنُ الرومي :

قمرٌ يقبِّلُ عارضَ الشمس^١

وقال ذو الرياستين [٣١ أ] [من جملة أبيات] :

قد خرَجنا من ازدحامِ القنَمِ كشموسٍ خرَجْنَ تحتَ الغمامِ
وحصلنا في نزهتين وفي حبسٍ نين بين المياهِ والآكامِ
بين [روض] مُدَبَّجٍ وغصون تشنَّى كشارباتِ المدام^٢
غرَدت فوقنا البلابِلُ والورُ قُ فارَقني وهجنَ غرامي
ذاك طيرٌ - أطارَ قلبي شوقاً وحمامٌ مُغرَدٌ بحمام^٣

وكتب إليه أبو جعفر بن سعدون بهذه الأبيات :

[فدينك لا يسطيعك النظم والنثر فأنت مليك الأرض وانفصل الأمر]

١ هذا البيت . . . الشمس : ورد في ط د س في موضع هذه العبارة : « ومعاني هذه الابيات
وأكثر هذه التشبيهات قد نهت عليها فيما مضى من هذا التصنيف ، واندرج لها نظائر في
تضاميف هذا التأليف » .

٢ ب : كشاربات مدام ؛ د : كشارب من مدام ؛ س ط : كشارب مدام .

٣ د : بحامي . م ب : حمام .

٤ هذه الابيات : عبارة لم ترد في د ط س .

وقد جلبت ساعاتنا لهُو يومنا ١ وساعدَ سعدٌ منه لو ساعدَ السكرُ
وفضلكَ للجودِ المتتمِ ضامنٌ ٢ فمن عندهِ خمرٌ ومن عندنا شكر
فأجابه ذو الرياستين :

رغبتمُ وأرغبناكمُ وهي الخمرُ فما لم يكن سُكرانٍ فليكنِ السكرُ
إليكم فاني في الوغى والندى قتيٌّ هو البحرُ إن أعطى وإن صالَ فالدهرُ ٣

أخبر الوزير أبو عامر بن سنون أنه اصطحب يوماً والجو سماكِي العوارف ،
لازوردي المطارف ، والروض [أنيقة لبآتُهُ ٣] رفيقة هباته ، والنور مُبستل ،
والنسيمُ معتلٌ ، ومعه قومه ، وقد راقهم يومه ، وصلاته تصافح معتقبهم ،
ومبراته تشافيه موافهم ، والراحُ تشعشع ، و [ماء] الأمانِي ينشعُ ، فكتب
إلى ابن عمار وهو ضيفه :

ضمانٌ على الأيام أن أبلغَ المنى إذا كنتَ في ودِّي مُسرّاً ومعلنا
فلو تسألُ الأيامُ مَنْ هو مفرد بودّ ابنِ عمّارٍ لقلتُ لها : أنا
فإن حالتِ الأيامُ بيني وبينه فكيف يطيبُ العيشُ أو يحسنُ الغنى
فأجابه :

هصرت ليّ الأيامَ طيبةَ الجنى وسوّغتني الأحوالَ مُقبيلةَ المنى ٤
وألبستني النعما أغصنٌ من الندى وأجملَ من وشي الربيع وأحسننا
وكم ليلةٍ أحظيتني بحضورها فبتُ سميراً للسناءِ وللسنا
أعسلُ نفسي بالمكارم والعلا وأذني وكفّي بالغناءِ وبالغنى

١ ط د س : اللهو بيننا .

٢ الى هنا تنتهي الترجمة في د ط س ؛ وما جاء بعدها في م ب يتفق مع ما ورد في قلائد العشيان :

٥٢ وما بعدها ؛ وقد انفردت ب ايضاً بزيادات اشرت اليها فيما تقدم ، وهي تكرار ما سبق ذكره .

٣ زيادة من القلائد ؛ وفي م بياض .

٤ القلائد : الدنى .

سأقرن بالتمويل ذِكْرَكَ كُلِّمَا
لَا وَسَعَتَنِي قَوْلًا وَطَوَّلًا كِلَاهُمَا
وشرفني من قطعة الروضة التي
تروقُ بجيد الملك عقداً مُرَصَّعاً
فدمُ هكذا يا فارس الدَّسْتِ والوعى
تعاورت الأسماءُ غَيْرَكَ والكفى [٣١ ب]
يطوقُ أعناقاً وَيُخْرِسُ السُّنَا
تَنَازَرَتْ فِيهَا الطَّبِيعُ وَرَدَّ وَسُوسُنَا
وتزهى على عطفه وشياً معيَّناً
لتطعنَ طوراً بالكلام ٢ وبالقلنا

وكب إليه الوزير أبو جعفر بن سعدون وقد اصطبغ يوماً بحضورته والراذ
رش ، ولاربيع على [وجه] الأرض فترش ، وقد صقل الغمامُ الأزهارَ حتى
أذهبَ نَمَشُهَا ، وسقاها فأروى عطشها :

فدينك لا يَسْتَطِيعُكَ النِّظْمُ والنثرُ
مَرَيْنَا نَدَاكَ الْغَمْرُ فَأَنْهَلُ صَبِيحاً
وجاء الربيع الطلق يندى غضارةً
وما منهمُ إِلَّا إِلَيْكَ انْتِمَاؤُهُ
خلا منك دهرٌ قد مضى بعبوسه
« فبشرتُ آمالي بملكٍ هو الورى
فأنتَ ملكُ الأرض وانفصل الأمرُ
كما سكبتُ وطفاءُ أو فُتِقَ الْبَحْرُ ٣
فحيَّتَكَ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالرَّوْضُ وَالنَّهْرُ
جِيبِيكَ وَالْجُودُ الْمُتَمِّمُ وَالْبَشْرُ
فلما أَتَيْتَ أَيَّامَكَ ابْتَسَمَ الزَّهْرُ
ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هو الدهرُ »

فراجعه :

إِلَيْكَ فَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُنْظَمِ الدَّرُ
إِذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقْ فَصِيحٌ مُدْرَبٌ
لك السبق كم روضت من عاطل الربى
ولما مِلَكْتَ الْقَوْلَ قَهْرًا ٥ وَعِنُودًا
ولا التامَ في مدحٍ نظامٌ ولا نثرُ
ولا ساغ في سجعٍ غناءٌ ولا زورُ
وحللت من سحرٍ وقد عُدِمَ السَّحَرُ
أطاعك جيشُ النظمِ واثمرَ النثرُ

١ القلائد : الروض بالتي ؛ وفي م : الروض .

٢ القلائد : بالاقلام طورا .

٣ القلائد : العصر .

٤ القلائد : العصر .

٥ القلائد : قسراً .

فلا نفلَ إلاَّ ما تقولُ بايئةً ولا خمرَ ما لم تأتِ من فمك الخمر
ثم وجه فيه إلى روضة قد أرجت نفحاتها ، وتديجت ساحاتها ، وتجردت
جداولها كالبواتر ، ورمقت أزهارها بعيون فواتر ، فقال ذو الرياستين :
روض " كساه الظلّ البيت ١ [١٣٢]

وللكاتب أبي الحسن ابن سابق عندما وصل مريبطر عند تخطي أبي عيسى بن
لبون عنها ، وكان في جملة من انحرف عن ابن لبون ، وتشوّف إلى المستعين ،
وورد على غير عذب ولا معين ، فقال أبو الحسن ٢ :

من كان يطلبُ من أصحابنا صلةً على فراق أبي عيسى بن لبون
فليس يُقنِعي من بعده عيوضٌ ولو جُمِعتُ على أموالِ قارون
قد كان كثرني فكفَّ الدهرُ عنده يدي والدهرُ يمتنعُ بالنعيمِ إلى حين
كأنَّ قلبي إذا ذُكرتُ فُرفِرتُهُ مقلَّبٌ فوق أطرافِ السكاكين

فلما سمع قوله هذا ابن رزين قال :

هَبُّوا لَنَا حِظَّكُمْ مِنْ آلِ لَبَّونٍ كَمْ تَبْخُلُونَ عَلَيْنَا بِالرَّيَاحِينِ
لَا تَعْمَلُونَا فَحَقٌّ أَنْ نَنَافِسَكُمْ فِي أَكْرَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ ٣
ذَاكَ الْوَفِيُّ ٤ الَّذِي نَبَطَتْ تِمَامُهُ عِنْدَ الْفِطَامِ عَلَى حِلْمٍ ٥ ابْنِ سِيرِينَ
اخْتَارَنَا فَتَخَيَّرَانَا صَاحِبَنَا وَكَلَّنَا فِي أَخِيهِ غَيْرُ مَغْبُونٍ ٦
إِنْ كَانَ أَنْشَرَ ذِكْرِي فِي بِلَادِكُمْ لِأَنْشَرْنَا لَهُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ
وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ حَاطٍ بِحَظْوَتِهِ يَتَعَشَى ٦ الْحَسُودَ بِتَرْفِيعٍ وَتَمَكِينٍ

١ اورد هبنا سبعة أبيات سبق إيرادها ، وهذا تكرار يدل على أن هذه القطعة المزیدة دخيلة على « الذخيرة » وفيها اتباع واضح لما جاء في قلائد المعيان .

٢ انظر القلائد : ٥٤ .

٣ القلائد : للدنيا والدین .

٤ القلائد : الكريم .

٥ القلائد : حلم .

٦ القلائد : يشجي .

حتى تقولَ الليالي وهي صادقةٌ هذا السؤالُ في هذي السلاطين
وله ١ :

ربَّ صفراءَ تردَّتْ بشخوبٍ العاشقينا
مثلَ فِعْلٍ النارِ فيها تفعلُ الآجالُ فينا

وله يتشوقُ إلى خليط ودَّعه ، وأجرى بعده أدمعه ٢ :

دع الدمعَ يُفني العينَ ٣ ليلةً ودَّعوا إذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمعُ
سروا كاعتداء الطير ، لا الصبرُ بعدهم جميلٌ ، ولا طولُ الملامةُ ينفع
أضيقُ بحملِ الفادحاتِ ٥ من النوى وصدري من الأرضِ البسيطة أوسع
وإن كنتُ خلَّعَ العذارِ فلأنني لبستُ من العلياء ما ليس يُخلعُ [٣٢ ب]
إذا سلَّتِ الأحاطُ سيفاً تحشيتُهُ وفي الحربِ لا أخشى ولا أتوقعُ

وأخبر أبو عامر بن سنون ، أنه كان معه بمنية العيون ، في يومٍ مُطرز الأديم ،
[ومجلس] معزز النديم ، والأنسُ يغازلهم من كلِّ ثنية ، ويواصلهم بكلِّ
أمنية ، فسكروا أحدُ الحاضرين سكرًا مثلَ له ميدان الحرب ، وسهل عليه مستوعر
الطعن والضرب ، فقال :

نفسُ الدليلِ تعزُّ بالجرىال فيقاتلُ الأقرانَ دونَ قتالِ
كم من جبانٍ ذي افتخارٍ باطلٍ بالخميرِ تحسبهُ من الأبطالِ
كبشُ النديِّ تخمطاً وعرامةً وإذا تُشَبُّ الحربُ شاةُ نزالِ
وله :

برَّحَ السَّقَمُ [البيت] ٦

١ انظر القلائد : ٥٦ والمغرب ٢ : ٤٢٩ .

٢ القلائد : ٥٥ والمغرب ٢ : ٤٢٩ . ٣ القلائد : الحفن .

٤ القلائد : الندامة . ٥ القلائد : الحادثات .

٦ تكرر هذا البيت من قبل ؛ وقد ورد وحده في م وورد في ب مع بيتين آخرين .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري وسياقة فصول من توسيله ، تشهد لمن قال بتفضيله^١ .

كان أبو محمد قد حلّ من كتّاب الإقليم ، محلّ القمر من النجوم ، وتصرف في التأخير والتقديم ، تصرف الشفرة في الأديم ، وله ولأبيه قبله لواء سبق ، ولسان صدق ، وكفى بأبيه علماً لا يخفى ، ورحماً من العلم لا تحصى ، وتواليفه اليوم تيجان رؤوس^٢ العظماء ، وأسوة العلم والعلماء . ولما^٣ شأى أبو محمد بالأندلس الحلبة ، وتبجح صدر الرتبة ، تهادته الآفاق ، وامتدت إليه الاعناق ، ففاز به قيدح عباد بعد طول خصام ، والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط بين حباله وحباله ، وحلّ البلد النكد ، وركب يومئذ الأسد^٤ الرّد ، وعلى ذلك فكان غصّ أبو الوليد ابن زيدون بمقدّمه ، وجهد - زعموا - كلّ جهد في إراقة دمه ، ولهما في ذلك خبر سارت به الركبان ، وسمر تهادته السقار في جميع البلدان^٥ .

ولما رأى أبو محمد أنه قد باء بصفقة خسران ، وأن العشاء قد سقط به على سرحان^٥ ، أدار الحيلة ، وابتغى إلى الخلاص الوسيلة : زعموا

١ ترجمة أبي محمد بن عبد البر في القلائد : ١٨١ والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ ، (١٦٦) ، ٤٥٩) وبغية الملتبس رقم : ٩٦٥ والمغرب ٢ : ٤٠٢ والصلة : ٢٧٠ (وفيها أنه توفي سنة ٤٥٨ وهو مخالف لما ذكره ابن بسام) واعتاب الكتاب : ٢٢٠ والمسالك ٨ : ٢٤٦ .
٢ ب م : رؤساء .

٣ من هنا نقله ابن الأبار في اعتاب الكتاب : ٢٢١ مع إيجاز وحذف .
٤ ط د س : الركائب ، وسمر تهادته المشارق والمغرب ، وكذلك بهامش م .
٥ سقط العشاء به على سرحان : مثل ، وأصله أن رجلاً خرج يطلب العشاء فوقع على ذئب ، فأكله الذئب ؛ وقال ابن السكيت : هو سرحان بن معتب ، كان يحيى مكاناً ، فمر رجل من بني اسد فرعى فيه فقتله سرحان (فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ٢ : ٢٢١) .

أنه مذ دخل اشبيلية يومئذ لم يزل نافر النفس ، منقبض الأُنس ، فلما
استشعر الحذر ، وأحس بالتغيير ، ألقى عصا التسيار ، وأخذ في اقتناء
[٣٣ أ] الضياع والديار ، حتى ظن عباد أنه قد رضي جواره ، واستوطن
داره ، فاستنام اليه برسالة إلى بعض خلفائه من رؤساء الجزيرة وقتئذ ،
فجعل أبو محمد يتفادى منها ، ويتناقل عنها وهو يقول : لا أبا لك ، تمنعي
أشهى لك . ولما انسل من يد عباد انسلال الطيف ، ونجا واسأله^١ كيف^٢ ،
رجع إلى مُستقره من الشرق ؛ وأدار الحيلة على أبي عمر بن الحذاء
الحائن^٣ ، فعوضه بضياعه وعقاره ، وزين له اللحاق بدار بواره ، وسوء
قراره . وقد كان عباد قبل ذلك يعيده ويمنيه ، ويستدرجه ويدليه ،
فلما طلع عليه لم يزد على أن أسرّه وقصره ، وأظهر من الزهد فيه ، أضعاف
ما كان يعيده ويمنيه ، وجعل أبو محمد ابن عبد البر بعد ذلك ينتقل في
الدول ، كالبدري يترك منزلاً عن منزل ، وقد جمع التالد إلى الطارف ، وكتب
عندنا عن أكثر ملوك الطوائف ، وقد أخرجت من شواهد على الإحسان ،
ما يليق به بغرض هذا الديوان . وكانت وفاة أبي محمد سنة أربع وسبعين
وأربعمائة .

١ د ط س واعتاب الكتاب : وسله .

٢ ذكر ابن الأبار أن والده الفقيه أبا عمر ابن عبد البر سافر من شرق الأندلس إلى اشبيلية
لتخليص ابنه من يدي عباد ، فأطاعه له ، وانصرفا عنه محفوفين بالأكرام .

٣ ب م : أبي عمرو بن الجدي ؛ ولقطة « الحائن » لم ترد في ط د س ؛ وأبو عمر ابن الحذاء هو
أحمد بن محمد بن يحيى التميمي ، جلا عن قرطبة في الفتنة ثم عاد إليها فكان متصرفاً بينها
وبين اشبيلية إلى أن توفي سنة ٤٧٧ (الصلاة : ٦٥) .

٤ ط س د : والطارف . ه ط د س : يغي .

جملة ما أخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد وقد زفّ ابنته إلى ابن صمادح^١ :
 قد انتظمنا [أيّذك الله] انتظام السّلك ، وضرّحنا عن مشارب الحال
 الجامعة لنا قذاة كلّ شك وإفك^٢ ، وظهر الحقّ المبين من المين ، وتبين
 الصبح لذي عينين^٣ ، وأنفدت الهدية^٤ المقتضاة ، محفوفة بالحرم والمحارم ،
 مكنوفة بالكرائم ثم بالاعلام^٥ الأكارم ، وانا أسأل الله في متوجّهاها
 ومُنقلبها الرعاية الموصولة بك ، والكفاية المعهودة منك ، حتى يفني
 عليها ظلك ، ويبوّثها متوًى الحفاية^٦ محلّك ، ويحميها حوزك ومكانك ،
 ويؤويها عزك وسلطانك ، ثم حسبي عليها كرمك وكنّفك^٧ ، وخليفتي
 عليها برك ولطفك ، فهي الآن ملكك وانت الكريم المسجع ،
 وبضاعة متجري منك وأنت المربح المنجح ، فانك — والله يبيّك
 ويعليك ، ويشد قبضتك على [رقاب] أمانيك وأراجيك — ذخرك الأبد ،
 وعتاد الأهل والإخوان والولد ، وعندك ثمرة النفس وفلدة الكبد ،
 فارقته عن شدة ضنّانة ، وأسلمتها بعد طول صيانة ، وما زفّت إلا إلى
 كريم يحملها محمل الأمانة ، ويقضي فيها حقّ الديانة ، ويرعى لها انقطاعها

١ انظر المغرب ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٣ .

٢ ب م : افك وشك .

٣ من المثل : « قد بين الصبح لذي عينين » ، فصل المقال : ٦١ .

٤ الهدية والهدي : المروس ، وفي اللفظة تورية .

٥ د ط س : بالكرائم والاعلام .

٦ الحفاية والحفاوة بمعنى .

٧ ط د س : كنفيل .

عن أهلها ، واغترابها عن ملأها ومنشأها ، وهو حُكْمُ الله [٣٣ ب]
 الواجب ، وقَدَرَهُ الغالب ، وسُنَّتُهُ المشروعة ، ومشِيئَتُهُ المتبوعة .
 ولنا في رسول الله عليه السلام أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وفيما قاله في مثل هذه قُدُوةٌ
 يقتدى بها ، وسُنَّةٌ يحتذى عليها ، إذ تلا قوله تعالى ﴿ وهو الذي خلقَ مِنَ
 الماءِ بَشَرًا فجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (الفرقان : ٥٤) وقال عليه السلام :
 « انما فاطمةُ بضعةٌ مِنِّي ، فمن أكرمها فقد أكرمني ، ومن أهانها فقد أهانني »^١ .
 اللهم بارك لها وبارك عليها ^٢ .

ولأبي ^٣ محمد بن عبد البر ^٤ :

لا تكثرنَّ تأملاً واحبسْ عليكَ عنانَ طرفيكَ
 فاربما أرسلتتهُ فرماكَ في مَيْدانٍ حتفك

وكتب إلى بعض إخوانه ^٥ : مَن صَحِبَ الدهرَ - أعزَّكَ الله - وقع
 في أحكامِهِ ، وتصرفَ بين أقسامِهِ : من صحَّةٍ وسَقَمٍ ، ووجودٍ وعَدَمٍ ،
 وفتنةٍ وهَرَمٍ ، وبعادٍ واقترابٍ ، وانتزاعٍ واغترابٍ ، واتَّفَقَ لي ما
 قد علمتَ من الانزعاج والاضطراب ، والتغرُّب والإياب ، لا والله ما
 جرى من حركاتي شيءٌ على مُرادِي واعتقادي ، وإنما هيئاتُ الأقدارِ
 والآثارُ ، وعند ورودِي أُعْلِمْتُ بما أصابتك [به] صروفُ الأيام ، من

١ ورد في الصحيحين ، باب مناقب الصحابة ، ومسنَد أحمد ٤ : ٣٢٦ بلفظ مختلف .

٢ ب ط د س : لنا . . . علينا .

٣ من هذا الموضع حتى قواه : « فالمصاب جليل » لم يرد في د ط س ، واكثره متابع لقلائد العقيان :
 ١٨١ وما بعدها ، وقد فصل بين رسالتين في موضوع واحد هو زفاف ابنة مجاهد الى ابن
 صمداح ، وأغلب الظن أنه دخیل على أصل اللخيرة .

٤ البيهتان في القلائد وبغية الملتبس والخريدة ٢ : ١٣ ، ٤٧٨ والمغرب .

٥ انظر القلائد : ١٨١ . ب : م : وقتى ؛ م : وقتو .

الامتحان والاثلام ، فيعلمُ اللهُ لقد أَلَمْتُ لذلك نفسي ، وساءَ به أثرُ الزمانِ
عندي ، فقد جمعتنا حوادثُ الأيامِ وصروفها ، وقد اختلفتْ أنواعُها
وصنوفُها ، على أنَّ الذي أصابك أثقلُ عبثاً ، وأعظمُ رزماً ، واللهُ يعظمُ
أجرَكَ ، ويجزِلُ دُخْرَكَ ، ويجعلُ هذه الحوادثَ آخرَ حوادثك ، وأعظمَ
كوارثك ، حتى يستديمَ ما بعدها من سرِّاءِ سابعةٍ تُنْعِمُ بالكِ وخاطرك ،
وتُقِرُّ عينَكَ وناظرك ، ولا زلتَ من خطوبِ الدهرِ في جهةٍ من الكفايةِ
مكيمةٍ ، ودرعٍ من الحمايةِ حصينةٍ .

وكتب مهنئاً للمعتضد بأخذِ شِلْبٍ^١ : كتابي - أعزَّكَ الله - عن حالِ
قد أطلَّ جناحُها ، وآمالٍ قد أسفَرَ صباحها ، ويدٍ قد أورى^٢ زندُها ،
ونفسٍ قد انتَجِرَ وعدُها ؛ أعزَّزَ به من صنْعٍ جميلٍ صنْعَ الله لك بحصولِ قاعدةِ
شِلْبٍ وذواتِها في قبضتِكَ ، واستظلالِ ذلك الأفقِ بظلِّ طاعتك ،
وخروجِ صاحبها عنها من غيرِ عَقْدِ عاصمٍ ، ولا عهدٍ لازمٍ ، قد خاب
ظَنُّهُ في التماسكِ ، وأخلفه^٣ أَمَلُهُ في التهالُكِ ، فأَيَّ نعمةٍ ما أجَلَّها
وأجزَلها ! وأَيَّ منَّةٍ ما أتمَّها وأجملها ! على حينِ تضاعفِ حُسْنِ مَوَاقِعِها ،
وبان لطفُ محلِّها وموضعها ، ولاحت عنواناً في [٣٤ أ] صحيفةٍ مساعينا ،
وبرهاناً على تأتِّي أراجينا ، فالحمدُ لله على ما منَّ به وأحسنَ ، حمداً
يوافي الحقَّ ويقضيه ، ويحتوي على المزيدِ ويقترضيه ، وهو المسئولُ أن
يُتَّبِعَهُ بأشكاله ، ويشفعهُ بأمثاله ، فظهوري منوطٌ بظهورك ، وسروري
موصولٌ بسرورك ، واتصالُ حالي بأحوالك ، وحيلي بجبالك ، هناك اللهُ

١ القلائد : ١٨٢ والخريدة ٢ : ٤٧٩ .

٢ القلائد والخريدة : اشتد .

٣ ب م : وجمله ، والتصويب عن القلائد .

ولإياي ما خوّلك ، وقَرَنَ بالزيادةِ آلاءهُ قبلك .

وله يرثي بعضَ حظاياها :

بعضك بل كلّك في الرّمسِ لتفد يَنكِ النفسُ بالنفسِ
يا فجعةٌ ما مثلها فجعةٌ من ناظرٍ صار إلى رمس
غرسٌ نما حتى إذا ما استوى عدت يدُ الدهرِ على الغرس

وله :

قل في الحمام وما عساكَ تقولُ النفسُ تجمعُ والحمامُ يَصُولُ
يا أيها الملهوفُ كرباً لا تُفِقُ إن جلَّ صَبْرُكَ فالمصابُ جليل

وله من أخرى^١ : وقد توغلتُ معك في أسباب الألفة ، وهتكتُ
بيني وبينك ستارَ المراقبة والكلفة ، فأنا أستريحُ اليك بخفياتِ سرِّي ،
وأجلو عليك بنياتِ صدري ، خروجاً اليك عما عندي ، وجرياً معك
على ما يقتضيه إخلاصٌ ودِّي ، وجلاءً لشواغلِ بالي ، واستظهاراً بك
على حالي ، وشفاءً لغصص^٢ نفسي ، واستدعاءً لما شردَ ونفرَ من أنسي ،
كما يَنفِثُ المصدور ، ويتلقى بردَ النسيم المحرور^٣ ، وكما تفيضُ النفسُ
عند امتلائها ، وتجودُ العين طلباً للراحة بمائها أو دماؤها ؛ وكنتُ أشرتُ
في كتابي بتوجهه من توجّه من قبلي ، ممن كان رَوْحَ أنسي ، وريحانَ
خلدي^٤ ونفسي ، إلى أن قرّعَ ما قرّعَ من لوعةِ الفراق ، ولذعَ ما لذعَ
من رَوْعةِ الاشتياق ، وأنا أظنّ أن ذلك عاقبةُ الصبرِ تغلبُهُ ، والجلدِ

١ زاد في ط د س : في ذكرها ، يعني في ذكر اينة مجاهد وزفانها الى ابن صمادح ، انظر

ص : ١٢٧ . ٢ ط د س : لمضض .

٣ د ط س : المخمور .

٤ ط د س : نفسى . . . جذلي وأندي .

يَعْقُبُهُ ، وان انصرامَ الأيامِ يُنْسِيهِ وَيُذْهِبُهُ ، فإذا هو قد أَفْرَطَ
 وزاد ، وغلب أو كاد ، حتى نفى السُّلُو ، ومنع الهدوء ، وتعدَّى اللدغَ
 إلى الإحراق ، وتجاوزَ الرُّوعَ إلى الاطباق ، والأفقُ داجٍ مظلم ، والنهارُ
 عندي ليلٌ مستبهم ، وإني لأستخفُّ لما أجدهُ حلمي ، وأستضعفُ مما
 أكابدهُ عزمي ، واستنهضُ للثباتِ تأييدي وحزمي ، فبئزِعَ [٣٤ ب]
 بي الإشفاقُ المستولي ، ويترجمُ الزفيرُ المستعلي ، ويتصورُ لي أنَّ قطعةً
 مني ، بانَتْ منفصلةً عني ، وأن جزءاً من أجزائي ، ذهب بصبري وعزائي ،
 حتى إذا تفكرتُ في خروجها إليك ، وأنت من أنت ، تراجعتُ وتماسكت ،
 وإذا تذكرتُ تعريسيها بك ، وحالكَ حالكَ ، تصبرتُ^١ وتماكتُ ؛
 واللهُ يُطْلِعُنِي من سلامةِ الوصول ، وكرامةِ الحلول ، ما يُقِرُّ العينَ وَيَسِّرُ
 النفسَ ، بِمَنْهٍ وَيُثْمِنِهِ .

قال أبو الحسن : كناية أبي محمد عنها بـ « الهدية »^٢ ، كناية سرية^٣ ،
 وإنما احتذى في ذلك حَدَوَ بُلْغَاءِ المشرق — ذكر أبو منصور الثعالبي
 قال : لما زَفَّ بِخَيْتَارِ بنتهُ إلى أبي تغلب بالموصل كتب عنه الصابي فصلاً
 بمعناها استحسنته البلغاء وتحفظوه ، وأقرَّ له كلُّ بليغٍ بالبلغة فيه وهو :
 قد توجه أبو النجم بدرُ الحرمي ، وهو الأمينُ على ما يتلحظه ، الوفيُّ
 بما يحفظه ، يحملُ الهديةَ ، وإنما نُقِلَتْ من وطنٍ إلى وطن ، ومن
 معرَّسٍ إلى مُعَرَّسٍ ، ومن مأوى بئرٍ وانعطاف ، إلى مأوى كرمٍ والطف ،
 ومن منبت درت له نعاؤه ، إلى منشأ تجودٍ عليه سماؤه ؛ وهي بضعة^٤

١ ط س : تبهرت . ٢ انظر ما تقدم ص : ١٢٧ .

٣ ب م : برية .

٤ د ط س : احتذى حذو بلغاء المشرق ، كقول الصابي في فصل عن بختيار وقد زف ابنته
 الى ابني تغلب بالموصل : وقد توجه أبو النجم . . . الخ .

مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصّلتُ لديك ، وما بان عني من وصلتُ حبّله بحبلك ، وتخيرتُ له بارعَ فضلك .

ولما ألمّ الصابي في هذا أيضاً بفصل لابن ثوابة كتبه عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة أيضاً إليه ، يقول^١ فيه : وأما الوديعَةُ فهي بمنزلة من انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها وحياطةً لها ، ورعايةً لمواتك فيها .

فحكى أن الوزير عبيد الله بن خاقان انتقد الفصل على ابن ثوابة^٢ وقال له : ما أقبح ما تفاءلت لامرأة زُفّت إلى الملك بتسمية الوديعه ، والوديعَةُ مُسْتَرَدَّةٌ ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباها ابن طولون اليمين ، والشمال أمير المؤمنين ، ولو قلت على حال : وأما الهدية فقد حسّن موقعها منّا ، وجلّ خطرُها عندنا ، وهي وإن بعدت عنك ، بمنزلة من قُرب منك ، لتفقّدنا لها وسرورها بما وردت عليه ، واغتنابها بما صارت إليه ؛ فكتب الكتاب يومئذ على ذلك .

وكان في جملة من تحمّل قطر الندى يومئذ إلى المعتضد أبو عبد الله ابن^٣ [٣٥ أ] الجصاص^٣ ، وكان آية من آيات خالقه في الجهل والغباوة ، مع وفور الجاه وغلظ النعمة ، ونوادره في النوكى مأثورة مذكورة ، جدّث أبو اسحاق الماذراني قال : خرجنا إلى الشماسيّة مع الوزير عبيد الله بن سليمان نستقبل ابن الجصاص ، وقد وافى بغداد بقطر الندى ،

١ د ط س : وألم الصابي أيضاً في هذا الفصل لابن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون . . . قال .

٢ د ط س : فانتقد الوزير عبيد الله تلك اللفظة عليه . . . الخ .

٣ نوادره كثيرة في كتب الادب : كالبحائر لابن حيّان ونثر الدر للآبي وزهر الآداب وجمع الجواهر للحصري والمفوات للصابي ونشوار المحاضرة للتخوي وفوات الوفيات للكتّبي .

٤ د ط س : وغلّظ .

وبالمعتضد يومئذ علة^١ كبرت معها خصيتاه ، فلما سألناه عن أبي الجيش خمارويه وعن الحرّة قطير الندى قال : أما الأمير^٢ ففني عافية ، وأما العروسة^٣ فجتكم يزبد^٤ على ورق^٥ ، والله لا يضع^٦ الأمير^٧ فرد^٨ خصيتيه عليها إلا قتلها ، فأضحك من حضر .

ومن نوكه أنه دخل عليه بعض إخوانه فوجده يصلي وقد أطل السجود ، فقال له : ما هذه السجدة ؟ فقال : سألت ربي حاجة ، أن يمسخني يوم القيامة حوراء^٩ ويزوجني عمر بن الخطاب ، قال له : فكنت إذن تسأله أن يزوجك بالنبي عليه السلام ، قال : غششتني يا سيدي ، أردت أن تجعلني ضرة^{١٠} لعائشة !

ومن نوكه أنه كان عند الوزير ابن الفرات يوماً فذكروا^{١١} هزاراً جارية ابن المعتز^{١٢} وأنها تزوجت بغلامه سريعاً بعده ، فقال ابن الحصاص لابن الفرات : أعز الله الوزير ، لا تثقن^{١٣} بقعبة ولو كانت أمك ، فتبسم الوزير ، وانقلب المجلس ضحكاً .

وأجيب^{١٤} بختيار يومئذ على كتابه برقعة من لإنشاء أبي الفرج البغاء يقول^{١٥} في فصل منها : وأما أبو النجم بدر^{١٦} فقد أدّى الأمانة^{١٧} إلى محتملها ، وسلّم الذخيرة الحليلة إلى متقبلها ، فحلت^{١٨} محلّ العز في وطنها ، وأوت من حمى الأسود^{١٩} إلى مستقرها وسكنها ، منتقلة عن عطن الفضل والكمال ، إلى كتف السعادة والإقبال ، وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات

١ د ط س : ورقة .

٢ د ط س : الخليفة .

٣ د ط س : فتذكروا .

٤ د ط س : فتبسم ابن الفرات .

٥ د ط س : قال فيها : وقد أدى أبو النجم بدر الأمانة .

٦ ط س : فجاءت .

٧ ط س د : الأسد .

حقوقها ما عاق رغبتني عن الوصاة بها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ،
أم [كيف] يُحَصُّ القلبُ على حفظِ سروره .

[رجع] :

ولابن عبد البرّ عن المعتضد إلى أبي عمر أبيه [من] رقعة يقول^١ فيها :
إن كذا لم نتعارف تراثياً ، ولم نتلاقَ تدانياً ، ففَضُّكَ في كلِّ قطر
كالشاهد ، وشخصُكَ في كلِّ نفسٍ غير متباعدٍ ، فأنت واحدٌ عصرك ،
وقريعٌ دهرك ، علماً بيدك لواؤه ، وفضلاً إليك اعتزائه ، وكنتَ كذلك
والناسُ موفورون ، والشيوخُ [٣٥ ب] أحياء يرزقون ، فكيف وقد
دَرَسَ الأعلامُ والكُتُبُ^٢ ، وانتزعَ العلمُ بقبضِ العلماء فانقضى ،
والله يباركُ في عمرك ، ويعين كلاً على برك ؛ وإلى ذلك من مشهور حالك ،
فبيننا من وكيد الذمامِ السالفِ ، وشديدِ اتصالِ التالدِ والطارفِ ، وأنت
له جدُّ ذاكِ وبه حقٌّ عارفٌ ، ورعايةٌ مثلِ هذا منك تُقْتَبَسُ^٣ ،
ولديك تُلْتَمَسُ^٤ ؛ ولم تَزَلْ نفسي إليك جانحةً ، وعيني نحوك طامحة ،
انجذاباً إلى العلم ورغبةً فيه ، ومنافسةً في قضاءِ حقوقِ حامليه ، والناسُ
عندنا إلى ما عندك ظِماء ، ولدينا الداءُ وأنت الشفاء ، فاجعلْ بفضلِكَ
للغربِ منك نصيبَ الشرق ، فهو أولى بك وأحقُّ ، وعندي لك من
الإعظام والاكرام ما يُضاهي حالك ، ويُسامي آمالك ، وقد صار عندي
جزءٌ منك متحكماً^٥ فيه على المنصورِ — أيّده الله — وعليك ، وإرادتي^٦

١ د ط س : قال .

٢ الكدى : جمع كدية ، الارض المرتفعة ، والاعلام : الجبال ؛ يعني درس العلماء الاعلام
ومن يليهم في الشهرة والارتفاع . ٣ والله تبارك . . . تلتمس : سقط من ط د س .

٤ ب م : ونفسي . ٥ د ط س : جزء من اجزائك محكما .

٦ د : وإرادتي ؛ م : وإن اذنتني .

أن أجمعَ شملكما ، وأصلَ حبلكما .

وله عنه من أخرى إلى ابن هود : مَنْ اعتقدَكَ - [أعزَكَ الله] -
عماداً له وظهيراً ، وراك عتاداً وذخيراً ، طالعَكَ بحالِهِ وأمرِهِ ، وأطلعَكَ
على حلوهِ ومُرِّهِ ، وخرج إليك عن سِرِّهِ وجهرِهِ ، وناجاكَ بمختلجاتِ
صدره ، ومعتلجاتِ^١ فكره ، مستريحاً إلى النجوى ، بالغاً عُدْرَ^٢ نفسه
في الشكوى ، واثقاً بقضائكِ الفصل فيما يُورِدُهُ ، عالماً بحكمك العدلِ في
ما يعدُّه^٣ ، راضياً بانصافِكَ في ما يُقدِّرُهُ لديك ويُمَهِّدُهُ^٤ ، واللهُ
لا يُعَدِّمُنِي الاستظهارَ برأيِكَ أعشو إليه سراجاً ، وسعيكَ أحتدي عليه
منهاجاً ، وقد علمتَ صورةَ حالي مع المدبرين^٥ لقرطبة^٥ وصبري لهم
في الخطير والخليل ، وانجراري معهم الزمنَ الطويلَ ، مغضياً لهم على ما
يوحشُ وَيَرِيْبُ^٦ ، مُغْمِضاً لهم على بوادرٍ لا تزالُ تنوبُ وتنوبُ^٦ ، على
أنها جنایات قعدة^٧ ، لا نكایات مَرَدَّة^٧ ، وأن وسعهم^٨ لا يتعدى هذا
الحدَّ ، وطوقهم^٧ لا يتجاوزُ هذا الحدَّ .

وفي فصل منها : فلم تزلْ عقاربُ سعيهم إلى تدبُّ ، وريحُ جنایاتِ
بغيتهم عليَّ تهبُّ ، وأنا في كلِّ ذلك أقابلُ تخشينهم بالتليين ، وأتلقى
غليَّ مراجلهم بالتسكين ، أنغاضى عما يَرِدُنِي منهم مرةً ، وأغالطُ

١ م : ومختلجات .

٢ ب م : عند .

٣ م ب : تمده ؛ ط س : يقدره ؛ د : يقرره

٤ م ب ط : المدبرين .

٥ ط س د : بقرطبة .

٦ س : تنوب وتنوب .

٧ ب م : القعدة . . . المردة . ٨ ط د س : سعيهم .

نفسى فى التأويل تارة ، ولا أقارضهم عن شىء مما يطالبونى فىهم^١ مساترة ومجاهرة ، مع إمكان المقارضة سرّاً وعلانية ، طاعة منى لعواطف النفس ، فى الإبقاء على الجنس ، ما وجدت إلى الإبقاء سبيلاً ، وعليه^٢ معيناً ، [٣٦ أ] وكنت أرجو مع ذلك أن يثوب ثائب استبصار ، ويخطر خاطر إقلاع وإقصار ، فلا والله ما يزدادون إلا تمادياً فى الإضرار ؛ والعجب كل العجب أنهم يُماليثون على أعدائهم المناذرين ، وواتريهم^٣ المطالبين ، الذين صيروا ملأهم بدداً ، وعصاهم قيدداً ، واستباحوا دماءهم وأموالهم ، وغيروا آثارهم وأحوالهم ، وجاهدوهم جهاد الكفار ، وساموهم سوم أهل الذلّة والصغار ، فكففت عنهم غربتهم ، وشغلت عنهم بنفسي حربهم ، ولو أغمضت فىهم ، ولنت لواتريهم ومطاليهم ، لما كانت صدور مجالسهم ومجامع أنديتهم ، لأفراسيهم إلا مرابطاً ، ولا عاد أهلاً دارهم وعامر أفنييتهم لخيالهم إلا مسارح وبسائط ، فما ظنك ببصائر تقلب - فى طلب الثار ، ومنازدة العدا الفجار - الطبائع ، وتغلب - فى مهاجرة الخوارج المراق ، الروافض الفساق - الشرائع ، فاعجب لهذا الاعتزاء بالمخالفة ، والانتهاى فى المكاشفة .

وله عنه رقعة أقتضبها تخفيفاً للتطويل ، شرح فيها قتله لابنه إسماعيل . قال ابن بسام : وكان عبّاد قد ألحق يومئذ بابنه حاشية وأبلغ فى المثلة ،

١ د ط س : فيه .

٢ م : وعليه أكرن .

٣ ب م : واحربهم .

٤ ب م : الذمة .

٥ ط د س : فكففت .

وتجاوز بها إلى من نشأ في الحلية^١ ، وما حماها عنده من الظباء ثدي ناهد ، ولا شفقة الوالد^٢ . أخبرني^٣ من لا أزد^٤ خبره من وزراء اشبيلية قال : شهدنا مجلسه بعد ثلاثة ، من هذه الحادثة ، ووجهه قد اربد^٥ ، وود^٦ كل واحد [منهم] أنه لم يشهد^٧ ، ولم يزيدوه على السلام ، وأرتج عليهم الكلام ، فصوب فيهم وصعد ، وزأر كالأسد وقال : يا شامتين ، مالي أراكم ساكتين ، اخرجوا عني . فقام كل يجر ساقيه ، ولا يقدم أحد أن يطرّف بشفره^٨ إليه ، فلما صرنا بباب القصر ، دعا بنا فانصرفنا ، وأذن لنا في الجلوس فجلسنا ، ثم خرج أمره بأن يحضر الكاتب ابن عبد البر^٩ ، فدخل ، ومجلسه قد احتفل ، وقال له : اكتب إلى ابن أبي عامر ، وحلّل دم الخائن^{١٠} الغادر ، وكلاماً هذا معناه . وجاءه الغلام بجلد الرق والدواة ، والوزراء والخاصة جلوس^{١١} بذلك المقام ، وقالوا في أنفسهم : ما عسى أن يتّجه لابن عبد البر من كلام ، على هذه الحال ، لاسيما على الارتجال ؛ قال المحدث : فسوى الجلد ، وجعل يستمد^{١٢} ويكتب ، وعين المعتضد فيه تصعد وتصوب ، فلما فرغ منه أسمع ذلك إلى آخره ، وخرجوا عنه وهم يرون أن ابن عبد البر من آيات فاطره ، وكان [قد] قال في تلك الرقعة [بعد الصدر] :

١ م : يشاء في الحيلة ؛ ب : يشاء في الحلية .

٢ ط د س : من الظباء ، برد ماء ، ولا شقة لمياء ؛ ب و خ بهامش م : ثدي ناهد ولا شقة لمياء .

٣ نقله ابن عداري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ بصيغة الغائب ؛ وفي ط د س : أنهم دخلوا عليه بعد ثلاثة من تلك الحادثة الخ .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : بشفر عيون .

٦ ط د س : فلما صاروا نقل بانصرافهم الامر ، فرجعوا وجلسوا ثم امر ان يحضر .

٧ ب : الخائن

إذا تقوضي - أيديك الله - حق المشاركة ، وتعوطي^١ حق المساهمة بين إخوان الصفاء ، في [٣٦ ب] صغار الأبناء ، فأخلق بتقاضيه في العجائب العظم^٢ ، وتعاطيه عند النوائب الدهم^٣ ، وطرات علي^٤ [يا سيدي وأعلى عددي] من خطوب الأيام طارئة^٥ دهماء دهماء ، وفجأتني^٦ من ضروب^٧ الأقدار فاجئة^٨ عمياء صمماء ، ثارت إلي^٩ من مكمني ، وطلعت علي^{١٠} من مأمني ، وشرعت نحوي من قبل الجنة التي كنت أعدّها لأشباهاها ، وأديرها متفيتها بها من تلقائها وتجاهها ، إلا أن الله بصنعه الجميل الذي لا أنفك^{١١} أشكره^{١٢} وأحمده كفاني أولاً^{١٣} ثم شفاني آخرأ^{١٤} ، له الحمد دائماً ، والشكر وأصبا^{١٥} ، وشرح ذلك^{١٦} [أيديك الله] أن الغي العاق ، اللعين المشاق ، إسماعيل ابني بالولاد لا بالوداد ، ونجلي بالمناسب لا بالمذاهب ، كنت قد ملت بهواي إليه ، وقد ممتته^{١٧} على من هو أسن منه ، وحببت الشيء^{١٨} يعمي ويصم ، والهوى يطمس عين الرأي أو^{١٩} يلزم^{٢٠} ، فآثرته^{٢١} بأرفع الأسماء والأحوال^{٢٢} ، ووسعت عليه في خطيرات الذخائر والأموال ، وأخضعت له رقاب أكابر الجند ووجوه الرجال ، ودربته^{٢٣} في مباشرة الحروب ، وأجراته^{٢٤} على مقارعة الخطوب ، ولم يكن^{٢٥} فيما أحسبه أني

١ م : تعوطي . . . تقوضي .

٢ د ط س : العجم .

٣ د ط س : دهماء عمياء ، وفجأتني

٤ د ط س : صروف

٥ م : دائماً . . . لازماً .

٦ من هنا يبدأ النقل عند ابن عداري في البيان المغرب ٣ : ٢٤٥ .

٧ م ب : اذ ؛ والمعنى : أو يكاد ؛ وفي الحديث الشريف : « وان مما يثبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلزم » .

٨ زاد في البيان : وخصمته بما يهدي من القواعد والاعمال . ٩ م ب : أكن .

إنما أشحذ^١ على نفسي منه^٢ شفرة^٣ ، وأوقد [منه] بالتدريب والتخريج^٤ تحت حصني جمر^٥ ، وما كنتُ خصصتُهُ بالإيثار ، واستعملته في المكافحة والغيوار ، إلا لجزالة كنتُ أتوسمها فيه كانتُ عيني بها قويرة ، وشهامة كنتُ أتوهمها منه كانتُ نفسي بها مسرورة ، فإذا الجزالة جهالة ، والشهامة شيرة^٦ وكهامة^٧ ، وقد يُفتنُ الآباءُ بالأبناء ، وينطوي عنهم ما ينطون عليه من الأسواء^٨ ، مع أن الآراء قد تنشأ وتحدث ، والنفوس قد تطيب ثم تخبث^٩ ، لقرين يَصْلِحُ أو يُفْسِدُ ، وخليط يَغوي أو يُرْشِدُ ، وكما أن داء العرّ قد يُعدي ، كذلك قرينُ السوء قد يُردي ، ومن اتخذ الغاوي خديناً ، عاد غاوياً ظنيماً ، ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ (النساء: ٣٨) . وقد انطوى عن بعض الأنبياء عليهم السلام ما آل إليه [أمر] بعض بنيهم ، هذا والوحي يشافهم ويناجيهم ، فكيف بنا وإنما نقضي على نحو ما نسمع ، ونقطع على حسب ما نرى ونطلع ، وليس علينا ضمانُ العواقب ، ولا إلينا عِلْمُ حقائق المذاهب ، وهي الخواطر ، لا يعلمها إلا الفاطر ، والبواطن ، لا يحيط بها إلا الظاهر الباطن ، وقد يخبث طعمُ الماء مع الصفاء ، ويروق منظرُ الدمنة الخضراء ، ويدوي ثمر^{١٠} الدوحة الغناء ، في التربة الغضراء .

وفي فصل منها : ولما وثب هذا اللعين [٣٧ أ] الغيبين ، من المهد ، إلى سرير المجد ، ودرج من الأذرع ، إلى المحلّ الأرفع ، وراه استغنى ، وأثرى من زينة الدنيا ، أشتره ذلك وأبطره ، وأطغاه وأكفره ، وطلب

١ ط د س : من ابني .

٢ ط د س : بالتخريج والتدريب .

٣ س : الأهواء . ٤ م رب : ويخبث . ٥ ب م : يعد .

٦ م ب : وتردي ثمرة . ٧ د ط س : رفعة .

الازدياد ، وأحبّ الانفراد والاستبداد ، وقَيَّضَ^١ له قُرْناءً سوء أعدَوْهُ وأردَوْهُ ، وأُتيحَ له جُلُساءٌ مَكِرٌ أغرَوْهُ وأغوَوْهُ ، وأشعروهُ الاستيحاءَ والنَّفَارَ ، وزَيَّنوا له العقوقَ والفرار ، لينفردَ وينفردوا معه بالبلد ، ولا تكونَ على أيديهم [فيه]^٢ يدُ أحد ، فخرجَ ليلاً بأهله وولده خروجا [شنيعا] فتَنَقَّ فيه قصري ، وخرق به حجابَ ستري ، يؤمُّ الجزيرةَ الخضراءَ وما يليها ، لِيتملكها^٣ ويعيَّثَ فيها ، وكنتُ غائباً على مقربة ، فوردتُ وطيرتُ في الحينِ إلى الجهةِ مِن يَصْدُهُ عنها ، ويمنعُه منها [فسبقه الخبر ، وفاته الوطر ، وأوى إلى قلعةٍ ذي الوزارتين القائد أبي أيوب ابن أخي حصاد^٤ سيدي ، وأفضل عددي - سلمه الله - فوجَّهتُ إلى اللعينِ أعرصُ عليه قبولَ عذره ، وسرَّبتُ الخيلَ مع ذلك للاحاطةِ به وحَصْرِهِ ، حتى أُلْجَاهُ ذلك إلى التنصُّلِ والاعتذارِ ، وأجاءهُ إلى الإقالةِ والاستغفارِ ، فأقبلته وقبلته [وعفوتُ عنه ، وأغضيتُ على ما كان منه ، وصرفتهُ إلى جميعِ حالِهِ وماله^٥ ، ولم أؤدِّبهُ إلا بالإعراضِ والهجرانِ ، وإن كنتُ قد أُنْسِتهُ مع ذلك بمزيدِ الإنعامِ والإحسانِ ، فإذا به كالحية لا تُغني مداراتها ، والعقرب لا تُسالمُ شبائهُ ، وكأنَّه قد استصغَرَ ما أتى ، واحتقر^٦ ما جئني ، فردى ، وسدَّي ، ما صارت به الصُّغرى التي كانتِ العظمى ، فلم أشعرْ به إلا وقد أَلَفَ أوباشاً من خِساسِ صبيانِ العبيدِ الممتنِّهين في أدوْنِ وجوهِ التصريفِ ، إذ لم يطمَعِ اللعينُ أن يساعدهُ على هذه الفتكة^٧ ،

١ د ط س : وقرن . ٢ د ط س : فيها .

٣ د ط س : لِيتملكها ؛ البيان : لِيتمكن منها .

٤ بهامش س : أبي . ٥ ط د س : حماد .

٦ د ط س : وملكه ؛ وفي البيان : ورددت عليه جميع ماله .

٧ م : واستحقر .

٨ ب م : الشُّمة .

من فيه أدنى رَمَقٍ وأقلُّ مُسَكَّةً ، ثم سقاهاهم الخمرَ وسقى نفسه ليجتري ويجريهم ، ويحولَ بينهم وبين أدنى مَيِّزٍ لو كانَ فيهم ، وسلَّحهم بضروبٍ من الأسلحة المتصرِّفة في أماكن الضيقِ والسعة ، وطرقَ القصرَ في بضعَ عشرةَ منهم ، وتعلَّقَ معهم الأسوارَ والحيطانَ ، وتسنَّمَ بهم السقوفَ والحدردان ، يرومُ فيَّ القضيةَ العظمى ، والطامَّةَ الكبرى ، التي قامَ دونها دفاعُ الله تعالى ، فشعرتُ^١ [بالحركة] وخرجتُ ، فلما وَقَعْتُ [عينه و] أعينهم عليَّ تساقطوا هاربين ، وتطارحوا خائفين خائبين ، وإنما كان رجائهم أن يجدوني في غمرةِ الكرى ، أو على غفلةٍ من أن أسمعَ وأرى ، فقالت بحمدِ الله أراجيحهم ، وضلَّتْ أعمالُهُمْ ومَساعِيهم ، وأعجلتُهُمْ عواقبُ كفرهم^٢ وتعدَّيهم ، وخرقَ اللعينُ سورَ المدينةِ فاراً بنفسه [وأخرجتُ الحيلَ في أثره] فلحقَ غيرَ بعيد ، وسبقَ إليَّ في حال الأسير المصفود ، وكذلك سائرُ الجناةِ ، وباقي العُصاةِ^٣ ، أظفرَ الله بهم [ومكَّنَ منهم ، وأعثرَ على جميعهم ، فلم يفلتْ منهم أحدٌ] ، ولا فاتَ منهم بشرٌ . ولقد اتفق من صنع الله الجميل في من غَدَرَ وخترَ ، أن فرَّ اثنانِ منهم فتجاوزا وادي شوش من شرقي قرمونة ، وكنتُ قد أخرجتُ خيلاً للضرب على بلد باديس ، فخرجنا هنالك إلى أيدي تلك الحيل وهي منصرفة بما غنمتُ ولا علم لهما بما وقع فتفقوهما واستاقوهما ؛ وحصل في قبضتي جميع الصبيان من العبيد المذكورين [وأقمت حدودَ الله تعالى على الجميع منهم ، وأنفادتُ حُكْمَهُ العَدْلَ فيهم] والحمد لله كثيراً . فاعجبُ يا سيدي لأبناء الزمن ، وأنباء الفتن ، وانقلابِ عينِ الابن [٣٧ ب] المقربِ

١ ب م : فشعرت .

٢ د ط س : مكفرهم .

٣ د ط س : العصاة . . . الجناة .

المودود ، إلى حالِ الواترِ الحسود ، والثائرِ الحقود ، واعتبر في ورود المسألة من مَوَطينِ المسرة ، وطلوعِ المحنة من أفقِ المنحة [وانعكاس بعض الهبات خبالاً ، والأعطيات وبالاً] . وقد أربت هذه الحال على كلِّ مَنْ جرى له أو عليه من الآباء والبنين ، عقوقٌ من السِّلَفِ المتقدمين ، فلم يكن أكثرُ ما وجدناه من ذلك في الأخبار والآثار إلا استيعاشاً وشروداً ، ونبواً وندوداً ، إلا ما شذَّ لأحدٍ ملوكِ الفرسِ وآخر من [ملوك] بني العباس . وَجَمَعَ هذا اللعينُ في إرادَتِهِ ومحاولته بين الشاذِّ النادر ، والمنكر الدائر ، وزاد إلى استباحة الدِّمِّ ، التعرضَ لإباحةِ الحُرِّمِ ، وإلى ما رام من إتلافِ المُهتجاتِ ، التسامح فيما كان يجري على العوراتِ المصوناتِ ، [ولولا دفاعُ الله تعالى لامتدت أيدي السِّفَالِ فضلاً عن أعينهم ، واتَّسع خَرَقٌ لا قوةَ على رتقه معهم ، وقد قيل :

هو الشيء : مولى المرء قرن مباين له وابنه فيه عدوُّ مقاتلُ] .

وهو زمانُ فتنةٍ ، وشمولُ إحْنةٍ ودمنةٍ ٢ ، والناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بأبائهم ، وأصدقُ من هذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن : ١٤) .

[وقد استجلبتُ من الغربِ ابني محمداً ، ملتزماً شُكْرِكَ ، ومعظمَ قَدْرِكَ ، - وفَّقَه الله - لأقْعِدَهُ مَقْعِدَهُ ، وأسدَّ به مَسَدَهُ ، وأرجو أن يكونَ أوطأ أكثافاً وجوانبَ ، وأجملَ آراء ومذاهب ، وأحمدَ أخلاقاً وضرائبَ ، واللهُ أسألُ الخيرَ في ما آتَى وأذَرُ ، وأقدمُ وأؤخِّرُ] . نفثُ - يا سيدي - نفثةَ مصدور ، وأطلتُ في الشَّرْحِ والتفسير ، خروجاً

١ د ط س : لواحد من ملوك .

٢ د ط س : وشمول محنة .

إليك عن هذا الخطب الخطير ، والملم الكبير ، وهو خير فيه معتبر ،
 [وقلت : ما له ظهور وظفر ، والله يتم النعمى ، ويُجَمِّلُ العقبى ،
 ويوزعُ الشكرَ على ما أولاه بمنه ، وإياهُ أسألُ أن يجعلك في حيز الكفاية ،
 وجانب الوقاية ، حتى لا تساء بقريب مأمون ، ولا بعيد مظنون ، بمنه
 وطوله ، إن شاء الله] .

إيجاز الخبر عن هذه الأحدوثة بلفظ ابن حيان^١

قال أبو مروان : وفي سنة أربعمائة وخمسين تواتر الإرجافُ بقرطبة
 أن عباداً دبّرَ النزولَ بزهرائها المعطّلة بأسفلها ، التي منها أبداً كان يُصابُ

١ يختلف النص في د ط س في خبر هذه الحادثة ولذلك اثبتته هنا : « وفي سنة خمس [كذا] تواتر
 الارجاف بقرطبة ان عباداً دبّر النزول بزهرائها المعطلة التي منها أبداً كان باب مقتلها ،
 وسبق الخبر بأنه قد أنهض نحوها ابنه اسماعيل وهو كالنار [في] أحجارها مستكنة ، ولا
 يشك انه ارسل منه على قرطبة شواظ نار لا يذر منها باقية ، فنفس الله مخنقها بما نقص تدبيره
 وقت حزمه فأقصر صاعراً ، وكان من قدر الله تعالى ان كره هذا الفتى ما حمله عليه والده
 من ذلك وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنّة ، جسرتة على معصية ابيه ، والصرف من
 طريقه إذ عظم عليه امر الهجوم على مثل قرطبة مع قرب حليفهم باديس بن حبوس الذي
 لم يشك في اسراعه اليه فيقع بين الحيين يصفغانه ، وانه عرض ذلك على ابيه فاستجيبته واغلظ
 وعيده وكاد يسطو به ، فأوحشه ذلك ، ودبر الفرار عنه مع خويصة له أغوتة ، فأصاب
 فرصة بمغيب والده عن حضرته الى مكان متنزهه بحصن الزاهر ، فاقتحم قصره ، وعلق
 ببعض ذخائره ، واحتلمها مع امه وحرمة ، واستكثر مما غله من المال والمتاع ، ومضى
 لوقتة مبادراً طريق الجزيرة الخضراء فظفر به ، وصرف بعد أن اضطره الى ابن ابي حماد بقلعته
 مستجيراً به فأجاره بأسفل تلمته ولم يصعده اليها استظهاراً على مكيدة قدرها من ابيه ،
 وبادر بالكتاب اليه انه حصل لديه ، فسر المعتضد بذلك ، وخاف ان يلحق ببعض اعدائه
 هنالك ، فأب اسماعيل ودخل اشبيلية ليلاً ونكب به عن القصر ، وصرف على ابيه جميع ما =

مقتلها ، وسبق الخبر بأنه قد أنهض نحوها ولده إسماعيل المتسمي بالمنصور خليفته وولي عهده ، وهو النار في أحجارها مستكنة ، ولا يشك أنه أرسل منه على قرطبة شواطئ نار لا يدر منها باقية ، فنفس الله مُحَنَّق أهلها بما نقض تديره وثى عزمه ، فأقصر صاغراً . فجرى من قَدَر الله الذي لا يُغالب أن كره هذا الفتي ما حمله عليه والده من ذلك ، وهاج منه حقوداً كانت له بنفسه كامنة ، جسسته على معصية أبيه ، وانصرف من طريقه لأمرٍ اختلِف فيه ، فقيل إنه استوحش منه لمكروه كان أحلَّ به أبوه بين يدي إخراجهِ إلى عُدوة قرطبة لما قَدَرَ الله من حفته ، وقيل بل عظم عليه أمرُ الهجوم على مثل قرطبة لقيلة من معه

== كان تحمله من ماله ، حتى أن زاملة من زوامله فصرت عنه عند جده في السير ، وغادرها في الصحراء رازحة ، فرقت إلى بعض فرسان والده فقبض عليها وصرفت بحملتها لم يقطع لها حبل ، فزعموا أن وقرها كان مالا صامتاً وذخائر . فآظف الله عبداً بولده ليبلوه فيما آتاه من ذلك فأثر الشفاء على المغفرة ، إلا أنه لحقته هذه الحادثة ، لطروها من مأمنه ، وفساده لاكرم أعضائه عليه ، خشمة فتت عزمه في اذاة قرطبة والجمعاج بأهلها ، فتنفس مخذلقهم قليلا ، وكفت الغارات عنهم وقتاً ، وسارع سمرهم إلى الانحطاط . وكان الذي دبر له هربه عن أبيه وزيره وصاحبه أبو عبد الله البزلياني المهاجر اليه من وطنه مالقة . وكان إسماعيل قد رمى إلى هذا الكهل مقاليد وفوض إلى رأيه ، فلم يبارك له فيه ، وشكا اليه بعض ما يناله من فظاظة أبيه ورميه المتألف به ، فحسن عنده العقوق له والذهاب عنه إلى بعض أطراف أعماله ليتغير عليه وينفرد بنفسه ، وكان خرج معه وزيره هذا البزلياني ، فلما صرفوا من قلعة الحصادي — حسبما تقدم — عجل عباد ضرب عنق البزلياني مع نفر من نخول ابنه ، واعتقله ، فلدبر من مكان اعتقاله الهجوم على أبيه ، وساعده الموكلون به ، فظفر بهم واتي عليهم ، وطمس اثر ولده وقطع دابره ، فكان لم يكن قط اميرا ، ولا انفذ حكماً ، ولا قاد جيشاً . وما ابن عباد ببذع فيما آتاه في هذا ، فقد يضطر الماوك مع ذوي ارحامهم السامين إلى نيل منازلهم من مستجري عليهم إلى ما يحملهم على انتهاك ذلك حباً للحياة الدنيا ، على أن العفو كان اقرب للثقوى ، مع أن اسباب الملك الاضطرابية لا تحتمل الاستقصاء ولا تعرض للتمحيص ، قرن الله بأعمالهم الصلاح ، وجنبهم عنه الجناح (ط د س : النجاح) .

من جيشه، وحذره لئلا يزوله ما بينهم وبين حليفهم باديس بن حبوس الذي لم يشك في إسراره إليه فيقع بين لحيين يمضغانه ، وأنه عرض ذلك على أبيه فاستجبه وأغلظ وعيده ، وكاد يسطو به ، وألزمه المسير لسبيله ، وأوعده القتل على التواني عنه ، فأوحشه [٣٨ أ] ذلك ، ودبر الفرار عنه مع خويفة له أغوته ، فمشى من اشيلية نحو مرحلتين ، ثم أظهر لأصحابه أن كتاباً سقط عليه من عند والده يستصرفه فيه لأمر أراد مشافهته فيه ، فرجع إلى اشيلية ، وأصاب فرصته بما قدر بمغيب والده عن حضرته إلى مكان متنزّهه بحصن الزاهر ، فافتحم قصره ، وعلق ببعض ذخائره واحتملها ، وأخذ أمه وحرمة ، واستكثر مما غلّه من المال والمتاع ، يخال أن ينجو ، واحتمل كل ذلك على الدواب ، وطلبها في الليل ممن يعهد لها عنده ، ومضى لوقته مدابراً طريق الجزيرة الخضراء ، ثغر أعمال والده بالساحل ، مقدراً دخولها والانتزاع بها عليه ، فصار ارتبأكه في تباطؤه الداعي إلى لحاقه وعوقه عن طريقه ، واختلفت الحكايات في قصته هذه وسبيل مهره ، وظفر والده به وانصرافه إلى يده ، مما يطول القول فيه ، بعد أن وقف في طريقه بعض حصون أبيه ، فغلّقها قوادّه في وجهه ، وخاف اجتماعهم للقبض عليه ، فاضطّر إلى ابن أبي حصاد بقلعته طرف كورة شدونة ، مستجيراً به ، فأجاره — زعموا — بأسفل قلعته لم يصعده إليها استظهاراً على مكيدة قدرها من أبيه ، بعد أن نزل إليه واستقبله برجاله ، مشيراً إليه بمراجعة أبيه ، ورفع الخرق عليه بالإجابة إلى طاعته ، ضامناً له استجلاب عفوه ، فلم يمكنه العدول عنه لقلّة من معه ، وأجابته ، فأنزلهم عنده منزل تكريم ، وبادر الكتاب إلى عبّاد بحصوله بيده ، ووصف له ندمته ، وتشفّع له ، فسّر عبّاد بذلك ، وكان شديد الخوف أن يلحق بأعدائه هنالك ، وأجاب هذا الحصادي

وشَفَّعَهُ ، فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى أَبِيهِ ، وَدَخَلَ إِشْبِيلِيَّةَ لَيْلًا ، وَنَكَّبَ [بِهِ] عَنْ قَصْرِهِ إِلَى بَعْضِ دُورِهِ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ، وَمَنْعَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَصَرَفَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِ جَمِيعٍ مَا كَانَ احْتِمَلُهُ لِإِسْمَاعِيلُ ابْنَهُ مِنْ مَالِهِ وَذَخَائِرِهِ لَمْ يُحْرَمَ مِنْهُ شَيْءٌ ، حَتَّى إِنْ زَامَلَهُ مِنْ زَوَامِلِهِ قَصَّصَتْ عَنْهُ عِنْدَ جِدِّهِ فِي السَّيْرِ وَغَادَرَهَا فِي الصَّحَرَاءِ رَازِحَةً ، فَوَقَعَتْ إِلَى بَعْضِ فُرْسَانِ وَالِدِهِ الَّذِينَ سَرَّحَهُمْ لِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهَا وَصُرِفَتْ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بِحِمْلِهَا لَمْ يُقَطَّعْ لَهَا حَبْلٌ ، فَزَعَمُوا أَنَّ وَقَرَّهَا كَانَ مَالًا صَامِتًا وَذَخَائِرُ تَفُوقِ قِيَمَةٍ ، وَأُظْفِرَ اللَّهُ عِبَادًا بَوْلَدِهِ أَعْظَمَ الظَّفَرِ لِيَبْلُوَهُ فِيمَا آتَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَآثَرَ الشِّفَاءَ عَلَى الْمَغْفِرَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَهُمْ - زَعَمُوا - لِحَقَّتِهِ [٣٨ ب] لِهَذَا الْحَادِثِ وَفُظَاعَتِهِ وَطُرُوقِهِ مِنْ مَأْمَنِهِ وَفُسَادِ أَكْرَمِ أَعْضَائِهِ عَلَيْهِ ، وَعَمْدَةِ ثِقَاتِهِ لَدَيْهِ ، خَشَعَةً فَلَتَّ عَزَمَهُ ، وَحَيَّرَتْ قَلْبَهُ ، فَعَيَّتْ بِهِ عَمَّا صَمَدَ لَهُ مِنْ أَذَى قَرْطَبَةَ وَالْجَمْعِ جَاعَ بِأَهْلِهَا ، فَتَنَفَّسَ مُخَنِّقُهُمْ قَلِيلًا ، وَكَفَّتِ الْغَارَاتُ عَنْهُمْ وَقَتًا ، وَسَارَعَ سِعْرُهُمْ إِلَى الْإِنْحِطَاطِ .

قال أبو مروان : وبلغني أن الذي دبَّرَ عليه هَرَبَهُ عَنْ أَبِيهِ وَتَوَلَّى كِبَرَهُ ، وَزِيرُهُ وَصَاحِبُهُ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزْلِيَّانِي الْمُهَاجِرُ إِلَيْهِ عَنْ وَطْنِهِ مَالِقَةَ ، مَخْتَارًا لَهُ عَلَى مَلِكِهِ بَادِيَسَ ، فَاعْتَرَفَ لَهُ عِبَادُ فِي جَهْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَسُوءِ مَوْرِدِهِ حُجَّةً لِلْعَذْرِ فِي تَحْكَمِهِ عَنْ ذِي اللَّبِّ الْمَقَرَّرِ لِحُوطَةِ نَفْسِهِ ، فَإِنْ هَذَا الْفَتَى إِسْمَاعِيلُ كَانَ رَمَى إِلَى هَذَا الْكُهْلِ بِمَقَالِيدِهِ وَفَوَاضَ إِلَى رَأْيِهِ ، فَلَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ بَعْضُ مَا يَنَالُهُ مِنْ فُظَاظَةِ وَالِدِهِ وَقَسْوَتِهِ وَرَمَمِيهِ الْمُتَالِفَ بِهِ ، فَحَسَّنَ عِنْدَهُ - زَعَمُوا - الْعُقُوقَ لَهُ ، وَالذَّهَابَ عَنْهُ إِلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ الْعَرِيضَةِ ، كَيْمَا يَتَقَرَّرَ عَلَيْهِ ، وَيَنْفَرِدَ بِنَفْسِهِ ؛ فَلَمَّا قَدَّفَ بِهِ وَالِدُهُ [مَا] تَعَاظَمَتُهُ مِنْ حَرْبِ قَرْطَبَةَ

اعتزمَ إلى إنفاذ أمره في الفرار عنه من طريقه ذلك ، فعملَ في النكوص عنه بما قدّمناه ، وهجم على قصر أبيه وأخذَ ذخائره ، وخرجَ مبادراً ، ووزيرهُ هذا البزليانيّ معه قد تولّى كبيرَ ما أحدثه ، ونفذ في مقدار ثلاثين فارساً من خاصّة غلمانه ، بعد أن غرّق سُفنَ المعابرِ الرابطةَ قدّامَ القصرِ بالنهر ، كيما يعتاصَ وصولُ الخبرِ إلى أبيه ، بالمتّزّه الذي كان فيه بعدُوتِهِ ، إلى أن يُبْعِدَ في مهره ، فاتفق أن بادر إليه بعضُ غلمانه النازلين معه بالقصر ، وقد أنكر مدخلَ إسماعيل وخطفَه ، فقطعَ النهرَ سباحةً ، وسبق إلى مولاه عبّادَ فأيقظَه من نومه ، وعرفَه بالحادثة ، فسقطَ في يده ، وبادر بإخراج عِدّةٍ من فرسانه ، وألذّرَ عليه قوادَ الحصون ، فلجأ إلى قلعة الحصادي — حسبما قدّمناه — . واستقرَّ بعدُ في اعتقالِ والدهِ مدةً يقلُّبُ الرأي في أمره ظهره لبطنه ، ولا يبين من قوة غضبه عليه ما يؤيسُّ من استبقائه له ، وقد عجل على أبي عبد الله البزلياني لأوّل ما اعتقله عنده ، لِفِرْطِ حَنَقِهِ عليه ، فضربَ عُنُقَهُ ، وقتلَ معه نفرًا من خواصِّ إسماعيل ، فاستوحشَ من أبيه ، ولم يشكَّ أنه لاحقٌ بهم ، فدبّرَ من مكانِهِ ، موضعَ اعتقاله ، الهجومَ على أبيه ، والتسوّرَ على قصره من قبِلِ عورةٍ عرفها كيف [٣٩ أ] يفتكُ به ويصيرُ مكانَهُ ، وساعده الموكّلون به على الأمرِ وقد منّاهم ببلوغ الأمل بتمامه ، فقاموا معه في ما أراد من ذلك ، والقدْرُ يجدُ بهم وبه ، إلى أن وقع في يد والدهِ كَرَّةً أخرى فبطشَ به ولم يُقِلْهُ ، وتفردَ بقتله جَرَفَ قصره ، فلم يقفُ أحدٌ على مصرعه لطمسِ آثاره وآثارِ جميعِ أصحابِهِ وغلمَانِهِ وخواصِّهِ ، بعد أن جَلَدَ بعضَهُم ، وقَطَعَ أطرافَهُم ، وتجاوزَ إلى الضعفاء من حرمة ونسائِهِ فأَتى على خلقٍ منهم سرّاً وجهراً ، ومثّلَ بهم أنواعَ المُثَلَّةِ ، حتّى طهّرَ أثرَ ولده هذا وقطع دابره ، فكأن لم يكن قطُّ أميراً ، ولا أنفذ

حُكْمًا ، ولا قَادَ جَيْشًا ، والله يُمْلِي لمن شاء ، ويستدرجُ مَنْ يريد ،
له القوةُ البالغة .

وما ابن عبادٍ يبدعُ فيما أتاه في هذا ، فقد يُضطرُّ الملوكُ مع ذوي
أرحامهم السامين إلى نيلِ مرامهم من مستجرى عليهم ، إلى ما يحملهم
على انتهاكِ أكثرَ مِنْ ذلك حُبًّا للحياة الدنيا الغريرة ، ومنجاةً بالرغبة
من الفرقة المميرة ، على أن العفو أقربُ للتقوى لا محالة ، مع أن أسبابَ
الملوكِ الاضطرارية لا تحتلُّ الاستقصاء ، ولا تُعرَضُ للتمحيص ،
قرنَ الله بأعمالهم الصلاح ، وجنبهمُ بمنه الجناح .

قال ابن بسام : وكان خاطب المعتضدُ يومئذٍ جماعةً [من] حلفائه
وقصَّ عليهم نبأه [مع ابنه] ، فمن جواب بعضهم له في فصلٍ قال فيه :
تقديمُ الوصف — أيديكَ الله — للوداد والاعتقاد ، من المعارفِ المعتاد ،
فيُستفتحُ^١ به أوَّلُ المكتوب ، كما يُستفتحُ الشعرُ بالنسيب ، لكني — أيديكَ
الله — أربأُ بجلبها عن شاهدٍ غيرِ الضمير ، وواصفٍ غير ما في الصدور ،
وبرهانٍ غير الناظر المشهور ، وأرمي شاكلةَ الغرضِ ، وأصفُ ما أباتي
لياليَ على قَضَضٍ ومَضَضٍ ، ثم ما ردَّ باقي الأُنس ، وشفى لاعجَ النفس ، فإن
الأنباء وردتني عن المنصور أبي الوليد ابنك ابني — أعزه الله — بانزعاجه أولاً ،
وأبطأتِ الجليّةُ كلاً ، فأشفقتُ على يقيني^٢ أن الداخلة تصدّه ، والحقيقة
تردّه ، وأن شهامته جمحتُ به ، وصرامته صرمتُ منه ، وأنه حسامٌ
دلقَ من غمده ، وسهمٌ نفذ وراءَ غرّضه وحده ، وأن ريحَ الصبّا عصفتُ
عليه وهو لدنُ المعطف ، وغرةَ الشباب اهتبلته^٣ وهو سلسُ المقود ،

١ ط د س : يستفتح .

٣ د ط س : اهتبلت غرته .

٢ ط د س : يقين .

لِيَنَّ الْمُصَرَّفُ^١ ، والمرء للخطل والزلل ، وكلُّ مَخْلُوقٍ ففيه النقصُ
والخلل .

ومن جواب ابن أبي عامر له : الدنيا رَنَقَةٌ^٢ المشاربِ ، جَمَّةُ النوايبِ ،
تسلكُ بأهلها كلَّ سبيلٍ ، وتريهمُ من خطوبها [٣٩ ب] كلَّ معلومٍ
ومجهولٍ ، تقطعُ ما تصل ، وتمنعُ ما تبدلُ [وتسوءُ من حيث تسرُّ ،
وتخونُ من حيث تفني ، لا تمتنعُ بحالٍ ، ولا تدومُ] على وصالٍ ، وهذا
أصحُّ دليلٍ على هوانها وصغارها ، وأوضحُ تمثيلٍ في تفاهة^٣ شأنها ومقدارها ،
وان كثر فيها التنافرُ ، وعظمَ فيها التقاطعُ والتدابُرُ ، فנסألُ اللهَ ألاَّ
يصرفتنا عن التوفيقِ ، ولا يعدلَ بنا عن سَوَاءِ الطريقِ .

وإن كتابك ورد بما لم يقع^٤ في تقديرٍ ، ولا عن مثله في ضميرٍ ، من
الداهية الدهيئة ، والمعضلة الشنعاء ، والحال الحادثة مع من رين على قلبه
وعقله ، وغُبنَ في حظه ورشده ، فزاع عن نهائه ، واتخذ لإله هواه ، ولقد
وقفت بك ، عمادي ، على عبرة المعتبرين ، وعظة المتدبرين المستبصرين^٥ ،
فإن الذي رمتك به الأيام لغريبة الغرائب ، تؤذن بانقطاع الخير ، وارتفاع
البرِّ ، أفلا راعى أولاً ما أوجب الله تعالى [تقدست أسماؤه] للآباء على
الأبناء ؟ فإنه قرن ذكرهم بذكره ، وشكرهم بشكره ، فقال : ﴿أَنْ اشْكُرْ
لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان : ١٤) وقال : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الاسراء : ٢٣) إلى ما جاء
في العقوق ، فقد قيل : إنَّ العقوقَ هُلُكٌ ، والمروقَ شِرْكٌ ؛ وقيل : عقوق

١ د ط س : المنصف . ٢ ط س : رفقة ؛ د : رقيقة .
٣ د ط س : تهافت . ٤ د ط س : وفي فصل منها : وإفاني كتابك بما لم يقع
٥ د ط س : المعتبر المتدبر والمستبصر .

النوالدين يُعقِبُ النكد^١ ، ويمحقُ العدَدَ ، وَيُخربُ البلدَ . ثم هلاً راعى
 آخرآ ما سوَّغَتْهُ من النعم التي غُبِطَ بها ، وَحُسِدَ فيها ، وما خصَّصَتْهُ
 [به] من العزة التي بذَّ فيها الأندادَ ، وشأى فيها الأترابَ والحسادَ ؟ !
 ولكنَّ شيطانَ الغرارةِ أغواه ، وسلطانَ الجهالةِ أَرَداه ، مع قرناء سوء
 [قِيَّضُوا لَهُ] زَيَّنُوا لَهُ ضلالَهُ ، وأفسدوا عليه حالَهُ ، وبحقِّ قيل :
 الوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السوءِ ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهْوٍ الْمُهِتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ (الكهف : ١٧) وقد صنع الله لك
 صنْعاً جميلاً ، ودفع عنك جليلاً ، وأجراك على ما عودَكَ من فضله
 ﴿ وَلَا يَسْحِقُ الْمَكَرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^٢ (فاطر : ٤٣) فالحمدُ لله على نعمةِ
 خَوَّها ، وولايةِ أجملها ، ومكيدةِ نقضها ، وسعايةِ دَحْضها . وفي
 علمه احتراقُ نفسي لهذا الحادثِ الكارثِ ، ومشاركتي في هذه الملمةِ
 المذلِّمةِ^٣ ، التي لم أُخلِها من حالي الإشفاقِ والجزعِ ، وخطَّتي الارتماضِ
 والتفجعِ ، وان الأمر عندك وزْنُهُ عِنْدِي ، ومأخذهُ مِنْكَ مأخذهُ مني .

ومن جواب ابن مجاهد [له] من إنشاء ابن أرقم : وَافْتَنِي - أَيَّدَكَ
 الله - مُسَاهِمْتُكَ الكريمة ، ومشاركَتُكَ السليمة ، الصادرةُ عن الصدرِ
 السليم ، المقتضيةُ للحمد والشكرِ العميم ، وقد كان سبقُ كتابٍ قبلُ بما
 لزمَني في الحادثة الأولى ، فقلتُ : حسام [٤٠ أ] دَلَقَ ، وسنان زَلَقَ ،
 وشبابٌ عَصَفَ ، وجوادٌ جَمَعَ فأسرف ، وعثرةٌ تُسْتَقَالُ ، وغرارةٌ
 يُرْفَعُ بها ذلك الاختلال ، ثم بعد نفوذِهِ وردني النبأُ على عَقِبِها ، بما

١ د ط س : عقود الولد . . . الهمد .

٢ د ط س : واحاق المكر السيء بأهله .

٣ د ط س : لهذه الحادثة الكارثة المهمة .

٤ د ط س : والوجع .

٥ د ط س : ثم ورد النبأ .

صَغَرَ تِلْكَ عَلَى عِظْمِهَا ، فَتَرَدَّدَتْ شَرْقًا ، وَاضْطَرَبَتْ قَلْقًا ، حَتَّى اسْتَوْضَحَتْ
مِنْ قَبْلِكَ الْأَمْرَ عَلَى آخِرِهِ ، وَتَلَقَيْتُ عَنْكَ الْخُطْبَ بِمَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ ،
مَنْسُوقَةً مَرَاتِبُهُ وَمَنْاقِلُهُ ، مَشْرُوحَةً أَعْجَازُهُ وَأَوَائِلُهُ ، فَمَا سَاهَمْتَ إِلَّا
مَنْ تَلَقَّيَ مَا أَنْهَيْتَهُ بِنَفْسِكَ ، وَشَرِبَ مَا عَاطَيْتَهُ بِكَأْسِكَ ، وَشَاطَرَكَ الْحَالَ
بِنَصْفَيْنِ ، وَكَانَ هُوَ وَأَنْتَ فِي الْقَضِيَّةِ سَيِّئَيْنِ^١ ، فَتَجَرَّعَ مَا تَجَرَّعْتَ [وَاسْتَغْفَرَ
مَا اسْتَغْفَرْتَ ، وَاسْتَغْرَبَ مَا اسْتَغْرَبْتَ] وَاعْتَبَرَ بِمَا اعْتَبَرْتَ ، وَفِي الْأَيَّامِ
وَالْيَالِي مُعْتَبَرٍ ، وَإِنْهَا - لَكَمَا ذَكَرْتُ وَوَصَفْتُ - عَقِيمَةٌ مُعْجَبَةٌ ، وَعَنْقَاءُ
مُغْرِبَةٌ ، وَمَا شَهِدْتَ لَهَا أُخْتُ إِلَّا مِنْ أَحَدِ الْفَرَسِ وَأُخْرَى مِنْ بَنِي
الْعَبَّاسِ ، كَمَا ذَكَرْتُ ، وَقَدِيمًا اسْتَغْوَى الشَّيْطَانُ^٢ ، وَكَانَ لِلْمَرْءِ سُلْطَانُ ،
وَالزَّمَانُ بِمِثْلِهَا جَوَادُ ، وَلِلْإِطْلَاعِ الْغَرَائِبِ مَعْتَادُ ، وَقَدْ أُوتِيَ صَاحِبُ الْخَضِرِ
عَلَى عِلْمِكَ مِنْ أَقْرَبِ الْوَلَدِ رَحْمًا ، وَأَضْعَفَهُمْ نَفْسًا وَجِسْمًا ، وَمَنْ سَوَّقَ
بَنِي أُمَيَّةَ وَغَيْرَهُمُ الْجَمَاءُ^٣ الْغَفِيرُ ، وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ ، وَكَثِيرًا مَا شَهِدْنَا وَسَمِعْنَا
بِقَاتِلِ نَفْسِهِ ، وَهِيَ أَكْرَمُ النُّفُوسِ عَلَيْهِ ، وَأَكْلَرُ جِسْمِهِ وَهُوَ أَحَبُّ
الْجُسُومِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ يَفِيضُ الدَّاءُ مِنَ الدَّوَاءِ ، وَيَشْرِقُ الْمَرْءُ بِالْمَاءِ ، وَيُؤْتَى
الْحَدِيرُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَيَجْتَنِي الْقَبِيحُ مِنْ حَسَنَتِهِ ، وَالْأَدْوَاءُ تَثُورُ فِي الْوَلَدِ ،
كَمَا تَثُورُ فِي الْجَسَدِ ، وَتَتَوَلَّدُ فِي الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ ؛ وَقَرْنَاءُ السُّوءِ يَكْدُرُونَ^٤
الْأَصْفِيَاءَ ، كَمَا يَكْدُرُ الْمَشْرَبُ^٥ الْعَذْبَ الدَّلَاءَ ، وَمَا نَدْرِي يَا سَيِّدِي [إِلَّا]
أَنْكَ أَرَدْتَ إِقَالَتَهُ وَاللَّهُ قَدْ عَثَرَهُ^٦ ، وَاعْتَقَدْتَ اسْتِعَاذَتَهُ وَاللَّهُ قَدْ غَيَّرَهُ^٦ ،

١ م ب د س : شَيْئَيْنِ ؛ ط سَبْعَيْنِ .

٢ ب د ط س : الْجَم .

٣ د ط س : يَتَكَدَّرُ بِهِمْ .

٤ د ط س : الشَّرَاب .

٥ ط س : وَاللَّهُ عَثَرَتْهُ . ٦ د ط س : اسْتِعَاذَتَهُ قَدَّمَتْهُ .

وأياك منه بقبیح فعله ، وأسلاك عنه بعظیم جرْمِهِ ، وكنت معه واللهُ معَ غيره ، وأردته وأرادَ الله سواه ، ولا مانعَ لما أعطى ، ولا مُعْطِي لما منع :
وليس لأمرٍ حاولَ اللهُ جَمْعَهُ مُشِيتٌ ولأما شَتَّتَ اللهُ جامعُ

وقال الله تعالى لنوحٍ عليه السلام بعد قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَأْذِنُ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود : ٤٦) وقوله للخضر عليه السلام ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ يَبْدُلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمَةً﴾ (الكهف : ٨١) :
وكلُّ مصيبيات الزمانِ إذا أتتْ فهنَّ سوا ما لم يُصِبنَ صميمي
وما زادت هذه على أن وقى الله صميمك ، وصانَ حريمك .

قال ابن بسام : ولما [٤٠ ب] أنشأ أبو محمد رسالته المتقدمة الذكر ، تناغت لمةً من كتاب العصر في معارضتها ، وقد ذكرتُ بعض من أجاب عنها ، وأذكرُ أيضاً فصولاً لمن انتصف على زعمه بالمعارضة منها ، منهم من أفردتُ فصلاً في ذكره ، ومنهم من لم يقع إليَّ شيء من أمره ، فلم أجد لي ذكره سبيلاً ، ولا على موضعي من الصناعة دليلاً ، وكنتُ جديراً بتأخير رسالة من أفردتُ في ذكره فصلاً ، حتى أقبسها له لألاء ، وأضعها في يده لواء ، ولكن أذكرُ الشيء بما تعلق به ، أو كان من سببه ، لأُقَيِّدَ ما شرد ، وأنسُقَ ما تفرَّقَ وتفرَّد .

وله ١ : أتمَّ الله أيَّها الأمير ، الجليلُ مسجده ٢ ، الجميلُ معتقدهُ ،

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س ؛ ووقعها هنا فصل بين مقدمة ابن بسام عن المعارضات لرسالة ابن عبد البر ، والاسترسال بإيراد هذه المعارضات ؛ ومن اللافت للنظر أن هذه الرسالة ثابتة في قلائد العقيان : ١٨٢ . ٢ القلائد : محمده .

المشهورُ فَضْلُهُ وسُودُهُ ، عليكَ نعمةٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ ، وأجزول لك به قِسْمَةٌ متوافيةٌ زاكيةٌ ، وآتاك من كلِّ خطٍّ أجزلتهُ ، ومن كلِّ صنْعٍ أجمله ، ومن كلِّ خيرٍ أتمته وأكله ، فإن الأيامَ قد وَصَلَتْ بيننا إلى التراسلِ سبباً ، وجعلتْ لنا في التواصلِ أرباباً ، فإذا أمكن سببُ قدَمته ، وإذا تيسرَ رسولُ اغتنمته ، توكيداً للحالِ معك ، وتجديداً للعهدِ بيني وبينك ، فمثلُ الخطِّ منك لا يُهمَلُ ، وسببُ الحقِّ الذي لك لا يُغفلُ ، ومكاتبةُ الصديقِ عِوَضٌ من لقائه إذا امتنع اللقاء ، واستدعاءُ لأبنائه إذا انقطعت الأبناء ، وفيها أنسٌ تلذُّ به النفسُ ، وارتياحٌ تلذُّ منه الأرواحُ ، وارتباطٌ يتصلُّ به الاغترابُ ، واعتقادٌ يُتَّبَعُ به الودادُ ، ومثلُ خلتِكَ الكريمةِ عَمِرَتْ معاهدُها ، ومثلُ عِشْرَتِكَ الجميلةِ شَدَّتْ معاهدُها ، ومثلُ مكارمِكَ المبرِّرةِ حَمِدَتْ مصادِرُها ومواردُها ، فإني منطلقٌ إلى أنخبارك أراعيها ، وحريصٌ على أوطارك أقضيها ، ومستمطرٌ لكتبك الكريمةِ أجتليها ، فمَنْدَ صَدَرَ عني فلانٌ لم ألقَ عنك خبراً ، ولم أخطُ من تلقائك أثرًا ، وذلك لا محالةً لامتناعِ البحرِ وارتجاجه ، وتعذرِ المسلكِ وإرتاجه ، وإذ قد ذلَّ صعبه ، وهان خطبه ، فإنا اعتقد أن كتابك بازاء كتابي هذا مجددٌ عهداً ، ومهدٍ عنه حمداً ، فإنه ما دخل إلينا ولا تكرر علينا إلاَّ وذكركَ الجميلِ في فمه يُبدِّئُه ويميدُه ، وثناؤه يلهجُ به ويشيده ، في شكرِ الأميرِ الأجلِّ والإشادة بتعظيمِ أمرِهِ ، وتفخيمِ قدره ، فإنه لا يُعرفُ عندنا إلاَّ بوسمه ، ولا يناضل [إلاَّ] بسهمه ، ولا يجاهدُ إلاَّ عنه ، ولا يُحتسبُ إلاَّ فيه . ومن جرى على البعدِ هذا المجرى ، وشكر شكره النعمى ، فحقيق بالإنعام [١٤١ أ] خليق بالإكرام .

١ القلائد : وشبه . ٢ القلائد : تنتعش به .

٣ القلائد : وافئقاد الاعتقاد والوداد .

٤ القلائد : البرة .

٥ القلائد : ذلَّ صعبه لراكب عل هائب .

٦ القلائد : وأثرك الحسن عليه .

٧ ب م : ولا يتامل باسمه . ٨ ب م : يحسب . . . منه .

فصول من جملة رفاع لغير واحد في ذلك

فصل من رقعة لبعضهم يقول فيها^١ : ما أبصرَكَ - أيْدِكَ الله - بل أذكركَ ١ وكيف يُوقِظُ اليقظانُ ، وينبهُ النبهان ، وحاشا أن تُعلَمَ الخِمرةَ العوان ، إن الدنيا على الغير موضوعة ، وعلى المكاريه مطبوعة : ألا إنما الدنيا غَضارةٌ أَيْكةٌ إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبٌ^٢

ونقلُ الطباعِ لا يُستطاع ، ولا تبديلُ لحكمِ الجليل ، والدنيا مُنكرةٌ لمعارفِها ، مسلَّطةٌ بنوائبِها على بنيها ، المتهاكين فيها ، لاسيما الأحرار ، فإنها تطالبهم بئار :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقٍ^٣

ومنها : وما ظنك بدنيا قلَّما تسمَحُ بحبيرةٍ ، إلّا أتبعَتْها بعبيرةٍ ، ولا تجود بمنحةٍ ، إلّا كدَّرتها بمحنةٍ ، ولا تسقي شراباً ، إلّا شابهته صاباً ، ولا تهب نسيماً ، إلّا قلبته سموماً ، تكاد تسوءُ بالساعاتِ ، وقلما تسرُّ إلّا في الفلَّاتِ ، ثم تغري بنا الآفات :

ومن يأمنِ الدنيا يكن مثلَ قابضٍ على الماعِ خائتتهُ فروجُ الأصابعِ^٤

وفي فصل : والأنامُ أغراضُ ، لسهامِ الأعراضِ ، قلَّما تتخطاها إن فوَّقتْ ، ولا تخطئها إن رُشِقتْ ، وقد يَمَقُّها من لا يثقها ، ويتيامنُها

١ د ط س : فصل لبعضهم قال فيه .

٢ البيت لابن عبد ربه ، انظر جذوة المقتبس : ٩٦ والمقد ٣ : ١٧٥ .

٣ البيت لابي ذؤاس ، ديوانه : ١٩٢ .

٤ أصله للمجنون (ديوانه : ١٩٧) ورواية الصدر : فأصبحت من ليلي الغداة كقابض

مَسَنٌ لَا يَأْمَنُهَا ، وَأَيُّ أَمَانٍ ، مِنْ زَمَانٍ ، يَدْبُ دَيْبُ الْعُقْرَبَانِ ، وَيَثْبُ
وِثْوَبُ الْأَفْعَوَانِ ، مَا أَمَكْنَهَا إِمْكَانٌ ، وَغَنَّا لَهَا مَكَانٌ ، وَيَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ،
بَيْنَ الْفُرُوعِ وَالْأُرُومَةِ ، وَهِيَهَاتِ أَنْ تَصْطَفَى حَيَّةٌ رَقِشَاءُ لَيْسَ مَسَهَا
قَاتِلٌ سَمَهَا ، يَهْوِي لِإِلَيْهَا الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا الْعَاقِلُ ، وَأَيُّ نَاجٍ مِنْ بَأْسَائِهَا ،
وَلَوْ كَانَ فِي سُوَيْدَائِهَا ، هِيَ وَاللَّهُ مَا عَلِمْتَ وَتَعْلَمُ ، قَرِيبَةُ الْعُرْسِ مِنْ
الْمَأْتَمِ ، هَكَذَا عُرِفَتْ ، وَهَذَا وَصِفَتْ :

وَمَكَلَفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طَبَاعِهَا مَتَطَلَّبٌ فِي الْمَسَاءِ جَذْوَةٌ نَارٍ^١

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنِّي مُنِيتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — مِنْ زَمَنِ الْخَوْنِ ، بِشَقِيَّةِ
الْمَنُونِ ، وَكَادَتْ تَكُونُ ، فَيَا لَهَا [مِنْ] حَادِثَةٍ عَظُمَى ، وَصَدْمَةٍ صَمًّا ،
كَدَّرَتْ شَرِي ، وَزَوَّعَتْ سِرِّي ، وَاعْجَبَ لِسَهْمِ رُمِيٍّ بِهِ رَامِيهِ ،
وَتَبَجَّلَ دُهْنِيَّ بِهِ مُنْتَضِيهِ ، أَشَدَّ مَا كَانَ لَهُ اسْتِبْصَارًا ، وَبِهِ انْتِصَارًا ،
[وَعَلَيْهِ اقْتِصَارًا] ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ مِنَ الْأَزْمَانِ^٢ ، عَكْسُ الْأَحْوَالِ وَقَلْبُ
الْأَعْيَانِ ؛ وَتَفْصِيلُ^٣ هَذَا الْمَجْمَلِ ، وَإِضْاحُ هَذَا الْمَشْكَلِ ، الَّذِي رَمَزَتْ
بِذِكْرِهِ ، وَعَرَضَتْ بِأَمْرِهِ ، أَنْ الْعَاقُ الْمَشَاقُّ ، الْجَلْفُ الْبَفِيهِ ، الْمُتَمَذِّبُ
بِغَيْرِ مَذْهَبٍ أَبِيهِ [٤١ ب] وَمَنْ سَلَفَ مِنْ مُنْسَلِيهِ ، ابْنِي إِسْمَاعِيلَ ،
الْفَاعِلَ بِي أَسْوَأَ الْأَفَاعِيلِ ، أَحْدَثَ حَدَثًا أَشْنَعَ ، مِثْلُهُ يُسْتَفْظَعُ ، بِمَا كَانَ
مِنْهُ ، وَاسْتِذَاعَ عَنْهُ ، مِنْ اسْتِهَانَةِ عَقُوقِي ، وَاطَّرَاحِهِ حَقُوقِي ، وَشُدُودِهِ
عَنْ أَشْكَالِهِ ، وَعُدُولِهِ عَنْ سُنَنِ آلِهِ ، وَإِنْ جَمَعَتْهُ بِي مَنَسَبُهُ ، فَقَدْ
نَفَاهُ عَنِّي مَذْهَبُهُ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ ، كَأَنَّمَا اقْتَادَهُ فِي أَشْطَانِ ،
وَإِذَا قَضَى الْقَدَرُ ، عَشِيَّ الْبَصَرِ ، وَمَا جَرَّاهُ عَلَى قُبْحِ فَعَالِهِ ، وَمِجَانِبَتِهِ
الْمَعْهُودَةِ مِنْ حَالِهِ ، إِلَّا قُرْنَاكُمْ سُوءَ قِيَّضُوا لَهُ ، [إِذْ] جَعَلُوا يَضْرِبُونَ لَهُ أَسْدَاسًا

١ البيت لأبي الحسن التهامي، ديوانه: ٤٧ . ٢ ط د س : الأيام . ٣ ط د س : وتفسير .

لأخماس ، ويكيدهونه بكيد الوسواس الخناس ، حتى < إذا > أوردوه
أنشوطه ، لم يكن مثلها أغلوطه ؛ هوى به الهوى هُويّ الدليو أسلمه الرشاء^١ ،
ولا غرو فقد تعدي الصحاح مبارك^٢ الحرب^٣ ، وذلك أني لما أرضعته لبان^٤
مِقتي ، ومَلَكْتُهُ عِنانَ ثقتي ، وأدنيْتُ زلفَتَهُ ، وأبديتُ رِفْعَتَهُ ،
وأقبلته عَيْنَ القَبُول ، وأحللته مِنِّي محلَّ الصلة من الموصول ، وقلدته^٥
أعنة السياسة ، ووسمتُهُ بِسِمَةِ الرياسة ، وأوطأتُ عَقِبَهُ الرجال ،
وتجاوزتُ به حدودَ الآمال ، نقلاً من حالٍ إلى حال ، حتى مُدَّتْ نحوه
الأعناق ، وسارت بذكره الأفذاذُ والرفاق ، ونَيْطَتْ به الآمال ، ولأذ^٦
به الأُمَمال^٧ ، وجعلتُ السيفَ والقلمَ من خَدَمِهِ ، ووضعتُ الوجوهَ
تحت قدمه ، يقولُ فَيَسْمَعُ لمقاله ، ويصُولُ فيرتاعُ لمصاله ، حتى لقد
كَادَتْ الأقدامُ أن تستوي لولا فضلُ الأبوة ، ونقصُ البنوة ، فلما رأى
الدولةَ قد أَلْقَتْ إليه بأزمَتِها ، وأقادتُهُ بأعنتِها ، استأسدَ وتَمَرَّرَ ،
واستشعر الأشرَ والبطر ، وحاول الشفوفَ ، وربما كان فيه الخوف ،
ونزع إلى الاستبداد ، منزعَ الغبيِّ إلى العناد ، ورفضَ الحقوقَ ، وآثرَ
العقوقَ^٨ ، وكفر بالنعمة ونام عن شكرها ، فَطُويَتْ عنه بأسرها ، والشكرُ
للنعمة نتاجٌ ، والكفرُ بها رتاج .

[وفي فصل منها] : فعلمتُ مَرَمي قوسِهِ ومنزعَ سهمِهِ ، كأنما
كنتُ نجبي سرَّهُ ، ووليَّ أمرِهِ ، وقد تبصرُ الظنونُ بغيرِ عيون ، فتتبعُ

١ من قول زهير :

فشج بها الاماعز فهي تهوي هوي الدلو اسلمه الرشاء

٢ انظر الحاشية ه ص ٦٨ .

٣ د : ولأذت بحقوقه الرجال ؛ ط س : ولأذت بحقوقه الامال .

٤ د ط س : فأثر العقوق ورفض الحقوق .

خبره ، وقَفُوتُ^١ أثره ، بخيل كالسيل بالليل ، تُعْجِزُ طالِها ، وتدرُكُ هاربها ، فلم يَنْتَبِهْ إِلَّا وقد أُحِيطَ به ، ففزعَ إلى الاعتراف ، وهو يذهبُ بالاعتِراف .

[وفي فصل] : ومداواة الحية كيف تنفع ، وهي إذا أمكنها اللسعُ تَلَسَّعَ ، ولما أبى إِلَّا الإباء ، وأسَرَ الشحنةاء ، وحاول العظيمة ، وتناول الجريمة ، وكاد - وإيم الله - يهدمُ بنيانَ الله ، لولا دفاعُ الله ، أَلَفَ أغماراً من العبدان كانوا عكوفاً عليه ، ورتباً حوالبه [٤٢ أ] وأطمعهم في ما صرعهم ، وأكثرُ المطامع ، تنولُ إلى المصارع^٢ ، ولو أنهم أيقنوا أنَّ أنفُسَهُمْ نَعَوَا ، وإلى دمائهم بأقدامهم سَعَوَا ، لثَبَطُوا ، وما تورَّطُوا ، لكن ليَقْضِي الله أمراً كان مفعولاً^٣ ، وإذا حان الحينُ ، عَمِيَّتِ العين ، وربُّ ساعٍ بقدمه ، على دمه ، فلما جنَّ عليه الليل ، والليلُ أخفى للويل^٤ ، تساقوا بينهم المدام ، ليقدموا^٥ بها أشدَّ إقدام [ورب إحجام أنجي من إقدام] ، فأخذوا الثبات ، وَعَقَدُوا النيات ، وتسوَّروا الأسوار ، وتحطَّطوا غيرَ ما دار ، وداعي الهوى يدعوهم ، وحادي الردى يحذوهم ، وقد اعتقلوا الردينيات ، وتأبَّطوا الهندوانيات ، وشمَّروا ذيلًا ، وادرعوا ليلاً ، واقتحموا المهالك ، في أضيقِ المسالك ، وترقَّوا الجدران ، بأشدَّ تمرُّدٍ وعصيان ، فسقط العشاءُ بهم على سِرْحان ، فما تمالكتُ أن سمعتُ حسيسَهُمْ ، ولحظتُ شخوصَهُمْ ، فملثوا فِرَقًا ، وتصيَّروا فِرَقًا ، أيدي سبا ، يحدِّون هرباً ، ويرومون الخلاص ، ولاتَ حينَ مناص ،

١ ب م : وقفيت . ٢ ط د س : مصارع .

٣ انظر سورة الانفال ، الآية : ٤٢ ، ٤٤ .

٤ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٨٥ والميداني ٢ : ٩٤ والمسكري : ١٢ - ١٦ .

• د ط س : عمي العين . . . فأخروا الثبات وعقدوا النيات ، بعد أن تساقوا المدام ليقدموا ؛ وعند هذا الموضع أتوقف عن الإشارة إلى ما كان من زيادات ب م على ط د س ، إلا نادراً .

ونفوسهم^١ تودّع أجسادها ، وتستحث آمادها :
وضاقت الأرض^٢ حتى كان هاربهم^٣ إذا رأى غير شيء ظننه رجلاً^٤
ولم يمتروا أن قدرة القدير ، تنقض التدبير ، ولله عاقبة الأمور . وما
كان رجاء^٥ القوم ، إلا استغراقي في النوم ، وأيقظني القدر ، وما بي
من حذر .

وفي فصل : فلما رأى اللعين أن سهمه قد طاش ، وقد راش منه ما
راش ، وأيقن أنه حريق ناره التي سَعَر ، وغريق تياره الذي فجّر ،
شَرَدَ شِرَاد^٦ الظليم ، على حين لا حليف ولا حميم ، وتراعى من شُرَفَاتِ
القصر ، ترامي المذعور بالقسري ، وهو ينشد :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده^٧ ،

فأعجلت إليه هنالك مَنْ عثر وشيكاً عليه ، واستاقه استياق العاني ، فيا
وقفة المذنب الجاني ، يشكو إلى من يصم عنه ، ويتبرأ منه ، وسيقت بطانته^٨
أسارى ، من غير خمير سكارى ، فأقروا بما دبّروا ، وبه دُمروا ، فالحمد لله
جاعل تدميرهم في تدبيرهم ، وإبادتهم في إرادتهم ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ
[بشرأ] سقط فيها ، واستحضرت مشيخة العلماء وجعلت الأمر بينهم شورى ،
إشارة للعدل في القضا ، واتباعاً لأمر الله تعالى في الغضب والرضى ، فكلّهم^٩

١ البيت للمتنبي ، دبوانه : ١٢ .

٢ د ط س : رده .

٣ د ط س : شرود .

٤ خ بهامش م : اتته الرزايا من طريق الفوائد ؛ وهذا عجز بيت لابي فراس (دبوانه : ٨٣)
وصدر البيت : إذا كان غير الله للمرء عدة ؛ أما البيت الذي في المتن فورد غير منسوب
في التمثيل والمحاضرة : ١٠ . ه س ط د : فكل .

حَدَّ إِنفَاذَ الحَدِّ ، وتلوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي [٤٢ ب] الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ الآية (المائدة : ٣٣) .

فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ ۚ فَظَنُّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ ١

فاعتبر يا سيدي من هذه الفتن المضلّة لأبناء الزمن ، وانظر كيف يستدرجهم الشيطان ، في مدارج العصيان ، حتى إذا قحمهم الغرر ، أسلمهم القدر ، وكل ذلك مسطوراً ومأثور ، وفي عقوق هذا من البين ، آية للعالمين ، وما كان هذا اللعين ، في ما جناه ، فاجتناه ، وشبهه ، فألهبه ، وكاده ، فأباده ، إلا كالبقرة تبحث على مدينتها بقرنيها ، وكالتملة تطلب حنفاً بجناحيها ٢ ، فتباً للأولاد ، يتقربون بالولاد ، ويتباعدون بالوداد ، في مصارع الحساد ، إن هم إلا فهود ، بأهْب أسود ، يتقلبون بما صغروا ، ويستأسدون إذا كبروا .

وفي فصل : ولعلّ قائلًا قد سلبَ المعقول ، يصول يوماً فيقول ، ويطعن ويغمز ، حيث لا مطعن ولا مغمز ، وينحلي الفضاظة والقسوة ، ويعتدّها وبصمة عليّ وهفوة ، وربّ سامعٍ بخبري لم يسمع عذري ٣ ، ولست ببدعٍ ممن ظلم فانتصر ، وخولف فما اضطبر ، ولا بنكير .

١ البيت لابن المعتز ، ديوانه ٣ : ٤٩ وانظر قلوب السرور : ٥٦٧ .

٢ اصل المثل : كباحث عن الشفرة (او عن المديّة) انظر فصل المقال : ٣٩٢ والميداني ٢ : ٦٩ ؛ وقد اشار الجاحظ في مواضع من كتاب الحيوان الى ان النمل اذا نبت له جناحان فقد دنا هلاكه .

٣ انظر فصل المقال : ٧٢ والميداني ١ : ٢٠١ والعسكري ١ : ٣٠٨ .

٤ قبلها في ب م صورة « وعز » .

ه ب م : تنكر .

ممن أَرْضَى باريه ، باسْخاطِ أهليه ، إنَّ لي في من سَلَفَ أَسْوَة ، وبالنبيِّ عليه السلام قُدْوَة ، ولو نَظَرَ بعينِ الحقيقة ، ولم يعدل عن سننِ الطريقة ، لكان من أنصاري ، في إقامة أَعْداري : هذا خليل^١ الرحمن ، وكان في الأنبياء مَنْ كان ، لما تَبَيَّنَ أن أباه عدوٌّ لله تَبَرَّأ منه ، وقد تَلَّ أيضاً عليه السلام ابنه الذبيحَ للجبين ، ووضع في حلقه السكَّينَ ، وهو من أبرَّ النبيين ، اتباعاً لأمرِ الله حتَّى فداهُ الربُّ الكريمُ ، بالذَّبِّ العظيم ، وصَبَرَ على ما لو حلَّ بالصخرِ لفلقه ، أو بالحجر لَفَرَّقَه ؛ وهذا عمرُ بن الخطاب ، وكان من كان في الأصحاب ، قد قسا قلبُهُ على أبي شحمة ، ولم تأخُذهُ فيه [رَأْفَة ولا] رحمة ، حينَ جَلَدَهُ ، حتَّى فَتَقَدَهُ ، وصَبَرَ غيرَ مكتئبٍ ، صَبَرَ المحتسِبِ ، لإرضاء لباريه ، وتقرباً إليه بما يُرْضِيهِ . وكان لبعض بني العباس ، وَهُمْ أُمَّةُ الناس ، في ابنه العاقِ ما قد دَرَسَ خبره ، وطَمَسَ أثرُهُ ، ولولا أن الإطالةَ ، تُفْضِي إلى المِلالة ، لأوردتُ من خبره الأشنع ، ما فيه مَقْنَع ، وأحدثُهم عهداً في هذه العصور ، عبد الله الأمير وأبو عامر المنصور ، فأما عبد الله فقد قَتَلَ ابنه محمداً^٢ ، لما أَحَسَّ منه تمرداً ، وكان قُرَّةَ عينيه ، فما عِيبَ ذلك عليه ؛ وأما [٤٣ أ] المنصورُ ، وحسبك به جزالةٌ وحزامةٌ في الأمور ، فقد فعل بابنه عبد الله ما فعل لما عصى ، وشقَّ العصا^٣ ، هذا وما بلغا هذا المبلغ ، ولا ولغا في الدم كما كاد هذا اللعين أن يُلغ ، ولو اقتَصَصْتُ ، فوق ما نَصَصْتُ ، لأُطِلْتُ وأُمِلْتُ ،

١ د ط س : وبالنبي عليه السلام قدوة ، ومن التابعين رضي الله عنهم أجمعين ، هذا خليل...

٢ - كان مطرف ابن الأمير عبد الله يفرى أباه باخيه محمد ، فأخذ الأمير ابنه محمداً وحسبه ، ولما نحرى جاية الامر اطلقه اذ لم يحده مذبأ ، فقتله مطرف سنة ٢٧٧ ، هذا ما ذكره ابن عذارى ٢ : ١٥٠ .

٣ قتل عبد الله بن المنصور سنة ٣٨٠ ، انظر قصة خروجه على أبيه ثم مقتله في ابن عذارى ٢ :

لكن اجتريت^١ ، بمن سميت ، وأي عذر [يقوم] لمن مكّنه الله في بلاده ، وحكمه في عباده ، ألا يُنفذَ حدّه الذي حدّه ، ويؤثرَ فرضه الذي فرضه ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة : ٤٧) ولولا عقابُ المسيء ، لقلَّ مَنْ لا يسيء :

والظلم في خلُقِ النفوسِ فإن تجدَ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلم^٢ ولا غرّوا ان أسهتْ وأطنبتْ في خبر المغرور ، فانها نفثةٌ مصدر ، وما أطقْتُ تجرّعَ الغصصَ [في كتم هذه القصص] التي فيها عبرة لأولي الألباب ، وما كان هذا الذي طرا ، حديثاً يفترى ، ولا هذا الذي طرق ، نبأً يُخْتَلَقُ .

ومن رقعة أخرى أيضاً في ذلك مجهولة [القائل] : المحن على ضروب ، والنوائب تجري بمعضلات الخطوب ، فتفجأ بالرقم الرقماء^٣ ، وتطرق بالداهية الدهياء ، وتأتي بالغريبة الشنعاء ، فلا وافي سواه ، ولا مجير من بتغاتها حاشاه ، وهب الحازم ارتقب الخطوب مُعيداً لها من سننها ، ولقي المكاره بسلّاحها وجنّنها ، كيف له بعلم خفيات الضمائر ، وخبيثات البواطن والسرائر ؟ إلا أن لطفه الحفيّ ، وصنعه الكافي الحفيّ ، يكلّان مَنْ توكل عليه ، ويعضدان من اعتضد به [واستند إليه ؛ وكنت] قد اختصصت من ولدي الخائن^٤ الجاني لإسماعيل بضروب

١ د ط س : احتذيت .

٢ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٢١٩ .

٣ الرقم : الداهية ؛ يقال جاء بالرقم الرقماء أي الداهية الدهياء .

٤ د ط س : وينصران .

٥ ب م : بالخائن .

من الإنعام ، والإحسانِ والمبرّةِ والإكرام ، وَمَلَكَتُهُ زِمَامَ أَعْنَةِ الجُنُودِ ،
وَأَظْلَلَتْهُ بَظْلٌ خَافِقَةُ البُنُودِ ، وَأَرْضَعَتْهُ ثَدْيَ الحَرْبِ ، وَجَرَّأَتْهُ عَلَى مِقَارَعَةِ
الطَّعْنِ والضَّرْبِ ، وَأَنْفَذَتْ أَمْرَهُ وَتَنْهِيَتَهُ ، وَأَجَزَتْ فِعْلَهُ وَرَأْيَهُ ،
فَنَقَضَتْ عَلَيْهِ أَقْصَى المطامِعِ ، وَأَشِيرَ نَحْوِهِ بِالأَصَابِعِ ، وَدُعِيَ بالرَّئِيسِ
الْأَمِيرِ ، وَلَقَّبَ بِالْمُؤَيَّدِ الْمَنْصُورِ ، إِلَّا أَنَّ ظَنَّ الْمَرْءِ يَخْطِئُ وَيَصِيبُ ،
وَلِلَّهِ أَسْتَارٌ دُونَ عِلْمِ الْغُيُوبِ ، وَلَيْسَ عَلَى الْمَرْءِ ضِمَانُ الْعَوَاقِبِ ، وَلَا كُفْلٌ
سِوَى الْجَهْدِ فِي الْمَطَالِبِ ١ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِشَرٍّ ، يَقْضِي بِمَا ظَهَرَ ، وَلِلَّهِ
مَا بَطْنٌ وَاسْتَرٌ :

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي ٢ أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ ، فَفِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعَدْرُ

وَكَانَ يَنْبِئُهُ ظَاهِرُهُ ٣ مِنَ الْجَهْدِ مَنْتَهَى الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَيَجْرِي أَمْرُهُ إِلَى غَايَةِ
الْإِذْمَانِ مِنَ حُدُودِ الطَّاعَةِ ، إِلَى أَنْ عُلِقَ بِهِ مَنَ أَغْوَاهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ
فَزِينَ لَهُ زُخْرُفُ الْغُرُورِ [٤٣ ب] وَالْفُسُوقِ ، وَقَذَفَ بِهِ فِي هَوَاةِ
الْخِلْدَانِ وَالْعَقُوقِ ، فَأَحَالَ طَيْبَتَهُ إِلَى أَخْبَثِ التُّرْبِ ، وَقَدْ تَعْدِي الصُّبْحَاحُ
مِبَارِكُ الْجَرْبِ ٤ ، وَنَقَلَهُ مِنَ الطَّبِيعِ الْكَرِيمِ ، إِلَى الْخَلْقِ الذَّمِيمِ ، وَعَوَّضَهُ
مِنْ طَاعَةِ الرَّبِّ وَالْأَبِ ، آفَةَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ ، وَحِينَ لَبَسَ ثَوْبَ الْغِيَرَةِ
وَالْخِيَلَاءِ ، وَقَادَ الْجِيُوشَ مَلَأَ الْفَضَاءَ ، وَاسْتَضَافَ إِلَيْهِ مَنَ اسْتَضَافَ
مِنْ شِرَارِ الْقُرُنَاءِ ، طَمَعَ فِي بَلَدٍ ، لَا تَكُونُ عَلَيْهِ فِيهِ يَدُ أَحَدٍ ، لَيْسَتْ تَعْمَلُ
السَّفَهَ وَالْجَهْلَ ، وَيُهْنِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَيَأْبَى دِفَاعُ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ،

١ د ط س : الغالب .

٢ د ط س : وما هو إلا .

٣ قد مر هذا ، انظر ص : ٣٥ ، ١٥٦ .

٤ د ط : العزة .

فهو أَرَأَفُ بَخْلَقِهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ لِلْمَهَالِكِ ، وَطَارَ النَّبَأُ إِلَيَّ ، وَسَقَطَ الْخَبَرُ عَلَيَّ ، فَبَلَغَ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ الْكَفَايَةِ غَايَةَ الْأَمَلِ ^١ ، وَخَابَ سَعْيُهُ ، وَفَالَ رَأْيَهُ ، وَنَدِمَ وَلَاتَ حِينَ مَنَدَمَ ، فَتَحَرَّكَتْ مِنِّي الرَّحْمَةُ الَّتِي قَطَعَهَا ، وَحَنَّتِ الرَّأْفَةُ الَّتِي نَبَذَهَا وَخَلَعَهَا ، فَعَفَوْتُ [عَنْهُ] وَاعْتَلَقَ بِحَبْلِ الْإِنَابَةِ ، وَأَسْرَعَ الدَّخُولَ فِي بَابِ الْإِجَابَةِ ، وَهُوَ مَنْطُورٌ عَلَى شَرِّ ضَمَائِرِهِ ، وَمَسْرُورٌ لِأَخْبَثِ سَرَائِرِهِ :

وَأُظْلِمُ أَهْلَ الْأَرْضِ مِنْ بَاتٍ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نِعَمَائِهِ يَتَقَلَّبُ ^٢
وَقَبِلْتُ تَوْبَتَهُ الظَّاهِرَةَ ، وَأَقْلَلْتُ زَلَّةَ قَدَمِهِ الْعَاثِرَةَ ، وَلَمْ أُخْلِهِ فَاضِلً ^٣
اهْتِبَالِي وَاعْتِنَائِي ، وَلَمْ أَمْنَعُهُ غَيْرَ قَرِينِي وَلِقَائِي ، فَأَطْعَاهُ ذَلِكَ وَأَبْطَرَهُ ، وَأَطْمَعُهُ فِي نَيْلِ مَا كَانَ أَضْمَرَهُ ، فَرَامَ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا وَلَا بَقَاءَ مَعَهَا :
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِهِ

* * *

سَبَكَنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لَحِيناً فَأَبْدَى السَّبْكَ عَنْ نَحْبِ الْحَدِيدِ ^٤
وَلَعَمْرِي لئن أَنَجَّاهُ آبَاءُ سُرُورٍ وَصِدْقٍ ، لَقَدْ سَرَى فِيهِ لِلخُؤُولَةِ لُثِيمٌ ^٥

١ ب م : الْآمَلُ .

٢ الْبَيْتُ لِلْمُتَنَبِّي ، دِيَوَانُهُ : ٤٦٦ ، وَرَوَايَتُهُ : أَهْلُ الظُّلَمِ ، وَهِيَ رَوَايَةُ س ط د .

٣ د ط س : مِنْ فُضَائِلِ .

٤ الشَّوَى : كُلُّ مَا كَانَ غَيْرَ مُقْتَلٍ ، وَالَّتِي لَا شَوَى لَهَا : فَتَكَةُ تَصِيبِ مَقْدَلٍ .

٥ الْبَيْتُ لَعَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرَبُ ، وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ بِهِ (الْكَامِلُ ٣ : ١٩٨) وَالسَّمْعُ :

(٦٣) وَرَوَايَتُهُ : أُرِيدُ حَبَاءَهُ ؛ وَفِي د ط س : عَذِيرِي مِنْ خَلِيلِي ، وَعَكْسُ الشُّعْرَيْنِ .

٦ الْبَيْتُ فِي التَّمَثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ : ٢٨٨ دُونَ نُسْبَةٍ ، وَرَوَايَتُهُ : فَأَبْدَى الْكَبِيرَ .

٧ لُثِيمٌ : سَقَطَتْ مِنْ ط د س .

طبعٌ وعِرقٌ ، ولا غَرَوْ في هذه الحال ، فقد يستحيلُ الزعاقُ من الزلال ،
وينامُ عرقُ الألبِ ويسري عرقُ الخال :

وأولُ خُبثِ الماءِ^١ خُبثُ ترابهِ . وأولُ خُبثِ المرءِ خُبثُ المناكحِ .

فعاقدَ سَقَاطاً من خِساسِ^٢ صبيانِ العبيدِ المتصرفين في أحطِّ المراتبِ عندي ،
المنحطّين عن الكونِ في جملةِ جندي ، إذ لم يجدْ مساعداً على هذه القضية ،
من فيه أقلُّ مُسَكَّةٍ وبقيةً ، فاستهوى ضعفَ عقولهم^٣ ، واستنفرَ قليلَ
تحصيلهم ، وسلّحهم^٤ بسلاحي ، وراشَهُمْ^٥ بفضلِ جناحي ، ودعاهم
إلى عصيانِ ربهم وأمري [٤٤ أ] والتعرّضِ لَهتكِ سلطانيهِ وسُتري^٦ ،
وتسّموا مُنِيفَ الأسوارِ تسنّمَ الوعول ، بعد أن سقاهم صِرْفَ الشمول ،
التي تَدَّهَبُ بوافرِ العقول ؛ يظنّوني نائماً ويحبسوني غافلاً^٧ ، واللهُ
ليس بغافلٍ عمّا يعملُ الظالمون^٨ ؛ وكان عددُ الفتيانِ الفجار ، كعددِ
خَزَنَةِ أَهْلِ النَّارِ ، فأطلعني الله تعالى على حِسِّهِمْ^٩ ، وأسمعني خفيَّ
رِكَزِهِمْ^{١٠} ، فثرتُ من الفراش ، رابطَ الجاش ، فولّوا على الأعقابِ حين
رأوا شخصي ، متساقطين على الأذقان إذ سمعوا صوتي^{١١} ، وعاد الخائنُ الخائن
إلى سورِ المدينة بعد أن خَرَقَ اليه ، ورائدُ الموتِ يحولُ بين عينيهِ ، فغيرَ
بعيدٍ ما أسرتهُ الخيلُ أسراً ، وقيدَ إليَّ عَنَوَةً وقهراً ، وكذلك شيعتهُ
المارقة ، وصحابتهُ الجانيةُ الفاسقة ، فلم يقلت^{١٢} منهم بحمدِ الله أحدٌ ،

١ ط د س : المرء . ٢ د : خساساً من سقاط .

٣ س : قلوبهم . ٤ د ط ن : ستري وسلطاني ؛ ب : سلطاني وستري .

٥ ناظر إلى الآية : ٤٢ من سورة إبراهيم .

٦ د ط س : كعدة . ٧ ط : صوتي .

٨ د ط ن : إذ سمعوا صوتي ، وفروا فأسرّتهم الخيل أسرا ، وقيدوا إلي عنة وقهراً ، فلم
يقلت الخ .

ولا أجاره مكان^١ ولا بلد ، حتى أخذ الله تعالى بثاره^٢ منهم ، وأقام حدوده^٣ فيهم ؛ وأنا متأسف في هذه الرزية ، بكبار سلوك الإسلام والجاهلية ، فقد تعدى عقوق الأبناء ، إلى كبار البشر والأنبياء ، حتى قال الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود : ٤٦) والرب تعالى يُخْرِجُ الْحَيَّاتِ مِنَ الطِّيْبِ ، ويقضي ما شاء في علم الغيب ، لكني على العلات ، ورعاية الحرمات ، أرضي طاعة الله تعالى في من عصاه ، وألترم^٤ أمره^٥ في من خالف رضاه :

وإن السيِّفَ في الباغي جزاء^٦ أحقُّ به من النَّسَبِ القريبِ

بقية ما استخرجته من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة [عن ابن مجاهد] إلى المنصور^٢ بن أبي عامر : من اختار - أيديك الله - لخلتته أركى المعادن ، واعتمد ليمقتته أسنى المواطن ، كان جديراً أن يعتبط بجناها ، ويرتبط بفوز عقبها ، ويعلم أنها على الأيام صقيلة الأرجاء لا يصدئها الإهمال ، صدقة^٣ المضارب لا يفلتها الأعمال ، وأنت الذي لا يداني شرفه^٤ ، ولا يسامي سلفه^٥ ، ولا تجارى أعراقه^٦ ، ولا يبارى إعراقه ، فمن ظفّر بصفاك^٧ عماداً ، وبوفائك^٨ عتاداً ، فقد أصمى سهمه وقرطس^٩ ، ونزل ساحة الفضل وعرس^{١٠} ، ووثق^{١١} بأنه

١ ط د س : أرضيت . . . والتزمت .

٢ ط س : الناصر ؛ والناصر هو عبيد الله بن المنصور عهد العزيز بن أبي عامر .

٣ ب م : صدقة .

٤ م : بفضائك ؛ ب : بفضائك .

٥ قرطس : أصاب الرمية .

وردَ ورداً لا تكدرُهُ الدلاء ، واعتقد عقداً^١ لا يُغيّره الإصباحُ والإمساء ؛
وتلك حالي في ما مُنِحتُهُ^٢ من صفائك ، ووليتُهُ من ولائك ، والله يحرسُ
حظّي من وفائك ، ويرفعُ المضارَّ عن حوْبائك^٣ ، [بمنّه] .

ومن أخرى عنه إلى المظفر بن الأفتس : إذا تشاكتُ — أريدك الله —
الأحوالُ والضروب ، تقاربتِ الأهواءُ والقلوبُ^٣ ، وقد قيل [٤٤ ب] :
الشكولُ أقارب ، والمذاهبُ مناسب :

ولنَ تنظّمَ العقدَ الكعابُ^٤ لزينةٍ كما تنظّمُ الشملَ الشثيتَ الشمائلُ^٥
وما تشئتَ لنا ، بحمد الله ، شملٌ ، ولا انقطعَ بنا حبلٌ ، ولا غبَّ بيننا
وَصَلٌ ، بل نحن على ثلجٍ تواصلٍ يفتضيه التشاكلُ والتآلفُ ، ونهج تداخلٍ
يستدعيه التعاقدُ والتحالُفُ ؛ وإلتي — علم الله — بمكانِكَ لمباهٍ ، وبزمانِكَ
لمظاهرٍ مضاهٍ ، أعتقدُ لك العقدَ الذي لا تُجاذبُ أهْدابُهُ ، ولا يَنازَعُ
جلبابه ، وقد نظمتُنا من الأحوالِ المشاكلةِ والأسبابِ الواشجةِ ما كلانا
له مُراعٍ ، وإلى قضاء الحقِّ فيه وحفظ الحظِّ منه ساعٍ ، وربَّ حالٍ
جددتُ تآلفاً ووداً ، وأكّدتُ وشدّتُ^٥ على مرِّ الأيامِ عهداً وعقداً ،
وبنت ما لا يهدمهُ الدهرُ ولو انتحاه من خطوبه بميعنولٍ ، وأنحى عليه بجرانٍ
وكلكلٍ ، والله يُصلُّ ما بيننا بالدوامِ والثباتِ ، ويحرسُهُ من الانصرامِ
والانبتاتِ .

١ م ب : عهداً .

٢ م ب : منحت .

٣ م ب : والمطلوب .

٤ د ط س : الشثيت .

٥ د ط س : ووكّدت وشدّدت .

وله من أخرى^١ : لئن ضنّيت الأيامُ بالمرغوب ، وَلَوْتَنَا فِي نَيْلِ
المطلوب ، فلا ضيرَ ، فلسنا نعلمُ أيُّ القسمين أرجحُ فنتأسفُ على تركه ،
وأيُّ الحظين أرجحُ فننتظمُ في سلكه ، وَحَقَّ لِمَنْ نَظَرَ بَعَيْنَ الْفَكْرِ أَنْ لَا يَبَالِي
بِحَالَةٍ تَعْتَرِضُ ، أَوْ عَزِيمَةٍ تَنْتَقِضُ ، أَوْ حَبْلِ يَرْتِ ، أَوْ شَعْبٍ يَنْتَكِثُ ،
فربما كَانَ الْأَعْرَاضُ أَحْكَامًا ، وَأَصْبَحَ الْإِنْتِقَاضُ إِبْرَامًا ، وَالْهَجْرَانُ وَصَالًا ،
وظَلَّ النَقْصَانُ كَمَالًا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ السَّلَامَةِ ، فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ .
ووَافَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ ، فَأَوَّلَ مَا سَرَّحْتُ طَرْفِي فِي مَسْطُورِهِ ،
وَأَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي مَنثورِهِ ، اسْتَطَارَ الرِّكَابُ فَرَحًا ، وَعَادَتِ الْغَمَرَاتُ
مَرَحًا ، ثُمَّ أَنْشَدْتُ وَرَدَدْتُ :

أَهْمٌ بِشَيْءٍ وَالْيَالِي كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ^٢
بِذَا قَضَيْتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وعسى الله أن يعيدَ عهداً تجري فيه السوانح ، وتسقطُ به البوارح ، فيصفو
جَمَامُ ، وَيَنْقَطِعُ هَيَامُ ، وَيُسَلَّ حَسَامُ ، وَيُحَمَّدُ مَقَامُ .

وله من أخرى إلى المنصور بن أبي عامر^٣ : إني — أَيْدَ اللَّهِ الْمَلِكِ
الكَرِيمِ — لَمَّا أَضَاءَتْ لِي أَهْلِيَّةٌ مَفَاخِرُهُ فِي سَمَاءِ الْفَخَارِ ، وَأَثَرَتْ شَمُوسُ
مَكَارِمِهِ عَلَى مَفَارِقِ الْأَحْرَارِ ، وَأَبْصَرْتُ شَمَائِلَهُ الزُّهْرَ تَتِيرُ مِنْ الْهَمِّ كَامِنَهَا ،
وَمَحَاسِنَهُ الْغُرَّ تَوْقِظُ مِنَ الْأَمَالِ نَائِمَهَا ، تَيَقَّنْتُ أَنْ بِحَقِّ انْقَادِ لَهُ الْقُلُوبُ
فِي أَعْنَتِهَا ، وَتَهَادَتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ بِأَزْمَتِهَا ، فَالَيْتُ أَنْ لَا أَلْمَ إِلَّا بِحِمَاهُ ،
وَلَا أَحْطَ رَحْلًا [٤٥ أ] إِلَّا فِي ذَرَاهُ ، عَلِمًا بِأَنَّهُ نَبْرَةُ الْفَخْرِ ، وَغُرَّةُ

١ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٢ البيهتان للمتنبّي ، وهما متباعدان في موضعيهما من القصيدة ، انظر ديوانه : ٣١٠ ، ٣١٣ .

٣ وردت هذه الرسالة في نفع الغليب ١ : ٥٩٧ ، وهي مبنية على الخطاب لا على الغيبة .

الدهر ، فيمَّمتُ سارياً في طالع نوره ، متيمناً بيسمن طائيره ، بأملٍ متحقق
الريح ، موقنٍ [بالفلج و] الشُّجج ، حتى حُللتُ بدرجة^١ المجد ، وأنختُ
بدروة^٢ السَّعد ، فجعلتُ أنثر من جواهر الكلام ، ما يُرَبِّي على جواهر
النظام ، وأنشرُ من عطر الثناء ، ما يُزري بالروضة الغنَّاء ، وحاشَ
للفضل^٣ أن يُعطلَّ ليلي من أقمارك ، ويخلى أفقي من أنوارك ، فأرى
منخرطاً في غير سالكك ، منحطاً إلى غير مُلكيك ، لا جرَّمَ أنه من
استضاء بالهلال ، غنَّيَ عن الدُّبال ، ومن استنار بالصباح ، ألغى سنا
المصباح ، تالته ما هزَّتْ آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولا حدَّتْ أطماعي
ركائبها إلى حاشاك^٤ ، ليكونَ لذلك في أثرُ الوسميِّ للماحل ، وعليَّ جمالُ
الحليِّ للعاطل ، بسيادتكِ الأوليَّة^٥ ، ورياستكِ الأزليَّة^٦ ، التي يتَّصَّصُ
عن وصفها إفصاحي ، ويعيا عن بعضها بياني^٧ وإيضاحي ، فالقراطيسُ
عند بثِّ مناقبكِ تقفُ ، والأقلامُ في رَسْمِ آثارِكِ تخفى .
وفي فصل منها : والسعيدُ من نشأ في دولتك ، وظهر في جُمَلَتِك^٨ ،
واستضاء بغُرَّتِك^٩ . لقد فاز بالسبق من لحظته^{١٠} عيونُ رعايتك ، وكنَّفه

١ النفح : في دوحة .

٢ النفح : بدولة .

٣ النفح : للفهم .

٤ النفح : الى من عدلك .

٥ النفح : السنية .

٦ النفح : الأوليَّة .

٧ ب م : ثنائي .

٨ النفح : امتك .

٩ ط د س : بقربك ؛ النفح : بمزتك .

١٠ س : لإحظته .

حِرْزُ حمايتك ، فأنت الذي أُمِنْتَ بعده نوابُ الأيام ، وقويت بفضلِه
دعائمُ الإسلام ، تحتالُ بك المعالي اختيالَ العروس ، وتخضعُ لجلالتك
أعزّةُ النفوس ، بسابقةٍ أشهرَ من الفجر ، وفطنةٍ أنورَ من البدر ، وهمّةٍ
أبعدَ من الدهر :

لقد فاز مَنْ أضحى بكم متمسكاً يمدُّ إلى تأميل عزِّكم يسدا
سلكت سبيلَ الفضل خالقاً مركباً وغيرُك لا يأتيه إلا تجلدا
ليهنيكم مجدُّ تليدٌ بنيمٌ أغارَ لعمري^١ في البلادِ وأنجدا

[وفي فصل] : وإنما أهدي إلى مولاي خدمتي ، وأضعُ في ميزانِ اختياره
همتي ، لأمتاز في جملة عبيده ، وأشهرَ في خدامته وعديده :

وما رغبت في عسجدٍ أستفيدُهُ ولكنّها في مَفْخَرٍ أستجدُهُ^٢
وكلّ نوالٍ كان أو هو كائنٌ فلهِ لحظةٌ طَرَفٌ منك عندي ندّه
فكنْ في اصطناعي محسناً كعجرب بينْ لك تقريبُ الجوادِ وشده^٣
إذا كنت في شكٍّ من السيفِ فابْلُهُ فاما تُنفّيه وإما تعدّه [٤٥ ب]
وما الصارمُ الهنديُّ إلّا كغيره إذا لم يفارقه النجادُ وغمده

وله من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر يعلمه بغدر أخيه حسنٍ
له ، قال فيها بعد الصدر : وإن الموفقَ مولاي - رضي الله عنه - كان
رمى إليّ بعهدِه ، وقلّلتني الأمرَ من بعده ، وبايعني بذلك مَنْ كان في
قبضةِ سلطانه ، واشتغالَ ديوانه ، ولما اتفقت الآراءُ ، ويئسَ الأعداءُ ،

١ النسخ : أغار سناه .

٢ الأبيات للمتشبي ، ديوانه : ٤٥٤ مع اختلاف في ترتيبها .

٣ في النسخ : وبعده ، والتصويب عن الديوان .

مدَّ أَخِي حَسَنٌ بِيَمِينِي يَدًا ، وَأَظْهَرَ فِي طَاعَتِي مُعْتَقِدًا ، فَمَا آتَى لِمَدَادِ
عَهْدِهِ أَنْ يَحْفَ ، وَلَا حَانَ لِيَدِهِ عَاقِدُهُ أَنْ تَنْحَرِفَ ١ ، حَتَّى دَاخَلَ صَاحِبَ
أَشْبِيلِيَّةٍ فِي الْغَدْرِ وَالْخِلَافِ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ رَجُلًا يَدْعَى سَلْمَةَ مِنْ جَنْدِهِ ٢
لِيَتَصَرَّفَ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَأَجْمَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَالْقَضَاءُ أَمْسَلَكَ ، وَأَزْمَعُوا كَيْدَهُمْ
وَالْقَدْرُ يَضْحَكُ ، وَتَوَخَّوْا صَدْرِي ٣ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، فَوَافِقُونِي ٤ قَدْ
انْسَرَبْتُ فِي كَلَّةِ الْأَمْنِ ، وَنَمْتُ فِي حِجْرِ حُسْنِ الظَّنِّ ، فَمَا اسْتَيْقَظْتُ
إِلَّا لَصَفْحٍ ٥ صِفَاتِهِمْ تَصَلَّتْ عَلَيَّ ، وَلَا انْتَبَهْتُ إِلَّا لَضَوْءِ رِمَاحِهِمْ
تُشْرَعُ إِلَيَّ ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ كَانَ بَازَائِي ظَهِيرًا ، وَتَلْقَانِي نَصِيرًا ، وَبَيْنَ يَدَيَّ
رَفْدًا ، وَمِنْ وَرَائِي مَدَدًا وَرَدًّا . فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ تَسَاقَطَ فَرَاشُهُمْ فِي مَصَابِيحِ
الْفَرَجِ ، وَأَتَعَيَسْتُ ٦ شُبُهَهُمْ فِي مَوَارِدِ الثَّلَجِ ، وَفَزْتُ وَقَدْ انْجَلَتْ الْكَرَّةُ
عَلَيْهِمْ . فَأَمَّا سَلْمَةُ الْمَذْكُورُ فَانْه رَمَى عَنْ قَوْسِيهِ إِلَى نَفْسِهِ ٧ ، وَسَطًا بِسَهْمِهِ
عَلَى جِسْمِهِ ، فَانْتَثَرَتْ فِي بَطَاحِيهِ ، مَقْتُولًا بِسِلَاحِهِ ، وَأَمَّا حَسَنٌ فَمَرَّ مُسْتَمِرًّا
لَمَّا اسْتَمْرَاهُ ، مُسْتَمِرًّا لَمَّا اسْتَحْلَاهُ ، قَدْ عَارَضَ النِّعْمَةَ بِجَحْدِهَا فَسَابَيْتُ
عَنْهُ ، وَقَارَضَ الْحَسَنَةَ بِضَدِّهَا فَانْتَرَعَتْ مِنْهُ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْجَفْنِ
وَالنَّازِلِ نَازِلًا ، وَبَيْنَ الضَّمِيرِ وَالْخَاطِرِ جَائِلًا ، قَدْ قَاسَمَتْهُ الْعِيْشُ نَصْفَيْنِ ،
وَالْحَيَاةُ شَطْرَيْنِ ، لَهُ النَّوْمُ وَلِيَ السَّهْرِ ، وَلَهُ الْأَمْنُ وَلِيَ الْخَلَرِ ، وَلَهُ
الْصَفْوُ وَلِيَ الْكَدْرِ ، أَشْقَى لِيَنْعَمَ ، [وَأُمْتَهَنُ لِيَكْرَمَ] ، إِلَى أَنْ وَاصَلْتُهُ

١ د ط س : تَنْحَرِفُ .

٢ م : سَلْمَةُ بْنُ خُنْدَةَ .

٣ س : صَدُورِي .

٤ د ط : فَوَافِقُونِي .

٥ د ط س : لَصَفْحٍ .

٦ ط د : وَانْقَسَمَتْ : س : وَانْقَسَمَتْ .

٧ ط د س : بِنَفْسِهِ .

الرفاهيةُ فملَّ ، ونادمتُه النعمةُ فاعتلَّ ، ومسَّهُ الخيرُ فمَنعَ ، وغرَّتهُ
الأمانيُ فانخدعَ ، حتى ذاقَ وبالَ أمره ﴿ولا يحيقُ المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهليه﴾
(فاطر : ٤٣) .

وله من أخرى [عنه] إلى المظفر بن الأفطس : وما أشكُ في ما ذكرتَ
من أخذِكَ معي بالنصيبِ الأوفرَ ، والقسطِ الأكبرَ ، من المصابِ بفقدِ
الموفقِ مولاي ومعظَّمِكَ ، كان ، — لقَّاه الله رضوانه ، وألحفَه عَفْوَه
وغفرانه — فقد كان إذا عُدَّ الأفاضل لا يثني خِصرَه إلاَّ عليك ، وإذا
ذُكِرَ الرؤساءُ لم يُشِيرْ بتصحيحِ الوفاءِ إلا اليك ، فنحن لا نستوحشُ
بفقدِ فاضلٍ وذاتُه موجودة ، ولا نرتاعُ لموتِ جليلٍ^٢ [٤٦ أ] وحياتُه
ممدودة ، فأنك إذا قال قائلٌ منا : كَسَدَتْ لوفاةُ^٣ الموفقِ سوقُ الأدبِ ،
وبارتِ بضاعةُ الطلبِ ، وهوى نجمُ العلمِ ، وكبا زَندُ الفهمِ ، وعفا رسمُ
الحلمِ ، وطُفِئَ سراجُ الرأيِ ، استثنى بكِ المجيبُ ، وعَزَّى بِمَكَانِكَ
المصيبُ ، وأطبقَ الإجماعُ أنكَ جِماعُ الفضائلِ ونظامها ، وفي يدِكَ
لواؤُها وزمامها .

وله [فصل] من أخرى : أأظمُّ إلى ماءِ نهرٍ قد تغلغلْتُ في حياضِهِ ،
وأذادُ عن لآلئِ زهرٍ قد توغلْتُ في رياضِهِ ، وأتعطَّلُ من حليكَ وقد
فاضَ فيضَ الرِّرِ ، وأتعرَّى من حُلِّيلِكَ وقد ضَمَقَتْ مَلابِسُها على

١ ط د س : ...

٢ ط د س : ...

٣ ط د : ... به وفاة .

٤ ط : ... وعاد .

الجمهور ؟ ! كلا والله ، إني لعاجزٌ مع^١ تمكينها وإعراضها ، وقلة عيّلها وأعراضها ، ولقد رفع الله من هذا الأدب الذي جدّدت رسومته بعد دثورها ، وأطلعت نجومه بعد غؤورها ، ونهجت سبيلته بعد انشعابها وطموسها ، وبصّرت^٢ أعلامه بعد ذهابها ودروسها ، حتى مالت إليه الأعناق^٣ ، واثالت عليه الرفاق ، وطمحت بحوه الأحداق^٤ ، وحقّ لشيء نفقته أن يعزّ وينفق ، ولنجم أطلعت أن ينير ويشرق ، ولغصن سقيته أن يسبق ويورق ، وجدّته عن قديم ، وأوجدته من عدم ، ونشّرت^٥ من كفن ، وبعثته من جن ، فهو يُنني بالآلئك ثناء الأزهار للمطار ، ويعبق بشيمك^٦ عقب الأنوار بالأسحار ، ويشير إليك إشارة المصنوع إلى الصانع ، ويدلّ عليك دلالة الليل على النجوم الطّوالع .

وفي فصل من أخرى : ان سبقت إلى الفضل فالمعهود منك السبق^٧ ، وإن أوجبت [لك] عليّ حقاً فقديماً كان لك الحق ، وقد أبى الله أن يرتدي برداء الحمد ، ويقعد ذروة المعجّد ، إلّا من قرّع أنف الأنفة ، بيد النّصفة ، وعصى سلطان الحميّة الجاهلية ، بالانقياد لأحكام الملة الحنيفة^٨ ، وما أربحه متجرّاً ، وأرجّحه مفخرّاً ، لمن أهده^٩ إليه توفيق ، وهده^{١٠} عليه تحقيق ، وأنت — أيّدك الله — ذلك الناظر بعين اليقين ، الساهر

١ ط د : بعد .

٢ بصر : وضع ؛ ب م : وقصرت .

٣ ب م : إليها . . . عليها . . . نحوها ؛ ط د س : الارزاق .

٤ ب : بنسيمك ؛ د ط : بتسيمها .

٥ في انسخ : الا .

٦ ب ط : الحنيفة .

٧ ط د : وعداه .

في مصالح^١ الدنيا والدين ، وبحقِّ علا قدرُكَ ، وسما ذكرُكَ ، وأصبحتَ
في رؤساءِ الأندلسِ المشارِ إليه ، والكبيرِ المعتمدِ عليه .

ومن رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد

فصل له من رقعة : ورد كتابُكَ يحضُّ على ما أمرَ اللهُ به من الأُلُفَةِ ،
واتِّفاقِ الكلمةِ ، وإطفاءِ نارِ الفتنةِ ، وَجَمْعِ شَمْلِ الأُمَّةِ ، في هذه
الجزيرةِ المنقطعةِ عن الجماعةِ ، فله [٤٦ ب] رأيُكَ الأصيلِ ، وسعيُكَ
الجميلِ ، ومذهبيُّكَ الكريمِ ، وغيبُكَ السليمِ ! ! ما أصدقَ قيلِكَ ،
وأهدى دليلَكَ ، وأوضحَ في سبيلِ البرِ سبيلَكَ ! ! وقد كنتُ — علمُ^٢
اللهِ — جائحاً إلى ما جنحتَ إليه ، ويلوحُ لي ما يلوحُ إليك : مِن أنا على
طَرَفٍ إِلَّا ما كفى اللهَ ، وعلى قَلَّةٍ إِلَّا ما وقى اللهَ .

وله فصولٌ [اقتضبتيها] من رسالةٍ فيها طولٌ ، كتبها على ألسنةِ
أهلِ بَرَبَشْتَر^٣ ، عنوانها : من الثغورِ القاصيةِ ، والأطرافِ النائيةِ ، المعتقدين
للتوحيدِ ، المعترفين بالوعدِ والوعيدِ ، المستمسكين بِعُرْوَةِ الدينِ ، المستهلكين
في حمايةِ المسلمينِ ، المعتصمين بعصمةِ الإسلامِ ، المتألفين^٤ على الصلاةِ
والصيامِ ، المؤمنين بالتنزيلِ ، المقيمين على سُنَّةِ الرسولِ ، محمد نبي الرحمةِ ،

١ ب : مصالح ؛ د ط : مصابيح .

٢ ب م : يعلم .

٣ بربشتر (Barbastro) تقع في ناحية وشقة على احد فروع نهر إبره الى الشمال الشرقي
من سرقسطة ؛ وانظر الخبر عن كائنتها في ابن عذارى ٣ : ٢٢٥ ودراسة عنها في Recherches

٢ : ٣٣٢ وما بعدها ، وسينقل ابن بسام نص ابن حيان عنها فيما يلي .

٤ ط د س : المعترفين بالوعد والوعيد المؤلفين . . . الخ .

وشفيح الأمة ، إلى مَنْ بالأمصار الجامعة ، والأقطار الشاسعة ، بجزيرة
الأندلس من ولاية المؤمنين ، وحماة المسلمين ، ورعاة الدين ، من الرؤساء
والمرءوسين ، سلامٌ عليكم ، فانا نحمدُ الله اليكم ، حمدَ مَنْ أيقنَ به
رباً ، وجعله حسباً ، وليّ المؤمنين ، وغيث المستغيثين ، مجري الفلك
في البحر بأمره ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج :
٦٥) ونصائِي على المصطفى من أصفياه ، محمدٍ خاتم أنبيائه ، المبعثِ
بأنواره الساطعة ، وحجاجه القاطعة ، على حين عَفَتِ رسومُ الدين ،
وخوت نجومُ اليقين ، فجلا الشكَّ ، وأدخَصَ الإفكَ ، فعليه من السلام
أفضلُ سلام ، ما وُحِّدَ الرحمن ، وتُشْنِي الفرقدان .

أما بعدُ : حرسكم الله بعينه التي لا تنام ، فانّا خاطبناكم مستنفرين ،
وكتابتناكم مستغيثين ، وأجفاننا قرّحى ، وأكبادنا حرّى^٢ ، ونفوسنا
منطبعة^٣ ، وقلوبنا محترقة^٤ ، على حين نشر الكفر جناحيه ، وأبدى الشرك
ناجذيه ، واستطار شررُ الشرِّ ، ومسّنا وأهلنا الضّرَّ ، أحسنَ ما كنّا
بالأيام ظنّاً ، وملّتنا ظاهرة^٥ ، وفئتنا متناصرة ، لا تُشَلُّ لنا يد ، ولا
يُفَلِّ لنا حدّ ، حتى انقلبَتِ العين ، وبان الصبحُ لذي عينين^٣ .

[وفي فصل منها] : وأيُّ أمانٍ من زمانٍ قلما يخضرُّ منه جانبٌ إلّا جفَّ
جانبٌ ، ولا تبرقُ منه بارقةٌ إلّا اتبعَتها صاعقة ، إلّا ما وقى الله . وننبئكم

١ د ط : وحججه .

٢ ط د س : جرحى .

٣ من المثل : قد بين الصبح لذي عينين ، انظر فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١
والمسكري ٢ : ١٢٥ ، وقد تقدم ص : ١٢٧ .

٤ من قول ابن عبد ربه :

الا انما الدنيا غصارة ايكة - انما اخضر منها جانب جف جانب

— معشرَ المسلمين — بعضَ ما نابنا في ثغورنا، عسى أن تكونوا سبباً لنُصرتنا،
 فالؤمنون إخوة^٢ ، والمسلمون لُحمة^٣ ، والمرءُ كثيرٌ بأخيه ، وإلى أمِّه
 يلجأُ اللهفان ، وإلى الصوارم تفرعُ الأقران ، والسعيدُ من وعظُ بغيره^١ ،
 والشقيُّ من عَمِيَّتْ عيناه ، وصمَّتْ عن الموعظةِ أذُنَاه . ونقصُ عليكم
 من نبأنا^٤ ، وما انتهت إليه حالُ ملأنا ، ما واللهِ يوجعُ [٤٧ أ] القلوبَ
 سماعُهُ ، كما قصمَ الظهورَ وأسخنَ العيونَ اطلاعه .

وفي^٣ فصل منها : فأحاطت بنا كإحاطةِ القلادةِ بالعنق ، يسوموننا
 سريرةَ العذاب ، بضروبٍ من الحرب والحراب ، آناءَ ليلها ونهارها ، تصبُّ
 علينا صواعقها ، وترمي إلينا بوائقها^٣ ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، على
 ما رأَتْ^٤ منا العيونُ ، مِن انتهاكِ تلك النِّعمِ المدتَّحرات ، وهتكِ سِترِ
 الحُرِّمِ المحجَّبات ، والبناتِ المخدَّرات ، وما تكشَّفَ^٥ من تلك العوراتِ
 المستترات ، فلو رأيتم — معشرَ المسلمين — إخوانكم في الدين ، وقد غلبوا
 على الأموال والأهلين ، واستحكمتْ فيهم السيوفُ ، واستولتْ عليهم
 الختوف ، وأثخنَّتْهم الجراح ، وعبثتْ بهم زُرْقُ الرِّماح ، وقد كثُر الضَّجيجُ
 والعيولُ والنياح ، ودماؤُهُمْ على أقدامهم تسيل ، سيلَ المطرِ بكلِّ سبيل ،
 ورءوسهم قدَّامُهُمْ تطير ، وقلوبُهُمْ في أجسادهم تستطير ، ولا مغيتَ
 ولا مجير ، وقد صمَّتِ الآذانُ ، بصراخِ الصبيان ، ونياحِ النسوان ،

١ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٢٧ والميداني ١ : ٢٢٢ .

٢ د ط س : أدبائنا .

٣ — ٣ تبدأ هذه الفقرة في د ط س : وذلك انه احاط بنا عدونا كاحاطة القلادة بالعنق

فحاربنا حتى ظفر ، فانا لله . . . الخ .

٤ ط د س : تراءت .

٥ ط د س : وماذا كشف .

وبكاء الولدان ، وعلت الأصوات ، وفشت^١ المنكرات ، وتمرد الشيطان ، واشتهر^٢ الطغيان ، وظهرت الصلبان ، وأفصح^٣ت النواقيس ، وجلّست^٤ الأباليس ، وسعرت طغاة الخنازير ، وصارت^٥ الدور كاللتنانير ، دماء تُسفك^٦ ، وستور تهتك ، وحرم^٧ تنتهك ، ونعم^٨ تستهلك ، وأقفاء تُصفع ، وأعضاء تُقَطَّع ، وأعيان^٩ تُترتكب ، وأثاث ينتهب^{١٠} ، ومصاحف^{١١} تمزق ، ومساجد^{١٢} تحرق ، فلا الأخ يُغني أخاه ، ولا الابن يدعو أباه ، ولا الأب يُدني بنيه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس : ٣٧) ولا المرضعة تلوي على رضيعها ، ولا الضبيعة^{١٣} ترثي لضجيعها ، كأنهم في مثل اليوم الذي ذكره الجليل ، في مُحْكَمِ التَّزْيِيلِ ، ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ (الحج : ٢) ؛ فما^{١٤} ظنكم — معشر المسلمين — وقد سيقت النساء والولدان ، ما بين عارية وعُريان ، قَوْدًا بالنواصي إلى كل مكان ، طوراً على المتون ، وطوراً على البطون ، ومشيخة الرجال ، مُقَرَّنِينَ في الحبال ، مصفّدين في السلاسل والأغلال ، مقتادين بشعور السبّال ، ان استرحموا لم يُرحموا ، وان استطعموا لم يُطعموا ، وان استسقوا لم يُسقوا ، وقد طاشت أحلامهم ، وذهلت أوهامهم ، وسخت أعيانهم ، وتغيّرت ألوانهم .

١ م : وغشيت . ٢ د ط س : واستهوت .

٣ جلحت : حملت ؛ م : وجلجلت ؛ د : وضجت ؛ ط س : وخلصت .

٤ د ط س : وعادت ؛ ب : وسارت .

٥ ط س : وأعمار ؛ د : وأغار .

٦ م : واثاث تركب ؛ ط د س : وآثار تنتهب ؛ ب : واثاث تنتهب .

٧ قبل « فما » في د ط س : وفي فصل منها .

وفي فصل منها^١ : وما ظنكم — معشر المسلمين — وقد رأيتم .
 [٤٧ ب] الجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن ، وحلاوة الأذان^٢ ، مطبقة بالشرك والبهتان ، مشحونة بالنواقيس والصلبان ، عوضاً من شيعة الرحمن ، [والأئمة والمتدينون] ، والقومة والمؤذنون ، يجرهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذابح ، يكبون على وجوههم في المساجد صاغرين ، ثم أضرمت عليهم ناراً حتى صاروا رماداً ، والكفر يضحك ويسنكي ، والدين ينوح ويبكي^٣ ، فيا ويلاه ، ويا ذلاًه ، ويا كرباه ، ويا قرآنه ، ويا محمداه ، ألا ترى ما حلّ بحملة القرآن ، وحفظة الإيمان ، وصوام شهر رمضان ، وحجاج بيت الله الحرام ، والعاكفين على الصلاة والصيام ، والعاملين بالحلل والحرام ، فلو شهدتم — معشر المسلمين — ذلك لطارت أكبادكم جزعاً ، وتقطعت قلوبكم قطعاً ، واستعذبتم طعم المذايا ، لموضع تلك الرزايا ، وهجرت أسيافكم أغمادها ، وجفت أجفانكم رقادها ، امتعاضاً لعبدة الرحمن ، وحفظة القرآن ، وضعفة النساء والولدان ، وانتقاماً من عبدة الطغيان ، وحملة الصلبان .

وفي فصل منها^٤ : وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب ، يضيق عن نصها الخطاب ، ترغيباً وترهيباً ، فوعد المطيعين جزيل ثوابه ، والعاصين أليم عقابه ، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد ، وما يجازي فيه رب العباد ، أشهر من أن تذكر ، وأكثر

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ س ط د : الإيمان .

٣ د ط س : ثم اضرمت النار عليهم حتى احترق الجميع وهلكوا ، والكفر يضحك ، والدين يبكي ، والعذاب ينكي .

٤ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

من أن تحصر^١ ، فالله الله في إجابة داعينا ، وتلبية منادينا ، قبل أن تُصدع صفتنا كصدع الزجاج ، فهناك لا ينفع العلاج .

وفي فصل منها : ولا بدّ للحقّ من دولة ، وللباطل من جولة ، والحربُ سجال ، والدهرُ دُور ، و﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (يونس : ٤٩) ؛ ولولا فرطُ الذنوبِ ، لما كان لريحهم علينا [من] هُبوب ، ولو كان شملنا منتظماً ، وشعبنا ملتئماً . وكنا كالجوارح في الجسدِ اشتباكاً ، وكالأناملِ في اليدِ اشتراكاً ، لما طاشَ لنا سهمٌ ، ولا سقطَ لنا نجم ، ولا ذلّ لنا حيزٌ ، ولا فُلّ لنا غَرَبٌ ، ولا رُوعَ لنا سِرْبٌ ، ولا كُدّرَ لنا شِرْبٌ ، ولَكُنّا عليهم ظاهرين ، إلى يوم الدين ، فالحدّرَ الحدّرَ ! فإنه رأسُ النظر ، من بركانِ تطاير منه شررٌ مُلهِبٌ^٢ ، وطوفانٍ تساقطَ منه قطرٌ مرهَبٌ^٣ ، قلّما يؤمن من هذا إحراق ، ومن^٤ ذلك إغراق ، فتنّبّهوا قبلَ أن تُنّبّهوا ، وقاتلوهم^٥ في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافِكُمْ ، وجاهدوهم في ثغورهم ، قبل أن يجاهدوكم في دوركم ، ففينا [٤٨ أ] مُتَعِظٌ لِمَن اتَّعَظَ ، وَعِبرَةٌ لِمَن اعْتَبَرَ ، فانظروا إلى ثغورنا كيف تُهْتَضَمُ ، وإلى أطرافنا كيف تُخْتَرَمُ ، وفيثنا كيف يُقْتَسَمُ ، وأموالنا كيف تُصْطَلَمُ ، ودماؤنا مطلولة ، وحدودنا مقلولة ، وأنتم عنا لاهون ، في^٦ غمرةٍ ساهون^٧ ،

١ س د ط : تعصى .

٢ د ط س : ملتهب .

٣ ط : مرهّب .

٤ ط : ولا .

٥ ط د س : أطرافكم .

٦ ط د س : وفي .

٧ انظر الآية ١١ من سورة الداريات .

وكانّا لسنا منكم ، ولا نحن سدادٌ دونكم مضروبة ، وَجُنَيْنٌ نَحُكَمُ منصوبة .

وفي فصل منها : وأنه إن استُلِيتِ الأطرافُ ، لم تتعدّرِ الأُنصافُ^٢ ، والبعضُ للبعضِ سببٌ ، والرأسُ من الذنوبِ ، غيرُ أنّنا دَتَوْنَا وبعَدْتُمْ ، وشَقِينَا وسَعَدْتُمْ ، ورَأَيْنَا وسمِعْتُمْ ، وليس الخبرُ كالعيانِ ، ولا الظنُّ كالعرفانِ ، ولقد آن أن يبصرَ الأعمى وينشطَ الكسلانُ ، ويستيقظَ النّومانُ ، ويشجعَ الجبان .

إيجاز الخبر بحادثة بربرشتر التي ذكر ورجوع المسلمين إليها^٣

قال أبو مروان [ابن حيان] : وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة تغلب العدو على مدينة بربرشتر قصبة بلاد برطانية ، الواسطة لما بين بلدي لاردة وسرقسطة ، ركني الثغور العلا ، وهي الأم البرزة ، التليد ، حلول الإسلام فيها لأوّل فتوح موسى بن نصير ، التي لم تزل من أقادم معمرات من تناسخ عمارة الأندلس من القرون الحالية ، اتخذت بأكرم البقاع وأوثق البناء ، راكبة لنهر ماردة سوراً^٤ مضروباً لأهل الثغور القصصى ، [والدفع] في وجوه

١ د ط س : وإذا ابتليت .

٢ يريد إذا أصيبت اطراف البلاد بفارات العدو سهل عليه بعدئذ مهاجمة أوساطها .

٣ قارن بابين عفا ري ٣ : ٢٢٥ ونفع الطيب ٤ : ٤٤٩ .

٤ ب م : التليدة .

٥ ط د س : لم تزل أقادم .

٦ ط د : مارة سداً .

العدى^١ ، تناسختها قرونُ المسلمين منذ ثلاثمائة وثلاث وستين سنة ، منذ أول عهد^٢ الفتوح الإسلامية بجزيرة الأندلس ، فرسخَ فيها الإيمانُ ، وتدورسَ بها القرآن ، إلى أن طرقَ الناعي بها قرطبتنا فجأةً^٣ ، صدرَ شهرِ رمضانَ من العام ، فصكَّ الأسماع وأطار الأفئدة وزلزل الأرض الأندلسية^٤ قاطبة ، وصيّرَ للكلِّ شُغلاً تسكعُ^٥ الناس في التحدث به والتسألُ عنه والتصورِ لحلول مثله أيتاماً لم يفارقوا فيها عادَتَهُمْ من استبعادِ الوجَلِ ، والاغترارِ بالأمل ، والإسنادِ إلى أمراءِ الفرقة الهمل ، الذين هم منهم ما بين فشَلٍ ووَكَلٍ ، يصدُّونهم عن سواء السبيل ، ويلبسونَ عليهم وضوح الدليل .

ولم تزل آفةُ الناسِ منذ خلقوا في صنفين منهم ، هم كالمِلح فيهم : الأمراءُ والفقهاء ، قلَّما تتنافرُ أشكاهُهم ، بصلاحتهم يَصْلُحُونَ ، وبفسادِهِم يُرْدَوْنَ^٦ ، فقد خصَّ الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاجِ صنفِيهِم لدينا هذين ، بما لا كفايةَ له ولا مَخْلَصَ منه ، فالأمراءُ القاسطون قد نكَّبوا بهم عن نهج الطريقِ ، زياداً [٤٨ ب] عن الجماعة ، - وحوشاً^٧ إلى الفرقة ، والفقهاءُ أثمَتَهُم صموتُ عنهم ، صدوفُ عمَّا أكَّدَ الله عليهم في التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكلٍ من حلوَائِهِم ، خائضٍ^٨ في

١ ب م : العدو .

٢ ط د س : من عهد .

٣ ط د س والنفخ : أرض الأندلس .

٤ ط د س والنفخ : يشغل .

٥ م : والتسائل .

٦ ط د س : يفسدون .

٧ ط د س والنفخ : وجرياً .

٨ ط د س : وخابط .

أهوائهم ، وبين مستشعرٍ غافَتَهُمْ ، آخذٍ بالثقيّةِ في صِدْقِهِمْ^١ ، وأولئك هم الأقلّون فيهم ، فما القولُ في أرضٍ فسدت ملحها الذي هو المصلحُ لجميعٍ أغذيتِها ، وإن أصبحت بصددٍ من خباياها^٢ : هل هي إلّا مُشفيةٌ على^٣ بوارها واستئصالها ؟ ! ولقد طمأ العَجَبُ من أفعالِ هؤلاء الأُمراء ، أن لم يكن عندهم لهذه الحادثةِ الغراءِ في بَرَبَشْتِ^٤ إلّا الفزعُ إلى حفرِ الخنادقِ وتعليقِ الأسوار ، وشدّ الأركان ، وتوثيقِ البنيان ، كاشفين لعدوهم عن السوءةِ السوءاءِ من إلقائهم [يرمئذ] بأيديهم اليهم : أمورٌ قبيحاتُ الصُّورِ ، مؤذوناتُ الصدورِ بأعجازٍ تُحِلُّ^٥ الغير :

أمورٌ لو تدبّرَها حكيمٌ إذن لنهى وهيبٌ ما استطاع^٦

ولكن ما الحياةُ في أديمٍ تفرّى تَعْيِشًا ، فغلب الصَّنَاعُ ، يخالها^٧ العاجزُ سَحِيلَاتٍ^٨ محاولةً ، وهي في حكمةِ التقديرِ مُبرّمةٌ مفتولةٌ ، ضلّ فيها الحكماء قبلنا ، فلنا في الإقصارِ عن كشفها مندوحةٌ ؛ فلنأخذ فيما افتتحنه القول فيه من حديثِ المصيبةِ الفادحةِ في بربشت :

وهو أن جيشَ الأردمانيين طنبّوا عليها ، ووالوا حصّرها ، وجدّوا في قتالها طامعين فيها ، وقد أسلمهم أميرهم يوسفُ بن سليمان بن هود لِيُخَطِّبَهُمْ^٩ ، ووَكَّاهُمْ إلى أنفسهم ، وقعدَ عن النفيرِ نحوهم ، فأقامَ عليها

١ ب م : صرفهم .

٢ ط د س : بصدر من خباياها .

٣ ط د س : من .

٤ تحل : سقطت من د ط س والنفع .

٥ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣٤ .

٦ ط د س : الضياع بخالها .

٧ ط س : الخطيبهم .

٨ ب م : مجياز ؛ والصواب « سحيلات » كما في د .

العدو منازلًا أربعين يوماً ؛ ووقع بين أهلها تنازع على القوت لقلته ، ولما علم العدو بذلك جدًّا^٢ في القتال ، فدخل الكفرة^٣ المدينة البرّانية في نحو خمسة آلاف دارع ، فبُهِتَ الناسُ وتحصنوا بمدينتهم الداخلة ، ودارت بينهم حربٌ شديدة قُتِلَ فيها من النصارى خمسمائة ؛ ثم اتفق من قَدَّرَ الله تعالى أن قنّةً من عمل الأوائل ، سَرَبًا تحت الأرض بتقدير موزون إلى أن أفضت إلى شطّ النهر ، فانهارت في نفس ذلك السَرَبِ صخرة عظيمة الجرم [صفوانة الخلق] من حجارة بنائية الأول سدّت السَرَبَ بأسره ، فعدموا الماء وأيسوا من الحياة ، ودعوا إلى تأمينهم على النزول بأنفسهم خاصة دون مال وعيال ؛ فأعطاهم أعداء الله^٤ ذلك ، فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معاً ، ولم يُطْلِقُوا منهم غير قائدهم ابن الطويل وقاضيه ابن عيسى [٤٩ أ] في نفرٍ من الوجوه قليل عددهم ، فحصلوا من غنائم بَرَبَشْتَرٍ على ما لا يُقَدَّرُ [حَصْرُهُ] كثرة^٥ ؛ زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم ، قائد خيل رومة ، في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبكاراً كلهن ، ومن أوقار الأمتعة من الحلي^٦ والكسوة والوطاء خمسمائة حِمْلٍ . وتحدث أيضاً أنه أصيب في هذا القتل والسبي مائة ألف نسمة^٦ ، وشدّ الكفار أيديهم بمدينة بَرَبَشْتَرٍ واستوطنوها ، وهلك من نساء بَرَبَشْتَرٍ جملةٌ يكثر عدّها عند إفلاتهن من عطش القصبية لتطار جهنّ على الماء ،

١ ط س د : في .

٢ ط د س : واعلم . . . فجعد .

٣ ط د س : فاعطاهم العدو .

٤ ط س د : نحو قائد .

٥ ط د س : والحلي .

٦ ط د س : أصيب فيها بالقتل والسبي خمسون ألفاً .

يكرّعن فيه بغير مهل ، فكبّهن للأذقان موقى^١ . وكان الخطب في هذه النازلة^٢ أعظم من أن يوصف أو يتقصّى .

قال أبو مروان : وبلغني أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة ، فتنادي من يدنو^٣ اليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها أو لطفلها ، فيقول لها : هاتي ما معك ، ألقني إليّ ما يرضيني أسقيكِ ، فتلقي اليه ما عندها من كسوة أو حلية أو مال ، وتُدلي نحوه ما حضرها من قرربة أو آنية في رشاء ، فتغيث به نفسها أو طفلها . وعرف الطاغية ذلك ، فنهى رجاله [عنه] وقال : اصبروا وقتاً ويؤخذون جملة . وآل بجماعتهم آخر أن ألقوا إلى المشركين بأيديهم فارين من الظمأ مع أمان ، فلما رأى الطاغية كثرتهم وانتشارهم ، هاله ذلك وخاف أن تدرّكهم حمية في استنقاذ أنفسهم ، فأمر أصحابه ببذل السيف فيهم ليخفف من أعدادهم ، فقتل منهم يومئذ خلق عظيم تحدّث أنهم نبتوا على ستة آلاف قتيل . ثم نادى ملكهم برفع السيف عنهم ، وأمر جميعهم بالخروج عن المدينة بالأهل والذرية فابتدروا الخروج عنها مزدحمين على أبوابها ، فمات منهم في ازدحامهم [ذلك ، من الشيوخ والعجائز والأطفال] جماعة ، وجعل كثير منهم يتدلون بالخيال من ذرى السور فراراً من ضغط الازدحام على الأبواب ، وبيداراً إلى شرب الماء ، واستمسك في القصبه من وجوه الناس وجلساء فتياهم نحو سبعماية رجل ، تحصنوا فيها ولاذوا من موت السيف بموت الغلبة . ولما برز جميع من بقي من أهل المدينة عنها إلى فناء

١ . وهلك من نساها عند افلاتهن من عطش القصبه عدد كثير لتطارحهم . . . يكرعون . . .

نهل ، فكبهم . . موتاً .

٢ ط د س : المدينة .

٣ ب م : يدني .

بأبها^١ بعد من خُفِّفَ منهم بالقتل ، وهلك في الزجمة ، ظلُّوا قياماً ذاهلين منتظرين لنزول^٢ القضاء بهم ، نوديَ فيهم بأن يرجعَ كلُّ ذي دارٍ منهم إلى داره ووطنه بأهله وولده ، وأزعجوا لذلك ، فنالهم من الازدحام قريباً مما نالهم في خروجهم^٣ عنها فلما استقرُّوا فيها [مع عيالهم وذرياتهم] اقتسمهم المشركون بأمر سلطانهم قسمةً قرروها بينهم ، فكلُّ من صارت في حصته دارٌ حازها ، وحازَ ما فيها من أهلٍ وولديٍّ ومالٍ ، يحكمُ^٤ كلُّ عالجٍ منهم في من [٤٩ ب] سلَّطَ عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله^٥ به [منهم] ، يأخذُ كلُّ ما أظهره عليه من نَشَبٍ ، ويقرُّه^٦ على ما أخفاه عنه^٧ ، يعذبُه أنواعاً من العذاب^٨ حتى يُبلِّغَ نفسه عُذْرَها منه ، وربما زهقت نفسُ المسلم دون ذلك فاستراح ، وربما أنظره^٩ أجله إلى أسوأ من ذلك^{١٠} ، فإنَّ عُدَاةَ الله كانوا يومئذٍ يتولَّعون بهتكِ حرَمِ أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم ، لإبلاغاً في تعذيبِ قلوبهم^{١١} ، يغشون الثيبَ ويفتضون البكرَ ، وزوجُ تلك وأبو هذه موثقٌ بقيديٍّ إيساره ، ناظرٌ إلى سُخْنَةِ عيئه ، فعينه تدمعُ ، ونفسه تَقَطَّعُ ، ومن لم يرضَ ذلك منهم

١ ط د س : ولما برز جميع من خرج عن المدينة بفناء أبها .

٢ د ط س : نزول .

٣ د ط س : الخروج .

٤ د ط س : بالدور .

٥ ط د س : ليحكم .

٦ د ط س : ويقرُّه عليه فيما أخفى .

٧ د ط س : يعذب أشد العذاب .

٨ ط د س : إلى أسراهم فناء ذلك .

٩ ط د س : أبانها في تكايتهم .

أَنْ يَقْعَلَهُ^١ فِي خَادِمٍ أَوْ مَاهِنَةٍ^٢ أَوْ وَخْشٍ^٣ أَعْطَاهُمْ^٤ خَوَاتِهِ وَغِلْمَانَهُ^٥ يَعْثُونَ^٦ بَيْنَ^٧ عَيْتِهِ ، فَبَلَغَ الْكُفْرَةَ^٨ فِيهِمْ^٩ [يَوْمُئِذٍ] مَا لَا تَلْحَقُهُ الصِّفَةُ^{١٠} عَلَى الْحَقِيقَةِ .

ولما كان^١ ثلاثة أيام من استيلاء الكفرة عليهم ، نهّدوا لمن كان بقي من المتحصّنين بذِروّة القَصَبَةِ ، وأحاطوا بهم ، فنزلوا على أمان وقد سَهِمَتْ وجوههم ، وتغيّرت خِلَقَتُهُمْ^٢ ، من عَيْتِ^٣ العطش ، فتجافى الكفرة عنهم ، وخرجوا يريدون مدينة منتشون^٤ - أقرب مدن الإسلام إليهم^٥ - فقضي أن لقوا سرية من خيل النصارى ، لم يشهدوا فتح^٦ بربشتر ولا علموا خبر هؤلاء المسرّحين المكرويين ، فقتلوهم جملة ، إلا من نجا به أجله منهم ، وقليل ما هم ، فمضوا على هذه السبيل على ما حكم^٧ الله فيهم .

ولما عزم ملك الروم على القُفُولِ [يَوْمُئِذٍ] من بربشتر إلى بلده ، تخيّر من بنات المسلمين الجوّاري الأَبْكَارَ ، والثّيَّباتِ ذواتِ الجمال ، ومن صبيانهم الأيفاع والخزاور^١ الحسان ألوفاً عدّة ، حملهم معه ليهدبهم

١ ط د س : أو ذات مهنة .

٢ الوخش : أراذل الناس وسقاطهم ، يوصف به الرجل والمرأة .

٣ ط د س : فيهم .

٤ ط د س : منهم .

٥ د ط س : مرت .

٦ ط د س : سيث .

٧ Menzon إلى الجنوب من بربشتر ، وقال ياقوت : حصن من حصون لاردة .

٨ ط د س : منهم .

٩ ط د س : حرب .

١٠ ب م : ناداً بحكم .

١١ م : والمرد ؛ د : والجاذر ؛ والخزاور : جمع حزور . وهو الغلام .

إلى مَنْ فوقه ، وترك ببربشتر من رابطة خيله ألفاً وخمسمائة ، ومن الرجال ألفين .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وأختمُ هذه الأخبار البربشترية ، الموقظة لقلوب أولي الألباب ، بنادرة منها يُكتفى باعتبارها عما سواها ، وتمثل لذوي النهى صورة البلوى التي تتوقع شرواها ، وهي ما حكاه لي بعض مَنْ أكاثبه . بالغرور عن رجل من تجار اليهود : أتى ببربشتر البائسة بعد الحادثة [عليها] ، ملتمساً فدية بنات لبعض وجوه مَنْ نجا من أهلها حصاناً في سهم قومس من وجوه الرابطة فيما كان يعرفه ، قال : فهديتُ إلى منزله الذي كان نزل فيه ، واستأذنتُ عليه ، فأجدهُ^٢ جالساً مكان رب الدار مستولياً على فراشه ، رافلاً في نفيس ثيابه ، والمجلسُ والسريرُ كما تخلفهما ربهما يوم محنته ، لم يتغير شيء^٣ من رياشهما وزينتهما ، ووصائفُ علي [٥٠ أ] رأسه رُوقة^٤ مضموماتُ الشعور قائماتُ على رأسه ساعياتُ نخدمته ؛ فرحبَ بي وسألني عن قصدي ، فعرفتهُ وجهه^٥ ، وأشرتُ له إلى وفور ما أبدله في بعض اللواتي على رأسه ، وفيهن كانت حاجتي ، فابتسم وقال بلسانه : لسريع ما طمعت من قُرب فيما أبرزناه لك^٦ ، فأعرض عمن هاهنا ، وتعرض لمن شئت ممن صيرتهُ^٧ بحصني من سبيسي وأسراي أقاربك في من شئت منهم^٧ ؛ فقلت له : أما الدخول إلى الحصن فلا رأي

١ ب م : ذوي .

٢ ط د س : فوجدته .

٣ ط د س : لم يتغير شيئاً . ٤ د ط س : ووصائف رومة .

٥ ط د س : (ما) أسرع ما طمعت فممن أعرضناه لك .

٦ ط د س : الحصني .

٧ ط د س : منهم .

لي فيه . وبقربكَ أُنِيسْتُ . وفي كَنَفِكَ اطمأنتُ ، فسمني ببعضِ مَنْ هاهنا فأني أُصيرُ إلى رغبَتِكَ ؛ فقال : وما الذي عندك^١ مما تشوقني^٢ إليه ؟ قلت له : العينُ الكثيرُ الطيِّب . والبرزُ الرفيعُ الغريب ؛ قال : كأناك تشهيني ما ليس عندي : يا بَجَّة — ينادي بعضُ أولئك الوصائف : يريد يا « بَجَّة » [فيغيره] بعجمته^٣ — قومي فاعرضي على هذا اليهوديَّ الخدَّاعِ مما^٤ في ذلك الصندوق ؛ فقامتُ إليه . وأقبلتُ بيدِ الدنانيرِ وأجناسِ^٥ الدراهمِ وأسفاطِ الحليِّ . فَكُشِفَ وجُعِلَ بين يدي العليح حتى كادت توارى شخصه^٦ ؛ ثم قال لها : ادني إلينا من تلك التخوت ، فأدنتُ منها^٧ عدةً من قطع الوشي والحزِّ والديباجِ الفاخرِ بما حار له ناظري وبهتُ ، واسترذلتُ ما عندي . ثم قال [لي] : لقد كثر هذا عندي حتى ما ألدَّ به ، ثم حلف بإله وآبائه : لو لم يكن عندي شيء من هذا ثم بُذل لي بأجمعه في ثمن مُدْنِيَةٍ إليك ما سَخَّتُ نفسي بها فيه^٨ ، فهي ابنةُ صاحبِ المنزل . وله حَسَبٌ في قومه . اصطفتُها له مع جمالها لولادتي . حسبما كان قومُها يصنعونهُ بنسائنا نحن أيامَ دولتهم . وقد رُدَّ لنا الكرةُ عليهم ، فصرنا الآن فيما قد تراه ؛ وأزيدك بأنَّ تلك الخود الناعمة — وأشار إلى جاريةٍ أخرى قائمةٍ إلى ناحية — لمغنيَّةُ السخينِ العين^٩ والدها التي كانت تشدو

١ ط د س : وما عندك .

٢ ب م : تشوق .

٣ ب م : بعجموته .

٤ ط د س : عليه الخدَّاع ما .

٥ د والنفع : واكياس .

٦ ط د س : منه .

٧ ط د س والنفع : في ثمن تلك ما سَخَّتُ بها يدي .

٨ ط س : لمغنيَّة النقي ؛ د : لمغنيَّة اللمين .

له على نشواته ، إلى أن أيقظناه من نوماته^١ ؛ يا فلانة — يناديها بلكنته —
 خذي عودك فغني زائرنا بشجوك ؛ قال : فأخذت العودَ وقعدت تسويّه ،
 وإني لأتأمل دمعها يقطرُ على خدها ، فتسارقُ العليجَ مسحهُ ، واندفعتُ
 تغني بشعري ما فهمتهُ أنا ، فضلاً عن العليج ، فصار من الغريب أن حثَّ
 شبربهُ هو عليه ، وأظهرَ الطربَ منه . فلما قطعتُ ويشتُ مما عنده ،
 قمتُ منطلقاً عنه ، وارتدتُ لتجارتي سواء ، فاطلعتُ من كثرة ما لدى
 القوم من السبي والمغنم [على] ما طال عجمي منه . فهذا فيه مقنعٌ لمن
 تدبره ، وتذكّره لمن تذكّره .

قال أبو مروان [ابن حيان] : وقد أفشيناهُ^٢ في شرح هذه الفادحة مصائبَ
 جليلةٍ مؤذنةٍ برشك القلعة ، طالما حذرَ عليها^٣ أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن
 [٥٠ ب] قبلهم من أثاره ، ولأشدُّ مما أفشيناه عند أولي الألباب ما أخفيناه
 مما دهانا من داء التقاطعِ وقد أخذنا بالتواصلِ والألفة ، وأصبحنا
 من استشعارِ ذلك والتمادي عليه على شفا جرفٍ يؤدي إلى الملكمة لا محالة ،
 إذ قدرَ الله زمانها ، هذا بالإضافة إلى ما عهدناه في القرن الذي سلخناه من
 آخرِ أمدِ الجماعة على إدراك من^٤ لحق الذي قبله ، فمثلُ دهرنا هذا فرسٌ
 بهيمُ الشية ما إن يباهي بقسوةٍ فضلاً عن شدوخِ غرّة ، قد غرّبلَ
 أهليه أشدَّ غريلة فسفسفَ أخلاقهم ، واجتثَّ أعراقهم ، وسفّهَ أحلامهم ،

١ ب م : نومه .

٢ د ط س والنفح : افشيناه .

٣ ط د س : عنها .

٤ النفح : امرنا .

٥ ط د س : زماننا .

٦ ط د س : ما .

وخبث ضمائرهم ، فاحتوى عليهم الجهل ، واقتطعهم الزيف ، وأركستهم الذنوب ، ووصمتهم العيوب ، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء ، ولا على معاني الغي بأقوياء ، شاء من الناس هامل ، يعتلون نفوسهم بالباطل ، من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشانهم ، اغتارهم بزمانهم ، وبعادهم عن طاعة خالقهم ، ورفضهم وصية رسوله نبيهم عليه السلام ، وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم ، وغفلتهم عن سد ثغرم ، حتى لظل^٢ عدوهم الساعي لإطفاء نورهم يتبحر عيراص^٣ ديارهم ، ويستقرى^٤ بسائط بقاعهم ، يقطع كل يوم طرفاً منهم ويبيد أمة^٥ ، ومن لدينا وحوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم ، لهاة عن بثهم ، ما إن يسمع عندنا في مسجد من مساجدنا ومحفل من محافلنا مذكر بهم أو داع لهم ، فضلاً عن نافر إليهم أو مواس لهم ، حتى كأن ليسوا منا ، أو كأن فتقهم ليس بمفص إلينا ، قد بخلنا عليهم بالدعاء ، بخلنا بالغناء ، عجائب مغربة فاتت التقدير ، وعرضت للتغيير ، فله عاقبة الأمور ، وإليه المصير .

قال أبو مروان [ابن حيان] : فلما كان عقب جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين [بعدها] شاع الخبر بقرطبة بارتجاع المسلمين لبربشره ، وذلك أن أحمد ابن هود الملقب بالمقتدر ، المفرط فيها ، والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه ، صمد لها مع مدد عباد حليفه^٦ ، وسعى لإصمات سوء القالة عنه ، وقد كتب

١ ط د س : أنفسهم .

٢ ط س : أظل .

٣ ب م : عراض .

٤ ط د والنفع : أو ماش .

٥ ط د س : يرجوع المسلمين بحمد الله إليهم .

٦ ط د س والنفع : امداد لحليفه عباد (ط : لحليفه) .

الله عليه منها ما لا يحويه إلاّ عفوه ، فتأهّب لقصدِ بربشتر ، فسار نحوها ؛ ورجالُ ابنِ عبّادٍ نحو من خمسمائة فارس ، مقدّمتهُ من شِدادِ البرابر؛ وغيرهم من أبطال الأندلس ، فنزل عليها بجمعيه ، فجالدوا المسلمين ببابِ المدينة جِلاداً^١ ارتاب منه كلُّ جبان ، وأغرى الله أهلَ [٥١ أ] الحفيظة والشجعان ، وحميَ الوطيسُ بينهم إلى أن نصر الله أولياءه^٢ ، وزلزل أعداءه^٣ ، وولّوا الأدبارَ مقتحمين أبوابَ المدينة ، فاقتحم^٤ المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين ، إلاّ من فرّ من مكانِ الوقعة ولم يأتِ المدينة ، فأجبلَ [السيف] في الكافرين ، واستوصلوا أجمعين ، إلاّ من استرقّ من أصاغرهم ، وابتغوا الفداء^٥ من أعاضهم ، وسبوا جميعَ من كان فيها من عيالهم وأبنائهم ، وتملكوا المدينةَ بقدرة الخالق الباري ، وأصيبَ على منحة النصر المتاح طائفةٌ من حُماة المسلمين ، الجادّين في نصرِ الدين ، نحوَ الخمسين ، كتب الله شهادتهم ؛ وقتل فيها من أعداء الله الكافرين نحو ألفِ فارسٍ وخمسمائة^٦ راجل ، فاستولى المسلمون بحمد الله عليها ، وغساوها من رجسِ الشُّركِ ، وجَلّوها من صدى الإفك ، ثبتَ الله فيها قدَمَ الإسلام^٧ ، وجبر صدعَ من تولّى من إخوانهم ، بمنّه^٨ .

١ ط د س والنفج : فتأهّب لقصدِ بربشتر في جدوع من المسلمين فجالدوا الكفار بها جِلاداً...

٢ ط د س والنفج : وخذل .

٣ ط د س : فاقتحمها .

٤ ط د س والنفج : يدخل .

٥ ط د س : الفدية .

٦ ط د س : وخمسة آلاف .

٧ ط د س : قدمهم .

٨ ط د س : برحمته .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة في استفتاح خلطة: قد يتراسلُ الناسُ وإن لم تتقدم
مباشرةً ، ولا سلفت مخالطة ، لأسبابٍ تصلُّ أهواءهم ، وأحوالٌ تجمع
آراءهم ، فتألفُ قلوبُهُم ، وتعود ذاتُ بَيْنهم كأن لم تزل ملتزمةً ، وتلوحُ
قواعدُ مؤاخاتهم كأن لم تبحر مستقرةً مستحكمة ، وقد دعاني إلى الأخذِ
بخطٍّ من إخوانك ، والاكتتاب في ديوان أودائك وأصفيائك ، سبيان :
أحدهما ما أرجحُ إليَّ من طيبِ أخبارك ، وجليِّ عليٍّ من محاسنِ آثارك ، وقدَّرَ
لديَّ من فضائلك التي تقتادُ اليك النفوسَ بأزمةٍ ودادها ، وتقفُ عليكِ
خالصَ اعتقادها ، فالفضائلُ حيث كانت مرغوبةً محبوبَةً ، والههمُ
نحوها جائحةٌ طامحةٌ ، والأهواءُ بها كلفةٌ ، ولها مكثفةٌ ، والسببُ الآخرُ :
مكانك من سيدنا الملك [الأعظم] — أدام الله رفعتَه ، وثبتَ وطأته ،
ومكَّنَ سلطانهُ ودولته — وحظُّك الرفيعُ من أثرته ، وحالك المشكورةُ
في خدمته . فإنَّ كلَّ من اتصلَ به واعتصمَ بسببه ، وفاءً عليه ظلُّه
الظليلُ . وأحاط به فضلُهُ الجزيلُ ، فقد جمعني وإياه ذمامٌ كبيرٌ وسببٌ
موصول . إذ أنا متمسكٌ من حبله بأوثقِ عُرْوَةٍ ، ومستضيءٌ من نورهِ
بأنورِ جذوة .

وله [فصل] من أخرى [في مثله] : قديماً تواصل الناسُ على البعد ،
وتهادوا ثمرَ الإخلاصِ والودِّ . وإن لم يتقدم سببٌ موجبٌ للتواصل ، ولم

١ ط س : أراج .

٢ د ط س : محبوبية .

يرد رائد مقتض للتراسل ، وما أقولُ إنَّ مخالطة^١ تمكنت [٥١ ب]
لا سببَ لها ، ولا بواسطة تمهّدت لا باعث عليها ، فإن توقّ النفسِ
إلى استصفاء الفضلاء ، واقتناء مودّات الأوفياء^٢ ، أقوى أسباب
الارتباط ، وأدعى أبواب الاختلاط ، ومحال أن تنجذب^٣ نفس ، إلى
من ليس لها به أنس ، أو يكلف ضمير ، بمن ليس له منه حظّ موفور ،
وقد تخلّست مخاطبتي لك من الأسباب إلا^٤ من سبب المحبة فيك ، والمعرفة
بجميل مزاهايك ومساعدك ، والرغبة في اقتناء خلّتك ، وادّخار
صداقتك ، لما شهّرت من أحوالك الحميلة ، وظهر من خيالك النبيلة ،
ومن كان على ما أنت عليه ، فمرغوب^٥ فيه منجذب^٦ إليه ، مطلوب^٧ إخاؤه ،
مخطوب^٨ صفاؤه ، محبوب^٩ على البعاد ، مفدّى حتى من الأضداد .

وفي فصل من أخرى [في مثله] : إن كانت المعرفة لم تحقق ، فكم
أثر أهدى من عين ، وكم خير أغنى عن خبر ، ولئن كانت الألفة لم تسبق^٧ ،
فرب طارف حديث أكرم من تالد موروث ، وربّ مستفاد مكتسب ،
أغبط من عتاد معتقب ؛ ووردني لك كتاب [كريم] نطق بلسان تفضلك
فأصغى هوى النفس إليه ، واستصفى مودّات القلوب لديه ، وقضى
أنك عين الأعيان ، وفاضل الزمان ، والخاص بنوع الإنسان .

١ ط د س : مخاطبة .

٢ د ط س : الأولياء .

٣ ب م : تتحدث .

٤ د ط س : وما مخاطبتي لك إلا .

٥ د ط س : بجمع .

٦ ط د س : فهو مرغوب .

٧ ب م : تستيق .

وفي فصل من أخرى : منابتُ الفضلِ باسقةُ الفروع ، حميدةُ الجميع ،
 طيبةُ الجنى ، جميلةُ المخبر^١ والمرأى ، لا تُطْلِعُ إلاَّ ما يُبْهَجُ ، ولا تُلْقِحُ
 إلاَّ ما يَنْتِجُ^٢ ، ولا تورقُ إلاَّ بما يَرْفُ ، ولا تثمرُ إلاَّ ما يشفُ ، وأنت
 في أطيبها معدِنًا ، وأكرمها مَوْطِنًا ، ومن أزكاها منبتًا ، وأسراها مغرِسًا ،
 ولا يَسْرُدُ منك إلاَّ ما يعقبُ نسيمةً ، ويلدُ شميمةً ، ويروقُ منظره ،
 ويفوقُ مخبره ، وما زلتُ أعرفُ لك الحقَّ^٣ الوكيد ، والسبقَ البعيد ،
 والسعيَ السديد ، فأقولُ إنك غُرَّةٌ في وجهِ الدهرِ البهيم ، ومعدرة من
 لإساءة هذا الزمنِ^٤ المليم ، فما أخطأتُ عنك الفراسة ، ولا اختلفتُ فيك
 الرياسة ، بل أوفيتُ على المقدار المظنون ، وأتيت من وراءِ المتيقنِ المضمون .

وله من أخرى^٥ : ورد كتابك الكريم يُعربُ عن ودِّ لا تكذبُ فيك
 صفاته ، وعهد لا تُفَرِّعُ صفاته ، وقد كنتُ أتأملُ فيك^٦ شواهدَ التحقيق ،
 وأعلمُ أنك الواقعُ عليه معنى الصديق ، على أنه في هذا الزمنِ كالعدم ،
 إلاَّ في الكتبِ والكليم .

وفي فصل من أخرى^٧ : ان عوائدَ المتكاتبين على أيِّ حالٍ كانوا من
 اتفاقِ المعاهد ، واختلافِ المقاصد ، قد جرت على سننٍ من ذكر [٥٢ أ]

١ ط س : المجنى ؛ د : المحيا .

٢ ط د س : تلتج .

٣ ط س : الخير ، وسقط النص من د ابتداء من قوله « واسراها مغرِسًا » حتى آخر الرسالة .

٤ ط د س : الزمن .

٥ ط س د : الدهر .

٦ سقطت هذه الرسالة من د ايضاً وثبتت في سائر النسخ .

٧ ط د س : منك .

٨ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د .

الورد^١ وانتحاله ، وحسن العهد وجماله ، تَمْتَرِيهِ كُلُّ فِرْقَةٍ^٢ ، وتتعاطاه
كل طائفة ، حتى قد كاد يقع الالتباس بين المحق والمبطل ، وتختلج
الظنون والظن في عيان المتأمل ، بكثرة^٣ الدعاوى في الناس والنفاق ،
وعدم التصافي في الأغلب والوفاق ، فالكلام منهل^٤ مورود ، وحبل^٥
ممدود ، وباب^٦ غير مسدود ، فما عسى الموالي المحق أن يكتب به ، معرباً
عن صيحة ضميره ومذهبه ، ولعل^٧ الظنين المستراب به قد سبق من القول
في هذا الباب إلى كل^٨ نسيئة ، وأتى من الإسهاب والإغراب^٩ بكل قضية
سنية^{١٠} ، قبل إعمال الروية ، فهي ألفاظ مشتركة غير متميزة ، وكلمات
مختلطة غير متحيزة^{١١} .

وفي فصل من أخرى [له] : وكنت أضرب صفحاً عن ذكر حالي معك^{١٢}
وارتباطها ، وانجذاب نفسي إليك وانبساطها ، وامتزاج ذاتي بك واختلاطها ،
إلا أني قلت : لا بد للنفس من أن تظهر أفعالها ، وللحقائق ان تعطي
أحوالها ، فإن وراء كل دعوى ، ستاراً^{١٣} من النجوى ، يعلم به هل
تغلغلت في الضمير ذاهبة ، أو أخذت في بعض الجوانب وازبة^{١٤} ؛ وعلمت^{١٥}
أنه لا بد من شواهد اللسان ، مع معاهد الجنان ، والله المطلع على الضمائر
لم يقبل عقد الإيمان ، حتى يصحبه عقد اللسان ، ولهذا السبب لا بد

١ ط س : تحبر به كل طبقة .

٢ ط س : لكثرة .

٣ ط س : والاعراب .

٤ ب : نسيئة ؛ ط : يشبه ؛ س : بشبيه .

٥ ط س : متحدة .

٦ ط س : سراراً ؛ ب : سياراً .

٧ وازبة : ذاهبة ؛ وفي النسخ : وأرية .

للمرء أن يقول ، وللسان أن يجول ، إلا أنه يُكتفى بالقليل من الكثير ،
ويُحال على خواطر الضمير .

وله من أخرى^١ : إن أخذت في ذكر فضائلك ، أوعطرت كلامي
بطيب شمائلك ، فلسان الأيام بها أفصح ، ولها أشرح ، وإن عدت إلى
وصف ما أعتقده فيك وأضمره ، وأطويه من ودادي لك وأنشره ،
فشاهد ضميرك به أنطق ، وعنه أصدق ، فليس إلا الاتفاق والاصطلاح ،
على ما تتناجى به النفوس والأرواح .

وفي فصل من أخرى : وردني لك كتاب أراني كيف يكون الكلام
درأ ، والبيان سحراً ، وبطون المهارق حدائق ، وما بين مدب الأقلام
بوارق ، فله يد نمت وشية ، ونظمت حليه ، وقرينة أطلعت أزهيره ،
ما أطول باعها ! وأكثر في فنون الأدب اتساعها ! ولله زمان أصحب
بعد الامتناع ، ووصل بعد الانقطاع ، ورفع أعلام السعادة ، وبلغ
أقصى الآمال والارادة ، بورود الكتاب الأثير من شاطبة ، وقد تبوأ
منها بسطة ذراه ، وذكرت أنه وصل إليها على تناء من البهجة ، فاتت
الظنون ، وراقت العيون ، وتجاوزت حد [٥٢ ب] الجمال ، واستوفت
غاية الكمال ، بالمنظر المعجب ، والمرأى المستغرب ، الذي لم تُفتق
الأسماع بمثله ، ولا نهضت الأفكار بشكله ، والحال مغنية بذاتها ، عن
صفاتها ، فقد رفعها الله عن أن تحيط بها الأوصاف ، ومحلتها أجل عن أن
تصفها الوصاف ، فإنها نادرة الأيام ، وفائدة الزمان ، يسير بها الركب ،
وتحلتى بها الكتب ، وتدون في صحائف الفخر ، وتعمر على مر الدهر ،
ويبلى العصر ، وهي جديدة الذكر .

١ سقطت هذه الرسالة واثنان بعدها من د ط س .

وله من أخرى : وحين انتظم أمل^١ ، وتناهى جدل^٢ ، لما اشرفت عليه من صدر الكتاب الكريم ، أوقفني منه على حفزة عتب^٣ ، وتحزّت وتحزّ الأشافي ، ولدغت لدغ الأفاعي ، فأمرت الحلو ، وكدرت الصفو ، وحزّت النفس^٤ ، وشردت الأُنس ، فناهيك بكسلي بعد نشاطي ، وانقباضي غيب^٥ أنبساطي ، وهذه عادة الأيام يجيء كدرها جملاً ، وصفوها لُمعاً ، والله المستعان على ما يحييني منك وأنا ذاهل ، ويطرقني وأنا غافل .

وفي فصل له^٦ : وربما تهيأت الصداقة ، وتمكّنت العلاقة ، على تنائي الديار ، وبعُد الأفطار ، بالأخبار السائرة ، والأنباء المتواترة ، ببارع مناقبهم ، وباهر مذاهبهم ، وجليل فضائلهم ، وسامي منازلهم ، فتتعارف القلوب ، ويجمعهم عقد الوداد ، وإن تناءوا في البلاد ، وينظمهم سلك الصفاء ، وإن لم يكن سبيل^٧ إلى اللقاء ، فإذا خطب بعضهم وصل بعض ألفاه موطأ الكنف ، مهياً اللطف ، سهلاً مرّامه ، سلساً زمامه . وقد خصّ الله الوزير الأجل بضروب من المفاخر ، وصنوف من المآثر ، تتأملها عين النظار ، وتحمّلها ألسن الأخبار ، ويخطّها سواد الليل على بياض النهار ، ويحدو بها حادي الرفاق ، على أقاصي البلاد والآفاق ، ويسري بها سرّاء الركبّان ، إلى نائي البلدان ، حتى لقد

١ ب م : سفرة عتت ؛ والحفزة : الطعنة .

٢ م : بعد ، وفوقها « غيب » خ .

٣ سقطت من د وحدها ؛ ط س : ومن أخرى .

٤ ط س : وجميل .

٥ ب م : الناظر .

٦ ط س : ويخطها عن ؛ م : ويخطها .

٧ ب م : تنائي .

أسمعوها كلَّ أذنٍ صمّاءَ ، وأرَوْها كلَّ عينٍ عمياءَ ، وعَمروا بها كلَّ قطرٍ وإن شطَّ وَبَعُدَ ، وأنطقوا بها كلَّ لسانٍ وإن عَيَّ وجَمَدَ ، فألويةُ الحمدِ عليه خافقةٌ ، وألسنةُ المجدِ بفضلِه ناطقةٌ ، وكلُّ أفقٍ بكواكبِه منيرٌ ، وكلُّ قلبٍ بصفاءِ مودَّتِه معمورٌ ، واللهُ يُبقيهِ للمكارمِ نظاماً ، وللأفاضلِ إماماً ، ولمحاسنِ الدنيا تماماً .

وفي فصل من رقعة وجدتها له منسوبة ، وفي ديوان رسائله [٥٣ أ] مكتوبةً ، وهي فيما أراه لسواه^٣ : أما البلاغةُ فأنت ابنُ بجدتها ، وأما الفصاحةُ فأنت لابسُ جلدتها ، والبراعةُ فأنت مقيمُ بردتها ، ولا غرو ، فمن زاحم في العلم بالمنكبِ الأشَدَّ ، ونخطا في عَرَصَةِ الأدبِ بالباعِ الأَمَدَّ ، واستولى في مضمارِ الركابِ على الأَمَدِ ، أتى من الإبداعِ بالعجبِ العجيبِ [واجتني قِطْفَ الاختراعِ من المكانِ القريبِ] ، وتقنَّصَ شاردَهُ بالسَّهمِ المصيبِ . وما زلتُ أفضُّ كَتَبَكَ عن بدائعِ دونها السَّحرُ ، ولآلئِ يُزْهِى بها النحرُ ، وغرائبُ يعذُّبُ بها لو ما زَجَّتْهُ البحرُ ، فأعترفُ بالتقصيرِ ؛ وَمَنْ رَكِبَ في الكتابةِ عَصاً قصيرَ ، أنَّى له بمطاولةٍ مَنْ رَكِبَ عَصاً فقيرَ ؟ وما كفاكَ — أبقاك الله — حينَ قابَلَتني بما لو قوبلَ به النجومُ لَانْحَطَّتْ إليه من سمائها ، أو الغيومُ لترقرقتُ عليه من أرجائها ، أو السَّمُومُ لسمحت بنسيمها وأندائها ، وذلك ما أبدَيْتَهُ ، مما أدَيْتَهُ ، بل

١ ب م : غبي .

٢ ط س : وللفصائل .

٣ هذه الرسالة والتي تليها سقطتا من د وحدها .

٤ ب ط س : متمم .

٥ ط س : نغير .

أهديته^١ ، من تلك الرسالة المستبينة الإعجاز ، المنتظمة الهوادي بالأعجاز^١ ،
 الآخذة بحاشيتي المجاز ، التي ربُّ قلائدِها ، وأبو فرائدها ، ووليُّ خرائدها ،
 واحدُ أقرانه جلاله ، وقريعُ دهره جزالة^٢ ، ونسيجُ وحده أصالة^٣ ، الكاتبُ
 الماهر ، وبَدْرُ الصناعة الباهر ، أبو فلان [أبقاه الله] ، فإنك جلوتَ [عليّ]
 من أبكاره كرائم^٤ ، [وسُقِّتَ إليّ من نتائج أفكاره تائم^٥ ، وفتقتَ عن
 زاهر افتراهِ كرائم^٦] ، وعرضتَ عليّ من توليد تفكيره^٧ ، وبديع
 منشوره^٨ ، وأتيقّ تحبيره ، ما هو أحلى من لدّة الكرى^٩ ، وأشهى من
 دَرَك الغنى ، وأعقبُ من نفحات الأنوار ، غبّ القطار ، عند تبليج
 الأسحار .

وفي فصل من أخرى : ولما تعيّن عليّ^١ وظيفُ المراجعة ، بعد طول
 الممانعة ، وشدة المدافعة ، نثرتُ [له] كنانَ اعترامي^٢ ، وشحذتُ أسنّةَ
 أقلامي ، وامتريتُ دِرّةَ كلامي ، فبعد لأيٍ ما انقادتُ صعابه^٣ ، وذُللتُ
 ركابه^٤ ، وفتحتُ^٥ شعابه ، وكتابي [أعزك الله] طوراً يبسطُ يدي وطوراً
 يقبضها ، وتارةً يرسلها وأخرى^٦ يعترضها ، ومرةً يقعدُها وأخرى
 ينهضها ، حياءً من مقابلة بحرك بنطفي ، ومحاسن ضيائك^٧ بسُدّفي ،
 ومناطحة طبعك بكُلّفي^٨ ، فأما الودُّ ، فمنتظِمُ العقد ، وأما العهد ،

١ ب م : بالهوادي الاعجاز .

٢ ب م : فكره . ٣ ط س : المنى .

٤ ب : اعزامي .

٥ ط س : وفتحت .

٦ ط س : وتارة .

٧ ط س : وضياء محاسنك .

٨ ط س : يتكلّفي .

فمستحكمُ الشدِّ ، وأما الجِد ، فكرياضُ الورد .

وله من أخرى : وإذا كانت الأعلاقُ [النفيسةُ] الثمينةُ ، والجواهرُ
الرفيعةُ المتصوّنةُ ، يُرغَّبُ في اقتنائها ، وَيُسْتَنَافَسُ في ادّخارها واصطفائها ،
وهي أحجارُ جوامد ، ومتملّكاتُ صوامت ، فأخْلِقُ بأعلاقِ الشرفِ
المجيد ، وجواهرِ السُّودِ التليد ، أن تمتدَّ إليها الأيدي والأعناق ، وتستهديها
الأقطارُ والآفاق ، وتخالسَ إليها الأيامُ والليالي [٥٣ ب] ولا يَعْتَمِدُ
منها إلاّ الرفيعُ العالي ، وَعَلَيْكَ صفائك — أعزك الله — أرفعُ الأعلاقِ ،
كما أنَّ عِرْقَ سنائك أكرمُ الأعراق ، فقد انجذبتُ إليك انجذابَ الراغبِ
فيك ، والحريصِ عليك ، واستشعرتُ لك ودّاً قدّمتهُ ، وعهداً أحكمته ،
وصفاءً أخلصته ، وإخاءً أحمضته ، علماً أنّي أغريسهُ من تربك في ثرى
ثريّ ، وأطاعه من جوهرك في أفقٍ صاحٍ مُضيّ ، وإن كانت المواصلَةُ
قبلُ لم يمتدَّ لها سببٌ ، ولا انعقدَ لها مآذِبٌ ، والمداخلةُ لم يفتَحْ لها
بابٌ ، ولا نازعَ إليها انجذاب ، فقد تعاقبتُ عليك الأيامُ من نوائبها
ومواهبها ، ومساءً آتيا ومسراً آتيا ، ما وجبتُ مشاركتك فيه . وقد قدّمتِ
الرزيةُ ، فارتفعتِ التعزية ، وأعقبتِ العطيةُ ، فلزمتِ التهنية ، وأنا أسألُ
الله أن يهنّيك كلّ سرور ، ويجري بمحبّتك المقدور .

وله من أخرى : لتمثّلُ^٢ — أعزك الله — منصفاً مقامي ، وتخيّلُ
مسعفاً خجلي واحتشامي . من لدن افتتحتُ كتابك [إلى] أن اختتمته ،
وابتدأته إلى أن أتممتُهُ^٤ ، وقد رأيتُ في مبادئه وانتهائه^٣ ، واقتضبتُ^٤

١ ط س : صباح .

٢ ب : لتمثّل .

٣ ب : وانتهائه .

٤ د ط س : وامتنعت .

من فصوله وغاياته ، ما غَمَرَ وبهر ، ورقّ وراق ، وشقّ وشاق ، من تواضعٍ شريف ، وتدانٍ رفيعٍ منيف ، ووسمي بسماتِهِ ، ووصفي بصفاته ، وحلاّتي بحلاه ، وأقحمي في علاه ، وأثبت في ديوانِ الكتابة اسمي ، وإن كانت الحقيقة لم تثبت فيه رسمي ، ومن لي بالعصا في ميدانها ، ولست من فرسانها ^١ ، وكيف لي بتلك الصناعة ، وأنا مُزجى البضاعة ؟ ! كلا ، فقد سبق ارتجاجي رهوك ، وشأى اجتهادي عفوكم ، أيام كنت رخيّ البال ، ناظرآ إلى الدهر بعين استصغار ، وإن كنت أنت تخترع فأتبع ، وتُهب فأجيب ، فالآن إذ أخذت الخطوب نارَ رويّتي ، وارتشفت النوائب ماءَ بداهتي ^٢ ، فما غادرت فيه شفاقة ولا علالة ، ولا أسارت فيه صُباة ولا بلالة ، أرتجي أن أطيلَ فلا أُمِلَّ ، وأختصرَ فلا أُقِلَّ ؟ ! هيهات ! يأبى ذلك جفنٌ أرقّ ، وقلبٌ محترق ، وفكرٌ نابٍ ، وذكر كابٍ ، ولو كنت ممّن يُبدى ويعيد ، ويُحسِنُ ويمجد ، لما اغترفت إلاّ من بحرك ، ولا نفثت إلاّ من سحرك ، ولا أغرت إلاّ على نظمك ونثرك ، فأنت قدوتي ، وبك أسوتي ، وإليك منتهى روايتي ، ومنك معظمُ درايتي .

ومن أخرى : إن استدلتُ — أعزّك الله — أو أدلتُ أو انبسطت ، فإخلادٌ إلى جنبِ المقة ، واعتمادٌ على ركنِ الوفاءِ والثقة ، وانقيادٌ لما تقدّم من الدمام السالف ، وتأكّد من تالدِ الإخاء [٤٤ أ] والطارف ^٣ ، والله يُبقيك عينا للزمان ، وعنواناً في صحيفةِ الإخوان .

١ ب م : خيل فرسانها .

٢ ط س : بديهي .

٣ ط س : ذلك الإخاء الطارف .

ومن أخرى خاطب بها أبا القاسم بن خيرون^١ : وقفتُ على ما حَدَّثتهُ
من مقابلة السُّفرين المشتملين على فنونِ الآداب ، وصناعةِ الكتاب ،
وطرقِ الخطاب^٢ ، الجامعة لفصاحةِ الأعراب ، وللبابِ الباب ، وبادرتُ
إلى ذلك بدارٍ مَنْ علمَ أنها نعمةٌ سابغةٌ مُنحتها ، ووصلةٌ وُصِّلَتْها ، لما
في تأملها من الإشرافِ على طُرُقِ البلاغةِ والكتابةِ ، وصناعةِ الترسيلِ
والخطابةِ ، مع ما يلزمُني من حقِّكَ أَقْضِيهِ ، وواجبُكَ أَتَصَرَّفُ فيه وأُوفِيهِ ،
إذ أنت صنوُ أبي مولاي - مدَّ الله عليَّ ظالمكما ، وكبتَ^٣ الباغي عليكما ،
والحاسدَ لكما - فكم يقرعُ سمعي من قولِ الحاسدين من^٤ نخصرُ^٥ أبي
مولاي بمعادةِ أهلِ الجهل ، وحباه بموالاةِ أهلِ الفضل ، ولا غرو فغيرُ
غريبٍ ذلك من فعلهم بالعلماء ، ولا ببديع من صنيعِ الدهماء ، وقد قال
الأول :

بيني وبينَ لئامِ النَّاسِ مَعْتَبَةٌ لا تنقضي وكرامُ النَّاسِ خلائي^٦
إذا لقيت لئيمَ الأصلِ أبغضني وإن لقيتُ كريمَ الأصلِ حيائي
. وقال آخر^٧ :

لقد زادني حباً لنفسِي أنْتي بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائِلِ
وأني شقيٌّ باللئامِ ولن تَرَى شقيّاً بهم^٨ إلا كريمَ الشمايلِ

١ ب م : جبرون ؛ وقد ترجم ابن سديد لأبي القاسم بن خيرون (المذبذب ٢ : ٤١٩)
ونسبه إلى حصن بدران من أعمال دانية ، وذكر أنه سكن دانية وكان من شعراء أقبال الدولة .

٢ ط د س : الخطابة .

٣ ط س د : وبكت .

٤ د : مد .

٥ البهتان في الصداقة والصديق : ٣٠ دون نسبة .

٦ هو الطرماع بن حكيم ، انظر ديوانه : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

وفي فصل منها : ومن العجائب العجيبة ، والنوادر الغريبة ، تحكك^١ من ليس من شأنه ، ولا يجري في ميدانه ، إلى مطالبته ، وتصبه^٢ لمحاربتته^٣ ، بالإبراق والإرعاد ، والتهديد^٤ والإيعاد ، لا جرم أن^٥ يده أقصر^٦ ، وخطبه^٧ أيسر^٨ ، وهو أصغر^٩ وأحق^{١٠} ، فما ريع بذلك الوعيد ، ولا رفع رأسه^{١١} لذلك التهديد^{١٢} ، ولا أصبح سربه^{١٣} خائفاً ، ولا أمسى طائره واقعاً ، ولا طرفه^{١٤} خاشعاً ، ولا اضطرب به مستقر^{١٥} ، ولا قال أين المفر^{١٦} ، بل عُدَّ ذلك من دلائل سموه الواضحة ، ومخايل علوه اللاتحة ، وتضاحك^{١٧} منه لاهياً ، وأنشد :

زعم الفرزدق أن سيقتل^١ مربعاً أبشر بطول سلامة^٢ يا مربع^٣
ومن أطرف ما جاءت به الأيام ، وتحدثت به الأنام ، مناواة^٤ جاهل^٥
خسيس ، لإمام عادل رئيس ، لقد استنتت^٦ الفصال حتى القرعى^٧ ،
ولا تعجب^٨ لجاهل علا ، إن البغاث بأرضنا يستنسير^٩ ، وما لئيس جبان ،
والجري مع العلماء في ميدان ؟ ! أوهمته^{١٠} نفسه^{١١} إذ لُقِّبَ [ه ب]
بالفقيه ، وذلك أقصى أمانيه ، وهو من العلم ، أبعد^{١٢} من النجم ، ومن
الجهل الشديد ، أقرب^{١٣} من جبل الوريد ، وكيف يجاري العلماء ، ويسامي
الكبراء ، ويزاحم^{١٤} أهل العلم بالفروع والأصول ، والعلّة والمعلول ؟ وماذا

١ ط س د : إلى محاربتته .

٢ ط د س : والتهزير .

٣ د ط س : النشيد .

٤ البيت بلرير ، ديوانه : ٩١٦ .

٥ ط د س : موالاة .

٦ افظر امثال العسكري ١ : ٧١ وفصل المقال : ٤٠٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٣/٣٨٤ : ٨٢ .

٧ افظر امثال الميداني ١ : ٧ وفصل المقال : ١٢٩ والعسكري ١ : ١٤١ ، ١٦٣ .

عليه من العلم [المدار] ، بوثائق ابن العطار ، وبعقد وثيقة وهو لا يعرف معانيها وفصولها ، [ويطول وهو لا يميز حشوها وفصولها] ، إلى الله الشكوى في دور العلم وتآلب الجهلاء والغوغاء ، وتألفهم على من بان فضله عليهم ، حتى صاروا على الشر أعواناً ، وإن لم يكونوا قبل إخواناً ، خوفاً على جهلهم أن يظهر ، وينتشر من غباوتهم ما استتر :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه^١ فالناس أعداء^٢ له وخصوم^٣ ،
« وذو الجهل في الدنيا بذئ الفضل مولع »

إن المقدّم في حلق بصنعيته^٤ أنتى توجه منها فهو محسود^٥
وليت لو كانوا^٦ من الأكفام والأنداد ، وموضعا لوداد ، ومكانا للاقتصاد :

ولو أني بليت^٧ بهـاشمي^٨ خؤولته بنو عبد المدان^٩
صبرت على عداوته ولكن^{١٠} تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

اخرج^{١١} يا دجال . فقد غلب المحال :

قوم^{١٢} إذا ما جنى جانهم^{١٣} أمنوا للؤم^{١٤} أحسابهم^{١٥} أن يقتلوا قودا^{١٦} ،

وفي فصل منها : وإني ليلغني ما يأتي به من هذيانه في المنشور والموزون ،
وتخطيه إلى العريض المصون . والنيل من ذوي الفضل والدين ، فأهم^{١٧} .

١ البيت لأبي الأسود الدؤلي ، ديوانه : ٥٤ وانظر شرح شواهد الماني : ١٩٤ ونظام الغريب :

٧١ وفصل المقال : ٤٥ .

٢ ط د س : كان .

٣ ورد البيت في ديوان المماني ١ : ١٧٨ دون نسبة .

٤ ورد البيت في التمثيل والمحاضرة : ٤٥٦ دون نسبة ، وروايته كما في د ط س : من لؤم .

٥ ط د س : ما أهم .

بمعارضته ، ثم أُمسِكْ عنه لتفاهته ودنائه ، وأذكرُ قولَ القائل :
نجا بكَ لؤمُكَ منجى الذبابِ حَمَتُهُ مَقاذيرُهُ أنْ يَنالا^١
[وقوله] :

* وَمَنْ يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَا^٢ *

لو كنتَ من أحدٍ يهجى هجوئكمُ يا ابنَ الرقاع ولكن لستَ من أحدٍ^٣
وله من أخرى خاطب بها [الوزير] أبا المطرف بن الدباغ : مُطالعتُكَ
— أعزَّكَ الله — منتظرة ، وصلتكَ مستمطرة ، فلا تعتدُرْ إلاَّ من الإغباب ،
ولا تستكثُرْ قليلَ ما تصلُ به من الكتاب ، فأنا إلى أخبارِكَ متطلِّع ،
ولآثارِ الصديق المخلصِ من النفسِ مَوْقِيع ، وقد علمَ علامُ الغيوب
شُغْلَ بآلي بك ، واقتضائي الأيامَ لك ، ما تقتضيه لنفسك وذاتك ، من
أمالك وإراداتك ، ولأنه ليعتريني حَصْرٌ عند مجاوبتك ، وخجلٌ حينَ^٤
[٥٥ أ] مكاتبتك ، من خلوتِ كتابي إليك ، من معني تشدُّ عليه يديك ،
وفائدة تعودُ بمسرةٍ عليك ، ولكنَّ الأحوالَ لا تغرُبُ ولا تغيب ، وليس
على الأيامِ عَتَبٌ ولا تأنيب .

وفي فصل منها : وردني كتابك مشاركاً لي بفضلك ، في ما أظالم من

١ البيت لابراهيم الصولي ، ديوانه : ١٦٣ (القطعة رقم : ١٢٩) وانظر الحماسة البصرية

٢ : ٢٨١ وإمالي المرتضى ١ : ٤٨٨ وديوان المعاني ١ : ١٧٩ .

٣ في التمثيل والمحاضرة : ٣٥٥ : وهل يعض الكلب ان عضاً .

٤ البيت للراعي النميري ، ديوانه : ٦٤ ، وانظر طبقات ابن سلام : ٣٥ : والتمثيل والمحاضرة :
٦٨ .

٥ ط د س : واقتضاء .

٥ د ط س : عند .

بالك ، واغتمّ من حالك ، وتعدّر من أمرك ، وتأخّر من إسعادِ دهرك ،
 كأنه نفثةُ المصدور ، وساوةُ الموتور ، وتعلّةُ الشاكي إلى أخيه ، وراحةُ
 الباكي مع مَنْ يباكيه ، وقد علم تعالى أن مساهمتي لك في ذلك مساهمةُ
 مَنْ يَخْصُهُ ما يَخْصُكَ ، ويمسّه ما يمسُّك ، ولكن ما يُصْنَعُ مع الأيام
 إذا صمّت عن الشكوى ، وأبت من العتبي ، والأقدار إذا لم ينته لها أمد ولا
 مدى ١ ؟ وإن عذرَكَ لواضحٌ أن يضيقَ صدرك ، ويعاصيك [في] بعض الأحيان
 صبرك ، فقد ترى حظوظاً أنت بها أحقّ ، وغيرك إليها أسبق ، وأحوالاً
 أنت الجاري إلى غاياتها ، وغيرك الجاني لثمراتها ١ ، إلا أنها الجدود لا تُعَجَّلُ
 عن آثانها ٢ ، ولا تُحَفَظُ في أثنائها ، وعندك من معرفة الأيام ما يُسْلِكُ
 وينفعك ، ومن الأدوات ما لا يهلك ولا يضيّعك ٣ ، وأنت في اقتبالِ
 سنك ، وعنفوانِ أمرك ، وحالك واعدةٌ لك بأكثر مما في نفسك ،
 فلا تَضْجَر [بفضلك] فالزمنُ بين يديك ، وعَدَمُ الأمثالِ مُحْرِجٌ إليك .

ومن أخرى إليه ٣ : إذا اتفق للمرء وفي يصادقهُ ، وسريّ يوافقهُ ،
 وأديبٌ يباحبه أهدابَ الآداب ، وأريبٌ يناهيه لبابَ الألباب ، فقد ظفر
 بالأخِ الأسنى ، وأفاضَ بالقيدِ المعلنّ ، وراد من الأُنسِ مراداً خصيباً ،
 وفوقَ في أهدافِ المني سهماً مصيباً ، فهي الضالة التي تُنشدُ ولا توجد ،
 والغريبة التي توصفُ ولا تعرف ، وهو الاسم الواقع على غير مسمّى ،
 كعنفاءٍ مغرب ، وأرى أن قد ظفرتُ منك بذلك المطلوب الذي هو في

١ ط د س : الجاري إل غمراتها .

٢ ب ط س : إناها .

٣ د ط س : وله من أخرى .

٤ ب م ط د س : وأرى وقد .

حيثُ العدم ، وتنسبت^١ منك طيبَ السجايا والشميم ، واعتقدتُكَ من الذخائر
والعدّد ، واعتدَدتُكَ لليوم والغد ؛ وَوَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ وَبَحَرُ الْقَوْلِ
فيه يُزْبَدُ ، وإنسانُ البيانِ منه يسجد^٢ ، وَطَرَفُ الْاهْتِبَالِ به يسهر ، وطويلُ
باعِ الشكر عنه يَقْصُرُ .

وفي فصل من أخرى : قد يجزىء التيممُ عندَ عَدَمِ^٣ الماءِ ، ويكفي
التعلُّلُ من كمالِ الشفاء ، وتلكُ حالُ كِتَابِكَ الْكَرِيمِ الْوَارِدِ ، وجوابكُ
الأثير الوافد ، فإنه سدٌّ من الأُنس مسدّاً وإن لم يكفِ ، ونال من جلد^٤
الوجد منالاً وإن لم يَشْفِ ، أما^٥ إنه كان ماءً وإن لم يبلغ أن يكون صدءاً ،
ومرعىً وإن لم ينته أن يكون سعداناً^٦ ، ورأيتك رحلت على أن المقام^٧
ثلاثاً فطابت لك حتى [٥٥ ب] أتممتَ عشر^٨اً ، بل ما أقمّتَ إلاّ دهر^٩اً ،
فقد زدتَ على المثل ، وتملتيتَ مسافةَ الجدل ، فهنيئاً لك غيرَ منقّص ،
ومزيداً غيرَ منتقص .

ومن أخرى^٩ : ورد كتابك فلحظتُ منه فجرَ البيان ، وشجر الإحسان ،

١ ط د س : وشمنت .

٢ ط د س : يزخر . . . يسحر .

٣ ب م : فقد . ٤ د ط س : جلي .

٥ ط د س : إلا .

٦ إشارة الى المثل : « ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان » ؛ انظر فصل المقال : ١٩٩
والميداني ٢ : ١٥٣ والعسكري ٢ : ٢٠٦ .

٧ ط س : دخلت على المقام .

٨ إشارة الى قول أبي ذؤاس :

خرجنا على ان المقام ثلاثة فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

٩ سقطت هذه الرسالة والتي بعدها من د ط س .

وثمارَ البديعِ المزرية ، واستخفّني بأعجابه^١ ، واستفّزني بإطرابه^٢ ، فأشهد
لو كان خلقاً لكان إنسا ، أو نوراً لكان شمساً ، أو روضاً لكان حَزْناً^٣ ،
أو ماءً لكان مُزْناً ، وكلّما سرّحت فيه ناظري ، وأجَلّستُ في أرجائهِ
خاطري ، رأيتُ الطبعَ البعيدَ كيفُ مواقعُ إبداعه ، ومنتهى اختراعه .

ومن أخرى : قد سقط القولُ بيننا في الاعتقاد ، وتعرّينا من سننٍ^٤
التزيين فيه والاحتشاد ، فلا يُحطُّ من روائه ، ولا يريقُ بالإعادة من
مائه ، وجعلنا الضمائرَ - وكفى بها بياناً وتبييناً - لا تنفكُ محوطة ، وبالكفايةِ
منوطة ، فلا استطعتُ لوضعتُ الذنبَ والجنّاحَ^٥ ، وسقطتُ سقوطَ الندى
قبيلَ الصباح ، لاسيّما وقد اتصل بي اعتلالٌ طاف بك ، أرقّ عيني ،
وقربَ حَيّتي ، فما عرفته إلا بطاريءٍ من أفقك ، استوضحته عن خبرك ،
إلاّ أنه أنسّ بتصرفك واستقلالك ، ثم تتابعت البشرى بطلوع الكرم
خطابك ، معلماً بابلالك ، فمضى الغمة ، وقوى الهمة ، وسكنَ القلبَ ،
وأزاح الكرب^٦ ، وأشفقتُ أن لم تشاركني لوقتِ العارض ، حتّى من
الله بالشفاءِ الفائض .

١ م : بإحسانه .

٢ ب : بإطرابه .

٣ روضة الحزن أطيب شذا من سواها ؛ ب م : حرثا .

٤ ب : سنن .

٥ ب و خ بهامش م : لعلرت بجنّاح .

٦ وسكن القلب : وقعت هنا مكررة في ب .

فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل

فصل^١ من رقعة كتبها شافعاً بابن حماد ، أحد أفراد القواد : وقد سَمَتَ بي هِمَّتِي الَّتِي هُوَ بِفَضْلِهِ أَسْمَاها ، وَأَطَالَ مَدَاها ، أَنْ أَقْرَعَ بِابِ كَرَمِهِ شافعاً ، وَأَسْتَمَطَرَ سَحَابَ نَعْمِهِ رَاغباً ، فِي إِقَالَةِ عَثْرَةِ عَبْدٍ مِنْ عبيد الدولة^١ ، بِاخْعٍ بِحَقِّ^٢ الطاعة ، خاضِعٍ لِعِزِّ القُدرة ، ماتَ بِسَبَبِ القِرابَةِ واللَّحْمَةِ ، قَدْ اتَّخَذَنِي سَبِيباً إِلَى عِلائِهِ ، وَسَلَّمَ إِلَى سَمَائِهِ ، إِذْ عَلِمَ أَنِّي لِدَوْلَتِهِ - خَلَّدَهَا اللهُ^٣ - وَلِيٌّ ، وَبَدَرَ نَعْمَتَهُ غَدِيٌّ ، وَفِي كَنْفِهَا رَبِّي ، وَوَثِقَ أَنْ مِثْلِي مِنْ دُعَائِهِ فِي القَطْرِ الشَّاسِعِ ، وَأَشْيَاعِهِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ ، لَا يُرَدُّ إِذَا رَغِبَ ، وَلَا يُصَدُّ إِذَا طَلَبَ ، وَلَا يُحْرَمُ إِذَا شَفَعَ ، وَلَا يُحْجَبُ إِذَا قَرَعَ ، لَا سِيَّما وَهُوَ طَالِبٌ عَفْوٍ مَذْنُبٍ ، وَرَضَى عَنْ مُعْتَبٍ ، وَالْعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى^٤ ، وَالصَّفْحُ أَذْنَى إِلَى الزُّلْفَى ، وَلِمَقِيلِ الْعَثَرَاتِ عِنْدَ اللهِ جِزَاءٌ^٥ الْحَسَنَى .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا^٦ : وَقَدْ كُنْتُ قَدَّمْتُ فِي شَانِهِ مِنَ الرِّغْبَةِ مَا يَقْتَضِيهِ^٧ ، [٥٦ أ] فَأَعْلِمْتُ أَنَّ شِدَّةَ الْمَوْجِدَةِ عَلَيْهِ سَدَّتْ عَنْهُ بِابَ رَغْبَتِي فِيهِ^٨ ،

١ ب م : عِنْدَ ابْنِ عُبَيْدِ الدَّوْلَةِ .

٢ د ط س : نَاخِعٌ نَحْوُ ؟ وَنَجْعٌ وَنَجْعٌ بِمَعْنَى أَذْعَنَ .

٣ ط د س : أَدَامَهَا اللهُ بِدَوَامِ الْإِيَّامِ .

٤ فِي التَّنْزِيلِ : وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (البقرة : ٢٣٧) .

٥ ط د س : جِزَاؤُهُ عِنْدَ اللهِ .

٦ وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : سَقَطَتْ مِنْ ط د س .

٧ د ط س : مِنَ الرِّغْبَةِ فِي شَانِهِ مَا يَقْتَضِيهِ ؟ ب م : فِي شَانِهِ قَبْلَ الرِّغْبَةِ .

٨ ط د س : شَدَّتْ عَنْهُ وَعَنِي فِيهِ .

فَسَلِمَتْ بِسِيَّاسَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي مِنْهَا يَسْتَمَلِي^١ الدَّهْرُ إِذَا أَمَلَى حُكْمًا ، وَعَنْهَا
يَقْتَبِسُ^٢ الزَّمَانُ إِذَا ارْتَأَى عِزْمًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا ، وَلِكُلِّ
أَمَدٍ^٣ حِسَابًا ، ثُمَّ لَمْ أَبَاسْ مِنْ عَطَفَاتِ الْمَلِكِ الْأَجَلِ إِذْ كَانَ كَرَمُهُ
أَكْرَمَ شَافِعٍ إِلَيْهِ ، وَأَنْجَحَ وَسِيلَةَ لَدَيْهِ ، يَنْجِيهِ بِلِسَانِ الشَّفَاعَةِ ، وَيُلْهِمُ
بَيْنَ يَدَيْهِ بَسَاطَةَ الضَّرَاعَةِ .

وَقَدْ^٤ عَلِمَ أَنَّ فُلَانًا الْمَذْكُورَ سَهْمًا^٥ مِنْ سَهَامِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ عَلَى أَعْدَائِهَا ،
وَسَيْفٌ مَسْلُوقٌ دُونَ مَنْ يَلِيهَا^٦ مِنْ نَوَاحِيهَا وَأَرْجَائِهَا ، وَيَقَارِعُ^٧ مِنْ ضَادِّهَا ،
وَيَعَانِدُ مِنْ حَادِّهَا ، وَفِي الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ إِبْقَاءٌ عَلَى جُمْهُورٍ^٨ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
كَثِيرٍ ، وَإِحْيَاءٌ^٩ مِنَ الْأَرْضِينَ كَبِيرٍ ، وَتَأْمَنُ سُبُلٌ^{١٠} مَخُوفَةٌ مَقْطُوعَةٌ ،
وَرِعِيَّةٌ ضَعِيفَةٌ مَرُوعَةٌ ، وَتُحَقَّنُ الدَّمَاءُ فِي أَهْبِيهَا ، وَتُثَمَّنَعُ^{١١} الدِّهْمَاءُ
مِنْ كَلْتِبِهَا ، وَيُرَدُّ عَلَى الْعَيُونِ كِرَاهَا ، وَيَزُجَّى إِلَى النُّفُوسِ مَنَاهَا ،
[وَفُلَانُ الْمَذْكُورُ عِنْدَ سَيِّدِنَا يَدُّ قَدْ دَمِيَتْ بِسَوَارِهَا ، وَصَلِيَتْ مِنْ شَمْسِ
عَلَائِيهَا بِأَوَارِهَا ، فَهُوَ فَرَعٌ مِنْ دَوْلَتِهِ الْمُنِيفَةِ ، وَوَاحِدٌ مِنْ جَمَلَتِهِ الشَّرِيفَةِ
وَعَسَى أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ قَدْ انْتَهَى ، وَالْمَلِكُ الْأَجَلُ قَدْ اسْتَبْقَى] ؛ وَلَوْ
أَمَكْنِي أَنْ أَخْرُضَ الْبَحْرَ إِلَيْهِ ، وَأَمْثُلَ رَاغِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، لَفَعَلْتُ ، وَكَانَ
ضِمَانًا عَلَى كَرَمِهِ أَلَّا أَرْجِعَ [عَنْهُ] صَيْفَرَةَ الْيَدَيْنِ ، وَلَا أَنْقَلِبَ بِنُفْثِي حَنِينٌ ،
فَلِيَمْتَلْنِي — خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ — وَاطْنًا لِلْبَسَاطِ ، سَائِلًا فِي السَّمَاطِ ، قَدْ أَطْلَقْتُ

١ ط د س : يشتمل ؛ والعرباب « يستمل » .

٢ ط د س : امر .

٣ قبلها ي ط د س : وفي فصل منها .

٤ ب م : وقد علم أنه سهم .

٥ ط د س : يليه .

٦ ط د س : جماعة .

٧ ب م : واحياء .

لسانَ الرغبة ، وأدلتُ بذهامِ الولاية والمحبة ، وإن كنتُ لم أَسعَ في ذلك ،
إلى هنالك ، بقدمي ، فقد سعتُ آمالي^١ وهممي ، وعَرَفَ^٢ الجميعُ ، أنني
الراغبُ الشفيع ، فالعيونُ ناظرة ، والآذانُ مصيخة ، والأعناقُ متطلعة ،
والنفوسُ متشوفة ، إلى ما يكونُ من الملكِ الجليل ، من الفعلِ الجميل ،
من مقابلة^٣ شفاعتي — إن شاء الله — بالقبول .

وفي فصل من أخرى : من حُكْمِ شيمك — أيّـدك الله — الحالية ،
وَدَيْدَنِ هممك العالية ، أن توجبَ للراغب ، وتُسْعِمَ قبلَ عزيمة الطالب ،
وتُسَعِفَ مِنْ غيرِ شفاعتي ولا مسألة ، وتلتزم^٤ الحقَّ من غيرِ ذمامٍ
ولا صلة ، فكيف بك إذا تَوَسَّلَ بدمعةٍ محبةٍ متوسل ، وتوصلَ بحرمةٍ
قرايةٍ متوصل ، وضرع^٥ من عبيدِ اصطناعك ضارع ، وشفعَ من صدورِ
أودائك شافع ، هنالك لا محالة يوري زَنْدُهُ من غيرِ قَدْح ، وَيُنْفِضِي
جَدَّهُ إلى نُجْجَح ، وينتهي سُرَاهُ المحمودُ إلى أَيْنِ^٦ صبح ، ويحوزُ الشافعُ
جمالَ القبول ، وبغورِ المستشفعِ بثمرةِ المأمول ؛ وفلان^٧ من أصحابي [الأخصيين]
الأخلصين ، ومن أشياعك الأودين الأجدين ، وكما نحن في أحوالنا كلها
مُشْتَرِكَان ، كذلك نشتركُ فيه شركَ عنان^٨ ، فلي شخصُهُ وَقَرْبُهُ ، لك

١ ط د س : سميت بآمالي .

٢ د ط س : وعلم .

٣ د ط س : ومقابلة .

٤ ب : ويلزم ؛ م . ويلزدي .

٥ ب م : وتضرع .

٦ د ط س : سراه أين .

٧ د ط س : وإن أبا فلان .

٨ شرك عنان وشركة عنان : أن يشترك اثنان في شيء خاص دون سائر أمواتهما ، إذا
يخرج كل شريك مبلغاً من المال ويخلط المبلغين ويأذن كل واحد له أحبه بأن يتجر بالمال .

ضميرُهُ وقلبه ، وإن لَزِمْتَنِي رعايتُهُ من وجه [٥٦ ب] فهي لك من
 وجوه الزم ، إذ حالك معه أقدم ، وأنت أرحى وأكرم ^١ .
 وذكر أنه يخاصمُ بعضَ بني عمه — [كثَّره الله] — وكان الضَّلَعُ ^٢
 في خُصُومَتِهِ عليه . وإن كان الحقُّ في يديه ، لأسبابٍ دُنياويَّةٍ ، لا لتوجُّهِ
 حُكْمٍ [ولا] قضية ، ورغبتهُ الموصولةُ برغبتي ، المؤيَّدةُ بشفاعتي ، أن
 يكونَ له منك جانبٌ يرقى منه إلى مُستَصعَبٍ مطالبه ، ويدراً منه ^٣ في
 تحرُّرٍ مطالبه ، ويعيدُ الشهودَ عليه شهوداً له ، والمتألمين عليه إلماً معه ^٤ ،
 وإذا شدَّ زندَهُ حُسْنُ رأيتك في يده ، ضرب بنصلٍ يقطعُ الهامَ في غمده ،
 وسرى بسراجٍ يضيءُ له مبهمٌ قصده ، فإن الله يَزَعُ بالسلطانِ ، ما
 لا يزَعُ بالقرآن .

وفي فصل من أخرى ^٥ : عبدُ سيِّدنا — أدام الله عزَّه — قد تحيَّفتِ
 الأيامُ قواه ، وتحوَّنتِ الحادثاتُ عُرَاه ، وقربَتِ الثمانونُ خطاه ، فاحتلجَ
 بنائه حتى كأنَّه لم يتعلَّقْ من الكتابةِ بأطنابٍ ^٦ الإطناب ، ولا تصرفَ
 من البلاغةِ في سُهُوبِ الإسهاب ، ولا عُدَّ في الدواوين من صدورِ الكتاب ؛
 والحضرةُ الجليلةُ تنعِمُ باستماعِ بَشَّتِه ، واغتفارِ رَثَّتِه ، جرياً على الكرمِ .

١ . أدقُّ من ذلك : واحفى بالذمم والكرم .

٢ . الضلع : المبل ، الهوى .

٣ . صدق به .

٤ . معه له .

٥ . من : من حيث .

٦ . أطناب : السنان ، دوى .

٧ . أطناب : السنان ، دوى .

المعروف ، وسعيًا إلى الفضل المألوف ؛ وعبدُهُ يخدمُ البساطَ بالتقبيل ، ويسألُ أن يُنزِلَهُ منزلةَ القبولِ ، مُهْتَبِلًا ، مجملًا ، إن شاء الله .

[وله من أخرى : كيف لا أتُحَكِّمَ - أيدك الله ، وأوصَلَك إلى ما ترضاه - على سيادتكَ تُحَكِّمَ المُدِلَّ ، وأتقدِّمُ في ذلك تقدُّمَ المنبسطِ المسترسل ، وقد مهدت لي جانبَ الإفضال ، وأمنت سربي قديمًا وحديثًا من الإملال والانعجال ، فإن انبسطُ فبحقِّ ، وإن شقَّعتُ فبضمٍّ صدق] .

[ومن أخرى : إذا استحكمتِ المقة ، وتمكَّنتِ الثقة ، وخلص الصفاءُ من كلِّ شَوْبٍ ، وسلمَ الإخوانُ من كلِّ عيبٍ ، ارتفعت أسبابُ التحفظِ والترقبِ ، وعُصِيَّتْ دواعي الانقباضِ والتهيبِ ، واسترسل المرءُ راعبًا في كلِّ ما عنَّ له ، وانبسط شافعًا لكلِّ من اتصل به ، وذلك عندي - أبقاك الله - رسمي في تواترٍ من كتبي ، في من لي به لديك عنايةٌ وإكرام . وله إليَّ وُصْلَةٌ وذمام] .

[ومن أخرى : تلزمني - أيد الله مولاي - علائقٌ لو وقف منها على السرِّ ، لتجلَّى له وَجْهُ العذر . مِن هزِّ فَضْلِهِ في شأنِ فلان مملوكِهِ وحبيسةِ برِّه ، ليعطفَ عليه عطفةُ الماجد ، ويحنو عليه حنوُّ الوالد ، على فراخٍ كزغبِ الفطا ، وعيالٍ ليس منهنَّ إلاَّ المفجَّعةُ الحرَّى ، دموعُها تنهلُ كالسحاب ، وضلوعُها تلتهبُ بنارِ الاكتئاب . قد شملهم الفِرار ، ونبا بهم القرار . وعدَّوْضوا بالبؤسِ من النعيم ، وأدِيلوا بالحزنِ من السرورِ المقيم ، كأنما يتكحلون^١ بالسهاد ، وينامون على شوكِ القتاد] .

١ د : يكحلون .

[وأنا أمدُّ إلى مولاي يدَ الصراعةِ ، وأسأله إن لم يستوجب المذكورُ
 الرعايةَ لنفسه ، فليترعه لأصله ومغرسه ، وإن لم يرق لذاته ، فليرق
 لبنيه وبناته ، وأهله وعوراته ، وأذكرُهُ كلمةَ المأمون^١ : لو علمَ الناسُ
 حرصنا على العفو لتوصلوا إلينا بالذنوب ، وقوله : إني لألثدُ بالعفو حتى
 أخشى أن لا أوجرَ عليه . وكان الحجاجُ^٢ قد استأصلَ بالقتل أسرى ابن
 الأشعث حتى انتهى إلى فتى منهم فقال : أيها الأمير : لئن أسأنا في الذنوبِ
 ما أحسنتَ في العفو . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجيف ، أما كان فيهم
 أحدٌ يُحسِّنُ مثلَ هذا ؟ ! وأمسكَ عن القتلِ مع قساوته ، وحقَّنتْ
 عنده هذه الكلمةُ الدمَ . وتعمدتِ الاساءةَ والجرم . ومولاي بصحةِ
 فطرته ، وتوقدَ فكرته . وذكاءِ فهمه ، واتساعِ حلمه ، أحدٌ من اتبع
 كريم الآثار . وشيّدَ مباني الفخار . ولم أذكره على طريقِ الحجة ، لكن
 على وجهِ الذكرى التي هي في الأكرمين ناجمة ، وفي المؤمنين نافعة ،
 كما قال الجليل . في التنزيل ، ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
 (الذاريات ٥٥)] .

ومن كلامه في ذكر التهنئة وإقامة^٣ رسم الهدية

فصل له من جواب^٤ : ورد كتابُكَ ففضضتُ ختمه عن رياضٍ
 تفتحت عن أزاهرِ كلمك ، وتشرتُ طيه عن جواهرِ حكمك ، ولحظته

١ قارن بتاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٤٨ .

٢ انظر ابن خلكان ٢ : ٣٩ .

٣ ط س : وإقام .

٤ ط د س : فصل من رقعة له .

بعين التدبير^١ لمعانيه ، وجميع ما ضُمَّنْتَهُ^٢ فيه ، فوجدتُهُ قد أخذ بطرفي
الآداب ، واكتست عليه حلة الإيجاز والاسهاب ، فاطرَدَت مياهُ البراعة
من فروع منشوره ، وعقب نسيمُ البلاغة من مسكه وكافوره ، وقابلتني
منهُ أوجه من البرّ جميلة ، فأردتُ تترك معارضتك ، نكولاً عن مبارزتك ،
وذهبتُ إلى العدول عنها كلالاً عن مناجزتك ، وأنّى بمناضلتك وقد حُك
الفائز ، وكيف بمجاراتك وشأوي العاجز ، تالله لولا مخافةُ العقوق ، وترك
واجبات الحقوق ، لأضربتُ عن مجاوبتك تقصيراً ، ولو شمرتُ عن ساعد
ذهني تشميراً .

ووصل معه الغزالُ الأهيف ، وكأنَّ عينيه عينا وسانٍ مالت به نشوةُ
الراح ، وثني عِطْفَهُ هزةُ الارتياح ، كأنما كُحِلَا سحراً ، وأشربا
خمرًا ، ينظرُ بهما نظرَ المريب ، ويُعرِضُ إعراضَ الحبيب ، بجيد أتلع ،
[٥٧ أ] ومنظرٍ أروع ، وكأنَّ قرنيه قَلَمَان ، وكأنَّ أذنيه جَلَمَان ،
ينصبُّهما إذا أُوجِس^٣ ، ويننيهما إذا أنيس^٤ ، وكأنما كُسيَ أَيْطَلاهُ حِلَّةَ
الشَّفَق ، وطُرِرَتْ بسواد الغسق ، يتوحّش في الإنس ، ويأنس في
الكنُس ، عدوانه رِياح^٥ ، ومشواه قَرَّاح^٦ ، تخالهُ سهماً إذا انصاع ، ومعشوقاً
أشعيراً برقيبٍ فارتاع ، يزداد جماله إذا نفر ، وتروق محاسنه إذا ذُعِرَ :
كاد يحكي غزاةَ الإنس لولا رقة في الشوى وقَرْن علاه

١ ب م : ولحفت . . . التدبير .

٢ ب م : ضمنت .

٣ ط د س : أوحش .

٤ ب م : رماح .

٥ ب م : ومشواه فداح ؛ ط د س : وسواه قداح .

٦ ب م : وترق .

أنا أهواه لا لشيء ولكن كلفاً بالفتى الذي أهواه

وقرنت إلى هذه الهدية الرائقة^١ ، والمنحة الفائقة ، شطرنجاً صغيراً
كأنّ أفليدس^٢ قسم أجزاءه^٣ ، ورقق^٤ أشكاله^٥ وأحماه^٦ ، يحار في لطيف^٧
صنّعه^٨ الوهم ، ويضل في كَيْفِيَّتِهِ الفهم^٩ ، قد قُسم^{١٠} قسمين : قسم أحمر ،
وقسم^{١١} كأنه من ناصع^{١٢} الجواهر ، تتقابل^{١٣} خيلُهُ^{١٤} بلا فرسان ، وتنقاد^{١٥}
بلا عنان ، في أرض^{١٦} مربّعة^{١٧} الأقطار ، تثير سنابكها العثار^{١٨} ، وكأن الرخ^{١٩}
إذا برّز^{٢٠} للمصاع ، وأشهر العرصة^{٢١} للقيراع^{٢٢} ، بطل^{٢٣} تثنّى^{٢٤} حملته^{٢٥} ،
ولا تؤمن^{٢٦} جَوْلته^{٢٧} ، يهوي هويّ الصقر^{٢٨} في الجو^{٢٩} ، ويصول^{٣٠} صولة^{٣١}
الأسد في الدوّ ، إذا حمل على صفّ^{٣٢} قسمه ، وإذا ضرب^{٣٣} قِرناً^{٣٤} قصمه ،
يكنم^{٣٥} فيلُهُ^{٣٦} كمن الكمي^{٣٧} ، ويبرز^{٣٨} بروز القسور^{٣٩} الجري^{٤٠} ، يرتصد^{٤١} الفرصة^{٤٢} ،
ويبتهر^{٤٣} الغيرة^{٤٤} ، وكأنما الفِرْزَنُ^{٤٥} إذا جال متبخرّاً^{٤٦} ، أو مشى متكبرّاً^{٤٧} ،
ثمل^{٤٨} يترنّج^{٤٩} ، أو سكران يتزحزح^{٥٠} ، فإذا شدّ^{٥١} عقده بالبيدق^{٥٢} ، فإنه^{٥٣} مركز^{٥٤}
دائرة^{٥٥} الفيلق^{٥٦} ، وكأنما الشاه^{٥٧} كسرى حفّت^{٥٨} به مَرَّازِيه^{٥٩} ، أو بدر^{٦٠} أحاطت^{٦١}
بفلكه كواكبه^{٦٢} ، هي به قطب^{٦٣} كواكب^{٦٤} الجوزاء^{٦٥} وعليها تدور^{٦٦} الدوائر^{٦٧} ،
وقلب^{٦٨} الكتيبة^{٦٩} وعليها تقتتل^{٧٠} العساكر^{٧١} ، وكأن^{٧٢} الرّجُلَ^{٧٣} رجلاً^{٧٤} جرّاد^{٧٥} تريش^{٧٦}

٢ ط د س : لطف .

١ ب م : الرائحة .

٤ ب م : عثار ، وسقطت العبارة من ط د س .

٣ ب م : تتقائل .

٥ ب م : الزناد ابرز .

٦ كذا بالصاد المهملة ، وربما قرئت في م ب : الفرسة .

٧ ب م : متكسرا .

٨ د ط س : يتدحرج .

٩ ب م : كأنه .

١٠ ط د س : دائرة .

١١ ب م : تقتل .

سهام الحرب ، وتقدح نار الطعن والضرب ، تبرز إلى المقاتلة بلا سلاح ،
ويصرع^١ بعضها بعضاً بلا^٢ جراح ، قد اكتفت عن الصوارم بصرامتها ،
وعن السابغات بصلابتها :

جيشان يقتتلان لا لعداوة أبداً ويصطلحان لا لسوداد
أهداهُ سعدُ الدولة التدبُّ الذي جمعتُ محبتهُ عُرَى الأكباد

وله من أخرى جمع فيها بين التهنية والتعزية : أحوالُ الدنيا — أعزك
الله — مبنيةٌ على التداولِ والتعاقبِ ، ومساءاتها ومسرَّاتها جاريةٌ مجرى
التبادلِ والتقاربِ ، فمن عِبرة تفضي إلى عِبرة ، ومن مساءة تُعقبُ
بمسرة ، ومن محنة تفرُّ عن منحة ، ومن ترحاة تُقْلِعُ عن فَرْحة ،
ولله تعالى في جميع الأحوالِ المختلفة ، والأقدارِ المتصرفة ، حقوقٌ من
الصبر على السراءِ [٥٧ ب] والضراء ، وعلى الأولياءِ المختصين فروض
من المشاركةِ والمظاهرة في كلِّ ما ناب من حَزَن ، وثاب من حسن ،
قد جرَّت بها العوائدُ ، واستوى فيها الغائبُ والشاهد ، فتلک تُرعى بالدعاء
والتهنية ، وهذه تُستلَقَّى بالاطراء والتعزية . والله يجعلُ أيامَ مسرَّاتك
الأكثرَ إسعاداً ، وأوقاتَ تهنئاتك الأوفرَ أعداداً .

وأُنهيَ إليَّ من تقليدك العهدَ ، وامضائك العقدَ ، للناصر [سيدي
وأسنى عددي أبقاه الله] — على بلنسية — عمرها الله بدوام عزك ، وحماها
باتصال نصرك — مكان المعنصم — رحمه الله — فقلتُ : مُلكٌ تردَّدَ
في عنصر ، وخاتمٌ تنقل من خنصر^٣ إلى خنصر ، وقد سَدَدَتْ — أيْدك

١ ب م : يریش . . . ويقلح . . . يبرز . . . س ط د : وتسرع .

٢ د ط س : بنير .

٣ د ط س : بنصر .

الله - ثلماً ، وشفيت^١ كلاً ، وسمت الخطوبَ رغماً ، وأوسعتها همّاً .

ومن أخرى^٢ : أطلّ الله بقاءَ الوزير الأوحَد ، الخطير الأجد ، مسروراً بسمو الأحوال والرُتب ، معصوماً من طوارق الأحداث والنوب .
إذا تقادمت الذرائع والوسائل ، وتناصرت الطبائع والشماثل ، كان للود^٣ مع ذلك وفورٌ وتما ، ولكرم العهدِ ظهورٌ وبهاء .

وفي فصل منها : وكيف لا أدخلُ إلى رضاه من كلِّ باب ، ولا أفتريسُ من عداه بكلِّ ظفرٍ وناب ، وأطيرُ من السرور ، لما تهيأ له من الظهور ، بكلِّ جناح ، وأتقدمُ إلى الفخار ، بما يبلغُهُ من^٤ الأوطار ، بغيرِ جناح ، وهو ركني الذي يقيمُ ظهري ، ويردُّ عني صَرفَ دهري ، ومعهُ هواي ، الذي يعضدُ ديني ودنياي ، ويُنْدي إليَّ أُملي ومناي ؛ أسألُ الله تعالى أن يُبقيهُ للوزارةِ زيناً وفخراً ، وللرياسةِ ركناً وذخراً ، وللدينِ عزّاً وجلالاً ، وللملِكِ زيناً وجمالاً .

ولما طلع البشيرُ عليَّ بتصويرِ الوزارةِ اليه ، ودَوَّرَ رحي الخلافةِ عليه ، جدّدتُ لله تعالى حمداً وشكراً ، ولنعمه الجزيلةَ ذكراً ونشراً ، وأخذتُني هزة الجذلِ والارتياح ، وأسفرَ لي وجهُهُ الأملِ والاقتراح ، فانتشيتُ من فَرَحٍ وطرب ، ونيلِ مُرادٍ وأرب ، ودعوتُ الله أن يجعلها ولايةً ، تبلغُ من السَّعدِ نهايةً ، وتضاعفُ للدينِ حمايةً ؛ وقد تَعَيَّنَ عليَّ أن أهنيءَ بالوزارةِ بل هي المهنةُ بمصيرها اليه ، وظهورِ رسمها عليه ، فهو المعدلُ لحدودها وسيرها ، المحسنُ لوجوهها وصُورِها ، المبينُ لحُجُوجها وغُرَرِها ،

١ ب م : وشفيت .

٢ لم ترد هذه الرسالة في د ط س .

٣ م : إل . ٤ ب م : فاشبت .

لا زال سيّدنا زيناً للدول والممالك ، ونوراً في المواطن والمسالك ، وفخراً
لأهل المشرق والمغرب ، وقبلةً لذوي الحاجات [٥٨ أ] والمآرب .

ومن رسائله في التعازي

فصل^١ له من رقعة : يا سيدي ، ومن لا زال جأشُهُ ساكناً ، وحرْمُهُ
آمناً ، وبالهُ ناعماً ، وأنفُ مَنْ عاداه^٢ راغماً ، يؤدّي [أعزك الله]
لو خاطبتُكَ بالتهنية لا بالتعزية ، وشاركتُكَ بالعطية لا بالرزية ، ولكنها
الأيامُ تُحلي وتُمِرّ ، والأقدارُ تسوء وتسرّ ، والرزايا تتطرقُ وتُحيّف ،
والمنايا تستدرجُ وتتخطّف ؛ واتّصلَ بي وفاةُ الوالدة [المرجو لك دعوتها ،
المبلوّة بركتها] فساءَني يعلم الله أن يطرقَ خطبُ حماك ، ويطأ رزءُ
ذراك ، مشاركة^٣ لك في المهم ، ووقوعاً معك تحت الحادثِ الملمّ ، إلاّ أني
أرجو أن تشدّ له عزائمَ عزائك^٤ ، وتحمله على كبدٍ احتمالك ، وتقلب إليه
مجنّ^٥ اصطبارك ، وتذكّي عليه قبسَ اعتبارك ، فتعلم كثرتَهُ وجمومته ،
وتذكر شموله وعمومه ، وتستشعر أنه عُرف لا نُكر ، وعوّان لا بكر ،
فتتأسّى بكثرة الباكين ، على الهالكين ، وتتعزّى^٦ بسرعةِ اللاحقين ، على
السابقين . والنساءُ كيف كانت مراتبهنّ ، والحرمُ وإن جلت منزلتهن ،

١ د ط س : وائف عدوه .

٢ ب م : مشاركا .

٣ ط د س : عظيم عزائمك .

٤ د ط س : وتتحمله على كبد .

٥ د ط س : فظهر .

٦ ط س : وتتعذى .

لم يَغْلَقْ عَلَيْهِنَّ كَأَبْوَابِ التُّرَابِ ، ولم يُسَدِّلْ دُونَهُنَّ كَسُتُورِ الْقُبُورِ ،
وربَّ أُمٍّ مَبْرُورَةٍ ، وَأَخْتٍ كَبِيرَةٍ ، قد نَزَعَتْ مَنْزَعًا مِنَ الصِّيَانَةِ ، وَذَهَبَتْ
مَذْهَبًا مِنْ مُبَاحٍ^١ الدِّيَانَةِ ، وَدَّ ابْنَهَا^٢ وَأَخُوها قَبْلَ ذَلِكَ لو طَوَّاهَا
كَتَفَنَ^٣ ، وَوَارَاهَا جَنَنَ ، فَتَقَدَّمَهُنَّ أَصُونُ لَهْنٍ ، وَأَوَّلَى بَهْنِ .

وفي فصل من أخرى : كَتَبْتُ عَنْ قَلْبٍ يَتَشَعَّرُ ، وَنَفْسٍ بَيْنَ ضُلُوعِهَا
لَا تَسْتَقِرُّ ، لَخْبِرِ الرُّزْمِ^١ الْهَاجِمِ ، وَالنَّبَأِ الشَّنِيعِ الْكَاثِمِ ، بَوْفَاةٍ^٢ [الْحَاجِبِ
عِزِّ الدَّوْلَةِ سَيِّدِي]^٣ ، كَانَ ، لِقَاءَهُ اللَّهُ الرِّضْوَانُ ، وَالْخَفَةِ الْعَفْوُ وَالْغُفْرَانُ ،
مَحْتَضِرًا فِي أَوَّلِ الْكَمَالِ ، مَخْطَرًا عِنْدَ الْإِقْبَالِ^٤ ، مَبَادِرًا قَبْلَ الْإِبْدَارِ ،
مَعَاجِلًا بِالسَّرَارِ ، فِي عَفْوَانِ الْإِقْمَارِ ، فَيَا لَهَا حَسْرَةً مَا أَكْثَرَهَا لِلنَّفُوسِ ،
وَجَمْرَةً مَا أَذْكَاهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَرُوعَةً مَا أَفْتَنَهَا فِي الْأَعْضَادِ ، وَلُوعَةً
مَا أَحْرَقَهَا عَلَى الْأَكْبَادِ ، لَكِنَّهُ أَمْرٌ يَعْمُ وَلَا يَخْصُ ، كُلُّ نَفْسٍ لَهَا جَارِعٌ ،
وَفِيهَا كَارِعٌ ، فَمَنْ مُبْتَدِرٍ يَعَاجِلُ ، وَمُنْتَظَرٍ يَنَاولُ :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقْمَنَا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وَأَنْتِ أَعْلَمُ بِالْأَيَّامِ وَصُرُوفِهَا ، وَالْأَرْزَامِ وَصُنُوفِهَا ، وَالْأَنْفُسِ وَمَآلِهَا ،
وَالْأَجْسَامِ وَاضْمِحْلَالِهَا ، وَالْعَوَارِي وَارْتِجَاعِهَا ، وَالْمَنَائِحِ وَمَقَادِيرِ إِمْتِنَاعِهَا ،
مَنْ أَنْ يَغْلِبَكَ الْجَزَعُ وَالتَّهَالُكُ^١ ، وَيَنْزِعَ بِكَ الْجَلَدُ وَالتَّمَاكُ^٢ ، فَأَنْتِ
بِالْأَزْمَانِ خَبِيرٌ ، وَبِالْأَحْوَالِ بَصِيرٌ ، وَبِاسْتِعْمَالِ مَا فِي ذِكْرِكَ مِنْ أَمْثَالِ
التَّاسِي [٥٨ ب] وَمَوَاعِظِ التَّعْزِي جَدِيرٌ ، وَمِثْلِكَ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا ،

١ مباح : سقطت من د ط س .

٢ د ط س : أبوها .

٣ ب م : بوفاة فلان .

٤ د ط س : محتضراً في إقباله .

وحملَ على النفوسِ أحزانها ، ولم يُغْرِبِ الدهرُ عليه ببدعٍ من نوائبه ، ولم يَفْجَعْهُ بما لم يحتسبه من مصائبه ، ولم يتجاوزَ دَمْعَ العين حُزْنَ القلبِ ، إلى إحباط الأجرِ وإسقاطِ الربِّ ؛ وإن كان الله قد سَلَبَ بعده ، فقد وهبَ بفضله ، وإن كان أخذَ فقد أعطى ، وإن كان اخترمَ فقد أبقي ، وبهذا صدَّعَ عروةُ بن الزبير رضي الله عنه عندما مُنِّيَ به في أحدِ أبنائه ، وبعضِ أعضائه ، واللهُ يُمَتِّعُكَ بالباقي الراهن ، وينفعُكَ بالثاوي الطاعن ، ويجعلُ هذه الرزيةَ مُنتَهَى بلواك ، وآخرَ رزايك ، وَيُسِّرُكَ للتسليم والاحتساب ، ويحفظُ عليك ما عرَّضَكَ له وعوَّضَكَ به من مذخورِ الثواب ، وإن كان قد جرى هذا الأمرُ ، على خلافِ حكمِ الدهرِ ، في تقدُّمِ الأسلافِ على الأخلافِ ، فَصُنْعُ الله لك أجمل ، وصُنْعُهُ في بقائك أعدل ، لِيُغْنِيكَ عن المسلمين ، ومكانِكَ للدنيا والدين ، فاللهم ببقائك مُغتَنَرٌ ، والمهمُّ وإنْ جَلَّ مُحْتَقَرٌ .

وذكرت أنه خرج من بيته مجاهداً ، وعن حمى الدين ذائداً ، فقد وقع أجرُهُ على الله ، وفاز بكرامة الله ، وإذا فاز بالسعادة والشهادة وهو فَرَطَكَ وشافِعُكَ ، فهو لا محالة مغتبطك ونافعك ؛ وقد أخذتُ بحظي من هذه الحادثة الشنعاء ، والداهية الدهياء ، في من تُسْتَقْبَلُ له أحوال ، وتناطُ به آمال ، ويعدُّ في أكابر العدد ، وفي دخلة الصديق والولد ، والآخِرُ (؟) إشفافاً عليك من مضطرٍّ فقدته ، وتصورٌ شديدٍ اكتئابيك من بعده ، فمثل هذا في مثله لم يكد يتسعُ للمصاب به صدرٌ ، ولا يثبتُ للصدمة الاجاجية صبرٌ ، فإن جَزَعَ الجازعُ فالعذرُ واضح ، وإن صَبَرَ المصابُ فالأجرُ راجحٌ ٢ ،

١ راجع ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ - ٢٥٧ في صبر عروة عندما فقد ابنه وقطعت رجله .

٢ ورد بعدها في ب م : بين سعادة اليوم والغد ؛ وهو سهو فيما يبدو ، لأن العبارة سترد بعد قليل .

ومشاركته لي فيما طرقتك به الأيام ، وفجعك فيه الحمام ،
مما أشكره من فعلك ، وأنشُرهُ من فضلك ، أوزعني الله شُكرَكَ ،
ومدّ في عمرك ، وأعقبك زيادةَ العدد ، وجمع لك بين سعادةِ اليوم والغد .

وفي فصل منها : وأنت الطَّوْدُ الموفي على كلِّ هَضْبَةٍ ، المعلّى على
كلِّ فَرَحَةٍ وَكَرْبَةٍ^١ ، وما بقيتَ وعوفيتَ فكلُّ خَطْبٍ وإن جَلَّ جَلل ،
وكلُّ صَعْبٍ وإن أعْضَلَ فمَحْتَمِلٌ^٢ ، فالله يا سيّدي في نفسك العزيزة
أن يكونَ فيها كامنٌ رزءٌ^٣ يقدح ، أو أن يوهنَ منها باطنٌ أَسَى يكدح
[٥٩ أ] أو يَفْدَحُ^٤ ، فانت سدادُ كلِّ مُلِمٍّ ، وسنا كلِّ مَظْلَمٍ ، وأنا
أضرب لك الأمثالَ ، وأعلمُ مع ذلك علمَ الحقيقة أن مُصَابِكَ كبير ،
ورزءُكَ أليمٌ خطير ، لا يكادُ يتعلّقُ بالخارجِ منه مَلامٌ ، ولا يستمرُّ
على الصبرِ فيه اعتزام ، فمن كَرَمَ الكريمِ ، الجزعُ على الحميمِ ، ومن
خَوَّصَ القلوبَ ، الأسَفُ على المحبوبِ ، وإذا كان الحيوانُ غيرُ الناطقِ
يحنُّ وَيَرَامُ ، فنحن بذلك أحقُّ ، إذ نحن أرقُّ قلوباً وأرحمُ ، إلا أن
مثلك ممن عَظُمَ قَدْرُهُ ، وتقدّمَ بالأيامِ خُبْرُهُ ، أرجحُ علماً من أن
يُسَلِّمَهُ العزاءُ إلى التَهَالُكِ ، أو تغلبَهُ الأرزاءُ على التماسُكِ .

وفي فصل من أخرى عن ابن مجاهد إلى ابن أبي عامر : لو استغنى
— أعزك الله بالصبر ، وأيدك بالنصر — أحدٌ عن التعزية ، واكتفى مصاب

١ د ط س : هَضْب . . . فرحة وكرب .

٢ ط س : شعب . . . محتمل .

٣ د ط س : جوى .

٤ ط س : يفرح .

عن التسلية^١ ، لأصالة رأي وسعة علم ، وجلالة قدر وجزالة نفس
وشدة كظم ، لكنت أنت الغني عن ذلك ، لإحاطة علمك بتقلب الأيام
وتصرف الأحوال ، وارتفاع قدرك عن أن يملأ الزمان صدرك ، وتبلغ
المحن^٢ صبرك ، فأنت أصلبُ عوداً من أن تروعك^٣ المصائب ، وأشدُّ
ركناً من أن تُضعِضَكَ التَّوائب ، لكنَّ الذكرى بابٌ مندوبٌ إليه ،
وسننٌ معمولٌ عليه ، ولئن جلَّ الخطبُ ، وعَظُمَ الكربُ ، فالثوابُ بقدره
المصاب ، والعطيةُ بحسبِ الرزية ، وإنما الأجرُ بالصبر ، والجزاء مع العزاء ،
وإن كان الله قد أخذ ابناً فقد ترك أبناء ، وإن كان [قد] سلب نعمةً فقد وهبَ
نعماً ، وإن كان الأعمى والأكثر أن تمضي الآباءُ ، وتخلَفَ الأبناء ، فالملكُ
يدعو الله أن يخرجك من هذا العموم ، ويورثك أعمارَ الجميع ويجعلك
الباقى بعد كل قريب وحميم ، فكلُّ خطبٍ ما عداك يسير ، وكلُّ رُزءٍ
إذا تخطَّاك حقير .

وفي فصل من أخرى : لقد طَرَقَتْ نائبةٌ من الموتِ وفاجعةٌ من
الكربِ في قطبِ الآمالِ ومَدَارِها ، وسناءِ الهممِ ومنازها ، وتاجِ الرياسةِ
وسِيوارها ، [الحاجبِ حسامِ الدولة ، كان ، رضي الله عنه وأرضاه ،
وجعل الجنةَ مأواه] فوالهفا عليه مردداً ، وبيا أسفا له مؤبداً ، ماذا خطفت
[يد الحمام] وأصمتت به سهام الأيام ؟ ! أيَّ سماءٍ للعلاء فطرت . وأيَّ

١ ب م : تسلية .

٢ د ط س : ويفلق بالمحن .

٣ ط س : تردعك . ٤ د ط س : ندب .

٥ د ط س : على قدر .

٦ د ط س : للمالي .

نجم للمنى^١ كدّرت^٢ ، وأيّ بحرٍ من الأسى سجّرت^٣ ، وأيّ عينٍ للبكاء
فجّرت^٤ ، مايقاسُ به مثيل ، ولا يُضاف إليه عدل ؛ وقد كان لي أن
أصرفَ المقال ، وأضربَ الأمثال ، وأجتلب^٥ من التعازي ما جاءت به
الآثار ، ووَرَدَتْ به الأخبار . غيرَ أنّه - أيّده الله - أعلى في الفضل
[يداً] وأثبت في العلم قدماً ، وأرجحُ حليماً إذا طاشت العقول ، وأشدُّ
كظماً إذا اضطربت في الصدور النيران : من أن أوردَ عليه ما لم
[٥٩ ب] يحيط به عادماً ، ولم يتوصّل^٦ إليه فهماً

وله من رفعة إلى المظفر بن الأفطس يعزيه بالمنصور أبيه : وسهل كتابه^٧
- أيّده الله - بما شرّد غمضي ، ونعى بغمضي إلى بعضي ، وأطبق
سمائي على أرضي ، وأفضى مضجعي ، وأسأل مدمعي ، وعظم ثكلي
وجزعي . من فطيم الخلب الوارد ، وشنيع الرزء الوافد ، بوفاة
[المنصور سيدي وموثلي ، كان ، أو سمعه الله جنته ورضوانه ، ولقاه
رحمته وغفرانه] ؛ فيا لها مصيبة قصّصت ظهري ، وذهلت فكري ،
وقللت^٨ حدي ، وأرغمت خدي ، ودفعني إلى الجزع وحدي :

فلو كنت في الباكن حولك كنت قد تأسيت فاستشفيت والعين تندمع
ولكنني أبكي فريداً وأشتكي وحيداً فما ينفك عني التروع
هو الرزء أفضى بي إلى كل غاية من البث لا أسلو ولا أتروع^٩

١ ب م : نجم للعل .

٢ ب م : فاجلب .

٣ د ط س . كتاب مولاي .

٤ ب م : بوفاة ثلاث .

٥ ط د س : وفلت .

٦ أتروع : اكنت وامتنع ؛ د ط س : اتروع .

لئن حَسَّنَ السَّلَوَانَ والصَّبْرُ بِأَمْرِي^١ فَأَحْسَنُ حَالَاتِي سَأَوْ مَمْنَع

وفي فصل منها : ومثلُ مولايَ الرئيسِ [الأجل^٢] تلقى^٣ هذا الخطبَ الذي يهدُّ الجبالَ ، ويقطعُ الآمالَ ، ويخلعُ الفؤادَ ، ويصدعُ الأكبادَ ، بما حضَّ الله تعالى عليه من الصبر ، وندبَ إليه من استجزالِ الدُّخْرِ ، فهو القائلُ تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠) [وأنت في نافذِ فهمك وثاقبِ علمك لا تبصِّر بل تذكر ، وكان من الحقِّ الأوجبِ والفرضِ الألزم أن أقيم قلمي مقام قلمي] وأكتفي بالركابِ عن الكتابِ ، وقل^٤ ذلك منِّي في هذه النائيةِ [الهامة] ، والنازلةِ القاصمة^٥ ، إلّا^٦ أني على علمك^٧ عن الإرادةِ مردود^٨ ، وفي عيالاتِ الآلامِ والأعراضِ مَصْفُود ، جعلَ الله هذا المصابَ الخطيرَ آخر ما يقرعُ لك باباً ، ويخرقُ^٩ إليك عن كرهٍ حجاباً .

وله من أخرى : كتابي والدمعُ يُنْشِي لِعَيْنِي سَحَابِيَّةً ، والحزنُ يجهِّزُ لِي نَفْسِي كَتَائِبَةً ، والصبرُ قد فُلَّتْ شَبَابَتُهُ ، وَصَوَّحَ نَبَاتَهُ ، والقلبُ قد أَظْلَمَتْ أَفَاقُهُ ، واشتدَّ بنارِ الرزِيَّةِ احتراقُهُ ، بما فجأ من وفاةِ الوزيرِ الفقيهِ أبي فلان^{١٠} ، عمدةِ الإسلامِ ، ومُبَيِّنِ الحلالِ والحرامِ ،

١ ب : الصبر والسلوان ؛ بأمرى : ، سقطت من م د .

٢ ط س : يلقى .

٣ د ط : وقليل .

٤ ب م : الهامة .

٥ د ط س : بملاءة .

٦ ب م : الام ؛ ط س : غفلات الآلام .

٧ ط د س : ويخترق .

٨ د ط س : وفاة فلان .

وهاتك حُجُب الضلالة والجهالة ، فالديانةُ عليه لابسَةُ الحداد ، مفجوعةُ
 القواد ، وهي لفقهه باكيةُ الأجفان ، عاطلةُ البنان ، مُخْلَقَةُ الجلباب ،
 منقطعةُ الأسباب ، منكوسةُ اللواء ، مهجورةُ الفناء ، قد ذهبَ ناظرُها ،
 وزُمْتُ للركابِ أباعرها ، [وَسَدَّتْ عَلَى الطالعينِ أبوابها] فمن لتحقيقِ
 معانيها ، وتعميرِ مغانيها ، أم من لاختيارِ أقوالها ، وتوشيةِ سربالها ،
 وإظهارِ ما خفي من مسائلها ، وجماله ما صديء من مناصلها ، أم من
 ينصرُ ملةَ الإسلام ، بلسانِ [٦٠ أ] كالصمصام ، أم من يردُّ على
 أهل التناسخ ، بالحجج الرواسخ ، الثابتة كالجبالِ الشوامخ ، فالدنيا تحلو
 لتُسْمِرَ ، وتصفو لتكدّر ، وتنظم لتنثر ، وتجمع فتفرق ، وتسقي لتُسْهِق ،
 فهي كالشمس تُضيء فتعشي ، وكالطعام يُغذّي فيؤذي ، فالأولى الزُهدُ
 عن زخرفها وزِبرجِها ، والتَّركُ لما يحلو من رضابها ، ويخدع من سراجها ،
 والإعراضُ عن وصالها ، وتَضَرَّتْها وجمالها ، فليست تُبقي على السيّد
 ولا المسود ، ولا على القريب والبعيد ، ولا على الملوك والعبيد ، ولا على
 العالمِ والجاهلِ ، ولا [على] النّبيِّ والخاملِ .

ومن أخرى : إذا رُمْتُ - أعزَّكَ الله - تعزيتك عن المصابِ الحادث ،
 والخطبِ الكارث ، ذكرتُ تماسُكك فأمنسكتُ ، واستقبلني فاجعُ
 الرزية فسكت :

فلو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ
 والليالي جاريةٌ في أخذٍ ما تلد ، وإعدام ما توجد :
 لا بدَّ من فقدٍ ومينٍ فاقدٍ هيهات ما في الدهرِ من خالِدٍ^١

١ ورد البيهقان منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ١٣٣ ولم أجدهما في ديوانه .

كن المعزى لا المعزى به إن كان لا بُدَّ من الواحد
برَّد الله مضجعه ومثواه، وأكرم مُتَقَلِّبَهُ ومأواه، ولقَّاه من برَّدِ النعيم ،
كالذي كان عليه من الخلق الكريم ، وسقاه من السَّلسِيل ، مثلَ ما كان
يأوي إليه من المذهبِ الجميل .

وكلامُ أبي محمدٍ كلّهُ رائقٌ بديعٌ ، لا يتَّسِعُ لاستيفاء محاسنه هذا
المجموع .

فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكروني واجتلاب
جملة من نثره ونظمه ، تشهد بنبله وفهمه ^١ .

وأبو عامر كاتبٌ مُجِيدٌ ، ومُحَسِّنٌ معدود ، نشأ أبوه في الدولة
العامرية يتفرَّعُ مراتبها ، ويتدرَّعُ جلاببها ، إلى أن وليَ في أيام المظفر بن
المنصور ^٢ زمامَ التعقُّبِ على أهل الأندلس ، فلما ^٣ انقرضت الدولة العامرية
وانشقت عصاها ، وأدارت الفتنة الميرة رحاها ، كان أحدَ مَنْ مرق
من ظلماتها ، وآوى إلى جبلٍ عَصَمَهُ من مائها ، فاستقرَّ ببِلنسية وأميرها
مظفر ومبارك - المذكوران في أوّل هذا القسم - فانتظم أبو عامر في سلوكهما ،
وشاركهما في مراتب ملكهما ، إلى أن أجابا صوتَ المنادي ، وخلا منهما

١ أبو عامر محمد بن سعيد التاكروني نسبة إلى تاكرنا ، وكانت قصبة كورة رندة ، وقال ابن
سعيد (المغرب ١ : ٣٣٠) أنها خربت ؛ راجع ترجمته في جذوة المقتبس : ٥٦ (وبنية
الملتبس رقم : ١٣٧) . والمغرب ١ : ٣٣٢ واعتاب الكتاب : ٢٠١ وأعمال الاعلام :
٢٢٤ - ٢٢٥ .

٣ نقل ابن الأثير بعض هذا النص في اعتاب الكتاب : ٢٠١ - ٢٠٢ .

٤ انظر ص : ١٣ وما بعدها .

النادي ، فخراً حسبما شرحته للفم واليدين ، وفرق بينهما [٦٠ ب] من أعفى الفرقدين ، وأفضى ملكهما ومُلكُ مَنْ كان بهذا الأفق الشرقي من هؤلاء العبيد المجاييب إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن^١ الملقب بالمنصور ، فنهل أبو عامر في دولته وعلّ ، ونهض بأعباء مملكته واستقل ، وكان بينه وبين أحمد بن عباس ، كاتب زهير الفتي — المتقدّم الذكـر^٢ — مكاتبات تنازعا فيها فضل البلاغة والبراعة ، وتسابقا منها إلى غايات هذه الصناعة ، وقد أثبت منها ومن سائر كلام أبي عامر في هذا الديوان ، ما يقضي له بالإحسان ، ويشهد بتبريزه على أهل الزمان .

فصول من رسائله السلطانيات

فصل له من رقعة عن المنصور إلى مجاهد الموفق ، وقد أظلم بينهما الأفق^٣ : إن أولى الناس بالاصطلاح^٤ نفوس^٥ جُبِلَتْ على صقوي ودادها ، وأحقّ الذنوب بالاطراح ذنوب^٦ جُنيت على غير اعتقادها ، وإن رسولك الكريم وردني فلم يتردد^٧ عندي إلا^٨ ريثما يقدح^٩ زند^{١٠} الوداد في نفسك النفيسة ، فيؤري سراجاً من الصلّة أسري به في ظلماء القطيعة .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وكان مجاهد الملقب بالموفق قد انتزى عما دانية والجزائر الشرقية بغدّره لعبد الرحمن بن أبي عامر مولاه — حسب ذكرناه — وحظوته بذلك عند محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصري عدوّ.

١ د ط س : عبد العزيز بن أبي عامر . ٢ في القسم الأول من الذخيرة

٣ اقتبس ابن سعيد هذه الرسالة في المغرب ١ : ٣٣٢ .

٤ م : بالاصلاح .

ناقض الدولة العامرية، فشرّد على أصحابه الموالي العامريين ؛ وكان مجاهد لا يستظهر بشيء من الخزم ، بل عمّله في الأغلب من تديره بالغلبة والمناوأة ، وتحويله على المسامة ، واستراحته إلى الغدر ، فلا يزال أمره ينتقض مع لازم الحرمان الموكّل به ، حتى يردّه على عقبه ، فكم فضّ من جيش ، وأذلّ من عزيز ، وأباح من حمى ، ووجه من فتح ، يُقال له ما بعده ، حتى إذا همّ أو كرب لم يلبث أن ينحسر عنه ، ويعود في أكثر الأمر غمّة عليه ، ثم يلبد مدة فينبُ كالليث ؛ له في هذا الباب كُله أخبارٌ مأثورة مشهورة ، وقد قدمنا القول فيه أنه كان أديب ملوك ذلك الزمان ^٢ ؛ كتب ^٣ يوماً إلى المنصور حفيد ابن أبي عامر رقعة لم يضمّن فيها غير بيت الخطيئة حيث يقول ^٤ :

دع المسكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي [٦١]
فلما وردت الرقعة على المنصور أقامته وأقعدته ، وكاد يَمْرُق من إهابه ، فضلاً عن ثيابه ، واستحضر أبا عامر [بن] التاكرني فقال له : تطاطأ لها تُخطئك ^٥ ، واسمع المراجعة عنه ، وعنون وبسمل ، وكتب هذا البيت خاصة :

شتمت مواليتها عبيد نزار شيم العبيد شتيمة الأحرار

فسلا المنصور عما كان فيه .

ولما نهض العبيد من شاطبة إلى طرطوشة واقتضت الحرب هنالك قتل

١ ط د س : عن . ٢ ط د س : ملوك وقته .

٣ وردت هذه القصة في المغرب واحتاب الكتاب والفتح ٤ : ١٣٢ .

٤ ديوان الخطيئة : ٢٨٤ .

٥ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٢٢٩ والميداني ١ : ٩١ .

مقاتل^١ الصقلي^٢ ، وسبق رأسه إلى بلنسية ، كتب منذر^٣ إلى المنصور يرعده
ويبرق ، فراجعه أبو عامر المذكور عن المنصور ببيتي أبي الطيب^٤ :

فان كان أعجبكم^٥ عامكم^٦ فعودوا إلى حمص^٧ في القابل
فان الحسام الحضيبة الذي قُتِلْتُمْ به في يدِ القاتل

وله من رقعة^٨ خاطبَ بها أبا جعفر بن عباس يقول في فصل منها^٩ :
كُتِبَتْ عن نفس تفيضُ بمائها ، وتجيئُ بدماها ، وتشكو إلى الله عظيمَ
أدوائها ، غيظاً على تقلبِ الزمان ، وعَجَباً من تنكّرِ الإخوان ، لا يلفظني
عَجَبٌ إلاّ إلى مثله ، ولا أُنقلُ من مُستَغَرَبٍ إلاّ إلى شكله ، إن أبرمتُ
حبلاً من الإخاء ، نقضَ المفسدون مريرتَه ، أو ملأتُ يدي بمن أعتدُّ
به للشدةِ والرخاء ، أفسدَ الواشون سريرته ، [وبحق قيل] :

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رَضِيَتْهُ ، وَفَرَّتْ به العيانُ بَدَّلْتُ آخِراً^{١٠}
كذلك جدتي ما أوصاحبُ صاحباً من الناس إلاّ خائني وتغيّراً

ولا عتبَ على الدهر فان العتبَ على بنيهِ ، والدمَ لازمٌ لأهليه ، والناسُ
بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم^{١١} .

وفي فصل منها : ولو لمستُ العيوق ، وأدركتُ بيضَ الأتوق ،

١ د ط س : قاتل .

٢ وفي مقاتل طرطوشة بعد لبيب الفتي ، وتلقب «سيف الملة» (أو الملك) .

٣ ديوان المتنبي : ٢٦٣ .

٤ في الأصول : مصر .

٥ د ط س : وله من رقعة إلى ابن عباس .

٦ البيهقي لا مريم القيس ، ديوانه : ٦٩ .

٧ انظر هذا القول في التذييل والمحاضرة : ٣٠٥ .

وَجِئْتُ بِالْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ^١ ، وَسَمَحَ الدَّهْرُ لِي بِعَجَائِبِهِ ، وَخَصَّنِي بِغَرَائِبِهِ ،
 مَا غَيَّرَ مِنِّي فَتِيلًا^٢ ، وَلَا رَأَيْتُ بَيْنَ عَاشِرَتِهِ بُدِيلًا^٣ . وَأَعْلَمَنِي فَلَانٌ بِمَا
 فَلَّ^٤ مِنَ الْحَدِّ ، وَلَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ^٥ ، وَاللَّهُ مَا يَصْلُحُ السَّبَابُ ،
 بَيْنَ الْأَرَاذِلِ وَالْكَلَابِ [فَضْلًا عَنْ الْإِفَاضِلِ] ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ عِلْمَ يَقِينٍ ،
 وَإِنَّكَ فِيَّ عَلَى سَنَنِ^٦ مُسْتَبِينٍ ، أَنِّي مَا عَوَّدْتُ قَطُّ لِسَانِي ، سَبَّ مَنْ نَافَرَنِي^٧
 وَعَادَانِي ، وَلَا صَرَفْتُ عَنَانَ كَلَمِي ، وَلَا صَرَفْتُ شِبَابَةَ قَلَمِي ، إِلَّا فِي
 مَا يَطِيبُ عَلَى الْأَفْوَاهِ [عَرَفُهُ] ، وَيَحْسَنُ مَعَ الْأَيَّامِ وَصَفُهُ [٦١ ب]
 وَإِنِّي لِمَقْبُوضُ الْقَوْلِ ، سَاكِنُ الطَّائِرِ ، سَالِمُ الْجَانِبِ ، مُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ عَلَى
 الْعَدُوِّ وَالْمَطَالِبِ^٨ ، وَمَا انطَوَيْتُ عَمْرِي قَطُّ عَلَى حَقْدٍ ، وَلَا رَضِيتُ بِنَقْضِ
 عَهْدٍ ، وَلَا خِيسَتْ^٩ فِي حَلٍّ وَلَا عَقْدٍ :

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^{١٠}

١ ناظر الى المثل : طلب الأبلق العقوق ، وقال الشاعر :

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده اراد بيض الأنوق

والعقوق : الفرس حين تحمل ؛ والأبلق لا يحمل ، والأنوق : الرخمة وهي تحرز بيضها
 فلا يصل اليه احد ، والمعنى لو انني فعلت المستحيل .

٢ ب. م : قبيلا .

٣ من قول ابي تمام (ديوانه ٢ : ١١٥) .

اثاني مع الركبان ظن ظننته لففت له رأسي حياء من المجد

٤ د ط س : سبيل .

٥ د ط س : ناهلني .

٦ ط د س : العدو الطالب .

٧ د ط س : خنت .

٨ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٤٧٠

والدنيا^١ عندي أحقرُ ، وجميعُ ما فيها في عيني أصغرُ وأزهرُ ، من أن أراحمَ
في حطامها ، وأنافسَ على تكسب آثامها .

وفي فصل منها : وقد كان يلزمك^٢ أن تعرض على نفسك ، ان كنتُ
ثَلَبْتُ عدوًّا قط بحضرتك ، أو تنقصتُ مخلوقاً بمشهدك ، على طولِ
المجاورةِ ، وكثرةِ المعاشرةِ ، فتجعلَ ذلك عياراً لك ، وقياساً مطرداً
قبيلك ؛ اللهم إلاَّ إن كنتَ عددتَ ما كنّا نتفاكهُ [به] جماماً للنفوسِ ،
ونعاطاه عند معاظاة^٣ الكؤوسِ ، [من] توقيعِ نادر ، وهزلِ حاضر ،
فما أشدَّ ما غيّرتك الأيامُ والليالِ ، وقلّبتك الأقوالُ ، أين يذهبُ
بك الكاشحون ، وكيف يُزخرفُكَ المزخرفون ؟ ! والله لو كنّا من الأغمارِ ،
وممن لم يُحنّكه الليلُ والنهار ، ما وجب علينا مع الدّمام المؤكّد ، والعقدِ
المشدّد ، أن نحملنا الأيامُ وخطوبُها ، ولا أن تعصفَ بنا الرياحُ وهبوبُها ،
فكيف وقد حلّينا شطور الدهرِ ، وعرفنا أحوالَ العُسْرِ واليسرِ ، واعرورينا
ظهورَ العُرفِ والنكرِ ، وركبنا متونَ البرِّ والبحرِ ، وجمعنا الشدةَ والليانِ ،
وحالتَ علينا حالاتُ الأزمانِ ، وأرضعتنا بلبانِها الكؤوسُ ، وتصرّفنا
مع الرئيس والمرعوسِ ، فلم يكن في خلالِ ذلك كلّهُ إلا نظامٌ مُتّسقٌ ،
وأمرٌ متفقٌ ، وشعبٌ ملثّمٌ ، وسيلٌك منتظمٌ .

وفي فصل منها : ولقد شهدتُ^٤ فلاناً يُنحي عليك ، وَيَسِيبُ كلَّ
مكروهٍ إليك ، بغايةِ السبِّ ، ونهايةِ الثلبِ ، فقلتُ له : بفيك الحجرُ

١ ط د س : وإن الدنيا .

٢ د ط س : يجب .

٣ د ط س : وذهما معاظاة .

٤ ط د س : وارتفعنا .

ه ط : شهدت أن .

والأثلب^١ ، فخرج وهو يجمعهم ، كالمتهيم لي يزعمه ، ولم يختلج قط في صدري تلك الحماقات ، ولا شغلت سرّي تلك الهنات ، يعلم ذلك من عنده مغيبات الأمور ، ولديه خفيات الصدور . ولقد كنت أشفق عليه وأحرص على خيره ، وكانت ظنونه على حسب سريره ، وتوهمه بمقدار معتقده ، وبحقّ يقول أبو الطيب^٢ :

إذا ساءَ فعل المرمِ ساءَ ظنونهُ وصدّقَ ما يعتادهُ من توهمٍ [١٦٢]
وعادى محبيه بقولِ عدائِهِ وأصبحَ في ليلٍ من الشكِّ مظلّم
فسلّط^٣ لسانه ، وصدّقَ ظنونه ، وبلغتني قوارضه فلم أقارضه رغبة في فيثته ، وحرصاً على رجعتته ، وأما أنت فعذرُك يضيق ، وأنت الحميم الصديق ، وقد كان انتهى إليّ ما عميرت به مجالس فيها الرئيس والمرعوس ، وأنت بها المنادم^٤ والجليس ، فقلت لمبلغ ذاك : هيهات ! أبت الأعراق الزكية ، والأخلاق السنية^٥ ، أن أتقصّ بخبرتها ، أو يُنسبَ إليّ الكذب بمشهدها ، فلما انتهى إليّ تصديقك ما نقله الواشون ، وأفككه الخاسدون^٦ ، والله المستعان على ما يصفون^٧ ، وستكتبُ شهادتهم ويُسألون ، قلت : صغرت وطاب المروّة ، ودّرت آثارُ الأخوة ، وطُمست أعلامُ الرعاية ، ونفقت سوقُ السّماية .

١ الاثلب : التراب والحجارة أو فتاتها .

٢ ديوان المتنبّي : ٤٥٦ .

٣ ط د س : فصدق .

٤ ط د س : والمنادم .

٥ ط د س : الزاكية . . . السامية .

٦ ط د س : الخاسرون .

٧ انظر الآية : ١٨ من سورة يوسف .

وفي فصل منها^١ : ومن أعجب المعجائب ما يتصل بنا عنكم على السنة العامة وكثير من الخاصة ، بما لا أصل له ، ولا شبهة تصح منه ، فالأنفس 'سليم' ، والألسن 'حرب' ، ولو اتصلت المداخلة لارتفعت الشبهة ، ولم تبق لمتخلقي حيلة ، ولا صار الكذب قربةً ووسيلة ، وقد كنت بفضلك حضضت على فتح باب الصلة ، والتعهد بالرسول لاستحكام المقة ، فامتثلنا ذلك حسبما حضضت ، وصرنا إلى ما إليه نذبت^٢ ، رغبة في تأكيد الحلة ، وحرصاً على حسم كل علة ، ووافقنا من المنصور — أيده الله — نفساً جانحة إليكم ، وسريرة حريصة عليكم ، فعميد الدولة — أعزه الله — عمه الحاني ، وأهله الداني ، فلم تستقبل الرسل عندكم بواجب القبول ، ولا تؤول أمرهم على أجمل تأويل ، فمالك أنت أبا جعفر لا تجد ذلك الوصل ، ولم لا تصل ذلك^٣ .

السنة أهل الزور ، وتحقيق ما تنسقه^٤ الأباطيل ؟ حتى يلوح في معرض الصدق ، ويشمل^٥ السداد ، ولا ينفق سوق الكساد ، وتقطب عليه يدار ، ورأيك سراج به يستنار ، وما خاطبتك إلا مشقة من جبل وصله الله أن ينقطع بالباطل ، وودّ أخلصه الله أن يتغير ناقل ، فان هذا إن تمادى بحسبه ، وبقي التنافر والاستيحاء على شخصه . معظم الدائرة ، وتتفاقم النائرة . وتزل القدم ، ولا ينفع الندم ، وما أخص بقولي هذا فريقاً ، ولا أورد إلا تحقيقاً ، والله يكشف الغطاء عن قلوب قد رين عليها ، وزين الشيط^٦ . أدب الفساد لإيها .

١ وفي فصل منها : سقطت من د ط س .

٢ ط د س : أثرت .

٣ د ط س : وتحقيق ... تنمقه .

٤ ط د س : ويشمل .

فأجابه أبو جعفر [ابن عباس] برقعة يقول^١ فيها : وقفتُ على ما
أومأت إليه وصرحت في طي التعريض ، وبه ما ترجفُ العامة بإخطارِ
[٦٢ ب] ذكره ، وتهتفُ بعضُ الخاصة بالتحرز^٢ من كونه ، وفي مثله
يقول القائل :

لاني أرى شجراً تورّدَ غُصْنُهُ أخلِقُ به متورداً أن يثمر
وإذا السماء تمخضت ببروقها ورعودها فجديرة أن تمطر

كلا أبا عامر ، قرب صلتف تحت الراعدة^٣ ، وما كل بيضاء شحمة^٤ ،
وإن كانت ناصعة ، ولا وعمر كـ أبا عامر ، أطالهُ الله على حكمك ،
ما ينثني علينا في هذه الحملة خنصر^٥ ، ولا يؤثّرُ عنا فيها حديث مُسنَد^٦ ،
ولا نحن إلا في حيز السماع المستفيض ، وأغلب ظنوننا فيه التكذيب ، وإن
كان الظن أكذب الحديث ، وعنوان أحوالنا عندكم ، وسيرنا مقدود^٧ ،
من أديمكم ، فلا تسأل عما لدينا غيركم ، ولا تقس علينا إلا بما قبلكم ،
والمرجعون كثير^٨ ، والناس إلى الشرّ سراع ، ورياح أهوائهم تنثني
سحاب التكذيب ، وتستدرّ أخلاف التضريب ، وحق هؤلاء أن تُستف
سيالهم^٩ ، وتخلع على أقفائهم^{١٠} نعالهم ، وهذا رأيي فيهم ، فاحكم^{١١}
بفتواي عليهم ، وضعهم على يدي عدل يعدل فيهم ، وأصغر إلى من

١ د ط س : قال .

٢ د ط س : بالتحذير .

٣ انظر أمثال الميداني ١ : ١٩٨ وفصل المقال : ٣٠ ، والمسكري ١ : ٣١٦ والجمهرة ٢ : ٢٥٠ ، والصلف : قلة الخير .

٤ انظر أمثال الميداني ٢ : ١٥٦ .

٥ ط د س : يذكر .

٦ د : اعقابهم .

يَعْرِضُ عَلَيْكَ ذَاتَ نَفْسِهِ ، وَيُطْلِعُكَ عَلَى بَنَاتِ صَدْرِهِ ، وَدَعْنِي مِنَ
التَّعْرِيجِ عَلَى قَوْمٍ يُنْتَقُونَ سَوَاقِهِمْ ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ
أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء : ١٠٧) وجملَةُ الحالِ وتفصيلُهَا : ذَلِكَ الْعَقِيرُ^١
البرشلونيُّ مُسْتَرَابٌ ، والتداوي بِهِ دَاءٌ عِيَاءٌ ، وَلَوْ صَرَفْتَ عَنَّا يَتَكَ إِلَى
سِدِّ^٢ ذَلِكَ الثَّغْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، لِأَخْرَسْتَ أَلْسِنَةَ الْمَرْجُفِينَ ، وَابْطَلْتَ
زُخَارِفَ الْمُخْرِقِينَ ، فَهَذِهِ^٣ عَيْنُ الْخَبْرِ ، وَمَكَانُ النَّظَرِ ، فَمَا بَالُنَا نَجْعَلُ
الْعِتَابَ بُدْءَ نَظِيفٍ بِهِ ، وَنَنْسُجُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ حِجَابًا نَتَنَاجَى مِنْ خَلْفِهِ !
وَالسِّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ^٤

وَأَنْتَى لَكَ^٥ بِتَكْذِيبِ مَا شَاعَ ، وَتَزْوِيرِ مَا اسْتَدَاعَ !؟ وَقَدْ سَدَدْتَ عَلَيَّ ثَنِيَا
الْجَبَلِ^٦ ، وَصَكَّكَ سَمْعِي بِهَذَا الْمَثَلِ :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقًا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا^٧
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ نَصِيحِي بِصَدَقِ مَقَالِي^٨ ، وَأَخْوَكَ مَنَ صَدَقَكَ^٩ ،
فَإِنْ كُنْتَ فِي مَا نَدْبَتُنِي إِلَيْهِ مُحِقًّا ، وَأَرَدْتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا أَخْلَقَكَ

١ العقير كالعقار : الدواء .

٢ د ط س : صدقت . . . سر .

٣ د ط س : فهو .

٤ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٩٥ .

٥ ط س د : لي .

٦ د ط س : الجبل .

٧ انظر فصل المقال : ٩٢ ، وهو مما قاله النعمان - فيما يحكى - ردأ على الربيع بن زياد ؛
ط د س : إن حقًا .

٨ د ط س : سر نصيحتي بصديق مقالتي .

٩ في المثل (الميداني ١ : ١٦) : أخوك من صدقك النصيحة .

بهاتين الصفتين ، فاقدهُ لي أَضِيءُ لك^١ ، وكن مثلي أكن مثلك ؛ ولا تخرجُ معي أن تقول : تزلُّ القدم ، ولا ينفعُ الندم ، فإني أذكرك [٦٣ أ] قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (الأنفال : ٢٥) ولا تكلّفني دفعَ العيان ، وتلزمي إقامة البرهان على كلِّ محال ، فكلُّ شيءٍ يجوزُ تكليفه الإنسانَ إلّا ما لا يُسْتَطَاع ، وعند الله أحتسِبُ موعظتي ، وهو المجازي على نيّتي .

فراجعهُ أبو عامرٍ ثانيةً برقعة [أخرى] يقول^٢ فيها : وَرَدَ كِتَابُ كَرِيمٍ لَكَ قَدْ ضُمِّنَ مِنَ الآدَابِ عِيُونًا ، وَاسْتَوْدَعَ مِنَ الْإِغْرَابِ فَنُونًا ، فَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى تَرْجِيمِ الظُّنُونِ ، وَفِي حَيْرَةٍ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَقُلْتُ : هَذِهِ بَدَعُ الْمُتَطَرِّقِينَ ، وَتَكَلَّتْ الْمُتَفَلِّسِينَ ، طَوْرًا لِإِيْمَاءٍ وَتَلْوِيحٍ ، وَطَوْرًا لِإِفْصَاحٍ وَتَصْرِيحٍ ، وَكَلَّمَا نَظَرْتُ فِيهِ ، وَفَكَّرْتُ فِي مَعَانِيهِ ، اسْتَنَكَّرَ مَعَ الْعُرْفَانِ ، وَاسْتَعْجَمَ عَلَى نِهَآيَةِ الْبَيَانِ ، فَقُلْتُ : لَا غُرُو قَدْ يُنْكَرُ اللَّيْثُ فِي قَرَارِهِ ، وَيُعْرَفُ الْهَلَالُ فِي سَرَارِهِ ، وَلَا بَدْءٌ مَعَ الْبَحْثِ أَنْ أُصِيبَ غَرَضًا ، أَوْ أَنْ أَكُونَ دُونَهُ حَرَضًا^٣ ، فَلَمَّا غُصْتُ فِي بَحَارِكَ ، وَأَمْضَيْتُ فِكْرَتِي^٤ فِي مِضْمَارِكَ ، وَقَعَ السَّهْمُ فِي غَرَضِيهِ ، وَلَاحَ الْحَقُّ فِي مَعْرَضِهِ ، وَبَدَأَ لِي أَنْ مَا خَاطَبْتُكَ بِهِ لَمْ يُوَافِقْ قَبُولًا ، وَلَا كَانَ عَلَى الصَّدَقِ مَحْمُولًا ، وَلَيْسَ الْكَذِبُ مِنْ شَيْعِي ، وَلَا الْمَدْقُ — بِحَمْدِ اللَّهِ — مِنْ كَلَمِي ، وَبِاللَّهِ مَا خَاطَبْتُكَ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا أَسْمَعْتُكَ إِلَّا نُصْحًا ، فَمَنِيتُ مِنْ قَبْلِكَ

١ عكس للمثل : اضئ لي اقدح لك ، انظر فصل المقال : ٢٠٥ والميداني ١ : ٢٨٥ والعسكري

١ : ٣٦ .

٢ د ط س : قال .

٣ ناظر الى الآية : ٨٥ من سورة يوسف .

٤ د ط س : وأنصبت فكري .

بسوقٍ كاسدة ، وَمِنْ قَبْلِكَ : « رَبِّ صَلِّفِ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ » ، وكَلَّا
والله ما رَعَدَتْ لَنَا سماء ، ولا تَكَدَّرَ لَنَا ماء ، ولا قَصِدْتُ بِخَطَابِي مَقْصِدَ
التَّهْدِيدِ ، فالصِّدْقُ يَنْبِي عَنْكَ لا الوَعْدُ^١ ، بل خَاطَبْتُكَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ،
ووثبتُ لَكَ على عَهْدٍ كَرِيمٍ .

وفي فصل منها : ومن العجبِ قولك : اقدَحْ لي أضيءَ لك ، ولقد
قَدَحْنَا لَكُمْ فَأظْلَمْتُمْ ، وحفظنا ذِمَامَكُمْ فُضِيتُمْ^٢ ، ووصلنا فهِجَرْتُمْ ،
وقربنا منكم فبعدتم ، وربَّ رسالةٍ أنشأناها رغبةً فرغبتُم عنها ، ورسولٍ
ملطفٍ قصدَ جهتكم طار بجناحِ الخزي^٣ منها ، بعد التَّرقيبِ عليه ، وإظهارِ
التَّناوُلِ إليه ، ونحن على ذلك نقتلُ في الغاربِ والذروة ، ونزدادُ وصلًا
على الجفوة ، ونلینُ على القسوة ، ونصبرُ للأذى ، ونُغْمِضُ على القذى ،
إن عاتبناكم لم تُثْقِلِيعُوا ، وإن استعَبناكم لم تَرْجِعُوا ، بل تركبونَ الهياجَ ،
وتَلْزَمُونَ^٤ اللجاجَ .

ومن أغربِ ما به احتججتم ، وأعجبِ ما به لهجتم ، تكررُ فلان علينا ،
وتردُّدُهُ لَدِينَا ، كأنكم جهلتم القومَ وأطماعهم ، ولم تعلموا تطرُّقهم^٥ ،
وانتجاعهم ، وأنهم يتعلَّلون بأدنى سببٍ في المراسلة ، امتراءً لأخلافِ
العطاء ، وذريعةً لاستجزالِ الحياء ، وقد شُهِرَ هذا من فعلهم ، في كلِّ
جهة تكون من سلمهم^٦ ؛ فما [٦٣ ب] بالنَّا نُخَصِّصُ بهذه اللائمةِ
وجنَّائِها^٧ عليكم ؟ والإنصافُ يقلبُ مَدَمَّتَها عليكم ، أَلَمْ تُسَلِّمُوا مَنْ

١ انظر في هذا المثل ، فصل المقال : ٤٤٨ ؛ والميداني ١ : ٢٦٩ والعسكري ٢ : ٣١ .

٢ ب م : الجري .

٣ د ط س : وترسلون .

٤ التطرق : اتخاذ الطريق .

٥ د ط س : في سلفهم .

٦ د ط س : وخبائثها .

كان بكم مشتد^١ بعد العهد المؤكدة ، والمواثيق المشددة ؟ فاحتل العدو - قصمه الله - جهة لم تخطر^٢ ببأله ، واستصريحتم فلم تُصريحوا ، واستتجدتكم فلم تُتجدوا ، والنعم تُنتسِفُ ، والستورُ تنكشفُ ، والدماءُ تُسْفَكُ ، والحرمُ تنتهكُ ، والإسلامُ يعلّزُ علّز^٣ المحتضر ، وأهلُهُ للشُّركِ كالهشيمِ المحتظر ، فلا حرمةَ الإسلامِ رعيتم ، ولا ذمامَ المشاركة قضيتم ، فلم تعدّون ذلك من ذنوبنا ، وتبشّون بذلك رُسُلَكُم في البلاد ، وتنادون هلُمَّ إلى الجهاد ، تقولون بأفواهِكُم ما ليس في قلوبِكُم واللهُ يعلمُ ما تكتُمون ، بل تدبّون الضراء ، وتُسِرُّون حسواً في ارتغاه كلُّ ذلك بمزأى ومسمع منّا ، وغيرُ غائبِ عنا ، ولا نزدادُ مع حركتكم إلاّ سكونا ، ومع تحشّنكم إلاّ ليناً ، فأبقوا على الودّ ما دام بوفائه ، وصوبنوا جمالَ الحالِ ما بقي بمائه :

ولا توبسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مَثري^٤ والعدو الذي حذرتُم نحنُ أشدُّ حذراً منه ، وأعظمُ نفاراً عنه ، فقد صحَّ عنبدنا من أمرِهِ ، ما يضيق الصدرُ بحمله ، فيا للمسلمين ! تعالّوا إلى التعاون ، واتفقوا ولا تفرّقوا ، واتقوا عاقبةَ الخلدان . وقد ناديتُ إن اسمعتُ ، ونصحتُ بقدرِ ما استطعت ، فان وافقت قبولاً ، ولقيت تأويلاً جميلاً ، فان الخيرَ عتيد ، والتناولَ غيرُ بعيد ، وإن كان للهوى سلطان ، وللتعسف

١ د ط س : مستهدأ .

٢ ب م : تخطر . ٣ يعلّز : تأخذه كربة الموت ؛ ب م س ط د : يعلق على .

٤ ناظر الى الآية : ١٦٨ من سورة آل عمران .

٥ في هذا المثل انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ البيت بحرير ، ديوانه : ٤٢١ وامالي القالي ١ : ٩٤ والسمط : ٢٩٢ واللسان (ثرى) .

عدوان ، فأخلىقُ بالأمةِ العزمِ أن يتدرعها مدركُ لا يضام ، ومِخْرَبُ
لا ينام^١ ، يقتحمُ النارَ ، ولا يخشى العارَ ، في يومٍ لا تطلعُ شمسُهُ ،
ولا يُذكرُ أمسه :

تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ لا النور نورٌ ولا الإظلامُ لإظلامُ

وحينئذ تستغربُ ما إليه أشرت ، وتنسهلُ^٢ ما منه حذّرت ، من استعمال
العقير البرشكوني على ما نهجتُ الحكماءُ عند إعضالِ الداء ، من استعمال
السّموم في أثناءِ الدواء ، ليتفقَ مزاجها ، وينفذَ علاجها ، فإن كان ما
يحاولونه من التدبير ، سبباً لذلك العقير ، فهو قريبٌ عتيد ، وإن كنتم
على ما عهدنا فهو من جهتنا نازحٌ بعيد ، وهذه جملةٌ مفصلةٌ ، وحقيقةٌ
محصلةٌ ، فإما ألفةٌ وانتظامٌ^٣ ، واتفاقٌ يحیی رمقَ الإسلام ، وإما داعيةٌ
تکلف ، وراعدةٌ صلفٌ^٤ ، وهنالك نزلُ القدم ، ولا ينفعُ الندم .

فراجعه ابن عباس أيضاً [٦٤ أ] برقعةٍ يقول^٥ فيها : التصدير
— أعزك الله — بـ « كتابي » و « كتبت » ، وتوشحهما بـ « كان » و « كنت »
بِشْرٍ يرفُ على صفحة التملق زبرجهُ ، وسَرابٌ يحسبهُ الظمانُ ماءً^٦
فيستدرجه :

١ ناظر الى قول المتنبي

لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينام

٢ د ط س : يستغرب . . . ويستسهل .

٣ د ط س : ونظام .

٤ ب م : دون صلف .

٥ ط د س : قال .

٦ ناظر الى الآية : ٣٩ من سورة النور .

ولا يغرركَ ذو ملقٍ وبشرٍ يقولُ وليس يعدو أن يقلّا

فتحتَ رغبةَ التصنّعِ لبناً صريحاً^١ ، وعلى أديمِ التحقيقِ شعارُ سليمٍ ، وبين
أثناءِ المناقلةِ جدّاً كالقدَرِ ينزلُ بكرةً وأصيلاً ، وفي تضاعيفِ المساجلةِ
هزلٌ كالنسيمِ الخَصيرِ يُهدي الشفاءَ قليلاً قليلاً ، وفي استرسالِ الصديقِ
سلوةٌ بالغةٌ ، وجنّاتُ عتابِهِ حلوةٌ سائغةٌ ، وإن أنحيتَ فيه على خَشْنِ
مِبرّدٍ ، وأرجتَ شماتتكَ التي هي جامدُ البرّدِ ، ودبّ بِشْرُكَ منه
بنفَسٍ متداركٍ ، وأثرتَ عنه بعيرَ الكلمِ وهو باركٍ ، وساورتني ضئيلةُ
بيانك^٢ ، وألقيتُ السّلمَ إلى سلاطنةِ لسانك ، وبرئتُ إليك من عُهُدةِ
قيصري عن ساحةِ طولِكَ وعَرْضِكَ ، وشهدتُ لك تطامنَ سمائي عن
قرارةِ أرضِكَ :

فما حسنَ أن يمدحَ المرءُ نفسهُ ولكنَّ أخلاقاً تُذمُّ وتُمدحُ

وكلُّ ذلكَ لأشُقَّ كمامةَ صبري لك عن زهرةِ كلفي بك ، وأندرعَ
مُفاضةَ الاحتمالِ منك جُنّةً بيني وبين الشّماتةِ فيك ، هذا — أعزك
الله — حُكْمُ الصداقةِ التي وَضَعْتَ يَدَكَ على رُمتها ، وخلعتَ نجادَ
هواك على قمتها^٣ فإن أَسَمَحَ قيادك ، وأنيسَ شيرادك ، وأجريتَ في
روحِ الإخاءِ نَفَساً ، وَجَرَرْتَ على أديمِ الوفاءِ يداً مَلَساً ، فبجميلِ
ذكرك أبدأ وأختِمُ ، وفي حَيَزِ رضاك أَطِيرُ وأجُمُ . وأما قعقعتك أبا عامر

١ من المثل : تحت الرغبة اللبن الصريح (انظر امثال العسكري ١ : ٢٧٠ تحقيق ابو الفضل
ابراهيم) يضرب مثلاً للامر تظهر حقيقته بعد خفائها .

٢ من قول النابغة :

فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في اذياها السم ناعم

بشنان الشُّركِ ، واعتصامك^١ بغيرِ جبل^٢ الله ، وإزعاجك بكتائبِ
الروم ، وإبراقك بالإجلابِ على ملّةِ التوحيد ، وإيعادك بمدرك لا يضام
يدرع لأمة العزم ، ومِخْرَب لا ينام يقتحم النار ، ولا يجتنبُ العار ،
فاتقِ الله يحميك ، أليس الله^٣ بالمرصاد ، أم اتخذت على الغيبِ حميلاً ،
وأثبتت على الحججِ ظهيراً ؟ وكفاك بهذا البيانِ سحراً في باب الجدل ،
وحسبك به فخراً على من تقدّم وتأخر ، وأما التخويف من اقتراب الساعة
بزلزلة الافرنجِ دَفْعَةً ، ونتقِ الجبلِ فوق رءوسنا كأنه ظِلَّةٌ ، فنازلةٌ
تُحرِّكُ لها حوارَ الإيمانِ [فيحنُّ]^٤ ، وطامةٌ كبرى يعجُّ لها الإسلام
ويضجُ ، فبعضهم أولى ببعض **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾**
(المائدة : ٥١) بحكم النص ؛ فدع ضَرْبَ مثلِ السوء [٦٤ ب] لنا ،
وعُدْ إلى ما هو أليقُ بكم وبنا ، فعلى الانصافِ من نفسه أدِلَّةٌ واضحة ،
وعلى الحقِّ بين المنصفين سبيل^٥ لائحة ، واذكر شئونَ أحوالنا الأوّل ،
ورفرف بخوافي الرّجاءِ وقوادِمِهِ على أيماننا القدم :

وقلْ : لخيالِ الحنظلية ينصرفُ إليها فاني واصلٌ حبَلٌ مَنْ وَصَلَ
فلا أعْرِفْنِي إِنْ نَشَدْتُكَ ذِمَّتِي كداعي هذيلٍ لا يُجَابُ^٦ ولا يَمَلُ

١ ب م : وحدواتك .

٢ ب م : حزب .

٣ ط س د : هو .

٤ فيه إشارة إلى الآية : (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) الاعراف : ١٧١ .

٥ من المثل : حرك لها حوارها تحن (انظر امثال الميداني ١ : ١٢٩) ، والحوار : ولد

الناقة ، ومعناه : ذكره بمض اشجانه يبع له .

٦ د ط س : سبيل .

٧ ط س م : كراعي هذيل ؛ د : كرامي/هذيل ؛ ط د س : يخاف .

فأما أبا عامر وقد نحت أثلة الشك^١ لتستيقن ، وقرعت مَرَوَّةَ الحديث لتستثبت ، فلا صدقتك سين^٢ بكري^٣ ، استنامة^٤ إلى صدقك ، ولأطلعنك على مثل ما أطلعت من غيبك ، وأقول لك قول من زف^٥ إليك ودّه براحة ثقته ، وأنباك ما عنده بلسان صداقته ، وقد تُعدي الصباح مبارك^٦ الجرب^٧ ، ويغفر الله ظنوننا^٨ فبعضها إثم^٩ ؛ وفي هذين المثليين كيفية بدء الحال وعودها ، وجماع^{١٠} ما يعبر به عن حورها وكورها ، وتحت جملتها تفصيل^{١١} طويل ، وتفسير كثير ، بعيد^{١٢} مرآته^{١٣} عليك قريب^{١٤} :

فنجي^{١٥} الفؤاد يعلمه^{١٦} العاقل قبل^{١٧} السماع بالإيماء^{١٨}
ولهذا اكتفى^{١٩} البليغ^{٢٠} من الإسهاب فيما يريد^{٢١} بالايحاء

غير أن الكتائف ترفض^{٢٢} عند المحفظات^{٢٣} ، والعجلة تترك^{٢٤} تبركا^{٢٥} بالأناة ، وإذا استكففت حاجب^{٢٦} أفقنا بيد رفك ، وأومات^{٢٧} إلى جونا برجع^{٢٨} طرفك ، أدرت^{٢٩} دراري الوداد^{٣٠} في مناطق أفلاكها ، وتركت^{٣١} أعلام الوفاء ثابتة^{٣٢} على أساسها ، وجلوت^{٣٣} أعراس^{٣٤} الإخاء في أحسن معارضها ، فما لنا لا نقر^{٣٥} الطير على وكناتها ، وننكب^{٣٦} عن الأفاعي العزم^{٣٧} فلا نطوها في مراصدها^{٣٨} ، ونجانب^{٣٩} عن بنت الطريق إلى أمها ، ونسري^{٤٠} سرى النجوم على سميتها ، ونعود^{٤١} إلى التي هي أعدل^{٤٢} ستنًا ، قبل أن يسبق^{٤٣} السيف العدل^{٤٤} سفها :

١ د ط س : أثلتنا .

٢ من المثل : صدقي سن بكره ، انظر فصل المقال : ٥٥ والميداني ١ : ٢٦٥ .

٣ انظر ص ١٦٢ الحاشية : ٣ . ٤ د ط س : ذنوبنا .

٥ البيتان لابن الرومي ، ديوانه ١ : ١١٤ .

٦ من قول القطامي : وترفض عند المحفظات الكتائف ؛ وممناء تتحلل الاحقاد والسخائم عند حلول الامور التي تستدعي الغضب ؛ انظر ديوانه : ٥٥ وفصل المقال : ٢١٤ والسمط : ٩٠٣ واللسان (كتف) .

٧ د ط س : مصارها .

فانَّ النارَ بالعودين تُسَدُّ كى وانَّ الحربَ مبدأها الكلام^١

فلنحمِ ثغرَ اليقين بجهادِ الشكِّ فيه ، ونسدَّ ثنانيا النفاقَ على منفقيه ،
حتى يئأسَ أهلُ هذه البضاعةِ عن مساعي نائمهم ، ولا يجدوا محزاً^٢ لشفارهم ،
وكلُّ ذنبٍ دونَ الدمِّ لَمَمٌ^٣ ، والسهمُ لنا ما لم يُنبَضِ الوتر ، وان حلبنا
لم نردَّ في الضرع اللبن ، ولولا هناتٌ سلَّ العتابُ بيننا سخائمها ، وألأنَّ
تعاطينا النصفةَ شكائِمها ، لاختالت^٤ المنافرةُ^٥ بيهجتها وازَّينت ، ودارتُ
رحى الفتنةِ في قُطبها على ما خيَّلتُ ، وإني وإن تقلدتُ بك الخطابَ
عن نفسي ، فتَبَّحتها كنايةً^٦ إليها أشيرُ برمزي ، ومركزُ [٦٥ أ] حواليه^٧
أديرُ معاني لفظي ، ولم أتيهم صعيدَ هذه الغيطان فتمسحتُ بتربه ، ولا
انخرطتُ في سلك الانطباع ففصلتُ بين دُرِّه بشدره ، إلاَّ وقد وُلِّيتُ
فَصَلَ الخطاب والحكومةَ باجماع ، ورضينا بما لنا و [ما] علينا في القضيةِ
دون ثانٍ^٨ ، ووُضِعَتْ واسطةُ القلادةِ لتعدِّلَ ، ويكفي منها ما أحاط
بالعنق^٩ ، فاذكرِ المثلَ فهو لفظٌ يجمع بين معنيين ، وجنسٌ يشتملُ على
نوعين ، أشيرُ لك إليهما بقول الأول :

١ من أبيات تنسب للنصر بن سيار ، انظر مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٢٣٣ .

٢ في مجموعة المعاني : ١٢ منسوبة لابي مريم البجلي .

٣ : ٢٠٠ .

٤ : ٢٠٠ .

٥ : ٢٠٠ .

٦ : ٢٠٠ .

٧ : ٢٠٠ .

٨ : ٢٠٠ . « حسبك من الزاد ما أحاط بالجنه » انظر الميداني : ١ : ١٣٢ .

خليليَّ إنسانانِ دَينِي عليهما مليّانِ لو شاءَ لقد قضيانِي^١
خليليَّ أمّا أمّ عمرو علّمتهما^٢ وأما عن الأخرى فلا تسلاني

وحقُّ هذه النكت الكامنة في ضميرِ القوّة أن نخرجَ إلى حد الفعل بمرة ،
ولا تُلوّى فتراخي كأولِ وهلة ، فيُحتاجُ في المستأنفِ إلى عمل ، ويعيدُ
القضية جدّةً من ذي قبل ، والله تعالى يُمَسِّكُ رَمَقَ الإسلام في هذه
البقعة ، وَيُقِيلُ عَثَرَتَهُ بِالْهَامِ أهله إلى ما هُمُّ عنه في غمرة .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وذكر بعضُ الرواة من نَقَلَتِ الأخبارُ أن الواثقَ
لما رأى أحمدَ بنَ الحُصَيْبِ الكاتبَ يوماً يمشي بين يديه تمثلاً بالبيتين
المتقدمين ، فبلغ ذلك سليمانَ بن وهب فقال : أنا والله تلك الأخرى ،
إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قالوا : فنكبهما بعد ذلك بأيام .

وله فصل من رقعة عنه إلى [ابن] مجاهد : [واتصل بي الحادثُ]
على^٣ القاضي أبي العباس — رحمه الله — فقسم ظهري ، وجلّ مصابهُ
عندي ، وعلمتُ موضعَ فقده من نفسك العزيزة — حرسها الله — وأشفتُ
من ذلك أشدَّ الشفاق ، واحترقتُ نفسي [له] أبلغَ الاحتراق ، وعلمتُ
أنه لا بدَّ في مفارقة الإخوان وثقاتِ الحَدَمَةِ والأتباع ، مع طولِ الصُحبة
وموافقةِ الطباع ، من لوعةٍ تلدعُ الكبد ، وتفتّ العضد ؛ لكنّ مَنْ كان

١ البيتان في الاغانى ٢٣ : ٥١٦ ورواية الاول : من الناس إنسانان ؛ ويروى الشعر لابن
الديمينة ، انظر ديوانه : ٣١ ، ١٧٠ .

٢ الاغانى : فمتهما .

٣ ط س د : عن .

٤ في النسخ : من .

في قوى نفسه على خليقتك ، وجرى في اعتبار^١ الدنيا على طريقتك ، فهو يلقي خطوبَ الدهر ، بمجنّ من الصبر ، إذ قد ذاق حُلُوها ومُرّها ، وخَبَرَ صَفْوَهَا وكَدَرَهَا ، فليس حَدَثُ الزمانِ عنده بِسُكْر ، ولا خطبه لديه بِمَنكَر ، وهو كما قيل :

وفارقتُ حتّى ما أراعُ من النوى وإن بانَ جيرانُ عليّ كرامُ

ومما زاد عليّ في الإشفاق ، ما كان لديه من الأعلاق — أوشك الله خلفه عليك ، ولا غيّر نِعَمَهُ لَدَيْكَ — وما قد فات من المال ، فهو ليومِ الحاجة ذخيرةٌ إلى صالح الأعمال ، وكلُّ جليلٍ [٦٥ ب] يصغر عندَ الدفّاع عن حَوَائِلِكَ ، وكلُّ خطيرٍ محترق^٢ مع سلامتك وطولِ بقائك .

سبحه وله من رقعة^٣ عن إقبال الدولة إلى المعز بن باديس : أطال الله بقاء سيدنا الأجلّ رافعِ أعلامِ الهدى ، ومحبي كلمةِ التقوى ، وقوامِ أمرِ الدين ، ونظامِ شملِ المسلمين ، وشعارِ حزبِ المؤمنين ، وناظرِ عَيْنِ الزّمان ، وروحِ جسمِ الأوان ، وحسامِ عاتقِ الإسلام ، وحلّي جَيْدِ الأنام ، مخلّدةً دولته ، مؤيَّدةً حيثُ يَمُمُّ بِطَشْتُهُ .

وفي فصل منها : وإني وإن قعدتُ عن مناسكِ فرضها ، وتأخرتُ في مضمارِ قرَضِها ، فإني مُغيَرُها ضميراً كما انبلج النهار ، وشكراً كما أَرَجَ النّوَّار ، وهل أنا إلّا أحدُ أبنائها ، وشُهْبِ سَمائِها ، وشيعةٍ^٤ علائها ،

١ ط د س : اعتياد .

٢ ط ن : يحتقر .

٣ ط د س : أخرى .

٤ ب م : يمت .

٥ ط د س : وشيعة .

وإن جَدَمَ نَأْيُ الدار ، كفَّ الخيار ، ففي البعد اعتذار ، وفي الجهدِ
 إعتذار ، وإن مع التجاور لَيُعَلِّمُ العيان ، ومع التحوارِ ليُظْمِنُ البرهان ، ومع
 التزاور لتزول^١ الأحوال^٢ ، ومع التقاربِ ليقعُ الإخلال ، والقوى [المخلوقاتُ]
 قريبةُ الانحلال ، سريعةُ الانفعال ، والنيرَاتُ على وفورِ ضيائها ، وظهورِ
 سنائها ، فيما لا تُقَابِلُ كَلِيلَةٌ ، وعندما لا تُسَامِتُ^٣ عَلِيلَةٌ ، وفيما لا تناولُ
 ضئيلة ، وما قُسِيَّةٌ^٤ ورثتها ، ونعمةٌ طُوِّقَتْهَا ، وَرَفَعَةٌ أَلْبَسَتْهَا ،
 بمكفورةٍ آثَارُهَا ، ولا مسودةٍ أنوارها ، ولا مواتي إلى الدولةِ العليةِ
 بطارقةٍ ، ولا شوافعي لديها بمستانفة .

وله من أخرى عن المنصور إلى أهل قرطبة : إن كنتُ منكم بِنَبْوةٍ ،
 وعنكمُ بِنَجْوَةٍ ، فإني شهيدُكُمْ بنفسي ، وقسيمُكُمْ بحالي ، أراكم
 بعين المشاهدة ، واكلاكم بعين الإحاطة ، أعدُّ كبيرُكُمْ كالعمِّ ،
 وصغيركم كابنِ الأمِّ ، فأتمُّ الأهلُ والجيران ، والدخائرُ للزمان ، في الدارِ
 التي منها خَرَجْتُ ، والبَيْضَةُ التي فيها نشأت ، أفضلُ دارٍ تكتفني
 عيَابُهَا ، وأوَّلُ أرضٍ مسَّ جلدي تراها ، فلو أمكنَ أن تصيرَ إليكم
 أمدادي مع الرياح ، وتطيرَ نحوكم أجنادي بألفِ جَنَاح ، ملبيّاً لدعوتكم ،

١ ب م : لتزور .

٢ ط د س : يُقَابِلُ . . . يسامت .

٣ ب م : فتية ، وسقطت العبارة من ط د س .

٤ من قول الشاعر :

أخْبِ بِلَادَ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ إِلَى وَسْلَى إِنْ يَصُوبُ بِحَابِهَا
 بِلَادَ بِهَا عَقَى الشَّهَابِ تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جَلْدِي تَرَاهَا

وَمُسَارِعاً إِلَىٰ نصرتكم ، لما تأخر ذلك عنكم طُرْفَةً^١ ، ولا تلبث^٢ خطفة ، لكنَّ عوادي^٣ الفتنِ ، وعوائقَ الزمنِ ، منَّعتْ من العَجَلَةِ قبلَ إحكامي لما حاولتهُ من تأليف^٤ الكلمة ، فربَّ عجلةٍ تهبُّ ريثاً^٥ ، ومن أعدَّ للأمورِ عدَّتَها ، وأخذ لها شيكَّتَها ، كان قميئاً^٦ أن يكونَ نظرهُ نافِعاً ، ودواؤهُ ناجعاً . ولم أزلْ أحسمُ العِللَ ، وأقطع [٦٦ أ] بالفتنةِ دونَ الأملِ ، حتى لانتِ الأيامُ بالسَّماحِ ، وسكنتُ بعدَ الجِماحِ ، وصار المسلمون إخوةً^٧ ، وفي جميلِ المعاشرةِ أُسوةً^٨ ، وقبل الرمي تُرَّاشُ السَّهامِ^٩ ، ويحسنُ التناولُ بقربِ المرامِ ، ورأيتُ ان استتلاف^{١٠} القلوبِ المتنافرة ، وتواصلَ الأهواءِ المتدابرة ، أقوى أسبابِ النَّجاحِ ، وأشدُّ الأعوانِ على الفلاحِ ، فتأخرتُ عنكم متقدِّماً إليكم ، وتبقيتُ^{١١} دونكم وافداً^{١٢} عليكم ، ولم أقنَّعْ من الأمورِ بغيرِ التحقيقِ ، ولم أرضَ من المركَّبِ بالتعليقِ ، وقد نَقَّذْتُ ثِقَاتِي إلى الجهاتِ لتخيير^{١٣} الأجنادِ [وانتخال الأجنادِ] ، ليكونَ جميعهم صَفوةً^{١٤} ، ولا يَشوبُهُمُ أحدٌ من الحشوةِ ، وشرطتُ أن يتوجَّهَ

١ د ط س : لبث .

٢ د ط س : عوائد .

٣ د ط س : تألف .

٤ انظر هذا المثل في فصل المقال : ٣٣٥ والميداني ١ : ١٩٨ والعسكري ١ : ٣١٣ .

٥ ط د س : قميئاً .

٦ من المثل : قبل الرماء تملأ الكنائن (الميداني ٢ : ٣١) .

٧ ط د س : اتتلاف .

٨ ط س : وتبقيت ؛ د : وتسقيت ؛ ب م : وتمنيت .

٩ م ب : واجداً .

١٠ د ط س : إلى الجهاد لتجهيز .

من قِبَلِي إِلَيْكُمْ ، ويفد منهم عليكم ، مَنْ له المزيّة والظهور ، والغناء المشهور ، أولو البأسِ والنجدة ، والثّباتِ والشدة^١ ، والقلوبِ الأبيّة ، والأنوفِ الحميّة ، يسمحون عنكم ببذلِ النفوس ، ويقومُ الواحدُ منهم مقامَ الخميس ، تمتلئ العيونُ منهم قُرّةً ، والنفوسُ مَسرّةً ، وفي الثالثِ من [يوم] كتابي هذا ينفذُ إليكم من الوزراء مَنْ تكونُ حركة الخيلِ معهم في زمانٍ معروف ، [واجتماعُها] في مكانٍ موصوف ، إن شاء الله ، ليصحَّ عند العدوِّ - قصمه الله - أن الأيدي قد ارتبطت عليهم ، وأن الأعنة قد صُرِفَت إليهم ، وأن الوقت قد أزِف ، والغطاء قد كُثِف ، فيا ليت شعري أين المفرّ ، أم يقولون نحن جميعٌ صُبر ، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر : ٤٥) .

انتهى ما نخصته من كلام^٢ أبي عامر ، موجز^٣ الموارد والمصادر ، ويتلوه مما يفني بشرطِ الكتاب من أخبار هذا الأمير^٤ عبد العزيز بن أبي عامر المذكور ، وعبد الملك ابنه ، صبيّابة دولتهم ، اللذين جاءا في آخرِ الرعيل ، وردّا هذا الاسم على الحمول .

١ ب م : والشدة . . . والنجدة .

٢ د ط س : اخبار .

٣ ب م : من موجز .

٤ د ط س : الرئيس .

إيجاز القول عن امارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية وأعمالها^١

قال أبو مروان [ابن حيان] : هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر . كان الموالي العامريون عند ذهاب مجاهد عنهم قد أسندوا أمرهم إلى نفق من مشيختهم ، فتشاوروا في ارتياد أمير من أنفسهم يعترفون له ، فاتفقوا على ابن مولاهم عبد العزيز هذا لإيثار له على ابن عمته ، محمد بن عبد الملك ، وكان مقيماً بقرطبة ، وعبد العزيز بسرقسطة في كنف منذر بن يحيى [منذ التجأ إليه غب الحادثة بقرطبة ، فذهبوا إليه سرّاً من منذر بن يحيى] فأحكم له التدبير ، وخرج سرّاً من سرقسطة ، فلاحق ببلنسية ، فاستقبله الموالي العامريون أفواجا ، وقلدوه رياستهم . وكان عبد [٦٦ ب] العزيز هذا من أوصل الناس لرحمه^٢ ، وأحفظهم بقرابته ، ابتعثه الله رحمة للمُستحقين من أهل بيته فأواهم ، وجبر الكسير ، واكتنف الطريد ، ونعش الفقير ، طول مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعياء ملوك زمانه . وخاطب لأول حينه الخليفة القاسم بقرطبة مع هدية حسنة وذكره بأيام سلفه ، فقبل القاسم هديته ، واعترف بوسيلته ،

١ انظر المغرب ٢ : ٣٠٠ وأعمال الاعلام : ٢٢٤ وابن خلدون ٤ : ١٦١ ، وقد نقل ابن عذاري (البيان المغرب ٣ : ١٦٤) هذا النص . وراجع Hist. Mus. de Valencia ٢ : ١٦٣ وما بعدها .

٢ ب م : ثم .

٣ ط د س : من أوصلهم لرحمه .

٤ هو القاسم بن حمود الحسني ، بويغ سنة ١٢٤ ثم انتزع قرطبة منه يحيى بن أخيه ثم عاد القاسم إليها وبقي فيها حتى خلع سنة ١١٤ .

وَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، وَسَمَّاهُ الْمُؤْتَمَنَ ذَا السَّابِقَتَيْنِ ، فَتَوَطَّدَ سُلْطَانَهُ ،
وَاشْتَمَلَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ حَتَّى سَمَّاهُمُ النَّاسُ الطَّبَائِعَ الْأَرْبَعَ ،
وَهُمْ : ابْنُ طَالُوتَ وَابْنُ عَبَّاسٍ [وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ] وَابْنُ التَّائِكِرِيِّ الْمَذْكُورِ ،
كَاتِبُ رِسَائِلِهِ وَمَكَائُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَالذِّكَاءِ مَكِينٌ ، فَانْتَشَرَ كَلَامُهُ ،
وَاعْتَلَى ذِكْرُهُ ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ تَسْمُو حَتَّى اتَّصَلَ بِوِزَارَتِهِ فَنَالَ جَسِيمًا مِنْ
دُثْيَاهُ .

فَلَمَّا كَانَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ اعْتَلَى عِلَّةً أُعْيَا عِلَاجُهَا ، وَاخْتَلَفَتْ
نُوبُهَا ، تَطْمِيعُهُ تَارَةً وَتُؤْيِسُهُ أُخْرَى ، وَالْإِرْجَافُ لَا يَفْتَرُّ عَنْهُ ، إِلَى
أَنْ قَضَتْ عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ الْعَامِ ، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى تَأْمِيرِ وَلَدِهِ
عَبْدِ الْمَلِكِ^١ ، وَقَامَ لَهُ بِأَمْرِهِ كَاتِبٌ وَالِدُهُ الْمُدَبِّرُ لِدَوْلَتِهِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
[الْمَشْهُورُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِابْنِ رُوَيْشٍ^٢ الْقُرْطُبِيُّ] ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالرَّجَاحَةِ ،
فَأَحْسَنَ هَذَا الْكَاتِبُ مَعُونَتَهُ عَلَى شَأْنِهِ ، وَتَوَلَّى تَمْهِيدَ سُلْطَانِهِ ، وَاسْتَقَرَّ
أَمْرُهُ عَلَى ضَعْفِ رُكْنِهِ ، لِعَدَمِ الْمَالِ ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ ، وَفُسَادِ أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ .
وَرَاعَى هَذَا الْكَاتِبُ [الشَّهْمُ مَدْبَرُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الْمُؤَمَّرِ عَبْدِ الْمَلِكِ
مَكَانَ صَهْرِهِ وَظَهِيرِهِ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ] ، لِذَلِكَ كَانَ صَهْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبَا أُمْرَأَتِهِ ، الْمُسَاهِمَ لَهُ فِي مُصَابِ أَيْيِهِ ، الْمَعِينَ لَهُ عَلَى سَدِّ ثُلُمِهِ ، الذَّائِدِ
عَنْهُ كُلِّ مَنْ طَمَعَ فِيهِ ، فَانْزَعَجَ ، عِنْدَ نَزُولِ الْحَادِثَةِ ، مِنْ حَضْرَتِهِ^٣ طَلِيْطِلَةَ
إِلَى قَلْعَةِ قَبُونُكَةِ مِنْ طَرَفِ أَعْمَالِهِ ، لِلدُّنُوِّ مِنْ صَهْرِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَبَادَرَ
بِإِنْفَازِ قَائِدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَبِالْكَاتِبِ ابْنِ مِثْنَى إِلَى بُلْنَسِيَّةٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ،
أَمَرَهُمْ بِالْمُقَامِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَدَّ رُكْنَهُ ، فَسَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ عَلَيْهِ . وَمَضَى

١ د ط س : تَأْمِيرَ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِهِ .

٢ ط د س : رُوَيْشٍ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ .

٣ ط د س : حَضْرَةُ .

عبد العزيز أبوه لسبيله غيرَ فقيدٍ المكان ، ولا عزيز الشان ، ولا مُبَكَّ^١ لسمائِهِ ولا أرضه . ما فُجِّعَ به إلاَّ [ذوو] رحمه [من] آل [أبي] عامر لثناهم في صلتهم . حتى صار لإسرافه في ذلك من أضرَّ الأشياء لجنده ، وأجلبها لدمته ؛ له في ذلك أخبارٌ مأثورة ، فتوفي وهو أطولُ أمراء الأندلس مدَّةَ إمارة ، تملَّأها أربعين حجة ، إذ كانت إمارته ببلنسية صدرَ سنة اثنتي عشرة وأربعمئة ، فسبحانَ المنفردِ بالبقاء ، الأول قبل الأشياء .

فصل في ذكر الوزير [١٦٧ أ] الكاتب أبي المطرّف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ وإثبات جملة من نثره ونظمه^٢ .

وكان^٣ أبو المطرف هذا أحد من خلَّيَ بينه وبين بيانه ، وجرى السحرُ الحلال بين قَلَمِهِ^٤ ولسانه . وكان استوحش من أميرِ بلده ، ومقيم أوَّده . ابن هود المقتدر^٥ . فخرج عنه وفرَّ ، وفارق عزَّ ذلك المقام ، « ونجا برأس طمرة وِلْجام »^٦ فأجزلَ المعتمدُ بن عبَّاد قِراه ، ووسَّعَ^٧ له ذِراه ،

١ ط س : سبك ؛ د : سمك .

٢ ترجمة أبي المطرف ابن الدباغ في القلائد : ١٠٦ والمغرب ٢ : ٤٤٠ والخريدة (قسم المغرب والاندلس) ٢ : ٣٤٩ (٣٨٧) والمسالك ٨ : ٢٢١ .

٣ نقل ابن سميذ بعض هذا النص في المغرب .

٤ ط س د : قلبه .

٥ د ط س : المقتدر بن هود .

٦ من قول حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره (ديوانه ١ : ٢٩) : ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وِلْجام

٧ ط د س : وأوسع .

وأفردتهُ بحظٍ من دنياه . وخصّه بمكانٍ سرّهِ^١ ونجواه . وسفر بينه وبين المتوكل بن الأفضس أيامَ كونهٍ بياطرةً ، حين أخذ أخوه [يحيى] يَكْظُمِهِ . وهمّّ بالزولِ على حكمِ المعتمد أو حكمه^٢ ، وقد كان ابن عباد فَعَرَّاهُ على المتوكل . وَقَدَّرَ أن يَنْبِخَ عليه [بكلّكل - حسبما قدمته] في أخباره -- فوعده بالفرو^٣ . وزخرفَ له شهادتِ زورٍ ، على لسان [هذا] الوزير أبي المطرف المذكور . [فلما حاوَرَهُ وناظره ، خصّه [بنصيحة وآثره ، ومثّلَ له ذلّةَ المعزولين ، وذكره بفعلِ معاويةَ يومَ صفّين ، فأوجَدَه سبيلاً ، ودرَجَه قليلاً ، ومات أخوه المنصور يحيى بعقب ذلك ، فورثه الله ملكه ، ونظمَ سِلْكَه ، فرحلَ إليه أبو المطرف ملبياً بحجّ وعُسْرَة ، متوسّلاً بسابقي أنصاريّة^٤ وهجرة ، فصادف وجهاً خصيباً ، ومكاناً من العزّ رحيباً .

وكان سببُ خروجه من اشبيلية - فيما حدثني بعضُ وزرائها - أنّه تشاد^٥ مع ابنِ عمّار ، فأشار المعتمدُ إلى حَسَمِ ذلك بين يديه ، فأبى أبو المطرف عليه ، ثم اجتمعوا بعد في مجلسِ أنسٍ دون رأيه ، فأمر المعتمد بنفسه ؛ وقد كان أيضاً بلغ أبا المطرفِ أنّه قد حَسَمَ فيه بمجلسِ المعتمد وقُرِفَ بشيءٍ أقلقه ، وذلك أنّه كان يعاني الخضابَ ويثابرُ عليه ، فقال بعضهم فيه :

خضابٌ لَعَمْرُكَ لا للنساءِ ولكنّه لفحولِ الرجالِ

١ ب م : من سره .

٢ ط د س : وحكمه ؛ ب م : على حكمه أو حكم المعتمد .

٣ ط د س : الفرو .

٤ ب م : فدخل .

٥ د ط س : بحجة .

٦ د ط س : نصرة ؛ ب م : انصاره .

٧ ط د س : تشاجر .

فخاطبه بشعر قال فيه :

يُهَانُ بِحَمَصٍ عَزِيزُ الرِّجَالِ وَيُعْزَى إِلَيْهِمْ قَبِيحُ الْفَعَالِ
وَيُعْزَى ذُوو النِّقْصِ مِنْ أَهْلِهَا بِنَطْلِيخٍ أَعْرَاضِ أَهْلِ الْكَمَالِ

فوقع المعتمد على ظهر رقعة بهذين البيتين :

شعرت فجئت بعين المحال وما زلت ذا خطل في المقال^١
متى عز في حمص غير العزيز أو ذل^٢ غير الذميم الفعال

فلما قرع سمعته البيتان أخذه الأفكَل ، وخرج من حينه وكان يحدث نفسه بالتحول ، [٦٧ ب] إلى أن نفاه^٣ ، فلحق بالمتوكل فأواه ، وأجزل قراه ، وخاطب المعتمد في معناه ، ورحب به في بطليوس^٤ مثواه ، إلى أن اشتعلت بينه وبين الوزير أبي عبد الله ابن أيمن^٥ نار^٥ ملأ الأفق^٥ شعاعها ، وأخذ بأعنان السماء ارتفاعها ، فكر^٦ راجعاً إلى سرقسطة ، فقُتِلَ ببستان من بسانيها ، بعد مديدة من لحاقه بها ، ورثاه الوزير أبو محمد بن عبدون بأبيات أعربت عن ودّه ، ودلت على كرم عهده ، وقد أثبتّها من هذا التصنيف بحيث أجريت من ذكره ، فيما انتخبته من نظميه ونثره^٧ ؛ وأثبت من كلام أبي المطرف هاهنا ، ما يشهد بفضله ، ويدل على نبه .

١ لم يردا في ديوان المعتمد .

٢ د ط س : ذم .

٣ ط د س : حتى نفاه .

٤ ط د س : المنصور .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ، وأشار الى تصايقه من قدوم ابن الذبائح

الى حضرة بطليوس .

٦ ط د س : الآفاق .

٧ ط د س : من شعره .

جملته من رسائله في أوصاف شئ

• من ذلك فصول له في ذمّ الزمان [وبنيه] ، وتعذّر آماله فيه •

فصل له من رقعة : أوحيش^١ بأيام أقطعها وأفنيها ، وأثواب عيش^٢ أحلقها وأبليها ، بحيث لا أراك عياناً ، ولا أملك^٣ من أنديتك^٤ مكاناً ، حتى أعتز^٥ بك من هون أغضي فيه على القذى ، وأصبر منه على حز^٦ المدى ، وأتميز^٧ من طبقة الاتضاع والاستخذا ، وأعظم^٨ تلهفي بماض من الدهر بغير مستفاد ، وذاهب من العمر ليس بمستعاد ، وليت شعري أنشعجز^٩ الأيام موعوداً^{١٠} ، أو تدني من الأمل بعيداً ، فترضي بما أسخطت^{١١} ، وتعذّر^{١٢} بما أذنبت ، وتنسي متضرّ شديتها بليان ، وتمحو أثر إساءتها بإحسان ؟! ما تحدّثني بذلك نفسي ، ولا إخال^{١٣} أن زماي يندعين^{١٤} بإسماح ، ولا يزال^{١٥} مستمرّ الجراح ، وما الحيلة^{١٦} إن أبى سوى التعلّل بالمى ، والاستراحة بلعل^{١٧} وعسى ؟! وبودّني لو ملكت^{١٨} عن هذه الشكوى لساني ، وأمسكت^{١٩} في البوح بها من عنائي ، وأخذت^{٢٠} نفسي بأناتها^{٢١} ، وأنظرت^{٢٢} الأقدار^{٢٣} إلى أوقاتها ، حتى لا أسوء ولا أنكد ، بما أورد^{٢٤} منها وأردّد ، ولكي والله مغلوب^{٢٥} بالاضطرار ، معدول^{٢٦} عن وجه الاختيار ، ومن^{٢٧} أني

١ د ط س : انشك .

٢ ط د س : عود .

٣ س : موعود ؛ ط : وعود ؛ د : موعداً عوداً .

٤ ط د س : .

٥ ط د س : .

٦ س : .

٧ د : .

أنوي في كتيبي أن تكونَ من الشكوى خالية ، وبزينةِ التجميلِ خالية ،
ولسانُ الحالِ تأبى إلا أن تبوحَ بمضمرةِ السرِّ ، وتكشفَ عن حقيقةِ الأمرِ ؛
وقد كان لي عنه معزلٌ إلى وصفِ ما للبينِ بقلبي من جرحِ وآثارِ ، وللشوقِ
بين جوانحي من وقودٍ وأوارِ ، فإنه منذَ نَسِبُ يحولُ فيه القولُ كلَّ مجالِ ،
ويشالُ عليه الكلامُ أيَّ انشغالِ ، وتنتأني به الألفاظُ لازدواجها ، وتترأى
المعاني في معرضِ انتاجها ، ولئن لم أبدأ به فإليه قَصِدْتُ ، وإياه أردتُ ،
وقد اكتفيتُ منه بما أتيت . ووقفتُ على التمهيدِ [٦٨ أ] .

وله في مثله من أخرى : قد كنتُ أوَمَلُ هذا التلاقي ، لأشكو فيه
إليك دواهيَ بَلَغَتْ بالنفوسِ التراقي ، وصيرتِ المنايا أمانِي^١ ، فمن
لي الآن به وبوصولي إليك حيثُ أنت . ودونك ما لا يخفى عليك ، وقد
عرض الماءُ لعيني فكيف أريدُ . ومن أين أفصِدُ ، اللهُ حسبي في سوءِ
جَدِّي ، وأنت وليُّ عذري ، في الحضورِ بالمكاتبِ إذ لم أجدُ سبيلاً إلى
المشاهدةِ ، ولا أكَذِبُكَ ، ضاقتُ بِي الأرضُ كلها ، وانسدَّتْ عليَّ
سبلها . وضللتُ عن كلِّ عزاءٍ وتماسُكٍ ، وأسلمتُ إلى كلِّ يأسٍ
وتهالك . فتداركني ممزقاً . ونجّني غرقاً ، وأخطرتني بهالك . واعرض
حالي على اهتباك . عسى أن يتجهَّ للفرجِ وجه . أو يابوحَ منه^٢ فجر .

وله من أخرى : كلَّ يومٍ تظهرُ من فناءِ السحابِ ، وتطلُّعُ من
الطافِ برلكِ غرائبُ ، تُنسى لنا محاسنُ ، وتُستبدُّ بمرئيتي^٣ معها
مآثرُ من تهتمَّ ، حتى كأنَّ الجليلَ لم تَحُضِرْ^٤ غرائبُ . واللفظُ

١ فيه الخاتمة من قول المتنبي

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : فملك .

لم تُفهمْ بعدُ دقائقهُ ، إلى أن أتيتَ فاخترتَ من ذلك سُنناً^١ وبدائع ، لا يزالُ مثلها^٢ لأولي الفضل شرائع ، وأنوارها في فلكك الفضل^٣ سواطع ، فما أسعدَ من تمسك بعصمتك ، واعتزى إلى جملتك ! !

وفي فصل منها^٤ : وكتابي [هذا] وأنا كما تدريه : غرض^٥ للأيتام ترميه ، ولكني غيرُ شاكٍ من آلامها ، لأنَّ قلبي في أغشية من سهامها ، فالنصل على مثله يتقع ، والتألم مع هذه الحال يرتفع^٥ ، وكذلك التقريع إذا تتابع هان ، والخطب إذا أفرط في الشدة لان ، والحوادث تنعكس إلى أضداد^٦ ، إذا تناهت في الاشتداد ، وتزايدت على الآماد^٧ .

وبعض ألفاظ هذا الفصل محلول^٨ من قول المتنبي حيث يقول^٩ :

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حتى فوادي في غشاء من نبالٍ
فكنت^٩ إذا أصابني سهام^٩ تكسرتِ النصال^٩ على النصال

وله من أخرى : لا تستغربُ — أعزَّك الله — ما صادفتَ [لي] هنالك من تعذُّرٍ وحرمان ، كما لا أستغربُ ما ألاقيه عندنا من تسليط^{١٠} وعدوان ،

١ ط د س : شيئاً لم يكن .

٢ د ط س : لا يزال امثلتها .

٣ د ط س : المجد .

٤ انظر هذا الجزء من الرسالة في القلائد : ١٠٧ والخريدة : ٢ : ٣٥٠ ، وقد قال الفتح انه وجه بهذه الرسالة الى ابن حسداي .

٥ القلائد والخريدة : بهذه الحالة قد ارتفع .

٦ ط د س : الأضداد .

٧ القلائد : أضدادها اشتدادها . . . آمادها .

٨ ديوان المتنبي : ٢٥٤ .

٩ الديوان : فصرت .

١٠ ط د س : نشاط .

فالنحوسُ كُلُّها مجتمعةٌ لي في قران ، ولا تعجبُ إلاَّ لثبوتي لما لا يثبتُ
 عليه الحَلَقُ السَّرْدُ ، وبِقائِي على ما لا يبقى عليه الحجرُ الصَّانِدُ ، وبالجملَةِ
 لا تسألُ عن الحالِ فقد صار في عينيَّ معمورُ الكُرة ، أضيقَ من خُرَّتِ
 الإبرة ، واستبهمتُ لي المطالب ، وانسَدَّتْ عليَّ المذاهب . فما أدري
 أيَّ وجهٍ أَيْتَمُ ١ ، ولا [٦٨ ب] على أيِّ أمرٍ أعزم ، ويا ليت شعري
 أين الفرجُ فهذا التناهي ، وقد بلغت القلوبُ الحناجرَ ومتى التلاقي ؟ نستغفرُ
 الله من هذا الضَّجَرِ ، ونعوذُ به من السَّخَطِ على القدر ، ونسأله صبراً
 يشتدُّ لشدائدِ ٢ النَّوْبِ حتى تجوزَ وتعبر ، وتوفيقاً يهدي في غياهبِ الكُربِ
 حتى تنجلي وتُسْفِر .

وله في فصلٍ من أخرى ٣ : كتابي وعندي من الدهر ما يهدُّ أَيْسَرُهُ
 الرواسي ، ويفتتُ الحجرَ القاسي ، < فانا وإياه > فرسا رهان :
 * يُجَدُّ نواباً وأجيدُ صبراً *

ومن أجلِّها قلبُ محاسني مساوي ، وأوليائي أعادي ٤ ، وقصدي
 بالبغضةِ من جهةِ المِقَّة ، واعتمادِي بالخيانةِ من حيثِ الثقة ، فقسْ بهذا
 على ما سواه ، وعارضْ به ما عداه ، ولا أطولُ عليك فقد غيرَ عليَّ
 حتى شرابي ، وأوحشني حتى ثيابي ، فها أنا أتهمُ عياني ، واستريبُ من
 بنائي ٥ ، وأجني الإساءةَ من غَرَسِ إحساني ، وقاتل الله الخطيئةَ في

١ ط د س : أين إيم . ٢ ط د س : لنواب .

٣ انظر القلائد : ١٠٧ والخريدة : ٢ : ٣٥٠ والمغرب : ٢ : ٤٤٠ ، وقد خلط صاحب القلائد
 والخريدة بين هذه الرسالة والتي تقدمتها .

٤ ب م : يجهد ، وسقط من د ط س .

٥ ط د س : مساويا . . . أعاديا . ٦ د ط س : بياني .

قبره ، فلشدّ ما غرّ بقوله ^١ :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ^٢ لا يذهب العرف بين الله والناس ^٣
من يزرع الخير يحصد ما يسرّ به وزارع الشر منكوس ^٤ على الراس

أنا والله اغتررت به وفعلتُ خيراً فعدمتُ جوازيه ، وأذمنتُ ^٥ عوائده ^٦
ومبأديه ، وزرعته فلم أحصد إلاّ شرّاً ، ولا اجتنيتُ معه ^٧ إلاّ ضرّاً ،
وهكذا جدّي ، فما أصنع وقد أبى القضاء ^٨ إلاّ أن أقضي ^٩ عمري في
بؤس ، ولا أنفك ^{١٠} من نحوس ، ويا ليت باقيه قد انصرم ، وغائب الحمام
قد قدم ، فعسى أن تكون بعد الممات ^{١١} راحة ^{١٢} من هذا النصب ، وسلوة ^{١٣}
عن هذه الخطوب والكرب ^{١٤} ؛ ودع بنا هذا التشكي فالدهر ليس بمعتب ^{١٥}
من يجزع ^{١٦} ، ولا بمشفق ^{١٧} على من توجع ^{١٨} ، واطرح بنا هذا القول في
الرياح ، واعدل بنا عن الجِدِّ إلى المزاح .

وله من أخرى : كتابي والحال على ما أسألُ الله لها تبديلاً وإدالة ،
ولعنة الجِدِّ فيها استقلالاً وإقالة ، ولستُ أشكو إلاّ زماني وقعوده ^{١٩}

١ د : بقوله في شعره ، وكذلك هو في القلائد .

٢ البيت الاول وحده للحطيفة في ديوانه : ٢٨٤ ، وانظر ما تقدم ص : ٢٢٨ .

٣ د ط س : وذمت ؛ القلائد والخريدة : وما حمدت .

٤ د ط س والقلائد : منه .

٥ القلائد والخريدة : أفني .

٦ د ط س : ان يكون الممات .

٧ د ط س والقلائد والخريدة : والنوب .

٨ من قول أبي ذؤيب :

امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

٩ الخريدة والقلائد ، وما في الايام رجاء ولا مطمع ؛ ط د س : ولا بمستقر على من يرتجع .

يُحْدِثِي ، وَقَبِيحَ آثَارِهِ عِنْدِي ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْكُلِّ عَادِيًّا ، وَالْجَمِيعِ
بِكَأْسٍ مَكْرُوهِهِ سَاقِيًّا ، فَيُخَصِّنِي بِمِزِيَّةِ حَرَمَانٍ ، وَيَتَوَخَّئُنِي بِفَضْلَةِ
عُدُوَانٍ ، وَيَجْعَلُنِي نَتِيبَ سَعِيهِ ، وَغَرَضَ رَمِيهِ ، وَمَكَانَ أَذَاتِيهِ وَبَغْيِهِ ،
حَتَّى كَأَنِّي أَبْدَيْتُ لَهُ مَعَايِرَ ، وَأُدرْتُ عَلَيْهِ دَوَايِرَ ، وَدَلَّاتُ الْعَالَمِ [٦٩ أ]
عَلَى جَوْرِهِ فِي الْحُكْمِ ، وَتَطَبَّعِهِ فِي الظُّلْمِ ، وَحَسْبِيَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا أَسْخَطَ
وَأَرْضَى . وَمَعَ مَا ذَكَرْتَهُ فَلِي مِنَ الصَّبْرِ جَانِبٌ ، وَإِنْ حَمِيتُ^١ مِنْهُ جَوَانِبَ ،
وَمَعِيَ مِنَ التَّجَمُّلِ بَقِيَّةٌ وَإِنْ سَلَبْتَهُ^٢ السُّوَالِبَ .

وَفِي فِصْلٍ مِنْ أُخْرَى : رُبَّمَا كَتَبْتُ تَارَةً^٣ وَاسْتَوْقِفْتُ أُخْرَى ، وَلَيْسَ
ذَلِكَ لَتَلَوْنٍ وَانْقِلَابٍ^٤ ، وَأَفْنٍ فِي الرَّأْيِ وَاضْطِرَابٍ ، وَلَكِنِّي بِحَسَبِ
الْحَالِ أَكْتُبُ ، وَعَلَى قَدَرِ تَقَلُّبِ الْخُطُوبِ عَلَيَّ أَتَقَلَّبُ ، وَمَا زِلْتُ أَثْبُتُ^٥
لِتَوَالِي الرِّمِيِّ ، وَأَسْتَمْسِكُ عَلَى قُوَّةِ الرِّزْمِ ، لِإِشْفَاقٍ مِنْ أَنْ أَكُونَ كَلَّامًا ،
وَأَزِيدَ فِي مَوْثِقِكَ ثِقْلًا ، حَتَّى قَدِمَ الْغَائِبُ وَقَدْ تَمَلَّأْتُ مِنَ الْمَرَّةِ الصَّفْرَاءِ ،
وَاسْتَفْرَغْتُ مِنْ خُلْطِي الْبُلْغَمِ وَالسُّودَاءِ ، وَتَلَقَّيْتُ السَّاعِي هَرَّاشَهُ بِالْأَغْرَاءِ ،
وَنَارِيَّتَهُ بِالْحُلَفَاءِ ، فَانْدَفَعَ يَتَهَيَّجُ وَيَتَهَوَّجُ^٦ ، وَيَسْتَشِيظُ وَيَتَأَجَّجُ ، وَلَا حِلْمَ
يُرَدِّعُ ، وَلَا اسْتَبْصَارَ يَنْتَفِعُ^٧ ، فَيَا لَكَ مِنْ مَكَاشِفَةٍ تَرَكْتَ الْأَلْبَابَ حَيَارَى ،
وَالنَّاسَ سَكَارَى ، فَمَا أَجِدُ إِلَّا مَنَ يَثْلُبُ ، وَلَا أَمْرٌ إِلَّا بِمَنْ يَتَجَهَّمُ^٨
وَيَقْطَبُ ، حَتَّى كَأَنِّي وَتَرْتُ الْجَمِيعَ ، وَجَنَيْتُ عَلَيْهِمُ الْخُطْبَ الشَّنِيعَ ،
وَلِلَّهِ سَمْعِي مَاذَا يَسْمَعُ ، وَقَلْبِي كَيْفَ لَا يَتَصَدَّعُ !! وَلَوْ نَالَ مِنِّي ذُو حُرْمَةٍ

١ كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَلَعَلَّ سَوَابَهُ « غَمِيت » .

٢ د ط س : الذَّوَانِبُ .

٣ ب م : وَانْتِقَاضِ .

٤ ب م : وَيَتَهَوَّجُ .

٥ م ب : يَقْبَعُ .

تعزيت ، أو أخذ منّي مَنْ فيه إنسانيّةٌ ما باليتُ . ولكن المحنة بأوغادٍ
تدقُّ عن المجازاةِ مقاديرها ، والبلية بذبابٍ يحميها من أن تُنالَ مقاديرها .

حلّ هذا من قول القائلِ ، وهو إبراهيم بن العباس في محمد بن عبد
الملك الزيات :

نجا بك لؤمُك منّجى الذبابِ حَمَتُهُ مقاديرُهُ أنْ يُنالا^١

وله من أخرى : قد آلى الدهر ألاّ يُصيّبني بنوايب ، حتى تكونَ
غرائب ، فهو يخترعُ كلَّ يومٍ فتناً ، ويطرُقني بما لم يطرُق^٢ قطّ أذناً .

وفي فصلٍ من أخرى^٣ : تحيّلُ في استلطافِ فلانٍ فعساه يلينُ بعد
قساوتِهِ ، ويسكنُ غَضَبُهُ بعد اشتداده ، وكيف أوصيكَ وأنت ساحرُ
البلد ، وأحدُ النفّاثاتِ في العقَد ؟ ومن العَجَبِ أنْ أدعوكَ إلى ذلك
وأنت الذي جنيتُ عليّ فيه ، وأذقتني مرارةَ تجنّيه ، فكيف تُصلحَ وأنت
المفسد ، وكيف تستدنيه وأنت المُبْعِدُ ، وكيف تُنصِفُ وأنت الظالم ،
أو تبني وأنت الهادم ؟ ! هذا مرامٌ بعيد ، واسترضاءٌ حاسدٍ مثليكَ صعبٌ
شديد ، ولكني واثقٌ بأنَّ يحقَّ بك شيءٌ مكرك ، فتذوقَ وبال أمركَ ،
وتحصّدَ زرائعَ^٤ شرك ، وتصلّي بنارٍ بغيك ، وتجنّي ثمارَ سَعيك ، والله
مُقرَّبُ ذلك فيك ومدنيه منك .

١ مر البيت ص : ٢٠٤ وانظر ديوانه (رقم : ١٢٩) وديوان المماني ١ : ١٧٩ .

٢ د ط س : ويقرطني . . . يقرط .

٣ ط د س : وفي فصل منها .

٤ د ط س : خيلت .

٥ د ط س : زرع .

وله من أخرى : كتابي عما عهدته من قُعودِ الأيامِ بجازي [٦٩ ب] ،
واعترضها عليّ في وجوه قصدي ^١ ، ومقابلتها بالخيبة والحرمانِ سعيي
وجُهدي ، بل ما تنفكُ تتلاعبُ بي تلاعبُ العايبِ . . . وتستطيلُ عليّ
استطالةُ العائثِ ، وتريني من أحداثها عجائبُ تسجمُ الدموعَ ، وتُطْلِعُ
عليّ من خطوبها غرائبَ تحطمُ الضلوعَ ، فيا لنفسٍ ^٢ تستطيعُ حملَ هذه
الكلِّفِ ، وتبقى عليّ ما في ^٣ أيسرهٍ وشيكُ التلِّفِ ، وقد كان شديدها
عندي هيئاً ، وصعبها عليّ ليناً ، حتى جدَّ الجدَّ برحلتك ، وجرت لي
الاشائمُ بفُرْقَتك ، فسدت عليّ من الراحةِ ^٤ الأبوابُ ، وقطعت بيني
وبين الفرجِ الأسبابُ ، ولم يبق لي مُعَلِّلٌ ^٥ من دائها ، ولا فارحٌ عليّ
اشتباكٌ ^٦ غمائها ، ولعلَّ الذي لم يزلْ يمتحنني ^٧ ليعلمَ كيف أصبر ، وينظرَ
أشكرُ أمْ أكفر ، أن يجعلَ لحالي إدالةً ^٨ ، ولعثرةَ جدِّي إقالةً ، وأن
يقبضَ لجمعِ الشملِ ، ووصلِ الحبلِ ، سبباً ، ويقضي من عودَةِ المعجاسة ،
وتجديدِ المؤانسة ، أرباً ، بمنته .

ومن أخرى في مثله : كتابي والحالُ في الحمولِ ^٩ كما علمت ، والجدُّ

١ د ط س : مقاصدي ؛ خ بهامش س : مطالبي .

٢ ط د س : للنفس .

٣ ب م : ما فيه في .

٤ ب م : الرأفة .

٥ د ط س : متعلل ؛ ب م : معلل لي .

٦ ط : اشتباك ؛ س : اشبال .

٧ ط د س : لم يزل في امتحاني .

٨ د ط س : احالة .

٩ د ط س : والحمول .

في الشقاوة كما عهدت ، وكلما أرجو لباب الفرج انفراجاً . يستبهم^١ ويزداد
إرتاجاً ، وكلما أطمع بمطالبة الأيام أن تلين تشدد اعتزاه^٢ . ولسهام النوائب
أن تنشي تتابع^٣ ولا . والحمد لله الذي يبتلي ليزي كيف الصبر^٤ ، ثم
يُسعِم^٥ ليرى كيف الشكر . حمد متوكل عليه ، مفوض أمره في
كل حالة إليه .

وله من أخرى في مثله^٦ : لكل زمان طاغية^١ يُشقى به ويعبأ له^٢ ، وربما
خَصَّ^٣ بتسلطه ، وانقبض^٤ في تبسطه ، ولم يتصل بضرامه ، إلا من
ضايق في خيطاميه ، فهذا المعهود^٥ ، ولا كن جمعنا به عصر^٦ ، وضمنا
معه ميسر^٧ . فانه جاهر الكل^٨ بالقبيل^٩ . ودعا إلى مكروهه الجفلى ، وامتنحت^{١٠}
أنا منه وامتَن معه بأشد^{١١} محنة . وأسلمت لأستهم وسهامهم بلا جنة ،
فمن أيد^{١٢} تستبيح الحمى . وألسنة تنطق^{١٣} بالحناء ، ومن سَطَوَات تملأ^{١٤} عراص^{١٥}
القلب رعباً . وترسل^{١٦} أدمع العين سكباً . ولو استطعت أن أطوي^{١٧} عنك
أحوالي . ولا أشغل بالك بأوجالي . لرفهت^{١٨} عن سماع ما يغلب إليك
ارتماضاً . ولا تملك^{١٩} لي فيه امتعاضاً . ولكن أعوز^{٢٠} الصبر . وأعجز احتمال^{٢١}
الضر . فاسترحت^{٢٢} استراحة واجد^{٢٣} كاظم ، وتعللت^{٢٤} بالشكوى إلى متوجع^{٢٥}
واجم^{٢٦} ، على ما قيل :

١ د ط س : اعتداء .

٢ ط س د : وفي فصل من أخرى .

٣ ب م : ويمنى به .

٤ ط س : بالفل .

٥ د ط س : أشد .

٦ واجم : الذي اسكته المم وعلمته الكآبة .

ولا بدّ من شكوى إلى ذي حفيظة^١ يُواسيك أو يسليك أو يتوجّع^٢ واشتمل كتابك الكريم^٣ على^٤ ما استحييت منه ، وغضضت طرفي عنه ، وأوهمني أن [٧٠ أ] شكواي أثارتته ، وربما انحفرت فيما الحال بذاتها معربة^٥ عن التّعذر^٦ ، فأنظير الأمر إناه^٧ ، وأجره على مجراه ، وليس إلاّ التفويض إليك ، والتوكّل عليك ، وما عندي أكثر من أن نفسي في يديك ، فلا تكلّني إلى رأيي فأخار ، ولا تخيّرني فليست أحسن أن أختار .

ومن أخرى : أنا في هذا الوقت يحكم الزمان ، نعيم مستودع^٨ الموان ، أضحك لمن شتم ، واعتذر إلى من ظلم ، وأغضى لمن همز ولمز . وأنعمي على من أشار وغمز ، وأتلقى المكروه والأذى ، بطلاقة التقبّل والرضى ، فمثلي إن ابتلي صبر ، وإن أودى شكر ، أو أسخطته الأقدار تجمل ، أو حمّل ما لا يستطيع تحمّل^٩ ، فعل من يلبس للأحوال لبوسها ، ولا يحفل بنعيم الأيتام وبوسها .

ووقفت على كتابك فلم أستغرب^{١٠} تجنيك ، ولا أنكرت تعدّيك ، وما عسى أن تكون في جملة من يُعيّر ويكلم^{١١} ، ويسخط ويذم ، وأنت إذا خلصت من هذا الباب لم تتخلص^{١٢} للحجى ، وكنت كجزء لا يتجزأ .

١ ورد دون نسبة في فصل المقال : ٣٩٩ وفيه « أو يتوجّع » .

٢ ط د س : واشتمل كتابي على . . .

٣ ط د س : معربة بذاتها على الهمد .

٤ ط د س : واغض .

٥ ط د س : وحمل . . . فحمل .

٦ ط س : تمير وتكلم ؛ د : تفيّر ؛ ب م : تمدد وتكلم ، ولعل الصواب : تمدد وتكلم .

٧ ب م : يتحصّل .

هات يا سيدي عَتَبَكَ وعَتَابَكَ . واشحذ^١ للملام شفارك وحرابك ،
تجدني لاحتمالك عَوْدًا بجنيبه جَلَب^٢ ، وعليه من قراع الدهر نُدَب ؛
على أني ما خلت أن الخطوب تبلغ بي رتبة مَن تَعْتَد^٣ أنت عليه ذنباً ،
ويسمع من مثلك عَتَباً . ولكنها الأيام تأتي بغرائب ، وتلد ما لا يُحْتَسَبُ
من العجائب ؛ وقد - وحياتك - جاشت هنا خواطري بالذم ، وهمت
نفسي بأن تفارق عاداتها عن الكظم . لولا بقية بقيت من الخجل ؛
ذكرتني بالتمالك . وعرفتني مذهبي في التماسك . فأمسكت عليك
احتساباً ، ورجوت على حمل جفاء مثلك ثواباً . وأضربت عن أن
أتكلف لك في شيء مما ذكرته [جواباً] ، لإكراماً لنفسي عن مجاوبتك .
وتنزيهاً لها عن مساواتك^٤ ومماثلتك .

وله فصل من أخرى : كيف أكتب أو أعبر ، وبأي ذهن أخبر^٥
وأستخير ، ومالي والله يد تجري بقلم . ولا خاطر يهتدي إلى كلام ،
وإن نفسي من التبلد^٦ والكهامة والأين ، بحيث لا تخلص معنى ولا تجمع
بين حرفين ، وما حال مَن كلما هم بشيء باعده الدهر منه ، وطردته
الليالي عنه^٧ . وكلما قرع باب مطلب عارضه من الحرمان رد ، أو ذهب

١ من قول الراجز : اصبر من عود بدفيه (أو بجنيبه) جلب ، وله قصة في الامثال ، الميداني ١ :

٢٧٦ - ٢٧٧ وفصل المقال : ٩٨ ؛ والمود : الجمل المسن ؛ والجلب : آثار الدهر .

٢ ب م : تعدد ؛ د : يعتد . ٣ ط س د : وتسمع . . . مثله .

٤ د ط س : المعجل ؛ ب م : الفعل (اقرأ : الفصل) .

٥ ط د س : مناواتك . ٦ م : التهلك .

٧ ناظر الى قول المتنبي :

اهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد

٨ ط د س : مطلب .

به^١ مذهب سعي قطع به من النحوس سدّ ، حتى لو عرض له عند الظلما
شرب ، لغيض وحمته من الخطوب خطب ، فاليأس قاطع أسباب الطلاب ،
ومغلق من النجيع جميع الأبواب ، ولكنها النفس ما بقيت لها حُشاشة^٢
فهي تشفّ إلى طمع ، وتنهض على ظالم ، وتجهّد ألا تقصّر [٧٠ ب]
إلى أن^٣ تموت فتعذر .

وفي فصل من أخرى : ليت شعري متى أفتتح بالرّضى ، وهل أكتب
وقتا من الدهر ولا أنشكتي ، فإني أحمد الله على حياة أقطعها في شدائد
لا تنشي ، وسكرات غم لا تنجلي ، ونكد أخلاق لا يشوبه ابتهاج ،
وضيق أحوال لا يتخلّسها انفراج ، ولئن كان باقي العمر كماضيه ، وعوائد
العيش كبواديه ، فالحمام أعذب مؤرّداً ، والوفاة أحسن مشهداً ،
فليس [بعد] هذا العذاب ما هو أشدّ ، فلكل شيء مدى ينتهي إليه وحدّ ،
فسبحان من جعل الدنيا دار كرب ومحنة ، لكل ذي لب وفطنة ، ومقام
تنعم وترّف ، لكل ذي خيصة ونطف^٤ ، وسبحان من ابتلى فيها ذوي
الفضل والنهي بكل قعيط^٥ ، بنفسه ويستشرف من سماء المجد ، ويلتف
في جعسيه ويستقدر عنبر^٦ الهند .

وفي فصل من أخرى : كتابي وقد لقيت من التعذّر في الدنيا ما صحّح
منها اليأس ، وأراح من وسواس الترجي للنفس ، وأغواني برفض المطالب ،
بما أفادني من التجارب ، وقد خلعت عني ذلّ الطمع ، ولبست عزّ التوكل ،

١ به : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : إلا أن .

٣ النطف : العيب أو الفساد ؛ ط س د : لطف .

٤ د ط س : يحط ؛ ب م : قحط ؛ والقعيط : الدليل .

٥ د ط س : عيب .

وسلّمتُ إلى مَنْ له الأمر ، وبَيّدهِ النّفعُ والضّرُّ ، وإليه العطاءُ والمنعُ ،
وأنا في هذا الوقتِ منشِرحُ الصدرِ ، خلوٌّ من الفكرِ ، وسببُ ذلك كلُّ^١
خيرٍ من قبَلِ فلان ، فإنّه لما علم كُربّي ، لم يزل يتلطفُ في صِلتي ،
فله هو إذا بهرج الرجالِ نقدٌ ، وقللَ تحصيلهم في الفضلِ عدّ ، ما
أميزه بالدنيا^٢ ، وأسراه في طُرُقِ العِلْمِ ! وما أعرقّه من أين يؤتى [المجد] .
وكيف يُقْبَتِي الثناءُ والحمد ! ومما أنفَذْتُ اليك^٣ من مخاطباتي تُقفّ على انفرادهِ
بالفضل ، وارتفاعهِ عن المثل .

ووردني كتابُكَ فضاءً سروري أضعافاً ، وردّ شواردَ أنسي^٤
ألاًفاً ، وأمدّ ابتهاجي بأمّداد ، وأرادني من الجدلِ في أخْصَبِ مرّاد ،
ووقفتُ على جملة ما يُحْشِمتُهُ ، ولستُ أعارضُ بشكرٍ لإجمالك ، ولا
أطاولُ بثناءٍ^٥ أفعالِكَ ، لأنّ العجزَ لاحقٌ لي ، والتقصيرَ معصوبٌ بي .
غير أنّ مبدأ^٦ ما أنت بسبيلهِ يقتضي أن تقفَ على منتهاه ، وأول الأمرِ
[فيه] . يخفُزُكَ أن تنتهيَ إلى آخرهِ .

وله فصل في مثله : ما أظنُّ أن لدجى^٧ حالي انبلاجاً . ولا لكربة نفسي
انفراجاً ، ولا إخالُ غَمراتِ الهمّ تنجلي ، ولا مُدَدَ النحوسِ تنقضي .
ومن كانت له من الدنيا حظوةٌ يصطفيها ، ومكانةٌ يَسْتَقِرُّ فيها ، فليس

١ ط د س ذ : وكل .

٢ ط د س : بدنيا .

٣ ب م : إليه .

٤ م : مخاطباتي .

٥ ب م : الأنس . ٦ ط د س : ثناء ؛ ب م : بثنائي .

٧ ب م : بدء .

٨ ط د س : الداجي .

لي منها إلا^١ أن أرى كيف تنقسم رتبها وتتناوب^٢ ، وتتنازع^٣ نعمها وتتجاذب^٤ ، وتغنم^٥ فوائدها وتتناهب^٦ ، حتى كأني جئت على العدد [٧١ أ] زائداً ، ولم أكن عند القسمة شاهداً ، فنُبذتُ بالعراء ، ولم يُشَبَّتِ اسمي في جملة الأسماء ، وما أقولُ هذا قولَ ساخط ، ولا أيأسُ من رحمة الله يأسَ قانط ، ولكن ربما استراح العليلُ في أنة ، واستغاث المتوجع إلى زنة ، وخففَ عن المصدور نفث ، ونفَسَ من وجذِ المكروب^٧ بث^٨ .

ووصلَ كتابُك مؤنساً لإحاشِ النَّوَبِ ، ومسلماً عن حوادث الكرب ، على عادة ما يَردُّ من تلقائك ، ويتجددُ لديَّ من أنبائك ، ووقفتُ على ما أزمعتَ عليه من لقاء الوزير الأجل^٩ ، فهيَّجتَ لي بذكره^{١٠} ، صباية لقياء ، واستطرت^{١١} من أشواقِي إليه وقفاً ، وأيقظت من آمالي فيه هُجْجاً ، وجعلت المني تذهب بي كلَّ مذهب ، وتجري من بروقها بين صادقٍ وخُلْب ، وتخيلَ لي أن المثلَّ بحضرته قد دنا ، والفوزَ برؤيته قد أنسى ، وتناولتني المواجهسُ بذلك حتى كأنَّ ناظري مستنير بمرآه ، وسمعي مُصَغِرٌ إلى نجواه ، فما لبثتُ أن أنشدت :

مَنِيَّ إِن تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا^{١٢}

١ د ط س : وتوزع .

٢ د ط س : وتغنم .

٣ م ب : المستريب . ٤ عن : سقطت من ط د س .

٥ ط د س : من لقاء فلان .

٦ ط د س : بتذكاره .

٧ ط د س : وأطرت .

٨ البيت أرجل من بني الحارث ، المرزوقي : ١٤١٣ وذيل الامالي : ١٠٢

وفي فصل منها ^١ : ما عسى أن أكتبَ وقد أطلتُ في القول حتى أملتُ ،
وأكثرُ من التشكي حتى أضجرتُ ، ولو شئتُ أن أقولَ لما أسعدتُ
نفسُ قد هدمتها ^٢ الهمومُ فما تقدر ، وأحسب [أن] لو أقبل عليَّ من الدنيا
مؤليها ، وأمكنتني الآمالُ ^٣ من نواصيها ، لما اهتزتُ لها اهتزازَ نشاط ،
ولا وليتها ولايةَ اغتباط ، فبؤسا للدهر ما أعنفهُ ^٤ من ماله وأصوله ،
فانظر على أي نفسٍ قدر ، وفي أيِّ هممٍ أثر ، وأيِّ خطرٍ أخمَل .
وأيِّ إباء استنزل ^٥ ، وأيِّ حدٍّ كلَّ وقلل ^٦ .

ومن أخرى : في حالي — أعزك الله — عجبٌ للمتعجب ، كلبا رُمْتُ
وجهةً فأتيتها مِن أَقصَدِ مذهب ، وتناولتها بألطف مَرغب ، حتى تحيل
لي أن أبيتها قد أسمع ، وحميدة السعي فيها قد أنجح ، رجعتُ عنها صفرَ
الوطاب ، وحصلت على رِقراقِ السراب ، وكان المستعجلُ منها أبطأ
وأعصى ، والمستقرَّبُ أبعدَ وأناي ، ويا ليت شعري إلى متى ، وكم أتعدَّبُ
وأشقى ، وهل لهذا التحيرُ ^٧ أمد ، أم زماني كله نكد ؟ !

وفي فصل من أخرى : وأما حالي التي تطلعت إليها فحالُ مَنْ لا يزالُ
يستنجزُ الأيامَ عداتٍ كواذبَ ، ويستسقيها فتمطرُ صواعقَ ومصايب .

وله من أخرى يخبر ما جرى عليه بدولة المقتدر : كتابي وأنا أسايرُ

١ ط د س : من أخرى .

٢ ب م : نفسي تد همرتها ؛ د ط س : همرتها .

٣ د ط س : الأيام . ٤ ط س د : أعقبه .

٥ ط س : اناء استذل ؛ د : اناس .

٦ ط د س : وأي حد قل .

٧ ب م : البحر .

من هذه النكبة^١ غمرة يتناول مداها ويمتد ، وأصابها منها محنة تزيد مع الأيام وتشتد . وزادني قلقاً ما حكاه لي فلان من [٧١ ب] خبير المقتدر في السبب الذي له جُميت ، ومن أجله أقصيت ، وذكر ذنباً كانت مني ، وأقوالاً بلغت^٢ عني ، منها تحصيل حركاته وأخباره ، وتحريف ما كنت أشاهده في مجلسه الكريم من آثاره ، وأراه يذهب في تعدد ذلك ذهاباً دلّ على حَرَدٍ ، وأنبأ عن سوء مُعْتَمَدٍ ، فأزعجني الأمر إزعاجاً يقتضيه تغيير رأي مثله من الأملاك ، الذين هم كالليل في الإدراك^٣ ، وكالقضاء إذا شاءوا في الهلاك ، ولم أجد نفسي قراراً على تغييره ، ولا هدوءاً مع تنكّره ، وقد يجوز أن يكون للمبتغين في السعاية بلاغات محرّقة ، واختلاقات مزخرفة ، تثير بسمعيها حرّجاً ، وتهيج أنفأ ، فمالي حرّمت منه ما هو معلوم دون ملوك العصر ، من سعة الحلم وكثرة الصبر ؟ ولم عدت عنده ما هو موصوف به من كظم الغيظ إذا أحفظ ، وذكر الرضى إذا أغضب ؟ بل كيف حتى خُصِصْتُ وحدي من بين العالم ، بأن يُصغى في جهتي إلى النائم ؟ ! ولو رزقت من تأمله - أيده الله - ما أصغى إلى ذلك الناقل وما أنهاه ، إذ الإفك ما حكاه ، فلم يك من ذوي الأديان فيوثق في نقله ، ولا من ذوي النصائح فيقبل من مثله ، ثم من أعظم الخطوب ما أدرجته في أثنائه ، من تعدد أياديه وآلاته ؛ وتعم ، أولى - أيده الله - وشرف ووجه ، ونبه من خمول ونوه ، ولست لكل ذلك بكاندٍ ، ولا لجميع ما أولاه بجاحدٍ ، ولو جمحت

١ م ب : النكبة .

٢ د ط س : بلغت .

٣ من قول النابغة : فانك كالليل الذي هو مدركي .

٤ ط د س : جرحا وتهيج قرحا .

لَأَقَرَّتْ عَلَيَّ الْمَوَاهِبُ ، وَلَوْ سَكَتُ لَأَثْنْتُ بِأَلَانِهِ الْحَقَائِبُ ^١ ، وَأُحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى
 عَلَى مَا اتَّفَقَ لِي عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْإِعْتِقَادِ فِيَّ ، وَالنَّظَرِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْعَيْنِ إِلَيَّ ،
 [هَذَا] مَعَ فَرَطِ تَحَرُّزِي وَانْقِبَاضِي ، وَتَنَاهِي تَذَلُّلِي وَانْخِفَاضِي ، وَمَا
 جُنِبْتُ عَلَيْهِ مِنْ سَكُونِ الطَّائِرِ ، وَغَضِّ النَّاظِرِ ، وَخَزْنِ اللِّسَانِ ، وَمَهَابَةِ
 السُّلْطَانِ ، فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ لَمْ أَسْتَغْرِبْهُ ، لَمَّا عَلِمْتُ
 مِنْ شِقَائِي فِي جَدِّي ^٢ ، وَسُوءِ أَثَرِ الزَّمَانِ عِنْدِي ، فَقَبِلْتُ مَوْلِدِي أَنْ تَقْسُوَ
 عَلَيَّ قُلُوبُ أَسْتَلِينُهَا وَأَسْتَطْلِفُهَا ، وَتُعْرِضَ عَنِّي جَوَانِبُ أَسْتَمِيلُهَا وَأَسْتَغْطِفُهَا .
 وَمَا زِلْتُ مَذْكَرْتُ أَعْتَدُّ مَظْلُومًا وَاسْتَرْضِي مَتَسَخِّطًا ، وَأُدَارِي مَتَشَطِّطًا ،
 وَاضْطَرُّ إِلَى الْإِقْرَارِ بِأَجْرَامِ ^٣ لَا أَجْنِيهَا ، وَالِاسْتِعْفَاءِ عَنْ ذُنُوبٍ لَا أَدْرِيهَا ،
 وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ ، وَتَصَرَّفَ بِي الدَّهْرُ ، فَلَا بِي لَا أَفَارِقُ عِصْمَةَ وَلَانِهِ ،
 وَلَا أَنْحَرِفُ ^٤ عَنْ تَأْمِيلِهِ وَرَجَائِهِ ، حَتَّى يَهَبَ اللَّهُ لِي مِنْهُ تَأْمَلًا يَسْتَوْضِحُ بِهِ ^٥
 بَرَاءَةَ سَاحَتِي مِمَّا نُسِمِي إِلَيْهِ ، وَسَلَامَةَ جِهَتِي [٧٢ أ] مِمَّا زُورَ لَدَيْهِ ^٦ ،
 فَيَعُودَ بِي إِلَى الْمَعْهُودِ مِنْ رَأْيِهِ الْجَمِيلِ ، وَيُوسِّعَنِي مَا أَوْسَعَ الْكَلِّ مِنْ طَوْلِهِ
 الْجَزِيلِ ، فَلَمْ يَكُنْ قَدَرُ مَا نَمِي إِلَيْهِ لَوْ قَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ يُقْنَعُ ، وَظَهَرَ بِصِحَّتِهِ
 أَمْرٌ لَا يُدْفَعُ ، مِمَّا قَدَحَ فِي رِيَاسَتِهِ ، وَغَضَّ مِنْ نَفَاسَتِهِ ، فَيُؤَيِّسَ مَنْ
 كَرِيمٍ عَطْفَهُ ، أَوْ يَضِيقَ عَنْ تَغْمَدِهِ وَعَظِيمِ صَفْحِهِ . وَأَنَا أَرْغَبُ أَنْ
 تَلْخُصَ مَعَانِي كِتَابِي هَذَا بِفَضْلِكَ وَتَعْرِضَهَا عَلَيْهِ ، وَتَأْخُذَ جُمْلَتَهُ

١ من قول نعيم بن رباح (ديوانه : ٥٩) .

فماجوا فائذوا بالذي انت امله ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب

٢ س : شقي جدي .

٣ ب م : بالاجرام .

٤ س : أتحرف .

٥ د ط س : مشه .

٦ ب م : إليه .

وتفصلها لديه ، وتحلّي ما خشنَ منها بلطفٍ إشارتك ، وتُتِمّ^١ ما نقص منه بحسنٍ عبارتك ، وتتوخّى لذلك وقتَ نشاطه ، وساعةَ انبساطه ، فعسى أن تصادفَ به إصغاءً يثنّي عن النبوة ، ويُلينُ جانباً من القسوة ، ويُذهِبُ بعضَ ما يجده ، ويصرفُهُ عن هذا الاعتقادِ الذي يعتقده .

وله من أخرى يشرح أيضاً ويذكر خبره مع المقتدر : تَطْلُعُ عليكم مع^٢ هذا الكتاب طوامٌ مُعْضِلَةٌ ، وعجائبٌ مُذهِلَةٌ ، ينسبك بعضها بعضاً ، وتُفَنِّسي^٣ وأنت لا تدري أنا مِلَكَ عَصاً ، وكأني بك كلما نشرت منه سطرأ ، وطالعت فيه أمراً ، تتصبب عرقاً ، وتذوبُ فرقاً ، وتغشاك سكرةٌ على سكرة ، ولا تخرجُ من غمرةٍ إلّا إلى غمرة ، وأوها : أنه يخاطبك فيه مَنْ كان ميتاً ولم يكذبْ يُبْعَثْ حياً ، وَمَنْ هَلَكَ هُلِكَ عادٍ ، وليس على ثقةٍ من معاد ، فيجبُ أن تقنعَ بما يتفق من وصفٍ ، وتعذرَ الخاطرَ إن لم يسمعْ لك بحرف ، وخذ الآن إليك ، فافتح مسمعيك : فارقتنا عند نهوضِ المقتدر بالله بجيوشه واتفق أن كنتُ أحدَ القاعدين ، ولم أُلَفْ في عدادِ الغازين ، ولا في من لقي^٤ من لقيفِ الكتاب ، وأعيانِ الوزراء والأصحاب ، فاشتدَّ حَنَقُهُ على الخوالفِ ، وعمَّ سخطه جميعَ الطوائف ، ونذر إذا قَفَلَ ، أن يصنعَ بهم ويفعل ، وقدّر الله أن غنم ، وفُتِحَ على يديه^٥ وسلم ، ولعلك تطلبُ شرحَ هذه النكتة ، وتَسألُ كيف كانت القصة ، ولئن عجزتُ عن التفصيلِ فاسمعِ الجملة :

١ ط د س : يخلص . . . ويعرضها . . . ويأخذ جملة وتفصيله . . . ويحلي . . . ويتمم .

٢ ط د س : يطلع عليكم من .

٣ ط د س : وتمض .

٤ د ط س : بقي .

٥ ط د س : وفتح عليه .

جلس بعد أيام من صَدَرَه في مجلس الذهب ، وعليه سيما الغضبِ
والرَّهَب ، والناسُ يستعيذون بالله من بوسه ، لما رأوا^١ من فَرَطِ عبوسه ،
ثم قال : أين فلان ؟ فكنتُ للشقوةِ غائباً عن المكان ، فقيل ليس بحاضر ،
فاندفع من فوره وأقسم بالغمُوسِ أن أُعزَلَ عن خدمته ، ولا أبقى في
بَلَدَتِهِ . فاستحوذَ على الكلِّ البَهْتُ ، وملكَ جميعهم السَّكْتُ ،
وحَضَرَتْ أحدَ الوزراءِ بديهةً تراجعَ بها شيءٌ من ذهنه ، فتجاسر بعضُ
التجاسر عليه وذكره بالكظم ، واسترجعه إلى سجيته من الحلم ، فضجر
أشنع من الأولى ، وشدَّ اليمين [٧٢ ب] بأخرى ، فانقطعت أسبابُ
الرَّجاء ، ولم تكن حيلةٌ في القضاء . وسَبَقَ إليّ ذلك النبأُ الفظيعِ . ثم
تلاه الأمرُ الشنيع ، فتوهمُ — جعلني الله [فداك] — صورتي إن صحَّ لك
تَوَهُمٌ ، وتخيَّلْ حالي إن بقي لك تخيُّلٌ ؛ وأذكرُ لك ما بقي في ذكري
وثبت في ذهني ، وسقطتُ مغشياً عليّ . وعابنتُ الموتَ جاداً إليّ ،
وشاهدتُ نفسي وهي تخرج ، ورأيتُ روحي وهي تَعْرُجُ^٢ ، وبقيتُ
لا أَقْلَقُلُ ولا أزعج ، كالمستضعف أحاطتْ به غلبةٌ . ولم تُسْمَعْ له
طلبةٌ ، ويا لك من مقتدرِ شمعةِ العزةِ بأنفه ، ولم يثنِ الجبروتُ من عِطْفِهِ ،
وقد فارقتُهُ الرأفةُ ، وتمكنتُ منه القسوةُ ، واللَّجاجُ يغريه بازعاجي ،
ولا يشفيه شيءٌ غيرُ إخراجي ، لعلمه أن ليس له عندي إنعام ، يمكنني
معه خروجٌ أو مُقامٌ ، ثم خرجتُ مع هذا كله على رغمي إلى شَتَمَريَّةٍ ،
وهي القبرُ إلا أنها من قبورِ النِّقْمَةِ لا من قبورِ الرَّحْمَةِ ، وأنا الآن فيه

١ د ط س : رآه .

٢ د ط س : وهو يعرج .

٣ د ط س : يشفى بشيء .

أَتَعَذَّبُ بِغَمَّتِهِ ، وَأَتَقَلَّبُ فِي ظَلَمَتِهِ ، وَتُعَرَّضُ عَلَيَّ أَعْمَالِي ، وَلَا أُدْرِي
إِلَى حَيْثُ يَكُونُ مَالِي .

هَذَا يَا سَيِّدِي بَعْضُ مَا تَحْصَلُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ
الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ ، فَرَقَّ الْآنَ لِأَخِيكَ رِقَّةً رَاحِمَ ، وَابَكَ عَلَيْهِ بِدَمْعٍ
هَامٍ وَسَاجِمٍ^١ . وَتَقَطَّعَ لِشَفَاقًا ، وَاسْتَشْعَرَ انْطِبَاقًا ، وَالْبَسَ عَلَيْهِ أَغْبَرَ
إِنْ لَمْ تَلْبَسْ حِدَادًا ، وَأَلْقَى لِلْعَزَامِ عَنْهُ وَسَادًا ، وَاعْجَبَ لَطُولِ تَلَاعُوبِ
الْأَيَّامِ بِي ، وَتَلَوَّهَا [وَتَلَوَّهَا] فِي تَرْكِي مَطْرَحًا بِمَنْزِلَةِ ضِيَاعٍ ، وَوَضَعِي
غَرَضًا لَتَحْكَمَ جِهَالِ وَرِعَاعٍ ، أَجْرَعُ مِنَ الْهَوْنِ مَا أَجْرَعُهُ ، وَأَقَابِلُ
مِنْ الضَّمِيمِ مَا لَا أَدْفَعُهُ ، وَأَسَاءُ دَهْرِي كُلَّهُ وَأُكْرَبُ ، وَأَجْرُ كُلِّ
حِينَ بِأَيْدِي الْاهْتِضَامِ وَأُسْحَبُ ، وَلَا أَعْدَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَنْ يَتَجَنَّى ،
وَيَعْدُدُ ذُنُوبًا لَا تُدْرَى^٢ ، وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا كَفُّ الْأَذَى مِنْ لِسَانِي ، وَمَسَالِمَةُ
الْوَرَى فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَحَاسِنُ الَّتِي تَعْجُزُ عَنْهَا ذُنُوبِي
الَّتِي أَجْفَى لَهَا ، فَكَيْفَ أَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . وَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ عَنْهَا ؟ وَمَا
زِلْتُ أَجْهَدُ — عَلَى عِلْمِكَ — أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِنْفِصَالُ عَنْهُ اخْتِيَارًا ،
فَأُبَيِّ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اضْطِرَارًا ، وَطَمَعْتُ أَنْ أَسْتَفِيدَ فِي تِلْكَ الصَّحْبَةِ مَا
يُعِينُنِي عَلَى نِيَّتِي ، وَيُرِيشُ جَنَاحِي لِلنَّهْوِضِ إِلَى طِيَّتِي ، فَمَا حَصَلَتْ
مِنْهَا إِلَّا عَلَى قَبِيحٍ عَزَائِمِي .

قَالَ ابْنُ بِسَامٍ : وَهَذَا الْفَصْلُ مَحْلُولٌ^٣ مِنْ قَوْلِ^٤ الْبَحْثَرِيِّ حَيْثُ يَقُولُ^٥ :

[٧٣ أ] .

١ ط د س : بِدَمْعَةٍ سَاجِمٍ ؛ ب م : بِدَمْعَةٍ غَامٍ وَسَاجِمٍ .

٢ س ط د : وَيَعْدُ . . . تَدْرَأُ (تَدْرَأُ) .

٣ ط س د : نَظْمٌ .

٤ دِيَوَانُ الْبَحْثَرِيِّ : ٩٥٤ .

إذا محاسنيّ السلاني أدلُّ بها كانت ذنوباً فقلُّ لي كيف أعتذرُ

ومجلسُ الذهب الذي وصفَ أبو المطرف مجلساً في دار السرور ،
أحد قصورِ المقتدر بن هود بسرقسطة ، وفيه يقولُ ذو الوزارتين ابن
غندشلب^١ يهجو الوزيرَ ابنَ أحمد : وكان ينبزُ بتحتون^٢ :

ضجَّ من تحتونَ بيتُ الذهبِ ودعا مما بسه واحربي
ربُّ طهرني فقصد دنسني عارُ تحتونَ المثوفِ الذنْبِ

وله من أخرى يصف ضيقَ المكانِ الذي أخرج إليه : فرَّقُ ما بينَ
المكانِ الذي وردتُ عليه ، وبين القبرِ الذي مآل الإنسان إليه ، [أن]
المقيمَ به والساكنَ فيه يُدْفَنُ حياً ، ولا يعلمُ من نورِ الدنيا شيئاً ، وأنا
منذ احتلاله أفرغُ من حجّام سابط^٣ ، أركلُ وأضربُ الآباط ، وتارةً
ألعبُ بشطرنج ونرد^٤ ، وتارةً أطلعُ أخبارَ بشرٍ وهند^٥ ، وأخرى
أيضاً : أظلُّ ردائي فوقَ رأسي قاعداً ، أعدّ الحصى جاهداً ، وأرمي بها
صادراً ووارداً ، وكانت راحتي في مخاطبة صديق أجاذبُه^٦ الكلامَ ، وأقطعُ
بمناجاتِهِ الأيام ، ولكن من مِحَنِ الدنيا^٧ ألاَّ أجدَ من يتحمَّلُ لي
كتاباً ، ولقد ظفرتُ بمن توجهَ إلى تلك الناحية فكتبتُ مخففاً عن صدري ،

١ في الاصول : عبدشلب ، وانظر النفح ١ : ٥٣٤ .

٢ النفح : يتحقون ؛ ط د س : يبتحتون .

٣ كان يحجم الجند بنسيئة إذا مروا به ثم يقعد فارغاً بعد ذلك (الميداني ٢ : ٢٢) .

٤ ط د س : بالشطرنج والنرد .

٥ راجع هذه القصة في مقامات البديع ، المقامة البشرية : ٢٥ ؛ والمعنى انه اقبل على كتب

الاسمار والاساطير يقطع بها وقته .

٦ ط س د : أجاريه .

٨ ط س : ولو .

٧ ط د س : الزمان .

وطالعتك أنت والإخوان ببعضٍ أمري ، وانتظرتُ صدرَ ذلك الإنسان ،
بأجوبةٍ تفيدُ بعضَ السُّلوان . فلم يكن منهم إلّا كلُّ جافٍ جلفٍ ١ ،
لم يترّ في دينه المراجعة بحرف ، فساء بذلك ظنّي ، وقرعتُ على ما فعلته
بالندم سنّي ، وتصرّف فكري في أنّ ذلك الرجل كان من معارف الرّجس ،
فاتهمتُ أن الداخلة دخلتُ عليّ منه ، ولولا ذلك لفجأك من العتب ما
يسرّ هيقُ شمسك ، ويصلح من رَوْحِ الله بأسك ، فمجلّ مراجعتي بجليّة
ما عندك من وصولِ الكتب أو غير ذلك ، ولا تزدُ على ما في جوابك ،
فلاني زاهدٌ في قراءة كتابك ، غيرُ نشيط لما يرد منك ومن سواك ٢ ،
ولو راجعتُ عما أكتبُ بالضعف ، عن كلّ سطرٍ بألف .

وله من جواب على كتاب ورد عليه من بعض إخوانه بالعفو عنه :
ورد جوابك الكريم فنفس من كُرْبتي ، وأنّس من وحْشيتي ، وروح
عن قلبي الأسى . ووصل [بين] طرفي والكري ، بما أطلعتني عليّ
من الفرحّة المستمطرة ، والبشرى المنتظرة ، في سكونٍ ضجر المقتدر
[بالله] وغضبتيه ، ونزوليه عن أكثر عتبيهِ وموجديهِ [٧٣ ب]
وامتنانه ٣ بالقبول لإنايتي ، والإصغاء إلى استلطائي واستلاتي ، وما كان
ليقطع عصمة من انقطع إلى علاه ، ولا يؤوب بحسرة الخائب من أمّله
وزجاءه ، ورأيت ما لوحت به من الأشياء الموجبة للجفاء ، على ذلك الإقصاء ،
وانها تواكدت ٤ على مرّ الأيام بأقوالٍ مستبشعة ، وبلاغاتٍ مستشعة ،

١ ب م : جلف جاف .

٢ ب م : سؤالك .

٣ ط د س : واستنابه . . .

٤ د ط س : وإنما تأكدت .

وقد آلم وساء ، وبلغ الباغي في النكاية ما شاء ، ولكن أترى أن الحاكي لها ميمّن يتحلّى^١ بفضل ، أو يرجع إلى دين وعقل ؟ وهل يجوز أن يتسوق بمثلها^٢ إلاّ أوضاع الدنيا ، وسقّاط أتباع أولاد الزنا ؟ وقصاراهم أن يتعرضوا للطخ الأعراض الطاهرة ، ويتمرسوا بيطعن على الفضائل الباهرة ، بكذوب^٣ تُلَفَّقُ ، ومحالات تختلق وتنمّق ، فما أبعد جوازها على العقول ، وأقلّ نفاقها عند ذوي التحصيل ، وأخلى بها من شبهة^٤ أن تنجلي ، ومن ضرّم إحنة أن تنطفي .

ومن أخرى يصف خبر نكته^٥ : ورأيت ما تعلق ببالك من معرفة حالي ومجراها . في حدّها ومنتهاها ، وفي شرح ذلك خطب ثقيل ، وشغب طويل ، جملة : أن الذي كتب على لساني أوسعه ثلباً في قول تقوّله عليّ ، واستخفاف نسبته إليّ ، وعلم الله تعالى براءة ساحتي من ذلك ، ونزاهة نفسي عنه ، لكن الطبائع الخبيثة تقبل سريعا من أجناسها ، ولم تزل تتزيّد وتكثر حتى فار الاناء بما فيه ، وأبرز ما كان ينطوي عليه ويخفيه ، وليس عندي في ذلك أكثر من أن الأقدار تعمل أفعالها ، وتظهر في البشر عيّلها وأفعالها ، والذي يغمّي من ذلك ويهمّي جدّ لا ينفك من عثار ، وحال لا تزال في خمول وإخمال ، وقطع عمري في كد وذلة ، وجهد وقلة ، وتصرف لا ترضى به آلائي ، واتضاع ترفعي

١ ط س : مما يحل .

٢ د ط س : بامثالها .

٣ ط س د : كذوب .

٤ ب م : شبة (صوابها : شبه) .

٥ د ط س : وله من أخرى .

٦ ط س د : ويظهر بالبشر .

عنه أدواتي ، بحيثُ يتقدمُ الجهلُ على النبل . ويستطيلُ ما شاءَ على الفضل ،
وتُنالُ الرُتبُ بالمخارق . وتُعطى الكِوَادُنُ حفظَ السوابق ، ولم أزلُ
أصبرُ من ذلك كله على ما يُشيبُ رأسَ الوليد ، ويُذيبُ الحديد ، ويهدُّ
الرواسيَ هدّاً . ويُحدِّثُ للجِمارِ غيظاً ووجداً ، لئلا يُقالَ مضطربُ
يقلق ، وعجولُ لا يتأتى ولا يرفق . حتى آلت الحالُ إلى هذا المآل ،
وبلغ الكتابُ أجَلَهُ في الانفصال ، فاعجبُ يا سيدي مما يُدفعُ الإنسانُ
إليه من شقاءٍ يقاسيه ، وعناءٍ يعانيه ، وعنِ يغشاها [٧٤ أ] ألواناً ،
ونوبٍ تفرقُ عليه أقراناً ، ومغايظَ تطرفُ الناظرَ بقذاها ، ويعرضُ في
محاري الأنفاس شجاها ، وتقطعُ النفسَ أنفساً ، وتحيل العيشَ أبوساً ،
ويأبى الروح مع ذلك لشقاوته إلا أن يكونَ حافِظاً لحياته ، حتى يتعلَّبَ
بكلِّ ما عدده ، ويتألمَ من جميع ما سرَّدته ؛ فليت شعري : لم هذا ؟
وعلامَ الرغبةُ في الازدياد ، وهذا الحرصُ على التماس ؟ ولو أنَّ الأيامَ
كلَّها في نعيمٍ مُحْتَقِلٍ ، وسرورٍ متصل ، لما كان ذلك إلا بمنزلةٍ ظلِّ
زائلٍ ، ولم يُحلَّ منه بظائلٍ . إن هذا لطموسٌ أضلَّ الأبوابَ فلا تدري
الرشاد ، وأفسدَ الأفكارَ فلا تعلم ما المراد ٢ .

وله من أخرى إلى الوزير أبي الفتح ٣ : ما زلتُ — فسح الله لك أيها
الوزيرُ الأجلُ غايةَ الأمل — منذ سمعتُ فضائلكَ تُذكرُ ، ومناقبكُ
تُنشَرُ ، وسُورَ سِرِّكَ تُنلَى ، ومحاسنَ فعالِكَ تُجلى ، أحنُّ إليك
حينئذٍ كليلٍ ، وأتَشوقُ نحوكَ تشوقَ شَيفٍ ، وأستمنعُ الأيامَ خلَّتكَ ،

١ د ط س : يملب .

٢ ط د س : وانسد الاكوان . . . السداد .

٣ سقطت هذه الرسالة من ط د س .

وأودُّ لو أفادني صِلَتَكَ ، حتى فتحتَ لذلك غَلَقًا ، ونهجتَ له طُرُقًا ،
ومكّنتَ من المعارضِ بالودِّ ، وسببتَ التناجي على البعد ، فكان ما أتيتُه
من ذلك بحسبِ البُغْيَةِ ، وواقعاً موقعَ الأُمْنِيَةِ ، وهكذا فعلُ من
حوي بالسعادة ، وأنشئَ على السيادة ، حتى فرّغَ من المجد ذِراهُ ،
واستولَ من كلِّ فضلٍ على مداه ؛ هنأني الله ما منحني من صفائك ،
وبارك فيما وهبني من إخالِكَ .

وإنَّ كتابك الكريمَ ورد ، وعلمتُ ما وراء افتتاحِكَ المكاتبةَ من
ودِّ صريح ، وميئلٍ صحيح ، وانجذابِ جَدِّبَةٍ لا محالةَ تجانُسٍ في
الخلائِق ، وتشابهٍ بين الطبائع ، ولله ما أفادني الأيامُ بك ، وأكسبته
منك ، ورأيتُ ما أشرّتَ إليه من إجرائِكَ إلى الصلةِ بيني وبين الملكِ الأجلِّ
المنصور — أطال الله بقاءه ، ووصلَ اعتلاءه — ولا بدَّ أن تُسبِّبَ للمواصلةِ
أسباب ، وتفتحَ للمداخلةِ أبواب ، فيتسنى بذلك من تألف النفوسِ
كامنٍ ، ويكون الامتزاجُ ظاهراً كما هو باطن ، وأنا أرغبُ أن تتناولَ
ما بدأتَ من ذلك فتتمِّمه ، ولا تحلَّ من عقد الوصلةِ يَدَكَ أو تحكِّمه .
وقد لقيتُ فلاناً فرأيتُ لعمري فضلاً رائعاً ، ونبلًا بارعاً ، وحلاوةً
تستهوي ، ولطافةً من ذلك السِّرِّ تستملي .

ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة : إذا صحَّ الودُّ ارتفعَ التصنُّعُ^١ فيه ، ولم تُستخدَمِ
الأفلامُ في شيءٍ من معانيه ، ولهذا أضربتُ [٧٤ ب] عن وصفِ الاعتقادِ

١ ط س د : الصنع .

ولم أجِرِ فيه على المؤلفِ المعتاد .

ووصل فلان ، فلا والله ما رأيتُ أبني^١ منه لمجد ، ولا أنطقَ منه بحمد ،
كلما اطمأنَّ به مجلسٌ لا يزال يُنْثني ، والأسماعُ إليه تُصْغِي ، حتى
يجعلَ المحبَّةَ فريضةَ دين ، ويمكنَ للقولِ من الأنفسِ أيَّ تمكين ؛
ثم تفرَّدَ في خلالِ ذلك من رُشدِ الطرائق ، وشرفِ الخلائق ، وعلوِّ الهمم ،
والتطبُّعِ بالكرم ، بما يقضي أن للسيادة فيه أسراراً^٢ ستظهرها الأقدار ،
وينطقُ بها الليلُ والنهار ، والربُّ تعالى يُثِمُّ عليه موادَّ نعمه ، ويوفي به
على مطالعِ هِمَمِهِ .

وله من أخرى : وردني كتابُكَ على حين كانت الأشواقُ تَتَوَكَّفُهُ ،
والأماني تتشَوَّفُهُ ، فأبهجني مطلعُهُ ، ولَطَّفَ مني موقعه ، وأجَلْتُ فيه
ناظري فاجتليتُ لسانَ الودِّ بيوحُ سريرةِ الصِّفاء ، ويُعَرِّبُ بحقيقةِ الوفاء ،
وعاينتُ نجيَّ المقة كيف يساقِ كأسَ المحبَّةِ صرفاً ، ويهزُّ بالطافِ الصلَّةِ
عِطْفاً ، لله هو من كتابٍ أحضرَ وفدَ الأُنسِ عندي ، وجدَّدَ الجَدَلِ
كمهدي ، ورفع للأطرابِ ألويتي ، وعطرَ بطيبِ^٣ الشمائلِ أنديتي ،
وبنفسِي مُهْدِيه ، وخاطرُ تلطَّفَ في معانيه ، وراعِ برائعةِ أغراضه
ومباديه ، وإذ لا تسعُفُ الليالي بتلاقٍ يشفي ، فالتناجي بمثله يُتَعَلَّلُ
ويكفي ؛ لا زالت أسبابُ مواصلتك لي مؤكَّدة ، ورسومُ ملاطفتك عندي
مجدَّدة .

ورأيتُ من ذلك الفاضل سيراً ؛ تنتظرُ درَجُ العلا أن يرتقيها ،

١ س : أنها .

٢ ط د : ان السيادة اسرار .

٣ ط د س : بتلك .

٤ ط د س : سرأ .

وتتشفوُ إليه رتبُ المجدِ أن يعتليها ، وكأني^١ به قد أجنتهُ الأمانى ثمارها ،
وزقتُ إليه السيادةُ أبكارها ، وقاه الله العيونَ : وحققَ فيه الظنونَ ،
فما أنبلَ قدرهُ ، وأكملَ سرّوه !

وله من أخرى : إذا نجم الفضل — [أعزك الله] — من المعادنِ الشريفة ،
في المناصبِ المنيفة ، ثم تحلّى بحليةِ الآداب ، ولم يتكل في العلا على بنية
الأحساب ، فلا غرّو أن يكثرَ خطّابه ، لأن تعلق^٢ أسبابه ، ويُتَنافَسَ
في عِرفانه ، ليُحصَلَ من معارفه وخلاّته ، وأنت — يَبْقِيكَ الله —
ذلك الضاربُ في الشرفِ بأرسخِ عِرق ، الفائتُ في الفضلِ كلَّ ذي
سَبَق ، تُعْزِبُ عن ذلك الأخبارُ السائرة ، ونتمُّ عليك به الأنباءُ العاطرة ،
لا سيّما بأوصافِ فلان ، لعلمه بحرصي على ذلك الأفق لا يزالُ يَهْدِي
إليّ أخباره فيخصُّك بينهم من الحلالِ والمناقب ، وحُسْنِ البَيِّرِ والمذاهب ،
ما قد شوقَ نفسي إليك ، وملاً جوانحي حِرْصاً عليك ، وتمنيتُ لو حُرْتُ
أسبابَ [٧٥ أ] القدرة ، بتنقلي إلى تلك الحضرة ، ولم أتمالك أن خاطبتك
خاطباً صلتك ، ولستُ من الأكفاء ، وراغباً في خلتك ، وإن لم أكن من
النظراء ؛ لا زالتُ تَسْتَخْلِصُ الأنفُسَ شمائلُك ، وتقفُ عليك
المودّاتِ فضائلُك .

وفي فصل من أخرى : قد كنتُ — أعزك الله — متمنياً لهذه الأيّام ،
كما يُتَمَنَّى في المحلِ صوبُ الغمام ، ومنتظراً لظهورِكَ فيها ، كانتظارِ النفسِ
أعذبَ أمانيتها ، ولما أطلعتَ طلائعها السَّعُودُ ، واستمرَّ بك الارتقاءُ

١ ط س د : وكان .

٢ ط د س : لتعلق .

والصُّعُودُ ، قلتُ لنفسي : بشراكِ ، أسعفكِ الدهرُ بمناكِ ، وسركِ في بعضِ أعزَّتكَ وأرضاكِ ، الآنَ آنَ للنحوسِ أنْ تُدِيرَ عنكِ إدبارَ المنهزمِ ، وللنوابِ أنْ تحذرَ منكِ سطوةَ المنتقمِ ؛ وأذني في الاصغاءِ ، إلى ما يطرأ من الأنباءِ ، فلا تنفكُ مُبْهِجَةً الأخبارِ تترى ، ومُثْلِجَةً المسارِ تتناصرُ وتتوالى ، وكلِّما قيلَ قرَعَ من الجاهِ ذِرْوَةٌ ، واستجدَّ من العزِّ كُسُوةٌ ، سرتِ العزَّةُ في خَلَدِي ، وطالتْ على النوبِ يدي ، وحينَ صَحَّ تَمَكُّنُكَ عندي ، انبسطتْ إلى مخاطبتك نفسي ، مذكرةٌ^١ لك في تنويمي وغرسي ، إن صادفتَ من الزمانِ إسعاداً ، وملكْتَ^٢ من إحدى الممالكِ قياداً ، على أنَّكَ ممن لا تُنسيه المعارفُ حالاً^٣ ، ولا يلهيه عن الجميلِ إقبالاً ، ولو استقلَّ بك السريرُ ، ودان لك الخورنقُ والسديرُ ؛ ليأمنُ مسألتي الدهرُ المحيلُ فقد حسبي أحاوله ، أم أيَّ حظٍّ أجزلُ من إقبالك عليَّ أتناوله ؟ كلا والله ، ما أسألُ وقد نلتُ الرضى ، ولا أجري بعد أن بلغتُ المدى ، حَسْبُ يدي وما عَلِقَتْ ، ولتفتنَّ نفسي بما رُزِقْتَ ، فلكلِّ طلابٍ غاية ، وللظفرِ بالمتى راية .

ومن أخرى : أيُّ حمدٍ يفي بمنِّ لك تُسليفُها ابتداءً ، وتُتابعها ولاءً ؛ بلا وجوبٍ يقتضيها ، ودون سببٍ يستدعيها ؟ بعيدٌ عليَّ أنْ تقومَ لذلكِ قدرتي ، أو تبلغه استطاعتي ، وليس عندي إلاَّ بذلُ المهجة فيما وصلَ بك ، وَضَمَّ إليك ، وإرخاصُ النفسِ فيما أدنى إليك ، وأحظى لديك . ووجدتُكَ قد أشرتَ إلى عُدْرٍ أعجلك في الكتاب ، عن العملِ والإسهابِ ،

١ ب م : مدركة .

٢ ط د س : أو تملكْتَ .

٣ ط د س : بحال . ٤ ط د س : التمتع .

ووصلت ذلك بأن حسنت مذهب الاسترسال ، واعتفيت من مؤنة الاحتفال ،
حسبما يوجبهُ تمكّنُ الاتصال .

وله فصل : ووصلت الأبياتُ الرائقة تعبقُ في أنفِ المتنسّم ، وتشيرُ
لعينِ الناظرِ المتوسّم ، وتأملتها فرأيتُ نورَ الحكمة منها يتألق ، وماء الطبع
عليها يتدفق ، وما أنا إلا غفلٌ وسَمْتُهُ وسماً باقياً ، وعاطلٌ طَوَّقْتُهُ
[٧٥ ب] طوقاً باهياً ، وبودّي لو أغرَبْتُ في الشكر ، لإغرابكِ^١ في الشعر ،
واقتردتُ على الجزاء ، اقتداركِ على الإطراء ، حتى أصِلَ إلى سبّكِ ،
وأقضي بعضَ حقكِ ، وإذا كنتُ أفصّر ، ولا أقدير ، فأنت بفضلكِ
تتجاوزُ وتَعْذِر .

وله من رقعة خاطب بها جماعةً من إخوانه^٢ : كتابي هذا من^٣ وادي
الزيتون ، ونحن فيه مُحْتَلُونَ . ببقعة اكتست من السندس الأخضر ،
وتحلت بأنواع الزهر ، وتحايلت بأنهار تتخللها ، وأشجار تظللها ،
تحجب أدواحها الشمس لالتفافها ، وتأذن للنسيم فيميل من أعطافها ،
وما شتم من محاسن تروق وتُعْجِب ، وأطيّار تتجاوب بألحان تلهي
وتطرب ، في مثله يعزّد الزمان كله صبا ، وتجري الحياة على الأمل
والمنى ، وأنا — أبقاكم الله — فيها بحال من طاب غذاؤه ، وحسن
استمراؤه ، وصحا من جنون العقار ، واستراح من مَضَض^٤ الحمار ،
وزايلته وساوسه ، وخلصت من الخباط هواجيسه ، لا أبيت بليلة

١ ط د : أعربت ... إغرابكِ .

٢ انظر نفح الطيب ١ : ٥٣٤ .

٣ ط د س : كتبت من .

٤ ط د س : فضول .

الشَّيْثِ^١ . ولا أقوم^٢ كالذي يتخبطه^٣ الشيطانُ من المسّ ، بل أنا مُملء جفوني نومَ مسرور ، وأنتبه إذا انتبهتُ غيرَ مذعور ، فلتبعد^٤ بعدها الخمر ، ما بقي الدهر . فقد طلقناها ثلاثاً ، وتركتُ الأسبابَ بيني وبينها ريثاً ، والله الحمدُ على أن خلصتُ^٥ من حبالها ، ونجيتُ من غوائلِها ، وسلّيتُ من حيثُ كان يتوقع الكربُ . ولقيتُ المحبوبَ من حيثُ كان يُخشي المَكروهُ والخطب . وأنتم سادتي أخلاء النبيل ، برئتُ منكم كما برىء المسيح من اليهود ، فهنيئاً لكم تنفّسُ أنفاسها ، وتعاطي أكواسيها ، فلستُ أراحمكم عليها بمنكب ، ولا أوافقكم فيها على مذهب ، فاطلبوا لحشها الألمان ، واخلموا فيها العُدَّ والأرسان ، وتعرّوا من ثياب الوقار ، واركبوا رءوسكم في هتلك الأستار ، وموتوا سُكرأ ، ولا تعصوا لشاربها أمراً ، واتخذوا الحسن^٦ في دينها نبيّاً ، واعتقدوه إماماً مرضيّاً ، وقلوا عيشُ الخلاعة عيشُ رقيق ، ولذةُ النفوسِ صَبوحٌ وغَبوقٌ ، فليس لقولكم ردّ . ولا في غير رأيكم رُشد ، ولا أقصى الله إلاّ من تعسّف ، ولا أبعد إلاّ من لام وعسّف .

وكان في بكم — [أبقاكم الله] — إذا قرأتم أحرفي هذه تستذكرون^٧ عليها عهدي ، وتشربون منها كأساً في ودي ، وتقولون : سننثُ في العُقْدِ ، ونصرفه^٨ عن ذلك المعتقّد ، فلا تعتقدوا ذلك ولا تتوهموا أن تكيدوني بكيد ، ولو تأيّدتم عليه^٩ بأشدّ أيّد ، فقد استدفعتُ برَبّ الناس

١ الشَّيْثُ : القلق ؛ ب م : التَّيْسُ ، وموضعها بياض في ط د س

٢ ب م : أبيت . ٣ ط س د : ما خلص .

٤ الحسن بن هاني ، أبو نواس .

٥ ط د س : النّفس . ٦ ط د س : تتذكرون .

٧ ب م : سننث ونصرف . ٨ ط د س : علي .

غامضٍ شرکم ، وتعوذتُ برَبِّ الفلق من [٧٦ أ] نافثٍ عَقَدَكم ^١ ،
والله وليُّ الكفاية بفضلِهِ .

شاركتم يا سادتي — [أعزكم الله] — نعمة ^٢ الله المتجددة قبلي ،
وأعلمتكم بمبلغ سروري وجَدَّلي ، فإن كنتم قد خصمكم منه — جلَّ
وعزَّ — بمثلها عرفتموني [بها] لتساوى في الشكر ، وإن كنتم على الحال التي
تركتكم عليها من البطالة ، والتمادي في الضلالة ، فأعفوني من جوابٍ
بصفتها ، فليست أطلعُ إلى معرفتها ، [وأنتم أولياؤنا إن شاء الله] .

فراجعهُ أبو الفضل بن حسداي برقعة قال في صدرها ^٣ : يا سيدنا الذي
ألزمتنا بامتنانهِ الشكر ، وكبيرنا الذي علَّمتنا ببيانهِ السَّحر ، وعميدنا
الذي عَقَدنا بجرمِهِ والنحل ، ورمانا بدائه وانسل ^٤ ، أبقاك الله لتوبةٍ
تصبح تمرُّها ، ويمين غموس تَبَرُّها ؛ وَرَدَّنا ^٥ — أبقاك الله — كتابك
الذي أُنْفَذَتْهُ من معرَّسِكَ بوادي الزيتون ، ووقفنا على ما لقيت في أوصافهِ
من حُجَّةِ المفتون ، وإعجابك بالنفافِ شجرهِ ودَوَّحاتهِ ، واهتزازك
لطيب ^٦ بواكرهِ وروحهِ ، ومرورك به وهو حوِّ تلاعه ، موردة ^٧ صفاته

١ ط د س : سحرکم .

٢ ط د س : في نعمة .

٣ ط د س : قال فيها ، وانظر هذه الرسالة في نفح الطيب ١ : ٥٣٥ .

٤ ط د س : بالتزاه .

٥ من المثل : رميتي بدائها وانسلت ، انظر فصل المقال : ٩٢ والميداني ١ : ١٩٣ والعسكري

١ : ٣٠٩ .

٦ ب م : وردني .

٧ النفح : بلطيف .

٨ ط د س : موروثة ؛ النفح ؛ مورودة هضابه واجراعه .

وأجزأعته^١ ، وكل^٢ المشارب ما خلاه ذميم^٣ ، وماؤه الدهر خَصِرٌ والمياه
 حميم ، وتلك عادة^٤ تلوثيك^٥ ، وسجية^٦ تحضرُميك^٧ ، وشاكلة^٨ ملايك^٩
 وسأميك^{١٠} ، وأشعر^{١١} الناس عندك من^{١٢} أنت في شعره^{١٣} ، وأحب^{١٤} البلاد
 اليك ما أنت في عقره^{١٥} ، فأين منك بساتين^{١٦} جلق^{١٧} وجناته^{١٨} ، ورياضه^{١٩}
 المونيقة^{٢٠} وخُلجائه^{٢١} ، وقبابه^{٢٢} البيض^{٢٣} في حدائقه^{٢٤} الخضر ، وجوه^{٢٥} العطر^{٢٦}
 في جنبه^{٢٧} النضر ، وما تضمنته^{٢٨} حيطانه^{٢٩} ، وتمجّه^{٣٠} نجاده^{٣١} ، وغيطانه^{٣٢} ، من أمهات^{٣٣}
 الراح التي هجرتها بزعمك^{٣٤} ، ومواد^{٣٥} الشمول^{٣٦} التي طلقته^{٣٧} برغمك^{٣٨} .
 وهيئات^{٣٩} فوالله ما فارقتك^{٤٠} تلك الأجارع^{٤١} والمحاني^{٤٢} ، ولا شاققتك^{٤٣} تلك
 المنازل^{٤٤} والمغاني^{٤٥} ، إلا^{٤٦} تذكر^{٤٧} ألما لدينا من طيب^{٤٨} المعاهد^{٤٩} ، وحينئذ^{٥٠} إلى ما عندنا
 من جميل^{٥١} المشاهد^{٥٢} ، وأين من المشتاق^{٥٣} عنقاء^{٥٤} مغرب^{٥٥} .

وأما ما وصفته^{٥٦} من صحة^{٥٧} استبرائك^{٥٨} ، ونفوذ^{٥٩} غذائك^{٦٠} ، وإفاقتك^{٦١}
 من جنون^{٦٢} العقار^{٦٣} ، واستراحتك^{٦٤} من سُقم^{٦٥} الخمار^{٦٦} ، وخلوص^{٦٧} تلك
 الهواجس^{٦٨} [من اختلاط^{٦٩} الراس^{٧٠} ، فاعلم^{٧١} أن الغي^{٧٢} ما أنت فيه منذ اليوم^{٧٣} ،
 والوسواس^{٧٤} ما سمعت^{٧٥} به أسمع^{٧٦} القوم^{٧٧} ، وقد أدانا^{٧٨} صادق^{٧٩} القياس^{٨٠} ،
 إلى علم^{٨١} سبب^{٨٢} ذلك الوسواس^{٨٣}] فإنك تعرضت^{٨٤} للسموم^{٨٥} غير^{٨٦} ملثم^{٨٧} ، وبرزت^{٨٨}

١ من قول الشاعر :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب منذ هجرت ذميم

٢ من قوله أوردها ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٢٦ .

٣ ب م : عفره .

٤ ب م د ط س : وجناته .

٥ ط س د : وتحتوي عليه نجاده . ٦ ط د س : فارقت .

٧ من قول المتنبي :

أحن إلى أهلي وأهوى أقدامهم وأين من المشتاق عنقاء مغرب

٨ الراس : سقطت من س .

إلى المهجير غير معتم ، فأنت عملس^١ أسفار ، وخيريت^٢ مهاميه وقفار ،
فتخلل الخام^٣ اللجج ، وتقطع الباغم^٤ اللزج ، وتصاعدت أنجرة^٥ البدن
إلى أعلاه ، فقفذ^٦ بذلك المحال الذي أملاه .
وقد بلغنا أنك نفضت مكان^٧ الشغري الأعلى ، وسريت إلى بلاد العدو
في من^٨ سري ، وشهدت الخيل يوم طرادها ، وباشرت الحرب غداة
جلادها ، مختالاً بين الصفين على شقراء^٩ ترددي منك بنسيج^{١٠} وحده ،
ونجي^{١١} [٧٦ ب] بك معتجراً في برده^{١٢} ، فقد كُتِبَ عليك حكم^{١٣}
القتل والقتال ، وعلينا توسيع الجيوب وجر الأذيال^{١٤} ، فهذا هو الرأي الذي
سوّلك أن تدعي التوبة ولا تستدعي الكاس^{١٥} ، وتستدعي النوبة^{١٦} وتستعدي
الناس^{١٧} ، وتري أنك تنسك^{١٨} وتتقراً^{١٩} ، وتنخلع^{٢٠} من المجون وتبرأ ، فالسلام
عليك يا أيها الناسك المتصوّف ، والمتبتل المتقشف ، الذي أقصر لما أبصر ،
وفضّل نور الحقيقة ، على نور الحديقة ، فقطع العلائق ، وهجر الخلائق ؛
فأنت ممن تقول ، ما لا تدركه الأبواب والعقول : أخذتني أنا ، فبقيت^{٢١}

١ العملس : القوي الشديد على السفر ؛ ط س : عباس .

٢ الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة .

٣ ب م : الخام ؛ والخام : نوع من البلغم (مفيد العلوم : ٤١) .

٤ من قول دكين الراجز :

جاءت به معتجراً بـ برده سفواء ترددي بنسيج وحده

والسفواء : الخفيفة الناجية السريعة ؛ وفي الاصول « شقراء » وهي صفة للفرس ؛
والسفواء صفة للبغلة .

٥ من قول عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذيول

٦ ب : التوبة .

٧ وتستعدي الناس : وردت في م وحدها .

٨ تنسك : تنسك .

بلا أنا ، فبوجهيك يستسقى الغمام^١ ، وبركة دعائك تستشفى الآلام ،
فلأنك الرجل الزاهد ، والمرابط المجاهد ، وما تخفى عليك لطائف الزهد
ورقائقه ، ووجوه التسك وطرائقه .

ولكن هات حدثنا حين لم ترض بالراح ألفاً ، وطلقت ألفاً ، ما
سببتك في سبتك لها ، وهي صافية طاهرة ، وغضك منها وهي طيبة
عاطرة ، وكلوحتك في وجهها وهي طليقة ناضرة^٢ ؟ وما لك جواب
غير قول أبي نواس^٣ :

لا تسم المدام إن لمت فيها فتشين اسمها المليح بفيكا
وأما إشارتك في أن نشرتها على ودك ، وتذكر عليها طيب عهدك ،
فلا ولا كرامة ولا نعلم عيّن ، فهي أجل وأكرم من أن نبذلها في
ود من جفاها وقلاها ، ونديرها على حمد من ذمها وهجاها ، وأما قولك^٤ :
« لا يسري فيك غامض شرنا ، ولا يحل عقدك لطيف سحرنا » فلأنك
ترقق عن صبر^٥ ، وتشيع السرى وأنت مصبح ، وتسرع الحسوة وأنت

١ من قول الشاعر :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

٢ ديوان أبي نواس : ٣٠٩ .

٣ ب م : وقولك .

٤ من المثل : أعز صبر ترقق (فصل المقال : ٧٥ ، ٧٦ والميداني ١ : ٢١٥ والمسكري
١ : ١٦) أي يمرض بشيء وهو يريد غيره .

٥ من المثل : إذا سمعت بسرى القين فانه مصبح (فصل المقال : ٣٥ ، ١٠٧ والميداني ١ :
٢٧ والمسكري ١ : ١٢ والجمهرة ٣ : ١٦٨) والقين : الحداد ، ينزل في البادية فيسكت
أياماً فيكسد عليه عمله فيأخذ يومهم الناس أنه سار راحل عنهم وإن لم يرد ذلك ، فاصبح
اتكرار الأمر لا يصدق ، ومصبح : مقيم حتى الصباح .

مُرْتَفِعٍ ، وترى الزَّهْدَ وأنت طالبٌ مُبْتَغٍ ، فاعلمُ أنا سنجمعُ شَرَّنا^١
المبين ، وننظاهرُ عليك أجمعين ، ونجلبُ من الجنِّ كتائبَ وجرائد ،
ونصرفُ من المكرِ خُدَعاً ومكايد ، في بقائك على نُسُكِكَ مستمراً ،
ودوامك على توبتك مصرّاً ، فعسى أن تنعم بالآء وتقرَّ عيناً بنضوج كبذك ،
والتياعِ حشاك ، وتشاهدَ مشارعِ الراحِ ولا ترد ، وتباشرَ مناهلَ المدام
وتنشد :

أرى بعد وِرْدِ الماءِ للقلبِ لوعةً اليك على أنِّي من الماءِ ناقعُ
وإنا لنوقنُ أن هذا الأملَ بعيدٌ لا نبلغه ، ونعيمٌ لذيذٌ^٢ لو نُسوِّغه^٣ ، فما
تزالُ يُحَلُّ أَيْمَانُكَ من نفسك حَنْثٌ ، لا يقاومه سِحْرٌ ولا نَفْثٌ ،
ونعم ، سنأدبك إلى مآدبِ أنسنا ، [ونندبك] إلى محاضرِ هونا ، فما نَمُّ إلا
بك ، ولا نلذُّ إلاً باقترابك^٤ ، وأيَّ شيءٍ ألدَّ وأمتعُ من أن نَتَعَاطَى [٧٧ أ]
الكَرَّاتِ والنُّخَبَ ، ونبعثَ من مكانه الارتياحَ والطربَ ، ونصدَّ الكاسَ
عنك وأنت في مجراها ، ونحلقُ بها عليك وأنت لا تراها^٥ ، ولا تُعَلِّلُ
منها بنسيم ، ولا تنفُحُ لك من رياها بشميم ، حتى إذا دبَّتْ فينا حُمَيَّا
الحر ، وقهرتْنا سَوْرَةُ السُّكْرِ ، تمايلنا عليك مُعَرَّبَيْن ، وتمسحنا بأثوابك
راكعين وساجدين ،

* كما شَبَّرَقَ الولدانُ ثوبَ المقدَّسِ^٦ *

١ ط د س : سحرنا .

٢ ط د س : لدينا .

٣ ب م : تيلغه . . . تسوِّغه .

٤ ط د س : بقربك . ه ط د س : ولا تمكن من أن تراها .

٦ لامرئ القيس ، وصدره : فادركنه يأخذن بالساق والنسا (الديوان : ١٠٤) شبرق

مزق ، المقدس : الراهب الذي يأتي بيت المقدس .

وأما [صفة] حالتنا^١ التي سألت عليها^٢ ، فسنز يدك جنوناً بالحديث عنها :
اعلم^٣ أننا قيئدُ التهاءِ وارتياح ، ورهنُ اغتباقي واصطباح ، تصرّعنا
القهوة ، فتداوى منها بها ، ونتدرعُ النشوة ، فلا نعرى من لهاها ،
فنخرجُ من سكرةٍ إلى سكرة ، ونعبرُ من غمرةٍ في غمرة :

[سدى عده لا يعرف اليوم^٤ باسمه ونعملُ فيه الهوى مرأى ومسمعا]

وكتبنا إليك — [أصلحك الله] — بأناملَ يمتطيها القلمُ فتترعش ،
وتحتويها الكاسُ فتستقلّ وتتعش ؛ أطلعنا عليك من حالنا غائظاً فتلقه
بالكظم ، وأوصلنا إليك من خفّض عيشنا منكراً فادفعه بالصبر والحلم ،
وسردّ فتعلم ، وتلقى خلافَ ما تظنّ وتتوهم ، والله يسمّينا بمقدّميك ،
ويؤنسنا بلقائيك . وينفعنا بصلاحك وبركة دعائك .

وذكرتُ ببعض فصولِ هذه الرسالة^٥ أبياتاً كتب بها ذو الوزارتين
أبو محمد بن هود^٦ إلى الوزير أبي محمد بن عبدون في ترك الشراب ، أولها :

* الخمرُ يا سادتي حرامٌ *

فراجعهُ الوزير أبو محمد بهذه الأبيات :

يا سيداً في حُباهُ رَضَوَى أَسْتَغْفِرُ اللهَ بِلِ شَمَامُ

١ ط د س : حالنا .

٢ ط د س : عنها .

٣ ط د س : فاعلم .

٤ ط د س : نخرج .

٥ د س : النوم ؛ ط : الناس .

٦ ط د س : الرقعة .

٧ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من اللخيرة .

فِي زَمَنِ الْوَرْدِ يَا أَخَاهُ تُجَنِّى وَلَمْ تُذَنْبِ الْمَدَامَ
 إِذَا أَلَمْتَ ذَوْبًا وَجَمْدًا تَنْفَرُ عَنْهَا^١ وَلَا النِّعَامَ
 وَدَارَ دُنْيَا الْوَرَى^٢ عُرُوسُ^٣ مَعْشُوقَةٌ رِيقَهَا الْمَسْدَامَ
 إِنِّي لِأَدْرِى الْوَرَى بِقَوْمٍ أَنْتَ لَهِم سَيِّدِي إِمَامَ
 شَامَتْ يَدُ النِّسْكِ مِنْكَ سَيْفًا لَكِنَّهُ مِثْلُهَا كَهَامَ
 فَعَدُّ إِلَى الضَّرْبِ يَا حَسَامًا عَنْ مِثْلِهِ^٤ يَعْجِزُ الْحَسَامَ

وله من أخرى^٥ : وَصَلَتْ رَقْعَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - تَسْتَدْعِي الْمَوَاسِمَ
 مِنْ تَوَالِي هَذَا الْمَطَرِ الْمَوْحِشِ لِلْأَنْفُسِ اللَّبِيَّةِ ، الْمُضِيقِ لِلصُّدُورِ الرَّحِيمةِ ،
 فَاسْتَغْرَبْتُ فَضْلَكَ فِي تَذَكُّرٍ مِنْ يُنْسَى ، وَصِلَةٍ مِنْ يُجَنِّى ، وَاسْتَدْنَاءِ
 مِنْ يُقْصَى ، وَيَحَقُّ أَنْ يُسْتَغْرَبَ وَفَاءُ الصَّدِيقِ ، فِي زَمَانِ الْغَدْرِ وَالْمَذْوَوقِ^٦ ،
 غَيْرَ أَنْ رَغْبَتَكَ صَادَفْتَنِي وَلِي مِنْ الْكُتُبِ جُلُوسًا تُوْنِسُ فِي الْوَحْدَةِ ،
 وَتَسْلِي مِنَ الْكُرْبَةِ ، وَتَجْلُو صَدَأَ الْخَوَاطِرِ ، وَتَفْتَحُ عَيُونََ الْبَصَائِرِ ،
 وَتَحْلُو لِلْمَجْنُونِ ثَمَارُهَا ، وَيَسْتَمِيعُ نَازِلَ الْمُتَأَمِّلِ^٧ نَوَارُهَا ، ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَغْرَبِ
 فَوَائِدِهَا أَنَّهَا تَسْتَدْنِيكَ إِنْ نَأَيْتَ ، وَتَسْتَغْفِرُكَ إِنْ وَلَيْتَ ، وَأَغْرَبُ مِنْ
 ذَلِكَ [٧٧ ب] أَنَّكَ تَحْمَدُ عَقْبَاهَا ، وَلَا تَتَوَقَّعُ^٨ أَذَاهَا ، وَقَدْ رَضِيتُ

١ ط د س : منها .

٢ ط : ودار دار الدنيا .

٣ ط د س : فعله .

٤ ط د س : ولا يبي المطرف من رقعة قال فيها .

٥ المذوق : الكذب والنفاق .

٦ ط س : التأمل .

٧ ط د س : أنا نحمد ولا نتوقع .

اليومَ بها قَسَمًا^١ ، وإن أفانتني من السرورِ برؤيتك غُمنًا ، ولك أنت .
أحفلُ الشكر ، فيما تَلَطَّفْتَ به من البر ، فاختَرُ إخوانًا يجاروني في الذمِّ .
والمديح ، ويساعدوني على الحسنِ والقبیح . وحسبي أنا منها ما تتداكرون
من عهدي . وتتعاطون^٢ من الأكواسِ والنُخبِ في ودِّي .

وله من أخرى : من الأعاجيب - أعزَّك الله - مكاتبةٌ مجهول لا يُعرَفُ
له اسم ، ومراسلةٌ غُفِّلَ لم يصحَّ له^٣ وسمُّ ، ولكنك أصبحت غريبَ
العليا . وزعيمَ بني الدنيا ، فحسنٌ لنا أن نذهبَ مذهبَ الإغراب ، في
ما نبغيه لديك من الطُّلاب ، ونبدأ بعرضِ الآمال ، من غير أن نتدرِّج
في مدارج الاتصال . ذهاباً في ذلك عن العادة ، مع مَنْ خَرَقَهَا في
السيادة ، حتى جَلَّ في المجد والعلاء ، عن الأشباه والقُرَّانِ ، فينشدُ
فيه وفيّ :

غَرَبْتُ خلائقَهُ وأغربَ آملٌ فيه فأبدعَ مُغْرِبٌ في مُغْرِبٍ*

وله من أخرى : لولا أن التعمَّلَ^٤ في بعضِ الأحوالِ ، ضَرَبُ من
الإِزْرامِ والإِخلالِ . لاحتفلتُ وأطنبتُ . إلّا أنه قد يكونُ في بعضِ
السُرِّ إعلان ، وينبي عن ما في الصحيفة عُنْوان ، وبذلك أكتفي وأحيلك

١ من قول المتنبي :

طلبت لها حِفْلاً ففانت وفاتني وقد رضيتني أو رضيت بها قسماً

٢ ط د س : يذاكرون يتعاطون .

٣ ط د س : يلح عليه .

٤ ط د س : عل .

٥ البيت لأبي تمام ، ديوانه : ١١٢ ، وفيه : فاحسن مغرب .

٦ ط د س : التمتع .

على نفسك النفيسة فهي تتصوره وتخيّله ، ثم تصوّره ببالك وتمثله .
 ووصل كتابك مشتملاً من لطيف صلتك ، وصافي برك وتكرمتك ،
 على ما أشعر النفس اعتزازاً ، وكسا الأعطاف اهتزازاً ، وتلا ذلك من
 ودادك واعتدادك ، وجميل مذهبك واعتقادك ، ما استغرق المنى ،
 وزاد على الأمل فأوفى .

ومن أخرى : لم أزل مذ سمعتُ سُورَ فضلك تتلى ، ومحاسن شمالك
 تُجلى ، وجميل فضلك^١ يُعادُ ويُبدا ، وغريب مجدك يكرّر ويُنشا ،
 أهمُّ بمكاتبتك ، وأتشوقُ إلى مخاطبتك ، وأتمنى أن لو فتح الله^٢ للصلة^٣
 باباً ، ومكّن من الخلّة أسباباً ، وعوارض الاستحياء ، تحولُ بيني وبين
 الابتداء ، حتى جدّد لي فلان^٤ من أوصافك ما لسان الزمان به أنطق ،
 وشواهد^٣ الفضل عليه أصدق ، فلم أتمالك أن حللت عرّى الانقباض
 عني ، وتراميت إلى مفاتحتك بنفسي ، وها أنا ذا قد أتيت إلى مودّتك
 خاطباً ، وفي صلتك راعباً ، على ثقة بأنك — بما يجمعنا من التشاكل
 والتناسب ، في جميع الأمور والمذاهب — تراني كفواً لما خطبت^٤ ، وأهلاً
 لما رغبت . ولا غرو أن أقرن بهذا استنهاضك إلى مشاركتي في الخطب
 [٧٨ أ] الأخطر ، والمهم الأكبر ، دون أن أصِلَ للاخاء حبالاً ،
 وأتدرّج في تهذيب الصفاء حالاً فحالاً ، حتى يتمكن الارتباط ، ويتمهد
 الاغتباط ، ويحسن السؤال والانبساط ، ففضلك يقتضي أن ابتدء

١ ط د س : ذكرك .

٢ ط د س : من الصلة .

٣ م : ومنتدى ؛ والكلمة غير واضحة في ب .

٤ ط س : خاطبت .

بالإدلال ، وأخطى تلك الرُتَبَ إلى الاسترسال ، ليتمَّ ما بيننا في الابتداء ،
ما لم يتمَّ لغيرنا في الانتهاء .

وقد علمت ما دخل الشرق من الاختلال ، واضطراب الأحوال ،
وأن الحزمَ داعٍ إلى التحوُّلِ عنه والانتقال ، وقد تأملتُ أيَّ الجهات أنجى
وأعصد ، وعلى أيِّ الملوك أعتوَّل وأعتمد ، فلم تطبْ إلَّا على تلك الحضرةِ
الرفيعةِ نفسي ، إذ كان يجمعُ الدولتين نظامَ ، ويضمُّ الحاليتين الثَّمامَ ، وكان
المنتقلُ بينهما إنما يتقلَّبُ في ظلال . ويتحوَّلُ من يمينٍ إلى شمال .

وله من أخرى بعد انتقاله : كتابي له من قرطبة ، وقد وردتها بحمد الله
على رحبٍ وسعةٍ ، وأخلدتُ منها إلى سكونٍ ودعةٍ ، وذهبتُ بحمدِ
الله تلك الحيرةُ ، وانجلتْ تلك الغمرةُ ، واستقالَ الجُدُّ من عثاره ،
ولاحَ قَمَرُ السَّعدِ بعد نِيرانِ ، وأعاذَ الله من تلك الأحوالِ العائدةِ
بمساءةِ الأولياء ، الجالبةِ لشماتةِ ٢ الأعداء ، لجمعها بين القليلةِ والذلةِ ،
وخُطَّةِ الخسفِ والعطلةِ ، وأغنى جلَّ جلاله عن تلك الدولة التي حمَلتُنَا
على حالٍ خمولٍ ، وصرفتنا على غيرِ جميلٍ ٣ ، وحصلتُ بالحضرةِ التي
لا يُنفَقُ فيها بالمخارق ، ولا تُعطى الكوادرُ فيها حظوظُ السوابق ،
وهذا هو المعهودُ منه تعالى في أن يُبدِّلَ من الضَّرَّاءِ بالسَّراءِ ، وينقلَ
من الشدَّةِ إلى الرخاءِ ، ومن إعتقادِ الخيرِ غيرِ دائمٍ ، ولم يحسبِ الشرُّ ضربةً
لازم . فقد أراح نفسه من تعبِ السَّاحطِ على القضاء ، والقائِطِ من الفرج
عند الانتهاء .

١ ط د س : كتبت .

٢ ط د س : شماتة .

٣ ب م : حال حمول .

٤ م ب : يبدل ؛ ط س د : بأن يبدل .

وأنت يا سيدي ممن يُسرُّ بما ذكرتهُ ، لأنك الوليُّ الذي لا مَرَضَ
 بودةٍ ، ولا استحالةَ لعهدِهِ ، ولا يوحِشُكَ ما سلف من عَتَبٍ عليك ،
 ومنافرةٍ لك ، وانقباضٍ عنك ، فمن ضنَّ بالخلةِ نافَسَ في الصلةِ ، وقد
 عفا الله عما مضى ، إن حققتَ الآن ما ادَّعيتَ ، ووفيتَ بما منَّيتَ ،
 فإنك عاهدتَ أن تستدركَ من صلةِ المكاتبةِ على تنائي الأقطار ، ما ضيَّعتَ
 منها مع تجاور الديار ، وقد آن لك أن تزورَ كعبةَ الكرم ، وتهاجرَ إلى
 مطمح الآمال [والهمم] ، وأن تلقى ملكاً ليس كالمملوك التي لقيتَ ،
 ولا أحسبك ترى مثلهُ ما بقيتَ ، فبادر نغمُ ، ولا تتأخَّرْ تَنَدَّمَ .

[وله] من أخرى [في مثله] : كتبتُ وقد أدالَ الله من تلك الديارِ
 الموحشةِ بضدِّها ، وأراحَ من [٧٨ ب] مواطنِ الهونِ بفقدِها ، ونقل
 بفضله إلى حيث البرُّ باهر ، والآنعامُ غامر ، والفضلُ في النقصِ آمر ،
 والنبلُ على الجهلِ ظاهر ، نعم : وحيثُ المجدُّ شامخُ البناءِ ، والشرفُ
 عاديُّ الانتماء ، والسلطانُ رائعُ الرِّواءِ ، والملكُ متناهٍ في البهاء ، وحيثُ
 [بحور] الكرمِ زاخرة ، وسماءُ المجدِّ ماطرة ، إلى غيرِ ذلك مما يطول
 عدُّهُ ، ويُعجزُ البيانُ حدُّهُ .

وله من أخرى : أتراكَ ممن^٢ تغيَّر ، وفي جملةِ مَنْ تنكَّر ، فنحتاجُ
 إلى استئلافك ، ونأخذُ في استلطافك ؟ ! أنا أكفيك مؤنةَ الجوابِ ، في
 هذا الباب ، وأخصمُ نفسي عنك ، وأقيمُ الحجَّةَ عليها لك ، فأجعلُ
 عُدْرَكَ في الأشغال^٣ ، ولا أنسبك إلى التغافلِ والإهمال ، وأقول : بعيدٌ

١ ط د س : والسرو .

٢ ط د س : فيمن .

٣ ط د س : الاشتغال .

على الدهر أن يؤثر في ودك ، أو يحلّ رباطاً من عقْدِكَ ، ولكنّي أقول مع هذا : واصلْ فقد أغببتَ ، واعتذرْ بما أذنبت ، وهاتِ يا سيدي أخبارَكَ التي هي أشهى إلى نفسي من عصْرِ الصَّبَا . وأنْدَى على كبدي من نسيم الصَّبَا ، وجدّدْ بك وبها عهدي فقد عفا منه رَسْمٌ ، ولاح عليه للقيدِمْ وسم .

وفي فصل ١ : وعرفني بـمَ تقطعُ دهرَكَ ، وعلى أيّ شيءٍ تنفقُ عمرَكَ ، ونُصِّ على ما تجدهُ : عندك من العجائب ، واستفدته بعدي من الغرائب ، ولا تكتمني شيئاً وابسطه كله بسَطَ المُسْتَهْبِ ، واشرحْ جميعه شرحَ المستوعب ، تمحُ بذلك إساءةَ الإغباب ، وتزلُ عني دواعي الاكتئاب .

وله من أخرى : وقفتُ على كتابٍ من لديك قد اشتمل على كلِّ برٍّ وحَفَايةٍ ٢ ، وإشفاقٍ [ورثاية] ، وتسليّة تُذهِلُ عن سوء الحال ، وتعدُّ على الأيام بضمان إقبال ، فذهب مُستَوْدَعُهُ بِغَمّة النفس ، وأدال من الوحشة بالأنس ، وغلبَ الرجاء على اليأس ، وظلّت حُشاشةُ الهمة تراجَعُ ، وخفضةُ الأملِ تترافع ، حتى كاد هذا يستقيلُ من عثار ، وتلك تُنثَرُ بعد إقبار . وليس هذا بأولِ انطباقٍ أعمَ فطلعت له من تأنيسك مصابيح ، ولا بأولِ غلَقٍ استبهم فتداركته من الطافيك مفاتيح ، بل هي لبيّضِ أياديكَ شوافع ، ولسوالفِ مشاركتك توالٍ وتوابع .

وله من أخرى : ولو رايتَ فلاناً وادعاءه ، وزَعَمَه أن الله اتخذه

١ وفي الفصل : سقطت من ط د س

٢ ط س د : وحماية

٣ ب م : وحفلة .

صَفِيًّا ، وآتاهُ الحَكَمَ صَبِيًّا ، فَأَفْرَدَهُ بِجِوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَجَمَعَ لَهُ مَا افْتَرَقَ
 فِي الْأُمَمِ ، أَنْ حَصَلَ فِي مَجْلِسِ مَلِكِ أَعْلَاهُ . وَعَقَّدَ بِالْجَهْلِ حَبَاهُ ،
 ثُمَّ قَالَ قَوْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٧٩ أ] وَأَرْضَاهُ : سَلَوْنِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ،
 وَلَنْ تَعْدَمَ مَعَ هَذَا مُطَرِّبًا بِالصَّوَابِ . وَقَائِلًا : هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَقَفْصُلُ
 الْخَطَابِ . فَأَعْجَبَ يَا سَيِّدِي لِأُمَمٍ . ضَحَكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمِ ، وَغَلَطَتْ
 فِي مَا لَا تَغْلُطُ فِيهِ النَّعَمُ ، إِلَى أَنْ نَفَقَتْ عِنْدَهَا الْمَحَالَاتُ وَالْأَهْذَارُ ، وَبَطَلَتْ
 بِسَبَبِهَا الْقِيَسُ وَالْأَقْدَارُ ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ الْأَمَلُ سَقَطَ التَّعَجُّبُ لِأَنَّهُ لِلْقَوْمِ
 مِثْلُ . وَالْحَالِ وَقْتُ وَشَكْلُ :

فَلَمْ تَكُ تَصْلَحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا ١

وَفِي فَصْلِ مِنْ أُخْرَى ٢ : وَرَدَ كِتَابُكَ فَنَوَّرَ مَا كَانَ بِالْإِغْبَابِ دَاجِيًّا ،
 [وَحَسَّنَ عَنْكَ مَشَافَهُا وَمَنَاجِيًّا] . وَاسْتَرَدَّ إِلَى الْخَلَّةِ بِهَاءِهَا . وَأَجْرَى
 فِي صَفْحَةِ الصَّلَاةِ مَاءَهَا . وَعِنْدَ شِدَّةِ الظَّمَاءِ ، يَعْدُبُ الْمَاءُ ، وَبَعْدَ مَشَقَّةِ
 السَّهْرِ ٣ يَطِيبُ الْإِغْفَاءُ ، وَلَا تَعْدُ [بَعْدُ] إِلَى هَذَا فَيَكْفِي مَا يَجْنِيهِ عَلَيْنَا حَادِثُ
 الْبَيْنِ ، حَتَّى يَزِيدَهُ بِقَطْعِ الْأَثَرِ بَعْدَ الْعَيْشِ ٤ . وَرَأَيْتُ مَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الزِّيَارَةِ
 فَسَرَّني سُرُورًا بَعَثَ مِنْ أَطْرَافِي . وَحَسَّنَ لِي دِينَ التَّصَابِي . فَلَمْ أَتَمَّاكْ
 أَنْ اسْتَرَسَلْتُ إِلَى الْمَزَاحِ . وَتَجَلَّيْتُ فِي ٥ يَدِ الْإِرْتِيَاكِ . حَتَّى كَأَنَّمَا أَدَارُ
 عَلَيَّ الْمَدَامَ مُدِيرُهَا . وَجَاوَبَ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتَ زِيرُهَا . وَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تَفْعَلُ ،

١ البيت لأبي العنابية ، ديوانه : ٦١٢ .

٢ انظر القلائد : ١٠٩ والخريدة ٤ : ٣٥٥ .

٣ ب م : السفر .

٤ ب م : والعين .

٥ د ط س : ونخايت من .

ذلك فقد تُحَسِّن في بعض الأوقات الصنيع ، وتَشْعَبُ الشملَ الصديق ،
ولا تسأل عن حالِ استطلعتها فهي شرٌّ ما عهدت : من صبح^١ الاج من
خلال ذؤابتي^٢ ، وتنفسَ في ليلِ لمتي ، فأراني^٣ مصارع [آمالي] ، وكشفَ
لي عن أسودادِ المطالب ، وأياسني من قضاء المآرب ، وعرفني من مبادي
العيش ما زهدت في العواقب .

وله من أخرى : آياتُ مجدك ظاهرة ، وأقبارُ سيوددك باهرة ،
والعيونُ إليها ناظرة ، والهنمُ منها غائرة^٤ ، وَخُطَا الأيام عن نيلها قاصرة ،
وأقدامُ المساعي في مداها عائرة ، ولله عصر^٥ سبب فتح باب مخاطبتك ،
وزمنٌ خلَّع عليَّ حلَّةَ مواصلتك ، ووهبني جميلَ العارفة بك .

وفي فصل [له] من أخرى : ورد كتابك فرفع مغضوض نواظري ،
وحركَ سكونَ خواطري ، وأقام عاثر همتي ، وأعاد عليَّ ذاهبَ مُنتي ،
ولما فضضته وجدته قد تضمَّن من تفضلك وتكرمك ، وعرض من
اهتبالك وتهتمك . ما ينقطع جرِّي^٦ القلم في مدنى شكره ، ويضيقُ
ذرعُ البيان عن توفية نشره^٧ . وما ذكرته من صفاء الود ، والوفاء
بالعهد ، فكلُّ ذلك مصوَّر في نفسي قبل أن تشير إليه . ومحيطٌ به علمي

١ القلائد والخريدة : فهي كاسفة بالي ، كاشفة عن خبالي ، لصبح .

٢ ط د س : ذؤابتي .

٣ القلائد والخريدة : مطالع اعمالي ، واراني . . . الخ .

٤ ط س د : عامرة .

٥ ط د س : ولله سبب فتح .

٦ ط د س : حد .

٧ د ط س : بشره .

من غير أن تنبئه عليه . لأننا كلٌّ تَبَعْتَصَ في جزءين . وجوهرٌ تظاهر في شخصين . فتشتملنا جميعٌ وإن تصدَّعَ . وتشعبنا واحدٌ وإن تنوع .

وفي فصل من أخرى : رأيتُ ما ذكرتهُ من استقرارك في ذلك المحلِّ الرفيع . واغتياليك بذلك الجناح [٧٩ ب] المريع ، عند صاحبِ المظالم ، ونظامِ^١ أشناتِ المكارم ، الذي أعاد آثارَ الفضلِ معالمَ مشهورة . وأخبارَ الكرمِ مشاهدَ محضورة ، أعاد الله مَجْدَهُ من أعينِ العلوية . لا من أعينِ البشرية ، وجعل له خاتمةَ إنعامه ، التراخي في مدّة أيامه . فحسبك إلى ما أجريت . ولا مزيدَ حيثُ انتهيت . فاشددْ على التعلق به يدًا . فلست تلقى بَعْدَهُ أحدًا .

حلٌّ تلك الفقرة المتقدمة من قول المعري حيث يقول^٢ :

أعاذ مَجْدَكَ عَبْدَ اللهِ خالقهُ من أعينِ الشَّهْبِ لا من أعينِ البشرِ

وله من أخرى : إذا أسيتُ^٣ لفراقك فإنَّ في الباكين حولي تسلياً ، أو جزعتُ من رحلتك فإنَّ في المصابين معي تعزياً . فما ارتحلت إلاَّ عن من ودَّعَ بوداعيك دينه وديناه ، وفارقَ بفراقك سروره وتحياته . لإحاطة العلم أن قد استوتْ بمدك الأقدام . وطُمِستْ من العلوم الأعلام . ثم تقضي لي مَرِيَّةً^٤ الاصطفاء والتقريب . بوفورِ الحظ منك والتصيب . فقد كان لي من أخلاقك الكريمة في الاختصاص . ومذاهبك الحميدة في

١ ط د : وناظم .

٢ شرح السقط : ١٥٠ .

٣ ط د س : ان تاسيت .

٤ د ط س : قضية .

الاستخلاص ، ما يحول الآن بيني وبين التماسك ، ويحملُ نفسي على التهالكِ

ومن أخرى : وظننتُ أنني أولُ مخصوص بالمكاتبة^١ ، ومُعتمِدٌ بالمخاطبة ، فإذا أنا المنسيُّ ، وسواي المَرعِيُّ ، وغيري يُعطاه ولا يسأل ، وأنا أطلبها فأصرفُ بالجمية وأخجلُ ، وكلما رأيتها تُفرِّقُ عنيَّ وَيَسْرَةُ ، تقطعتُ نفسي عليها حَسْرَةً ، فلولا العنوانات لادَّعيتُ فيها ، واختطففتها من أكفٍ آخذٍها ، لـحجلي بين من كان يَتَوَهَّمُ أني^٢ مختصٌ بك وأثيرٌ عندك .

وأراني فلانٌ كتابتكِ إليه ، فوَقفتُ عليه ، وفي صدره وصفُ خبرك ، ولعلَّه ما استهداه ، ولا سألَكَ إياه ، وفي عَجْزِهِ حُثُّكَ له ولأشباهه على الرحيل ، فيا ليتني كنتُ في جملة ذلك الرعيل ، وقد تواتر النبأ من بَرٍّ مَنَّ أَيْدَهُ اللهُ لكَ بأشياء تُنْكَرُ إِلَّا من^٣ مثله ، وتستغربُ إِلَّا من فعله ، والله يُبْقِيكَ جمالاً^٤ للدنيا ، ونوراً في فَتْلِكَ العُلَيَا ، ولولاه ما رَجَّتِ الهممُ بَشْراً ، ولا عُرِفَ الكرمُ إِلَّا خَبْراً .

وفي فصل من أخرى* : يا ليت شعري كيف أُنْغِرُ على بعضي ، وأُمنِّحه قطيعتي وبغضي . وما أظن إِلَّا أنك داخل في جملة من يحب فيمتجنئ ،

١ ب م : بالكاتبة .

٢ ط د س : يهتم أنه .

٣ ط د س : إلا على .

٤ ط م هـ : كالا .

هـ انظر الهلالي : ١٠٤ والخريدة : ٤ : ٣٥٧ .

ويعشق فيتجافى ، بدليل أني كلما بسطتك تنقبض ، أو أبرمت منك حبلاً
ينتقبض .

وله من أخرى :

ترحلتُ عنكم^١ لي أُمَامِي نظرة^٢ وعشر^٣ وعشر^٤ نحوكم^٥ مِن ورائيا [٨٠أ]

ولكنها نظرة^٢ من خلال عبّرة ، والتفاتة^٣ إثرَ زفرة^٤ ، والصباية^٥ تفعل
بالنفس أفعالها ، وتشرب^٦ من المدامع أوشالها ، والقلب^٧ من جَزَعٍ يضطرب
ويخفق ، ويطفو في أشواقه^٨ ويغرق^٩ ، وكلما خطّت المطي^{١٠} باعاً ، خفتُ^{١١}
على كبدي انصداعاً ، وما كنتُ ممن يكلف^{١٢} ويشفق^{١٣} ، ولكن من أبصر^{١٤}
ما أبصرتُ بالضرورة^{١٥} يعشق^{١٦} ؛ ويا شوقاه^{١٧} ! ويا حرَّ قلباه^{١٨} ! من لي بالشعب
أن يلتئم^{١٩} ، وبذلك الشمل^{٢٠} أن ينتظم^{٢١} ، كانتظامه^{٢٢} في مشاهد جمعت^{٢٣}
أشبات^{٢٤} الأُس ، واحتفلت^{٢٥} من منى النفس . وتناولت^{٢٦} الراح^{٢٧} من يدِ القمرِ
والشمس ، بين بساتين^{٢٨} نَشَرَت^{٢٩} عليها تُسْتَرُ^{٣٠} ألويتها^{٣١} . وأهدت^{٣٢} إليها
صنعاء^{٣٣} أوشيتها^{٣٤} ، وذوب^{٣٥} اللجين^{٣٦} يطرد من خلالها . وأدواح^{٣٧} الزبرجدِ
تغشاه^{٣٨} بظلالها ، وقيان^{٣٩} الطيرِ راقية^{٤٠} في أغصانها^{٤١} ، متجاوبة^{٤٢} بضروب^{٤٣} ألحانها .
ونحن^{٤٤} نوفي كل^{٤٥} مكان^{٤٦} منها طيباً ، ونشاهد^{٤٧} منظرأ عجيباً ، ولا ندعُ^{٤٨} أن
نعرّس^{٤٩} في كل^{٥٠} معنًى^{٥١} ، وندير^{٥٢} الكاس^{٥٣} على كل^{٥٤} معنى^{٥٥} . ولا مثلَ يومِ

١ د ط س : يكلف ويمشق .

٢ ناظر الى قول المتنبي :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يمشق

٣ س : واختلفت . ٤ د ط س : ارديتها .

٥ ب م : رشيها .

٦ ط د س : بكل .

الدينير وصبوح^١ وصلناه ، والنواقيس^٢ حولنا تضربُ ، ونحن نطوفُ بالصليبِ
وللعب ، وذلك المزنَّر يسقي ونَشْرِبُ^٣ ، ومغنيينا يغني ونَطْرِبُ^٤ ،
وقد عقدوه بزئارِهِ فديتُ الغزالَ ومن زئَرَهُ^٥

وعسى الأيامُ أن تجدّدَ بتلك المعاهدِ عهدي ، فأشفي بنسيمها وجدي ،
وأضع في برْدِ ثراها خدّي ، فقد تلبّنُ في الأحيان منها معاطف ، ويكونُ
لها في الندرةِ عوارف .

وكان غَرَضِي أن أسكّنَ بالمكاتبَةِ من لوعي ، وأتعلّلَ باستهداءِ
الأخبارِ في وحشتي ، لولا ما كنتُ بسبيله من سقم ، لم تتمكنَ يدي معه
من إمساكِ قلم ، وها هنا سرّ تصيخُ إليه ، وتطلّعُ عليه : وَعَيْشِكَ ما
كان جلُّ ما بي إلّا من أجَلِ العين والباء^٥ ، فبرّحَ إن شئت بالخفاء ، واسترّ
إن شئت^٦ على مثلي من الأولياء ؛ لكنّي لما آتست راحةً من شكّاتي ، تطلّعتُ
إلى تناول الحميّة على علاّتي ، وحضرتُ بين يديّ سلافٌ ذكرتني برشفِ
ذلك اللّعس ، ورجسٌ عارضني بطيبٍ^٧ ذلك النّفّس ، فنشطتُ للكتاب
قليلاً ، وسامحَ الدهرُ وإن كان قليلاً ، فهاتِ - جُعِلْتُ فداك - جدّدْ
مينتَكَ عندي ، بوصفِ صوَرِ الأحوالِ بعدي ، وأخبرني عن القمرين
إذا اعتمّا بذلك السّبح ، ولحظا من ذلك الدّعج ، وعارضا في العوارضِ

١ ب م : والصبوح .

٢ ط س : ويشرب ؛ د : ويعطرب .

٣ د ط : ويعطرب . ؛ س : لم يتسن لي .

٤ ب م : الباء والعين .

٥ ط د س : احببت .

٦ ط س : فطيب .

تلك الصوالج [المنمنمة] ، وأبدى من المباسم تلك اللآلي المنظمة ^١ ، ومال
بغصنیهما ^٢ الدلال ^٣ ، وألبسهما حلاهما الجمال ^٤ ، كيف يروعان النفوس
إذا طلعا ، وكيف يفعلان بالقلوب [٨٠ ب] إذا افترقا واجتمعا ، واذهب
في الوصف مع الاسترسال ، ولا تجر إلى العمل ^٥ والاحتفال ، وزدني من
حديثك يا سعد ، وإن زدني جنونا بعد ^٦ ، ولا تقل أنا مقسم البال مشغول ،
وفيما استفهمت عنه كلام ^٧ طويل .

وله من أخرى خاطب بها الوزير أبا محمد بن عبدون من سرقسطة ،
ونقلتها من خط يده ^٨ : نعم قد حُسم ما توقعنا من بين ^٩ ، وصار أمرنا
أثراً بعد عین ، وصرنا عنكم في الطرف الأقصى . وشطت بنا غربة
النوى ، وتساورينا على عارض الفرقة والأسى . « فمتى تقول الدار
تجمعنا » ^{١٠} ؟ وقد نثرنا الأيام فكيف تنظمنا ؟ هذا بعيد ^{١١} والذي بيده
كل شيء يدينه ، ومتعذر وهو جل جلاله يُيسره ويُيسره ، وعلى
ذلك فأنا الآن بحال من بلغ أملاً ، واستساغ جدلاً ، ورضي بعض
الرضى عن دهر صار للشمل جامعاً ، وقد كان اليأس منه واقعاً ، والحمد
لله على نعمة ^{١٢} جددها ، ومنّة أكدها . وهذه جملة موصولة منك ^{١٣} يفصلها

١ ب م : المنمنمة .

٢ د ط س : بغصنیهما .

٣ ط د س : التعمق .

٤ من قول الشاعر :

وحديثي يا سعد عنهم فزدني جنونا فزدني من حديثك يا سعد

٥ د ط س : خاطب بها من سرقسطة بعض اخوانه بالغرب ، ونقلت هذه الرقعة من خط يده .

٦ عجز بيت لعمري بن أبي ربيعة (ديوانه : ٤٣٤) وصدره : اما الرحيل فدون بعد غد .

٧ م ب : منة .

٨ ط د س : إليك .

ويشرحها ، ويجلوها ويوضحها ، فاني كتبتُ على عجل^١ ، وعلى غير مهل ، وفي وقتٍ لم أتمكن من بسطِ المقال ، والجري فيه على عادة الاسترسال ، فلا تجر بهذا ولا تُفَارِض عنه ، وتفرغ للجواب ، وأطيل في الخطاب ، وأشرح كلَّ ما جرى بعدي من خبر ، وتجدد من أثر ، وحدث من عجب ، ووقع من نادر ومُسْتَعْرَب .

وفي فصل من أخرى : وصلت التحفة المرغوبة ، والملاطفة المحبوبة ، فكانت أحلى موقعا ، وأسنى موضعاً ، من التحف ذات القيم ، و [الملاطفات] للعدودة أحلى^٢ القيسم ، وارتاحت إليها النفس ، وحضر بها قبل وقته^٣ الأُنس ، وكادت تتمشّي نحوها الكأس ، وسأجدد^٤ لك بها ذكرى ، وأشربُ بها على ودك^٥ ملائى ، وأديرُها على الصحب ، وأتساوى في قسمتها مع الشرب ، فهذا من حق فضلها ، وبعض ما لك في إهداء مثلها ، لا زلت الملاطفة المكرم ، والمواصل المتهمم .

وله من أخرى^٦ : أوصافك العطرة ، ومكارمك المنتشرة ، تنشط سامعها^٧ من غير توطئة ، في اقتضاء ما عرّض من أمنية ، وللراح — جعلت فداك — من قلبي محل لا تصل إليه سَلْوَة^٨ ، ولا تعترض عليه

١ ب م : معجل .

٢ ط د س : في .

٣ د ط س : وقتها .

٤ هنا وقع خرم في س ضاعت بسببه أوراق .

٥ ب م : عليها بودك .

٦ انظر القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٤ .

٧ د ط ب م : ينشط سماعها .

جَفَوَة ، إِلَّا أَنْ مَعِينَهَا قَدْ جَفَ [وقطينها قد خف] ، فلا توجَدُ لاسبَاء^١ ،
ولو بِحَشَاشَةِ الْحَوْبَاءِ ، فَصَلِّتَنِي مِنْهَا بِمَا يُوَازِي قَدْرِي ، وَيَقُومُ لَهُ
شُكْرِي ، فَإِنْ قَدْرُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تَقْضِيَ حَقَّهُ زَاخِرَاتُ^٢ الْبَحَارِ ، وَلَوْ
[٨١ أ] سَأَلْتُ بِذَوْبِ النَّضَارِ ، لَا بِصَافِيَةِ الْعُقَارِ .

وله من أخرى في الاستدعاء^٣ : يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ قَشِيْبَةً
أَثْوَابُ عِزِّهِ ، مَحْمِيَّةٌ سَاحَاتُ حِرْزِهِ^٤ ، يَوْمُنَا يَوْمٌ تَجْهَمُ مَحِيَّاهُ ،
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَبَرَقَتْ شَمْسُهُ الْغِيُومُ ، وَنَثَرَتْ صَبَاهُ لَوْلَاهُ^٥ الْمَنْظُومُ ،
وَمَلَأَ الْخَافِقِينَ دُخَانُ دَجَنِّهِ ، وَطَبَّقَ بِسَاطَ الْأَرْضِ هَمَلَانُ جَفَنِهِ ،
فَأَعْرَضْنَا عَنْهُ إِلَى مَجْلِسِ وَجْهِهِ كَالصَّبَاحِ الْمُسْتَفِيرِ ، وَجَلْبَابُهُ كَالرِّدَاءِ
الْمَحْبَرِّ ، وَحَلِيَّتُهُ يُشْرِقُ فِي تَرَائِبِهِ ، وَنَدَاهُ يَتَضَوَّعُ مِنْ^٦ جَوَانِبِهِ ،
وَطَلَائِعُ أَنْوَارِهِ تَتَمَرَّمُ^٧ ، وَكَوَاكِبُ أَكْوَاسِهِ^٨ تَزْهَرُ ، وَأَبَارِقُهُ تَرْكَعُ
وَتَسْجُدُ ، وَأَوْتَارُهُ تُنْشِدُ وَتَغْرَدُ ، وَبِدْوَرِهِ تَسْتَحُثُّ أَنْجُمُهَا مَحِيَّةً ،
وَتَقْبَلُ أَمَلُهَا مَفْدِيَّةً ، وَسَائِرُ نَعْمَاتِهَا ، خُذْ وَهَاتَهَا ، وَأَقْصَى أَمَلِنَا ،
وَمُنْتَهَى جَدْلِنَا^٩ ، أَنْ تَحُثَّ خَطَاكَ ، حَتَّى يَلُوحَ سَنَاكَ ، وَنَشْفِي بِمَرَاكَ .

١ سبَاء الخمر : شراؤها .

٢ د : زاخرة ؛ ط : زاجرة .

٣ القلائد : ١٠٨ والخريدة : ٢ : ٣٥٤ .

٤ يَا سَيِّدِي . . . حِرْزِهِ : سقط من د ط وكذلك من القلائد والخريدة .

٥ د ط والقلائد والخريدة : أؤلؤه .

٦ القلائد والخريدة : يعمق في .

٧ القلائد والخريدة : تظهر .

٨ القلائد والخريدة : ايتناه .

٩ ب م : املاها . . . جدلها .

وله من أخرى في مثله^١ : طلع علينا هذا اليوم فكاد يُسْطِرُّ من الغضارةُ
صَحْوُهُ^٢ ، وَيَعْشَى من الإنارةِ جَوْهُ ، ويحيي الرميمَ اعتداله ، وَيُصْبِي
الحليمَ حُسْنُهُ وجماله ، فَلَكَفَتْنَا زهرتُهُ ، ونظمتنا بهجته ، في روضةٍ
خلعتُ عليها السماءُ سَبَائِبَهَا ، ونثرت علينا كواكبها ، ووفدَ عليه
النعمان بشقيقه ، واحتلَّ فيه الهندُ بِخَلْقِهِ ، وبكّرَ إليه بابل برحيقه ،
فالجملُ يُشْخِصُ لحسنه طَرْفَهُ ، والنسيمُ يهزُّ لَأَنفَاسِهِ عِطْفَهُ ،
وتمنينا - أعزك الله - أن يتبلَّجَ صُبْحُكَ من خلال فروجه ، وتحلَّ
شمسك في منازل بُرُوجِهِ ، فإن رأيتَ أن تُطْلِعَ علينا الأُنسَ بطلوعِكَ ،
وتُهديَ الفرحَ بوقوعك ، فلن تعدَمَ نَوْرًا يحكي شمائلك طيباً وبهجةً ،
وراحاً تُخالِ خِلَالَكَ صفاءَ ورقةً ، وألحاناً تُثيرُ أشجانَ الصبِّ ،
وتبعثُ أطرابَ القلب ، وندامى^٣ ترتاحُ لهم الشَّمولُ ، وتتعطَّرُ بأرجهم
القَبُولُ ، ويحسدُ الضحى عليهم الأصيل ، وَيَقْصُرُ بمجالستهم الليل
الطويل .

وله من رقعة^٤ : ورد كتابك مشتملاً على أنفَسِ كلام راقٍ في
نظامه ، وأحسن زهر تطلَّع من كمامِهِ ، فأبهجَ النفسَ برائع البيان ،
وملك الطرفَ بباهرِ الحسنِ والإحسان ، لا عدمتك تهدي^٥ نوادر وفوائد ،
ومعجزاً في مصادرَ وموارد ، ويعلمُ الله استيحاشي من بَعْدِكَ ، وإشفاقي
من فقدك ، ولكنَّ هذه الأيامَ لا تسمحُ بمرغوب ، ولا تجري إلى إثباتِ

١ القلائد : ١٠٩ والخريدة ٢ : ٣٥٦ .

٢ من قول أبي تمام :

مطر يذوب الصحو منه ويعدده صحو يكاد من الغضارة يطر

٣ ط د : وندماناً . ٤ ط د : ومن أخرى .

٥ د ط : مهدي .

محبوب ، وعسى أن تعطف بالثلاثي ، وتسبب الاجتماع والتداني . فننظم ما يدّدت ، وتصلح ما أفسدت ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن كلامه في العتاب [٨١ ب] [وما يجانسه]

فصل^١ له من رقعة^٢ : وردني لك كتاب^٣ لطيف الحجم خيلته للطفه سحابة^٤ ، وتوهّمته من خيفته هباءة^٥ . وفضضته عن أسطير [فيها] سواد ، لم يتحصل لي منها مستفاد . فتعوذت برّب الفلق ، من شرّ ذلك الغسق ، ثم رجعت إليه^٦ المسحة^٧ ، وعدت عليه أنصفحه^٨ . فلم يتخلّص لي منه^٩ محصول . ولا تأتي إليّ فيه معقول ، حتى كأنه سقط مبني . أو على غير شيء مطوي . فبعد [لأي] ما انفك لي في صدره : « قرأت كتابك » لا غير ، وليت سيدنا تفضل وأبان . عن أي الكتب كان . فنعلم بذلك الوقت^{١٠} والأوان^{١١} ، واستحييت — وحياتك — منه لك . ونجّلت عنك ، وبهيت في مغزأك ، ولم يتّجه لي وجه منحاك . وقلت : ما الشأن الذي أراد . وما هذه الألوان^{١٢} ؟ وأين تلك الفطنة الذكيّة . والعبارة الجليّة ؟ وما فعلت تلك البديهة الرائعة . والبلاغة البارعة^{١٣} ؟ وأي شيء غال ذلك الطبع الذي كان يتسحر . وكيف غاض ذلك البحر الذي كان به يزخر ؟

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ط د : ورد كتاب .

٣ م ب : عليه .

٤ ط د : فلم يحصل منه .

٥ د ط : لملم به وبالوقت .

٦ ط د : الأوان .

٧ د ط : الرائقة .

وله من أخرى في مثله ^١ : وكنت عهدتك ^٢ لا تمتنع من مداعبة من يداعبك ، ولا ترتفع ^٣ عن مراجعة من يخاطبك ، فمن أين حدث هذا التعالي ، وما سبب هذا التعالي ^٤ ؟ عرفني — جعلت فداك — وكأني أراك تتوقد في قعدتك ، وتتشاوس في نظرتك ، فما تكلم إلا إن ابتسمت ، ولعلك رأيت الحضرة منذ زمان خالت من قاض فطمعت في خطوة القضاء ، لأنها أشرف خطط السناء ، وجعلت تأخذ نفسك بأهبة ، وترشح لرتبته ، وأنت الآن لا شك تتفقه في الأحكام ، وتطالع شريعة الإسلام ، وهيبك تحليت بهذا السميت ، وتهيأت لهذا الدست ، ما تصنع في قصة السبت ^٥ ؟ دغ عنك هذا التخلق وارجع إلى أخلاقك ، وعد في إطرافك ، واجر مع الزمان إن رشداً فرشداً وإن غيياً فغيياً ، وتجاهل ما قبلك جاهل ، وتحامق مع الحمقى فإنك عاقل ، ولا تمنع لذة الاسترسال ، من أجل القيل والقال ، ولا تتعبد للدينا بخدمتها ^٦ في كل الأحوال ، فما أشبه لإدبارها بالإقبال ، وكثرتها بالإقلال ، إذا فكرت في البدء منها والمآل .

ومن أخرى : لشد ما ألهتكَ الدنيا أبا علي بإقبالها ، وشغلتكَ بأحوالها ، فما تفكر في صلة ، ولا تهتدي بمكاتبة ، أو تراجع عن

١ القلائد : ١٠٨ والخريدة ٢ : ٣٥٣ .

٢ ب م : أدريك .

٣ القلائد والخريدة : تنقبض .

٤ ط د : التعالي . . . التعالي .

٥ ط د : تبسمت ؟ وهو من قول الشاعر :

يفضي حياء ويفضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

٦ ذكر صاحب القلائد انه خاطب بهذه الرسالة ابن حسداي ، فقصة السبت تعني انه كان من قبل يهوديا .

٧ ط د : بخدمتك .

مخاطبة ، ومن أين نجدُ سبيلاً إلى ذلك وزمانك كـله مُقسَّم^١ في أشغال ،
 ومرتب على أحوال ، تنام بالضحي^٢ مُثَقَّلاً من السكر ، وتتململ على
 فراشك إلى الظهر ، حتى يتكرر رسولُ فلان [٨٢ أ] فيوقظك من المنام ،
 ويحركك إلى القيام^٣ ، ثم تركبُ وتجِدُ المائدةَ موضوعةً ، والأيدي
 لإبطائك مرفوعة ، فتدنو من الطعام بكسل ، وأنت شاكٍ من بقايا خُمارٍ
 أو ثملٍ ، وتخدشُ من الخبزِ بظفرك ، وتأكلُ شيئاً لطيفاً على قدرك ، ثم
 تستلقي وتتمدّد ، وتشاءبُ وتتوسّد ، وتستحضرُ جَنَانَكَ فتسألهُ عن
 الجنةِ متى سقاها ، والروضةِ إن كان رَوَّاهَا ، والأزهارِ هل تحفظُ بها
 وجَنَّاها ، وبينما أنت في ذلك يستأذنُ عليك وكيلُك في ضياع الانزالِ ،
 فتأذنُ له في الدخولِ ، ثم تستفهمه متى أقبلَ ، وأي شيءٍ عملَ ، وكم
 جَمَعَ ، وما زَرَعَ ، وتتعَلَّلُ بهذه العُلل والأخبارِ ، حتى تنقضي بقيةُ
 النهارِ ، ثم تنشطُ^٤ لتستدفعَ شربَ الماءِ ، في ودِّ أحدِ الرؤساءِ ، وتقيمُ
 من بعدُ دَسْتِ الأُنسِ ، حتى تعودَ في مثل ذلك الأَمَسِ ، فمتى تتفرغَ
 مع هذا للصديقِ ، وكيف تتمكنُ من قضاءِ حقوقِ ؟! وأيضاً فإن السياسةَ
 تقتضي أن تُعْرِضَ عن ذكرِ مثلي ، وتلعنَ وقتاً وصلتَ به حيلي ، لاسيَّما
 وقد دُهِيتَ من جهتي ، وكادَ السلطانُ يحفوك من أجلِ خلطتي ، أنت
 لعمرِ في أوسَعِ العذرِ ، فاجرٍ مع الدَّهْرِ .

وله من أخرى : ولئن كانتِ الأيامُ تُنْسِيكَ ، فالأمانى تدنيك ، ولئن

١ د ط : مقسوم .

٢ د ط : الضحي .

٣ د ط : للقيام .

٤ ط د : وتخدش الخبز .

٥ د ط : تنشط .

كنتَ محبوباً عن الناظر ، فإنك مصوّرٌ في الخواطر^١ ، أناجيكَ بلسانِ
الضمير ، وأعاطيكَ سُلَافَ السرور ، وأداعبك مداعبةَ الحضور ، وأجاذبكُ
فضولَ اللعب ، وأبلغُ معك إلى حدِّ الطرب ، حتى أسكنَ شوقي إليك ،
وأقضيَ وطري منك ، وأنت في كلِّ حال لا تشعر ، وذاهلٌ لا تذكر ،
ولا تقطعُ زمانك إلاَّ بحظيرةٍ حولك تصنعها ، وخيمةٍ ترفعها ، فإذا تمَّ
لك هذا اللهو ، تداخلك الزهو ، وشمخَ بأنفكِ البأوُ ، وخلتَ أنك متوجُّ
على سرير ، أو ربُّ خورنقٍ وسدير ، فمتى نلتقي على حال ، ويتفقُ
مذهبنا في وصالٍ ؟ ! هذا لعمرى بعيد ، اللهمَّ ان كانَ من الدهرِ حِلْمٌ ،
واكتهال السنِّ نومٌ ، ونجومُ الشيبِ قد طلعتْ من الغدائر ، وعماياتُ
الصبا قد انجلت عن البصائر ، فتذكرَ من الودِّ ما أذكر ، وتفكّرَ في النأي
كما أفكر ، وتحنَّ إلى تلاقٍ ، وتبرّدَ غليلَ اشتياق .

وله فصول من رسائل ، في العناية والوسائل

فصلٌ من رقعة : معرفتك بتقلّب الأيام بذوي الفضل ، وحكمها
[فيهم] بغيرِ السويّةِ والعدل ، تُغني عن عَرَضِ ذلك عليك ، وتقديره
لديك . وفلان ممن عرفتَ حاله في الثروة والمنعة ، ورتبته في الجاهِ
والرفعة ، لكن أساءتَ إليه بَعْدَ الإحسان . وامتحنته [٨٢ ب] بأنواعٍ
من الامتحان ، حتى ذهبتْ بجميعِ وقّره ، واضطرتّه إلى بني دهره ؛
وقصدك مستجيراً من عثرته ، ومثلُك بادر إلى مشاركته ، وحضَّ على
إسلافِ البرِّ إليه ، ورغبَ في وضعِ الصنائع لديه .

١ ط د : الخاطر .

٢ ب م : موضع .

وفي فصلٍ من أخرى : للصنائع — أعزك الله — عوائدُ من الحمد ،
تُطِيلُ بناءَ المجد^١ ، ومثلك انتهى في لإسلافها منتهى الجاهد ، ونافسَ
فيها بالطارفِ والتالد ؛ والأديبُ أبو فلان ممن تزكو لدية ، ويتظاهرُ جمالُها
عليه ، بما له من المحاسن التي تُؤَلَّفُ منشورَ المفاخر ، وتنظمُ أشتاتَ المآثر ،
ثم بالأدب الذي يُسمِّيهِ^٢ بالاجتناء^٣ زهره^٤ . والفهم الذي يتطير عند
الاقتداحِ شرره ، إلى ما يرجعُ إليه من عفة طُعْمَتِهِ ، وعلو همته ،
وتحلُّ بأجملِ المذاهب ، وتنزه عن ذنوبِ المكاسب ، وأنت بيسرٍ وركَ
تري صلةً مثليه ذماماً ، ووضعَ العارفةِ عنده اغتناماً .

وفي فصلٍ من أخرى في مثله : مكاتبتك — أعزك الله — في البرِّ بمن
يَرِدُ^١ ، والمكارمة لمن يطرأ عليك ويفد ، كمن يستمطرُ السحابَ وقد
أخضلته^٢ ، ويستعجلُ الرياحَ وقد استقبلته^٣ ، ولكنها سننٌ وعوائدُ ،
تُفَعِّلُ وإن لم تُستَجَلِّبْ بها زوائد وفوائد ؛ وفلان ممن علِمَتْ فضله^٤
وأصالته ، ويقظته وجزالته ، ولطفه وحلاوته ، وما الظفرُ بقربه إلا
فرصةٌ تُغتَنَمُ ، ولا المشاركةُ لأمثاله إلا فضيلةٌ تُلتَزَمُ ، لأنه بالشكر
رحبُ الذراع ، وفي بسطِ الثناء طویلُ الباع ، وحسبي أن أشيرَ وأنت
تكتفي بالإيماء ، فتوفي في مكارمته على الأملِ والرجاء .

وفي فصلٍ من أخرى : حيث الكلاءُ يُرتَّع ، وأمكنةُ الحصبِ تُنتَجع ،

١ د ط : نطيل فيها الحمد .

٢ ب م : في الاجتناء .

٣ ب م : يرد اليك .

٤ د ط : فريضة .

والنفسُ إلى من أحسنَ إليها أنزع^١ ، والأملُ في من وصلَ أطمع ؛ وقليلٌ كان فلانَ قصداً تلكَ الحضرةَ — دامَ جماها بك — فأوسعتَ مطالبةُ قضاءً ، وكنتَ له قليلاً ورشاً ، حتى انصرفَ بفوائد وفرتها اهتبالُك^٢ ، وأثمرها جاهلُك ومالك . وكلما انتجع بعدها مراعيَ أذكرته السعدان^٣ ، أو ورد مواردُ أصدرته غير ريتان ، ولما أضلَّ الكرمَ رجعَ إلى حيثُ يُهشَّد ، وعادَ من يُعْتَقَد ، والعودُ أحمد ، وأنا أرغبُ أن يكونَ له في فضلك متعاد ، ومن طولِكَ ازدياد .

وفي فصل من أخرى : أعاذَ الله عمادي من المحنِ والنوائب ، ولا أعدمةُ لسداءِ المننِ والمواهب ، فقد عقدَ اللهُ على الخيرِ^٤ سريرتك ، وصحَّحَ في ابتغاءِ الأجرِ بصيرتك ، فما تُدعى إلى حسنةٍ إلاَّ وأنتَ سابقُ إليها ، وموفٍ [٨٣ أ] بِسَعْدِكَ عليها . ومُوصِلُ كتابي رجلٌ من الثغرِ ووجوه الأطراف ، امتحنتهُ الأيامُ في النعم ، أو أنَ الشَّيْخِ^٥ ، والهرم ، وابتلتهُ بذلَّ الأسرِ ، وطولِ الشقاءِ في دارِ الكفر ، وبحسبِ حاله في الثروة ، ومكانه من النجدة ، اشتطَّ عليه ، وأُخِذَ منه في الفداءِ جميعُ ما في يديه ، وارتنَّ أولادهُ في بقايا بَقِيَّتْ عليه ، وأنتَ بفضلِكَ تحملها^٦ في مالك ، ولا يضيقُ عنها حالُك ، حتى تفوزَ وَحْدَكَ بأجرها ، ولا يُسْنَهُمَ لغيرِكَ في دُخْرها ، وتنفردَ بجمالِ الذكر في خبره^٦ ، وتتلافى ما اختلَّ من أمره ،

١ د ط : تنزع .

٢ إشارة إلى المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

٣ د ط : الحسن .

٤ د : الشيب .

٥ د : تتحملها ، ط : لتحملها .

٦ كذا في الأصول ولعل الصواب : « خبره » .

فهو ممن يقوم للمسلمين مقام الأعداد ، في مواطن الجهاد ، ومواقف الجلال ، والله على ذلك مؤيدك ، وهو بمنه مسددك .

وله فصل من أخرى : توهّم الشيخ - أبي ، شاكرك - أن الأدب شيء يشترّف حامله ، ويكسب الجاه ناقله ، فأراد أن يستعين على ما رغب ، وليس عنده أنه مع الخطوب خطب ، ومع الزمان على منتحليه لئلب ، ولا في علمه أن الأيام لا تمكّني من دفع مضرة عن ذراي ، فكيف عن جانب منفعة لسواي ، ولا في حسابه أن من كانت سعوده مولية ، ونحوسه مستعلية ، فبعض خاذليه في النصرة اليد ، وأول مسلميه عند الحاجة العضد ، وقد سمع - أعزك الله - أن لي نصيباً من ودك ، فألح عليّ في قصدك ، لأرغب له وأسأل ، وقد عزمت أن أفعل ، لكن رأيت الرقعة بالسؤال أسمع ، والقلم في الرغبة أفصح وأنجح ، فلذلك جعلت الخطاب عوضاً ، وتركت من القصيد مفتراضاً .

وله من أخرى : غير ذاهب عنك - أيديك الله - ما في جبلة الإنسان ، من الحنين إلى الأوطان ، وأنه لا يفارقها في أكثر الأحيان ، إلا باضطرار ، ولا يخرج عنها إلا غير مختار ، ومهما طال اغترابه ، وكثر في البلاد اضطرابه ، ولها عنه باسعاد من الزمان ، وتسلى بضروب من السلوان ، فلا بدّ للنفوس من اشتياق إليها وتولّع ، ونزوع نحوها وتطلّع ، وقد أشار إلى العلّة في ذلك المتقدّمون والمحدثون ، وأوضحها بعد المولدون^١ ، وعبروا عنها بغير ما عبارة حتى اتضح وضوح النهار معناها ، وانتهت منها الأقوال^٢

١ د ط : بعض المولدين .

٢ د ط : الاقوال منها .

منتهاها ، واستوي في معرفة سرّها وخبرها ، واستغنيَ باشتهارها عن ذكرها ، وإحاطةُ علمك بحالِ الوزير الكاتبِ أبي فلان^١ من بدئِها إلى انتهائِها ، يُغني لك عن ذكرها وإجرائها . ولما دخل إلى بيئتيه التي منها خرّج ، ووَكْنِه [٨٣ ب] الذي منه درَج ، تذكّرَ حالَ أولاده فجدبته إليه جواذِها ، وغلبته على رأيهِ غوايلِها ، ولم يتماسكُ أن حنَّ إلى العودَةِ لمغناه ، فحسنتُ له ما اعتزمه وراه ، ولم أرَ بأساً في تحوُّله من ناحيتك إلى ناحيتي ، فليس بمفارقٍ حَضَرَتِكَ من يتنقلُ إلى جهتي ، ولا يفصلُ من جملتك مَنْ يحصلُ في جملتي ، لأنه لا فَرْقَ بين الحالتين ، ولا تباينَ بين الجهتين .

وفي فصل من أخرى : لئن كان مولاي أعلى الملوك مكاناً ، وأعظمهم شأنًا ، وأكثرهم إنعاماً وامتناناً ، وأعلمهم ببواطنِ السرائر ، وأفطنهم لهواجسِ الخواطر ، وأسبقهم إلى العطاءِ دون أن يُسأل ، وأسمعهم بالمأمولِ قبل أن يؤمّل ، فإن عادةَ العبيد من الموالي أن يستزيدوا وإن غمَرَ إحسانٌ ، وأن يُذكروا وإن لم يكن نسيانٌ ، ليقفَ موقفه المؤمّل ، ويزداد رغبةً في تطوُّله المتطوّل ؛ فإن كنتُ قد وصلتُ من عزّته الرفيعة إلى داري ، وحصلتُ منها^٢ في موضع استقرارٍ ، ونلتُ من تقريبه فوقَ قدرِي ومقداري ، فأنا الآن بمنزلة ضيفٍ وبودّي ألا أكونه ، بل كنتُ أشتهي أن أرى نفسي بمنزلة مَنْ ألقى العصا ، وأمينَ روعةِ النوى ، وخيّمَ مستوطناً ، واتخذَ سكناً وسكناً ، وصار من دنياه في أمل ، وقلبَ الطرفَ بين خيّلٍ وخَوَل ، ولا والله ما يختلجُ ببالي غيرُ ذلك كله ، ولا

١ ط د : بحالة فلان .

٢ ط د : وخلصت منه .

استبطأتُ من طَوَلِ مولاي وفضله ، ولكن ليس للمرء من عمل ، في قوله عز وجل ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء : ٣٧) ولئن تَسَرَّعْتُ وَعَجِلْتُ ، فعلى فضلِ أناهُ مولاي عَجَلْتُ ، وعليه عَوَّلْتُ واتكلتُ^١ ، ولولا ثقتي بالرأي الجميل ، والمعتقَدِ^٢ الكريم النبيل ، لوقفتُ عند قدري ، وما تعدَّيْتُ طَوْرِي : حتى يكونَ هو — أيده الله — السابقَ إلى ما يُعْغِي عن إنشاده :

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ^٣ سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ^٤

* * *

ومِثْلُكَ مَنْ كان الوسيطَ فؤادهُ^٥ فكلامه عني ولم أتكلّمـ

ومن رسائله في التعازي

فصل^٦ له من رقعة^٧ : من أيّ الثنايا — أيديك الله — طَلَعْتُ عليّ النوائب ، وأيّ حمى^٨ رتعتُ فيه المصائب . فواهاً لحشاشة الفضل أرصدها الردى غوائله^٩ ، وبقية^{١٠} الكرم جرّ عليها الدهرُ^{١١} كلاكيته^{١٢} ، وواحسرتا للجنة^{١٣} المواهب كيف سُجِّرَتْ ، ولشمس^{١٤} المعالي كيف كوِّرت^{١٥} ، ويا لهفا على هزيمة^{١٦} الحلم كيف زلزلت ، وحدة^{١٧} الذكاء والفهم كيف [٨٤ أ] فُلِّلَتْ ، فإننا لله [وإنا إليه راجعون] أخذاً بوصاياه ، وتسليماً لأقداره وقضاياه .

١ ط د : فعل فضله عولت وعليه توكلت واتكلت . ٢ ط د : والشهد .

٣ البيتان للمثنوي ، ديوانه : ٤٨١ ، ٤٦٠ ؛ ب م : كلام عنده .

٤ القلائد : ١٠٧ والخريدة ٢ : ٣٥٢ .

٥ م : الردى . ٦ د ط : العلم .

رمدحه ابن خيرون^١ بشعر قال فيه :

لا تكثري^٢ لومَ المحبِّ وما به يكفيه من مضضِ الهوى وعذابه
يقول فيه :

أضحى به فرداً بغير مُشابهه أو قلتُ سحبانٌ فقد أُرَى به أخطأتُ ، ما جاءا بمثل خطابه ما إن يوازي في علوِّ نصابه كنتَ الوحيدَ الفردَ من كتابه ويجودُ للحرِّ الكريمِ بصابه صفواً ، ويخدعُ ذا النهى ^٣ بسرابه زلي فديتَ فلستُ من أترابه	بأبي المطرف روضة الأذب الذي إن قلتُ قس ^٤ فهو أفصحُ منطقاً أو قلتُ صابىءُ دهره أو دَغْفَلُ يا غُرَّةَ الزمنِ البهيمِ وما جـدداً لو أنصفَ الزمنُ الخؤونَ ذوي العلا لكنـهـ يحبو اللثيمَ بأريـهـ يردُ الوضيعُ من البريةِ ماءً هـ خذهُ إليك أبا المطرف واغفرُ
---	--

فأجابه أبو المطرف بشعرٍ قال فيه :

نظمَ العلا فأجاد في إعرابه أهدى إلينا الدرَّ من آدابه فغدا الشroudُ مذللاً لخطابه ومن الوليدُ ومَن أبو خطابه شدتُ أنا مِلَّها على أسبابه يَقْرِي فرى الخطمي حدَّ ذبابه	يا مغرباً في كلِّ معنى سؤددٍ نفسى فداؤك من خليلٍ واضلٍ لله ذاك الطبعُ همَّ بمنطـنـي صواغ أنواع البديع فما الرضي علقتُ يميني منك علقَ مَصْنَعِ وسللتُ منك على الزمانِ مهتدأ
---	---

١ ب م : جبرون .

٢ ط د : لا تكثروا .

٣ م ب : ويجرع ذا البها .

٤ ب : عر ، م : عن ، وسقط البيت من ط د .

وكسوتني من حرّ شعركَ مَلَبَسًا قد كان غيرُ عواتقي أولَى به
فأجبتُ عنه على الرويِّ وربما----- كنتُ المقصّرَ في اعتراضِ جوابه
أسدِلْ عليَّ بسترَ فضلكَ واصلاً فالشعرُ مما لا أطوفُ ببابه-----
وأبو المطرف القائل في غلامٍ وسيم رأى بيده عصفوراً^١ :

يا حاملَ الطائرِ الغريدِ يعشقه----- تهنا العصافيرُ انْ فازتْ بقرباكا
تُمنسي وتُصبحُ مشغولاً بعجمتها^٢ في غفلةٍ عن دم أجرته^٣ عيناكا
إذا رأتكَ تغتُ كُلها طرباً----- حتى كأنَّ طيورَ الجوّ تهواكا
يا ليتني الطيرُ في كفّيك مطعمه^٤ وشُرْبُه حينَ يظما من ثناياكا

وله من رقعةٍ خاطب بها الوزيرَ الكاتب أبا محمد بن عبد البر : لما
أصبحتَ - أعزّكَ الله - في صناعةِ البلاغةِ إماماً ، ولأشتاتِ الفضائلِ
نظاماً ، لم تتَّهَمْ في ودادِ تدعيه ، واعتلاقِ تبتغيه ، مَنْ سَمَتْ به إليك
همم ، أو تقدّمتْ له فيها قدم ، لأنك المنتهى الذي إليه يُسجَرى ،
وتبتغى لديه الزُّلفى ، ويُتوصَلُ به إلى العليا ، وأنا ممن يتشيعُ فيك تشريعاً ،
ويحبُّك طبعاً لا تطبعاً ، وأستنزلُ في الجمعِ بك الأقدار ، وأستخدمُ
في التعلّقِ بأسبابك الليلَ والنهار ، لتأحقه بالعناقِ السوابق ، وتلقي عليه
شعاعك فيشرقُ في المغارب والمشارق . ولما سنّى الأملُ باللقاء ، واتصلتِ
النفسُ بذلك الفضلِ والعلاء ، جاشتْ بالحمدِ الخواطر ، وهاجتْ بأسرارها
الضمائر ، لتستكشف من الثناء ، تحقّقَ النفسِ بالولاء ، وتكونَ على ثقةٍ

١ انظر المغرب ٢ : ٤٤٠ .

٢ المغرب : بصحبته .

٣ المغرب : تجريه ب م : جريته .

٤ د ط : تشيعا .

بالمساحمة والأغضاء ، فاستُ بالشعر آنساً : ولا بمعاناة النظم والنثر متلابساً ، وإنما أنطقني بما قلته الودّ ، وأملّي عليّ ما كتبته المجد .

ثم ختم رقعته هذه بأبيات يقول فيها :

قد كنتُ ذا حنقٍ على الدهر الذي	ما زال يسخطني صباح مسائي
حتى لقيتُ أبا محمد الرضى	فأدالَ ذاك السخطَ بالارضاء
طلقُ الجبين وفيه فضلُ مهابة	يُنْغِضِي لها ذو المقلة الشؤساء
حِلْمٌ لو أن الدهرَ حُمِلَ بَعْضُهُ	لشكّت عواتقه من الإعياء
وإذا تناولتِ الرقاعَ بنائسه	أنستك طرز الوشي في صنعاء
وزرت على ورد الخدود وفوقها	لام العذار على انعطاف الرءاء
تقضي بأن سنا البلاغة لم يلح	من قبلهن لأعين البلغاء
وله إذا شاء النظام غرائبُ	لا تدعيها فطنة الشعراء
برئت من التعقيد في تأليفها	فأتتكَ أملس من زلال الماء
أفرادُ حمدٍ حازها متفردٌ	هي في الورى مقسومةُ الأجزاء
ما كنتُ بالمدح غيرك واصلاً	لو كانت الشعري عليه جزائي [٨٥أ]
ولأنت أوصل من رعى أسبابها	فبني لمهديها سماءَ علاء

فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي^٢

من شعراء الثغر ، كان ، في ذلك العصر^٣ ، وله شعر كثير ، وإحسان

١ د ط : مجد .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٢ والجدوة : ٢٠٩ (وبغية الملتبس رقم : ٧٧٣) ، ومسالك

الابصار ١١ : ٤٤٧ .

٣ ط د : الاوان .

مشهور ، وعلى لفظه ديباجة رابضة ، غير أنه لم يمرّ بي من شعره عند نقلي هذا المجموع إلاّ أبياتٌ سمعتُ القوّالين يتداولونها لعذوبتها وسلاستها ، وتعلّقُ بذيلها حكايةٌ وجدتها في بعض تعاليقِ الفقيه أبي محمد علي بن حُرم الشافعي بخطه عن محمد بن الحسن الملاحجي المعروف بابن الكتاني المتطبّب ؛ قال ابن الكتاني ^١ : شهدت يوماً مجلسَ العلجة بنت شانجه ملك البشكنس ، زوج الطاغية شانجه بن غرسية بن فرذلند — بدّدَ الله شيعتهم — لبعضِ ترددنا ^٢ عن ثغرنا إليه في الفتنة ، وفي المجلس عِدَّةٌ قَيْنَاتٍ مسلمات من اللواتي وهبهنّ له سليمانُ بن الحكم — المتقدم ذكره صدرَ هذا الديوان — أيام إمارته بقرطبة ، فأومأت العلجة إلى جاريةٍ منهنّ فأخذتِ العود وغنّت بهذه الأبيات :

خليليّ ما للريح تأتي كأنّـسا يخالطها عند الهبوب خَلْوَـقُ
أمّ الريحُ جاءت من بلادٍ أحبّتي فأحسبها ريحَ ^٣ الحبيب تسوق
سقى الله أرضاً حلّتها الاغيدُ الذي لتذكّاره بين الضلوع حريقُ
أصار فؤادي فرقتين فعنده فريقُ وعندي للسياقِ فريق

فأحسّنت وجوّدتُ ، وعلى رأس العلجة جارياتٌ من القوامات ^٥ أسيرات كأنهنّ فَلَقاتُ قمر ، فما هو إلا أن سمعت إحداهنّ الشعرَ فأرسلت عينيها [كأنهما] مزادتان ، فَرَفَقْتُ لها وقلتُ : ما أبكاك ؟ قالت : هذا الشعر ^٥ لأبي ، وسمعته فهِيجَ شجوي ، فقلتُ لها : يا أمةَ الله ، ومن أبوك ؟ قالت :

١ ط د : الفقيه أبي محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني قال :

٢ ط د : ترددي . ٣ المغرب : عرف .

٤ المغرب : له بين احشاء الضلوع حريق .

٥ - ط د : من القيمات اسيرة كأنها فَلَقة . . . سمعت الشعر . . . م ب : هذه الأبيات .

سليمان بن مهران السرقسطي ، ولي في هذا الإِسار مُدَّة ، ولم أسمع لأهلي بعدُ خبراً .

قال ابن الكتاني : فما جزعتُ على شيءٍ جزعي عليها يومئذ .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : هكذا وجدت خبر هذه الأبيات بخط الفقيه أبي محمد المذكور ، ولم يخبر [ابن الكتاني] أنه امتنع لفك أسير تلك الجارية هنالك ، ولا وفقه الله لشيءٍ من ذلك ، وكان [٨٥ ب] تركه لها في الأسر ، مع ما أطلعته عليه من الأمر ، مما يوقدُ الضلوعَ ، ويُسكبُ الدموعَ .

وأخبرني أيضاً بهذه الأبيات الفقيه أبو بكر بن العربي قال^١ : أخبرني الحميدي عن الفقيه أبي محمد بن حزم ، قال : أنشدني محمد بن الحسن المذحجي قال : أنشدني الأديب سليمان بن مهران في مجاسٍ الوزير أبي الأصمغ عيسى ابن سعيد وزير المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وأنشد الأربع الأبيات المتقدمة .

وكان محمد بن الكتاني المتطهب^٢ فردَّ أوانه ، وباقةَ زمانه ، منفقاً لسوق قيانهِ ، يعلمهن الكتاب والإعراب ، وغيرَ ذلك من فنونِ الآداب^٣ ،

١ هذه هي الرواية التي ذكرها الحميدي نقلاً عن ابن حزم ، وهي مختلفة اختلافاً كبيراً عن الأولى ؛ وسقطت هذه الرواية من د ط .

٢ قد وردت ترجمة محمد بن الحسن المذحجي الكتاني الطيب في طبقات صاعد : ٨٢ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٥ والصفدي ٢ : ٥٥ وجزوة المقتبس : ٥٥ وهو يرد باسم محمد بن الحسن ومحمد بن الحسين ؛ راجع مقدمة كتاب التشبيهات ؛ واستبعد أن يكون هو نفسه صاحب القيان ، الذي يتحدث عنه ابن بسام بقوله « كثير الترقيع والاستعمال لغروب من الكدوب وزور المقال » .

٣ ب م : العلم .

وكان متحيلاً كثيراً الترييح والاستعمال ، لضروب من الكذوب [وزور
المقال] ، فرما أنشأ عدة رسائل فينحلها القيان ، ويبيعهن بأغلى الأثمان .
وقد ذكرنا في أخبار ابن رزين أنه باع منه قيمة بثلاثة آلاف دينار ، حسبما
حكاه أبو مروان [ابن حيان] .

ولابن الكتاني فصل " من رقعة يصف فيها تعليمه القيان ، يقول فيه :
فأنا منبته الحجارة ، فضلاً عن أهل الفدامة والجهالة ، واعتبر ذلك بأن
في ملكي الآن أربع زوميات كن بالأمس جاهلات ، وهن الآن عالمات
حكيمات منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقاويات أسطرلابيات
معدلات نجوميات نحويات عروضيات أدبيات خطاطيات ^٢ ، تدل على
ذلك لمن جهلن الدواوين الكبار التي ظهرت بخطوطهن في معاني القرآن
وغريبه وغير ذلك من فنونه ، وعلوم العرب من الأنواء والأعاريض
والأنحاء ، وكتب المنطق والهندسة وسائر أنواع الفلسفة ، وهن يتعاطين
إعراب كل ما ينسخنه ويضبطنه فهماً لمعانيه ولكثرة تكرارهن فيه ،
وفي هذا أعظم الشهود أنني واحد عصري ونسيج وحدي ، وأني أفنيت
الزمان تجربة ، والدهر تبصرة ، فاعرف — أعزك الله — قدري ، ووقتي
قسطي ، ولا تطمع أن تظفر بعالم مثلي ، أو متفرغ فضولي شبيهي ، ولو
طفت الآفاق ، وساءلت الرفاق ، ومشيت العراق ، من زقاق إلى زقاق .

وأنشد لابن مهران من شعر كتب به إلى بعض كتّاب الثغر من
جملة أبيات :

-
- ١ م ب : على .
٢ ط د : خطاطات .
٣ ط د : علوم .

لا تَنْسَيْني من سُحْتِكَ المَكْسُوب^١ واجعل نصيبك منه مثل نصيبي
 واذا اغترى بك في القيامة أهله فبمثل ما أوليتني تُغري بي [٨٦أ]
 وهي الذنوب ، وبالغ في لومه أقصى النهاية باخل^٢ بذنوب

قال أبو الحسن [ابن بسام] : وحدثني من أثقه عن الفقيه أبي الحسين^٣
 عبيد الله بن منبه الشنتمري قال : دخل بعض شعراء العصر^٤ على ابن سبت
 الحيش ، وكان جدّ ابن منبه لأمه — وقد تقدم ذكره والخبر عن مقتله
 في أخبار القاضي ابن عباد — فأنشده هذه الأبيات .

وإخبار^٥ ابن منبه بهذه الحكاية عن جده [مادحاً له] ، على ما فيها
 من قبح الاحدوثة وشناعة الذكر ، ليثبت أن ذلك الحائن البائر ، المتعسف
 الجائر ، كان جدّه ، ويُعرب^٦ عن شرفه ، ويدلّ على نباهة سلفه . وشبيهه
 بهذا [الخبر] ما حكى^٧ عن أبي العباس المبرّد أنه صنع هذه الأبيات ليثبت
 نسبه في ثمالة ، [وهي]^٨ :

سألنا عن ثمالة كلّ حيّ فقال القائلون ومن ثمالة^٩
 فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة^{١٠}
 وقال لي المبرّد خلّ عني فقومي معشر فيهم نذالة^{١١}

١ ب م : المَكْسُوب .

٢ د ط : واخبرني الفقيه أبو الحسين .

٣ د ط : بعض الشعراء .

٤ د ط : وتحدث .

٥ د ط : ليحرب .

٦ د ط : يحكى .

٧ انظر ابن خلكان ٤ : ٣١٦ ، ٣٢٠ وديوان الماعاني ١ : ١٧٨ .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلسة الضرير^١

وكان أحد العلماء بالكلام ، وله حظ من النثر والنظام ، ولكنه بالأئمة العلماء ، أشبه منه بالكتاب والشعراء ، وقد مرت بي له أشعار يشير بها إلى البديع ، ويذهب فيها إلى التصنيع ، وقد أوردت منها جملة تليق بالديوان ، وتنبه على موضع قائلها من الاحسان .

فصول^٢ من كلامه في أوصاف شتى

فصل له من رقعة عن إقبال الدولة إلى المعتصم : كتبت — أدام الله إعزازك ، وصان ارتياحك للمحامد واهتزازك — بعد قفول من قفل عنك ، وحلول من صدر بما شرح الصدور من لدنك ، والحال شاملة الصلاح ، فائز القيداح . جارية على الاختيار والاقتراح . ومما ضرح القذاة من شيربي . واستنزع الأداة عن سربي . وزوى روعة روعي ، وروى بماء الثقة^٣ عودي ، حتى رسخت في أرضها أصولي ورفق فروعي ، ما حلاك به من عميم الفضائل ، وكريم الشمائل ، فأقر صحة ما بلاه منك في فؤادي . وأشربه ذاتي . فوحياتك التي بها^٤ حياة الكرم : لقد أسمعوا

١ أبو عبد الله محمد بن خلسة الشذوني الداني ؛ راجع ترجمته في الجذوة : ٥١ (وبغية الملتبس رقم : ١١١) ونكت الحميان : ٢٤٨ والتكملة : ٣٩٥ والمسالك : ١١ : ٤٥ ونفح الطيب : ١٠٠ ، ١٥٦ وأشار إليه ابن الأبار في تحفة القادح : ٢ ، وانظر الوافي : ٣ : ٤٢ ، وقال ابن الأبار في التكملة : وقرأت أن في ديوان شعره قصيدة له على روي الراي يهني فيها المقتردر أحمد بن سليمان بدخول دائية وتملكها سنة ٤٦٨ .

٢ ب م : فصل ؛ وسقط العنوان من د ط . ٣ ب : بما القه ؛ م : بما لقة . ٤ ط د : مي ؛ ب : الذي بها .

من لطائف البر^١ ، وأودعوا من غرائب الثناء [٨٦ ب] الحرّ ، ونشروا
من كرم الخلال . مع ركانة الوقار ومهابة الحال ، وإعظام الجليس ،
والتزام التواضع والثأنيس ، بعد توفية الرياسة حقّها ، وتقضية السيادة
أجلّ واجباتها وأدقّها ، جعل الله الآمال طاعتها والأيام رقّها ، ثم
استوصفتهم^٢ التذاذاً بطيب أنبائك ، صورة مجلسك مع وزرائك وأحبائك ،
فأوردوا من ذلك ما هو أشهى من السعادة ، وأحلى من الحياة المعادة ،
وأسبى للنفوس من مراض الحلق ، وأجلى للشكوك من غرة الفلق ،
فطارت بي هزة الشوق^٣ كل مطير ، وأصارتني^٤ غرة الفرح بين روضة
غناء وواد مطير^٥ ، وقلت : الحمد لله ، قد وفقت أمري ، وقام عند
العواذل عذري ، وسطع شهاب حجلي بأن خلعت^٦ عليه نفسي ، وأودعت^٧
يديه مهجتي .

وفي فصل منها^٨ :

ومثلك من كان الوسيط فؤاده فكلمه غني ولم أتكلّم^٨

* * *

والحق أبلغ قد هديت إلى الصراط المستقيم
ووثقت أني لم أبسوى حرمي إلا حرمي

١ ط د : البشر .

٢ ب م : استوفيتهم .

٣ ط : الشرح ؛ ب م : الترج .

٤ ب م : واصابتي .

٥ د ط : روضة وغدير .

٦ ط د : جعلت .

٧ منها : سقطت من ط د .

٨ قد مر هذا البيت ص : ٣١٤ ، وهو المتنبي .

ما ضاع حقٌ بكريمةٍ هُدِيَتْ إلى كفوٍ كريمٍ
يا كاسبَ الحمدِ، الحديثِ، ووارثَ المجدِ القديمِ^٢
قاسمتك النفسَ [النفيسة] واختصصتك بالصميم

أيّ برٍّ — أعزك الله — يُعَارِضُ به بِرُّكَ ، وقد عَرَضَ في المكارمِ
بِرُّكَ وَبَحْرُكَ^٣ ، أم أيّ فعالٍ توازي فعالك ، وقد ودَّتِ النيراتُ
أن تكونَ نعالِكَ ، أم أيّ شكرٍ يكونُ كفاءُ أياديك ، وقد تمتَّتِ الأيامُ
أنَّ لها ألسناً تُطْرِكُ ، و [أن لها] أنفساً تُفاديك ، أم أيّ عرفٍ يكونُ
جزاءَ عرفك ، وقد فغمَ الخافقين ريتاً عَرَفَكَ . لهنك الخيرُ الذي
لا يُضَاهِي ولا يباهي ، والحرُّ الذي لا يبارى ، والحوادُّ الذي لا يجارى ،
والمصيبُ الذي لا يناضلُ ، والحسيبُ الذي لا يكارمُ ولا يفاضلُ ، والمملكُ
الذي لا تجانسُ صفاتهُ ، ولا تجاذبُ أواخِي أسبابه ، ولا تحاذى أواذِي
عبابه :

خمارٌ وخمرٌ هاجرَ الدَّلَّه ^٥ والدنا	ملكٌ إذا الهى الملوكَ على اللهى
إذا ما دعاه السيفُ لم يشنه المثنى	ولم تُنْسِه الأوتارَ أوتارُ قينة
بِمَوْحَدٍ إنَّ عُدَّ الهباتِ ولا مثنى	وهوبٌ ولكن لا تعدُّ هباتُسه ^٦
شاماً ورضوى لم تجدْ لهما وزناً	أشْمُ إذا وازنتَ يوماً بحلمه
ولا للغنى إلا براحتَه معنى	ولا للمنى إلا بساحته جنى
لظنٍّ من استصغارها أنَّه ضنَّا ^٧ [٨٧]	ولو جادَ بالدنيا وعادَ بمثلها

١ د ط : المجد .

٢ ب : الصميم .

٣ د ط : بحرك وبرك .

٤ د ط : كفؤ .

٥ ب م : الدل .

٦ النفع : وثى .

٧ هذا البيت والذي يليه وردا في النفع ٤ : ١٥٦ .

ولا عيبَ في إنعامه غيرَ أنه إذا مَنْ لم يُتَّبِعْ مواهبَهُ مِنَّا
وأنتى تساميه الملوكُ وإنعسا وجدنا الورى لفظاً ومعناهم معنا
تَقِيلَ من آباءِهِ الغرِّ سادةً قِيولاً فبذلَّ البحرَ واحتقرَ المزنا

وفي فصل من أخرى : كتابي. عن ودّ لا يُكَدَّرُ صَفْوُ موارده ،
وعهدٍ لا يَفْنَى بِحُكْمِ معاقِدِهِ ، ونفسٍ ترتاحُ لِذِكْرِكَ ١ ، وتمثّلُ
مع الساعاتِ مرآك ، وحقّ لمن أَرْعَيْتَهُ الخصبَ من روضِ إِيخائِكَ ،
وسَقَيْتَهُ العذبَ من مشرعِ وفائك ، أن يَفْصَحَ في بثِّ محاسنِكَ لسانَهُ ،
ويَنفَسِحَ في نشرِ فضائلِكَ مَسْدانَهُ ، ويفوزَ في وَصْفِ فضائلِكَ بيانَهُ ،
وينظمَ لفخركَ ٢ على أجيادِ شكرِكَ عقوداً ، ويحوكَ لمجدِكَ وسنائكَ
[من تقرّظك وثنائك] بروداً ، يوشّيهها بذكرِكَ الخطيرَ ، ويطرزُها
بالترّفيحِ لك والتوقيرِ ، والله تعالى يحرسُ بحراستك فواضلَ الحلالِ ، ويُسَبِّحُ
ببِقائِكَ محاسنَ الآثارِ والأفعالِ ، بعزّة .

وله من أخرى : كتابي كتابُ مبتدِي الحمد ، مستهدي الود ، ضابط على
ذوابة الإخاء ، رابط بافتتاحِ مكاتبتك أسبابَ التكرمِ منك والوفاء ،
لا طالباً لفضلِ الابتداءِ عليك ، ولا مستزيداً على التوسّلِ بمباراتك إليك ،
إلاّ هوادهَ طبيعة ، ووداده ٣ شريعة . يبعثها في ذاتِ الله مُراداً ، لها من
الفؤادِ مَراد ، وسرائر ، أحكمتْ عَقْدَ الإخلاصِ منها مرائر ، صان الله
بإدامة حياتك ، وحسنِ الدفاعِ عن ذاتك ، الفضلَ الذي إليك مَنزَعُهُ
وَمَفْزَعُهُ ، ولديك مستقرُّهُ ومستودَعُهُ .

١ ط : لذكرك .

٢ ط د : بفخرك .

٣ ب م : ووداد .

وإلى ذلك — أطال الله بقاءك — فموصله فلان ، وافاني^١ هذا العام
 راغباً في مذكرتي بما أشارك^٢ فيه ، ومحاضرتي في المجلس الذي التزم^٣
 وأنتديه ، وعلمت^٤ أن قد ثقلت في حركته مؤونته ، فلزمتني معونته ،
 وأن قد هاجر إلي^٥ وطنه ، فأجرت^٦ به فيما شاء مني رسته ، وأرحبت^٧
 عطنه ، وهو مع ذلك لا ينسك ولا يتناسك ، ماء ودّه عذب ، ولسانه بالثناء
 عليك رطب ، وعلم الله^٨ أني ما أخبرت إلا بما اخترت ، ولا شهدت إلا^٩
 بما عهدت^{١٠} ، ولو إلى سوى ذلك أشار ، لما أعطيته مني القول والايثار ،
 فان أحب^{١١} وإش^{١٢} أن يغير الحال ، فأقام مقام المستقيم المحال ، فالموثوق^{١٣} به
 منك الاخذ بالفضل الذي نضفا عليك رداؤه ، ونجم عليك سناه وسناؤه ،
 وأنا الكفيل برده إلى المجلس الذي [٨٧ ب] أنشاه وأنماه ، وكشف
 غياية غمّه ، وأخلق^{١٤} بسبب رجائي ألا يهن ، وبجفن أمني منك ألا
 يسن .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

له^٣ من قصيدة أولها :

فيض^١ لي بجودك فالغمام^٢ ضنين^٣ وف^٤ بالأمانة فالزمان^٥ خؤون^٦
 بردت^٧ ظلالك والظلال^٨ سمائم^٩ وصفت^{١٠} مياهلك^{١١} والمياه^{١٢} أجون^{١٣}

١ ط د : وفلان وافاني .

٢ ط د : علمت .

٣ ط د : قال .

٤ انظر بعض أبياتها في النفع ٤ : ١٥٦ .

٥ ب م : ظنين .

شيم" إذا دعت المديح أجابهـــــــ
ونقيبة تسرو النقاب عن الهوى
نشر النجاح بها الجناح ونفّر الـ
وقف الرجاء بذى الرجاء عليكم
فعلام أهزل والكثيب مروّض
تلوى لباناتي وتُحرّم حرمتي
ويعزّ أمر عصابة منسيّة
يا مالكا حسدت عليه زمانه
ماريت صرّف الدهر وهو الندد
مالي أرى الآمال ييضاً وضحاً
والعدل خيم منك إلا أنه
أنا آمن فراق راج يـــــــائس
ومراقب وعداً وجدت جداه أن
لا تعدني أنواء يُمْنِك لا عدا

وله [من أخرى أيضاً] :

أبى ، فأقصر عنان اللوم أو أطيل
ألقي عذاب الهوى عذاباً فالقسه
كلني لشوقي أصلى حرّ لوعتيه

سليس العنان وانه لحرون
وترد ركن الكفر وهو ركون
طير الأثائم طائر ميمون
وبدا لكم سرّ العلا المكنون
وعلام أظما والقلب معين
وهوى بدر هواكم ملبون
عرفت بفضل جاهنا ونهون
أمم خلت من قبله وقرون
ومريت خلف الحرب وهي زبون
ووجه أمالي حوالك جون^٢
جدي العثور وحظي المغبون
ورو صدي ومسرح مسجون
أغدى بما يغدى^٣ به الكمون
ك النصر والتأييد والتمكين

ياما ألحك من ذي منطقي خطل
فما أبيض إلى عدل ولا عدل
وإن بليت بما ألقى فلا تبسل

١ م : بفضلك جاهها .

٢ د ط : لمديك الجون .

٣ د ط : جراه لي ؛ ب م : أعدى بما يعدى .

٤ د ط : ايا .

وَلْ الملاحه من أحببتْ أو أدلْ
واقنَ الحياءَ فقلبي آنفًا آنفٌ
لم تدبر من قبله عينٌ ولا بصُرتْ
[ومنها] :

خَدَمْتَكُمْ لِيَكُونَ الدهرُ من خدمي
إن لم تكن بكم حالي مُبَدَّلَةً
فما أحوالتهُ عن حالاتِهِ حيلي
فما انتفاعي بعلمِ الحالِ والبدلِ
وله من قصيدة في الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر ، أولها :

أطع أمرَ مَنْ تهواه من عزٍّ قد بزّا
تعبدني حباً وتيمّني هوى
إلى كم أمني النفسَ وهي نفيسةٌ
بأرضٍ بها الالفُ الموازي بزعمه
يرى عينٌ^٢ تبجيلي ووجهَ تحيتي
كما اجتلبتُ في البدءِ للوصلِ همزة
وفي النفسِ همٌّ ما يزالُ يؤزّني
فمنْ مبلغُ الأَحابِ أنْ ركائي
وهاجرتِ الروضَ الانيقَ نباتُهُ
فصيحٌ متى ينطقُ تدعُ كلُّ لفظة
ولما لحائي الدهرُ لحو العصا ولم
جعلتك لي حصناً ونبّهتُ مقولاً^٣

كفى بالهوى ذلاً وبالحسنِ معتزاً
فيما أذلّ^١ العاشقين وما أخزى
أمانيّ لا وجهاً تُريني ولا عجزاً
إذا غبتُ عن عينيه يلمزني لمزاً
ملاحظتي غمزاً وتكليمي^٣ رمزاً
فإن وجدوا عنها غنى أسقطوا الهمزاً
إلى الكاتب الميمون طائره أزا
قطعن الفلا وخدأ وجهن الملا جمزاً
لروضِ علاء يُنبِتُ المجد والعزاً
فؤادك متبولاً ولبتك مُبْتَزاً^٤
أجيد من بنيه غير من زادني وخزاً
بجرّازاً حداداً لا كهاماً ولا كزاً

١ ب : ألد . ٢ ط د : لي .

٣ ط د : فلاحظني . . . وكلمني .

٤ ط د : حديدأ جداداً ؛ ب م : جرازأ جداداً .

ولم تقتصد^١ منك القصيدة^٢ نائلاً
ليسمع^٣ بك الله الأماني^٤ والمنى
وله من قصيدة في أبيه يرثيه :

يا ضريحاً حوى عظاماً عظاماً
أعياء^١ داويت^٢ داء^٣ عيــــــــــــــــساء^٤
إن عهدي وإن بليت^٥ جديد^٦
كدت^٧ أقضي عليك نحي^٨ نحيــــــــــــــــساً^٩
وأحل^{١٠} الثرى حلولك فيــــــــــــــــه
ومن أخرى في [أم] معز الدولة^١ :

بم^١ ، والرزء^٢ بالجليل^٣ جليل^٤
جلل^٥ دق^٦ فيه كل^٧ جليــــــــــــــــل^٨
أي عرش^٩ للمجد ثل^{١٠} ، وغرب^{١١}
يا صناع^{١٢} الصنائع^{١٣} الغر^{١٤} بدءــــــــــــــــأ^{١٥}
أيها اللحد هل علمت^{١٦} بما استو^{١٧}
ووريت^{١٨} فيك رحمة^{١٩} وغيث^{٢٠}
أنس^{٢١} الشيمة^{٢٢} الكريمة^{٢٣} إن الد^{٢٤}
إن تلقاك رَوْح^{٢٥} ربك والرضـــــــــــــــــل^{٢٦}
فبما طبت^{٢٧} والزمان^{٢٨} خبيث^{٢٩}
وتسلسل^{٣٠} والميــــــــــــــــاه^{٣١} أجون^{٣٢}
يا أبا عامر^{٣٣} عزاء^{٣٤} جميــــــــــــــــلاً^{٣٥}
يتأسى^١ الأسى^٢ ويؤسى^٣ العليل^٤
وتساوى^٥ التكثر^٦ والتقليــــــــــــــــل^٧
فل^٨ ، والدهر^٩ من شباه^{١٠} قليل^{١١}
غالت^{١٢} المكرمات^{١٣} بعدك غول^{١٤}
دعت^{١٥} ، كتلاً^{١٦} إن الجماد^{١٧} جهول^{١٨}
وحجى^{١٩} نابل^{٢٠} وقدر^{٢١} نبيــــــــــــــــل^{٢٢}
ار^{٢٣} وحش^{٢٤} والمكث^{٢٥} مكث^{٢٦} طويل^{٢٧}
وان^{٢٨} والله بالحميــــــــــــــــل^{٢٩} كفيل^{٣٠}
وبما جدت^{٣١} والغمام^{٣٢} بخيــــــــــــــــل^{٣٣}
وتروضت^{٣٤} والبلاد^{٣٥} محــــــــــــــــول^{٣٦}
فاليكم^{٣٧} يُعزى^{٣٨} العزاء^{٣٩} الجميل^{٤٠}

٢ م : حفيـل .

١ ط د : ومن مرثية له في أم معز الدولة .

٣ ط د : والزمان .

كلنا صائرٌ إلى الله حتماً وقصارى بين القصور قبورٌ
سنةُ الله في العباد ومسا في حكمه الفصل ليس عنه انفصال
عَدَمٌ ذا الورى وانتم وجودٌ وإذا كشف الحقائق فكرٌ
واستراح العذولُ والمعسذول ويهبُ الصبا بها والقبسول
سنة الله لاورى تبــــــــــــــديل وهو العدل ليس عنه عدول
وهراء وأنتم المعقــــــــــــول شهدت لي بما أقولُ العقول

وخاطبه الحصري بأبيات منها :

وفينا لهم وخانوا لَحَوْنِي على غرامي
وما ضرَّ أن يقولوا لحا الله كلَّ خلٍّ
وأبقى الأديبَ فرداً فدينناك من أديبٍ
أسيفٌ بفيك يقضي كذا تنتجُ المعالي
وفي كلِّ حاجة لي كذا الناسُ والزمانُ
وقالوا الهوى هوان صَبَاً في الهوى فلان
لحا في هوى يصــــــــــــان لملكٍ به يـزان
عاهم له امتنان [٨٩ أ] على الدهر أم لسان
كذا يسحرُ البيان على جــــــــاهلك الضمان

فأجابه ابن خلصة :

أفقٌ فالهوى هوانُ طوتُ ودك الحسان
لما ليس يستهــــــــــــان إذا صادقاً هــــــــواه
لعهد الصبا أوانُ لما ليس يستهــــــــــــان
إذا المدعون مانوا

١ د ط : ينفى .

فلم يحوي ما حواه^١ زمان^٢ ولا مكان
ولم ينفّر ما قرأه^٣ حسام^٤ ولا سنان
إذا سلّ مرهفات^٥ من المنطق البيان
تبينّت أن أمضى من الصارم اللسان
فعش^٦ للورى ملياً ففني عيشك ازديان
ولا زال لليالي بإبقائك^٧ امتنان

فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غصن الحجاري وإيراد طرف
من خبره ، وحميد أثره^١ .

وكان اقتبس من أنواع العلوم [والآداب] ما صار به في عالم عصره^٢
علماً ، وفي الكمال عالماً ، وكان كما قرأته^٣ في فصل وصفه به أبو محمد
ابن عبد البر في رقعة خاطب بها المعتضد ، قال فيها : أياديك — أيديك الله —
قد طبقت^٤ ، ومساعيك قد أنارت^٥ وأشرقت ، فكل^٦ أفق^٧ بها بهج ، وكل^٨
قطر^٩ منها متضوّع^{١٠} أرج . وكل^{١١} همة^{١٢} بها موكّلة^{١٣} ، وكل^{١٤} نفس^{١٥} اليها منجذبة^{١٦}
مسترسلة^{١٧} ، فإن أحس^{١٨} امرؤ من نفسه قوّة^{١٩} جنان^{٢٠} ، وفَضْل^{٢١} بيان^{٢٢} ، وتَصَرَّفَ^{٢٣}
لسان^{٢٤} ، فأقصى غرضه^{٢٥} أن يحلّي بيانه^{٢٦} بما ترك^{٢٧} . ويفتق^{٢٨} لسانه بمفاخره^{٢٩} .
ويطرز^{٣٠} بملاءة^{٣١} نظمه ونثره باسمك الأعذب^{٣٢} : ويشرف^{٣٣} مطرف^{٣٤} قريضه^{٣٥}

١ انظر الجذوة : ٣٧٨ (وبنية الملتبس رقم : ١٥٤٦) والمغرب ٢ : ٣٣ والخريدة
٢ : ١٢ والمسالك ١١ : ٤٧ والنفع ٣ : ٣٦٣ ، ٤٢٣ والتكملة رقم ١٦٩٠ واسمه
عبد الملك بن غصن الخشني من اهل وادي الحجارة ، لقي ابا الوليد يونس بن عبد الله القاضي
وحدث عنه بمقالة حنشل الصنعاني في قرطبة ، وكان فقيهاً اديباً شاعراً صاحب منظوم ومنثور ؛
وكانت وفاته بفرنطة سنة ٤٥٤ .

٢ د ط : وقته .

بذكرك العطر الاطيب ، ويتشرف بالدخول إليك ، ويتمجد بالثول بين يديك ، ليحظى منك بالتجويز ، ويصح له دعوى السبق والتبريز ؛ وإن ممن استولى على الامد الذي وصفته ، وحوى قصص السبق فيما ذكرته ، الأديب الكامل أبو مروان بن غصن الحجاري ، وهو كما علمت ممن لا يجارى في ميدان ، ولا يطاول بعنان ، إن نظم فبنيان مرصوص ، وإن نثر فلاكلء وفصوص ؛ انتهى كلام ابن عبد البر .

قال أبو الحسن [ابن بسام] : ونكبه المأمون بن ذي النون^١ وله فيه « رسالة السجن والمسجون ، والحزن والمحزون » أودعها قصائد مطولات ، ومقطوعات أبيات ، ورسالة أخرى سماها بـ « العشر كلمات » . وهو القائل في سجنه ، وكتب بها إلى أخيه^٢ : [٨٩ ب]

أَرَوَى وَبَيْنَ ضُلُوعِي حَرِيقُ وَأُشْجَى وَإِنْسَانُ عَيْنِي غَرِيقُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ يَحْمَلُنِي الدَّهْرُ مِمَّا لَا أُطِيقُ
تِهْمُ الْخَطُوبُ بُوَصْلِي فَمِمَّا لَهَا إِلَى غَيْرِ قَلْبِي طَرِيقُ
أَيَا وَاحِدِي وَشَقِيقِي وَيَمَّا فَرِيقًا يَبْكِيهِ مِنِّي فَرِيقُ
أَخُوكَ أَخُو نَكَبَاتٍ لَهَا يَرِقُّ الْعَدُوَّ فَكَيْفَ الصَّدِيقُ

-
- ١ ترجم ابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٠ لمن اسمه عبد الملك بن حصن وقال انه كان من اعيان الوزراء واعلام الكتاب والشعراء ، وذكر انه هو الذي سجنه المأمون حتى تخلصه ابن هود من يديه ؛ ويعتقد الدكتور شوقي صيف محقق المغرب ان هناك خلطاً بين عبد الملك بن غصن الحجاري ، وعبد الملك بن حصن ، وان هذا الخلط وقع فيه ابن بسام وابن الابار (التكملة رقم : ١٦٩٠) وصاحب النفع ؛ واذا استبعد ذلك ، فان ابن الابار لم يقل انه كان وزيراً للمأمون وانما قال « وامتنح بالمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة فحبسه بسجن وبذة مدة هو وجماعته معه . . . ثم اطلق من معتقله فسار الى بلدة » ؛ ولعل الخلط انما هو ما وقع فيه صاحب المغرب وحده ، اذ جعلهما شخصين وجعل احدهما وزيراً .
- ٢ منها أبيات في المسالك .

كسدتُ ونظميَ درُ نفيسٌ
ورأيي شهابٌ أجلي العى^١
وما أظلمَ الجهلُ^٢ في معشرٍ
ولو جاثليقٌ^٣ تخولتـــــــــــــــــه

وَضِعْتُ وَتَشْرِي مِسْكٌ فَتِيقُ
بِهِ وَحْدِيَّ رَوْضٌ أُنِيقُ
وَفِي أَفْقَهُم مِّنْ عَلَومِي شَرِيقُ
بِمَوْعِظَةٍ آمَنَ الْجَاثَلِيقُ

ومنها :

وطيفِ صديقٍ كريمٍ له
سرى واهتدى لي وَمِنْ دُونِهِ
فشيعته من دموعي انسكابٌ
وفارق ذا سَقَمٍ لَا يُسِينُ

بِنَفْسِي وَإِنْ بَانَ عَنِّي لَصُوقُ
جِدَارَ مَعْلَى وَبَابُ وَثِيقُ
وَوَدَّعَهُ مِّنْ فَوَادِي خَفُوقُ
لَوْلَا الزَّفِيرُ وَلَوْلَا الشَّهِيْقُ

ومن شعره فيه :

يحیی المليكُ الذي به حَيِّيتُ
لو حُسِبَتْ فِي الْوَرَى مَوَاهِبُهُ

نَفْسِي وَفَازَتْ بِكُلِّ مَا اشْتَهَتْ
لَمْ يَخْلُ حُسَابُهَا مِّنَ الْغَلْتِ

[ومنها] :

قد استردَّ الشبابُ خِلَعَتَهُ
لولا أنيبي على فراشي لم

وَتَبَّهْتَنِي الْخُطُوبُ مِنْ سِنَةِ
يَبْدُ خِيَالِي لَعَيْنٍ مَلَفَتْ

وَلَوْ أَتْنِي الْمَنُونُ تَطْلُبْنِي
مَا عَلِمْتُ مَوْضِعِي وَلَا رَأَتْ

وأودع رسالته تلك ألف بيت ، فقال فيها :

وألف بيت من القريض إذا مات جميع الأنام لم تمت
لو أن شعر الورى ينظم في عقدٍ لكانت بموضع السطة

١ د ط : الدجى . ٢ د ط : الجو .

٣ الجاثليق : (Catholicos) رئيس النصارى .

سائرةٌ حيث لم يسرَ قمرٌ ولا سَرَتْ أنجمٌ ولا جَرَتِ
وللمتنبي في هذا المعنى ^١ :

ولي فيك ما لم يتقلُّ قائلٌ وما لم يسرَ قمرٌ حيث سارا [٩٠ أ]
وعندي لك الشرْدُ السائراتُ لا يختصنَ من الأرض دارا
فإني إذا سرنَ من مقولي وثبن الجبالَ وتحضنَ البحارا
وهذا أحسنُ ما قيل في سيرورة الشعر ، وأبلغُ منه قول علي بن الجهم ^٢ :
فسار مسير الشمسِ في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوبَ الرياحِ في البرِّ والبحرِ
ولابن شمّاخ الغافقي من جملة قصيدة في المعتمد بن عباد :

ان لم تسرْ هذه الغرائمُ سائرةٌ منيرةٌ بين أنجادٍ وأغوارِ
فليستُ الريحُ في الدنيا بسائرةٍ وليست الشمسُ فيها ذات أنوارِ
وقال ابن غصن الحجاري ^٣ :

قد ألحفَ الغيمُ بانسكابهِ والتحفَ الجوُّ في سحابه
وقام داعي السرورِ يدعو حيَّ على الدنِّ وانتهابه
وتاه فيه النديمُ ممّـسا يزدحمُ الناسُ عند بابهِ
وقال أيضاً :

يا فتيةَ حرّةٍ فدَتَهُمُ من حادّاتِ الزمانِ نفسي
شربهمُ الخمرَ في سكونٍ ونطقهمُ عندها بهمس
أما ترونَ الشتاءَ يُلقِي في الأرضِ بسطاً من الدمقس

١ ديوان المتنبي : ٣٤٦ يعاتب سيف الدولة لتقصيره فيما كان عوده من الإقبال عليه :

٢ ديوانه : ١٤٧ .

٣ النفع ٣ : ٤٢٣ والمسالك .

مقطَّبٌ عابسٌ ينادي : يومُ سرورٍ ويوم أنسٍ

وقال ١ :

يومٌ تبدَّى لنا بصحوٍ
طابَ رحلي^٢ به إلى أن^٣
كأنما حالتهـاه ود^٤
والجوُّ صافي الهوا جليُّ
كدَّرَ مِن صفوه العشي
جارك فيه طليطي^٥

وقال :

يا صوبَ غاديةِ الربيعِ الممطرِ
ميدانِ أفراسِ الصِّبا وملاعبِ
واقذفْ بسلكِ الغيثِ في ساحاته
حتى ترى الغيطانَ زاهرةَ الربى
وترى الأقاحَ كأنه فمٌ شادنٍ
وشقائقَ النعمانِ مثلَ الغيدِ والـ
لولا خفارتُها وحالكُ شعْرِها

وقال :

وآلفتي فيك النجومُ لرعيها
كأنَّ سماءَ الله نطعُ زبرجدٍ
وهو القائل [أيضاً] ٤ :

فديتك لا تخفُ منِّي سلوًّا إذا ما غيَّرَ الشعرُ الصغارا

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : رحيتي .

٣ ط : الممطر .

٤ ورد البيتان في المغرب والنفع والمسالك .

أهيم^١ بدن^٢ خمير صار خلا^٣ واهوى لحية^٤ كانت عذارا

فصل في ذكر الأديب أبي علي ادريس بن اليماني العبدري الياسي^٥

ويابسة^٦ من الجزائر الشرقية على سَمَتِ مدينةِ دانية من الأندلس .
وأُخبرت^٧ أن أصله^٨ من قَسْطَلَّة^٩ الغرب ، من عمل شنت مرية ابن
هارون ، وبدانية قرأ ، وبها نشأ ، ومنها انبعث انبعث السَّيْلُ ، وأدرك إدراك
الليل ، حتى تضاء لَت له الهضاب عن قدره^{١٠} < وماجت الأرضُ بهجره >^{١١}
وصار [شعره] سَمَرَ النّادي ، وتعلّة الحادي ، وتمثّل^{١٢} الحاضر
والبادي ؛ وطفقَ يتردّد^{١٣} على ملوك الطوائف بالأندلس تردّد الكاس
على الشّرب ، ويجري في أهوائهم جرّي الماء في الغُصْنِ الرطب ، وكان
كلما قال قصيدة لم يضرب عليها حجاباً ، ولا ضمّنها كتاباً ، حتى يأخذَ
بها مائة دينار ، وقد سأله عباد في بعض رِجْلِهِ إليه ، على كثرةِ بوائقه ،
وشكاسةِ خلائقه ، [أن] يمدحه بقصيدة يعارضُ بها قصيدته السينية التي
مدح بها آلَ حمّود^{١٤} فقال له : لإشارتي مفهومة ، وبناتُ صدري كريمة ،

١ د ط : أدين ، وسيرد البيت بهذه الرواية فيما يلي ص : ٣٣٩ .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ٤٠٠ والجدوة : ١٦٠ (وبنية الملتس رقم : ٥٦٠) والمسالك

١١ : ٢٠٤ وفوات الوفيات ١ : ١٦١ (ط . ديروت) والوافي للصفدي ٨ : ٣٢٧

والنفع ٤ : ٧٥ ، ١٥٦ وعقود الجمان للزركشي : ٦٦ وكانت وفاته سنة ٤٧٠ .

٣ د ط : وقد قيل .

٤ ب م : قسطلية .

٥ ط د : تضاءلت الهضاب لقدره .

٦ زيادة من المسالك وهو ينقل عن الذخيرة .

٧ ب م : ومثّل .

٨ ط د : السينية في ابن حمود .

فمن أراد أن ينكح بكرها ، فقد عرف مَهْرَهَا .
وقد أخرجتُ من أشعاره ، ما يشهدُ بسموِّ مقداره ، ويعربُ عن
غرائبِ أخباره .

جملة من شعره في أوصاف شتى مختلفة في النسيب وما يناسبه

[قال]^١ :

قبلةٌ كانت على دَهَشٍ أَذْهَبَتْ ما بي من العطشِ
ولها في القلبِ منزلةٌ لو عَدَّتْهَا النفسُ لم تعش
طرقني والدجى لبست^٢ خِلَعاً من جلْدَةِ الحنش
وكانَ النجمَ حين بسدا درهمٌ في كفٍّ مرتعش

وحدث^٣ ميمون بن يوسف بن دري قال: اعتمدني أبو علي ادريس
ابن اليماني ، فجاذبته في ذكر البديع من القول ، فأنشدني هذه القطعة في
صفة الثريا ، فعمدتُ بعدُ إلى سبعةِ مثاقيلٍ صحاحاً فطبعْتُ عليها ،
وكتبتُ معها :

وَجَنُّهُ الثَّريَّا إن شِيتَ تعرفسـه فاسلكْ من القولِ نحو موعبه [٩١أ]
نجمك في البعدِ ظلٌّ مشبهها وشبهها شبهُ ما بعثتُ بسـه

١ وردت الابيات في النفع ٤ : ٧٥ والمسالك .

٢ ب م ط د : لايس ، والتصويب من النفع والمسالك .

٣ هنا ينتهي الخرم في س . ٤ ب م : فأطبقت ؛ ط د س : فأطبعت .

٥ م : الفل .

ونظر لإدريس إلى غلام [أوسيم] بالحمام عليه أسمال فقال :

توشَّح بالظلماء وهو صباحُ فأمرِضتِ الألبابُ وهي صباحُ
وظلَّ فؤادي طائراً عن جوانحي وليس له إلَّا الغرامَ جناحُ
قضيبُ صباحٍ في وشاحٍ دُجْنَةٍ ألا ليّني تحت الوشاح وشاحُ
ولا عجبٌ أن أفسدني جفونُهُ فكل فسادٍ في هواه صلاحُ

وقال :

علَّقْتُهُ شادنساً صغيراً^١ وكنت لا أعشقُ الصغارا
أعارني سَقَمَ ناظرَيْهِ فاستشعرتُ نفسُهُ حذارا
يُسْفِرُ عن وجهٍ مستنيرٍ يَرُدُّ جُنْحَ الدجى نهارا
لم أرَ مِنْ قبلِ ذاكَ مساءً أضرمَ فيه الحياءُ نارا

وذكرت بقوله « لا أعشقُ الصغارا » شعراً لبعض أهل العصر استطرد فيه
لهجو السميسر^٢ استطراداً ظريفاً فقال :

ان كنت تهوى مليحاً فلا تَقُلْ بمعدِّ
واهو الصغارَ ففيهم على الحقيقة تُعذَّر
دعِ الكبارَ لقومٍ دانوا بدين السميسر

ونصيب الأكبر القائل^٣ :

ولولا أن يقالَ صبا نُصَيِّبُ نقلتُ بنفسِي النشأ الصغارُ

١ ط د : غريراً .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الاول من الذخيرة .

٣ ديوان نصيب : ٨٨ .

وما أعذب ما ذهب ابن غصن الحجاري بقوله^١ :

فديتك لا تخفُ مني سـ...وآ إذا ما غيّر الشعر الصغارا
أدينُ بدنُ خلٍ كان خمراً وأهوى لحيّة كانت عذارا

وقال ادريس :

أقبَلْتُ تهتزُّ كالغصنِ وتمشي كالحمّامه
ظبية تحسُدُ عينيها وخذلّتها المدامه

وقال :

علق الهوى قبلَ الهواءِ علاقةً ما زال في نزع بهـ... ونزاعٍ
فكأنما سكن الهوى في قلبه من قبل سكنى القلب^٢ في الأضلاع
ومنها في صفة الخيل :

خيلٌ يميدُ الدهرُ عند هبوبهـ... ميدَ القضيبي بعاصف زعزاعٍ
فكانَ خُطفاً^٣ من نتائج أعوج تنفض من فُرسانيها بسباع

وقال^٤ :

صفراءُ تُهديها بنانُ صُورَت كهواك من غمٍ ومن عتابٍ
وغزالُ سترٍ بل غزالةُ كَلّةٍ^٥ تثني عنانَ العتبِ بالاعتاب [٩١ ب]
أجني مرأشفها العذاب وفي الحشا حُرّق فأمزجُ رحمةً بعذاب

١ قد مر البيتان ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

٢ ط د س : الروح .

٣ ط د س : عقبان تحطّب .

٤ انظر مسالك الابصار .

٥ ط د س : تهديها .

٦ ط د س : أنس قفرة .

ودخل إدريس بن اليماني على الموفق أبي الجحيش فأنشده^١ :

ولربَّ ليلٍ قد طرقتُ وهمتي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ
في معشرٍ شَمُّ الأُنوفِ كأنَّهم سيدانُ^٢ رملٍ أو أسودُ دُرِّبِ
لبسوا دياجيرَ الدجى إذ أسادوا وتقنَّعوا بسنا الضحى إذ أوبوا^٣
وسروا فمغربُ كلِّ أرضٍ مشرقُ لهمُ ومشرقُ كلِّ أرضٍ مغربُ
والفجرُ ملويُّ النقابِ مبرقعُ والليلُ مسدولُ الرواقِ مطنَّبُ
وكانَ باهرةَ الكواكبِ معشرُ قام الهلالُ بهم خطيباً يخطبُ
وكانَ نورَ الصبحِ رايةً فارسُ حمراءُ يتبعها خميسُ أشهبُ
وكانَ قرنَ الشمسِ وجهُ مجاهدٍ لما أثار سناه كادتُ تغربُ

وهو في كل ذلك يعث بيديه في قليل شعرٍ عارضته ، استثقلاً للعارفة ،
وبخلاً بالجائزة ، وجهلاً بالفائدة ، فلما أملقه الأمر ، وأعوزه الصبر ، غمز
حاجبه بشطر حاجبه ، فاخطف القرطاسَ من يده ، وقال وقد سدَّ خياشيمه :
إن رائحة الشبين^٤ على شعرك ، تعريضاً له بياسة ، جزيرة في البحر كان
منها ، أكثرُ ثمرها الشبين ، فحجل لمقامه ، وتعثر في ذيلِ كلامه ، فلما
وثبت إليه نفسه ، وراجع حِسَّه قال : أيها الأمير إن كنتُ أسأتُ في
مدحك ، فأحسن في منحك ، أو قصَّرتُ في وصفك ، فأطل في عرفك .

١ حتى آخر الفقرة سقط من د ط س .

٢ سيدان : جمع سيد وهو اللئب .

٣ الأسد : سير الليل ، والتأويب : سير النهار .

٤ ورد هذا البيت والذي يليه في مسالك الإبصار .

ه الشبين فيما ذكره الحميدي في ترجمة إدريس هو شجر الصنوبر (بالفرنسية : *Sapin* وبالاسبانية : *Sabina*) ولذلك كان إدريس يسمى أحياناً « الشبيني » .

قال ابن بسام : وما أقبحَ هذا المنحى ، وأبعدَ هذا المرمى ، ولكم
السجايا تجري على ما تيسَّرتَ له من المعتاد ، وأين هو - قُبَّحَ - من قول
ابن عباد ، وقد كتب إلي^١ :

لكفيَّ أهدي في نداها من القطا إلى موردٍ عَذْبٍ على [ظناً] برح
إذا أبطتِ الأملاكُ غيريَ للثنا فانيَ وضاحُ الجبينِ إلى المدح
وكل امرئٍ يجني عليَّ جريسةً فاني أجازيه على الذنبِ بالصفح

ومن شعره في المديح وما يتشبه به من الأوصاف

له في المأمون بن ذي النون من قصيدة أولها :

تبيينَ من سرِّه مسا اكنتم فلاح كنارٍ بأعلى عَلمِ
يقول فيها : [٩٢ أ]

أما والهوى وهو أحمى قَسَمُ وإن بنتُ عنه بنفسي قسم
وما يحتلى من أقاحٍ ضحوكِ يُشَبُّ بماءِ الشبابِ الشبم
لقد شربتُ شربَ نومي فلو شربتُ سلافَ الهوى لم أنم
خدودُ غلائلها من شقيقِ وأيدٍ أناملُها من عنم
ظلمن قلوبَ الهوى مُدَّ عَدَوْنَ يطفرون فوق شمسِ الظلم
ولما أقمن رماحَ القدودِ فدانت لهنَّ رماحُ البهم
رفعن الهوى علماً خافقاً فكان فؤادي جناحَ العلم
يحمُّ أبر كلَّ شبلينِ بي ويلعبُ بي كلُّ طَرفٍ أحم
لقيتُ اللياليَ في شوكتها فبرح نحوي بصم^٢ الصمم

٢ ط د س : غربي نفسي .

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

ونبهتُ سَوْقَ الردى في العدا
فما راعني رائحٌ غيرُ لحظٍ
ظننتُ الشبابَ يفي حينَ والى
تولّى وشيكاً ولم أجن منه
وما العيشُ إلاَّ فُواقُ اغتنامٍ
وفي شيم الناس ما في العيون
وما زال يقفوا زماناً زماناً^٢
ولكنَّ هذا الزمانَ استقام
فقد سكنتُ عينُ دهمائِهِ
رعايا الملوكِ قطا البید لكنْ
ملوكٌ ولكنهم في المسلوكِ
وطيَّبَ حتى رضابَ الثغورِ
فقامتُ ولولا يدي لم تقم
سقيمٍ يصحُّ اذا ما سقم
فلم يكُ إلا خيالاً أَلَمَ
سوى حلُمٍ أو شبیهِ الحلم
فمهمباً تفوقته فاعثم
ومِن ذلك الناسُ شتى الشيم
فلما بحمدٍ وإما بسدَم
ولولا ابنُ ذي النون لم يستقم
كما سكن الفعلُ جزماً بليم
رعية يحیی حَمَامُ الحرم
كأمةٍ أحمدَ بين الأمم
فلا فمَ إلاَّ وفيه شيم

وهذا البيت كقول محمد بن هانىء^٣ : [٩٢ ب]

قد طيَّبَ الأفواهَ طيبُ ثنائِهِ
فمن أجل ذا نجدُ الثغورِ عذابا
والبيت الذي قبله^٤ كقول ابن الرومي :

تلوحُ في دُولِ الأيامِ دولتكم
كأنها مِلَّةُ الإسلامِ في الملل
وفيها يقول ادريس^٥ :

١ ط د س ب : يهفو .

٢ ط ب س م : زمان .

٣ ديوان ابن هانىء : ٢٠١ .

٤ ط د س : نجد .

٥ ب م : بعده .

٦ ط د س : وفيها أيضاً يقول .

أرى العالمَ اعتدلتْ حاله
وكان بحال انتفاصٍ فتمَّ
همامٌ له شيمة^١ كالشمول
أبا الحسن الحسن المسكني
تسمتْ نعمته بالثناء
يدٌ تقع الهامُ تحت الحسام
كانَ العيونَ ازدحاماً عليه
وَحُذِّهَما تجرُّ^٢ إلى حسنهما
لو اعترضت لزهير البديع
ولو خطرت بحبيب بن أوس
فيا كعبة الحسن وأفالك عبدٌ
حججتْ وطفْتُ أسابعَ لكنْ
فلا ما يُعابُ ولا ما يُندَمُ
ولكنه بابن ذي النون تم
تميتُ الهمومَ وتحبي^٣ الهمم
بما هو نعتٌ له لا جرم
ونشرُ الثناءِ نسيمُ النعم
بها والأقاليمُ تحت القلم
عطاشٌ إلى موردٍ تزدحم
«أتهجرُ غانيةً أم تُلِّمُ»
سلا عن بدائعه في هرم
طوى كلَّ ما حاك في المعتصم
لطاعة سيده ملتزم
تمامُ طوافي أن أستلم

وله من أخرى في إقبال الدولة بن مجاهد بدائية :

قد كنت لا أضحي إذا جئت الضحي
فانجباب عن أوضاحه ذاك الدجي
وصدرتُ عن حبِّ الشباب وطالما
صاح الصباحُ بجانبَي ليلى فلم
لكن أسفتُ على طلي وترائب
من كلِّ ناعمةٍ يحولُ وشاحها
حتى دُفِعتُ إلى القنيرِ الضاحي
ووردتُ بعد الغمرِ في الضحضاح
غُمِستُ جَنَاحي في غدِيرِ جُنَاح
أسفُ ليلى إذ يحساه صباحي
صَفِرتُ يدي من حلتها الصَّباح
هيمنَ بينَ مهفهِفٍ ورداح [٩٣أ]

٢ ط د س : مهيت ... وتحبي .

٤ ب م : القمر ؛ س : العتد .

١ س : همة .

٣ ط د س : تحن .

ومنها^١ :

ثَقُلْتُ زجاجاتُ أَتَتْنَا فَرَّغْنَا
خَفَّتْ فَكَادَتْ [أَنْ] تَطِيرَ^٢ بِمَاحُوتِ

ومنها :

بَعْلِي^٣ بِنِ مَجَاهِدٍ أوردتُـــــــــــــــــه
ثَهْلَانُ فِي عَقْدِ الْحُبِّ وَلَدَى الْوَعْيِ
فَالْبَرْ^٤ بِحَرْ مِنْ مَدَائِحِ السَّيِّئِ
بِسِيَاسَةٍ يَقِفُ الزَّمَانُ إِزَاءَهَا
مَحْفُوفَةٌ بِمَكْسَارٍ وَصَوَارِمِ
يَا مَنْ يَلْحَنُ كُلُّ خَلْقٍ مَدْحَهُ
هَشَّتْ لَتَسْمَعَهَا بِفَضْلِكَ^٥ فَاسْتَمِعْ
غُرْرًا كَطَالِعَةِ الْكُوكَبِ مَوْهِنَا
فَأَتَتْكَ جَانِحَةٌ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
فَلَكْفُوكَ الْقَيْدُحُ الْمَعْلَى فِي الْعَلَا
وَلَنْ بَكَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ كُلِّ فَنِي

وله من أخرى في ابن واجب :

وادي الأراكِ أَطَلَّتْ شَكْوَى الشَّاكِي
بِشَمِيمٍ كُلُّ بَشَامَةٍ وَأَرَاكِ

١ ورد هذان البيتان في المغرب والمسالك والحدوة والبغية :

٢ ط د س : وكادت تستطير .

٣ ب م : فالبحر .

٤ د : هبت .

٥ ط د س : بمجدك .

٦ ب م : الاصباح .

يقول فيها في وصف الحمامة ، وأجاد ما أراد وزاد^١ :

ورقا مطوقة السوالف سندساً لم يحك صنعتها حياكة حاك
تشدو على خضر الغصون بالسن صبغت ملامها بلا مسواك
وكان أرجلها القواني ألبيست نعلًا من المرجان دون شراك
وكانها كحلت بنار جوانحي فترى لأعينها لهيب حشاك
وهذا كقول ابن هاني^٢ :

وما راعني إلا ابن ورقاء هائف بعينه جمر من ضلوعي مشوب
قال ابن بسام : وسلك أبو الربيع القضاعي سبيل إدريس في صفة
الحمامة ، فضل عنها ، في قصيدة [٩٣ ب] مدح بها ابن واجب أيضاً ،
أولها :

زعم العبير بأنه حاكك كذب العبير وما حكى ريك
هذا شميمك فليهب نسيمة حتى تبين مقالة الآفك
وإن ادعى ريم الفلاة بأن في عينيه لمحة عينك السفاك
فلنلتصحك بمقلتيه مغازلاً حتى تفند قوله عينك

ثم خرج إلى ذكر^٤ الحمامة بوصف غير رائق استبرّد فيه ، ورأيت ألا
أكون ممن يرويه . وقد افترض في صفة الحمامة في هذه العروض والقافية بأفقتنا^٥

١ منها بيتان في المسالك ؛ وفي ط د س بدل هذه العبارة : ومنها .

٢ ديوان ابن هاني : ٢٢ .

٣ د ط س : أفك .

٤ ب م : وصف .

٥ د ط س : وقد افترض في صفتها على هذا الوزن والروي يوسف . . . الخ .

يوسف بن هارون الرمادي^١ مع يحيى بن هذيل^٢ ، وأنا أسوق الحكاية بنص ما حكاه الرمادي عن نفسه^٣ ، قال : بكَرْتُ إلى أبي المطرف ابن مثنى فألفيتُ قد بَكَرَ قبلي يحيى بن هذيل ، فقال لي : ما عندك ؟ فقلتُ : ليس عندي كبيرُ معنى ، ولكن ما عندك أنت ؟ فأخرجَ من كَمِّه قصيدته التي يقولُ فيها في صفة الحمامة^٤ :

وَمُرَّتْهُ وَالِدَجْنُ يَنْسُجُ فَوْقَهَا بُرْدَيْنِ مِنْ طَلٍّ وَنَوْمٍ^٥ بِأَكْ
مَالَتْ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ وَإِنَّمَا جَعَلَتْ أُرِيكَتَهَا قَضِيبَ أَرَاك
وَتَرَنَّمَتْ لَحْنِينَ قَدْ حَلَّتْهُمَا بَغْنَاءٍ مُسْمِعَةٍ وَأَنَّهُ شَاك
فَفَقَدْتُ مِنْ نَفْسِي لِفَرْطٍ تَلْهَفِي نَفْسَ الْحَيَاةِ وَقُلْتُ مِنْ أَبْكَاك

فأنشدنيها ، وأنا أعدُّ محاسنه فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف إلى المكتب وتأدِّبْ حتى تحكمَ مثلاً هذا فكأنَّه [حركني ؛ واتفق أنه] لم يخرج إلينا

١ له ترجمة في الجذوة : ٣٤٦ (البغية : ١٤٥١) والصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطمع : ٦٩٠ والمغرب : ١ ، ٣٩٢ ومسالك الإبصار : ١١ ، ١٧٥ وابن خلكان : ٧ : والبيتية : ٢ : ١٢ ، ١٠٠ والمقتبس : ٧٤ ، ٧٥ وأشعاره في البديع الحميري والتشبيهات للكتاني ونفح الطيب وشرح المقامات للشريشي ، وقد كتبت عنه دراسة في كتابي « تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة » ص : ١٥٥ ط١ أولى .

٢ يحيى بن هذيل : ترجمته في الجذوة : ٣٥٨ (البغية : ١٩٤٥) وابن الفرعي : ٢ : ١٩٣ ونكت الهميان : ٣٠٧ وشعره في البيتية : ٢ : ١٤ ومسالك الإبصار : ١١ : ١٧٣ وكتاب التشبيهات (انظر الفهرست) .

٣ د ط س : مع ابن هذيل في خبر حكاه عن نفسه .

٤ انظر هذه القصة والشعر في نثار الازهار : ٨٢ .

٥ ط د س : نوء وطل .

أبو المطرف ذلك اليوم ، فبكرتُ من الغدِ إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في وصف الحمامة :

أحمامةٌ فوق الأراكمةِ تنثني^١ بحياةٍ من أبكاك ما أبكاكِ
أما أنا فبكيتُ من حُرْقِ الهوى وفراقٍ من أهوى ، أنت كذاك؟

قال : فلما سمعها^٢ ابنُ هذيل قال : عارضتني ! ! قلتُ : لا والله إلا^٣ ناقضتكَ ، فقال : اذهبْ فقد أخرجتكَ من المكتب .

وأنا أقول : وإن كان كلامُ الرماديِّ من الحلو المطبوع ، فلا نسبةَ بينه وبين كلامِ ابن هذيل ، وقد انفرد في صفتها انفردَ سهيل .

وحكي أن أبا الطيب المتنبي على قلّة رضاه عن شعر أحد فإنه على ذكرٍ عنه أنشِدَ بحملةٍ من شعراء الأندلس حتى أنشدَ قول ابن هذيل [٨٤ أ] :

إذا حَبَسْتُ^٤ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماء واكبدي
ضجبتُ كواكبُ ليلى في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصماء من كبدي
فقال أبو الطيب : هذا أشعرُ أهل المغرب .

وعارض أيضاً هذه العروض والقافية في ذلك الأوانِ الأديبُ أبو مروان المعروف بالبليني^٥ . فقال من قصيدة أولها :

١ ط د س : يوفي . ٢ ط د س : سمعني .

٣ ط د س : بل .

٤ انظر مسالك الإبحار ١١ : ١٧٤ . ه المسالك : لما وضعت .

٥ هو سعيد بن عثمان بن مروان ، وكنيته في المغرب « أبو عثمان » ؛ والبليني Ballena الخوت ؛ انظر الجذوة : ٢١٤ (البغية : ٨٠٧) والمغرب ١ : ١٩٢ واليتيمة ١ : ٥٤ .

يومَ العقيقِ غدوتُ من قِتلاكِ ، لما رمتُ بِسَهاميها عِينُـسَاكِ
ثم خرج إلى صفة الحمامة فقال^١ :

أحمامةٌ بكنتِ الهديلَ ولمعسنا طربتُ فغَنَّتْ فوق غُصْنِ أراكِ
معشوقةِ التفويفِ ذاتُ قلائسندِ غَنَّتْ جواهرُها عن الأَسلاكِ
ناحتُ على غصنٍ وكلُّ شجٍ بكى يوماً بلا دمعٍ فليس بباكِ
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيصةً جادتُ دموعُكِ حينَ جدَّ بكاكِ

والرماديّ وابن هذيل وأبو مروان ليسوا من طبقة هذا الديوان ، إذ تقدم بهم^٢ الزمان ، ولا^٣ من شرطنا ، إذ لم يلحقهم أحدٌ من أهل عصرنا^٤ .

ومن خرّ الكلام ، وسريّ النظام ، مما يتعلّقُ بوصفِ الحمام ، قول أبي العلامِ المعريّ ، وأنا أثبتُه هنا زيادةً بعد إجابةِ جِلَّةٍ نثر ونظام ، في صفةِ الحمام ، أخذتُ فيه بثوبِ الحسنِ من طرفيه ، واشتمل على رداءِ البديع من حاشيتيه ، ولولا تأخُّرُ زمانِه ، وتقدُّمُ يحيى بن هذيل وطبقته لقلت : إنّ كلامَ المعريّ نقلوا^٥ ، وعليه عَوَّلُوا ، وهو قوله^٦ : ما جاملةٌ طوقِ من الليل ، وبُردٍ من الربيع^٧ مكفوفِ الذَّيْلِ ، أو فتِ الأَشَاءَ ، فقالت للكُتَيْب ما شاء ، تُسَمِّعُهُ غيرَ مفهوم ، لا بالرَّمَل ولا بالمرْمُوم ، كأنَّ

١ د ط س : ثم قال في صفتها أيضاً .

٢ ب م : طم .

٣ د ط س : وليسوا .

٤ د ط س : ولا لحقهم . . . دهرنا .

٥ د ط س : ولولا تقدمهم وتأخره نقلت ان كلامه نقلوا . . . الخ .

٦ انظار رسائل أبي العلاء : ١٥ - ١٦ (مرغوليوث) ؛ ص : ٣٩ (ط . بيروت) .

٧ الرسائل : المرتجع .

سجّعها قريضر رمراسلها رد : ، فقد مادَ بِشَجْوِهَا العود ،
وفقيدُهَا لا يعود ، تَنَدُّبُ شَوْقاً^١ هديلاً فات ، وأُتِيحَ له بعضُ الآفات ،
وَأَبَسَ الْأَشْوَاقُ^٢ ، لذواتِ الْآطَواقِ ، ولا عندَ السَّاجِعَةِ ، عِبْرَةٌ مُتَرَجِّعَةٌ ،
لَمَّا رَأَتْ الشَّرَطَيْنِ قَبْلَ الْبُطَيْنِ ، والرَّشَاءَ^٣ ، قَبْلَ الْعِشَاءِ ، فَحَكَتْ
صَوْتَ الْمَاءِ فِي الْخَرِيرِ ، وَرَنَّتْ^٤ بِزَاكِ دَائِمَةِ التَّكْرِيرِ ، فَقَالَ جَاهِلٌ :
فَقَدْتُ حَمِيمًا ، وَتَكَلْتُ وَلَدًا قَدِيمًا ، وَهِيَّاتِ يَا بَاكِيةَ ، أَصْبَحْتَ فَصَدَحْتَ ،
وَأَمْسَيْتَ فَتَنَاسَيْتَ ، لَا هَمَّامٍ لَا هَمَامَ ، مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ هَاتِفِ الْحَمَامِ ،
سَلِمَ فَنَاحَ ، وَصَمْتَ وَهُوَ مَكْسُورُ الْجَنَاحِ .

ومن أخرى له^٥ : ما حمامةٌ ذاتُ طوقٍ ، يُضْرَبُ بها المثلُ في الشوقِ ،
كَانَتْ فِي وَكْرٍ مَصُونٍ ، بَيْنَ الشَّجَرِ وَالْغُصُونِ [٩٤ ب] ، تَأْلَفُ مِنْ
أَبْنَاءِ جَنْسِهَا رِيْدًا^٦ ، يَتَرَاوُحُ تَغْرِيدًا ، مَسْكَنُهَا نَعْمَانُ الْأَرَاكِ ، تَأْمَنُ^٧
بِهِ غَوَائِلَ الْأَشْرَاكِ ، وَتَمُرُّ فِي بَكَرَتِهَا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ، لَا تَفْرُقُ لِمَكَانٍ
صَائِدٍ وَلَا رَامٍ ، صَادَهَا وَلَيْدٌ فِي حَيْلٍ ، مَا حَفَظَهَا مِنْ إِلٍ^٧ ، فَأَوْدَعَهَا
سَجْنًا لِلطَّيْرِ ، وَمَنَعَهَا مِنْ كُلِّ مَيِّزٍ ، فَإِذَا رَأَتْ بِوََاكِرِ الْحَمَامِ ، < ظَلَّتْ >
تَمَارِسُ جُرْعَ الْحَمَامِ ، تَسْأَلُ بِطَرْفِهَا أَخَاهَا ، مَا فَعَلَ بَعْدَهَا فَرَاخَاهَا ،

١ شوقاً : سقطت من الرسائل .

٢ الشرطان : نجمان معترضان من الشمال الى الجنوب ينزلهما القمر ، والبطين من منازل القمر ،
والرشاء : كواكب كثيرة صفار على صورة السمكة .

٣ الرسائل ، بعد .

٤ الرسائل : وأنت .

٥ انظر رسائل أبي العلاء : ٥٩ - ٩٣ ، وسقطت من ط د س .

٦ الريد : الترب .

٧ الإل : العهد .

فيقول : أصبحا ضائعين ، يسترهما الورقُ عن العين ، بأشوقٍ مني
إلى حضرة سيدي .

ومن شعره في صفتها قوله من قصيدة ١ :

وغنّت لنا في دار سابور قينسية^١ من الورق مطراب الأصائل ميهال^٢
رأت زهراً غصاً فهاجت بمزهر مثنيه أحشاء لطفن وأوصال^٣
فقلت تغنّي كيف شئت فانما غناؤك عندي يا حمامة إحوال^٤
وتحسّدك البيض الغواني قلادة^٥ بجيدك فيها من شذا المسك تمثال^٦
فأقسمت ما تدري الحمامم بالضحى أطواق حُسن من أم من أغلال^٧

وقال ٣ :

غيرُ مُجند في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترتّم شاد^١
أبكت تلكم الحمامة أم غنّت على فرع غصنها المياد^٢
أبنات الجدبل أسعدن أو عيدن قليل الغزاء بالاسعاد^٣
إيه لله دركن فأتين اللوآقي يحسن حفظ الوداد^٤
ما نسيّن هالكاً في الأوان الحال أودى من قبل هلك إباد^٥
بيد أني لا أرتضى مساً فعلتن وأطواقكن في الأجياد^٦
وله من أخرى في أبيه يرثيه ٤ :

سأبكي اذا غنى ابن ورقاء هانفاً^١ وإن كان ما يعنيه ضد الذي أعني

١ شروح السقط : ١٢٣٩ .

٢ السقط : تلك أم هي .

٣ شروح السقط : ٩٧١ .

٤ شروح السقط : ٩٤٠ .

٥ السقط : بهجة .

وما ندبت^١ في مسمعي كل قينة
تغرّد باللحن البري من اللحن
وله من أخرى في أمه^٢ :

وأمتني إلى الأجداد أم^٣
وأكبر أن يرثيها لساني
ومن لي أن أصوغ الشهب شعراً
مضت وقد اكتهلت فخلت أني
فيا ركب المنون أما رسول^٤
ذكياً يسحب الكافور منسه
ألا نبهنتي قينات بث^٥
وحماء العلاط^٦ يضيئ فوها
تداعى مصعداً في الجيد وجداً
أشاعت قبلها وبكت أخاها
شجنتك بظاهر كقريض ليلي
سألت متى اللقاء فقبل حتى
يعز علي أن صارت أمامي
بلفظ سالك طرّق الطعام [٩٥ أ]
فألبس قبرها سمطي نظام
رضيع ما بلغت مدى القظام
يبلغ روحها أرج السلام
بمثل المسك مفضوض الختام
بشمن غصاً فملن إلى بشام
بما في الصدر من صفة الغرام
فقال الطوق منها بانفصام
فأضححت وهي خنساء الحمام
وباطنه عويص أبي حزام^٧
يقوم الهامدون من الرجام

وقال بعض أهل عصري من قصيد خرج فيه إلى وصف الحمام :
وان هتف الحمام فليست أدري وإن بارتته أيهما انتكالا
تعلقت الحمام بساق حر^٨ فسل هاتيك من أنكى الجمالا

١ السقط : ونادبة .

٢ ط د س : رثى بها أمه ؛ وانظر شرح السقط : ١٤٥٦ .

٣ العلاط : طوق الحمامة ؛ والحماء : السوداء ، وفي ب م : الحلي .

٤ ليل الاخيلية ؛ وابو حزام المكلي شعره عويص .

وقال محمد بن هانيء الأندلسي^١ :

وما راعني إلا ابنُ ورقاءَ هاتفٌ بعينيه جذرٌ من ضلوعي مشوبٌ
وقد أنكر الدَّوْحَ الذي يستظلهُ وصحَّتْ له الأغصان وهي أهاضيبُ
وحثَّ جناحيه ليخطفَ قلبه عشاءً شذائيقُ الدجى وهو غريبُ
ألا أيتها الباكي على غير أيكسه كلانا فريدٌ بالسماوة مغلوبُ
فؤادك خفَّاقٌ ووكنك^٢ نازحٌ وروضك مطلولٌ وبالك مهضوبُ
هلمَّ على أني أقيك بسأضلي وأملكُ دمعي عنك وهو شآبيبُ
تُكِنِّكَ لي موشيةٌ عبقرية كرىشك إلا أنهنَّ جلايبُ
فلا شدوْ إلا من رفينك شائسٌ ولا دمعَ إلا [من] جفوني مسكوبُ
ولا مدحَ إلا للمعزِّ حقيقةً يفصلُ درأً والمديحُ أساليبُ [٩٥ ب]
نجارٌ على البيتِ الاماميِّ مُعتلٍ وعدلٌ إلى الحكمِ^٣ الربوبيُّ منسوبُ

رجع بنا الكلام إلى إدريس

وقال من قصيدة في ابن مقنة وزير يحيى بن حمود أولها :

دعاهُ الهوى من ذي الأراكِ قلباهُ وغناه أيكِيُّ الحمامِ فأبكاهُ
وصدَّقَ دعوى الشوق برهانَ جسمه وما كلُّ ذي دعوى تُصدَّقَ دعواه
وظلَّ جناحُ القلبِ منه كأنما قُدَّامِي جناح البرقِ منه قدماه
بذي لَعَسٍ للاقحوان ثنائاه وللورد خدَّاه وللأس صدغاه

١ ديوان ابن هانيء : ٢٢ .

٢ الديوان : وسحت ؛ د ط : ومجت .

٣ الديوان : ووكرك .

٤ الديوان : العدل .

٥ ط د س : رجع وقال ادريس ؛ وورد منها بيتان في مسالك الابصار .

وللسّوسنَ الرّيانَ صفحةً خدّه
يُزيني إذا ردّ السلامَ مخالسا
كأنّ فؤادي كلما قام^٢ قرطه
فريدُ جمالٍ تمّ لي توأمُ الهوى
تكمّلَ فيه السّؤلُ^٣ حتى كأنه
لقد كان معنى الجودِ عُمّيَ فأنبري
هصرتُ به الدنيا فمالتُ رطيبةً
فمن يكُ عني سائلاً فأنا السّدي
وما ضحك النّوارُ من شقّ جيبه
وما فتحت أيدي الحيا زهرة الرّبي
تأمّلُهُ وانظرُ بين بُردَيه واعتبرُ
حوى القلم الباري الأسنة سنّاه

وقال ادريس من قصيدة أخرى أولها^٤ :

لبيكَ لبّيكَ داعي اللّهي من كُتّبِ
إلى السّوالفِ كالسّوسانِ في ضُعدِ
إلى خدودِ بناتِ الرومِ قد برّزتْ
إلى معاطفةِ الآغصانِ في الكُتّبِ^٥
إلى الغدائرِ كالخلجانِ في صَبَبِ
من حُجُبِها وأدارتْ أعينَ العربِ

١ ط د س : محاسناً ؛ ب م : يرقاه ؛ د : ترقاه ؛ واليرنأ واليرناء : الحناء .

٢ ط د س : فاء .

٣ ب م : الحول .

٤ ط د : يد .

٥ ب م : على سودا . . . اوراق ؛ المسالك : على متردى ؛ وسقط البيت ن ط د .

٦ ط د : وله من أخرى ؛ س : وقال من أخرى .

٧ ط د س : من كُتّب .

من كلِّ سافرة عن مشربٍ خجلاً
وأسضحكت عن لآلٍ أو حصي بردٍ
ومنها :

يحدو بها فتيةٌ صيغَتْ وجوهُهُمْ
قد قارعوا دونها كلَّ ابنِ قارعةٍ
من كلِّ أشنبٍ قد أفنت شبيبتهُ
ومنها :

فيه طرازانٍ من ماءٍ ومن لب [٩٦ أ]
يكادُ يقطرُ من مائيةٍ الشنب

من الرضى وعواليهم من الغضب
يهبُ منغمساً في الحرب والحرب
شبيبةَ البان في ظل القنا السلب

أدبَتْها غَضَباً للظرفِ والأدب
من لا يفرِّقُ بين الرأسِ والذنب
بل بالعوالي وبالهنديةِ القضب
حلبتُ أشطُرَ دهري أيتما حلب
أختالُ تحت الرداء العضب ذي الشطب
ما لم يحِبُّ كفؤادِ العاشقِ الوجب
ولا أهشُّ لقرطٍ غيرِ مضطرب
ولا أهشُّ إلى كاسٍ بلا طرب
على أبي الحسنِ المغموسِ في الحسب
إن الرياضَ متى [ما] تُنتَشِقُ تطب
لو سافرتُ لمداها الشمس لم تؤب
حاز السناءَ تراثاً عن أب فآب
كأنه منهم في عسكري حلب

ماذا أقولُ لدنيا لو ظفرتُ بها
تجلو الرياسة في تاج البهاءِ على
شجى من آقديةِ الأيام برح بي
لكنني علوائيُّ الهوى مرسٍ
ألقي الأحبةَ مخفوضَ الجناح وقد
لا يستثيرُ وشاحُ الخودِ لي شغفاً
ولا أهيمُ بجيدٍ غيرِ ذي جيدٍ
ولا أروحُ لروضٍ غيرِ ذي زهرٍ
وحسبُ وشي ثنائي أن أزرره^١
شمائلُ طيِّباتٍ كلما انتشقت
ذو همةٍ في العلا دأباً مسافرة
أعراقُ طيبٍ أتت من أصبغ بفتى
إن قام أو قعد التفَّ العفاة^٢ به

١ ب م : أزوره ؛ ط د س : اودده .

٢ ب م : الزمان .

لم يمشِ قطُّ إلى قربٍ ولا بُعْدٍ إلا على قدمٍ موطوءة^١ العقب
وله من أخرى في باديس^٢ :

سقياً لواديكِ الأغن^٣ مريعهُ
إن كان خدك^٤ فيه ورد^٥ يسانع^٥
ومنها :

القائدُ الجردَ العتاقَ كأنها متوقد^٦ في الحادثاتِ إذا دجت
لُجَجَ زواخرُ أو عوارضُ لمع^٦ فكأنه فيها شهابٌ يسطع [٩٦ ب]
علم^٦ هو القمرُ المباهي طالعا متسرلين لكل^٦ حربٍ مرةٍ
صنهاجة^٦ وهم^٦ النجومُ الطلح بأساً يقرع^٦ كلَّ من لا يقرع
فاو آتهم رفضوا الأسنة والقنسا قامت^٦ قلوبهم^٦ بها والأذرع
وهذا المعنى كثير ، ومنه قول الأول :

قوم^٦ إذا اشتجر القنا جعلوا الدروعَ لها مسالك^٦
اللابسين قلوبهم^٦ فوق الدروع لدفع ذلك

وقال أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات تقدم لإنشادها :
وقد زروا الدروعَ على قلوبٍ لو انتضيست^٦ لتقطَّ بها الرقابُ
وكرره في موضعٍ آخر فقال :

١ ب م : موضوءة ؛ وسقط البيت من ط د س .

٢ ورد منها بيتان في المسالك .

٣ ط د : قلبي وعيني .

٤ ط د : تلعب .

٥ د ط س : وهي .

أخلاقِي وفي قِربِ الصدورِ طُوبَى تَقْضِي على قِمْمِ الدهورِ
وللتهامي ١ :

لو أشرعوا أيمانَهُمْ من طولِها طعنوا بها عوضَ القنا الخطاري
وقال قيس بن الخطيم ٢ :

إذا قَصَّرتُ أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ
وقال الآخر ٣ :

إذا الكِماءُ تَنَحَّتْ أن يُصِيبَهُمْ حدُّ الظِّباءِ وصلناها بأيدينا
وقال ادريس :

أَكْخِيلةَ الأَجْفانِ بالسحرِ الذي لولاه ما زَوَتْ البِلابِلُ بابلُ
قد كان قلبي غافلاً عما به أودى وقلبُ [أخي] السلامة غافلُ
جئني دهاني منك صدرُ رامي ذربُ سناناه وطرفُ نابل
ما عَقَّدْتُك المُمَهِّسَ بِجِيْدِكَ دُرَّةً لكن فرندُ في حَسامِ جائل
كملتُ سيوفُ الهُدَى فوق جفونِها وطوالُ أهْدابِ الجفونِ جمائل
ومنها :

سارَ وغادَ بالخيادِ كأنَّهُـا بلججُ وأكبادُ العداةِ سواحل
وكأنَّما الآجالُ فوقَ رماحه ورُقُّ على شجرِ الأراكِ هِوادل
الحافظاتِ أسافلاً وأعالـيـاً فكأنَّهنَّ ضِواغِمُ وأجادل

١ ديوان التهامي : ٤٩ .

٢ ديوان قيس بن الخطيم : ٤١ ، وانظر التعليق على هذا البيت : ٢٠٣ في الديوان .

٣ البيت من الحماسة رقم : ١٤ ص : ١٠٨ في شرح المازني ، وهي تنسب إلى بشامة بن

حزن ، ونهشل بن حري ، وبعض بني قيس بن ثعلبة . ٤ ب م ط د : درت .

لياً كما فتل السوار الفاتل
 رأي كما صقل الحسام الصاقل
 لم يدن من تلك المدامة واغل^١ [٩٧]
 ومنى النفوس أقل ما هو باذل
 وادي حنين والصنفوف حوافل
 وبنات أعوج ما شحنته زائل
 طمحت عيون نحوه وأنامل
 فالوهم عن إدراكها متضائل
 وتطول أرواحهم ومناصل
 وكأنما الحدثان عنه مناضل
 وكأنما البرجيس فيه مجادل
 وتهيم فيك منابر ومحافل
 لك ساجحات والدجون قساطل
 حركاتها فعل وأنت الفاعل
 لاخضر في يدك الوشيح الذابل

يلوي القنا في نحر كل مدجج
 بأساً كما نزل القضاء ، يديره
 وإذا شراب القوم كان منيسة
 تغم السيوف ألد ما هو سامع
 هذا ابن خاضب ذي الفقار بجاني
 وبخير الحرب بارق عارض
 دفع الرسول إليه رايته وقد
 أربت على الغايات غاية مجدهم
 تزدان أقلامهم ومحابر
 فكأنما المقدار من أشياعه
 وكأنما المريخ من أنصاره
 تصبو إليك مشارق ومغارب
 وتود ساجدة الكواكب أنها
 تجري بما منها تشاء كأنما
 لولا اضطرام البأس فيك لدى الوغى
 وهذا البيت من قول المعري^٢ :

ينهل منهن النجيع الأحمر
 فجراحهم بالسهمريّة تسبّر
 لاخضر في يمين يديه الأسمر

يتهللون طلاقة وكاومهم
 لا يعرفون سوى التقدم آسيباً
 من كل من لولا تسعّر بأسه
 وله من أخرى :

١ الواغل : المتطفل على الشراب .

٢ شروح السقط : ١١١٣ .

يلقى الوغى بأديم وجه ضاحك
 بطل ترى الأبطال منه كالقطا
 في سرجه زحل وبهرام معاً
 بأساً يخلي الخيل حين يخوضها
 وذكاء فهم كلما استخبرته
 في كل كف منه خمس أصابع

ولادريس من قصيد فريد^١ : [٩٧ ب]

سرت في قميص الصبح^٢ وهو جسد
 ولما استمد الأفق من نور وجهها
 بشمس يكاد الوهم يذمي أدبها
 فلو يتأتى وردّها أو مرادها
 وأين من المرتاد أعفر مقمر
 غزال كيناس بل غزالة كلة
 كأن جفوني فوق عيني من آجلها
 أوحشية الإعراض عنا وما لها
 من الهيف تستجفي النسيم إذا جرى
 وتحمل الياقوت يرسو ثقله
 أيعطى مناه من ترائب الحصى
 من الصيد حرّان أطلت عويله
 فإن لم أرد ذلك اللمي العذب لأنني

فأبليت قميص الليل وهو جديد
 تقاصر باع الليل وهو مديد
 لها الليل تاج والنجوم عقود
 تسلسل مورود وطاب مرود
 نفور كنوم العاشقين شرد
 تزين الحلى منها سواف غيد
 ثياب دوام تحتهن شهيد
 من الوحش إلا مقلتان وجيد
 عيلاً على أعطافها فتميد
 فيجفو على صدر زهاه نهود
 ويحرم مشغوف الفؤاد عميد
 وثغرك سلسال الرضاب برود
 على مهبج الأسد الوارد ورود

١ ورد منها في المسالك ١١ بيتاً ، وسقطت من ط د س هي وما بعدها حتى نهاية الترجمة .

٢ ب م : الليل ، والتصويب عن المسالك .

وان صَدَيْتَ شَوْقاً إِلَيْكَ جَوَانِحِي
فَحَسْبِي مِـنْ شَهْدِيَّتِهِ مَاءُ صَارِمٍ
إِذَا سُلِّ فِي الْهِجَاءِ وَهِيَ دُجْنَةٌ
وَكَأْسٌ كَرَقَرَقِ السَّرَابِ كَأَنَّمَا
هِيَ الْعَيْنُ عَيْنُ الشَّمْسِ تَأْبَى عَنِ الْقَدَى
فَبَتْ نَدِيمًا لَابْنَ عَشْرِ وَأَرْبَعٍ
وَمَا أَصْفَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ إِلَّا لِأَنَّهُ
أَبَادِيهِمْ فَوْقَ الْعَفَاةِ عُقُودُ
مَضَوْا وَنَحُورُ النَّبْلِ مِنْ صَبْغِ طَعْنِهِمْ
بَسَاحَةِ فَاسٍ مِنْهُ مَطْرَدُ النَّدَى
وَمِنْهَا :

بَحِثُ الْبَحَارُ الْخَضْرُ وَهِيَ كَتَائِبُ
خِيُولُ كَعْقَبَانِ الدُّجُونِ وَكَلَاهَا
لَهَا مِنْ ذُؤَابَاتِ الْحَسَانِ مَقْــــــــــــاودُ
تَجَرَّرُ عَنْ [] الْمَفْرِ فَمَا تَنِي
حِجَابُ وَلَكِنْ لَيْسَ يَثْنِيهِ ذَائِدُ
فَتَى يَخْرُقُ الْأَغْيَالَ وَهِيَ أَسْنَةُ
فَلَيْسَ لِمَخْتَالٍ لَدَيْهِ مَخِيلَةٌ
بَعِيدُ الْمَدَى مَاضٍ بِرِيكَ جَلَادَةٍ
يَحِيدُ عَنِ الْقَوْلِ الْكَرِيهَ سَمَاعُهُ
فَأَنْتَ إِذَا اشْتَدْتُ يَدُ الْقَهْرِ لَيْسَ

وَفِي ابْنِهِ :

فَصَدَّ بِهِ مِنْ عَارِضِيكَ صُدُودُ
فَلَوْلُ ظَبَاهُ لِي بِذَاكَ شُهُودُ
تَأَلَّقَ فِيهَا لِلصَّبَاحِ عُمُودُ
لَهَا رَعْدَةٌ عِنْدَ الْمَزَاجِ عَقُودُ
فَتَنْفِي الْقَدَى عَنْ نَفْسِهَا وَتَذُودُ
يُدِيرُ رَحِيقًا عَتَقَتْهُ ثُمُودُ
لَوْجَهُ الْأَمِيرِ الْأَرِيحِيِّ حَسُودُ
وَأَحْلَامُهُمْ فَوْقَ الْجَنَاحِ بِرُودُ
كَمَا أَشْرَبَتْ مَاءَ الْحَيَاةِ خُدُودُ
وَلَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ يَدَيْهِ طَرِيدُ [٩٨ أ]

عَلَيْهَا السَّحَابُ الْحَمْرُ وَهِيَ بَنُودُ
لِكُلِّ صَيُودٍ فِي الْعَجَاجِ صَيُودُ
وَمِنْ لَبَدِ الْأُسْدِ الْوَرَادِ لَبُودُ
يَرُوقُكَ مِنْهَا قَائِدُ وَمَقُودُ
عِبَابُ وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْهُ سُدُودُ
وَيَقْتَنَصُ الْأَبْطَالَ وَهِيَ أَسُودُ
وَلَيْسَ لِمُرِيدٍ عَلَيْهِ مُسْرُودُ
إِذَا لَمْ يَطُقْ حَرَّ الْجِلَادِ جَلِيدُ
وَلَيْسَ عَنِ الْقِرْنِ الْكَرِيهَ يَحِيدُ
وَأَنْتَ إِذَا لَانَ الْكِمَاءُ شَدِيدُ

إذا اعتدَّ ذو مالٍ به لزمانه فمالك كنزٌ للعفاة عتيد
 لعمرى لقد أنجبتَه لكَ مشبهاً فداناك منه مُتَلَفٌ ومفيد
 فَعَرَّتُهُ تُعدي سناكَ على الدجى وراحتهُ تُبدي الندى وتعيد
 قريبٌ تراه [منك] لا متباعدٌ وكم من قريبٍ منك وهو بعيد
 فنوةٌ به حتى يساميك في العـلا فقد يتساوى والدٌ ووليـد

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الأصمغ ابن أرقم^١

أحدُ كتّاب الجزيرة المَهَرّة ، والنقّدة الشّعرة ، ممن نهض في الصناعة
 بالباع الأسدّ ، وأخذ فيها بالساعِد الأشدّ ، وجدّ في معاناتها ، واقتصر على
 كسب آلائها ، وَجَمَعَ أدواتها ، وارتاض في طرقها معيداً ومبدياً ، ورمى
 إلى أغراضها مصيباً ومخطياً ، حتى تدرّج في مدارجها ، وخرج على جميع
 مناهجها ، واطّلع من ثناياها ، وأشرف على خباياها ، ، وجرت بينه وبين
 طائفةٍ من أهل^٢ هذا الشأن ، في ذلك الزمان هنات ، في ما انتقدوا عليه
 من ألفاظٍ وكلمات ، وتقديرٍ واستعارات بعيدة^٣ ، وكانت تلك الطائفةُ قد
 أسندت في ذلك إلى ابن سيده ، وقد أوردتُ من ذلك ما يليق بالديوان ،
 ويستوفي^٤ جملةَ الإحسان .

١ عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميري الوادياشي ، سكن المرية ، وأقام بدائية مدة عند اقبال
 الدولة علي بن مجاهد ثم صار الى المعتصم محمد بن صمّاح ، وكان من وجوه رجاله ونهباء
 اصحابه ، وقد توجه عنه رسولا الى المعتمد بعد ٤٦٠ ، بصحبة أبي عبيد البكري والقاضي
 ابي بكر بن صاحب الاحباس ؛ وله «الانوار في ضروب الاشعار» ثم اختصره وسماه
 «الاحاق» ؛ توفي في اماراة المعتمد بن عباد ، (انظر التكملة رقم : ١٧٣٥ ونفع الطيب
 ٣ : ٤٩٨ والقلائد : ٨) .

٢ د ط س : ارباب .

٣ د ط س : بديعة . ٤ د ط س : وينسق في .

فصول من رسائله السلطانيات [٩٨ ب]

فصل له من رقعة عن عليّ بن مجاهد إلى المعز بن باديس صاحب إفريقية^١ :
أطال الله بقاءَ الملكِ الأجلِّ ناظرِ عينِ الزمانِ ، وروحِ جسمِ الأمانِ ،
وحسامِ عاتقِ الإسلامِ ، وجليِّ جيدِ الأنامِ^٢ ، ومهديِّ طوالِ الآمالِ ،
ومأوى شارِدِ الإنعامِ والإفضالِ^٣ ، مخلّدةً في الأنامِ دولتهِ ، مؤيَّدةً مع
الأيامِ مدتهِ .

أنا ؛ — أيده الله — أمتٌ إلى دولتهِ — خلّدها الله وأيّدها ، كما وطّدها
ومهدّها — بما أبأى به على الأقرانِ ، وأكافحُ كلَّ زمانٍ ، وأفأوحُ
كلَّ بستانٍ ، وأحرزُ كلَّ ميدانٍ ، [إلى] أن ارتقيت إلى سمائها ، وصعدت
في سَوّائها ، مستسهلاً وغيرَ المرتقى ، لسهلِ الملتقى ، ومستعدباً مسرَّ المجتلى ،
لحلّوِ المُجتلَى ، فشافهُتُ بدَرَهَا ، وتبوّأتُ حِجْرَهَا ، وارتضعتُ دَرَهَا ،
على حينِ أجفانِ الفضلِ كليلَةِ ، وأقدامِ المجدِ معقولة ، وأيدي النصرِ مغلولَةِ ،
وان قعدتُ عن مناسكِ فرضها ، فإني مُعيرُها ضميراً كما ابتلجُ النهارَ ،
وشكراً كما أريجَ النوارِ ، وهل أنا إلا أحدُ أبنائها ، وشُهبِ سمائها ، وشيعةِ
علائها ، وحماةِ أرجائها ، وان جَدَمَ نأيِّ الدارِ كَفَّ الخيارَ ، ففي البعدِ

١ ورد بعض هذه الرسالة ص : ٢٤٥ منسوبةً إلى أبي عامر التاكرني ، وذلك فيما يبدو وهم
من ابن بسام ؛ وقد وقع اختلاف في القراءة في الموضوعين أشرت إلى بعضه ، وأبقيت
بعضاً منه كما هو .

٢ ط د س : الأيام .

٣ س : الافضال والإنعام .

٤ ط د س : إني .

٥ ب م : افتتح ؛ ط : ابتلج .

٦ ب م : نائي .

اعتذار ، وفي الجهد إعدار ، وان مع التجاور ليعم^١ العيان ، ومع التماور
ليطمئن^٢ البرهان ، ومع التزاور لترو^٣د الأحوال ، ومع التقارب ليقع^٤
الإخلال ، والقوى المخلوقات قريبة^٥ الانحلال ، سريعة^٦ الانفعال ،
والنيرات على وفور ضيائ^٧ها ، وظهور سن^٨ها وسن^٩ائها ، فيما لا يتقابل
كليلة^{١٠} ، وعندما لا يسامت^{١١} عليلة ، وفيما لا ينال^{١٢} ظليلة^{١٣} .

وفي فصل منها : وقد علم مبتلي السرائر ، وحافظ البواطن والظواهر ،
أنها بصيرتي التي أستشعر^{١٤} ، وسريرتي التي أضمر^{١٥} ، وحقيقي التي أخفي^{١٦}
وأظهر^{١٧} ، وشريعتي^{١٨} [التي] بها أسير^{١٩} وأجهز^{٢٠} ، وأن مقالي كفيل^{٢١} فعالي
في موالاة سيدنا — خلد الله ملكه — على طول المدى ، وشط^{٢٢} المتناهي ، وبعد^{٢٣}
المرمى ؛ ولما وقف الأمر على الحد الذي قد منته^{٢٤} ، والقصد الذي ذكرته ،
والرسم الذي أثبتته ، لم أستبد^{٢٥} من إعلامه واستثماره ، ولم أقعد^{٢٦} عن استثنائه
ولشعاره ، ولم أنفذ^{٢٧} إلا بعد استخباره .

وفي فصل من أخرى : إذا كانت نعم^{٢٨} الله عند الحضرة الإسلامية
مُشرقة المطالع ، رحيبة الأرجاء والمراتع ، وكان أنصارها وعبيدها ،

١ وردت قبل : ليعلم ؛ ب م : ليعمر .

٢ ب م ط : ليطمس .

٣ س : لتروح .

٤ ط د : الانفلال .

٥ ب م ط د س : جليلة .

٦ ب م : تقابل ... تسامت ... تنال .

٧ مرت قبلا : « ضليلة » .

٨ ط د س : وشرعي .

٩ ب م : استند .

وكتائبها المنصورة^١ ، وجنودها المهوبة ، في اجتماع من كلمتهم على طاعتها ،
 واتفاق من أهوائهم في مناصحتها ، وتظافر من جميعهم على خدمتها ،
 فقد علّت يد الإسلام ، واحتتمى عزّه أن يضام ، وجانبه أن يرام ،
 وشملت نعمها الأقطار ، وأمدّت أقاصي [٩٩ أ] الديار ، وأبرت^٢
 على نأي^٣ المزار ، فهي جماع الدين ، وردء المؤمنين ، ومحفل المسلمين .
 وفي فصل منها : ومما وجب التعريف به ما عمّ أقطار ثغرنا ، وغشي
 مجامع أفقنا ، من تمالؤ النصارى^٤ وتضافرهم من كل أوب إلينا ، بجمع
 لا عهد بمثله ، ملأ الفضاء ، وطبق الأرجاء ، وشغلنا بالفتنة بيننا
 عن تخفيف وطأتهم ، وتضعيف سورتهم ، فطمسوا الآثار ، وجاسوا خلال
 الديار ، موفورين لا مانع منهم ، ولا دافع لهم إلا التفاتة الله تعالى لأهل
 دينه بأن أقل فائدتهم^٣ ، وخيب مرامهم ، وأطاش سهامهم ، والحمد
 لله على منحيه ومحنته .

وله عنه من أخرى إلى مقاتل العامري : ولما اعترفت السعادة بارتباط
 ودك ، والاعتباط بوثق عقيدك ، رأيت أن أسلك بابي السبيل المثلى ،
 والمنهج الأهدى ، ويعلم أنني نظرت له بأحسن ما نظرت والد لولده ،
 وحبا به أحد لللدة كبده ، حتى يكون إن أدركتني قبلك وفاة ، وكانت
 له بعدي إناة ، قد ظفر بأمل ينعمه ، وأوى إلى جبل يعصمه ، أو تبادت
 لي معك حياة ، وتناولت لي ليلات ، لم يضرره أن يعلق بيدين ،

١ ب م : نائي .

٢ ط د س : العدو .

٣ ط د س : أقل قائدهم ؛ ط وخ بهامش س : بل أقل .

٤ ط د س : يضره .

[ويعتمد على ركنين] ، وَيُسْنِدَ إلى أبوين ، فأنت الوالد وهو الولد ،
 والساعد وهو اليد ، بل قد اتصل بك اتصال الحاسب بالكبد ، وحلّ منك
 محلّ البنان من الكفّ والعَضْد ، وَمَنْ حَلَّ في ذَرَاكَ ، ولاح في
 يَمْنَكَ ، فهو الشهاب الثاقب ، والحسام القاضب : كما أن مَنْ عُدَّ
 في ذوبك ، واعتدّ في بنيك ، فلن يُقَصِّرَ إن شاء الله عن معادلة الكهول
 وإن صَغُرَتْ سِنُّهُ ، ولا يتأخّر عن مقارعة النصول وإن لان غُصْنُهُ ^١ ،
 فلما يزاحمُ منك بَعُودُ ^٢ ، ويطاولُ بَطْوَدُ ، ويقاثلُ بجمع ، وينازلُ
 بنبع ، ويقضي على الأيام بظهير ، ويصولُ على الدهر بأمرٍ كبير .

ولما أذمّ اليك هذه الحال ، ودبّت به نشوة الإدلال ، تمنى أن تُوطِئَهُ ^٣
 الريحَ جناحاً ، وتعيّره من البرقِ التياحاً ^٤ ، وترفع له نحو السماء طِمَاحاً ،
 بما يرجوه من حملك لإياه على المهرِ المذهب ، والوردِ الأغرّ المحبّب ^٥ ،
 الذي استعبرت سُرْعَتُهُ من إسراعك إلى المكارم ، وأخذت سَبَقَتَهُ من
 سَبَقِكَ إلى ندى ^٦ حاتم ، وعلمَ لِنَ قِيادك للمصاحب ^٧ ، واسترقتْ جَوَدَتَهُ ^٨
 من سماعِ جودك على الطالب ، وإن يكن لا تؤثر به غير جنابك ، ولا
 تختاره إلا لركابك ، فمن لم يُوقَ شَحّ نفسه [فيه معذور] ، ومن ارتبطه
 بالضنّة ^٩ به جدير .

١ ب م : عصبه .

٢ من المثل : « زاحم يمود أو دع » (الميبداني ١ : ٢١٦) أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

٣ ط د س : ولما رغب أن توطئه . . . الخ ؛ وفي ب م : تطويه .

٤ ط د س : التماح .
 ه ط د س : المجنب .

٦ ب م : الندى .

٧ س : للمصاحب .
 ٨ ب م : جوده .

٩ ط : فالضياع . س : فالضمانة .

وقاد المهر المستهدى لولده^١ ، فأجابه برقعة يقول^٢ في فصل
منها^٣ : وصل — أَيْدِكَ اللهُ — البِرُّ المولى على الأَرَب ، وأتى الوردُ المحلّى
[٩٩ ب] بالذهب ، يَسْبَحُ في حَلْيِهِ ، ويمرُحُ في محاسن زيه^٤ ، فقامتُ
أَمْسَحُ بردائي على وجهه وأطرافه^٥ ، وأخذُ ناظرًا^٦ في نعوته وأوصافه^٧ ،
فإذا بالقمر قد أعطاه غُرَّتَهُ ، والصبح قد حباه بُلُجَّتَهُ ، والغلس قد
كساه دُلُجَّتَهُ ، فجمع بين دُهْمَةِ الليل وشُقُورَةِ الشفق ، ووضع
فلقة القمر على صَهْوَةِ الغسق ، ومدَّ^٨ جلال الزلفة إلى حجلة^٩ الفلق ،
وأردتُ إنعاله فإذا^{١٠} الرياح قد أنعلتَهُ أجنحةً ، وتفقدتُ جلاله فإذا
الفراشة قد ألحفته أوشحة ، فلو عُرِّيَ إلى الأعوج لأَنِفَ ، أو نَمِيَ
إلى العصا لَوَجَفَ ، ولو كان من خيل سليمان لما عدلَ بالصفائف
العناق ، ولا طَفِقَ لها مسحًا بالسوق والأعناق ؛ ولما راقَ منظره^{١١} ،
وفاق مَخْبِرُهُ^{١٢} ، جعلتُ ودِّي معرضه ، ونفسي مربطه ، وخاطري
مَرْتَعَهُ^{١٣} ، وناظري مَشْرِعَهُ ، وقلت : لله درُّه^{١٤} ، فما أحكم الصنعة فيه ،
وما أصحَّ جودَ مُهْدِيهِ ! !

وله عنه [من أخرى] إلى ابن رزين : قد يكونُ — أعزَّكَ اللهُ — الأَجَلُ

١ د ط س : لابنه .

٢ ط د س : برقعة قال فيها .

٣ ب م : ويسبح في محاسن ربه .

٤ ب م : وأخذ ناظري .

٥ ب م : حكاه .

٦ ط د س : وسدد .

٧ س : خلال ؛ ط د : خجلة .

٨ ب م : فكان .

في الأمل ، وربما صَحَّتِ الأجسامُ بالعلل^١ ، فكم من امرئٍ نُشِرَ من كفه . وآخر أوتي من مَأْمَنِهِ ، ومن نعم الله على العبد أن يقاتل عنه من ناواه بحسامه ، ويناضلَ دونه مَنْ عاداه بسهامه ، [حتى يكونَ قتيلَ سهمٍ رماه بيده ، ومصابَ أمرٍ أجراه على مُعْتَقَدِهِ] ، والسعيدُ مَنْ نامَ والأقدارُ تحرسه ، وأقامَ الأيامُ تخدمه ، واكلَ الله يكفله ، فحقَّ له ألا يجزع إذا دهى خطبٌ ، فإن الفرجَ معه ، وإلاَّ يهلك إن عدا كربٌ ، فإن الله قد رآه وسمعه ، ولا سيَّما إن قُصِدَ بظلمٍ واعْتُمِدَ ببغي ، ففي التنزيل : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ ﴾ (الحج : ٦٠) .

[وفي فصل منها] : ولما دعاه إلى السلم ، وناداه باسمِ الصُّلحِ الاثم ، غرَّه بأيمانه ، واستدناه من مكانه ، فقبضَ عليه ، وخاسَ بما ألقاهُ من العهدِ إليه ، ثم أراد أن يُتَّبِعَ الإساءةَ ضعفاً ، والإبالةَ ضيقاً ، باعتزاه الغدرَ بأخيه الأقرب ، ومحلَّ أبيه الحديبِ ، فَصَرَفَ اللهُ كَيْدَهُ في نَحْرِهِ ، وأذاقه وبالَ أمره ، ووضَّحَ ما كان من سِرِّهِ وضوحَ النهار ، وتطلعتْ بناتُ صدرِهِ تَعْلُوْنَ على الأستار ، وهو لا يشعرُ أنه شُعِرَ به ، ولا بأنَّه قد أبى له^٣ ، بل خال عَمَائَتَهُ نهارَ الأديبِ فانكشف سرُّه ، وظن غباوته غفلةً^٤ الرقيبِ فانهتكَ سترُهُ ، وكان قد فكَّرَ وقَدَّرَ ، ﴿ فَفُتِّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (المدثر : ١٩ - ٢٠) وليته قَبْلَ تدبيره لو نَقَّحَ ما دَبَّرَ ، وحين حَقَّرَهُ لو وسَّعَ إذ حَضَرَ ، وسمعَ قولَ القائل :

١ عجز بيت للمتنبي ، وصدرة : لعل عثبك محمود عواقبه . ٢ ط : تعلق .

٣ ط د س : ولا بأذنه قد ولج له ؛ ب م : ولا بأذنه أبه قد وبه له .

٤ ط د س : وطار غباوة غفلته .

٥ د ط س : حفيره .

يا حافرَ الحفرةِ وَسَّعَ فقد يَسْقُطُ في الحفرةِ حَفَّارُهَا
وقول الآخر :

مَنْ يَرَّ يوماً يَرَّ بِهِ* والدهرُ لا يُغْتَرَّ بِهِ*

وما كان إلاَّ أن قبضَ اللهُ ظِلَّهُ ، وفضح غِلَّهُ ، وفاز بحظِّ الحرمانِ ، وحلِّيَ
بِطائلِ الحسرانِ^١ ، وفزعَ فزَعَ اللَهْفانِ ، لا يجدُ أمَّاً ، وَخَبَطَ خَبَطَ الحيرانِ ،
لا يهتدي أمَّاً ، على [حين] ما كان مستحكماً الأملِ ، دانيَ الرجاءِ ، متمكِّناً
الطمعِ [١٠٠ أ] في خَشْرِ أخيه والأخذِ بكظمه ، والاعتذارِ على ظُلْمِهِ ،
فإذا به قد نُشِرَ من قبره ، وشقي بضُرِّه ، حين راماهُ^٢ بِسَهْمِهِ ، وأخذَه
بحكمه ، وأتاه بعلمه ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ
ظَالِمَةٌ ﴾ (هود : ١٠٢) وجزاؤه إذا جازى القلوبَ وهي آثمة ﴿ وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩) ﴿ فَإِنَّ يَسْلُوكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (الجن : ٢٧) .

فالحمدُ لله الذي صيَّره نهياً ، وكفاهُ منه حرَباً^٣ ، فقد كان فيما
بلغ ناهداً إليك ، وعلى ما اتصل وافداً عليك ، ولعلَّ الصنعَ له كان من
حيثُ لم يعلمْ ، والعنايةَ خُصَّتْ به من أينَ لم يفهمْ ، فربما كانت وفادته
برُجميةِ السائرِ^٤ ، وسعايته مشتميةِ الطائرِ ، وبدايته مندَميةِ الآخرِ^٥ .

وله فصولٌ من رقعةٍ طويلةٍ خاطبَ بها الفقيهَ أبا بكر بن صاحبِ الأحباسِ ،

١ د ط س : وحل بطائر ؛ ب م : الاحسان .

٢ د ط س : وسما بصره حتى راماه .

٣ د ط س : كريبا .

٤ إشارة الى المثل : « ان الشقي وافد البراجم » (فصل المقال : ٤٤) .

٥ ب م : وندايته ؛ ط د س : وتدانيه منه الآخر .

وشرح فيها الكلمات التي انتقد عليه ابنُ سيدةَ في رسالته [إلى مصر] ، واحتجَّ فيها لنفسه ، قال في صدرها : لما كنتَ - أعزَّكَ الله - في أكفِّ الآدابِ علماً ، وعلى لسانِ العربِ وغيره حفيظاً وقيماً ، لاقتباسك العلمَ مِن كُتُب ، وورائتيكَ إيتاه عن كلالَةِ أب ، ولم تزلْ تتلقاهُ كابرأ عن كابر ، وترقاهُ^١ باهرأ عن باهر ، لستَ ابنَ سَمْعِكَ ، ولا عِبْدَ طبعِكَ ، تقلدُ كاتباً ساذجاً ، وتعتقدُ قارئاً هازجاً ، وتقبلُ البصرَ بلا بصيرة ، وتقفو الأثرَ على غيرِ وتيرة ، تراعي الحروف ، ولا تبالي عن التحريف ، وتتلو الصحف ، ولا عليك من التصحيف ، ولم تقصُرْ على حفظِ سطوري من كتاب سيبويه ، و« شرح الفصيح » لابن درستويه ، واستظهارِ أوراقٍ من الغريب ، والتحفُظَ مع الشروق ما تنساه مع الغروب ، ولم تشدْ إلى المخرقة بفرفوريس ، ولا الغطرسة بأرسطاطاليس^٢ ، والفرقة^٣ بقافات أرثامطيقا وأنولوطيقا ، والصفير^٤ بسينات قاطاغورياس^٥ وباري أرمينياس^٦ ، وضيعتَ علوم القرآن والتفننَ في حديثه عليه السلام وصحابه ، وتفهم أغرضه ولغاته ، واجتناء زهره وثمراته^٧ ، وأغفلتَ « الكامل » و « البيان » ، وتوارىخ الأزمان ، ونوادِرِ البلغاء أهلِ اللسنِ والبيان ، وأهملتَ أشعارَ العرب والمحدثين ، إلا طلبك أثراً بعد عين ، وقد أربيت^٨ على الستين ، ولم تتمعدد

١ ط د : وتنقله .

٢ ب م : بارسطاليس .

٣ ط د س : والقمقة .

٤ ب م : والسعر .

٥ ب م : قاطو اغورياس .

٦ ط س : وبار أرمينياس .

٧ د ط : ثمره وزهراته .

٨ ط د : ارميت .

أعجيباً ، ولم تبغددُ بدوياً ، ولم تكن مرة شيبياً ، ومرة قطرياً ، وتارة طبيعياً ، وتارة فلكياً ، ولم تتزبب حيصرياً ، ولم تششم ورماً ، ولم تُلدَعِدْ في الأمن ، ولم تُجَعَجِجْ بلا طحن ، ولم تُقَعَقِعْ بلُجْجك ، ولم تُجَلِّبْ بخيلك ، ولم تحمل بأستك ، ولم تُرْهِبْ بصوارمك ، ولم تكررْ بجيادك ، ولم تستظهرْ بأجنادك ، ولم تحاربْ جالساً ، ولم تقاثلْ ناعساً ، ولم تُجِرْ بالخلاء ، ولم تشجعْ على الأولياء ، وأنت الذي أدرّ لي غمامَ الأدب ، وأطلع لي من كائمه كلَّ معجب ، وما كاد الشبابُ يحلُّ تمائي ، ولا الزمانُ يُطلَعُنِي من كائمي .

وفي فصل منها : فاندب العلمَ وأهليه ، وارثه^١ وحامله ، وابك رسومته^٢ ، وحيّ طولته^٣ ، [١٠٠ ب] وسلّم عليه تسليمَ وداع ، واشفقْ لعلقه المضاع ، واعلم أن صدّعه كصدع الزجاجة أعيا الصنّاع ، فيا له مغنماً^٤ هُجِرَ على برد موقعه ، ونفلاً^٥ زُهِدَ فيه على شرف موضعه ، ومورداً تركَ على دُرُور أخلافه ، ووطأة أكنافه ، وقد تولّى الفقهاء^٦ ولم يبق إلاّ مَنْ قَدَمَتْ نُعُوتُهُ وَحَلَاهُ ، ووصفتُ حدّوه وحدّياهُ ، وأغنائي ما صدرتُ به عن إعادة ذكره ، ﴿واقترَبَ الوعدُ الحقُّ﴾ ، (الأنبياء : ٩٧) وبرّ الله تعالى وصدق في قوله : ﴿أولم يَرَوْا أَنَّا نأتي الأرضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد : ٤١) وقال عليه السلام :

١ ب م : ووارثه .

٢ ب م : برسومه .

٣ ط د : مغنى ؛ س : مغنا .

٤ د : وبقلا ؛ س : وشلان .

٥ ب م : موضع شرفه .

٦ د ط : الفقهاء .

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً » . . . الحديث ^١ ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ؛ وَمَنِ الْأَمْرِ الْمَعْجَبُ ، وَالْخَطْبِ الْمُغْرِبِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ — عَلَى جَهْلِهِمْ ، وَمَا بَيَّنَّتْ مِنْ وَصْفِهِمْ — التُّرُسُ ^٢ فِي الْأَدَبِ مِنْ غَيْرِ رِيَاةٍ ، وَالْمُنَافَسَةِ لِأَهْلِيهِ مِنْ غَيْرِ نَفَاسَةٍ ، وَمُنَاهِضَةِ ذَوِي الْعِلْمِ بِاللِّسَانِ بِالْهَذْيَانِ ، حِينَ آتَسُّوا عَدَمَ الْمُنْتَقَدِ ، وَفَقْدَانَ الْمُفْتَقَدِ :

وَلَاتِي وَلِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ يُنَبِّهْ بَاتِي الطَّيْرُ لَا تَسْرِي
وَلَيْسَ كُلُّ سَوَادٍ ^٣ أَسْوَدَ الْبَصَرِ ، وَمَا كُلُّ فَائِحٍ رِيحَانٍ ، وَلَا كُلُّ مَلْتَوٍ خَيْرَانٍ ، وَلَوْ عَقَلُوا لَاعْتَقَلُوا ، وَلَوْ تَبَصَّرُوا لَأَبْصَرُوا .
وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَتَفْسِيرُ مَا أَجْمَلْتُهُ ، وَتَفْصِيلُ مَا أَهَمَّتهُ ، أُوْرِدُهُ عَلَيْكَ مَحْلُولَ الْعَقْدَةِ ، مَنصُوبُ الْبَرْدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ — أَيَّدَهُ اللَّهُ — أَمَرَنِي بِأَنْشَاءِ رِسَالَتَيْنِ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا عُلَتْ شَرَفَاتُهُمَا ، وَرَوَّضَتْ عَرَصَاتُهُمَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُمَا ^٥ الْمَقِيمُ الْمُقْعَدُ ، وَكَادَ يُهْلِكُهُمُ الْحَسَدُ ، وَبُهِتَ الْعَدُوُّ وَكُمِدَ ، وَقَالَ الْوَلِيُّ : لَا قَبْلَ لِأَحَدٍ بِمِثْلِهَا وَلَا يَدَ ، فَطُوتِلَ مَا حَضَرَتْ أَنْطَلَقَ لِسَانُ ^٦ الْمَوَالِي ، وَخَفِقَ جَنَانُ الْمُنَاوِي ، وَعَرَّضَتْ ^٧

١ نص الحديث (البخاري ، باب العلم : ٣٤) ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساً جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا ؛ وانظر ايضاً صحيح البخاري ، باب الاعتصام : ٧ .

٢ ط د س : تبينت . . . المراس .

٣ ط د س : اسود .

٤ ط د س : منصود .

٥ ب م : شرفاتها . . . عرصاتها . . . منها ؛ ط د س : علي منهم .

٦ ب م : يد لسان .

٧ ط س د : حتى عرضت .

يا لك من قبرةٍ بمعمرٍ خلا لك الجوُّ فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري^١

وقلت لها عيئي جَعَارَ وَجَرَّري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره ،
فاتفق رأيهم ، واستمرَّ هديهم ، إلى سؤالِ أُنبي الحسن بن سيده
فلم يفكر أبو الحسن في العواقب ، ولم ينظرَ نَظَرَ أَهْلِ التجارب ، فسَلَّم
لهم واغترَّ بمثلِ وشي الحيات ، وانقاد في زمام الزخارفِ والترفِّهات
وكان بما يأتي به ويحييـهـه مجرَّب سوءٍ يشربُ السمَّ للخُبِيرِ
والأدب ينشدهم :

١. لطيفة بن العبد (أو كليب) ؛ انظر فصل المقال : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

؛ انظر اللسان (جعفر) ؛ وجمار: الضبع ، وفي رواية البيت : لم يشهد القوم ، وانظر الميداني

ه ط د س : سؤال ابن سیده أبي الحسن فلم يفكر في المواقب .

FVN

ضفادعُ في ظلماءٍ ليلٍ تجاوزت فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحر
فردَّ مواضع أنا واصفها وجوابها على سرد ، وذاكرها وما يحلو ارتياها
على حرد .

قال ابن بسام : وطولُ أبو الأصبع في جوابه المفسر ، وسماه بـ «عقاب
المتسور»^١ ، ولم يمكن إثبات الجميع في هذا المجموع ، فالطول مملول ،
وجئتُ منه بفصولٍ ، تخفيفاً للتثقيل ، وهرباً من التطويل .

قال أبو الأصبع : كان أول التحميد : « الحمد لله تيمناً بحمده ،
وتحدياً لحدّه ، الهادي من ارتضاه سُبُل^٢ رضاه ، الحادي من انتقاه ،
إلى علم تَفَاهٍ » ، فأنكر « تحدياً » ووضع مكانه « تصدياً » ، ويكفي في
هذا [قول] بشار في سيبويه^٣ :

أُسَيِّبُويَّةُ^٤ يا ابن الفارسية ما الذي تحدّيت من شتمي وما كنت تنبذُ
أطلتَ تغني سادراً بمساعتي وأملك بالمصرين تُعطي وتأخذ

وقال صاحب « العين » : حدا بمعنى تبع ، فإذا بنيت منه تفعلت قلت :
تَتَبَّعْتَ . وذكر أبو علي الفسوي في كتاب « الحجة » أن الفعل تَحْمَلُ
أمثلته على أمثلة نظيره وما كان في معناه ، وباب التفعّل سائغ شائع ، لم يمنعه
مانع ، ولا قَطَعَ به قاطع ، إما أن يأتي مركباً على ثلاثي ماضٍ ، وإما أن

١ ب م : العقاب المنشور ؛ وفي التكملة : عتاب المتسور .

٢ د ط س : سبيل .

٣ ديوان بشار (جمع العلوي) : ٩٨ ، وورد البيتان في الموشح : ٣٨٥ والأغاني ٣ : ٢٠٤
وفي كليهما « تحدثت عن » مع أن موضع الشاهد في ما يورده أبو الأصبع .

٤ ط د و خ بهامش س : سألتك .

يأتي بذاته ليكونَ في معنى الثلاثي البسيط ، أو يكونَ للخروج من أمر إلى غيره ، فالمركب مثل : تَقْفِيَّتُهُ وتَأْبِيَّتُهُ ، ومن السالم تَتَبَعْتُهُ ؛ والذي يأتي بذاته غير مركب مثل تحْفِيَّتُهُ^١ وتَوْفِيَّتُهُ ، وما يراد به الخروج من أمرٍ إلى غيره فمباحٌ غير محذور ، ومستباحٌ غير محجور مثل : تَكْوُفٌ وتَمَصُّرٌ ؛ وقال أبو تمام^٢ :

نَيْطَتُ قَلَائِدُ عَزَمِهِ بِمَقِيدِ^٣ مَتَكْوَفٍ مُتَدَمِّشٍ مُتَبَغِّدٍ

على أنه لم يسمع : تَدَمَّشٌ ، ولكنه مقول ؛ وقال عمر رضي الله عنه : تَمَعَّدُوا وَاخْشَوْنَا .

وقال : « الحادي ليس من صفاتِ الله ، ولا يجوزُ أن يوصفَ إلا بما وَصَفَ به نفسه تعالى ، أو بما وَصَفَهُ رسوله »^٤ وبذل « الحادي » بـ « المرشد » .

الجواب : انظر ما أعظمَ هذا السهو ، وما أضيقَ هذا الشأو ، وما أقيحَ هذا البهتَ ، وما أخشنَ هذا النحتَ ، وماذا على من قال : الحمدُ لله منقذنا من الغمراتِ ، ومبرئنا من العِلَلِ الفادحاتِ ، ومرشدنا إلى سُبُلِ الهدى ، وسائقنا لما يحبُّ ويرضى ، والله مُسَدِّدُنَا وعصمتنا

١ ب م س : تحففته .

٢ ديوانه ٢ : ٥٥ .

٣ الديوان : بمحبر .

٤ يبدو ان في هذا الرأي بعض استناد الى رأي ابن حزم الظاهري حيث يقول : ومما احدثه اهل الإسلام في اسماء الله عز وجل « القديم » وهذا لا يجوز البتة ، لانه لم يصح به نص البتة ، ولا يجوز ان يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه (الفصل ٢ : ١٥١ - ١٥٢) وابن حزم يرى ان اسماء الله مثل قدير وسميع وبصير ، غير مشتقة ، ولكنه لم يقل شيئاً من هذا في الصفات على وزن فاعل كما قال ابن سيده .

وملاذُنّا وملجأنا [وشبهه] ، وليس شيء من هذا في القرآن ، ولا في حديثه عليه السلام ؛ واسم الفاعل العامل في ما بعده كالفعل يجري مجراه ، وينحو منحاه ، وأفعالنا كلها لله تعالى ، هو الفاعل ، هذا مذهب [أهل] السنة وغيره مذهب البدع والمعتزلة. قال أبو بكر الباقلاني : يُوصَفُ الله تعالى بما لا يقع لإجماع المسلمين على منعه ؛ وخطب عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله [١٠١ ب] الهادي الفائق ؛ ولو شهد أبو الحسن الجمعة لسمع على المنبر من صفات الله تعالى ما ليس في القرآن وفي حديثه عليه السلام ، وقد أجازوا « السيد » من أسمائه [تعالى] وليس في القرآن ولا في الحديث ، واختلف فيه عن مالك ، وقال أبو عبد الله محمد بن عمر المرزبان أول كتابه في « الرياض » : الحمد لله الهادي إلى حمده برحمته ، والموجب من برّه برأفته ؛ و « الموجب » ليس من صفات الله في القرآن ، ولكنه أجراه مجرى الفعل كما فعلنا نحن . وللباقلاني وابن فورك من الاستفتاحات بمثلها ما لا يُحاطُ بكنهه ، ويطول الكتاب بجمعه ، وأين هذا من قول الراجز المرويّ المستشهد به :

لا همّ لا أدري وأنت الداري

وقول العجاج^١ :

فارتاحَ ربّي وأرادَ رحمتي

نعم ، وأسماءُ الله تعالى يشركه فيها المخلوقون إلاّ الله والرحمن ؛ قال أصحاب أهل اللغة : الحادي بمعنى السائق ، وحدا بمعنى ساق ، قال القطامي^٢ :

وإذا يَرِيْبُكَ والحوادثُ جَمّةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

١ ديوان العجاج ١ : ٤٢١ ، قال الشارح : ولا يقال : الله ارتاح ، ولكنه اعرابي مجنون جلف جاف .

٢ ديوان القطامي : ١١١ .

وقال الآخر^١ :

إنَّ لها لسائقاً خَدَلَجاً^٢ لا يدلجُ الليلةَ في مَنْ أدلجا

ويروى : لحادياً خَدَلَجاً ؛ وحدا بمعنى ساق أغزرُ من النمل ، وأكثر من الرمل ؛ فأما إبداله إياه بالمرشد أو الداعي فلهوُ المقيم وهو المدلجُ الساري ، وهم يتسببون إلى إنكار « الحادي » لأنه ليس من كتاب الله ويهدون بذلك ، والمرشدُ والداعي ليس في القرآن ، فأتوا بما أنكروه ، وأثبتوا ما ردّوه ، ولو اقتصرْتُ على بدّلهم لكانتْ فيه فضيحتهم وخزيُّهم ، وبدايةُ وهنهم ووهيمهم ، وأين هذا الذي معناه في القرآن وفحواه ، وفي حديث الرسول عليه السلام وما يعضده البرهان ، وأجمع على قبوله الثقلان ، من قول أبي الحسن في خطبته التي توصّلَ بها إلى شرح صدر من كتاب سيبويه ، وهو يصف الله تعالى : « مُزْمِعُ لإحداثنا ، لانبعاثنا^٣ من أجداثنا ، يومَ لا حكومةَ إلّا بيد الصفاّح العليم » والإزماغُ : العزمُ بعد التدبّر ، والاجماعُ بعد التفكير ، والنشاطُ بعد الكسل ، هذه صفةٌ بعيدة من القديم سبحانه ، والصفاّحُ أيضاً ليس في كتاب الله ولا في حديثِ رسوله . وأبو الحسن تخيّلَ القداةَ في عين أخيه ولم يرَ الجَدْعَ في عينه ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقاً حَرِجاً كَأَنَّمَا يَصْعَعِدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية (الأنعام : ١٢٥) .

وردّ قولنا « فَأَلْفَتْ عَقِيلَةً نَفْسِهِ فِي ذُرَى الْحَضْرَةِ كَفْتاً مِنَ الرَضَى كَفَيْلاً » ، وظلّلاً من [١٠٢ أ] المني ظليلاً « فَأَنْكَرَ » عَقِيلَةً نَفْسِهِ « وَبَدَّلَهُ

١ اللسان والتاج (خدلج) وديوان المعاني ١ : ٢٢٥ .

٢ الخدلج : العظيم الساقين .

٣ ط د س : لانبعاثنا .

« فالفى وارِدُ نفسه » ولم يدر ما قدمت ، ولا على ما أعدت ، ورأى من علمه بالبلاغة وتحققه بالفصاحة أن « كفتاً » و « كفيلاً » يوارد نفسه أليقُ منه بعقيلة نفسه ، وأنكر استعارة « العقيلة » للنفس ، ولا شك أنه ينفي المجاز ، وينكر ما فيه من الابداع والاعجاز ، قال عمارة بن عقيل^١ :

[تَبَحُّثُكُمْ سُخْطِي]^٢ فغَيَّرَ بِحُكْمِ نَخِيلَةِ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا
وَلَنْ يُلَبِّثَ التَّخَشِينَ نَفْسًا كَرِيمَةً عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نَظْفَةٌ فِي قَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تَكْدَرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

فاستعار للنفس : النخيلة والعريكة والغدير والنظفة ، وبدعُ كلام العرب الاستعارة حتى خرَّقَ بهم فيها الاتساع ، إلى غير ما شهَرَ وذاع ، وسوى ما غلب وشاع ، قال الراجز^٣ :

وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبَقُولِ الْفَسْتَقَا

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِلَى مَلِكٍ أَطْلَافُهُ لَمْ تَشَقَّقْ

ولولا الإطالة لجلبنا على ذلك دواوين ، واستظهرنا بعدد الحصى براهين .

ورد قولنا : « فأنَّ مَوَلَى الحُضرة اعتمدَ قضاءَ حقِّها » وإتيانَ

١ انظر معجم المرزباني : ٧٨ .

٢ سقط من ب م وزدناه من معجم المرزباني ، والآبيات لم ترد في د ط س .

٣ هو أبو نخيلة السعدي وقيله : دستية لم تأكل المرققا (انظر اللسان والتاج مادة « فسق ») .

٤ د ط س : آخره ؛ والشاعر هو عقفان بن قيس بن عاصم اليربوعي ، شاعر جاهلي ، وصدر البيت : سأمنها أو سوف أجعل امرها ؛ انظر السمط : ٧٤٦ والجمهرة ٣ : ٩٠ ؛ وإمامي القالي ٢ : ١٢١ والصناعتين : ٣٠١ واسرار البلاغة : ٣٧ واستوفى هنالك تخريجه فراجع .

وَفَقِيهَا ، وَأَدَاءَ فَرَضِهَا « فَأُنْكَرَ » أَدَاءَ فَرَضِهَا « وَبَدَّلَهُ » تَأْدِيَةً «
 الجواب : عُدْرَتُهُ فِي ذَلِكَ لَائِح ، وَأَمْرُهُ وَاضِح ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَوْلَهُ
 تَعَالَى ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة : ١٧٨) وَلَا قَرَأَ شِعْرَ زَهِيرٍ^١ :
 بِأَيِّ الْجِيرَتَيْنِ أَجْرَتُمُوهُ فَلَمْ يَنْجِيكُمْ^٢ إِلَّا الْآدَاءُ

وَلَا قَرَأَ فِي كُلِّ كِتَابٍ « وَأَدَاءَ الْخَرَجِ » مَهْمُوزٌ ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ أَرَادَ
 وَزْنَ الْكَلَامِ ، وَتَعْدِيلَ الْأَقْسَامِ ، فَوَازَنَ « قَضَاءَ » الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْفَقْرَتَيْنِ
 بِـ « تَأْدِيَةٍ » الَّتِي جَعَلَهَا أَوَّلَ الْفَقْرَتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ وَلَمْ يَرِ مَوَازِنَةً « قَضَاءَ »
 بِـ « أَدَاءَ » ، فَلَهُ عُدْرٌ يَلِيْقُ بِهِ ، وَوَجْهُهُ هُوَ خَلِيقٌ لَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ هُوَ فِي
 خُطْبَتِهِ الْمَذْكُورَةِ « وَإِذْ لَا أَسْتَطِيعُ قَضَاءَ حَقِّهِ وَأَدَاءَهُ ، فَأَخَذَنِي اللَّهُ مِنْ كُلِّ
 مَكْرُوهِ بِدَلَّةٍ وَفِيْدَاءَةٍ » ، وَأَنَا أَقُولُ : « قَبْلَ اللَّهِ دَعَاءَهُ ، وَأَجَابَ نِدَاءَهُ » .
 وَرَدَّ قَوْلُنَا : « فَتَنْتَسِمَ مَوْلَى الْخَضِرَةِ رِيَّاهَا عَطِيراً » وَأُنْكَرَ الْجَوَازَ فِي
 تَذْكِيرِ « رِيَّاهَا » وَبَدَّلَهُ « أَرْجَاهَا » .

الجواب : لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الرِّيَّاءَ يُدْكَرُ إِذَا أُرِيدَ بِهِ النَّسِيمُ وَمِثْلُهُ ، وَانْه
 تَأْنِيثٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ ، وَأَنِّي عَدَلْتُ إِلَيْهَا لِعَذُوبَتِهَا وَلِدَوْنَتِهَا ، وَهَمَّ قَلَمٌ قَالُوا
 [١٠٢ ب] فِي التَّأْنِيثِ الْحَقِيقِيِّ : « حَضَرَ الْقَاضِي الْيَوْمَ امْرَأَةٌ » ، وَامْرَأَةٌ
 الْيَوْمَ ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى فَصَاحَةٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ
 رَبِّكُمْ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران :
 ١٠٥)^٣ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

١ شرح ديوان زهير : ٧٦ .

٢ الديوان : فلم يصلح لكم .

٣ في ب م ط د س : قد جاءكم موعظة من ربكم . وقد جاءكم البينات ، وايسست الآيتان كذلك
 فالاولى قد جاءتكم موعظة ، وايس فيها الشاهد المراد ؛ والثانية ليست آية ، ولذلك ايجت
 لنفسه تمييز هذا كله ، فابقاء ذلك في المتن لا يجوز ، وهذا ذوع من الخطأ غريب .

وإن كلياً هذه عشرُ أبطنُ وأنت بريٌّ من قبائليها العشري^١
وقال عمر بن أبي ربيعة^٢ :

فكان مِجَنِّي دون من كنتُ أتقي ثلاثُ شخوصٍ كاعبانٍ ومُعَصِرُ
والعالمُ بالصناعة لا يظاهرُ بما ظاهرَ به أبو الحسن ، ولا يجاهرُ بما جاهرَ ؛
ومن مضحكاته وضعه « أرجها » مكان « ريتاها » والأرج طيبُ الرائحة
وعطرها ، قال كثير^٣ :

تأرجّ الحيّ إذ مرّت بظعنهم ليلى ونمّ عليه العنبرُ العبيقُ
[وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم] .

وردّ قولنا : « وقضى حقّ ما أولاه ، وتوشّح به [وارتداه] » وقال :
التوشّحُ حلية النساء^٤ ، وبدله بـ « تأزّر »

الجواب : يا لهذه المنازع الطريفة والمقاطع الفظيعة^٥ ، لو تركناه بغره ، وطويناه
على عتره ، لكفانا البيان عنه والفضيحة له ، فجمع ضرورياً من الجهل
باللفظ والمعنى ، وصنّوفاً من العثار في سهل [ذلك] المدي ؛ [عنده] أن
الإزار ليس من لبس النساء ، والإزارُ هنّ أخلق ، وبهنّ أليق ، قال
عليه السلام لعائشة [رضي الله عنها] : « اشددي عليك إزارك »^٦ ، وقال

١ ورد غير منسوب عند سيهويه ٢ : ١٧٤ وانظر الخصائص ٢ : ١٧ والخزانة ٣ : ٣١٢

٢ ديوانه : ١٢٦ وانظر سيهويه ٢ ، ١٨١ والعيّ ٤ : ٨٣ والخزانة ٣ : ٣١٢ .

٣ ديوانه : ٤٦٧ (اعتماداً على اللخيرة دون أي مصدر آخر) .

٤ ب م : هي حلية الرجال والنساء .

٥ ب م : يا لهذه الطريقة والمنازع الفظيعة .

٦ شدي على نفسك إزارك ، في مسند أحمد ٦ : ٦٥ ، ٩١ ، ١٨٥ .

للمستفتي : « اشدّدْ عليها إزارها . وشأْنَكْ بأَعْلَاهَا » .
وقال الشاعر :

فدَى لك من أخي ثقةٍ إزارِي^١

يريد أهْلَهُ ، فكُنِيَ به عن المرأة ، حكاه أبو علي الفسوي في كتاب « الحجة »
والإزار أكثرُ ما يَكْنَى به عن الفرج ، كما قال الفرزدق :
ما زال مذ عَقَدَتْ يَدَاهُ إزارَهُ^٢

وقال آخر :

والطيبونُ معاقِدَ الأُزْرِ^٣

فتجنب « الإزار » إلى « الوشاح » آدب وأوجه ، والوشاح من استعمال
الرجال بعيد عن موضع الفرج وعن الكناية عنه ، وقد لبسة الجلة في سلمهم
وجعلوه نظير السلاح في حربهم ، قال جرير^٤ :

لبستُ سلاحِي والفرزدقُ لعبِــــــــــــــــةً عليه وشاحا كُـرَّجَ وجلاجله^٥

فعابه في الحرب بالوشاح لا في السلم ، لأنَّ الوشاح ليس من لبس الحرب ،
كما أن السلاح ليس من لبس السلم ؛ والعربُ تمدح وتمدح في السلم بالنعمة
والخفصِ واللباس الجميل ، والرياش النبيل ، قالت الخنساء^٥ :

١ صدر البيت : إلا أبلغ أبا حفص رسولا ؛ والشعر لرجل من الانصار ، انظر العقد ٢ : ٤٦٣ .

٢ صدره : النازلون بكل معترك ؛ والشعر للخرنق بنت هفان ترضي زوجها عمرو بن مرثد
وابنها علقمة واخويه حسان وشرحبيل . انظر امالي القاضي ٢ : ١٥٤ والسمط : ٥٤٨ ،
٧٨٠ والخزائن ٢ : ٣٠٦ والعيني ٣ : ٦٠٢ واللسان (نضر) .

٣ ديوانه : ٩٦٩ .

٤ ب م : كرك ؛ د ط وخ بهامش س : حرة ؛ د ط س : وخالخله .

٥ ديوان الخنساء : ٣١ ، وصدر البيت « فذلك في الجد مكروده » .

وفي السلم يلهو ويُرْنخي الإزارا [١٠٣ أ]

وقال عبد الملك بن مروان للأحنف : ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ، قال :
قول القائل من جملة أبيات :

جلا المسك والحمام والبيض كالدمى و فرقُ المدارى رأسه فهو أنزعُ
وقال الآخر ١ :

إذا غدا المسكُ يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مَرْضَى من الكرم
وقالت ليلي الأخيلىة ٢ :

ومخرَّقٍ عنه القميصُ تخالُهُ وسطَ الندى من الحياءِ سقيما
حتى إذا رفع اللواءَ رأيتَه تحت اللواءِ على الخميس زعيما
وقال بدرٌ أخو المرار ٣ :

مخدَّمون ثقالٌ في مجـالسهم وفي الرجالِ إذا صاحبتهم خدَمُ
ومثل هذا كثيرٌ لا يُحصَى ، ومثلٌ لا يُتَقَصَّى .

وليس مرادنا أنه لبس وشاحاً بعينه ، ولا مرادٌ غيرنا لبس إزاراً بعينه ،
وانما المعنى الجليّ عند صبيان المكاتب أنه لبس الخطيئة كالوشاح ، في
التزين بها والتجمل بموضعها ، كما أراد بقوله الذي ألقى أبا الحسن في
هذا الجهل ، فحمله على غير وجه الحمل :

١ بهامش س أنه ما أنشده ابن دريد ، ولكن لم يعين قائله .

٢ انظر امالي القالي ١ : ٢٤٥ والعيني ٢ : ٤٧ والشعر والشعراء : ٣٦٢ والحامسة رقم :

٦٩٩ (المرزوقي) والتبريزي : ٤ ٧٧ .

٣ الاغاني ١٠ : ٣٣٠ .

إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا^١

إنما هو اتخذ المجد شعاراً ولباساً كالإزار ، ولو أن القافية تسوغه لقال^٢ :
فلا أبّ وابنًا مثل مروان وابنـه إذا هو بالمجد ارتدى . وتوشحا
كما قال أبو ذؤيب^٣ :

وكلاهما متوشح ذا رونقٍ عضباً إذا مسّ الكريهة يقطعُ
وقال أقدم من أبي ذؤيب^٤ :

تركتُ النهابَ وأهلَ النهابِ وأكرهتُ نفسي^٥ على ابنِ الصَّعِقِ
جعلتُ يديَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارس لا تعشق

وقال أبو الحسن في خطبته المتقدمة الذكر : «لم يزل الأدبُ يوشح ذاتي
بِحسنيّته ، ويرشّح نباتي لجنه^٦» فأتى بما صرفه ، واختار ما زيّفه . على
أن توشيح الذات بالخلي من الكلام النقي والمعنى القصي ، فتأمل هذه الغرائب ،
وتبيّن هذه العجائب :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها عجائبَ حتى ليس فيها عجائب^٧

قد ذكر أيضاً أبو الحسن الإزار في خطبته فقال يصف جارية له [١٠٣ ب] :

١ . عجز بيت للفرزدق ، يرد صدره فيما يلي ؛ انظر سيبويه ١ : ٣٠٥ والمهني ٢ : ٣٥٥ .

والخزافة ٢ : ١٠٢ وشرح شواهد الكشف : ١١٣ .

٢ ط د : تسوغ له «توشحاً» لقأها .

٣ شرح اشعار الهذليين ١ : ٣٨ .

٤ البيتان في الحيوان ٦ : ٤٢٥ والبيان ٣ : ٢٤٦ .

٥ الحيوان : تركت الركاب لأربابها واجهدت نفسي .

٦ ط س : بياني ؛ م ب : لحيته .

٧ البيت لا يسي تمام ، ديوانه ٤ : ٤٢ .

«أما ما تَشُدُّ اليه إزارَهَا فَسَقِطٌ ، وأما ما تعقدُ عليه زنارها فَسَمِطٌ »
ومن أضل الله فلا هادي له ^١ .

ورد قولنا : «وسلفت السَّيَرُ ، واستمررت الميرَرُ ، بإطرافِ الموالي
سادتهم ، وإطافِ الخدامِ قادتهم ، وإتحافِ الأولياءِ ذادتهم » وقال :
الذادة مشترك يقال في الرفيع والوضيع .

الجواب : لقد كنتُ أبُوو به ^٢ أن أقول : ما أَقْبَحَ هذا المنزع ،
وأوقع هذا المقطع !! وهب أن ذلك مشترك - وليس بمشترك - فقد حُفِّفَ
بالفصل من جنبه ، وكَنَّفَهُ من حواليه ما يرفعُ الإشكالَ ، ويجلو وجهَ
المقال ، وكثيرٌ من الكلامِ مشتركُ المعنى ، مُشْتَبِهٌ المنحى ، إلا أن فرشه ^٣
ومقدمته تبيينٌ مُشْكِلُهُ وتوضيحٌ مُبْهِمُهُ ، وتبيحٌ مُمْتَنِعُهُ ، وتحسنٌ
موضعه ؛ وللبلغاء [من] تقفية « السادة » بـ « الذادة » و « القادة » ما لا
يحصى ، والجاحظ أفصح أهل وقته في كتاب « البيان والتبيين » قال :
« الذادة » و « القادة » الذين هم ملح الأرض ونور الدنيا ، وحكي عن
العرب مثله في هذا الكثير ، وقال زيدُ الخيل يصفُ رؤساءَ طيء : أما بنو
حية فملوكنا وملوك غيرنا ، هم القداميس ^٤ القادة ، والحماة الذادة ،

١ اشار في ب م الى ان هذه العبارة آية قرآنية ، وليست كذلك .

٢ ب م : أبووه به ؛ ط د : ابوا به ، فأما أبُوو فإنها لغة في أبأى ، أي ارفعه عن ذلك .

٣ فرشه : سقطت من ط د .

٤ جاء في مقدمة الجزء الثاني من البيان « الذين كانوا مصابيح الغلام وقادة هذه الايام وملح
الأرض وحلي الدنيا » ؛ ولم يقرن هنا بين لفظي « القادة » و « الذادة » فلعل ابن أرقم
يشير الى ورودهما في موضع آخر .

٥ القداميس : جمع قدموس وهو السيد ؛ ب م : القراميس ؛ ط د س : السراة .

والآنجادُ السادة ، أعظمنا خميساً ، وأكرمنا رئيساً ، وأحلمنا مجالسَ ،
وأنجدنا فوارسَ . وهذا المتسورُ على نقدِ الكلامِ معذورٌ لأنه لم يقرأ قطّ هذا
المعنى ، ولا سمع بهذا المغزى .

وردّ قولنا : « وما النفوسُ وحاملوها ، ولا الدنيا وأهلوها ،
[ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرة] » [فضرب
على الفقرة التي هي « ولا الدنيا وأهلوها »] وقال : هو بمعنى قوله : « ولا
الأرض وعامروها » فلا يجوز تكراره .

الجواب : حوى في هذا التسورُ ضروباً من الغباوةِ ، واجتنى صنوفاً
من الخزاية ، منها أنه جعل الدنيا هي الأرضَ ، والأرضَ هي الدنيا ،
على تحليته يعلم المنطق الذي لو علمه لم تنفيسُ عليه علمه ، ولم نغبطه
حمّله ، ولم [يعلم] أنه يقال : الدنيا محيطةٌ بالأرض ، وليست الأرضُ
محيطَةٌ بالدنيا ، والدنيا جنس ، والأرضُ تحتها نوع ؛ وفي الحديث الصحيح :
« سماء الدنيا » وفي الدنيا الخلقُ الروحاني ممن ليس في الأرض ؛ ومنها :
أنه لم يعلم أن من رَسَمَ العرب وفصاحتها تكريرَ المعنى إذا اختلفت
الألفاظ ، قال تعالى ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودٍ ﴾ (فاطر : ٢٧) وقال ﴿ فَسَجَدَ
الملائكةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر : ٣٠ ، ص : ٧٣) [ومشبهه في
كلام العرب كثير] ولا فرقَ بين مَنْ لم يعلم هذا والعدم ﴿ فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

وردّ قولنا : « ولا أظلمَ أفقٌ كان شمسُهُ » ، أنكر « أظلم »
وردّه « دجا » .

١ ط د س : وحوى هذا التسور يا إبا الحسن . . . الخ .

الجواب : هذه الداهيةُ الشنعاءُ ، والقضيةُ الشوهاءُ ، يدَّعي علمَ الكلام ، من لا يعرفُ الإصباحَ والإظلامَ ، لقد كان ملفِّقاً فانكشف ، ومنكوراً [١٠٤ أ] فاعترف :

وكان كعنزِ السوءِ قامتْ بظلفها إلى مُدِيَّةٍ تحتَ الترابِ تثيرها^١
ثم ختم رقعته يقول^٢ :

أتيتُ بمنطقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قبلي
فعارضه كلامٌ كان فيسسه بمنزلةِ النساءِ من البهول
وليس يصحُّ في الأوهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

قال أبو الأصبغ : وما أنكر عليَّ إلاَّ كلَّ لفظةٍ جاءتْ معَ أختها كما
اقرن الكوكبُ والسَّعدُ ، والتقى الجيدُ الأتَّعيدُ والعقدُ ، وشانوا بغيرهم
الدررَ ، وبجمهم الغررَ ، وكان كلامهم كالبرصِ في أديمه ، والكسوفِ
في نجومه ، وعلم الله أنهم لو ردّوا مردّاً ، وتحدّوا متحدّى ، وذهبوا
صدداً^٣ ، لما أنفِتْ ولا قلقتُ ، ولا حرجت ولا ضجرت ، ولأنصتُ
وأنصفتُ وانقدت ، فقد قال السلف الصالح : رحم الله من أهدى إلينا
عيوبنا ؛ وقالوا : الفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ ؛ وقال عليه السلام :
ما هلك امرؤُ عَرَفَ قَدْرَ نفسه . والمرءُ في سعةٍ من عقله ما لم يقل شعراً
وينشئ كلاماً ، وما أبرئُ نفسي ، ولا أعجَبُ بأمرٍ ولا أفخر ،
ولا أذبّ ذبّ المزدحمي بما حَبَّر ، فما أحدٌ أنشأ نثراً ، ولا قال ،^١ ،

١ البيت للفرزدق ، ديوانه : ٧١ وانظر فصل المقال : ٣٦٢ والمعاني الكبير : ٨٧٦ ،

١٢٠٩ وروايته : تحت الثرى تستثيرها .

٢ الأبيات للمثنبي ، ديوانه : ٣٣٤ .

٣ هذه العبارة مبنية على الأفراد في دطس : وشان بغيره ، . . . وبجمه . . . وكان كلامه . . . الخ

إِلَّا اسْتُدْرِكَ عَلَيْهِ ، وَفُوتَتْ سَهَامُ الْقَوْلُ إِلَيْهِ ، وَمَا أَكْثَرَ أَحَدٌ إِلَّا أَهْجَرَ ،
وَلَا أَطَالَ جَوَادٌ الْمَدَى إِلَّا عَثَرَ ، وَلَا سُبِيرَ مَعِينٌ إِلَّا تَغَيَّرَ ، وَقَدْ لَحَنَ
النَّحْوِيُّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا
بَأَهْلِهِ ﴾^١ (فاطر : ٤٣) وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : مَا قَالَتْ الْعَرَبُ
قَطَ : بَرَقَ الْبَصَرُ ، بَفَتْحِ الرَّاءِ^٢ ؛ وَلَحَنُوا يَعْقُوبَ فِي قِرَاءَتِهِ ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي
هَنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^٣ (هود : ٧٨) وَقَالَ بَلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر : ٥٣) — بِكسْرِ
النُّونِ — فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَحَنَ الْأَمِيرُ ، فَسَأَلَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِوٍ فَقَالَ :
الْغَتَانِ مَقُولَتَانِ^٤ ؛ وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطُونُ^٥ ،
وَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أَرَى فِي الْمَصْحَفِ لَحْنًا سَتَصْلُحُهُ الْعَرَبُ
بِالْسُّنْتِهَا . وَقَالَ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ^٦ : لَقَدْ خَطَبْتُ فَحَسِبْتُ أَنِّي بَدَرْتُ :
فَسَمِعْتُ فُتَيْمَةً مِنْ تَمِيمٍ تَقُولُ : أَيَّ خَطِيبٍ لَوْلَا أَنَّهُ عَطَّلَ خُطْبَتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ؛
وَسَمِعُوا خُطْبَةَ زِيَادِ « الْبَرَاءِ » ، وَفُسِّرَ الْعَتَبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾
(الرعد : ١٣) فَقَالَ : هُوَ الْحَوَلُ وَالْحَيْلَةُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ مَحَلُ فُلَانٍ
بِفُلَانٍ إِذَا كَادَهُ ؛ وَقَالَ الرَّمَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ « فِي الْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ » : الْعَصْرُ

١ أيس في قراءة هذه الآية خلافت بين القراء ، ولم اجد فيها لابن عامر انفراداً وإنما جاء قبلها « ومكر المي » وقرأها حمزة ساكنة الهمزة ، (انظر كتاب السبعة : ٥٣٥) وقد دافع عنه أبو علي الفارسي كثيراً في ذلك .

٢ قراءة أبي عمرو « برق » بكسر الراء ، وقرأ ابنان ونافع عن عاصم بفتحها (انظر كتاب السبعة : ٦٦١) .

٣ يعني قراءته « اطهر » بفتح الراء ، انظر المحتسب ١ : ٣٢٥ .

٤ ذكر في اللسان أن المضارع من قنط تكون عينه مكسورة ومضمومة ومفتوحة .

٥ سورة الشعراء : ٢٢١ .

٦ شبهه لما في البيان ٢ : ٦ .

يُجمع أعصر في القليل وعُصُر في الكثير ، ويجمع الجمع فيقال أعاصير
كما قال الشاعر :

وبينما المرء في الأحياء مغتبطٌ إذ صار في الرّمسِ تغفوه الأعاصير [١٠٤ب]
فالأعاصيرُ جمع أعصر ، والياء في الأعاصير زائدة ؛ ووهم الرماني ، إنما
الأعاصيرُ جمع إعصار وهي الريحُ الشديدة ، قال تعالى ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ
فِيهِ نَارٌ فَاتَّحَرَقَتْ ﴾ (البقرة : ٢٦٦) وقال الشاعر :

الناسُ بعدك قد خَفَّتْ حلومُهُمْ كأنما نفختَ فيها الأعاصيرُ

وذكر أبو حاتم في « التذكير والتأنيث » عن عمارة بن عقيل ، وأنشد الصولي
في كتابه « في الشبان » لبعض قريش يوم فتح مكة :

خزرجي لو يستطيعُ من البغضِ رمانا بالتَّسْرِ والعسواءِ

وأخِذَ على جميع المؤلفين بحقّ وباطل ، ولولا الاشتهار في الأمر ومذهب
الاختصار لأوردتُ منه الجزيل الطويل ، والموصوف المعروف ، والكثير
الغزير ، والموجود المعداد ؛ ولكنّ هذا الرجل أبدى عواره ، ورفع
شنّارهُ ، وكان مستورا موفورا ، يقلّد فيه ، ويُنصّت لدعاويه ، ويُحتَمَلُ
على المعرفة سرّائه ومبادهيه ، فأساء أدبهُ ، وهتك حُجُبهُ ، وفضح
مذْهَبهُ :

لم تكنْ عن جناية لَزِمْتَنِي لا يميني ولا شمالي رَمَتْنِي
بل جناها أخٌ عليّ كريمٌ وعلى أهلها براقشٌ تجني

ويشهدُ الله لقد كنتُ أيامَ محاولته لاطفامِ نوري ، ومبادرتِهِ تقييحِ الحَسَنِ

١ البيتان لحمزة بن بيشر ، انظر الميداني ١ : ٣١١ والمثل « عل أهلها تجني براقش » .

من أموري ، أذكى أنواره ، وأطلع أقماره ، وأرفع لستاري مناره ،
وهو يدب الضراء ، ويسر حسواً في ارتغاء ، ويمالء الحسدة والآعاء ،
ويحارب معهم الأولياء ، فجاهر بكتتم ذكاء ، وخسف نجوم السماء ،
ولم ينظر حتى يكون التقديم مع المشاهدة والحضور ، فيعذر في تقصير لو
كان أو تعذر ، على أن الخلّة ، وشرط الأخوة والمروّة ، أن يناضل
بظهر الغيب ويحامل ، ويناصب دون الباطل ويجادل ، بحكم الأدب ،
الذي هو أمس رحم وأوكد نسب ، فكيف بتزييف المنتقد ، وتضعيف
القوي ، وطمس الشمس ، وردّ العيان ، والمجاهرة بالإفك والبهتان ،
وصدّ ما تقوم به الحجة بما لا تقوم له حجة ولا برهان ، وما زلنا نشاهد
الشيوخ يحسنون التأويل ، ويسترون الخلل الجليل ، فلم يجر أبو الحسن
على سننهم ، ولا تدب بأدهم ، وكم أعرضت عن تصانيفه ، وربأت بتواليه ،
كرده على يعقوب في «إصلاح المنطق» بما هو المردود المحدود ، والمكروه
المنجوه^١ ، وكخرافاته المضحكات في «شرح الحماسة» وك«المحكم»
الذي ليس له معلّم ، و«المخصّص» [١٠٥ أ] الذي لو كتب بالسين
لكان أشبه بصفته ، وألّيق بحليته ، وأكثر هذا الكتاب «المخصّص»
مصحف محرف ، وكنت شرعت في استخراج ما ضمّه من الكلم المصحفات
والحروف المحالات ، ولما أحسّ بالمكوى^٢ :

والعيّر يضرط والمكواة في النار^٣

١ د ط س : على رأي .

٢ د ط س : بتزيد . ٣ ط د س : والمحدود . . . والمنجوه .

٤ د ط س : في استخراج ذلك فأحسن بالمكواة .

٥ فصل المقال : ٣٢ « قد يضرط العير . . . » والميداني ٢ : ٢٨ والعسكري ٢ : ١١٧

لأذا^١ بأنّيه كان إذ أَلْفَهُ محجوراً^٢ ، فإيا له عذراً يسمى تعذيراً ، وقد أتت عليه الدهور ، وأخذ عنه الفرض^٣ المشهور ، والجزاء المذكور ، كما أعطي القصبَ غيرُ السابق ، وخلِّقَ غيرُ الخلق ولا اللاحق ، وما أعظمَ مُنْتَشَبِهِ ، وأشأمَ عليه نسبه !!

ولم آتِ أكثرَ مما لمحتْ له هذه الخطبة ، كما خَطَفَ البرق ، ورجع الطرف ، وكجلوة العروس ، وقعدة الخطيب ، فوقعتْ عيني منها على مُنْكَرٍ مُسْتَشْنَعٍ ، ومكروه مستبشع ، ومقطع مُسْتَضْعَفٍ ، ومنزعٍ مستخلف ، كلُّها زيوفٌ فلا تُنْقَدَ ، وهراغٌ فلا تُحَدَّدَ ، رداءة أقسام ، ودناءة كلام ، وقعقة زخاريف ، وجعجة أراجيف ، وإجلابٌ بعساكر ، وركوبٌ في مواكبٍ وجماهير ، ومديحٌ لنفسه ، وثناءٌ على ذاته ، وتعظيمٌ لشانه ، وتكبيرٌ^٤ لسلطانه ، وطاعة لسيطانه ، وذكرٌ لشرح جالينوس ، ووصفٌ لفروريوس ، وخطأٌ وَضْعٍ ، وتحريفٌ شعريٌّ ، ومردودٌ لفظة ، وادعاءٌ باطلٌ وهُجْرٍ ، وأسجاعٌ كأنها قَعَقَعَةُ القِرَاعِ ، ووعوةٌ المصاع ، مؤدّية^٥ المنزع ، قَلِيقَةُ الموضع ، خَشِينَةُ الموقع ، ملأها خمسين ورقة بهديات^٦ وترّهات ، وتزويراتٍ وسخافات ، [من عِرابٍ ارتبطها ، وسيوفٍ اخترطها ، وجارية وصفها ، وريقة رشفها] وفرية قرطها وشنفها ، وعظيمة من

١ ط د س : فلاذ .

٢ ب م : محجوراً .

٣ ب م : القرض .

٤ ط د س : تلك .

٥ ط د س : وتكثير .

٦ يعني أنها تم من أنها عمل مؤدب الصبيان .

٧ ب م : بهديات ؛ وسقطت من ط د س .

المنكر. تسنّمها واعتسفها ، وموبقاتٍ زيّفَ بها حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه ، وصنّفها ، وآثر عليها آراء الفلاسفة وشرّفها ، ولم يأتِ فيها بكلمة من كتاب الله تعالى ، ولا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه . ونعوذُ بالله من الخذلان. ونزغاتِ الشيطان.

فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه^١

ذكر الخضابُ فعابه ، وذكر مَنْ خَضَبَ فسفّه وجانبه ، وقال : هذا خطيب^٢ اليونانية غليانث ، وهو الذي يُوثقُ بكلامه ويستانس ، قد قال : إن التسويدَ من الزينةِ الأثيثة ، فلا يستعمله من الأنامِ إلاّ أهلُ الطينةِ الخبيثة .

الردّ : تأمّلوا واعتبروا يا أولي الأبصار ، قد علم الكبيرُ والصغيرُ ، والخطيرُ والحقيرُ ، أنّ الشيبَ معيبٌ ، وأنّ السوادَ مرغوبٌ ، وأنّ آدم عليه السلام لما رأى شيبَةً بلحيته فزعَ منها ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عنه الخضاب ، وأما صحابه الأكرمون ، وعترته الطيبون ، فكلهم خضب شيبته وغيره وسَتَرَهُ ، ولما جيء [١٠٥ ب] بأبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه كالثغامة قال عليه السلام : « هلا غيرتموه. » ؛ وكان معاوية حيث كان من الجلالة والأصالة ، له خاضبةٌ تخضبه بالسواد ، ولما فرغتُ مرةً من خضابه أنشدته :

هل عندك اليومَ شكرٌ لّتي جعلتُ ما ابيضّ من قادمات الرأس كالحمم

١ لم يرد هذا القسم كله في د ط س .

٢ ب م : خضيب خطيب .

وفي السوادِ إغلاظٌ على العدوِّ ، وتجلُّ للآهل ، وتسكينٌ للروعة من الشيب ، وتأنيسٌ للنفس ، وتعليلٌ للقلب ، وهل هذه النكتة من أبي الحسن تخفّي ، أو هذه الزرعة يكتُم منها فحوى ، أو يستترُّ لها مغزى ؟ !

وقال في فصل منها : « والحسادُ في كلِّ ذلك تكسيرٌ عليَّ أرعَظَها^١ ، ولا تفتُرُ من النظرِ إليَّ إلحَظَها ، وأنا أنشدَهم ما أنشدته عن أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي عن أبي رجاء الضبيعي :

حسودٌ كُتِبَ القلبُ يُخْفِي أنينَهُ وَيُضْحِي كُتِبَ البالُ عِنْدِي حَزِينَهُ
يلومُ على أن ظَلَّتْ للعلمِ طالِباً أَجْمَعَ من عند الرواةِ فنونَهُ
وأكتبُ أبكارَ الكلامِ وَعَوْنَهُ وَأَحْفَظُ مما أَسْتَفِيدُ عيُونَهُ
فيا حاسدي^٢ دعني أغالِ بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونه

الردّ : في هذا البرّسامِ غريبتان ، إحداهما مقالةُ الحاسدِ الذي يكسر عليه أرعَظَها ، قوله « دعني أغالِ بقيمتي » ، هذا جوابُ الأولياءِ ، لا جوابُ الحَسَدَةِ والأعداءِ ، والأخرى تحريفه الشعرَ عن وجهه ، وصبرُفُهُ عن كنهه ، ولو تبَيَّنَ وقرأ طرائقَ الشعراءِ ، ومذهبَ الفصحاءِ والخطباءِ ، لما استجازه ، ولأجادَ نَقْدَهُ وإحرازه ، فهذا الشعرُ لأحمد بن المعذل مشهورٌ مأثور :

غزالٌ سقيمٌ اللحظِ يُخْفِي أنينَهُ وَيُضْحِي كُتِبَ القلبُ عِنْدِي حَزِينَهُ

ونسي نفسه أبو الحسن في تأمل البيت الأول : وكيف يجتمع فيه « كُتِبَ

١ الارعَظ : السهام ؛ وكسر عليه ارعَظَ التهلل : اشتد غضبه عليه ، وهذا مثل ، انظر

الميداني ١ : ٢٤ .

٢ كان حق هذه اللفظة أن تصيح « فيا عاذلي » أو « فيا لائمي » ليطرد ما يهنيه ابن ارقم في ما يلي .

القلبِ » « كُتِبَ البَالِ » وكيف يكونُ حزينَ البالِ ، والشاعرُ مُنَزَّهٌ عن هذا السَّقَطِ ، مبرراً من مثل هذا الغلط ، ولم ينظر بالعين الجليَّة ، فبرى فسادَ القضية ، وأن الحسودَ ليس من رسمه ، ولا من رسم العرب في وصفه ، أن يلومَ على طَلَبِ العلم ، ولا يراجعَ بمثل هذا الرفق ، وإنما أراد أحمد ابن المعدل أن مَنْ هو لَفْهُ وَأَنْسُهُ ، فتغرب عنه إلى طلبِ العلم نفسه ، يلومُهُ على تشاغله عنه ، وتباعده منه ، وأوماً إلى صبره وجده في طلب العلم وبحثه ، وقول أحمد ينظر إلى قول كثير^١ : [١٠٦ أ]

إذا ما أراد الغزو لم تثنِ هَمَّةُ حَصَانٍ عليها نظمٌ درٌّ يزينها
وقال الحسن^٢ :

تقولُ التي من بيتها خَفَّ مركبي عزيزٌ علينا أن نـ...راكَ تسيرُ
أما دونَ مصرٍ للغنى مُتَطَلِّبٌ بلى إن أسبابَ الغنى لكثير
فقلت وعزَّتْها سوابقُ أدمـمع جَرَّتْ فجرى في جريهنَّ عبير
دعيني أَكْثَرُ حاسديك برحلةٍ إلى بلدةٍ فيها الخصيبُ أمير

وقال^٣ :

لحافي لحافُ الضيفِ والبيتُ بيتهُ ولم يُلْهني عنه غزالٌ مُقَنَّعُ
وقال أبو الحسن في فصل آخر منها : « يَرْهَبُ أَلَا تَرْجَحَ أَعْمَالُهُ
يوم القيامة قُسْطَاسَهُ ، وَأَلَا تَنْجَحَ آمَالُهُ فَيُؤْتَى غَيْرَ ذَاتِ الْيَمِينِ قُرْطَاسَهُ »

١ ديوانه : ٢٤٢ .

٢ ديوانه : ٩٩ .

٣ البيت في البيان : ١٠ وهو لمروة بن الورد ، ديوانه : ١٠١ وورد في الحماسة : ١٧١٩
لمتبه بن بجير ، وقيل انه لمسكين الدارمي وفي الأغاني ١٣ : ٦٧ انه للمعير السلوي .

الردّ : ضمّ قاف قرطاس كما ضم قاف قسطاس للمشاكلة ، على دناءة اللغة ، ووحاشة التقفية ، وفسادِ المقابلة ، وجورِ القسمة ، ولم يدري أن القِسْطاسَ - بكسر القاف - لغةٌ شائعةٌ قرأتها بها القراء ، ونطقتُ بها الفصحاء ، ولو علمها لما احتاج إلى هذا المرمى البعيد ، والمنحى الزهيد ، والوجهِ الشميم ، والغَرَضُ الدميم .

وفي فصل منها : « وكذلك أنضيتُ عِرَابَ الخيل ، فرميتُ بها حمامةَ النهارِ وغرابَ الليل » .
قال ابن أرقم : وليس من شأنِ العراب أن يُرْمَى بها الحمامة ، والعرابُ هذه استعارةٌ غير متصلة ، وقلادةٌ غير منتظمة ، وفقرةٌ غيرُ مرتبطة ، ومن يقولُ رميتُ الحمامةَ بالعراب ، يازمه أن يقولَ : جارتُ الصِّبا بالسهام .

وقال في فصل آخر : « حين استقدحتُ سنايَ كُها سبائكَ العِقيان »
قال ابن أرقم : يقال له مع تكرر سيناتك أَرِنَا استقدحت ، وأَرِنَا السبائكَ من نتائج الاستقداح ، فإن تلك استعارةٌ لا تحسن ولا تتّصل ، وقضية لا تَتَمَعْنِي ولا تتحصّل ؛ ومثل تكرر هذه السينات ما يحملُ عن بعض المؤدبين بشرقِ الأندلس ، وكان يصفرُ في الصاد والسين صفيراً منكراً ، أنه قال : يا سادة ، يا جيرانَ المسجد ، سقط الطاووس من سقفِ موسى ابن أبي الغصن ، فكسرَ ساقَ صبيتنا ؛ انتهى ما اقتصصته من رده على ابن سيّدة .

جملة له من الانشاءات السلطانيات ١

فصل له من رقعة عن ابن مجاهد إلى صاحب مصر ٢ : وبعدما لزم الاستفتاح به وهي الإصباحُ شُهِبَ ، فإن مولى الحضرة الطاهرة - صلوات الله عليها - اعتمد قضاءَ حقِّها [١٠٦ ب] وإتيانَ وفقِّها . وعليه من حُلِّلَ النعمة أضفَّها ، ومن حلل السعادة أبناها ، ومن جُنِّنَ السلامة أوقَّها ، ومَن قَبِلَتْهُ من أولياءِ الحضرة وحذاها ، وعبيدِ دولتها ، وسهامِ كنانتها ، وشُهِبَ سمائها ، ورقيقِ ملكها ، وشيعِ مَلِكِها ، المستنجمين بطائرها السَّانِح ، المتبركين بفضلها اللانح ، في كنفِ الله وعصمته ، وخفارةِ سَعْدِ أمير المؤمنين وذمَّتِهِ . وما ولاهُ الله من البلاد ، وخوَلَهُ من العتاد ، وأولاه من تالِدٍ ومُسْتَفاد ، على ما يرضي أمير المؤمنين وفورِ عهدي ، وظهورَ يدٍ ، وانه سلف لمولى حضرتِهِ الطاهرة الاستثمارُ في تفيؤهِ لِبَرُودٍ ٣ ظلالها ، والاستئذانُ في ادِّراعِهِ لِبَرُودِ أفضالِها ، وارتضاعهِ لحلمات قَبُولِها وإقبالها ، وقَدَمَ عَقِيلَةٍ نَفْسِهِ ورائدَ قلبه . ووصفَ مباديَ نزاعِهِ وطلائعِ انجذابه ، ودواعيَ مهاجرته . وجواريَ مفاخرته ، وأعلَمَ أنه ذَخَرَهَا لِيَوْمِهِ وغدِهِ ، واعتدَّها لِنَفْسِهِ وولده ، فإنها الشمسُ بَعْدَ جِرْمِها وكَثَرِ ضَوْءِها ، ونأى مَحَلَّتِها ودنا ظِلَّتِها . فصدرت المراجعةُ الباهرةُ بما أضاءَ جوانحه . وَزَجَرَ سوانحه ،

١ د ط س : السلطانية .

٢ هي الرسالة التي تمقبه فيها ابن سيده ؛ ويقول ابن الأبار في التكملة إنها وجهت إلى صاحب

مصر سنة ٤٥٢ .

٣ د ط س : لبرد .

٤ د ط س : ادخرها .

وأمرعَ مواطنَه ومسارحه ، وتبينَ السعدَ معانِقَه ومصافحه ، وصادفَ رائدُ قلبه مراداً خصبياً ، وريحاً جنوباً ، وتقبلَ المولى منها مراحاً مروحةً ومقيلاً ، وتتوجَّحَ رسمَ الخلافة المستنصرية إكليلاً ؛ وإنْ بعدت أقطارُه ، فعلى مقدارٍ بُعدِ الهجرة إيثاره ، وما تتأتى السبل ، ومتون الرياح الحوامل والرسل ، فإن لم تكنْ سليمانِيَّة النَّصبَةِ ، فإنها علَوِيَّةُ النسبة ، فالآن استمرَّ المريزُ ، واستقرَّ الضميرُ ، واطردَ الأمرُ على بصير ، فتنسم مولى الحضرة رياها عطراً ، وراد رَوْضَها زهراً ، وشامَ برقها مُمطِراً ، واستوضح هلالها مُبَدِّراً ، وارتشف ماءَها خَصِيراً ، فما الشكرُ وإنْ جَزَلَ ، يرقى ثنايا ذلك الإفضالِ والإنعام ، ولا اللسانُ وإنْ جعل يتعاطى ذلك الثناء^١ ولا الأقلام ، ولا الجهدُ يقدر قَدَرُ ذلك الإكبار والإعظام ، ولا الوجدُ يفِي بتلك العوارفِ الجسام ، ولا الطوقُ يقوم بأعبائها حقَّ القيام ، وأيَّ وسعٍ يباري البحرَ وهو طام ، وأي طوقٍ يطيقُ ركني شَمَامٍ ؟! ولو كانت للمولى بالقدر يدان ، وساعدهُ إمكان ، وساعفهُ زمان ، لَأَمَّ شَخْصُهُ كعبةَ الآمال ، واستقبلَ بقصدهِ قبلةَ السَّعدِ والإقبال ، واستلم بيدهِ ركنَ الإنعام والإسبال^٢ ، فإذا لم يَنسُكْ مُحَرِّماً ، ولم يقربُ مستلماً ، ولم ينقلْ إليها قدماً ، فَحَسْبُهُ النِّيَّةُ التي هي أَسُّ^٣ البنية والطويَّة ، على فائي الطيَّة ، وما تيسَّرَ من هدْيٍ يُهنِّديه ، وعُمُرَةٍ عنه تُجزِّيه ، وإن شطَّ المحلَّ .

وسلقت السيرُ ، واستمرتِ المرر ، بإطرافِ الموالي [١٠٧ أ] سادتهم وإنحاف الأولياءِ ذاتهم ، وإطافِ الخدّامِ قادتهم ، على سَمَحِ الأوان ،

١ د ط س : الشار .

٢ د ط س : والافضال .

٣ د ط س : أم .

لا على الخطر والشان ، وعلى حُكْمِ التَّخْدِمِ والاهْتِبَالِ ، لا على حُكْمِ
 الهممِ والآحوالِ ، فما النفوسُ : فكيفِ النفائسُ وحاملوها ، ولا الدنيا
 وأهلُوها ، ولا الأرضُ وعامروها ، بكفاءٍ لبعضٍ واجباتِ الحضرةِ ،
 ولا بجزءٍ من أجزاءِ فرضها ، ولا لنبةٍ^١ من جُمَلِ^٢ قرضها ، ما عدا
 أن الله سبحانه قَبِيلَ منّا اليسيرِ ، وصفَحَ عن التقصيرِ ، وتجاوزَ عن الحقيرِ ،
 فألَفَ المولى أَشتاتاً ، ونظَّم أفراداً ، وجمع أصنافاً ، وهَيَّأَ أطافاً ، من
 تُحَفِّقُ أفقه ، وخواصَّ أرضه ، وغرائبِ مغربه ، وطرائفِ ثَغَرِه ،
 شَرَحَ أنواعها ، وأفرادَ جماعها ، ونثر نظامها ، وفصلَ تَوَاقُفِها ، في
 ما لطفَ طيِّ مكاتِبِه هذه ، وأودَعَ ما نوَّعَ ، وضمَّن ما جمعه ، حَرَبِيّاً
 من أشدِّ نَمَطِه^٣ حصانةً ، وأوفرَهِ أمانةً ، وأكثَرَه عِدَّةً وَعِدَّةً ، وأفضله
 جَيِّدَةً وَجِدَةً ، وأبهجه حَلِيَّةً وَبَرْدَةً ، وتفاءَلَ المولى في اسمه وَوَسْمِه ،
 فَخَرَقَ أديمَ البحرِ على اليُسْنِ والطائِرِ السعدِ ، والقَالِ الصدقِ ، كأنه
 هلالٌ سائرٌ ، أو عِقَابٌ كاسرٌ ، أو بازٌ مهابِدٌ^٤ ، أو شهابٌ ثاقبٌ ،
 أو سهمٌ نافذٌ ، ولحضرتِه الطاهرة — صلوات الله عليها — تأكيدُ العارفةِ ،
 وتأْيِيدُ الصَّنِيعَةِ ، وتشفيغُ الكرامةِ في حسنِ القبولِ ، والتجاوزِ عن خَلَلِ
 المعقولِ والمقولِ ، وتَأْوِيلِ أَمْرِ مولاها أحسنَ التَّأْوِيلِ .

وله من أخرى مثل ذلك إلى الوزير هنالك : أطل الله البقاءَ ، وأدامَ
 العزَّةَ والعلاءَ ، والسَّعادةَ والنماءَ ، ورجبَ الفناءَ ، ونصارةَ الأرجاءَ ،

١ ط س : لبيدة ؛ د : ابيد .

٢ ط د س : حمل .

٣ ب م : نظمته .

٤ هبذ وهابذ : أسرع في الطيران .

لحضرة سيدنا الوزير الأجلّ صفي أمير المؤمنين، ولا برحت القلوب حوائم
على شيرعتيه، كما زيين نحرها بقلائد الخلافة، وحلتي جيدها بنظام الأمامة،
والشمس محل السعد :

« وفي عنق الحسناء يُستحسن العقد »

فما أظلم ليل كان سيدنا صبحه، ولا أبهم معنى كان شرّحه، ولا
أساء زمان كان حسنته، ولا بخل وقت كان موهبته، ولا أذنب عصر كان
عذره، ولا ذوى روض كان زهره، ولا أوحش أمر كان أنسه،
ولا أظلم أفق كان شمس، ولا عطيل نحر كان حليه، ولا ضلّ ملك
كان هديه .

وإني أطال الله بقاء حضرة سيدنا، وإن لم أحل بمكاتبتة تقليداً، ولم
أحظ بمدخلته مستفيداً، فيه أثمر غرسي، وله انتظم غدي وأمسي،
وعليه تهّدّل جنّي^١ نفسي، فمحاسنه التي ملأت الملوين، ثمتني فانشيت،
وأنواره التي طبقت الخافقين، هدتني فاهتديت، فسرت لي مسير السيل
إلى قراره، وانجذبت نحوه انجذاب النجم إلى مداره، وجريت على نهج
أبي رحمه الله - في خدمة [١٠٧ ب] الحضرة والمكاتبة لها والمهاجرة
إليها، وما ندي^٢ لي من ثراها، وتمهّد لي من رضاها، وأحظاني من
سنيّ جوابها، وبهيّ تحليتها، والإقبال عليّ بقبولها، فذلك الفخر تاج على
مفرقي، وذلك الفضل طوق في عنقي، فحق أن تتأكد بصيرتي،
وتستمرّ مريرتي، وأطرد عليّ^٣ وتيرتي، فلا أزال مطالعاً وخادماً لها .

١ م : جنبها ؛ وهي غير واضحة في ب .

٢ م ب : لدن .

٣ د ط س : وتلرد علي .

وسبقت السيِّرُ ، واستمرت المررا بأن يطرف المولى سيِّدهُ ،
ويلطف الولي مُعتمدهُ ، وقلَّت الدنيا وصمتها^٢ ، والأرض ووفرها ،
لمستمسكٍ بحبلِ الحضرة ؛ ولا جرَّم أنها خدمةٌ تخبرُ عن همة ، وسيرةٌ
تنبئُ عن سريرة ، وقربةٌ يُتقبَّلُ [فيها] الوتح الحقيق ، ويتجاوزُ عن
القصورِ والتقصير ، علماً بأنها على الاختفاء لا على الاحتفال ، وعن الإخبار
عن الضمير لا على الآطوار ، فهيّا شيعّة سيدنا وصفوته ، سمح الأوان ،
وعجالة الإمكان ، على النوى القدوف ، والمنتأى^٣ الغروف ، أنداداً من
أطاف حوزته ، وأفراداً من خواصّ عمله ، وأعداداً من تحفِ جهته ،
يشرفُ بعضها بحضرةِ الخلافة ، وبعضها بحضرةِ الوزارة ؛ وضمنها من
بياضِ خاصّته^٥ : [حريباً] حصينَ البنية^٦ ، أمينَ الطويّة ، رائقَ البردة ،
وافرَ العدة ، تقلّدهُ الأستاذُ أبو الحسن كوثر نعمته ، وعهدة الحضرة ، فنفذ
في حفظ الله وصحبته ، وفي كفالة سعد أمير المؤمنين ؛ وسلك^٧ البحرَ
كأنه في أديمه شامة ، بل في سمائه غمامة ، وحضرةُ الوزير — أعزه الله —
تسدُّ في الجهتين الخلل ، فتحملُ وتُجملُ ، وتقبلُ وتقبلُ ، وتغفرُ خطيئَ
ما نقول ونفعل ، وتتأوّلُهُ إن شاء الله أحسنَ التأول ، وتكسوه المعروضَ
الأجمل ، فهي الهاديةُ لضوالّ الآمال ، المحلّية لعواطل الأعمال .

١ ط د س : الأدهر .

٢ ط د س : وقلدت . . . وضمنها .

٣ ب م : والمنتهى .

٤ د ط س : يتصرف .

٥ د ط : وضمن الحملة (د : الحملة) حديثاً ؛ س : وضمن الحملة حربياً ؛ وهو الصواب .

٦ د ط س : النية .

٧ م : وسط ؛ ب : وسك .

وله من أخرى : وقد علمت الحضرة - صلوات الله عليها - أنني مستمد^١ التعلّق بحبلها من كتب ، ووارث^٢ التحقّق بفضلها عن كلاله أدب ، على هذا المهاد نشأت^٣ ، وبهذا القرار^٤ ثويت^٥ ، ومن هذا الثمر اغتذيت^٦ ، وبهذه البصيرة تتوجّجت^٧ وارتديت^٨ ، وقد كان للموفق أبي^٩ ، مولى الحضرة ، منزع^{١٠} عليّ بسببه ، وأرب^{١١} وسيم^{١٢} أجمل^{١٣} وسّم به ، أن يثبت في ديوان مكاتبتها اسمه ، ويُلحق^{١٤} في رسوم خدمتها رَسْمه^{١٥} ، ويحرز^{١٦} الحصل^{١٧} في ميدانه ، ويبرز^{١٨} في أفقه وزمانه ، ويحلّي مغربنا بما لم يكن^{١٩} حالياً به ، ويفض^{٢٠} عُدْرَةَ أمر^{٢١} لم يُهتد^{٢٢} لجانبه ، فوافاه^{٢٣} حمامه - أكرم^{٢٤} الله نزلَه - وهو في ذمائه يمهّد^{٢٥} أكناف^{٢٦} نيّته ، ويقيم^{٢٧} شرفات^{٢٨} بنيّته ، فقضى ولم يُسعيد^{٢٩}ه^{٣٠} القضاء ، ومضى ولم يكن^{٣١} الآمضى ؛ ثم دُفع^{٣٢} مولى الحضرة - أنا - إلى فتن^{٣٣} جدّ بَتّه^{٣٤} عن تلك الفرائض ؛ وقبضته من تلك المعارض . ثم إن الله تعالى أيد^{٣٥} مولى الحضرة فمهّد^{٣٦} له هنيئاً من الظفر ، ونتجت^{٣٧} [١٠٨ أ] له سنياً^{٣٨} من الوطر ، فلما فرغ^{٣٩} لنيّته التي كانت أمام^{٤٠} ذكره ، وملء^{٤١} صدره ، أزمع^{٤٢} الإيراد^{٤٣} لآماله^{٤٤} الحائثات^{٤٥} ، والسفور^{٤٦} عن هممه^{٤٧} المتقنّعات ، والإنزال^{٤٨} لعزائمه^{٤٩} المرفرفات^{٥٠} ، فها نحن واردو^{٥١} تلك الحياض ، وخارقو^{٥٢} ذلك^{٥٣} الوفاض ، ومنبضون^{٥٤} إلى تلك الأغراض ، فلسنا في تلك القوافي لإقواء^{٥٥} ،

١ ط د س : وقد كان لأبي .

٢ ط د س : شرافات .

٣ ط د : وفتحت . . . سبباً .

٤ ط د س : لايراد إهماله الحاجات .

٥ ط د س : لغرائبه .

٦ ط د س : ومنتهضون .

ولا في ذلك المضمار بطاء ، ولا سَهْمُنَا غِلاء . ومولى الحضرة مملأ من كرمه مؤيدٌ بجنوده : من كتائب^١ تملأُ الفضاء ، وتغشي الدأماء ، فتصدعُها بجبال كالرياح ، ورياح كالجبال ، ثانية الأقدار ، وثالثة الليل والنهار ، تحملُ من قد قامت^٢ من آسادٍ هي خدورها ، وصوارم هي غمودها ، وسهام هي كنانها ، وأفئدة هي جوانحها ، فلو لقوا المنايا لصرعوها ، أو ضربوا الجبال لصدعوها ، أو رموا الأوهام لقرعوها ، أو راموا النجوم لفرعوها^٣ .

وفي فصل منها^٤ : ولم يكن ليقدمَ إليها غيرَ الإستثمار ، ولا ليقصد نحوها غيرَ الإشعار ، لتكونَ بضائعهُ خوالصَ الإضمار والإظهار ، وطلائعهُ سوابقَ الإسناد والاستظهار ، فهي أعزُّ جناباً ، وأعظمُ مهابةً ، من أن يقرعَ إليها باباً إلاّ بإباحتها^٥ ، ويصلَ منها حجاباً إلاّ بسماحتها ؛ ولما جرّدَ مولى الحضرة هذا المذهبَ من البأو بمكاتبها ، ونلخصَ^٦ هذا الأربَ من التشرفِ بمراسلتها ، رأى مِن توقيرها وتكبيرها ، تقليدها مَنْ يكونُ كفيلاً بها أو طيقاً لتحملها ، فندبَ لها من أبناء الوزراء ، وصفوة الظهراء ، مَنْ له السابقةُ المذكورة ، والعينُ المشهورة ، والأحوالُ الخطيرة ، والخلالُ المشكورة ، ودماثةُ الجانب وسكونُ الطائر ، مُضمناً^٧ مركباً

١ ط د س : كتائبه .

٢ ط د س : مات .

٣ ط د س : رمقوا النجوم امصرعوها .

٤ بداية هذه الفقرة في ط د : ولم يكن 'يقرع باباً' . . . الخ .

٥ ب : بإذاعتها ؛ ط د س : بإجابتها .

٦ ط د : وخص .

٧ ط د س : فندب . . . وصفوة الظهراء فلاناً مضمناً . . . الخ .

من مراكبه ، يدلُّ به مدلٌ^١ الليل بالصباح ، وينمُّ عليه كما نمتُ على
 الزهر الرياح ، خلا أنَّ منَّ سكنَ المغرب الأقصى ، وجاور الثغر الأعلى^٢ ،
 وجاذب اللسان الآجفي ، وارتضع الجمجمة^٣ الخشناء ، والعجرفة الصماء ،
 ثم حاول حرمةَ الخلافة العظمى ، والحضرة العليا ، وغشي مصرَ الإسلام ،
 وتُخبَّبة^٤ الأنعام ، ومحفَّل الجماهير العظام ، فمعدورٌ أن تُغشيه أنوارها ،
 ويُغشيه إكبارها^٥ ، وتُحصِرُه مهابتها ، وتُخْرِسه جلالها ؛ ومن
 فواضل الحضرة وسرعانٍ إنعامها ، وبواكر إكرامها ، إرقاؤه إلى البساطِ
 المعظم ليلثمه ، وإدناؤه [من] الحزمِ المكرَّم ليستلِّمه . ولو أن مولى
 الحضرة يستعيرُ الروض نَشْرَه ، والمسك عطره ، والبحر دُرَه ، والسحابَ
 قَطْرَه ، والزمان عُمُرَه^٦ ، وعطارِدَ نظمه ونثره ، فيسدَّ بها الأفقين ،
 ويملأ ما بين الخافقين ، ليوصلَ معتقده ، ويؤدي تعظيمه وحمده^٧ ،
 وينهي كُنْه^٨ ما عنده ، لما استوفت عَدَّه ، ولا سبَّرت عِدَّه^٩ . [١٠٨ ب]

وله من أخرى إلى الوزير هنالك^٩ : فالحضرة العليةُ معنيٌّ هو شَرَحُهَا ،
 وشمسٌ وهو صَبَحُهَا ، وأذنٌ وهو قُرْطُهَا ، وجيدٌ وهو عقدها ، ومِعْصَمٌ

١ د : ينزل به منزلة ؛ ط : منزل به منزل ؛ س : مدل .

٢ ط د س : الأدنى .

٣ د ط س : الجمجمة .

٤ د ط س : وتُخَفِّة .

٥ د ط س : وتغشيه أقمارها .

٦ د ط س : والزمن .

٧ د ط س : كمية .

٨ ب : ولا سيرت غده ؛ د ط س : شريت .

٩ ط د س : الوزير بها .

وهو سيّارها ، وعينٌ وهو نورها ، ورأس وهو عينها ، ومبسمٌ وهو
 ثغرُها ، وكفٌ وهو بنانها ، ورمحٌ وهو سِنانها ، وحسامٌ وهو غرارها ،
 وسماءٌ وهو بدرها ، وروضٌ وهو زهرها ، وساقٌ وهو قدمها ، ذلّلَ
 لها المستصعباتِ ، وفتح لها المبهماتِ ، وأوضح لها المشكلاتِ ، وأضاء لها
 الظلماتِ ^١ ، وأن انتظامها به ، وكمالَ بهجتها بخدمته ، وتمامَ سعادتها
 بولايته ، وأرجَ نَشْرِها بمظاهرتِه ، وبروزَ سَبْقِها بمؤازرتِه .

وكان للموفق أبي نهجٌ بمدخلتها ، ومفتتحٌ لمراسلتها ، لم يفارقهُ —
 رَوْضَ الله مثواه — إلى أن فارقَ دُنياه ، فكنتُ أبا عُدْرَتِها ، وفاتقَ أكتها ،
 وفاتحَ مُرْتَجِيَّها ، وسالكَ منهجها ، فبرزتُ ^٢ بين أبناءِ مغربي في مدخلتها ^٣
 وعَرَضِ صاغيتي وخدمتي عليها ، وتوفيدُ مكاتبتني ومراسلتي إليها ،
 في ^٤ مركبي الذي أعلمته خالاً في صفحةِ البحرِ ، وسويداءَ في مُقْلَةِ العصرِ ،
 ووصلتُ بمكاتبتني مَنْ هو لها كفؤٌ ، ولي ظهيرٌ ونشأٌ ، من أبناءِ أهلِ الخطرِ ،
 وذوي الشرفِ والقدرِ ، ومن له الشيمُ الهاديةُ ، والريحُ الساكنةُ ، والمناصحةُ
 البالغةُ ، فلان ، [أحد أبناءِ الحضرةِ ، وذوي السَّروِ والقدرةِ] ؛ إلاَّ
 أنَّ أهلَ مغربنا مرتضعون العجمةَ ، مدرِّعون الحشمةَ ^٥ ، بمصاغبةِ الثغورِ
 الخشنةِ ، ومجادبةِ ^٦ الألسنِ الثقيلةِ ، وممازجةِ الأمزجةِ الكليمةِ ، فَمَنَّ ^٧

١ ط د س : المظلمات .

٢ ط : فمررت .

٣ د ط س : بمدخلتها .

٤ ط د س : وتوفير .

٥ ب م : من .

٦ ط د س : الخشنة .

٧ ط د س : بمحادثة .

دُفِيعَ منهم بعدُ إلى خدمةِ الخلافةِ العلية، وجاورَ الألسنةَ العصبية، وشافهَ النفوسَ الرطبة، وداخلَ الأمزجةَ العذبة، وارتقى إلى سماء تلك العزة، فَعُدَّزُهُ مقبول، وأمرُهُ على الاجتهادِ الأصيل والاعتقادِ النبيل محمول^١، وما الأقلام وإن مَدَحَتْ، ولا الأقوالُ وإن جَمَحَتْ، ولا الأوصافُ وإن سَمَحَتْ، بمعبِّراتٍ عما عنده من حُسْنِ الصاغية^٢، وخلوصِ الناحية، والمالأة^٣ الصافية، والمناصحةِ الزاكية، والخدمةِ الوافية؛ وإن بَعُدَ مثواه فلم يبعدَ مَنْ كانتِ الضمائرُ وسائله، والرياحُ رسائله، ولا تكتمُ النيرَاتُ عن حَدِّقِهِ، ولا تنحرفُ أفلاكها^٤ عن أَفْقِهِ، ولا تتجافى [في] مسالكها عن طرقه.

وله من أخرى في مثله: وإن مَوَّلَى الحضرةِ العلية لما حَمَلَ من تأميلها ما أضاعَ جوانحه، وارتسمَ من خدمتها ما أراه سوانحه، فتعرف اليُسْنُ باكيره ورائحه^٥، وتبينَ السَّعْدَ مُعَانِقَهُ ومصافحه، تفيئاً برُودَ ظلالها، ليدَّرِعَ برُودَ تشریفها وإفضالها، وارتضع حلماًتِ جنابها، ليستدرَّ أخلافَ طلابها، واستأمر بخطابها، ليحظى بسنيّ جوابها [١٠٩ أ]، ووجهَ من صفوة نظرائه أبا مروان بن نجية، معلماً باستثماره، مستظهِراً باشعاره، بعد أن صَفَّتْ نُطْفُ سرائره، وتبلَّجَتْ أزاهرُ ضمائره، وثریتْ أرضُ صاغيته، وتَدَيَّتْ^٦

١ ط د س : وأمره محمول على . . . الخ .

٢ ط د س : الطاعة .

٣ ط د س : والمعاملة .

٤ ط د س : الأفلاك .

٥ ط د س : بما .

٦ س : ورويت ، د ط : ووريت .

روضُ طاعته ، وكادتُ تورقُ صَفَاةُ طرقه ، وتُعشِبُ حَصَى أفقه ،
وتطلعُ من عزيمته الشمس ، وتثمر آمالُهُ قبلَ الغرس^١ ، وكاد الجسمُ يسبقُ
النفس ، والناظرُ يقدمُ الحسَّ ، بصريمةُ تخليجِ خلاجِ المنتوى ، وتحتزُّ وداجُ
النوى ، عودُها نُضَارٌ لا عَرَار ، وسرُّها محضٌ لا سَمَار^٢ .

وفي فصل من أخرى : حضرةُ سيدنا - أيده الله - قلائدُ يَروقُ
على نَحْرِ الخلافةِ نظامها ، وتحققُ على عاتقِ الثريا أعلامها ، تبرىءُ
الأسماعَ من صممها ، وتشفي الصدورَ من وحرها ، وتصحُّ الجسومُ من وصبها ،
وتريحُ النفوسَ من نصبها ، كما تصكُّ أسماعَ العدا ، وتخلعُ قلوبَ من
ناوا ، وتقيضُ جِسمَ من عصي ، وتقطعُ وريدَ من اعتدى ،
فهي حياةٌ وردى ، وشهبٌ وقضبٌ ، ونجومٌ ورجوم ، لا برحتَ تمطر
الوليَّ ربيعاً ، والعدوَّ نحيباً ، ولا زال سيدنا حسامَ عاتقِ الملك ، وواسطةَ
ذلك السِّلَك ، وخالصةَ ذلك السبك ، فإنه سرى إليّ من مآثرِ حضرته
ما أخجلَ المسكَ رياه ، وكسفَ الشمسَ بحياه .

ولم يحضرني من شعرِ أبي الأصبغِ حينَ تحريرِ هذه النسخة إلا هذان
البيتان من مراثية في ابنته :

انكسفي ويحكِ يا شمسُ وازهَ بما ضُمَّتَ يا رمسُ
في سرِّ أجفانك لي مقلةٌ وبينَ أضلاعك لي نفسُ

وابنه أبو عامر^٣ : بوادي آش من عمل المريّة ، ناظمٌ نائر ، ولم يقع

١ ط د س : وكادت تثمر . . . الشمس .

٢ السمار : اللبن المشوب .

٣ القلائد : ١٣٢ والنفح ٣ : ٤٩٩ والخريدة ٢ : ٣٩٨ ، وسقط هذا الفصل كله من د ط س ،

ولم يشر ابن بسم في فهرست كتابه الى آله سيترجم له ، وقد زاد ما هنا عما في القلائد ، =

إليّ من شعره ما أجعله سبباً إلى ذكره، إلاّ ننفّ يسيرة تدلّ على انطباعه،
كدلالةِ الفجر على انصداعه ؛ له ١ :

سريت والليل من مسراك في وهل
وسرت في جحفل يهدي فوارسته
هوت أعاديك من سار يورقسه
إذ الملوك نيام في مضاجعهم
لله صومك من أيام ٢ فطهرهم
نحرت فيه الكماة الصبيد محتسباً
إذا صرير المدارى هزهم طرباً
وإن ثنتهم عن الإقدام عاذلة
كم ضمّ ذا العيد من لاه به غزل
« في الخليل والخافقات البيض لي شغل
ظلمت يومك لم تنقع به ظمناً
وكلما رامت الروم الفرار أتت
فصار مقبلهم نهياً ومدبرهم
فكم فككت من الأغلال عن عنق
أنت الأمير الذي للمجد همته
وللمواهب أو للخط أنمله

مُبرأ العزم من أين ومن كسل
سناك تحت الدجى والعارض الهطل
ركض الجواد وحمل الأمة الفضل
مستحسنون بهاء الحلي والحلل
وما توخيت من وجه ومن عمل
وحسب غيرك نحر الشاء والابل
أهلك عنه صرير البيض والأسل
مضيت قدماً ولم تأذن إلى العدل
وأنت تشدّ أهل اللهو والغزل :
ليس الصباية والصهباء من شغلي
وظلّ رحك في علّ وفي نهل
من كلّ أوب وضمتها يد الأجل
وعاد غانمهم من جُملة النفل
وكم سدّدت بهذا الفتح من خلل
وللممالك يحميها وللدول
ما لم تحنّ إلى الخطية الذبـل

= فإذا حكمنا: أن هذه الترجمة دخيلة فمعنى ذلك أن الذي أدرجها هنا اعتمد على القلائد
ومصدر آخر؛ وفي ط د س : وابنه أبو عامر بجهة المرية ناظم نائر ، ولم يقع إليّ أيضاً ما
أجعله سبباً لذكره ؛ اهـ .

١ هذه القصيدة في مدح الأمير المرابطي عبد الله بن مزدي .

٢ القلائد والخريدة : برأ يوم .

لمزدليّ لواءٌ كان يرفعـه^١ مناسبٌ كالضحى والشمس في الحمل
 الجابرين صدوع المعنفي كرم^٢ والكاسرين الظبّا في هامة البطل
 والعادلين عن الدنيا وتضرّتها والسالكين على الأهدى من السبل
 خير التبايع والأذواء من يسمّن الغالين على الآفاق والملل
 يسود في آخر الأعصار آخرهم وساد أولّهم في الأعصر الأول
 يا أيها المالكُ المرهوبُ صولتـه المرتجى غوثـه في الحادثِ الجلل
 من كابد العدم لم يكمل له أمل والعدم من أقطع الأشياء بالأمل
 فاصفح لعبدك يا مولاه مغفراً ما كان من خطأ أو منطقٍ خطل

وكتب شافعا^٣ : سيدي الأعلى ، وعلقي الأعلى ، وسراجي ، الأجل ،
 ومن أبقاه الله والأمكنة بمساعييه فسيحة ، والألسنة بمعاليه فصبیحة ،
 موصلـه^٤ - وصل الله جندك - حيوان ، يصفـر كلّ أوان ، ويسفر
 بين الإخوان ، رقيق الحاشية ، يعتمد على كرواء ، ويستمع بخذواء^٥ ،
 وينظر من عين كأنها عين ، ويلفظ بمنقار كأنه من قار ، يسلي المحزون ،
 بالمقطع والموزون ، وينفـس عن المكظوم ، بالمنثور والمنظوم ، مسكي الطيـاسان ، تولد
 بين الطائر والإنسان ، كما سمعت بسمع الفلاة ، وعمر بن السّعلة ،
 قطع من منابت الربيع ، إلى منازل الصقيع ، ومن مطالع الزيتون ، إلى

١ ب م : مردل ولي له كان تدفعه .

٢ ب م : لكما ؛ القلائد : لهم ، والتصويب عن الخريدة .

٣ القلائد والخريدة : وكتب شافعا لرجل يعرف بالزرير .

٤ القلائد : وشهابي .

٥ ب م : موصلـه .

٦ الكرواء : الساق الدقيقة ؛ الخذواء : الأذن المسترخية ؛ ب م : كرواء . . . لحدواد ؛

القلائد : كدواء . . . بجذواء .

مواقع [١١٠ أ] السحابِ المتهنون ، فصادف من الجليد ، ما يُذهب قُوَى الجليد ، ومن البردِ ، ما لا يدفعه الريش والبرد ، والحدائقُ قد غمّضتْ أحداقها ، وانحسرتْ أوراقها ، والبطاحُ قد قيّدتِ الفور ، بحبال الكافور ، وأوقعتِ الصرد ، في حبائلِ الصرد^١ ، فمنيّ البائسُ بما لم يعهده ، كما وُسِّمَ بالزورِ مَنْ لم يشهده . ولما قال رأيه ، [وأخفق]^٢ أو كادَ سعيه ، التفتَ إلى عطفةٍ أشمط ، وإلى أديمةٍ أرقط ، فراح ، ثم سوّى الجناح ، وقد أنكر مزاجه ، ونسي ألحانهُ وأهزاجه ، ولا شك أنه واقعٌ بفنائك ، راشفٌ من لئالك ، آملٌ حُسْنَ غنائك واعتنائك ، وأنت بارقٌ ذلك العارض ، ورائدٌ ذلك الأُنفِ البارض ، تهيءُ له حبساً ، يجزيك عليه ثناءٌ وحباً ، وقد تحفظتْ يا سيدي رسائلَ ، جُعِلَتْ له وسائل ، فسام بها أهلَ الآداب^٣ ، سوءَ العذاب ، ودعا البطيَّةَ منهم إلى الإهذاب^٤ :

* وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قرَنٍ *

لا زلتَ منافساً في العلوم ، آسماً للأحوالِ والكُلوم ، إن شاء الله عز وجل .

وله في أبيي محمد الزبير بن عمر^٥ ، مكنَّ الله سَعْدَه ، وقد تقدّم

١ الفور : الظباء ، والكافور هنا كناية عن الثلج ؛ والصرد : طائر فوق العصفور ، والصرد : البرد .

٢ زيادة من القلائد .

٣ ب م : الأدب .

٤ الإهذاب : الاسراع .

٥ عجز البيت : لم يستطع صولة البزل القناعيس ؛ وهو بحرير كما في اللسان (قنعمس) وانظر ديوانه : ٢٥٠ (ط . صادر) .

٦ الزبير بن عمر أحد ولاية المرابطين بالاندلس ، ولي قرطبة ، وفي سنة ٥٢٦ هـ امر علي بن يوسف بإضافة ولاية قرطبة إلى تاشفين وتحويل الزبير إلى غرناطة (المغرب ٤ : ٨٧) =

مَرَضٌ وأراد الغزو :

صَحَّتْ بِصِحَّةٍ جَسْمِكَ الْأَحْوَالُ
وَوَقَى الْإِمَارَةَ مَنْ وَقَاكَ بِمَنْه
وَالْتَاخَ بَدْرٌ لِلْعَلَا مِتَالُوقُ
وَاعْتَادَ [مَنْ] بَعْدَ الذَّبُولِ نَضَارَةُ
لَمْ يَثْنِ عَزَمَتِكَ الضُّعْفُ عَنْ وَجْهَةٍ
فَأَخَذْتَ بِالْأَثَرِ الصَّحِيحِ وَإِنَّمَا
لِلَّهِ أَخْلَاقُ الزَّبِيرِ فَانْهَسَا
وَحَاسِنٌ مِنْهُ تَرَوْقُ ، بَبَعْضِهَا
فَمُنَاسِبٌ وَمَفَاخِرٌ وَمَعَارِفُ
أَرْجُو مَسَاعِيهِ وَأَمَّا مَالُكُمْ
لَكُتِبَتْهَا مُسْتَعْجَلًا إِذْ مَا تَنِي ٣
سَيَكُونُ مِنْهُ وَإِنْ بَعْدَتْ تَخْدُمُ
لَا زِلْتُمَا فِي عِزَةٍ وَسَعَادَةٍ
وَلَهُ فِي الْأَمِيرِ تَاشَفِينٌ ٤ :

= ومن ثمَّ عدّه ابن سعيّد (المغرب ٢ : ١٢٧) صاحب قرطبة كما عدّه صاحب مفاخر البربر (٨٢) من ولادة غرناطة ، لأنّه ولي البلدين ، وهو صاحب منية الزبير (نفح الطيب ١ : ٤٧١) والشاعر أبي بكر ابن الأبيض اهّاج فيه (النفح ٣ : ٤٨٩ - ٤٩٠) وقال فيه أبو بكر الصيرفي مؤرخ دولة المرابطين « ندرة الزمان كرمًا وبسالة وحزمًا واصالة » (الاحاطة ١ : ٤٥٨) .

١ ب : فبدى . ٢ ب م : واعتاد العز الذبول واعتاد بعد ذلك النقص . ٣ ب م : ولغاثني .

٤ تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : احد رجالات المرابطين شجاعة وبلاء في الاندلس وزهداً وصلاحاً ، ولاء أبوه على إمارة غرناطة والمرية سنة ٥٢٣ ثم اُضيف اليهما قرطبة ، =

أَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَضَاءَ بِكَ الزَّمَنُ الْمَظْلَمُ
وَزِينَهُ مِنْكَ تِلْكَ الْعَلَا كَمَا اازْدَانِ بِالْغُرَّةِ الْأَدَمِ
أَدَالَ الشَّقَاءَ لَنَا بِالنِّعَمِ فَيَنْعَمُ مَنْ كَانَ لَا يَنْعَمُ
وَأَقْبَلَ مُسْتَعْتَبًا مِثْلَمَا تَنْصَلُّ مِنْ جُرْمِهِ الْمَجْرَمِ
فَنَشْكُرُ نَعْمَى أَتَانَا بِهِمَا وَلَا بَدَّ أَنْ يُشْكَرَ الْمَنْعَمِ
نَهَضْتَ وَحَوْلَكَ لِمَتُونَةٍ كَمَا حَفَّ بِالْقَمَرِ الْأَنْجَمِ
بِكُلِّ أَغْرَ طَوِيلِ النِّجَادِ لَهُ الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ الْأَقْدَمِ
يَلُودُ بِهِ الْبَائِسُ الْمَعْضِي وَيَرْهَبُهُ الْفَارِسُ الْمَعْلَمِ
إِذَا سَفَرُوا فَهَمُّ كَالْبَدُورِ وَهُمْ كَالْأَهْلَةِ إِنْ لُتِمُوا
فِيَا حُسْنَهُمْ إِنْ تَجَلَّوْا ضَحَى وَقَدْ رَكَبُوا الْخَيْلَ وَاسْتَلَمُوا
وَمَدَّاهُمْ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ يَجْنِدُ مِنَ النَّصْرِ لَا يُهْزَمُ
فَحَكَمَهُمْ فِي الَّذِي أَمَلُوا وَأَظْفَرَهُمْ فِي الَّذِي يَمُوا
وَحَلَّوْا بَارِضِ الْعَدَا فَانْبَرَتْ عَلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ صَيْلِمُ
فَكُلَّ رِجَالَهُمْ قَتَلُوا وَكُلَّ مَعَاقِلَهُمْ هَدَمُوا
كَأَنَّ الْجَمَاجِمَ بِذُرِّ لَهْمٍ وَسَقَى الَّذِي بِذُرْوِهِ الدَّمُ
فَقُلْ لِرِئِيسِهِمْ أَيْنَ مَا حَكَمْتَ لَقَدْ سَاءَ مَا تَحْكُمُ
تَعَاطَى الثَّبُوتَ عَلَى زَعْمِهِ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الَّذِي يَزْعُمُ
وَرَامَ الْفِرَارَ فَلَا مَجْهَلُ يَفِرُّ إِلَيْهِ وَلَا مَعْلَمُ
وَأَضْحَى وَمَرْكُوبُهُ أَبْلَقُ فَأَمْسَى وَمَرْكُوبُهُ أَدْهَمُ
أَتَى وَالْبَنُودُ عَلَى رَأْسِهِ مَهَانًا وَتَحْسَبُهُ يُكْرَمُ

= فكانت له معارك في الجهاد مشهورة ، ولما توفي أبوه سنة ٥٣٧ خلفه في امرة المسلمين ،
وقد خاض الحروب ضد الموحدين ، ولقي مصرعه سنة ٥٣٩ (انظر الاطاحة ١ : ٤٥٦
والمغرب ٤ : ٧٩ وما بعدها) .

يصرصر عقبانها فوقه^١ ويصفر من بينها الأرقم
 لتهناً هذي الفتوح التي تناسق كالدر إذ ينظم [١١١] أ
 على الشرق والغرب من عزها حفيظ^٢ ومن حسنها ميسم
 ولولاه كان السرور الذي أقرت العيون بها مأتم
 رجوت^٣ الأمير^٤ لعلمي به وما جاهل^٥ مثل من يعلم
 وقلت عسى المحل أن ينجلي ويعقبنا الوابل^٦ المثجم
 فقد يقرب^٧ النازح^٨ المتأني وينفتح^٩ المغلق^{١٠} المبهم
 بني تاشفين سلمت^{١١} لنا فمهما سلمت^{١٢} لنا نسلم
 وأنت لدين الهدى عصمة^{١٣} بها يحتمي^{١٤} وبها يغصم^{١٥}
 خلافتكم غير^{١٦} مجهولة^{١٧} وسير^{١٨} إمامتكم تعلم
 فلو ينطق^{١٩} الله فينا الجماد^{٢٠} لناجتك^{٢١} - أعظم^{٢٢} بها - زمزم

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى^١

وهو عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون^٢ ، استوزره المأمون يحيى
 ابن ذي النون عدة سنين ، ورمى إليه بيده^٣ ، في تدير بلده ، فاستقل بأعباء^٤
 ما تقلد^٥ ، وغار ذكره^٦ وأنجد .

١ من أهل قرطبة وسكن ببلنسية ، انضم إلى المأمون صاحب طليطلة بعد انفصاله عن المنصور
 عبد العزيز بن أبي عامر ، وقد انتفع به الناس في وزارته لدينه وسكون طائره وسلامة
 باطنه وظاهره ، وكانت وفاته ببلنسية ليلة الاثنين ليلتين خلتا من صفر سنة ٤٥٨ هـ ودفن
 يوم الثلاثاء بعده ، ذكره ابن حبان وأطال في الثناء عليه (انظر التكملة رقم : ١٥٥٥) وذكره
 صاحب النفح ٣ : ٥٥٩ ولكنه خلط بينه وبين أبي مروان عبد الملك بن مثنى ، وهذا
 الثاني ترجم له في المطمح : ٣٠ .

٢ د ط س : محمد بن صبغون .

٣ د ط س : قلد .

قال أبو مروان بن حيان^١ : وكان أبوه أحمد^٢ من أبناء أكابر الفقهاء بحضرة قرطبة^٣ بعهد الجماعة ؛ وكان أبو المطرف عفيفاً دمثاً طاهر الأثواب ، حُلُوَ الشمايل مُطْلَقَ البشر ، متحققاً بصناعة الكتابة ، بذاً أهل وقته في البيان والبلاغة ، وكان مع ذلك يحملُ قطعةً وافرةً من علم الحديث وأنواع الفنون ، وتوفي رحمه الله سنة ثمان^٤ وخمسين وأربعمائة .

فصل من رقعة فيها طول لأبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي^٥ إليه منها : أطال الله بقاء سيدي ، وجعل درج^٦ المعالي مستقرةً تحت قدمه ، وسُرج المساعي مُسْفرةً عن بوارق هيمته ، وظامئات الأمانى رويّةً من لُعباب سنّ قلمه ، وعدّبات الإقبال مَنُوطَة بِالْوَيّةِ عزائمه وآرائه ، وسطوات الأقدارِ مربوطةً بأروية^٧ مآربه وأنحائه ، وصبّ نُوب^٨ الزمانِ على حسدته وأعدائه .

وفي فصل منها : وقد كانت - [أيدك الله]^٩ - رياض أخباره تزهرُ عندي بنوار خلايقه الزكية التي هي أشهرُ من فلق الصباح ، وتعبقُ بمحاسنه^{١٠} الرضيّة التي هي أسيّرُ في الآفاق من هبوب الرياح ، [١١١ ب] فتلطفُ بنوافير الأرواح ، حتّى كأنها المصافاة بين الماء والراح ، فترتّع الأسماعُ

١ قال . . . حيان : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : محمد .

٣ ب م : بقرطبة .

٤ د ط س : ثلاث .

٥ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من الذخيرة (المطبوعة ٤ / ١ : ٦٧) .

٦ د ط س : درجة .

٧ الاروية : الحبال ، المفرد : رواء . ٨ د ط س : وصرف نوائب .

٩ لم ترد هذه الزيادة في س .

١٠ د ط س : محاسنه .

من تَضَارَّتْهَا فِي مَرْتَعٍ خَصِيبٍ ، وَتَرَفُلُ مِنْ غَضَارَتِهَا فِي ثَوْبٍ مِنَ الْإِنْسِ
قَشِيبٍ ، فَلِلَّهِ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الَّتِي جَعَلَتْ الْعَيْنَ حَاسِدَةً^١ لِلْأُذُنِ ، وَالْفَضَائِلُ
الَّتِي حَاجَزَتْ^٢ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، فَكَلِمَا ازْدَادَتْ بِالْأَخْبَارِ بَضَائِعُهَا أَرْبَاحاً ،
ازْدَادَتْ النُّفُوسُ إِلَى تَبْهُضْعِهَا طَرَباً وَارْتِيَاحاً ، وَكَلِمَا رَكَضَتْ دُهُمُهَا فِي
مِيَادِينِ الْفَضَائِلِ مَرَاحاً^٣ ، اسْتَفَادَتْ بِالْإِحْمَادِ غُرَرًا وَأَوْضَاحاً .

وَمِنْهَا : وَكُنْتُ مَرَرْتُ بِبِلَادِ شَمُوسِ الْفَضَائِلِ^٤ فِي آفَاقِهَا مَكْسُوفَةً^٥ ،
وَعَيُونُ الْعِلْمِ وَالْآدَابِ^٦ فِي عَرَصَاتِهَا مَطْطَرُوفَةً^٧ ، وَسَتَائِرُ الْأَحْرَارِ بَيْنَ
أَهْلِهَا مَهْتَوِكَةً مَكْشُوفَةً ، وَجَنَبَاتُهَا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ مَحْفُوفَةً ، وَقَدْ نَضَبَتْ
فِي رِبَاعِهَا مِيَاهُ الْأَمَانَةِ وَالْأَمَانِ ، وَتَبَعَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا عَيُونُ الْخِيَانَةِ
وَالْبَهْتَانِ ، وَضَعُفَتْ حَبْلُ الدِّيَانَةِ فِيهِمْ وَالْإِيمَانِ ، فَجَنَحُوا إِلَى جُحُودِ
النَّعْمِ وَالْكُفْرَانِ ، وَتَوَسَّعُوا فِي مَطَاوِعِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ
مِنَ النُّورِ فِي أَحْوَالِهِمْ ظُلَاماً ، وَبِالْحِلَالِ فِي مَكَاسِبِهِمْ حَرَاماً ، وَخَصَّ
أَسْعَارَهُمْ بِالْغَلَامِ ، وَجَمَعَ لَهُمْ بِالْفِتَنِ ، وَلَفِيفَهُمْ بِالتَّشْتِ^٨ وَالْجَلَامِ ،
وَاللُّخْرَابِ مَا يَعْمُرُونَ ، وَلِلْقَتْلِ مَا يَلْدُونَ ، وَلِلنَّهْبِ مَا يَجْمَعُونَ ، وَلِغَيْرِهِمْ
مَا يَكْسِبُونَ ، ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الزمر : ٤٨)
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ ﴾ (هود : ١٠٢) .

١ ب م : فَاخَرَتْ .

٢ ب م : فَرَاخَا .

٣ د ط س : الْفَضْل .

٤ د ط س : وَالْأَدَب .

٥ ط د : الْأَمَانَةُ .

٦ د ط س : مَطَالَعَةٌ .

٧ د ط س : بِالتَّشْتِيت .

ركبتُ جواداً من العزم قلّما امتطاه راكبٌ إلاّ فاز بمبتغاه^١ ، وشكرَ
دأبَ سَيِّره^٢ وسُراه ، وثَلثُ درعاً سابغةً من الخزم^٣ لم يندم^٤ على ادّراعها
لابس ، ولا استثقل^٥ حَمَلُها من الرّجالِ أخو نَجْدَةٍ ممارس ، فكَتَّ
عني حَلَقَ الخُدعِ من الأعداءِ والمكايِدِ ، وحلّتْ دُوني عُقْدَ الحَبائِلِ
منهم والمراصد ، فخلصتُ من دواعي احتفالهم خلوصَ الخمرِ من نسج
القدام^٥ ، والشمسِ من تحت الغمام ، ولم أزلْ أقطعُ المفاوِزَ مسجورةً ،
وأجزعُ الطرقَ مشحونةً باللصوص والدعّار ، أخفي نفسي لإخفاءِ القنفذِ
رأسه ، واكتمُ حِسِّي كتمانَ الغرابِ سفاده .

وفي فصل : وأكبرتُ أنْ أفارقَ بلدَ الأندلس وقد أظهرَ الله فيه^٦
إلحدى آياتِهِ ، الدالّةِ على عظم^٧ معجزاته ، الناطقةِ بصحّةِ براهينه وبيّناته ،
بسيّدنا المأمونِ بنِ ذي النون - أطال الله بقاءَ سلطانيه ، وقوّى دعائمَ ملكه
وأركانَه - الذي أيّده الله بعنايةٍ بسطتْ قدرته ، وأعلّتْ كلمته ، فأضرمْتُ
شهابَ هيبتِه فمألتِ القلوبَ رعباً^٨ ، وأذكت^٩ بوارقَ سطوته فاخترطتِ
النفوسَ شرقاً وغرباً ، ومدّتْ بحارَ سحائبه [١١٢ أ] فاستملك الرقابَ

١ ط س : بمبتغاه .

٢ د ط س : سهره .

٣ ب م : العزم .

٤ د ط : استقل .

٥ من قول المتنبي :

وضاقت خطّة فخلصت منها خلوص الخمر من نسج القدام

٦ ب م : فيها .

٧ د ط س : عظيم .

٨ ب م : رعباً .

٩ ط س : وأدجت .

عُجْنَمًا وعرباً ، لِأَجَلَوْ قَذَى ناظري بيهيَّ طلعتَه ، وأزِينَ أصغريَّ^١ بتحبيرٍ بدائعٍ مدحته ؛ وقد كاتبتُ الحضرةَ العالِيَةَ تلويحاً بما ذكرتهُ ، راغباً في ما اقترحتَه ، من تحسينِ عَرَضِهِ بالموقفِ الأَشْرَفِ زادَه اللهُ شرافةً ، وتجديدِ المأثرةِ^٢ في النِيابةِ عَنِّي به ، وستِرِ عورةٍ إن مَرَّتْ ، وإقالةِ عثرةٍ إن خَطَرَتْ .

فأجابه ابنُ مثنى برقعةٍ أيضاً فيها طول يقول فيها^٣ : وافى كتابك ، فحين لحظتهُ تَلَقَّيْتُهُ بيدِ المقدم ، والتزمته التزامَ المحبِّ المكرم ، وقلتُ عندما استوعبتُ أنواعَهُ وفنونه ، واستوضحتُ محاسنَه وعيونه ، وقيدَ نورَ لحظي عيائهُ ، وجلا صدأَ فؤادي ببيائهُ : هذا السحرُ الحلالُ ، والعذبُ الزلال ، والدرُّ راقٍ في نظامه ، والنورُ تفتّح عن أكامه ، والقطرُ انهلَّ مِن غمامه ، وهكذا تكونُ جزالةُ الأفاضل ، وصفاءُ المواردِ والمناهل ، وصحَّةُ الالتئامِ^٤ والاتفاق ، والاطرادِ والاتساق :

فكائنٌ فيه من معنىٍ خطيرٍ وكائنٌ فيه من لفظٍ بهيٍّ

فنبضتُ^٥ عن منكبي رداءَ الوقار ، واهتززتُ اهتزازَ [المهند بيد] البطلِ المِغْوَار ، ولما استقرتُ ما حواه ، واستوعبتُ ما طواه^٦ ، قلتُ : هذه مكارمُ الأخلاق ، وبدائعُ أنفاسِ العراق ، وأنحاءُ ذوي الأفهام والآلباب ،

١ د ط س : واقيم صغري . ٢ ب : المايابة .

٣ د ط س : برقعة منها .

٤ د ط س : الاقسام .

٥ البيت لابن تيم ، ديوانه : ٣٥٥ .

٦ ط س : فتصوب .

٧ د ط س : وعاء .

وَمَا تَخَذُ أَهْلَ الْفَضْلِ^١ وَالْأَحْسَابِ ، وَقَدْ كَانَ أَدُهُشْنِي مَا اخْتَرَعْتَ ،
وَعَمْرُ^٢ فِكْرِي مَا شَرَعْتَ ، فَنَادَيْتُ نَفْسِي وَقَدْ اسْتَشْرَفْتُ أَوْتَبُهَا ، وَنَازَعْتُهَا
وَقَدْ شَرَقَتْ^٣ أَوْدِيَهَا : حَذَارٍ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَمَأْثُورِ الْكَلَمِ ، يَا نَفْسُ قَفِي عِنْدَ
مَقْدَارِكَ ، وَكُفِّي مِنْ غُلُوتَائِكَ ، وَأَعْلَمِي مُنْتَهَى خَطْوِكَ^٤ ، وَمَدَى شَأْوِكَ ،
فَقَدْ رَمَتْ بَغْدَادُ بِأَفْلَازِ كِبْدِهَا إِلَيْنَا ، وَأَطْلَعَتْ نَسِيجَ وَحْدِهِ عَلَيْنَا ، فَأَتَى لَكَ
بِمَعَارِضِهِ وَقَدْ بَاهَى بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِ الزَّمَنُ ، وَخَرِسَتْ فِي أَوْصَافِهِ وَخِلَالِهِ^٥
الْأَلْسُنُ ، فَلَا تَتَمَرَّسِي هَذَا الْأَلْمَعِي النَّقَّابَ ، دَاهِيَةَ الْغَبْرِ^٦ ، وَعَلَّمْ
الْبَشَرَ ، فَمَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْخَفْضِ ، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَأَيْنَ النُّورُ
مِنَ الظُّلْمَةِ ، وَالْإِفْصَاحُ مِنَ الْعُجْمَةِ ، وَرَقَّةُ الطَّبَعِ مِنْ جَفَائِهِ ، وَكِبْدَرُ^٧
الْجَوِّ مِنْ صَفَائِهِ ، وَكَيْفَ مَجَارَاةُ الْكَوْدَنِ لِلْعَتِيقِ ، وَمَقَارَنَةُ التَّشْبِيهِ بِالتَّحْقِيقِ ؟ !
وَكَيفَ تَجَارِيهِمْ ، وَإِنَّمَا نَحْكِيهِمْ ، وَهَلْ نَحْنُ — أَهْلَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ
عَنْ خِيَارِ الْأُمَمِ ، الْمَجَاوِرَةِ لِحَمَاهِيرِ الْعَجَمِ — إِلَّا أَجْدَرُ الْبَرِيَةِ بِاللَّكْنِ ،
وَأَوْلَاهَا بِعَدَمِ الْفُطْنِ ، وَأَخْلَقَهَا بِالْخَرَسِ ، وَأَحَقَّهَا بِغُلَطِ الْحَسِّ ؟ !
فَلِمَ يَنْقَرِعَ سَمْعُ ابْنٍ مِنْ أَبْنَاءِ خَاصَّتِنَا^٨ عِنْدَ مِيلَادِهِ ، وَلَا خَامَرَ طَبِيعَ الرُّضِيعِ
مِنْهُمْ فِي مَهْدِهِ^٩ ، إِلَّا كَلَامُ أُمَّةٍ وَكُفَاءُ ، أَعْجَمِيَّةٍ خَرَقَاءَ ، وَلَا

١ د ط س : وَمَا تَخَذُ الْفَضَائِلِ .

٢ ط : وَغَمْرُ . ٣ د ط س : لُزِزَتْ .

٤ ط د س : خَطْرُكَ . ٥ د ط : وَحَلَاةُ .

٦ من قول الحرمازي : دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وَصِمَاءُ الْغَبْرِ ؛ رَاجِعِ الْمَعْنَى الْكَبِيرِ : ٦٧١ وَاللَّسَانُ (غَبْر) وَفَصْلُ الْمَقَالِ : ١٤١ ؛ وَالْغَبْرُ : الْمَاءُ الَّذِي قَدْ غَبِرَ زَمَانًا غَيْرَ مُرَوِّدٍ وَلَا يَقْرِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الصَّمَاءِ وَهِيَ الْحَيَّةُ .

٧ د ط س : سَمِعَ طِفْلٌ مِثْلًا .

٨ د ط س : وَلَا خَامَرَ رُضِيعِنَا فِي مَهْدِهِ ..

ارتضعَ إلاَّ ثديها ، ولا اكتسبَ إلاَّ عيَّها ، ولا سكن [١١٢ ب] إلاَّ
 في حِجرها ، ولا مَرَنَ إلاَّ بتدبيرها ، حتى إذا صار في عديدِ الرجال ،
 وانتهى إلى حدودِ الكمال ، باشر طوائفَ النصرانية فخطبهم بألسنتهم ،
 وجدَّ في حفظ لغتهم ، وعانى طباقهم^١ ، وكابد أخلاقهم ، أفليس الذكاءُ مع
 هذا أبعدَ من ذُكاءِ عنه^٢ ؟ وأما العامةُ منا^٣ فقد انقطع فيها المقالُ ، وصحَّتْ
 المخيلةُ والحالُ^٤ ، فلما قرَّعتها^٥ هذا التفريع ، وروعتها هذا الترويع ، عادتْ
 إلى الحمود ، بعد الوقود ، وآلت إلى الفتور والحمول ، وعادت بالنكوسِ^٦
 والنزولِ ، قد انفلَّ حدُّها ، وآل سكوناً تحريكُها وجدُّها ؛ ثم لم
 أستبدَّ أن أجري في ميدانِ الرأي جوادَ نظري ، وأرسلَ في أرضِ الاختبارِ
 رائدَ فكري ، وأرفعَ عن النفسِ غطاءَ التَّركِ ، وأخلصَ الصوابَ عن الإبريزِ
 من السَّبكِ ، ورأيتُ ما في التوقُّفِ عن مطالعتك ، من الإخلالِ بمكارمتك ،
 فرشح جيبني عرقاً ، وانزعج قلبي تحرقاً ، فراجعتُ مخاطبةَ النفسِ ، ممسكاً
 من وحشتها بطرفٍ من الأُنسِ : إن أبا الفضلِ الفاضلِ سيدي — دامت حياته — ،
 قد ناداني^٧ بلسانِ وداده ، وأوماً إليَّ ببنانِ اعتقاده ، وأطار نحوي طائرَ
 الارتياذِ ، فلم يقعْ مني إلاَّ على ثمرةِ الفؤادِ ، وحنَّ إليَّ حنينَ الأكوفِ الأليفِ ،
 وواصلني مواصلةَ الحليمِ الحليفِ ، وأهدى إليَّ نزاعه ، وألقى عليَّ بَعاعَهُ ،

١ د ط س : وعامل طبقاتهم .

٢ ط د س : فالذكاء مع هذا منه . . . الخ .

٣ د ط س : وأما عانتنا بعد .

٤ ب م د ط س : وصحت الحيلة والحال .

٥ ب م : أقرعتها ؛ د ط : فرزعتنا هذا التفريع وروعتنا ؛ س : أفرعتها . . . التفريع .

٦ ب م : بالنكوس .

٧ ب م : قد نادى .

فكيف لي أن أعدلَ عن إليّ أقبلَ ، وأصدفَ عن بي كلف ؟ فعارضتني أشدَّ المعارضة ، وناقضتني أبلغَ^١ المناقضة ، هيهات ! لا يُبلَّغُ الخَضَمُ بالقَضَمِ ، ولا يَنْتَهِي منالُ الكفِّ إلى^٢ مباراة النجم ، فاسلكِ النهجَ القويمَ ، فمنكَ مَنْ أَعْتَبَكَ ، وأخوكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فوجدتني بين حالي اضطرابٍ ، ليس فيهما حظ لمختار^٣ ، فإما أن أعتدَّ المخاطبةَ ، وألتزمَ المكاتبةَ ، على علاقي ، ونهوَ شَبَاقِي ، بطبعِ كليلٍ ، وذهنٍ غيرِ صَقِيلٍ ، وإما أنْ أرفضَ المراجعةَ رفضَ المليم ، فأكونَ عَيْنَ الجاني^٤ الذميم ؛ فأنفذتُ كتابي مبتغياً وَجْهَ موافقتك وإرضائك ، ومتوخياً مضمونَ تغمدك وإغضائك ، وأنتَ إن ألفتَ حَسَنًا تناهيتَ في نَشْرِهِ ، أو عاينتَ قبيحاً طويته على عَرِّهِ ، وبودِّي أنْ معتمدي لا يسلطُ عليه حقيقةَ نقدِهِ ، ولا يصرفُ إليه مُرْهَفَ حَدِّهِ ، وأن يلمحه بأقلِّ ملح ، ويسمحَ فيه بأفضلَ سمح .

وأما ما أرجعُ إليه وينطقُ لساني به من الإشادة بالشكرِ ، الذي أبغيه سمةً في وجه الدهر ، والكنايةِ عن العهدِ الذي هو أثبتُّ من ثبير ، وأطيبُ من الماءِ النмир ، فلو أمكنني أن أوصلَهُ إليك على متونِ الرياحِ لأَوْصَلْتُ ، ولو أُتِيحَ لي أن أمثله لك حتى تراه لَمَثَلْتُ ، وقد استوفيتُ ما جال به بياؤك الذي عَذَّبَ منهله وَمَشْرَبَهُ ، وشفَّ جوهره ورفَّ ذَهَبَهُ ، [١١٣ أ] واصفاً وصفَ المستكمل ، ومَوْضِحاً إيضاحَ المحتفل ، وفهمتُ ما نصصتُهُ

١ ط د س : أشد .

٢ ط د س : مقال إلى .

٣ من قول الأعشى :

فقال ثكل وغدر أنتَ بينهما فاخترَ وما فيهما حظ لمختار

٤ ب م : الجاني ؛ ط د س : الجاني .

فيما سنّت لك عوائد الأيام ، من الانتباز^١ عن الطوائف الثام ، الذين
ألبستهم ملابس الملام^٢ ، وحلّيتهم بحلى المدام^٣ ، حتى لشغلّت بوصفهم
الأفكار ، فأوجبت الاستعاذة والاعتبار ، وأتيت بأغرب الشنع ، في
ما أوردت من تلك اللمع ، وسردت القول الرفيع سرداً ، فكأنما نظمت به
في جيد الدهر^٣ عقداً .

وانك - أعزك الله - لما نمي إليك ما تحملته الركائب ، وأنتت به الحقائق ،
وغمر المسامع ، وعمر المشاهد والمجامع ، وامتألت منه الآفاق ، ووقع
عليه الإصفاق ، من محاسن المأمون ذي المعجدين التي هي كالنجوم اعتلاء ،
والصباح انجلاء ، والروض بهاء ، وأنتك شمت من كرم شيمته برق
النجاح ، وأملت أن تضرب في خدمته بمعلّى القيداح ، أحببت أن ترمي
إليه بعزمتك ، وتقذف نحوه بهمتك ، فتجلو ناظرك ، وترهف خاطرك ،
بمجاورة بحر المن ، وفخر الزمن ، وزعيم الأنام ، وكريم الأحوال
والأعمام ، وبديع الأوصاف ، وموطأ الأكناف ، وأحلم من فرخ الطائر ،
وأمضى من الحسام الباتر ، ومن سجيّته الفضل ، وسيرته العدل ،
وقوله الفصل ، وحبأؤه الجزل ، تلوح على وجهه تباشيره ، وتتملى
الإمامة أساريه ، ملأه الله أطول الأعمار ، كما حاز له أعظم الفخار ،
فأرجو أن قد أصبت ثمرة الغراب^٤ ، وارتدت أزهر الجنب ، واجتمعت

١ تلخصت هذه الفقرة من أولها في د ط س فجاءت: وقد وقفت على ما وصفته من الانتباز. . .
الخ ؛ وصدرت بـ « وفي فصل » .

٢ ب م : الايام . ٣ د : الزمان .

٤ إذا أصاب الرجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب قالوا : وجد ثمرة الغراب
وذلك ان الغراب إنما يبتغي من الثمر أجوده وأنضجه لقرب تناوله عليه في رموس
النخل (ثمار القلوب : ٤٦٣) .

خيار الجنى ، ومهدت في موطن العلا ، فما أغبطني باختيارك ، وأبهجني^١
بدنو مزارك ، فما كان سهمك ليمضي إلا بعيداً ، وليقع إلا سديداً ،
وما كان ميزك ليختل^٢ ، ولا سعيك ليضل^٣ ، فالمرء مستدل عليه
بفعله ، واختياره قطعة من عقله ، وقد ناديت^٤ فأجاب ، واستمطرت^٥ سحاب
بره فصاب ، وتلقاك باليمين ، وأقرتك بالمكان المكين ، واستطال نحوك الزمان ،
بل استكثر الساعات والأحيان ، وانتظرك^٦ غدواً ورواحاً ، وترقبك
مساءً وصباحاً ، وأما الفؤاد فإليك منجذب ، وبودك^٧ مشرب ، ولو
استطعت خففت طرفي فلم أبصر به حتى أراك^٨ ، شرهاً إلى لحافك ،
وتهاكاً على نفيس أخلاقك .

قال ابن بسام : ولأبي المطرف ، غير ما فصل مستطرف ، وقلما
ينعطل من حلتي البديع ، وانحفرت في تحرير هذه النسخة من هذا المجموع ،
وفات [دركي] ، ولم يعلق منه إلا ما كتبت [بشركي] .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي عمر بن القلاس^٩

من عليّة كتاب الثغر الأعلى — كان^{١٠} — ، في ذلك الأوان ، [وهو على

١ د ط س : بما أغبطني . . . وأبهجني .

٢ ب م : وانتظرت .

٣ من قول المتنبي :

فلو أني استطعت خففت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

٤ ذكر ابن القلاس (بالفاء) عرضاً في المغرب ١ : ٣٦٣ والنسخ ١ : ١٨٦ وقال المقرئ :

ويؤد القلاس من أعيان حضرة بطليوس ؛ ولا لبس في قراءة القاف بحسب الكتابة المغربية

والاندلسية ، والقلاس هو صانع القلائس ، ولعل هذا هو الصواب في الاسم .

٥ ب م : وكان من عليّة . . . أيضاً .

الجملة [نائرٌ مجيد ، ومحسنٌ معدود ، في كتابِ بني [١١٣ ب] هود ،
وله ترسيلٌ كثير ، مُعَرَّبٌ عن أدب غزير ، وإنشاءٌ ذهبَ فيه إلى التطويل
اقتضبتُ منه بعضَ الفصول ^١ ، تخفيفاً للتثقيل ، تليقُ بالكتابِ ، وتشرُّهُ إلى
مطالعتها أنفُسُ الكتاب .

جملة من رسائله في أوصاف شتى ^٢

فصل ^٣ له من رقعة عن ابن هود إلى مجاهدٍ أبي الجيش الموفق : نحن
وإن قصرنا بالمخاطبة ، وأغيبنا بالمكاتبه ، محافظون على العهد القديم ،
مترفون بالحق الكريم ، معتقدون للفضل العميم ، شاكرون لله تعالى على
الهِبة ^٣ السنية فيك ، والنعمة بك ، إلا أنه كدَّر نعمتنا وصفو المعيشة
عندنا ، وأقلق دعة النفوس ، وشرَّدَ وَسَنَ العيون ، ما تردُّ به الأنباء من
الوحشة الواقعة بينك وبين المنصور - أيد كما الله - مما لو يستطيعُ الفداء
له بكلِّ علقٍ غَالٍ ، ومعالجة التياثيه بكلِّ نفيسٍ عالٍ ، لما تأخَّرَ عن
ذلك أحدٌ ، ولا قرَّ على غيره خَلَدٌ ، رغبةً في الألفة بينكما ، وحرصاً
على تمام النعمة للمسلمين فيكما ، فأنتما فئة الإسلام ، وعمدة الأنام ،
ومتى اضطربَ لكما حَبْلٌ ، وانصرم منكما وصل ، فَشَمِلَ الكلُّ
شَتِيَتٌ ^٤ ، ووصلُ الجميع مبتوت ، فالله الله في الدين أن يألمَ بكما ، والحرمة
أن تذهبَ بينكما ، فالعيون في الصلاح إنما كان سُمُوها إليكما ، فما ظنكما

١ د ط س : فصول .

٢ لم يرد هذا العنوان في د ط س .

٣ د ط س : المنة .

٤ د ط س : مشتوت .

بالمسلمين وقد أصيبوا في مستقرّ آملهم ، وَجَدَتِ الاستحالةُ حيثُ كان
الرجاء في صلاح أحوالهم ١٠ ؟

[وله] من أخرى [عنه إليه] : مَنْ استضاءَ بسراج رأيك المسدّدِ ،
واستنجحَ بيُمنٍ سَعْدِكَ المؤيّدِ ، واستظهرَ بنافذِ عَزَمِكَ ، وتكثّرَ ببالغِ
حَزَمِكَ ، واعتضدَ بخالصِ إِيثاقِكَ ، وأسندَ إلى صدقِ وفائك ، كان
قَمِيناً^١ أن تنجّابَ عنه ظُلُمُ المُشكِلاتِ ، وتنفرجَ له قُحْمُ العضلاتِ ،
وتستقلَّ به مراكبُ النجّاح ، وتتطلّعَ إليه عواقبُ الصّلاح ، ويدلَّ له الصّعبُ
الجامح ، ويسهلَ عليه الخطبُ الفادح ، فإنك — واللهُ يُبْقِيكَ — الميمونُ
النقيبة ، الكريمُ الضّريبة ، السعيدُ الجددُ ، المحمودُ العهد ، الذي إن اقتلح
زُلْداً أَوْرى ، وإن اعتمدَ حدّاً^٢ فرى ، وإن ودَّ صدقَ وحقّقَ .

وفي فصل : وإني منذ استنجحتُ فيما كنتُ أحوِلُهُ من ذلك الأمر :
ببركة^٣ سفارتك ، واستظهرتُ عليه بسعادةٍ وساطتك ، وضربتُ مستصعبه
بجدِّ مؤازرتك ، واقتدتُ مُمْتَنِعَهُ بقوةٍ مظاهرتك ، لم أزلُ أَشِيمُ تباشيرَ
النجحِ لائحة ، وأتبيّنُ مخايلَ الفلّجِ واضحة ، وأجدُّ شدةَ قيادةٍ تليّنُ ،
وعزّاً لإبابةٍ يهون ، إلى أن تأتّى — بحول الله — الأملُ ، وأنجحَ العملُ ،
وأصحبَ ما كان أبيضاً ، وقَرَّبَ ما كان قصيباً ، وكان للوزير الكاتب أبي
[١١٤ أ] فلان في ذلك المنابُ الحميد ، والسعيُّ الوكيد ، الذي سهّلَ به
الحَزَنَ وقَرَّبَ البعيد ، وكذا يكون [مَنْ] ثَقَفَهُ تَأْدِيبُكَ ، وأقامَ

١ د ط س : قَمِيناً .

٢ ب م : زُلْده . . . حله .

٣ د ط س : استنجحت في الامر ببركة . . . النج .

أودّه تهذيبك ، إذا سفر أصلح ، وإذا سعى أنجح ، وهذه الحال [لك]
أولها وآخرها ، وباطنها وظاهرها ، فبكّ اتضح منهاجها ، وأضاء سراجها ،
وبسعيك انفسحت سُبُلها ، وتأنى مؤمِّلُها ، وارتفعت أعلامُها ، وتبيّأ
تمامها ، وأنت المُسَدِّي لها والمُلْحِمُ ، والعاقِدُ لأسبابها المبرم .

وله من أخرى : إنَّ أحقَّ الأخبار ، بالتحديث عنها والإخبار ،
وأولّاهَا بأن تثيرها ألسنةُ التهادي والشناقلِ ، وتنشرها أيدي التكتابِ
والتراسل ، خبرٌ أعربَ عن نعمةٍ تعمُّ المسلمين ، ومِنّةٍ ينظمُ نفعُها
الدنيا والدين ، وأبانَ عن مسرّةٍ وقعت والآمالُ دون نيلها واقعة ، وبشرى
طلعت والآجالُ عن مثلها دافعة ، وكان له من ذاته^١ شاهدٌ يُصدّقه ،
وبرهانٌ يحقّقه ، ووضوحٌ يحميه عن أن تعترضَ عليه شبهةُ الظنون ،
وجمالٌ يُغنيه عن تكليف التحلية والتزيين ، وتلك صفةٌ ما أقصد محادثتك
بِنِعَمِ^٢ الله علينا فيه ، وأعتمد إهداءهُ اليك مشروحةً جُمِلَتْهُ مَوْفَاةٌ^٣
معانيه .

وفي فصل^٤ : ان أولّى النعم بأن يُتحدّثَ عنها ، حديثٌ اعتمادٍ
لشكرها ، وينبّه عليها تنبيهَ إشادةٍ بِقَدْرِها ، نعمةٌ خَصَّتِ الدينَ ،
وعمّتِ المسلمين ، وأعلتْ للإسلامِ يداً ، وفتّت من الشركِ عَصْدًا ،
وشدّت من الإيمانِ سننًا^٥ ، وأوهّت من الكفارِ رُكنًا^٦ ، فإنها موقعُ العمومِ .

١ د ط س : رأيه .

٢ د ط س : بنعمة .

٣ د ط : وله من أخرى .

٤ ب م : يحدث ؛ ط د س : بها .

٥ د ط س : ميثاقاً .

٦ د ط س : وهدت من الكفر .

واقعة" ، والقريبَ والبعيدَ^١ في نفعها جامعة^٢ .

وله^٣ : انه لما كان من شرطِ مَنْ ابتدأ أن يُتِمَّ ، وسُنَّةِ مَنْ سَدَّ أن يُلَنِّحَ ، وحُكْمِ مَنْ نَهَجَ عملاً أن يُفْضِيَ به إلى غايته ، وسبيل مَنْ أَخَذَ في سعيٍ أن لا يرجعَ دونَ نَهايته ، وَجَبَ على فلان — أبقاه الله — أن يتلوَّم على الحال التي انفردَ بفخري تأسيسها وتشبيدها ، وفاز بحسن^٤ منابه في تقريرها وتمهيدها ، حتى يستوفي^٥ فيها حقائقَ العمل ، ويبري^٦ منها [جميعَ] العلل ، ويسدَّ من جوانبها دقائقَ الخلل ، إذ كان هو الذي شرَّعَ مبادئها ، وبه انتظم متناثرُها ، وبلغفه^٧ سكنَ متناثرُها ، وما زال يسمى أفضلَ سعيٍ ، ويصدقُ بأجملِ رأيٍ ، حتى قرَّرَ الأمورَ على أثبتِ قواعدها ، وشدَّ رباطَ معاقدِها ، فلما صحَّحها تصحيحاً أمينَ الثبائث ، وأبرمها لإبراماً لم يحذرِ انتكائهُ ، وجب عند ذلك أن يتقَعَّ صدرُهُ ، ويحينَ مُنْصَرَفُهُ ، فصدرَ محتقَباً اليك من حقيقةٍ ودِّي ، وطيبَ ثنائي وحمدي ، ما إذا جلاه^٨ في مَعْرِضِهِ راقكَ مُجْتَلَاهُ ، وإذا أجناه على حسبه عَدُوبَ عندكَ جناهُ ، وبه اكتفيتُ عن مدِّ أَطْنابِ [١١٤ ب] القولِ^٩ في الإخبارِ عن هذا وسواه ، فهو بتفصيلِ جُمْلَتِهِ لَدَيْكَ جَدِيرٌ ، وبها خبيرٌ^{١٠} .

١ ب م : والقريب البعيد .

٢ ب م : وفي فصل منها .

٣ د ط س : وكان يحسن .

٤ ب م : تستوي .

٥ ط س : وبلغفه .

٦ ب م : أجلاه .

٧ د ط س : مد الأطناب .

٨ م : حذر وبها خبر ، ب : جدر . . خبر .

الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان رامي من الفتك بأخيه^١

«قال» أبو مروان: وفي رمضان من سنة خمسين وأربعمائة سقط الخبر إلينا بذلك ، وكانا اتفقا على الالتقاء طلباً للسلم والكف عن الفتنة ، فلما خرجا للمكان المتفق عليه ، تكارما في اللقاء وتدانيا دون أحد من أصحابهما ، وكلاهما حاسر أعزل ، على ما تشارطاه ، تمكيناً لطمأنينتهما ، فتنازعا الكلام فيما جاءا إليه ، فلم يسرع يوسف إلا لإطلال فارس عليه من ناحية موقف معسكر أخيه أحمد ، شاكي السلاح ، يبرق سنان رمح ، وإذا بطريق من مستأمنة النصاري الحربيين الخادمين معه قد واطأه أحمد على الفتك بأخيه ، فانقض على يوسف وهو يكلم أخاه ، وأحمد يصيح ، حتى خالط يوسف وطعنه ثلاث طعنات ، وتحت ثوب يوسف درع حصينة كان قد استظهر بلباسها خلال أثوابه أبداً بالحزم ، فردت سنان الرمح عنه ، وصاح يوسف نحو أصحابه : « غدرت » ! ! فابتدروه وتجنوا به وقيداً بجراحه ، وقد ابتدر أحمد رجاله ، واختلط الفريقان اختلاطاً قبيحاً ، كادت تقع بينهم ملحمة ، أطفأها أحمد بالبرؤ من العلج لوقته والبدار إلى قتله ، ورفع رأسه والنداء عليه ، فسكن شغب الفريقين ، وانكفأ

١ هذا الفصل لم يرد في د ط س ؛ قلت : وكان لسليمان بن هود خمسة أبناء قسم عليهم بلاده في حياته فولى أحمد مدينة سرقسطة ويوسف لاردة ومحمداً قلعة أيوب ولها مدينة وشقة والمنذر مدينة تطليقة ؛ فلم يزل أحمد يحتال على أخوته حتى أخرج بعضهم من مواضعهم وسجنهم وكحل بعضهم بالنار ؛ وامتنع منه يوسف حسام الدولة صاحب لاردة ، فكره أهل الثغر أحمد وصيروا أمرهم إلى أخيه يوسف ولم يبق لأحمد إلا سرقسطة ، ثم دارت الأيام وعاد أحمد فيسقط سلطانه على عدة مدن وتضائل شأن يوسف (البيان المغرب ٣ : ٢٢٢ وما بعدها).

كل^١ إلى وطنه ، فعادت حال^٢ ابني هود كالذي كانت من التفرق .

ورد كتاب^٣ يوسف على ابن جهور بقرطبة من إنشاء أبي عمر ، يقول فيه بعد الصدر : وبعد^٤ ، باعدت^٥ تلك^٦ الأسواء^٧ ، فإن حوادث الدهر وصروفه^٨ آيات^٩ للمبصرين ، وفي أحوال^{١٠} ذوي الشرّة والفسوق^{١١} عبرة^{١٢} للمعتبرين ، وإذا تصفحت^{١٣} منها القريب والبعيد ، والمنقضي والجديد ، لم أجد^{١٤} في جميعها حالاً^{١٥} توازي حال^{١٦} الحب^{١٧} الخبيث ، والغدور^{١٨} النكوث^{١٩} ، علّم^{٢٠} دهره^{٢١} فجوراً وخترأ^{٢٢} ، ونسيج^{٢٣} وحده^{٢٤} نفاقاً وغدراً ، القاطع^{٢٥} مني بلؤم^{٢٦} أفعاليه^{٢٧} وشيمه^{٢٨} ، أسباب^{٢٩} قُرباه^{٣٠} ورحمه^{٣١} ، والمتقدم^{٣٢} بذميم^{٣٣} بغّيه^{٣٤} وتعدّيه^{٣٥} ، إلى صميم^{٣٦} أسرته^{٣٧} وأدانيه^{٣٨} ، وهذه صفة^{٣٩} لا يخفى^{٤٠} مكان^{٤١} الموصوف^{٤٢} بها وأنه صاحب^{٤٣} سرقسطة^{٤٤} — قارضه^{٤٥} الله بما هو أهله^{٤٦} ، وأبعد^{٤٧} مثله وأين^{٤٨} لا أين^{٤٩} مثله^{٥٠} ؟ ١- . وقد كانت الأيام أبدت^{٥١} منه أفاعيل^{٥٢} مستشعة^{٥٣} شرق^{٥٤} ذكرها^{٥٥} وغرب^{٥٦} ، كما [١١٥ أ] أبدع^{٥٧} وأغرب^{٥٨} ، وكادت تكون^{٥٩} سمرأ^{٦٠} للسامرين^{٦١} ، وقصصاً^{٦٢} تُتلى^{٦٣} في الغابرين^{٦٤} ، وحاول^{٦٥} أموراً^{٦٦} مُستفظة^{٦٧} مَقْتَه^{٦٨} فيها الرشيد^{٦٩} والغوي^{٧٠} ، وتبرأ^{٧١} منه الداني^{٧٢} والقصي^{٧٣} ، لم تُفدِه^{٧٤} إلا^{٧٥} الخزي^{٧٦} الذي لا يزال ناظراً^{٧٧} من بقائه^{٧٨} ، ولم تَكْسُه^{٧٩} إلا^{٨٠} العار^{٨١} الذي لا يراه^{٨٢} مبايناً^{٨٣} باحتفائه^{٨٤} ، وأبى^{٨٥} على ذلك^{٨٦} إلا^{٨٧} تمادياً^{٨٨} فيها^{٨٩} وإخفاً^{٩٠} ، وأبت^{٩١} الأقدار^{٩٢} عليه إلا^{٩٣} إعراضاً^{٩٤} وإخلاقاً^{٩٥} ، فكلما^{٩٦} مدّ^{٩٧} بالبغي^{٩٨} يداً^{٩٩} ، أو هنّ^{١٠٠} الله بطشها^{١٠١} وأيدّها^{١٠٢} ، وكلما^{١٠٣} نصّب^{١٠٤} للمكر^{١٠٥} حيلة^{١٠٦} هوّن^{١٠٧} الله ختلها^{١٠٨} ٢ وكيّدّها^{١٠٩} ، فضلاً^{١١٠} من الله ونعمة^{١١١} ، وكفاية^{١١٢} لمن توكل^{١١٣} عليه وعصمة^{١١٤} ، وجزاء^{١١٥} للباغي^{١١٦} بمكره^{١١٧} ، وقرضاً^{١١٨} للمتصدّي

١ من هنا تمود د ط س الاشتراك مع ب م ، وصدر الفقرة : « وله من أخرى عنه إلى ابن جهور في خبر أخيه ، قال فيها : وبعد . . . الخ » .

٢ ب م : خلّتها .

بغدره ، والله لا يَهْدِي كَيْدَ الخائنين^١ ، ولا يصلحُ عملَ المفسدين .
 « وكنتُ قد أبرمت معه بعد تلك الهناتِ التي جَرَّتْ ، والشدائدِ التي انقضت
 عقدةَ السلم ، فاعتزمَ صاحبُ برشلونةَ على حربِهِ ، واستنهضني للدخولِ
 في حربِهِ ، ففللتُ بعد جُهدٍ مِنِّي حَدَّ غَرَبِهِ ، واستمرتِ الحال على
 أعدلِ مناهجها ، ولم يتعدَّرْ مِنِّي قَطُّ عليه بُغْيَةٌ ، ولا أبطأتُ مَعُونَةٌ ، ولم يزل
 يُقَسِّمُ لي بآيمانه التي تضحجُ إلى الله من فجوره فيها مشافهةً ومكاثبةً ، بعدما
 أقسمَ من قبل به وأشهدَ أعلامَ المسلمين عليها ، بأنه لا يُضمرُّ لي بقيةَ
 الأيامِ غائلةً ، ولا يُدْخِلُ عليَّ داخلةً ، وطالتُ مصانعتَهُ لي بيزبرجٍ من
 نفاقِهِ وخداعِهِ ، يرفُ على بَهْرَجٍ من أخلاقِهِ وطباعِهِ ، وأنا على ذلك
 عالمٌ بدخائلِهِ وسرائرِهِ ، مستعيدٌ بالله من الانطواءِ على ضمائره ، فلما
 أراد الله أن يَفْضَحَهُ الفضيحةَ العظمى ، وَيُقْنَعَهُ بالخزية الكبرى ،
 تقدمتُ بيننا مقدماتٌ اقتضتُ لنا الاجتماعَ ، فحركني إلى طَرْفِ عمله .
 وقد كنتُ آنستُ منه شراً بنى عليه مَعَ بعضِ علوجِ البشاكنة^٢ في الفتكِ بي ،
 فأوصيتُ إليه ألاَّ يَحْضُرْنَا أحدٌ منهم ، فقلق قلقاً صرَّحَ به ، وأقام متردداً
 بالثغر يزعمُ تلك البَغْيَةَ^٣ ، إلى أن التقينا ، وكنت قد استشعرتُ من سوء الظنِّ
 بِمَنْ هو كصرفِ الدهر لا أمانَ منه ولا اغترارَ به ، فأوصيتُ إلى أصحابي
 باحتضارِ سيوفِهِمْ ، واطِّراحِ ما عَدَّاهَا من سلاحِهِمْ ، ولبستُ أنا [أيضاً]
 تحت ثيابي درعاً حصينةً ، والتقينا ، ثم تجارينا في فنونِ القول ، فإذا

١ ناظر الى الآية : ٥٢ من سورة يوسف .

٢ ط د س : البشاكسة ؛ وهم جماعة البشكنس .

٣ ب م : يُرِيغ . . . البهية .

٤ ط د س : باحتضان .

بفارسين من عبيده قد جمعا رُمَحِيَهُمَا فِيَّ ، وثالثٌ قد سبق إليَّ ، يمسك^١ عنان فرسي ، إلاَّ [أنِّي] ركضته ، فخرج بِعِتْقِهِ ، واستلَّ أصحابي عند ذلك سيوفَهُمْ ، وأدركتَهُمْ حَفائِظُهُمْ ، فحملوا إليَّ وفرَّ أولئك عني ، واكتنفتني أصحابي ، فانصرفتُ وبني طعناتٌ قد واقعتني على الدراع . لم يعظمُ بحمدِ الله كَلَمَها ، وانصرف الغادرُ قد أدحضَ الله سَعْيَهُ ، وأبطلَ بغيه ، يَعْصُ بنانه [١١٥ ب] أسفاً ، ويقرُعُ سنَّه ندماً ، ولا صفة كصفقته الخاسرة ، ولا سُوء كفعلته الفاجرة ، فلما وصل إلى بلده أراد سترَ الحال بزعمه ، وتوهمتها على ما جرى في وهمه ، فأشاعَ أن النصاري الذين كانوا معه أرادوا غدري وَعَدَرَهُ ، وخرقَ في ثيابه^٢ خرقاً زعم أنه أثرُ رمحٍ أشرعٍ إليه ، فكان اعتذارُهُ بهذا العذر^٣ زائداً في ذنبه^٤ ، وإتيانُهُ بهذا البهتِ الظاهرِ مادةً لجرمه ، وهيهات أن يخفى ما شُهر ، أو يجوزَ ما زُور ، وما يومٌ حلِمةَ بسرِّه ، ولا على وجه النهار من سِتْر . فرأيتُ مساهمةَ الأولياءِ والحلفاء بصفة الحال ، وعرضها من المبدأ إلى المال ، فقدمتُ منها نحوك ما اقتضاه تقدّمُ حالك في نفسي وختلدي ، لتعرضَ ما وصفته على حُسْنِ نظرك ، وتعتبره بصدقِ تدبرك ، فتزِنَ مؤثرَ هذه الحال بوزنه ، وتقدرَ محتقِبَ شرها بقدره ، والله قبلُ وبعدُ أعدلُ مَنْ قضى وحكم ، وأحقُّ من أثابَ وانتقم ، وهو تبارك اسمه المستعدّي على من اعتدّى وظلم^٥ .

١ ط د س : في رُمَحِيَهُمَا . . . سبق إلى مسك .

٢ ط د س : ثوبه .

٣ ط د س : فكان عذره ذلك .

٤ ط د : لهمه .

٥ انظر فصل المقال : ١٢٧ ، ٤٨٦ والميداني ٢ : ١٥٠ والمسكري ٢ : ١٩٤ .

٦ في د ط س هنا زيادة تتصل ببعض ما قاله ابن حيان حول الخلاف بين الاخوين ، وقد جاء فيها : « ووصف ابن حيان أيضاً ذلك ، وزاد في الحديث هناك انه اختلط

الفريقان . . . كالتى كانت من قبل » . وقد تقدم هذا فلم أثبتة هنا .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم^١

آيةُ الزمن ، ونهايةُ الفطنةِ واللِّسَن ، نفثَ بالسحر ، واغترفَ من البحر ، ونظم الدرر بلائاً من الدرّ . ولم أظفرُ عند وضعي هذا الديوان ، بشيءٍ مما له من الاحسان ، إلّا بفصولٍ من رسائل ، سمّاها « طيّ المراحل » سبق في ميدانها عفواً ، وتصرّفَ بين حسننها وإحسانها تصرفاً حلواً ، وقد اقتضبتُ من فصولها ما يشهدُ بتفضيلها ، وحذفتُ سائرَها لطولها ، دللتُ بها على فضل مُنشيها ، دلالةَ الشمس على ما يليها .

فصول له من تلك الرسائل خاطب بها أغلب

صاحب ميورقة^٢

فصل منها : إن أغبيتُ على بُعْدِ الديار مكاتبتك ، وأقلتُ مع شحطِ المزار مخاطبتك ، فإني أنخاطبك^٣ بلسانٍ وداد ، وأناجيك فؤاداً

١ دائي ترجم له ابن سعيد ، انظر المغرب ٢ : ٤٠٥ والمسالك ٨ : ٣٤٢ ، والفصول التي اختارها ابن بسام من رسائله تدل على انه كان رسولا الى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة بن مجاهد حين نازعه المقتدر احد الحصون .

٢ د ط س : ابن اغلب صاحب (ط : حاجب) ميورقة ؛ ويذكر ابن خلدون ان مجاهداً وابنه علياً جعلاً اغلب على ميورقة ، وكان اغلب مول مجاهد ، وكان صاحب غزو وجهاد في البحر ، ثم تخلى عن ولايته ايام علي إقبال الدولة فولي الجزيرة سليمان بن مشكيان ثم بشر ابن سليمان الملقب ناصر الدولة (ابن خلدون ٤ : ١٦٤ - ١٦٥) ؛ وقد نقل ابن سعيد بعض هذه الرسالة في المغرب .

٣ ط د س : أكاتبك .

لفؤاد، وإنما يتخاطبُ أهل بُعْدِ المكانِ ، ويتكاتبُ ذُووا النَّأي عن العيان ، وأنت في الضمير جائل ، فما تزيد الرسائل ؟ وبين الجفون مائل ، فما تفيدُ الوسائل ؟ لكنَّ العينَ لا تبرأ من الآرق ، حتى تطبقَ مستقرها على الحدق ، والنفسُ لا تهدأ من القلق ، حتى تجمعَ شطريها إلى أفق ، فلهذا يجبُ على الصديق تأكيدُ العهد ، ولو باهداءِ السلام ، إذا لم يستطعْ على الإمام ، وتجديدُ الودِّ بالكتاب ، إذا لم يُطيقِ المفاوضةَ على الخطاب ، لكن قد يأتي من عوائقِ الزمان ، وعوارضِ الحدَثان ، ما يحولُ [١١٦ أ] بين المرءِ وقلبه ، حتى يسهوَ في مثوله للصلاةِ بين يدي ربه ، فلا يدري اثنتين صلتى الضحى أم ثمانى ٢ ، وأياماً شهد التشريقَ أم ليالي .

وفي فصل ٣ : ولتِ زماناً ؛ فرغَ للقائك ، وأواناً بلغَ إلى تلقائك ، حتى أبرّدَ نفسي بمحاضرتك ، وأجدّدَ أنسي بمذاكرتك ، ولكني بين حلٍّ وترحال ، ورجوعٍ وإقبال ، لا يعلنان إلى أمنيةٍ سيّلاً ، ولا يوجدان إلى مأربةٍ وصولاً ؛ ولعلَّكَ - أيها الفاضلُ - ممن يظن هذه الأسفارَ فرجةً ، ويخالُ لها بهجةً ، وكيف والسفرُ قطعةٌ من العذاب ، والمسافرُ ومتاعهٌ على فلتٍ ° الذهاب ، وإن اتفقتَ مع ذلك فثيرةٌ تستدمن ، وبُدرةٌ تستحسن ، فإنما هي كراحٍ المحتضر ، ودرةٌ المستبحر ، ولا بدَّ مع الخواطي من سهمٍ صائبٍ ٦ ، وعند جفوفٍ جانبٍ من خُضرةٍ جانب ، ولي منذ أجولُ

١ ط د س : دون .

٢ من قول المجنون :

أصلي فما ادري إذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
٣ وفي فصل : لم ترد في ط د س .

٤ ب م : زمانى .
٥ ط د س : قلة .

٦ من المثل : مع الخواطي سهم صائب ، فصل المقال : ٤٣ والميداني ٢ : ١٥٥ والعسكري ٢ : ٢٢١ .

البلاد^١ ، وأجوب الصخر بالواد ، ما يزيد على عشرين حجاج نصفها^٢ ،
وعلى سبعة أعوام ضعفها^٣ ، لم ألق إلا يوماً يجعل الولدان شيباً^٤ ، والجبال
كثيباً مهيباً^٥ ، وإن شئت أن أقصص عليك من نبأ قصصاً ، وأضرب
لك من بعض أسفاري مثلاً ، ففرغ لي ذهنك ، وأصغر^٦ إليّ أذنك ،
حتى تسمع من أحوال صديقك ما يلفح ويلج ، ويغم ثم يبهج ، فقد
أودعت كتابي هذا نبذاً مما لقيته في سفري ، <و> كان من خبري :
لما صفا الحصن الفلاني إلى من أیده الله أجلب عليه المقتدر بخيله
ورجله ، وأحدق حوله بضبطه ومنعه ، حتى صار كالسما ملئت
حرساً شديداً وشهباً ﴿فمن يستمع الآن يجيد له شهاباً رصداً﴾
(الجن : ٩) فدعا إقبال الدولة لإخوانه لإنجاده ، ونادى حلفاءه لإمداده ،
فاستغنشوا بأردانهم ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم^٧ ، وعوضوا من
عونه في إصلاح ذات البين ، والحصن في أثناء ذلك قد اشتد وثاقه ،
وضاق خناقه ، حتى أيقن أهله بالهلكة ، وكادوا يلقون
بأيديهم إلى التهلكة ، فلما رأى انه ربما أودى العليل قبل أن يؤتى الشفاء ،
ويهلك المريض قبل أن يركب الدواء ، وعلم أن الليث لا يقتبس
إلا زنده ، ولا يفترس إلا وحده^٨ ، وفي كفه أنصاره^٩ ، وفي شدقه
شفرته وناره ، أقام للزحف أعلامه^{١٠} ، وجعل الخزم أمامه ، فنصير
بالرعب ، وفرّ عدوه قبل الحرب .

١ نصفها : سقطت من ط د س .

٢ ط د : أو ضعفها .

٣ انظر الآية : ١٧ من سورة المزمل .

٤ ط د س : واصح .

٥ ب م : يلج .

٦ انظر الآية : ١٩ من سورة البقرة .

وفي فصل منها : وَحَسِبْنَا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْئِمَةِ ، فتواصينا بالصَّبْرِ والرحمة ^١ ، وتذكّرنا قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٩٠ ، ٩١) فأخذنا يَمَنَةَ الطريق ، وتيمّمنا أَوْرِيوَلَةَ على الفَجِّ العميق ، فإذا بصماء ^٢ منه قد انكدرت فأمطرت عاينا حجارةً من سجيل ، كادت تجعلنا [١١٦ ب] كعصف مأكول ^٣ ، فقومٌ شُدِّخَتْ رؤوسهم ، وقومٌ ضُمَّتْ عليهم رُمُوسُهُمْ ، كأنهم كانوا بقيةً من أصحابِ الفيل ، أو نفايةً من قوم لوط .

فجئنا فلانةً ، وقد سُدَّ بابها ، ونام بَوَّابُهَا ، والسيِّلُ قد طمى ، يحملُ غثاءً أحوى ، فلم تشكَّ القلوبُ ؛ أَنَّ نفوسنا ذائقةُ الموت ، حتى إذا بلغت النفوس التراق ، والتفت الساقُ بالساق ، وقيل من راقٍ ، وأشعيرَ صاحبُ الحصنِ بمكاني ، وقُصَّ عليه شاني ، فأمر بفتح بابِ المدينة ، وآواني إلى دارِ حصينة ، وتقدّمَ بالضرام فأججَ ، وبالطعام فروّجَ ، وبالدمام فشبَّ وأسرج ، وقلنا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (فاطر : ٣٤) وكفانا المحن .

وفي فصل منها : ثُمَّ نَفَذْتُ لِيَطِيبَنِي ، وَقَرَرْتُ بِالْعَمَلِ نِيَّتِي ^٦ ، فِي هَوَاءٍ سَجَسَجَ ، وَأَفْقٍ مَتَبَلَّجَ ، حَتَّى جِئْتُ الْمَرِيَّةَ ^٧ ، وَكَانَ عَهْدِي بِهَا

١ انظر الآية : ١٧ من سورة البلد .

٢ ب م : بصمار .

٣ انظر الآية ٤ ، ٥ من سورة الفيل .

٤ ط د س : فلم نشك في .

٥ انظر الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ من سورة القيامة .

٦ د ط س : العمل بنيتي .

٧ ب م : المدينة .

عهد طيف الكرى ، بما بين العقيق إلى الحمى ^١ ، إن سرى أصبح دونه
بمراحل ، أو هنا قطع ^٢ المدى المتطاوّل ^٣ ، فكأنني كنت ماءً ، وافق
نفوساً ظمأً ، فكلّ فرج لي عن قلبه ، وعانقني بكبده وخيليه ؛ ولما
لقيت المعتصم بالله — فتح الله له في البلاد ، كما شرح بودّه قلوب العباد —
قال : مرحباً بالوليّ الحميم ، والصديق الحديث القديم ، أعتت لك عندنا
أسباباً أوجبّت إقبالاً ، أو نحتت بك نحونا ركاباً طلبت فصلاً ؟ حلّ
عن ذاتك ؛ وأريح يعمّلاتك ، فقلت : أيّد الله مولاي . ما أجدني
حبّ الراحة ، ولا طلب الإراحة ، وإنما أنا في حكم شرع ،
وأداء فرض ، فهو كالحيّ لا يحلّ فيه الضيد لا بالنص ولا بالقياس ،
والصلاة لا يصلح فيها شيء من أعمال الناس ، وأنا أتمثل في ذلك قول الله :
﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (المائدة : ٢) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الجمعة : ١٠) ولا بدّ أن آخذ فيما فيه شخّصت ،
وله قصّدت ، وإنما هي كلمات مكدودة ، وألفاظ معدودة ، لا تورث
الناطق كلالاً ، ولا السامع ملالاً .

وفي فصل منها : حتى وصلنا إلى دار منفرجة الأقطار ، مستوفزة
الأنوار ، [متدفقة الأنهار] ، هواؤها جلاء للغم ، وزيادة في العمر ،
وضيائها شفاء للكظم ، وانشراح للصدر ؛ وكأن مياهها تنبعث من بنان

١ د ط س : الكدا . ٢ ب م : قطعه .

٣ من قول المعري (شروح السقط ، ٧٣٤) من رواية البطلاني :

وسألت كم بين العقيق إلى الحمى فجزعت من بعد المدى المتطاوّل

وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحل

٤ ط د س : ولجت بك .

٥ ط س د : خل .

٦ د ط س : منفردة .

سيدها ، فصارت عيناً سلسيلاً ، وكان مزاجها^١ زنجيلاً ، أو كأنما مَسَّتْ
 عيناً حيواناً ، فأُنبتت من الزبرجد ريحاناً ، ومن الزمرد شجراً فيناناً ، وجعلت
 من النارنج عقياناً ، ومن زهر الآس لؤلؤاً ومرجاناً . وميلَ بنا إلى « التاج »
 وهو مَصْنَعٌ على مفرقِ القصر ، من جانب البحر ، مُرَدٌّ من قوارير ،
 وألبسَ الصبحَ المستنير ، وَقَلَدَ قِلَادَةَ الطاووس ، وَنَقَطَ نَقْطَ العروس ،
 فممن يقولُ هو قُبَّةُ^٢ الفلك ، وممن يقولُ هو السماءُ ذات الحُبُكِ ،
 وانهم ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ ، يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفِيكَ﴾ (الذاريات : ٨ ، ٩)
 [١١٧ أ] ونظرنا في صدره من الملكِ الهمام ، كالشمسِ تجلَّتْ من الغمام ،
 فقضينا فَرَضَ السلام ، وأخذنا مراتبَ القعودِ إلى الطعام ، يُطَافُ علينا
 بصحافٍ من فضةٍ وذهب ، وجفانٍ كالجوابِ أُتْرِعَتْ من كلِّ أَرَبٍ ،
 فلما أتينا على الريِّ قمنا إلى الوضوء ، فجاء بِطِيسَاسٍ من التبر ، وأباريقَ
 رُصِّعَتْ بالدرِّ ، ووضئنا بماءٍ قوامه بلور ، ومزاجه كافور ، ثم قمنا إلى
 المصنع « الزاهر » ، وهو نظيرُ « التاج » من الجانب الآخر ، لما أُعِدَّ فيه
 للشراب ، ما بهر الألباب ، فألفينا مورداً عذباً ، ومحلاً رحباً ، كأنَّ
 أطباقه مُقَلَّ الجفونِ ، مُلِثَتْ من قُرَّةِ العيون ، وأكواسه مُراشِفُ
 الخور ، تُعَلُّ بِسُطُفِ الثغورِ ، طَلَعَتْ منها شجرةٌ مباركةٌ النوى
 ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم : ٢٤) صِيغَ عُوْدُهَا
 من الحلي المنيل^٣ ، وقام عمودُها كأنهوبِ السَّقِيِّ المدلل^٤ ، والتفت بأغصانها

١ ب م : أو كان أمرها .

٢ د ط س : هيئة .

٣ ب م : الحيل المنيل ؛ والمنيل من اللاتينية nigellum أي المرصع أو المزخرف (انظر ملحق دوزي) ؛ أما « الحيل » حسب قراءة ب م فيمكن ربطها بلفظة « محيل » التي أوردها القلمي (الكالا) في معجمه بمعنى مصنوع أو صناعي (انظر ملحق دوزي ١ : ٣٤٢) .

٤ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١٧)

التفاف الذوائب الجعدة ، والتفت أفنانها التقاء الصَّعْدَةِ بالصَّعْدَةِ ،
 فبينما نحنُ نعجبُ من شأنها ، ونستغربُ مناظرَ زهرها وأفنانها ، إذ سطع من
 جرثومتها دخانُ المجر ، وارتفع من خلالِ لبسها^١ غبارُ العرفِ المعطر ،
 من دونِ أن يبلِّغوا إلى العيانِ نارها ، وَيُعْلَمَ أين يوقدُ هندیها وغارها ،
 فقلنا : تبارك الله كيف تحرقُ نارٌ تخالها هامة ، وتورقُ^٢ أشجار تحسبها
 جامدة ، إن الذي أنطقَ الجذعَ والخصى^٣ ، وخلقَ الحيةَ من العصا ، والنارَ
 بعد أن كانت ضراماً ، وقال : كوني على إبراهيمَ برداً وسلاماً^٤ ، لقادرٌ على
 أن يورقَ الصلاد ، كما أنطقَ الجماد ، وعلى أن^٥ يعملَ النارَ في الخمود ،
 كما أبطلها عند الوقود . وقام بالجريالِ ساقٍ جعلَ المنديل ، مكانَ حمائلِ
 السيف الطويل ، وأدارَ نجوماً بروجها أيدينا ، وشموساً تطلعُ منه وتغربُ
 فينا ، ولما [كنت] لا أشرب إلا^٥ مشبته^٥ الشراب ، كالزُر والدُّشاب^٦ ،
 قدَّمَ إليَّ قَعْبٌ من نبيذِ الأَزاذ ، ومصريّ الداذ^٧ ، فرفعَ نديمي شهاباً ،
 وأبرزتُ أنا غراباً :

[لو تراني وفي يدي قدحُ الدوشاب أبصرتَ بازيار غراب]^٨

- = وكشح لطيف كالجديد مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل
 والأنبوب هنا ساق البردي ، والسقي : البردي الناعم ، والمذلل : الذي جمعت أطرافه ليبنى .
- ١ د ط : ملبسها .
 ٢ ب م : وتورق .
 ٣ د ط س : انطق الخصى .
 ٤ الأنبياء : ٦٩ قلنا يا ناز كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .
 ٥ المشبته : الذي لم يصح تحريره بوجه قاطع ، ولكن يمكن فيه التأول .
 ٦ المزور : نبيذ الذرة ؛ الدوشاب : نبيذ التمر أو الدبس ، وقال السمعاني أنه الدبس بالغربية ؛
 (انظر شفاء الغليل : ٨٧) .
 ٧ الأَزاذ : نوع من التمر ، والداذ لعله الداذي أو الداذي وهو نبت يعمل منه شراب مسكر .
 ٨ البيت لابن الرومي ، ديوانه ١ : ٥٧٦ (١ : ٣٤٠ تحقيق نصار) ، وفي ط د س :
 بازياء وغرابا .

وفي فصل : وأوحى إلى المزمارة أن ينطقَ ، وإلى الأوتار أن تخفِقَ ،
 وإلى الغناء أن يذيبَ القلوب ، ويشقَّ الحيوب ، ويحثَّ الشمولَ ، ويكفي
 الساقى أن يقول ، وقد أُسْمِيتُ على بهو السماع وقبة الغناء قطعةً من
 الخسروان^١ اللازوردية < الحرير >^٢ ، قد أُلْهِبَ بالذهب نحورها
 وحواشيها ، وقُرئت^٣ بالعسجد أسافلها وأعاليها ، وكُحلتْ بأسلاك
 الجواهر خطوطها ورُسُومُها ، ووُصِلَتْ بالياقوت الأحمر دوائرُها
 ورقومُها ، فجاءت كطرفة الصباح نُقِطَتْ [بالنجوم] ، وَلَبَّتِ الفجر
 رُصَعَتْ بغيرِ كواكبِ الرجوم ، فاندفعت منها بلابلُ المداري تغرد ،
 وحمائمُ الأوتار تصوبُ وتصعد ، وأطيأُ المعازف تتجاوبُ ، وأصنافُ
 [١١٧ ب] الملاهي تتناوبُ ، وأقبلتْ نجومُ الطاس تنكدرُ في الصدور ،
 وقلوبُ الناس تنثثر في الحجور ، وما بقي عقلٌ لم يقع في شرك ، ولا جيبٌ
 كان في شقّه من درّك .

وفي فصل : ثم خَرَجْتُ بعدُ إلى المظفر [الرئيس] أبي منّاد ، فكانَ
 أيامَ طريقي إليه ، كانت كفارةً لما أضرتُ في المريّة عليه ، وتمحيصاً
 لذنب شرب^٥ المزر ، وتضييع حقّ الخمر^٦ ، ولم أرَ في التناقض عليّ عاراً ،

١ الخسروان : كذا هنا ، والمعروف الخسرواني وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة (المعرب
 ١٣٥) .

٢ د ط س : قطعة من الخسروان لازوردية الحرير ، أما لفظة الحرير فيبدو أنها مقحمة
 لشرح لفظة « خسرواني » ، والأصوب حذفها .

٣ ط د : وقرن ؛ ب م : وقب .

٤ ب م : وحمام .

٥ ط د : شربي .

٦ س : وتضييعي ؛ ب م : الخمس .

ولا قنعتُ بأبهام السرّ حتى يكون^١ جهازاً ، فعوّضني من وقودِ الراح ببردِ
الرياح . ومن ديبِ العقّارِ بسكوبِ الأمطار ، ومن هديرِ الكيزان^٢ بنعيبِ
الغربان ، ومن أنسِ الخيماتِ بوحشِ الفلاة ، حتى أتيتُ حضرةَ الرئيسِ
الأجلّ فألفيتهُ غائباً ، فكتبتُ إلى الوزيرِ أبي عثمان رقعةً أقول فيها :
إذا كانت بأساءِ إثرِ نعماء ، ومستُ ضراءَ بعدِ سراء ، وافقتُ كاهلاً^٣
لدناً فأثقلتُهُ^٤ ، وخاطرأً رطباً فأوْحَلْتُهُ^٥ ، وإني فصلتُ عن تلكِ الحضرةِ
بعد أيامِ كأيامِ الشباب ، وليالٍ كذوائبِ الكعاب ، سكنا منها في السوادِ من
القلوبِ ، وسلطنا بين المخائقِ^٦ والجيوبِ ، أنقلُ من يدٍ إلى يدٍ ، وأحملُ
بين جفنٍ وخلدٍ ، إن ظمئتُ سقيتُ بردَ السرورِ على الأكباد ، أو
طربتُ أطعمتُ حلاوةَ الودادِ في الانخلاد ؛ ولله يومُ « التاج » و « الزاهر » ،
عند الملكِ الماجدِ الباهر ، فيأله من أنسٍ وطيب ، بين الخورنقِ والكثيب ،
في مجلسٍ كأنما أُلْقَتْ قواريره من خدودٍ وثغور ، وثمارُهُ من نهودٍ
ونخور ، صعدنا فيه إلى العلياء ، وصرنا كأننا من أهلِ^٧ السماء ، نشربُ
النجومَ بالأقداح ، ونحيي الجسومَ بالأرواح ، فبتنا فاكهين فرحين ،
نزمرُ بالكؤوس ، ونرقصُ بالربوس ، ونثاقفُ الإخوان ، ونواقفُ الندمان ،
مواقفةَ الكرام ، بشربِ المدام ، لا بحدِّ الحسام^٨ ، نسقي ودَّ الصديق للصديق ،
ونطابُ الصَّبوحِ بثارِ الغبوقِ ، حتى أخجلنا الشمسَ بضياءِ الزاح ، وقمنا نقد^٩

١ ط د س : كان .

٢ ط د : مديد الكيدان ؛ ب م : غرير الكران .

٣ ب : فأنقلبت .

٤ ط د : الترائب .

٥ ب م : كما .

٦ ب : اعل .

٧ ب م : نشرب . . . لا تجرب بالحسام .

٨ ط د س : نقد .

السراج من ضوء الصباح، وقلنا^١ : دينُ المسيح ، يعبدُهُ كلُّ مليح ، فطفنا حول
الذنان ، بمصاييح الرهبان ، وما زلنا نسمعُ باقتراح ، ونشربُ على ارتياح ،
ونصلُّ اغتباقاً باصطباح ، حتى شُبَّتْ مصاييحنا لقُفَّال^٢ ، وحنَّ-
أوانُ ظعنٍ وارتحال ، فخرجتُ كالمقلةٍ استُلَّتْ من الأَشْفَسار ،
والنفسِ انتزَعَتْ من فلوذِ أعشار ، ثم ارتحلتُ^٣ من الغدِ عن مقامِ كريم ،
إلى عذابِ أليم ، لا أملكُ فيه أدمعي ، ولا أجِدُ نفسي معي ، وسرنا بين
جبالٍ وحشة ، ومياهٍ دهشة ، فصَّارَدَتْنا^٤ من ربحِ عاد ، ذاتُ صرٍّ وأبراد ،
أضمرتُ نارَ البرحاء ، وكظمتُ أنفاسَ الصُّعْداء ، ومن أخذَ بكظمه
كيف يرجو الحياة ، ومن أطبقَ بغمه أين يجدُ النجاة ؟ ! وما شكَّ غمامُ
الثلجِ^٥ المنشور ، أي من أصحاب [١١٨ أ] القبور ، فجعل يُهْدي إليَّ
حنوطاً وذَرُوراً ، ويندفُ عليَّ قُطْناً وينثرُ كافوراً ، فلما تمتِ
الأكفانُ ، وصحَّ الاندفاع ، طلعتُ إليَّ غرَّةُ الحاجبِ سيف الدولة أبي
الفتوح ، فقمْتُ وقد انجلتُ عني المحن ، وانتفضتُ فطارَ القبرُ والكفن^٦ ،
ومدَّ إليَّ يدَ الرضوان ، وغمسنِي في نهر الحيوان ، فجعلتُ أطرفُ كما
يطرفُ الفجر في سُدُفَةِ الليل ، وأنبتُ كما تنبتُ الحبة في حَمِيلِ السيل ،

١ ط د : وقلت .

٢ يشير الى قول امرئ القيس : (ديوانه : ٣١) :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال

٣ ط د س : رحلت .

٤ ط د س : فصَّارَدَتْنا .

٥ ط د س : المنجاة .

٦ ط د س : الفلوج .

٧ يستعير بعض قول المتنبي :

كم قد دفنت وكم قدمت عندهم ثم انتفضت فزال القبر والكفن

ورأيتُ ملكاً تقرأ النفاسة بين عينيه ، وتبصر الرياسة طَوْعَ يديه ، حُلِّيَ
السيفُ باسمه فرقتُ مضاربه ، وَتَوَجَّ المُلْكُ متفَرِّقَهُ فَعَزَّتْ جوانبه ،
جوادٌ يندى في كفه الجهاد ، وتقذح بنبله الزناد ، وَيُقْتَبَسُ من وجهه
الكوكبُ الوقاد ، وعلى أعراقِها تجري الجياد ؛ كيف يُعْجَبُ للسيفِ
أن يَقطَعَ ، ومن حديد الهند طُبع ، وللبدر أن يُشرقَ ، ومن نور
الشمسِ استرق ، وللبحر أن يَزْخَرَ ، وعن الريحِ المرسلَةِ أخْبَرَ .

وفي فصل : فلما كمل المرادُ ، ووقفتُ حيثُ وقف الاجتهادُ ، كتبتُ
إلى ذي الوزارتين الكاتب أبي محمد بن عبد البرّ أستريحُ إليه بأنبائي ، وأصف
ارتجاجَ الجوِّ من بُرحائي ، رقعةً أقولُ فيها : سيدي وسندي ، وَسُهُمةُ
يدي ، ونعمةُ أبدي ، ومن أبواه الله معافى من النوب ، موقى من وعثاء
السفر وسوءِ المُنْقَلَب ، كم لله من مَنَنِ جزيلة ، وأيادٍ جميلة ، وعوارفٍ
وكيدة ، وعواطفٍ حميدة ، وإن أوَلَى نعمةٍ بالشكر ، وأحجى قسمةٍ بالذكر ،
نعمةٌ صَرَفَتْ بأساءَ ، ومسرّةٌ دَفَعَتْ غمّاءَ ، وإني كتبتُ بعد حالٍ متى
حوسبتُ بها فهي الموتةُ الأولى ، أو جوزيتُ عليها فلي النجاةُ الطُولَى ،
لأن الله أكرمُ من أن يميتَ أكثرَ من ميتتين ، أو يعذبَ أحداً عذابِي^١
مرتين ، مع ما مُنيتُ به من تطاولِ الأسفار ، ومقاساةِ الضّرار ، ولو^٢
أن هذا يكون مع صدقٍ وأملٍ ، ونجحٍ وعملٍ ، لبرّد غليلاً ، وكان تعليلاً ،
فكيف وما هو إلّا رجاءُ سراب ، ووجدانُ حساب .

وإني فَصَلْتُ من ألش^٣ والشمسُ مجلوةُ الناظر ، والجوُّ كمقلةُ الساهر ، فما

١ ط د س : عذاباً .

٢ ط د س : ولولا .

٣ ب م : الشيء ؛ ط د س : عن فلانة ؛ وألش : (يتسكين اللام) بينهما بين أوريولة
خمسة عشر ميلاً ، ومنها إلى لقنت مثل ذلك (الروض المعطار : ٣١) .

كان إلّا كـ « ما » حتى التقت عليه أخفانُ الغمام ، ثم هَلَّتْ إليه هلّ الدموعِ
السّجّام ، وصرنا بين صعيد زَلَقٍ ، وسماءٍ طَبَقٍ ، يَنْشُرُ قطره نبالاً ،
ويمطرُ وبله ونبالاً ، وما زال الرعدُ يقصفُ ، والمزنُ يَكِفُ ، حتى خلتُ
البحرَ صار سقفاً ، والسماءَ قد أسقَطَتْ عليَّ^١ كِسفاً ، واستنجز القضاء ،
والتقى الماءُ والماء ، فكلّما أوينا إلى جدارٍ كاد ينقضُ ، أو بلحناً إلى قرارٍ
خُسِفَتْ به الأرض ، وقلنا : سنأوي إلى جبلٍ يعصمنا من الماء^٢ ، وبقينا معرّةً
هذه البأساء ، فما كان إلّا أن لُدْنَا بجانبِ الطور الغربيّ ، وأسندنا إلى
هَضْبَةٍ [١١٨ ب] الفُسْطاطِ الشرقيّ^٣ ، وهناك [من] يشرح لك سرّه ،
ويوضحُ عندك أمره ، فكأنَّ الله قد تجلّى للجبل فجعله دكا^٤ ، أو كاد موسى
ينتقه علينا نتقاً ، فأنحدره هضاباً ، وتقطعُ آراباً ، وأهوى إلى الوهدة التي كنّا
في طباقها ، والعقدة^٥ التي حصَلنا بين أطباقها ، فلم نشكّ في أننا من
أهلِ القبور ، قد صُبَّتْ علينا أرازبٌ منكر ونكير ، ولولا أنَّ اللهَ لقننا
الحجة ، وأوضح لنا المحجّة ، وأعاننا على الحصين ، وعلمنا التخلّصَ
من النكيرين ، لضُغِطْنَا ضَغْطَةً^٦ القبرِ ، ونالتنا مَعَرَّةُ الفقر^٧ ؛ ثم
إننا أخذنا في الهرب ، وأخذت السيولُ والأمطارُ في الطلب ، فتارةً نقعُ من

١ ط د س : علينا .

٢ ناظر الى الآية « قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء » (هود : ٤٣) .

٣ س : هدبة ؛ ط د س : السري .

٤ انظر الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف .

٥ ب م : فأنخر .

٦ ب م : والعودة .

٧ ب م : لصعقتنا صعقة ؛ ط د س : لضغطنا القبر

٨ ط د س : ونالتنا الفقر .

الوعر في شرك^١ ، وأخرى نهفو من الوحل^١ في درك^١ ، حتى وصلنا أوريولة^١ ،
ولا نراها من تراكم الظلم ، واختلاط العشايا بالعم^١ ، إلى أن ضربت^١
في أسوارها جباهنا ، فامتألت من غبارها أفواهنا ، والدجى يكفنا بظلماته ،
والثرى يدفننا في طينه ومائه .

وفي فصل : ومَرَّتْ لَنَا الْآيَامُ لَا نَسْتَطِيعُ بَرَّاحًا ، وَلَا نَلْدُ
غُدُوًّا وَلَا رَوَاحًا ، فلما انقضت ليال خمس ، التفتنا الشمسُ التفتات^١
البكر^١ ، من خلال السَّتر ، وصَمَتَ الْمَاءُ من خربره ، والهواءُ من صريره ،
فقلنا : قد يكونُ الرضى صُمَاتًا ، والإذنُ التفتات^١ ، وأخذنا في التفويض ،
وأُسْرَعْنَا بالنهوض ، وما زلنا في مسلكنا نموت ونحيا ، ونتقلب بين الآخرة
والأولى ، حتى اصطليتنا بنار الجباح^١ سيف الدولة أبي الفتوح ، فقابل بوجه^١
طلق وخلق^١ سمح ، فلما صرنا في ذراه ، وكففتنا نعماء ، أنشدنا :
فقل^١ للسماءِ ارعدي وابرقِ فانَّا رجعنا إلى المنزلِ

وفي فصل : ثم لما حان إيابي ، وَزُمْتُ رَكَابِي ، إذا بكتاب المعتم
بالله إلى المظفر يذكر وفاة خاله المنصور بن أبي عامر ، فلزمني الكتاب^١ إليه ،
فكثبت ورجلي في غرر^١ الوائب ، وهنأ قبل سقط^٢ الراكب ، فإن كانت
سقط^٢ في كلامي ، أو عثرة^٢ من أقلامي ، فإنما أوجب^٢تها حَقِّ حَقَّة^٢
السير^٢ ومسابقة^٢ السيل^٣ ؛ وكان كتابي :

يا مولاي وسيدي المنعم ، ومن لا زالت وجوه الكوارث عنه مصدودة^٢ ،
وأيدي الحوادث دونه مسدودة ، بقاء المرء — أيتك الله — لفناء أسلافه^٢ ،

١ ط د س : الذعر .

٢ ط د س : وما سقط .

٣ ط د س : الخيل .

ونماء أخلافيه ، كرامة للأدب ، وسعادة للعقب ، فما للإنسان يكونُ
 هلوياً ، إذا مسّه الخيرُ منوعاً ، وإذا مسّه الشرُّ جزوعاً^١ وإن كان المنصورُ
 مات فقيداً ، فقد عاش حميداً ، أو أمسى ملحوداً ، فظالماً أصبحَ معموداً ،
 لبث في أهليه سنيناً^٢ ، وأقام في سلطانه مكيّناً ، بين شفاءِ نفس ،
 واستيفاءِ أنسٍ ، [١١٩ أ] وتوطيدِ دولة ، وإقامةِ سنّة ، وحمايةِ
 أمة ، حتى كملَ جدّه^٣ ، وأتاه بالموتِ وعندهُ^٤ ، فذوى دوحه^٥ وقد أثمرَ
 غرسك^٦ ، وأقلّ بدره^٧ وقد بزغت شمسك^٨ ، فقال المجدُ : هذا ربّي
 هذا أكبر^٩ ، وصاح المثلث^{١٠} : هذا ردئي ، هذا أكثر ، فهل هذه - أيدك
 الله - نعمة صغرى ، أم هي قسمة ضيزى ، وهل طُفَىء سراج ناب
 عنه صباح ، أو خفيّ منهاج^{١١} دلّ عليه مصباح ، أو هلك هالك ، عقبه مالك .

وفي فصل : ثم توجهتُ لتلقاء مدين^{١٢} الأصعد ، وموطن السؤدد ،
 حضرة المعتضد بالله ، وكان طريقي إليها على قرطبة ، وكثيراً ما كنتُ
 اقترح^{١٣} بإتيانها ، وإن كانت على هَرَم ، وأتمنّى وقفةً فيها ولو على قدّم ،
 وأرغبُ زيارتها ولو لِمَامِـسٍّ ، وأودُّ رؤيتها ولو مناماً ، لألمسحَ دارَ
 الخلافة ، وأرى بيتَ الرياسة^{١٤} ، فخرج إليّ أبو الحسن بن يحيى الوزير
 الجوهري^{١٥} ، فأراني بحسنِ سَمْنِهِ وكلامه ، ورجاحةِ عقله وتماحه ،

١ انظر الآية : ٢٠ - ٢٢ من سورة المعارج .

٢ ب م : هنيئاً .

٣ انظر الآية : ٧٨ من سورة الأنعام .

٤ ط د س : مدن .

٥ د : أفرح .

٦ ب م : بنت الرسالة .

٧ ب م : فخرج إليّ الأمير . . . والوزير ؛ ط س : فخرج إلي الوزير الجوهري .

مراتب الوزراء المتقدمين ، ومناصب الفضلاء السابقين ، فلما أُدِيَتْ الرسالة جعلتُ أسلك في منازل المدينة ، وأنظرُ من تلك المشابه المبينة ، فاذا برسومها قائمة الأعلام ، ورموزها مفهومة الكلام ، وتُصْبِها ماثلة الشكل والقيام ، إلا أنها كرداح مستنها زمانة ، وربحانة أدركتها من السن مهانة ، لم يبقَ فيها إلا رسوم من الحسن كانتشاء الطرف ، وإن مالت أجفان ، وخطوط من الجمال كاعتدال الأنف ، وإن سقطت أسنان ، لكنها لم تفارق عطرها ، وإن كانت بعد عروس^١ ، ولا تركت بزها^٢ وإن لم تطمع بمسيس^٣ ، ولا دنست ثيابها ، وإن كانت أسملاً ، ولا عقت^٤ شبابها ، وإن تجاوزت اكتهالاً ، فوقع بين قلبي ورونقها سيفاح ، لم يصدقهُ نكاح ، وأمتع شمي بمتعها لصوق . لم يلحقهُ رفث ولا فسوق ، ووقفت بالقصر المرواني ، وطفت على المصنع القحطاني ، وانتبذت إلى المنزه العبدى الرحماني^٥ ، فاذا الثلاث الأثافي والديارُ البلاقع ، فأخذت بالسنة^٦ في ديار ثمود ، أسكبُ الدموع وأجدُ المعبود ، فقال قريينا^٧ : هنا كانت قصورهم ، وهناك هي قبورهم ، قد صارت مفاصلهم تراباً ، ومساكنهم يباباً ، وقد عادوا يسكنون القبور ، وكانوا يستهجنون^٨ القصور ، وظلوا يعتنقون الجلمود ، وكانوا يسترهفون النهود ، وصاروا يلزمون

١ اشارة الى المثل « لا عار بعد عروس » ، فصل المقال : ٢٧ والميداني ٢ : ١٠٨ .

٢ ب م : بريها ، ولعلها « برها » أي بضاضتها وترارتها .

٣ المسيس : كناية عن النكاح .

٤ ط س : عفت .

٥ د ط س : المتنزّه العبد الرحماني .

٦ ط د س : بالشبه .

٧ ط د س : فليل .

٨ ط د س : يسكنون .

الطين ، وكانوا يملّون حشايا اللين ، فقلت : أين مَنْ كان هنا من القبولِ
الأيية ، والملوكِ الأمويّة ، ذوي التيجانِ المنظومةِ بالمرجانِ ، والملابسِ
المرقومةِ بالعقيانِ ، والفرُشِ المرفوعةِ إلى السّكّكِ ، والعُرُشِ الموضوعِ
على السّمّاكِ ، وقد نُضدّتْ بالنمارقِ ، ومُهدّتْ على الأرائكِ ، وحُفّتْ
بالجنودِ [١١٩ ب] عند القعودِ للسلام والأحكامِ ، وأين أسرابُ تلك
الجواري الكُنُسِ ، في مروطِ السّنْدُسِ ، كأنها ما استعارت من الكتبانِ
أكفالا ، ولا من الأغصانِ اعتدالا ، ولا من الروضِ أرداناً ، ولا من
الظباءِ أجفاناً ، ولا رنتُ إحداهنّ عن جفنٍ همّ بالتهويمِ ، فنبّهه النديم ،
ونظرَ نظرةً في النجوم فقال لني سقيم^١ ، والآن : قد كُحِلَتْ تلك العيون
بالترابِ ، وكان كُحْلُها كَحَلًا ، ولصقتْ تلك الحدودُ بالكتبانِ ،
وكان تقييلها أملاً ، وانهالتْ تلك الأَدعاصُ في الصعيدِ ، وكان التفاتها
جدلاً^٢ ، فوقفْتُ معتبراً ، وما أبقيتُ عبرةً إلاّ أرسلتها ، ولا دمعةً إلاّ
أسبَلْتُها^٣ ، بكاءً على المآلِ ، لا على الأطلالِ ، وعلى المصارِ ، لا على
تلك الديارِ ، وعلى فقْدِ الأَحبابِ ، لا على ذلك الحرابِ .

وفي فصل منها : ثم جئنا إلى المسجد الجامع ، ونظرتُ من تلك المصانع ،
فرايتُ بنياناً بديعاً ، وإيواناً ربيعاً ، شاده ذو عزم وتأييد ، وبناءه أولو قوةٍ
وأولو بأسٍ شديد ، فكأنما أرسّتهُ عاد ، أو بنته ملائكة غلاظٌ شداد .
ومشينا من رتبة إلى رتبة ، ومن قُبّة إلى قبة ، حتى انتهينا إلى المقصورة فألفينا

١ انظر الآية : ٨٨ من سورة الصافات .

٢ ط س : خدلا .

٣ ب م : أرسلتها .

٤ س : ومرقبة إلى مرقبة .

سُقْفًا من فضةٍ ومعارجٍ إلى الجنة قد قُرِطَ سمكها بالذهب الأحمر ،
والفلز^١ الأخضر ، وَبُلِطَ سَطْحُهَا بِمَاءِ الجواهر ، وكافورٍ المرمر ، فكأنَّ
قباها [قد] عَقِدَتْ بالجفون الدُّعْج ، والحواجب البُلُج ، وكأن درجاتٍ
منبرها تكاسيرُ^٢ الشعور ، مالت على متونِ الحور ، أو مناطقُ الأعكان^٣ ،
ضُمَّتْ على الخصورِ اللدان ، أَلْفَ من عاج كالمباسم ، نُقِشَ نَقِشَ-
الدرهم ، وأبنوس كالغداثر ، طَبِيعَ طَبِيعِ الدنانير ، وصندل كأطراف البنان ،
كُتِبَ بِهَذَبِ الأجفان ؛ ثم اعتمدنا إلى المحراب ، فكلُّ خَرٍّ رَاكِعًا
وأنا ، وجيء بمصحفِ عثمان ذي النورين ، يُحْمَلُ على المفرقِ واليدين ،
فلما خُلِعَتْ مطارفه ، وفتحت صحائفه ، اذا بِمُدْرَجٍ من فردوس
الجنات أنبت نباتًا أخضر ، وَطَرَّرَ كخدودِ الولدان كما أطلعتُ الشَّعر ،
وَكأنما خُطَّتْ بمجازسِ^٤ النحل ، ونُصِّدَتْ من روادفِ النمل ، فاستمد
مبادؤها من قلوب الكافرين ، وخلقَ خلقَها من عيون الشهداء والصديقين^٥ ،
فلذلك لم يحتج ببيانهِ إلى ضَبْطٍ ونَقْطٍ ، ولا افتقر قرآنه إلى أكثر من ورق
وخط ، جرى فيه كتابتهُ على سجيّة لسانه فأمينَ اللحن ، وأخذ بِسُنَّةِ
أهل زمانه فترك العَجَمَ والشَّكْلَ ، وأمر بقولِ ربِّ العالمين ﴿ إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) فألصقتهُ بكبدي
ليبردَ ذلك الأُوار ، وأمرغتُ فيه خدِّي عسى ألاَّ تمسه النار ، ولمحتُ

١ ب م : والمعرق ؛ د س : والفلق .

٢ ط د س : مكاسير .

٣ ط د : مشاطيق ؛ ب م للأعكان .

٤ ب م : اطلقت .

٥ ط د : بمحارم .

٦ ط د س : والصالحين .

أثرَ دمِ الشهيد ، فجثتُ [١٢١ أ] من دمعي بأربعة شهود ، وقلت :
 ألا فُضَّ فَمُ الحسام كيف قُصِفَ لحمه^١ ، وأرغِمَ أنفُ السَّنانِ كيف
 استرعَفَ دمه ، وتبَّاً لعبيد الدار كيف أغمدوا سفارهم ، وعجباً من بقيَّةِ
 الأنصارِ كيف ضيَّعوا انتصارهم ، و﴿ لا أقسمُ بمواقعِ النجوم ، وإنَّه
 لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٥) لو شاهدتُ [يومَ] ذلك
 البرح ، لصار القلمُ في يدي كصدرِ الرمح ، وأضحى المقطُ في يدي أبيضَ
 مثل السيف ، ولكانتُ سكينى هنالك حساماً ، ويميني عمراً وصمَّصاماً ،
 وقلبي على لينة جماداً ، وسعيمي على ضعف حويله جهاداً ، حتى أرمي
 مَنْ رمى في المقتل ، وأقتلَ دونه قِتْلَةَ المكبِّ المقبل .

ثم خرجنا وقد صدَّرتْ نفوسنا ، ووَجَّلتْ قلوبنا ، وخلتْ من الدمعِ
 عيوننا ، ولم يتسعَ يومُ الإقامة^٢ ، لأكثَرِ من هذه المقامة . < ثم > باكرتُ
 الرحيل ، ويمَّمتُ في الغدِ الملكَ الجليل ، الذي ضارَعَ به المشرقَ المغرب ، وسادتْ
 لحم سائر العرب . فلما فصلتُ عنها ورأيتُ من حسنِها وجمالِها ، واتصالِ
 مساكنِها وظلالِها ، ما حُبِسَ عليه ناظري ، وجذِبَ إليهِ خاطري ، فقلتُ^٣ :

سقى جديداً من الأيامِ قرطبةً ماءُ الشبابِ وريقُ الباردِ الحصرِ
 وقفاً يمدُّ الندى في روضه شرقاً من الغمامِ مع الآصالِ والبُكرِ
 كأنه فيه والإمساءُ يَبْسُطُهُ رداءُ ألفين قد صاروا إلى وطرِ
 حتى إذا شيبَ كافورُ الصباحِ به أضحَتْ تصعده نارٌ من الزهرِ
 وبين هذين من لينٍ ومن لطفِ روحٌ يقيمُ سجودَ النجمِ والشجرِ

١ د : قسم ، ولعل الصواب : « قصب » ؛ ب م : لحنه .

٢ ب م : القيامة .

٣ باكرت الرحيل . . . فقلت : سقط كله من د ط س ، وجاء في موضعه : ومن شعره .

لليلة فيه سواد يستهام به كأنه في سواد العين والشعر
وللنهار سناً يحكي تبلججه نور البصيرة مقروناً مع البصر
كأنما شمسها تحت الغمام سنا وجه تنفس في مرآته نصير
والطل في غداة القطر تحسبه حلياً سقى زهر اللبّات بالدرر
وصفحة النهار الفضي مبسمه في روضها مثل خيط الفجر في السحر

ثم نفذت^٣ لطيتي ، وأخذت في وجهتي ، وكان لا عهد لي بلقاء المعتضد
بالله — تحوّل الله الدين والدنيا ببقاه ، وأدام به على الزمان بهاه — وله
من بُعد الصيت ورفعة الشأن ، وفخامة الذكر وعزة السلطان ، ما تهاب
النفوس سماعه ، كما تألف الجفون اطلاعه ، وتجلّ القلوب [١٢٠ ب]
مكانه ، كما تستلذّ العيون عيانه ، فأدركني من توهّم لقياه ، وتخيل سناه ، ما يدرك
راكب البحر قبل نشير الرياح ، وشارب الخمر قبل امتزاج^٤ الراح بالراح .

وفي فصل : ثم لقيته من الغد فقابلت من وجهه بدرأ تأخذ منه
البدور ، وقبّلت من كفه بحراً تغرف منه البحور ، ولا غرو أن تغرف
من بحر بحار ، وتستمد من نور أنوار ، فإن مادة البحور ، من البحر
المسجور ، وعلة الأنوار ، شمس النهار ، وشاهدت منه منظراً استمال
عيني حتى عقّد به^٥ أطرافها ، وغبراً استهوى نفسي حتى كره^٥ إلي
انصرافها ، وظلّ ينفث من نبله سحراً أضبطه^٥ بذهني ، وينثر من
لفظه درأ^٥ القطة بأذني ، حتى صارت لي الثريا قرطاً ، والمجرة مِرطاً ،

١ ط د س : باسمه .

٢ ط د س : خط .

٣ س : ارتحلت .

٤ ب م : بامتزاج .

٥ ب م : عقدته .

وأخذتُ في الرسالة ، فلما سامح الأدب ، وساعدَ المذهب ، قلت : أيدك الله ، إن مَنْ أرسل رسولاً في مهمٍّ تطلَّعَ ، وَمَنْ رجا صديقاً لدفعِ ملمٍّ توقع^١ ، لا سيما إنَّ رجاهُ شفاءً من الخطب ، واستهداهُ هِناءً لموضعِ النقب ، فقد تعلمُ كيف نظرُ السقيمِ إلى العائد ، وناهيك إن كان طبيباً ، والتفاتُ المقيمِ إلى الوارد ، ويكفيك إن أوردَ محبوباً^٢ ، وإن رئيسي — معظمك — أرسلني إليك وانتظر ، وأوفدني عليك ثم استمطر ، وقد رأى أن إسعادك مُرادُه ، وإنجادك^٣ مَرَّاده ، فلوى عَنْكَ ما بطأ السَّبَّاقَ ، وعاقَ دونك ما أخَّرَ اللحاقَ ، حتى تطاولَ الزمانُ ، وحالتِ الأحيان ، وفي ذلك من تعذيب نفسه ، وإرجاء أنسيه ، ما يدعو إلى إشفائك من شغلِ باله ، وارتماضيك من نكدِ حاله ، إذ لا يلدَّ بحالٍ حتى يدري ما له عندك ، في حلَّوهِ ومُره ، ولا ينعمُ ببالٍ حتى يجتلي ما تنهيه إليه من جدك ، في يُسِّرهِ وعُسِّرهِ ، فلك الفضلُ في إيشاكِ إياي ، وإراحةِ مآبي ، حتى أسرعَ بسرَّائه ، وأقطعَ بما يزيدُ في مضائه . فخاطبتُ بما اقتضيته من إيجائي ، وألقيته من سريعِ اطلابي ، وكتبتُ إلى الوزير أبي الوليد بن زيدون ؛ برقة أقول فيها : لم أزل منذ فارقتُ الشَّرْقَ ، وتحلفتُ ذلك الأفقَ ، أتقلبُ بين ثلج يكفّن ، ووحلٍ يدفّن ، وريحٍ تبعثُ مَنْ في القبور ، ورعدٍ ينفخُ في صُورِ النشور ، وبرقٍ يرمقُ^٤ أصحابَ الجحيم ، ويربهم صورةَ العذابِ الأليم ، إلى أن وصلتُ محلَّ^٥ العليا ، ومنتهى سِدْرَةِ الدنيا ، حضرةَ

١ ط د : يتوقع .

٢ ط د س : حبيباً .

٣ د : وإنجادك ؛ ط س : وإيجازك .

٤ ب م : ريان .

٥ ط د س : محلة .

المعتضد بالله وقالت : ﴿فَنَعِمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد : ٢٤) ما يُنْكَرُ لأهل الجنة السلوكُ على متن النار ، وكنتُ أسمعُ أنباءَهُ فاستغربُ ، وأنزعُ تلقاءَهُ [١٢١ أ] فاستدني واستقرب ، حتى رأيتُ عياناً ، واستوضحتُ بياناً ، فاذا الحُسْبُ أُرَى بالخَبَرِ ، [والعيانُ أُرَى على الأثر] ، وقلتُ : بحقِ سألَ الكليمُ رؤيةَ الربِّ ، وقالَ إبراهيمُ ﴿بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾ (البقرة : ٢٦٠) وإني رأيتُ ملكاً لا يَصْعَدُ الطرفُ إليه إجلالاً ، ولا تطيقُ النفوسُ^١ عنه انفصالاً ، قد جمعَ مهابةَ العَدْلِ ، إلى ودادةٍ^٢ الفضلِ ، وجلالةَ المنصبِ ، إلى لطافةِ الأدبِ ، وركانةَ القُعودِ ، إلى بشاشةِ التودُدِ ، وبرقَ الحسامِ ، إلى ودقِ الأيادي الجسامِ ، إن رَمَقَ الأعداءُ فأجفانُ نصاله طارقة^٣ الشفار ، أو وَصَلَ الأوداءُ فأنداءُ بنانه ألفة الأوطار ، ضالتهُ الحكمةُ ، وشريعتهُ الحجةُ ، وإن رأى حقيقةً أنصف ، وإن رمى بحجةٍ أهدف ، يصيبُ بذمته حدقَ الغيوبِ^٤ ، ويعلمُ بظنه خائنةَ الأعين والقلوب :

الأَلَمِيُّ الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً

وفي فصل [منها] : والمعتضدُ بالله لا يَدْعُ في ذلكُ تأنيسي بكلِّ تحفة يُهديها مع الآحيان ، وطُرْفَةٍ يوليها^٥ مع كلِّ دقيقةٍ من الزمان ، ولقد

١ ط د س : النفس .

٢ ط د س : جزالة .

٣ ط د س : طارقة .

٤ ط س : حلق ؛ ب م د : الغيوب .

٥ البيت لأوس بن حجر ، ديوانه : ٥٣ .

٦ ط د س : خلال ذلك .

٧ ط د س : يواليها .

تاحفني يوماً عندما طرأت الأشابيل^١ في النهر ، وانسربت من البحر ، بعدة أسماك مثنية^٢ الذوائب متمكنة الحياة ، لدنة النقل والحركات ، فطلت في مائها تطير ساجحة ، وتسبح طائرة ، وأقبلت تأخذ مرة جائية وأخرى سائرة ، وقد تحتمت بالعقيان في جفونها ، وتوجت بالبحمان في عرائنها ، وتطوقت بالمرجان في عثانيتها ، وعدرت بالريحان فوق متونها ، وشابت قبل الإنسان من بطونها ، وأربت على النشوان في اضطرابها ولينها ، فأعملت فكري في شذوذ هذه الصفات ، وغرابة^٣ هذه الآيات ، حتى عرفت تعليلها ، وفككت تأويلها ، فإذا بها قد شربت ماء نداء فلم يعدم ، حيوانها ، ورأت حيّاه فخصت^٥ بالحليلة أجفانها ، وقبّلت بساط مثواه فطوقت بالدرّ مراشفها .

[فصل] في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج والإتيان بقطعة من محاسن نظمه ونثره^٦

قال ابن بسام : وكان أبو جعفر وقته أحد الأعلام ، وفرسان الكلام ، وحل آخر أيام ملوك الطوائف بأفقنا من الدول ، محلّ الشمس من

١ الأشابيل : يبدو أن اللفظة بهذه الصورة تفيد أنواعاً من الشابل وهو السمك الذي يدعى بالفرنسية : alose وبالإسبانية : Sabalo ويقول ابن هشام إن صواب الكلمة « أشبول » (مجلة معهد المخطوطات ٣ : ٢٩٣) وعلى هذا تكون « أشابيل » صيغة مشتق الجمع للمفرد « أشبول » .

٢ ط د : مثنية .

٣ ط د : وغرائب .

٤ ط س : تعدم .

٥ ط د س : فجلت .

٦ يذكر ابن الأبار (التحفة : ٦١) أن بيت بني جرج من بيوتات قرطبة النجيبة ، وأن أصلهم من الجيرة ؛ وقد ترجم لأبي جعفر عبد الله بن محمد منهم (- ٥٧٥) ؛ وهناك أبو جعفر =

الحَسَمَلِ ، فحملها على كاهله ، وصرفَ أَعْنَتَهَا بين أنامله ، حُسْنِ
 شارة ، وكرمَ إشارة ، وعلوَّ همة ، وظهورَ نعمة ، وله رسائلُ مطبوعة^١
 ومنازعُ إلى الأدب بعيدة^٢ ، وقد كتبتُ في هذا الفصل من نظمه ونثره ،
 ما يعربُ عن كُنْهِ قدره^٣ .

جملة من نثره [١٢١ ب]

لما حُلَّ ابنُ طاهرٍ أبو عبد الرحمن من وثاقِهِ ، وخرجَ خروجَ الزُّبرقانِ
 من محاقه ، خاطبه برقعة قال فيها : ما أعجبَ الأيامَ—أُعِيبَتْ منها السلامة
 والسلام^٣ — فيما تقضي ، وكيف تمضي ، تتعاقبُ بتلوين ، وتترأى
 بين تقبيح وتحسين ، وهي تَعْتَبُ^٤ وتُعْتَبُ^٤ ، وتعتذر كما تذنّب ، وتصدعُ
 وتشعب ، كما تجدد وتلعب ، وإن صنيعها عندنا فيك وإن كان ألام^٥ فقد
 أحمد ، إذ أحمده ما^٦ أوقد ، فعاد غيث^٧ على ما أفسد ، وإن يكن^٨—حَمَى

== ثاب اسمه أحمد بن عتيق بن جرج الذهبي ؛ وهو متأخر الوفاة (- ٦٠١) ؛ وإبو جعفر
 المترجم به هنا ، كان وزيراً لابن عمار لما ثار بمرسية ، انظر المغرب ٢ : ٣٠٥ والمسالك
 ١١ : ٤٤٩ (وكلاهما ينقل عن الذخيرة) .

١ ط د س : بديعة .

٢ ط د س : نثره ونظمه عن علمه .

٣ المغرب : اعقب الله منها السلامة والسلام .

٤ ب : تقيث ؛ م : تعيث ؛ د : تعنت .

٥ ط د : آلم .

٦ ط د س : وما .

٧ ط د س : عيث .

٨ ط د س : لم يكن .

اللهُ دارك^١ ، وأدنى أوطارك — كشفتُ إليك صفحة اعتزاء^٢ ، وتخطتُ حماكَ بقدَمِ اعتداء ، فقد تراجعتُ تمشي على استحياء ، متنصّلةً مما اجترمتُ ، متأسّفةً على ما اخترمتُ^٣ ، وعند مثلك للقدَرِ التسليم ، فأنت الخبيرُ العليم ، أنه ما اختلفَ الليلُ والنهار ، إلاّ بِنَقْضٍ وإمرار ، ولا دار الفلكُ المدار^٤ ، إلاّ بطوالعٍ ومُغاري^٥ ، وكنتَ في الأرض من أسنى مطالعها الباهرة الأنوار^٦ ، فلا غرو أن أدركك ما يدركها من الأُفولِ حيناً والسرار . فقد تُكسِفُ البدور ، ثم تعاودُها الاضاءةُ والنور ، والحمد لله الذي أخرجَكَ من ظلمات تلك الغمائم ، خروجَ السيفِ من الجلاء ، والبدْرِ بعد الانجلاء ، نقيّ الثياب^٧ من تلك الطخياء ، وسترُ الله تعالى دونكَ ضافٍ مُنسدل ، وقيدُ حُكِّ في كلِّ حالٍ من بلاء وإعفاءٍ فائزٌ معتدل ، ولا تأسَ على أعراضِ الدنيا^٨ فهي رهينةٌ بزوالٍ وذهاب ، « وكلُّ الذي فوق التراب تراب »^٩ ، هناك الله وهنأ أهلَ الفضلِ فيك طراً هذا الصنعَ الأجل ، وجزى الله الوزيرَ الأجل [الأكل] عمادَ الكلِّ جزاءَ السادةِ الذادةِ الأحرار ، ذوي الأنفةِ والانتصار ، فيا لها منقبة [تنقب] في البلاد ، ومكرمةٌ غراء تردُّ بهيماً كلَّ أغرٍّ جواد ، سرى لها

١ ط د س : ذمارك ، وكذلك في المغرب ؛ ب م : ذراك وحرس علاك .

٢ ب م : اغترار .

٣ المغرب : متنصلاً مما اقترفت ، متأسفاً على ما سلف ؛ ط س د : مبقية ؛ د : منفية على ما أجرت .

٤ ط د : الدوار .

٥ المغرب : إلا لأمر واختيار .

٦ المغرب : مشرق الأنوار .

٧ د ط س : الأثواب .

٨ د ط س : ولا يؤس ولا عرض من أعراض الدنيا .

٩ عجز بيت البتني ، صدره : إذا نلت منك الود فالمال هين .

وقد نامت عيون ، وتفاضت جفون ، فأحمدت به السرى ، حين نضا .
 الصبح ثوب الدجى ، وانحسمت تلك الخطوب عن حياته دون حسامه ،
 كما انصدع عن الصديق ممزق ظلامه ، ولقد رمى [فأصابت صوائب سهامه ،
 « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى »] (الانفال : ١٧) وهكذا
 يكون الرأي الأصيل ، والسعي الجليل ، والرعي الجميل ، والوفاء الذي
 قصير عنه قصير ٢ ، أبقاء الله بقاء هذا الأثر ، الذي يبقى بعد فناء البشر .

ومن جواب أبي عبد الرحمن له على هذا الخطاب : وافى كتابك
 الكريم رائداً في جناب التسلية ، ومنيراً من أفق المشاركة والتهنية ، وأي
 أنس لم أجتز منه ، وكل فصل فيه أنا الشاكر عنه ، وللأيام — كما
 قلت — تلون بين الإساءة والاحسان معلوم ، وتقلب [١٢٢ أ] بالإنسان
 قديم ، تنقض غب ما تبصر ، وتعترض على إثر ما تسلم ، فالتفويض
 إلى الله في خطبها أهدي ، والرغبة في ثوابه جلّ وتعالى أحرى ، وكان
 لها بحكمه ٣ [ليغال] في جانبي ، وإطلال علي بنواثي ، عيس لها الزمان
 إليّ وكان مبتسماً ، وتشعب وما زال منتظماً ، إلا أنه تعالى بلطفه الحفيّ ،
 وصنعه الحفيّ ، ألهم إلى الصبر ، ودلّ على ما يعود بالأجر ، فسابت الغمرة
 كما سايرني ، وتجلدت لها كما نالت مني ، وأتاح الله خلاها ذخراً كريماً
 انتضى لي حساماً من رأيه صقيلاً ، وبذل دوني مذهباً في سعيه جميلاً ،

١ د ط س : عن خطوبه عن .

٢ قصير بن سعد اللخمي الذي وفي بلديمة وجدع أذنه واحتال على الزبا ، حتى أخذ بشار جديمة
 مع عمرو بن عدي ؛ (انظر صفحات متفرقة من فصل المقال) .

٣ ب م : تحكما .

٤ ط د س : من الأجر .

٥ ط د س : كيف .

فابتزّني من يدِ الدهر ، وخلطني بنفسِ الخلو والمرّ ، واحدي الوزيرَ الأجلّ
أبا بكر بن عبد العزيز — أحسنَ الله ذكره ، وأدّى عني شكره — .
وبعد ، فحقُّ مساهمتك جليلٌ ، وثنائي على مَبَرَّتِكَ موصول ،
ولا ارتيابَ عندي بانزعاجك أولاً ، وابتهاجك آخرأ ، وصحّةِ مودّتكَ
باطناً وظاهراً .

ولأبي جعفر بن جرج من أخرى^١ : ورد كتابُكَ [الكريم] حلّو المناسبة
جَزَلَ الضريم^٢ ، كما عَصَمَتِ الریحُ وهبَّ النسيم ، ومعلومٌ — أعزَّكَ الله ،
والعذرُ في ذلك قد قدمناه — أن الجذاعَ لها نشاط ، وأن القُرحَ من الإعياء
على سِقَاطٍ ، فكيف نذارعُكَ^٣ هذا البساطَ ، وأنت تفتن من الكلام بين
المطبوع والمصنوع ، وتأخذُ بطرفي الموصولِ والمقطوع ، فطوراً في سهولِ
الوهاد ، وطوراً على حزونِ النجاد ، فمن لي وكيف لي ، بمن سيَّلهُ
يحطُّ الجندلَ من علٍ :

هو السيلُ إن واجهتهُ انقدت طَوْعَهُ
وتقتاده من جانبِيهِ فيتبــــــــــــــــعُ
ومن شعره ، قال في النسيب^٤ :

ونخذُ تأنق صباغـــــــــــــــــه قد اختلفت فيه أصباغُهُ
فللدرِّ والوردِ أبشَارُهُ وللمسكِ والآسِ أصداغُهُ
بديعُ المحاسنِ قد صاغهُ فأبدعَ ما شاء صواغـــــــــــــــــه

-
- ١ ب م : فجأوبه أبو جعفر بن جرج ؛ قلت : وذلك قول غير دقيق .
٢ الضريم : الحريق أو كل شيء أضرمت به النار ؛ د ط س : الضريم ؛ ب م : العريم ؛ والجزل :
الغليظ الشديد .
٣ ب م : يذار على . ؛ منها بيتان في المسالك .

نتيجٌ من الشمس في قالبٍ من الصُّبحِ أحكيمَ لإفراغِهِ
حبيبٌ له مقلةٌ ، طرفها عدوٌّ فؤاديَ لدَاغِهِ

وقال :

يا أملحَ الناسِ بل [يا] فتنةَ الناسِ يا غصنَ آسٍ لآدِواءِ الهوى آسي
يا من أشبهها حسناً إذا طلعتُ بدرأً على غُصْنٍ يهتزُّ ميساً
ما لي وما لك تجزيني قلبي بهوى كفى بهذا فدتك النفس من باس [١٢٢ ب]

وقال ١ :

كم بالمواكب ٢ من زورٍ على رقبِ خطرأ ٣ على الهول في غاب القنا الأشب
أسمو إلى نيرٍ الأفلاكِ مرتقياً ٥ حتى خلوت بشمس الحدر في الحجب
وأنجمُ الجوّ تبدو في حدائقها كالنور أزهري أحوى من العشب
ثم انثيتُ وقد رويت من غُلُلٍ هيمٍ ولم أنس ببقيا الدين والحسب

وقال :

هم صيرونني خيالاً غيرَ منتعشٍ لا أستبينُ من الأسقام في فُرُشِ
ان الهوى كتبَ الآجالَ في مقلِ آجال من أنسٍ عن وصلنا وحُشِ
بيض مناظرها سود غدائرها كما تلاقي جيوشُ الروم والحبش
كيف النجاة لقلبٍ بات منتهشاً ما بين عقرب ذاك الصُدغِ والحنش

١ وردت هذه الأبيات في المسالك .

٢ ط د س : بالمراقب .

٣ المسالك : خطوا .

٤ س والمسالك : منزل .

٥ ط د س : مرتفعاً .

أَفَلَنْ مِنْ كَلَلٍ هَلْهَلَنْ فِي غَبَشٍ
وَلَا وَرُودَ وَقَدْ أَشْفَيْتُ مِنْ عَطَشٍ
رَحْمَاكِ لَوْلَا رَجَاكِ النَّفْسُ لَمْ تَعَشْ

أَهْلَةً فِي لَيَالِي السَّعْدِ ١ مَطْلَعَهَا
جَنَابَ ٢ رُوحِ أَرَى وَرَدَ النِّعِيمِ بِهِ
يَا عَيْشَةَ النَّفْسِ يَا رُوحَ الْحَيَاةِ لَهَا

وَقَالَ ٣ :

مُطَرَّرِ الصَّدْعِ لَمْ يُرْقَمِ ٤ بَتَطْرِيزٍ
بَأَنَّهُ بَشَرٌ إِلَّا بَتَمِييْزٍ
مَعْجَزَاتٍ سِوَاهُ أَيَّ تَعْجِيزٍ

وَمُذْهَبِ الْخَدِّ لَمْ يُذْهَبْ بِابْرِيزٍ
قَدْ رَاقَ بِالنُّورِ حَتَّى مَا نَحْدَدُهُ
بِدَائِعُ بِكَمَالِ اللَّهِ شَاهِدُهُ

وَقَالَ ٥ :

قَلْبِي فَقَدْ بَعَدُوا عَنِّي وَلَا قُرْبُ ٦
فِي الْقَادِمِينَ وَفِي قَلْبِي إِذَا غَرَبُوا

سَارُوا فَوَدَّعَهُمْ طَرَفِي وَأَوْدَعَهُمْ
هُمْ الشَّمْسُ فِي عَيْنِي إِذَا طَلَعُوا

وَلَهُ يَنْدُبُ أَطْلَالَ الزَّهْرَاءِ :

لَعَيْنِيكَ غِبْرَاءَ الدُّثُورِ حَيَا الْمَزْنِ
وَذَاكَ الْهَوَاءُ الْغَضُّ كَالْمَلْسِ اللَّدْنِ
سَنَاهَا غَدَتِ تَعْطِي النَّفُوسَ مِنَ الْحَزْنِ
فَأَضْحَتِ وَمَا غَيْرَ الْأَسَى رَائِدَ اللَّحْنِ

سَقَى اللَّهُ زَهْرَاءَ الْقُصُورِ وَإِنْ بَدَتْ
فَلَا جَوْ كَالْجَوْ الصَّقِيلِ بِأَفْقِنَا
عَلَى قَدَرٍ مَا أُعْطِيَ الْعَيُونَ مِنَ الْحَسَنِ
وَكَمْ قَدْ جَنَّتِ تِلْكَ الْمَنَى أَهْلَهَا الْمَنَى

١ ط د س : الشعر .

٢ ب م : حيات .

٣ منها بيتان في المسالك .

٤ ط د س : يرقع .

٥ وردا في المسالك والمغرب .

٦ المسالك : فما بعدوا عني ولا قربوا في وقد قربوا المغرب : فما بعدوا . . . ولا قربوا ؛

ط د س : ولا قربوا .

عفا حسنُها إلّا أزهَرَ دمنةً وعَرَفَا كأنَّ المسكَ فيها من الدمن [١٢٣ أ]
تذكرنا تلك المباني بَعَرَفُها وبالزَّهر تلك الأوجه الزُّهر [في] الحسن
إذ الملكُ فيها والملوكُ أعزَّةُ وفيها الغنى لو كان ذاك الغنى يغني
ووقف أبو جعفر بن جرج على قبر أبي عامر بن شهيد فرأى شِعْرَه المنقوش
الذي يخاطبُ فيه صاحبه الزَّجالي^١ :

يا صاحبي قم فقد أطلنا أنحنُ طولَ المدى هجودُ
... الأبيات ؛ فقال أبو جعفر :

ماذا طوتُ ويَسبها اللحدُ من كرمٍ قرَعُهُ حصيدُ
هذا الشَّهيدِ رهنُ قبرٍ وشعرُهُ ناطقُ شهيدِ
بادرني في الصفيح منه محاورُ^٢ صحبةُ مشيدِ
وأفصحَ القبرِ باعتبارِ^٣ وامتنعَ القولُ والنشيدِ
كيف يحيرُ الجوابَ قومُ كالتربِ في تربهم هجودِ
قد عفيتُ منهم جُنبُ وعُفرتُ منهم خلودِ
ونخرتُ بالبلَى عظامُ وانتثرتُ في الثرى الجلودُ
كم شيدوا في الدنا قصوراً وقصرهم مَلَحَدُ مشيدِ
كم نعموا لذةً وكم قد غادتهم بالكؤوس غيـدِ
ما منهم ان دعا سئولُ مبدىءُ قولٍ ولا معيدِ

[ومنها] :

١ انظر ديوان ابن شهيد : ٩٨ .

٢ ب م س : مجاور .

٣ ط د : في اعتبار .

٤ ط د : لحد .

أعزُّزُ أبا عامرٍ علينا
لو كنت تُفدى فدتك نفسي
كم لك من منطقٍ صؤولٍ
أين غماماتك الغوادي
أين وزاراتك الهـوادي
ولت كما أفتحت سحاباً
أودى عميد الورى فكلُّ الـ
ان تحته صدك المنونُ حصداً
ولو تُنيلُ العلا خـوداً
إليه أبا عامرٍ وأنت الـ
إنا أزرنا الركابَ قصداً
كالبيتِ تهوي إليه شعثُ
جاد بذاك الثرى ربيعُ
ليزهرَ النورُ في ذراه
يقولُ من جاءه أوْشي

أنتك من دوننا الفقيـدُ
وطارفُ المالِ والتليـد
فصلٍ كما تزارُ الأسود
يسروى بها الوهدُ والنـجود
أين إماراتك الصـعود
فلا بروقٌ ولا رعود
ورى لفرطِ الآسى عميد
فكلُّ زرع غداً حصيد
كان لتلك العلا خلـود
جوادُ بالقول لا تجـود
قبرك حقٌ له القـصود
ومشعراتُ الهدى قود
كمثلٍ ما جاد منك جود
بأنه لفظك البرود
أم ذلك المنطقُ السـديد

وقال أيضاً يرثي أبا بكر بن عمار من قصيد أوله ٣ :

قد طال ما عمر المرء ابن عمار
يُملى له وتملى كل ما وطـر
استدرجته لما قد أدرجته به
مستدرجاً بأمانى وأخطار
وللمقادير فيه أي أوطار [١٢٣ ب]
حتى أتى لمنايها بمقدار

١ ب م : تروي .

٢ ب م : المفيد .

٣ ورد بعضها في المغرب .

موارد^١ خَفِيَّتْ عنه مصادرها
 وهل مُعَمَّرُ قومٍ خالدٌ أبداً
 وهل ممتعٌ حالٍ دائمٌ أبداً
 مستوزرٌ لم يثل منها إلى وزرٍ
 والمرءُ محتقِبٌ شراً وتحسبهُ
 تأتي الأمورُ إذا أقبلنَ مشكلسةً
 وليس مقتبلٌ أمراً^٣ كمدبرٍ
 ومن يَقْدَهُ الهوى أشفى به عَمَهَا
 وإن مضى فلقد جدَّ الردى فمضى^٥
 والحيثنُ ما بين إيراد وإصدار
 ولو غدا العمرُ موصولاً بأعمار
 والدهر رهنٌ باقبالٍ وإدبار
 كم قد تحمّلَ من أعباءٍ أوزار
 خيراً [لاشكال] لبطان وإظهار^٦
 لكن تفاسيرها تُغري بادبار
 ما خابطُ الليل كالساري^٤ بأنوار
 على شفا جُرْفٍ يهوي به هار
 للمبطلين ببطالٍ ونظار^٧

ومحاسنُ أبي جعفرٍ أشهرُ مما أثبت ، ولا يفني شرطُ الكتابِ بأكثر مما
 كتبت .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي وإيراد
 جملة من نثره ونظمه^٧

كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود ، فنجم

١ المغرب : مكاره .

٢ ب م : انظار واظفار .

٣ ب م : رأياً .

٤ ب م : للساري . ه ب م : حد . . . فصصى ؛ ط : جر .

٥ البطال : البين البطولة ؛ النظار : الشهم الطامح الطرف ، يوصف به الفرس ؛ ط د س : ويطار .

٦ حسداي بن يوسف بن حسداي : له ترجمة في المغرب ٢ : ٤٤١ والمطرب : ١٩٦ والقلائد :

١٨٣ والخريدة ٢ : ٤٨٠ (٣ : ٤٦٠) وطبقات صاعد : ٧٧ وابن أبي أصيبعة ٢ :

٥٠ ونفع الطيب ١ : ٥٣٥ ، ٦٤٠ (نقلا عن القلائد) ٣ : ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٤٠١ وبدائع

البدائع : ٣٦٧ .

بأفق سرقسطة في ذرا دولة ابن هود^١ ، وكان له في الأدب باع ، وبما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال^٢ واضطلاع ، وقد رأيت له شعراً لم أروِه فأجتلبه ، ولا استجدته فأبحث عنه وأطلبه . ونشأ أبو الفضل ابنه هذا صفة^٣ احتملها ، وكناية^٤ اخترلها^٥ ، هضبة^٦ علاء ، وجدوة^٧ ذكاء . وذهبوا^٨ أن جارية^٩ ذهبت بلبه ، وغلبته على قلبه ، فجن بها جنونه ، وخلع اليها دينه ، وعلم بذلك صاحبها^{١٠} فزفها إليه ، ووضع زمامها بين يديه ، فتجافى عن موضعه من وصلها ، أضيع ما كان بين دلالها ودلها ، أنفة^{١١} من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها ، فحسن ذكره ، وخفي على كثير من الناس أمره .

وهو أحد من عني في هذا الاقليم ، بالنظر في أنواع التعاليم ، على مراتبها ، وتناول الفنون^{١٢} من طرقها ، وأحكم علم لسان العرب^{١٣} ، وبلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب ، فطارت الكتابة باسمه ، وخلت بينه وبين حكمه ، ولم يكن له بالشعر [١٢٤ أ] فضل عناية ، فلم يجر منه إلى بعيد غاية ، وقد أثبت من كلامه ما تعلق^{١٤} بحفظي ، ووقع في شرط^{١٥} صدري ؛ وكان بالجملة كما وصفه أبو عبد الرحمن بن طاهر في فصل من خطاب خاطب به المقتدر بن هود يقول فيه^{١٦} : « والوزير

١ ب م : ابن رزين .

٢ ب م : وكتابة .

٣ س : صفة جملها وكناية حملها .

٤ انظر دفع الطيب ٣ : ٤٠١ .

٥ ب م : صاحبه .

٦ ب م : الميون .

٧ ط د س : علم اللسان العربي .

٨ ط د س : علق .

٩ ط س د : في رقعة خاطب بها . . . قال فيها .

الكاتبُ أبو الفضل ، وحيدُ الفضلِ وينبوعُ النبل ، وما عداه قول القائل :
 إن أبا الفضلِ له فَضْلُهُ وأين في الناسِ فتى مثله

جمع الخلال الزكية فاحتواها ، ورأى تلك الجلالة فاحتذاها ، وحق لمن
 ربي في حجرها ، وارْتَضَعَ بدَرَّها ، أن يَتَبَيَّنَ فيه رُجْحَانُهَا ، ويتمنَّى
 عليه رِيحَانُهَا ، وأن يكونَ له الشفوفُ والتبريز ، ويتملِّى به الجانبُ العزيز .

جملة ما انتخبته له من ترسيله

فصل له من رقعة إلى ابن رزين^١ : كنتُ أرتاح إذا ومضَ من أفقه
 البسام^٢ بارق ، أو ذرٌّ من سمته الوضاحِ شارق ، فأقتصر^٣ من تلقائه على
 استنشاقِ نسيم ، وأننى لي من عرارِ نجدٍ بشميم ، حتى ورد ما أمتع بوابلِ
 بعد طلٍّ ، وسقى نهلاً ووالى بعلٍّ ، واسترهب^٤ بمعجزتي سحرِ حرامِ
 وحلٍّ ، قد قصرَ الله عليه الإبداع : [طوراً] في الندى ببراعةٍ خطيبِ
 وبلاغةٍ كاتب ، وطوراً في الوغى ببديهةٍ طاعنٍ ورويةٍ ضارب ، والربُّ
 يديمُ إمتاعَ أشياعِهِ ببارعِ جلاله ، ويصونُ عيونَ الحوادثِ عن كماله ،
 بمَنِّهِ .

واستوضحتُ ما أوماً إليه من نشدِ العبدِ الآبق ، على النهدِ^٦ السابق ،

١ اورد بمضها صاحب المغرب .

٢ ب م : ابتسام .

٣ ط س : فأختص .

٤ ط د : واستوهب ؛ المغرب : وهر .

٥ ب م : وقصور .

٦ ط د س : المهر .

وقد أعملتُ في بقائه المكاييد ، وبشتُ في اقتناصه الحبالَ والمراصد ،
فكأنَّ الرياحَ تخطَّفتُهُ ، والبحارَ غمرتَه ، والبلادَ أخفَّتَه
وأضمَّرتَه ، وكيف يُظفَّرُ بعبدٍ حَوْشِ الفؤاد ، شكسِ القياد ،
أرغب عن خضوعِ الممالك ، ولحقْ بذُؤبانِ الصعاليك^١ ، يعتسفُ شتى
المسالك ، ويعروري ظهورَ المهالك^٢ ، فاتحُ كاسمه سائح^٣ ، على أجرد^٤
سابع :

كأنَّ على أعطافه ثوب مانح^٥

وعسى أن يعود هذا الذاهبُ وشيكاً إلى ملكه ، وينتظمَ المتبددُ
من سلكه ، وإن ندَّ هذا الشاردُ ، فما يأسى له الفاقد ، فلا حظَّ
في ارتباط غادر ، ولو أربى في البأس على أسدٍ خادر . وما أولاه
— أيده الله — أن يرتادَ لصنيعه طريقَ المصنع ، ويودِعَها خيرَ
المستودع ، وأن يرتابَ بالثقات ، ويسِيءَ ظناً بالخدم^٦ تفرساً في السَّمات ،
وقد عري عن الخير مَنْ جمعَ تلك [١٢٤ ب] الصفات : من زُرْقَةٍ
مقلة ، وصُفْرَةٍ بشرة ، وحُمْرَةٍ شعرة ، لا جرمَ أنه نزع بدناءةَ الأروم^٧ ،
إلى أشباهه الروم ، فليبعدْ مثله ، فسيناله ما هو أهله ، ويوبقه^٨ غيّه وجهله .

١ ب م : الممالك . . . الصمالك .

٢ من قول تأبط شرا :

يظل بمومة ويمسي بذيها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

٣ ط س : سايح .

٤ ط س د : مايح .

٥ م ب : بالحزم .

٦ ط س : الأرومة .

٧ ب م : ويوققه ؛ ط : ويوقفه .

وله من أخرى إلى المستعين يعتذر من خروجه عنه : الدهر — أيد الله مولاي^١ — منتقل^٢ متقلب^٣ ، والدنيا دول^٤ وعُقب^٥ ، ومقام القطان في الأوطان ، كمقام الأرواح في الآبدان ، تصبحها إلى آجال موفاة ، عند آماذ مستوفاة ، فمدد^٦ الأحوال مناسبة^٧ للأعمار :

ولنما الناس^٨ نفوس^٩ الديار

وقد عَمَرْتُ ذلك الأفقَ ما امتدَّ المهَلُّ ، فلما نبا أجدَّ الظنن والتحول ، وليس للمملوك على مولاه حق^{١٠} يدعيه ، ولا مطلب^{١١} يقتضيه ، وإنما هو إحسان^{١٢} يوثق^{١٣} ويقيد ، أو تسريح^{١٤} يُطلق^{١٥} فيشرد^{١٦} ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وقال الحكيم : « مَنْ لَانَ تَأَلَّفَ ، وَمَنْ شَدَّ نَفَرَ » ؛ ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، وفي كل مضيق مجال ، وقلما اطردت الخطوة في الدُّوَل ، لمن اختصَّ بالأسلاف الأول ، ومن خدَمَ الآباء لم يخدم الآولاد ، فضلا عن مَنْ خدَمَ الآجداد ، وأنا آية^{١٧} تصرفت ، وحيث تقلبت ، العبدُ القين^{١٨} ، فليحسن^{١٩} بي الظن ، فإني لا أَلِمَّ بنقض ولا ثلم ، ولا أهِمَّ ببغض^{٢٠} ولا وَصَم . ومن أملي أن ألقى مولاي يوماً من الدهر ، بوجه يُسْفِرُ عن أساريه الزُّهر ، صافي الفِرِّندِ من صدأ [يعيب] ، نقي الأديم من خجل^{٢١} يريب^{٢٢} ، وله علي^{٢٣} من كرم العهد كالي^{٢٤} ورقيب ،

١ ط د س : أيدك الله .

٢ ط د س : فمدود .

٣ ط د س : أنى .

٤ ب م : في أي .

٥ ط د س : بغض ولا ثلم ؛ ب م : ببغض . . . بنقض .

وإن أضمرتني من جوانح البلاد^١ جُجِبَ وَغُيِبَ :

فلو كنتُ بالعنقاء أرباً سومها^٢ لخلتُك^٣ إلا أن تصدّ تراني^٤

وقد خاطبتُ من وثقتُ بودة ، وأنستُ إلى جدّه ، فإن جادَ مولاي بالصفح ،
وعاد بالخلقِ السّمح ، فهو الذي يَضْطَرُّهُ إليه عالي منّصبه ، وسامي
رُتبته ، وإن صرم الحبل ، وجذم الأّصل ، فهو حكمُ الزمانِ الفاسد ،
ولا نُعمى^٥ للشامت الحاسد ، فليس بالباقي ولا الخالد ، فكلُّ عرضٍ ذاهبٌ
مع جسمه الفاني ، و « ذكرُ الفتي عمره الثاني »^٦ ، وإن استحِلَّ حرامٌ ،
من دارٍ أورثها كرام ، فالعفاءُ على الجفّنِ إذا سلم الحسام ، وقد صانتهُ
وأغمده ، من زانه إذا تَقَلَّدَه ، وإن تعدّى إلى تغيير الرسوم ، فربما تُبَيِّسَ
على الإقواء ثوبُ النعيم ، وقد قال سقراط^٥ : إذا انكسر الحبّ لم ينكسر
المكان ، ولا يتسّع في تغييره الامكان ، ولك في ما تراه المثلُّ الأعلى ، وفي
ما تتوخاه الشرفُ الأزكى^٦ .

قوله : « وإنما الناسُ نفوسُ الديار » لفظُ بيتِ علي بن محمد الإيادي ،

حيث [١٢٥ أ] يقول :

ماتوا فماتت أسفاً دارهم^٦ وإنما الناسُ نفوسُ الديار^٦

١ ط د س : البعد .

٢ العنقاء : أكة فوق جبل مشرف ؛ وفي النسخ أو باسومها .

٣ ط س : معنى .

٤ من قول المتنبي :

ذكرُ الفتي عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

٥ ط د س : أبقرط .

٦ ب م : الأقصى .

وقوله : « فالعفاء على الجفن إذا سلم الحسام » من قول المعري في مرثيته في أبيه ، ومن جملة شعرٍ يقول فيه ^١

ولإجلالٍ مغناكَ اجتهدُ مقصِّرٍ إذا التَّصلُّ أودى فالعفاء على الجفن

وقوله : « فربما لبس مع الإقواء ثوب النعيم » من قول أبي نواس ^٢ :

لمن دِمنٌ تزدادُ طيبَ نسيمٍ على طولٍ بما أقوتَ وحسن رسومٍ
تجافى البلى عنهنَّ حتى كأنما لبسنَ على الإقواءِ ثوبَ نعيمٍ

ولأنما أخذه أبو نواس ^٣ من قول أحد الأعراب :

شطتْ بهم عنك نيةٌ قدَفٌ غادرتِ الشَّعبَ غيرَ ملتئمٍ
واستودعتْ سرَّها الرياضَ فما تزدادُ طيباً إلاَّ مع القدم

أو من قول الآخر :

ما غيرَ الدارَ بعدَ ساكنها ريحٌ ولا ديمةٌ ولا مطرٌ
كأنَّها ترعةٌ ^٤ يمانيةٌ قد نُشِرتْ في عِراصِها الحِبرُ

وقال الأنخل ^٥ :

لأسماءَ محتلٌ بناظرةٍ البشريِّ قديمٌ ولما يعفُّهُ سالفُ الدهرِ
يكادُ من العرفانِ يضحكُ رسمه وكم من ليالٍ للديارِ ومن شهر

١ شروح السقط : ٩٣٠ .

٢ ديوان أبي نواس : ٨٨ ، وروايته : حسن رسوم . . . وطيِّب نسيم .

٣ س د ط : الحسن .

٤ ط د س : الشمل .

٥ ب م : جرعة .

٦ لم يردا في ديوانه ، والأول له في معجم البكري : ١٢٨٩ ؛ ط د : وقال الآخر .

وقال أبو صخر الهذلي^١ :

لليلى بذات الجيش دارٌ عرفتُها وأخرى بذاتِ البينِ آياتُها سَطُرُ
كأنهما مِ الْآنِ لم يتغيّرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصر

وقال مزاحم العقيلي :

تراها على طولِ القواءِ جديدةٌ وعهدُ المغاني بالحلولِ قديمٌ

وله من أخرى : الناس — أبَدَ الله مولاي — أطوار ، وللبصائر ظُلُمٌ
وأُنوار ، وأكثرهم ساعٍ لأميرٍ لا يدركه ، مراعيٍ لرأيٍ^٢ لا يملكه ، والحقُّ
مستبهمٌ على من يتعسّفُ المجهلَ فيما يسلكه ، ومن أبصرَ رُشدَهُ ،
واستوضحَ قصده ، أمضى عَزَمَهُ مُجِدّاً في سعيه ، ولم يستشرَ غيرَ نفسه
[١٢٥ ب] في رأيه^٣ ، وقد سدّدَ الله تعالى وأنجحَ المسعى ، وقُدفتنا
غُرْبَةُ النوى ، حين هوتْ بي حيثُ الإلف والهُوى ، وله الطَّوْلُ في الإذنِ
والقَبولِ ، والتَّوطئةِ للحلولِ ، بتمهيدِ منزلٍ يتبوأ ، وبمديدِ ظلٍ يُتَفَقِّأ^٤ ،
لا زالَ فيناؤُهُ للقَصَادِ مألُفاً أهلاً ، وَحَرَمًا آمناً .

وله من أخرى عن المؤمن إلى ابن طاهر : محلُّك — أعزّكَ الله — في
طيِّ الجوانحِ دانٍ وإن شطَّ المزار ، وعيائك في أحناءِ الضلوعِ بادٍ وإن
نزحتِ الديار ، فالنفسُ فائِزةٌ منك بتمثيلِ الخاطرِ بأوفرِ الحظِّ ، والعين

١ ديوان الهذليين : ٩٥٦ .

٢ ب م : لأمر .

٣ ب م : غير رأيه في نفسه ؛ وهذا مأخوذ من قول سعد بن ناشب (شرح المازوقي : ٧٤) :

ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبها

٤ ط : أحشاء .

نازعة إلى أن تُمتّع من لقائك^١ بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغُ برداً^٢ ،
 ولا موهبة أسوغُ ورداً^٣ ، من تفضلك بالخفوفِ واصلاً مسعداً ، إلى
 ما نيسَ يتمُّ بمشاهدتك الثامّة^٤ ، وشمل يتّصلُ بمحاضرتك انتظامه^٥ ،
 ولك فضلُ الإجمال ، في آلتاع [من ذلك] بأعظم الآمال ، والإعدادِ
 على الأيتام بقضاء دينٍ ممطول^٦ ، وإنجاز موعودٍ لم أحلّ منه بغير تسويقٍ
 وتعليل ، وأنا على شرفِ سُوددك حاكم ، وعلى مشرعِ سنائك حاتم ،
 وأنت - وصل الله سعدك - بسماح شيمك ، وسجاجة خلائقك وهممك ،
 تنشي للمؤانسة وعداً ، وتوري بالمكارمة زنداً ، وتقتضي^٧ بالمشاركة
 شكراً حافلاً وحمداً .

وله من أخرى عنه أيضاً ، وردني كتابك ، أحسن ما أملاه خاطر^٨ ،
 واجتلاه ناظر^٩ ، من ألفاظ ومعان ، اطرّدت في سلك إبداع وبيان ،
 فحيّت بالروضة الأنف ، وعادت بعذاب النطف ، وهو المقال الصادر
 عن كرم الطبع ، الدالُّ على شرف الأصل والفرع ، الذي تفرّ عن
 واضح الودّ مباسمه^{١٠} ، وتنشق عن ناضر العهد كائمه ، وتنهل بولاكف
 البر غمائم ، وقد وعيت منه ما توفّر به الحظ^{١١} ، وتسوغه^{١٢} السمع واللحظ ،

١ ب م : بلقائك .

٢ ب م : جدا .

٣ ب م : مورداً .

٤ د ط : مطال .

٥ م : وتقتضي .

٦ ط س د : فجت (اقرأ : فجاءت) .

٧ ب م : ويوسمه .

وإن كانت لك مزيةُ السبقِ بفضلِ البيانِ [الذي] يبدُّ الجاهدين عَفْوُهُ ،
 ويفوتُ المجتهدين شأوه ، فالتكافؤُ واقعٌ بالتساوي ، والتوازي نازلٌ
 بمحضِ التجازي ، اكتفاءً بما تضمُّرُهُ القلوبُ ، وتستشفُّهُ الغيوبُ ،
 وهو اليقينُ الذي تجدُّ النفوسَ برَدَّهُ ، وتقِفُ المعارفُ عنده .

وله عنه من أخرى : أنا على رسمي في الحظِّ الموفورِ منك منافسٌ ،
 وإلى عهدِكَ الكريمِ النصيرِ آنسٌ ، ولما انتظم بيننا من موثيقِ
 الوفاءِ كالأُحارِسِ ، وإن سُدَّتْ دونَ اللقاءِ المطالعُ ، فما صُدَّتْ
 عن الصفاءِ المشارعُ ^٢ ، وإني لأدَّخِرُكَ للجلِّيِّ ، وأجِيلُ في الاعتدادِ بسنائكِ
 القِدَحِ المَعْلَى ، [١٢٦ أ] والله يديمُ للعصرِ التحلي بمحاسنك ، ويوضحُ
 سرَّوهُ ^٣ بسماتِ فضائلك :

وله من أخرى : إذا انتظمتِ القلوبُ — أعزَّكَ الله — بالودادِ المكينِ ،
 ووردتْ بصفائه في المشرعِ المعينِ ، تساوى البعادُ والاقترابُ ، ولم يوحشِ
 التوقُّفُ والإغبابُ ، ولا مزيدٌ على ما تحقَّقه من جنوحٍ إلى فضلك ،
 وتصريحٍ بأحسنِ الثناءِ على جلالِ محلك ، واعلمْ أن عهدَكَ الناصرَ
 لا يذوَى ، وبرِّكَ المستجدُّ لا يبلى .

وله من أخرى : المقدماتُ توطئُ في الكلامِ لإيضاحِ النتائجِ ،
 وإمرارِ الكلامِ على أطرادِ المناهجِ ، وأما إذا كان المطلوبُ جلياً متبيناً ،
 والودادُ المرتادُ في النفوسِ زكياً متمكناً ، فتكلُّفُ ما يُستغنى عنه عيى ،

١ ط د س : وهذا .

٢ د ط : صدرت ؛ س : الموانع .

٣ د ط : عذره ؛ س : غوره .

٤ د ط س : توطأ لاتضاح ؛ ب : توطأ ؛ ط : الشناهج .

لا سيّما إذا خوطبَ ذكيُّ أُلعي ، ومثلك الحميمُ الكريمُ الذي يُتَمَيَّنُ صفاؤه ، وَيُدَّخَرُ وفاؤه ؛ وكنتُ قد خاطبتك مشعراً نيتي في التحوّل ، وعزّمتي في التجوّل ، حتّى تُلقَى العصا ، وتستقرَّ النوى ، حيثُ الصَّغْوُ والهوى ، وأومئُ في ذلك إلى البيت الذي يعرف ويروى ^١ :

تقولُ سليمي لو أقمتَ بأرضنا ولم تدرِ أني للمقامِ أطوفُ ^٢

وقد تفسّح ^٣ المسالكُ بما يَسْرُه الله من تملك تلك القاعدة ، وأنا بحولِ الله مزجٌ للرحيل ^٤ ، إذا انفرجتِ ^٥ السبيل ، فَطَوَّلَكَ في إعلامي بحالِ المسالكِ من مُرْسِيَةِ إلى المغارب المتياسرة والتميامنة ، وكيف مكان التشييع ^٦ حتّى يوصل إلى مأمنٍ بذيابٍ لا يَخْفَى وَعُرْفٌ لا ينكر ، فأُنجِدُنِي ^٧ من ذلك بياناً ، كأني قد شاهدتهُ عياناً ، فالحازمُ الذي يسدُّ إلى الغرض قبل إرسال سهمه :

وله [من أخرى] إلى ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار عنايةً بآبن الحدّاد : المحاسنُ التي تُؤثّرُ عنك بالسّرِّ والسّناء ، والمحامدُ التي تتلاقى عليك بها ألسنةُ الثناء ، تُحيلُ إليك أحناءَ القلوب ، وتقفُ عليك نخائلُ

١ د ط : ويلوى ؛ س : يروى ويعرف .

٢ البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٣٤ .

٣ ب م : يفصح .

٤ ط د س : الرحيل .

٥ د ط س : افرجت .

٦ د ط س : إمكان السعي .

٧ أجمده بياناً : أوسعّه وأتى بما كفى وفضل ؛ ط د : فأُنجِدُنِي (حيث وقعت) .

الصدور ، وقد أصبحت بفضل الله^١ حلية الزمان ، ومفخر الأوان ،
ومسمى عيون الأفاضل والأغيان ، بما نزعَتْ به من كرم^٢ الخلائق ،
وسموّ الهمم السَّوابق ؛ وما زلتَ - أدام الله عزَّكَ - تجلو على المتوسلين
إليك صفحاتِ البشر ، وتزلهُمُ في ذرّاك عرصاتِ الإجمالِ والبرِّ ،
فتجني ثمراتِ المجد^٣ ، وتتنشقُ نفحاتِ الشكرِ [والحمد] .

ومن أولئك الأعيانِ الأكابر ، [بل] المُبِيرُ عليهم بخصائصِ المآثر ، فلان ،
فاني ما أفأوضُكَ في وصفِ مناقبه ، وأعلمك بكريمِ ضرائبه ، واعتلائه
[١٢٦ ب] في مراقي العلم^٤ وتسنّمه ، وشفوفيه بالبراعة في الإبداع
وتقدّمه ، مفاوضة مَنْ يسمُّ لديك غُفلاً ، وينبّه خاملاً ، ويدكرُ
ناسياً ، فإنك أعلى ملحظاً ، وأزكى تيقظاً ، من أن يغيبَ عليك مكانُ مثله ،
ولا يتقرّرَ لديك سموُّ محله ، في إحسانيه وفضله ، وحسبُكَ به جملةٌ
تُعني عن التفصيل ، مع عالي نظركَ الجليل ، أني ما عاشرتُ أكبرَ منه
في البر والصلة ، ولا أقومَ بحقيقةِ الودِّ والخلة ، ولا ناستُ أطيبَ منه
نفساً ، ولا أمتع أنساً ، نفاسةً خيِّمَ ، صادرةً عن شرفِ أروم ، وأنت
خليقٌ بالاستكثارِ من جانبه ، والاجمالِ في معونةٍ مطالبه .

وكتب^٥ عن المقتدر إلى أخيه صاحب لاردة : وصلتِ الهديةُ التي

١ ط د س : فقد بفضل الله أصبحت .

٢ ب م : برعت ... كريم .

٣ ب م : الحمد .

٤ ط د س : وتنبّئي بنفحات ؛ ب : وتتنشق .

٥ د : يدل السبر ؛ ط : يريل السر (دون إعجام) ؛ س : تدل البر .

٦ ط د س : العل .

٧ ط د س : وله من أخرى .

أَصْدَرَتْهَا سَاحَةُ الْفَضْلِ ، وَتَضَمَّنَتْهَا^١ رَاحَةُ النَّبْلِ ، وَزَقَّهَا الْمَجْدُ زَفَافَ
الْهُدْيِ تَرْفُلٍ فِي الْحَلِيِّ وَالْحُلْلِ ، وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الْآسِ ، فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ
الْأَنْفَاسِ ، وَتَلَقَّيْتَهُ بِمَا يُتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كَرَامِ الزَّوَارِ ، إِذْ كَانَ بِحَكْمِ
الْإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ ، بِدَوَامِ عُهُدَتِهِ^٢ ، وَبِقَاءِ جِدَّتِهِ ، وَتَمَادِي
نَضْرَتِهِ ، وَتَنَاوَلَتْ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الْوَاصِلَ مَعَهُ فَفَضَضْتُ خَتَامَهُ ،
وَتَرَشَّفْتُ مُسْتَوْدَعَهُ^٣ ، وَتَسَوَّغْتُ مِنْهُ شَمُولًا مَعْتَقَةً^٤ ، لِلذَّةِ^٥ عِبْقَةً ،
قَدْ تَنَاهَتْ رَقَّةً وَصَفَاءً ، وَلَمْ تُبْنَقِ الْأَيَّامُ مِنْهَا إِلَّا هَبَاءً وَلَأْلَاءً ، فَهِيَ تَمْنَعُ
الْكَفَّ^٦ ، مَا تَبِيحُ الطَّرْفِ ، وَأَدْرَتَهَا بِالْقَدَحِ الَّذِي أَجَلَّتْ بِهِ مُعَلَّى الْقَدَاحِ ،
قَائِمًا عَلَى قَدَمِ الْإِعْظَامِ أَهْزُ عَطْفِ الْارْتِيَاكِ ، وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي فِي ذَلِكَ الْمَأْلَفِ
الْعَزِيزِ حَاصِلٌ ، وَفِي ذَلِكَ الْمَأْنَسِ الْجَلِيلِ مَائِلٌ ، فَنَحْنُ مَتَلَقِّيَانِ بَعِيَانِ
الْإِحْضَاصِ^٧ وَالْإِخْلَاصِ ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِاللِّدَوَاتِ وَالْأَشْخَاصِ ، وَوَصَلَ مَبْكَرُ
الْبَهَارِ الْجَنِيِّ ، مَمْتَعًا بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيِّ^٨ ، وَعَرَفْنَاهُ الدَّكِيِّ^٩ ، قَدْ شَخَصَتْ أَخْدَاقَهُ ،
وَرَاقَتْ أَوْرَاقَهُ ، يَمْدُ بَنَانٍ لَهَبٍ^{١٠} ، وَيَرْنُو بِحَدَقٍ حَمَرٍ [تَلْتَهَبُ] ، كَأَنَّهُ^{١١}
لِكَلِيلٍ تَبَرٍ ، مُرَصَّعٌ بِبِوَاقِيَتِ صُفْرِ ، وَهُوَ شَبِيهُ الرَّاحِ لَوْنًا وَمَشْمَأً^{١٢} ،
قَدْ تَكَافَأَ بَيْنَهُمَا الْإِنْتِسَابُ ، يَحْكِيهِ مِنْهَا الْجَامِدُ ، وَيَحْكِيهَا مِنْهُ الْمَذَابُ ،

١ م : ونظمتها .

٢ ط د س : مهدده .

٣ د ط س : لدنة .

٤ ط د س : الأشخاص .

٥ م : الهني ؛ ب : النهي .

٦ د ط س : ذهب .

٧ د ط : كأنها .

٨ ب : ومنثما .

وَأَسْفَرَ غُضَّ الْإِسْفَرَجِ^١ ، عَمَّا خُصَّ بِهِ ذَلِكَ الْأَفْقُ مِنَ التَّرَابِ^٢ الدَّمِيثِ^٣ والهَوَاءِ السَّجْسَجِ ، فَسَقَاهُ اللَّهُ صَوْبَ السَّحَابِ ، وَلَا زَالَ مَخْضَرَّ الرَّبِيِّ خَضِيلَ الْجَنَابِ ، وَاقْتَضَى حَكْمُ الْأَدَبِ الْمُتَعَارِفِ فِي السَّلَامِ وَالْمُبَادَاةِ^٤ ، رَدَّ التَّحِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَنَاطِلِ وَالْمَعَاظَةِ ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْمَعَارِضَةِ^٥ وَالْمُبَارَاةِ ، وَقَدْ أَنْفَذْتُ رِيحَانًا مَشْمُومًا ، وَرَحِيقًا مَخْتُومًا ، وَلَكَ الْفَضْلُ فِي تَسْوِغِ مَا سَقَيْتَ ، وَتَنْشِيقِ مَا أَهْدَيْتَ [١٢٧ أ] .

وله من أخرى إلى المقتدر^٥ على لسان النرجس : أنا — وصل الله بهجة سلطانك ، ونضرة أوطانك — إذا لحظتني بعين الاعتبار ، قائد النوار ، ووافد الأزهار ، وأنا لها جالب وهي طاردة^٦ ، ومبشر بورودها وهي مؤيسة متباعدة ، فإني^٧ غلبت بما في طبعي من التيقظ والدكاء ، خلدت التراب^٨ وصرد الهواء ، ففقت عن إساءة الفصل عذراً ، ونحلت الشتاء^٩ على الربيع فخراً ، وفضلت الورد سيد الأزهار طراً ، وتوردته شاهد خجله ، وتستره من الحياء في أكمته وكلله ، فلي عليه فضل العيون

١ الأسفرج (Esparrago) وهو الهليون ، ويقال له أيضاً بجمجمة الأندلس : الاسفراج ، سفارج .

٢ ب م : التراب .

٣ د ط : والمبادرة إلى .

٤ س : المقارضة .

٥ إل المقتدر : سقطت من د ط س .

٦ ب م : طارية .

٧ د ط : فإئما .

٨ ط د س : جلد التراب (اقرأ : جلد بمعنى جرد) .

٩ ط د س : ومحلت السناء .

على الحدود^١ ، وشرفُ السيّد على المسود ، فبينما أنا سقيمُ الجفونِ من غيرِ سَقَمٍ ، مائلُ الجيدِ من دونِ^٢ ألم ، حتى أُتِيخَ لي ظريفٌ من خواصِّك يقصِّدني ، ونبيلاً من عبيدك يعتمدني ، فأوجستُ حدراً وتشوّفاً ، حتى أنسني بالكلام تالفاً ، وقطفني بغير إيلامٍ تلطّفاً ، وحاورني بلفظٍ يلقنه^٣ النوارُ عياناً ، وإن لم يحسنْ عنه بياناً^٤ : يا أيّها الزهرُ الفاردُ ، والنورُ الشارد ، الساحرُ بحدقه وأجفانه ، الناظرُ بورقه وأغصانه ، الباهرُ بورقه وعقيقانه ، ما لي أرى قُضْبِكَ غبراً ذابلاً ، ومنايبتك شعناً ناحلةً ، وعهدي بك تمجُّ الأنواء^٥ ريقته في ثغورك فتصبحُ حافلةً ، وترضع^٦ الأنداءُ أفنانك فتغدو حاملةً ، فتنوء^٧ بجيدك مثنياً ، كأنك أصبحت مُنتَشِياً ، وقد ساءَ لي ما عاينتُ من ضناك ونحولك ، فبادرتُ جنّاتك لإشفاقاً من ذبولك ، لأنْقُصْلِكَ من جنّابِ النبات الهشيم ، إلى جنّابِ^٨ السُرورِ المقيم ، وتسعدُ بالفوز العظيم ، باستلامِ^٩ راحةِ الملك الكريم .

وفي فصل منها : فليت الرياضَ تعلمُ بمكاني فتذبل كمدّاً ، وتدوّى^{١٠}

١ ب م : العنوان على الحدود .

٢ ط د س : من غير .

٣ ط د س : بلفظه .

٤ ط د س : تحسن . . . عنواناً .

٥ ط د س : والنوار .

٦ ط د : الأنوار .

٧ م : وترضع .

٨ ط د س : فتشّفي .

٩ ط د س : جنّات . . . جنّات .

١٠ د : في استلام ؛ ط س : في استلامه .

١١ ط د س : وتلدوي .

حَسَدًا، وتراني وقد أنرتُ في أفقك البهيج، وزهرتُ في روضيك الأرج،
فكم تَمَنَّى الأزهار أن تضام لديك مطالبي، وتكدّر في ذراك مشاربي،
فأزل عني حَسَدَهم بكتبهم^١، فقد شجاهم تَقَدُّمي قَبْلَ وقتهم،
وأَكْمِلَ مَسَرَّتِي وتمم أنسي، بلقاء شقيقة نفسي، فإني قسيمها وحميمها،
ومني لونها وشميمها، وأنا أشبه بها إذا شُجَّتْ وأدارتْ عيون حبيب،
من حصباء در في أرض ذهب^٢، وطبعي نظير طبعها، وما تقر عيني
إلا بدمعها، فلا تحتقر أيها العزيز مناب مثلي واعظاً مفصلاً، وهنا شفيعاً
منجماً، فإن الأزهار على العموم، تجلو قذى العيون وتفض ختام الهموم،
فهي كاللغور أوضَحها ابتسام، وكاللآلي زانها [١٢٧ ب] في الأحياد
انتظام. وما مثلت بين يديك إلا لأسم غفل العلم، فالعصا قرِعتْ
لذي الحلم^٣، فلا تُضع أيها الملكُ سَبَقَ تقدُّمي، وحق متقدُّمي،
فقد أشخصتُ طرفي إليك آميلاً، وبسطتُ نحوكَ كفي سائلاً، وحسبي
أن تُلَاقِيَنِي ببشرِكَ، وتناجيني بفكرِكَ، فتنبه العزم من وسّته، وتنشر
الحزم من جَنَنته، فلك من براعة العلا، وأصالة النهى، ذكاء يَري
لأوّل اقتداح زَندهُ، ومضاء يقري بأيسر هز حدّه، ولديك من مناهل
الكرم، وفواضيل النعم، ما يزري بالمزُن ويوفي على الدّيم :

١ من قول المتنبي :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

٢ من قول أبي نواس :

كأن صغرى وكبرى من فواقعهما حصباء در على أرض من الذهب

٣ من قول الحارث بن وعلّة (الحماسة : ٤٥ شرح المزدوقي) :

وزعمت أن لا حلوم لنا . إن العصا قرعت لذي الحلم

والشطر الثاني مثل ، انظر الميبداني ١ : ٢٥ والسمط : ٥٨٤ .

٤ ط د س : ويربي .

فانفج لنا من طيبِ خُلُقِك شِمةٌ إنْ كانتِ الأخلاقُ مما توهب
وروا^١ برح ظمائي ، وانقع صدائي ، ولا تكلْ إلى الأنواء سقياي .

وله عنه من أخرى إلى المظفر أخيه ، وقرن بالرقعة ظرفَ بلتور
[أحمر] مملوءاً خمرأ مع باقة آس ، يسليه عن ابن توفّي له ، واشتدَّ
حزنه عليه : لما كانت نفائسُ المواهب ، وخطيراتُ الرغائب ، مرتادةً
لأجلِ النفس ، التي بها مادةُ الحياة والحس ، وهي نورُ البدنِ المبصر^٢ ،
وسائسُهُ المدبّر ، وَجَبَ بحكم العقلِ الذي أفاضَ عليها سناه ، وأفضى
إليها بهداه ، أن تكونَ العنايةُ بدوامِ صحتها ، موازيةً^٣ لتقدمها بالفضيلةِ
على البدنِ ومزيئتها ، إذ كان لها البقاءُ وله الفناءُ ، ولها الفوزُ في المعاد ،
وله الانتقالُ إلى الأضداد ؛ وخاصةُ النفسِ التي تنفردُ بها ولا تشاركُ
فيها معنى السرورِ والجلدِ ، وغايةُ الرجاءِ والأملِ ، وبه المتاعُ في الدنيا ،
والنعيمُ في الأخرى ، ونقيضُهُ الحزنُ ، وهو ألمٌ من آلامها يطمسُ نورَها
ويكدّرَ صفاءَها ، وينخصُ نعمتها وهناءَها ، فإذا انجذبتُ مجيبةً لدواعي
الهمِّ منقادةً في زِمَامِهِ ، ولم تدافعهُ عند اعتراضِهِ ولِلمَامِهِ ، اشتملت
على المضطّضِ والنكّثِ ، وحصلتُ في غمّةِ الركودِ والتبلدِ . وبحكمِ ذلك
يحقُّ على الحازمِ اللبيبِ ، أن لا يتيّ عن الأخذِ من أقسامِ السرّةِ بأوفى
النصيبِ ، فيستمتعَ بالمواهب أيامَ مصاحبتهَا ، ولا يجزع عند ارتحالها

١ ط د س : وروح .

٢ ط د : والبصر .

٣ ط د س : موازنة .

٤ ب م : وينقص .

ومفارقتها ، ويستشعر أنها مُعاراة لتؤدّي ، مُودعةً لتقضى ، فلا يأسفُ
عند اقتضاها وارتجاعها ، ولا يأسى عند بَيْنها ووداعها ، ويجاهدُ الهمَّ
إذا اعتلجَ في صدره ، بمضامِ عزمِهِ وقوّةِ صبرِهِ .

وقد أسَمَى الله من مراقي شفوئِكَ وتقدّمِكَ ، وأوضَحَ من معالي
سجايك وشيمك ، بحيث يُقْتَدَى بِأَثَرِكَ ، ويهتدى بعملك ، وحسبي
[١٢٨ أ] أن أومىءَ بما عرضته مذكّراً ، فتلاحظه بنظرك الجليّ معتبراً ،
وتعرضُ^٢ عن نوازع الخطوبِ مُقْصِراً ، وتستأنفِ مقتبلَ الزمانِ الأغرَّ
الجديد ، والدهر الميمون السعيد ، فتُشرعْ لمطالعة الأُنسِ باباً ، وتمهّدْ
لمواصلته جناباً ، وقد تعرّضَ لي لئفُ كنتُ أصِلُهُ وأدنيه ، فأنا الآنَ
أهجره وأقصيه ، فلقي منّي انزواءً عنه وانقباضاً ، وشكا مني جفاءً
وإعراضاً ، فتصدّى ضارِعاً مُلْحِفاً ، في أن أُرْسِلَهُ نحوكَ مُسْتَعْظِفاً ،
فأسعَفْتُهُ وأودَعْتُهُ ، ما تحمّله وأزعَجْتُهُ ، وهو — أنسَ الله مشاهدك ،
وأنضَرَ معاهدك — زائرٌ مُلْطِيفٌ يتقدُّ طَبْعُهُ ذكاءً ، ومؤنسٌ يُسْتَشْفَى
ظَرْفُهُ صفاءً ، عَطَرُ المذاكرة عَبِيقُ المفاكهة ، يفضُّ ختامَ الهمومِ
بنفحِ المناسبة وطيبِ المفاوضة ، وقد زار متوصلاً برسالي ، متوسلاً
بشفاعتي ، وصار عن يدي وانتقل عن راحتي ، وهو المجفوفُ المهجورُ حتى
تأذنَ بتقريبه وإيثارِهِ ، والعاملُ المصروفُ حتى تمنَّ بتولينه وإقرارِهِ ٥

وكتب على لسان المنجم بلاردة ، الملقب بالعافية^٣ ، وقد أصيبت إحدى

١ افتتحت هذه الفقرة في د ط س بلفظي : وفي فصل .

٢ ط د س : وتعرض .

٣ ط : بالقافية ؛ د : بالقافية ؛ س : بالعافية .

عينيه ، إلى الطبيب بها الملقب^١ بالبرذقون^٢ ، وقد أصيبت إحدى^٣ خُصْيَيْهِ :
 أنا أدعو [لك] — يا سيدي ومولاي ومن أنا عبدهُ على العموم — بمجهودِ
 الدعاءِ بدوامِ النعمة ، وأقابلهُ^٤ بعدُ بما يَخْصُهُ ، حَسْبَ ما عليَّ ينصّه :

فَوُقِّيتَ بِقِرَاطِ الطَّيُورِ تَطَبِّبًا إذا عالجَ البرسامَ أو أبرأَ البرصَ
 منَ المنسَرِ الأشغَى ومن حَزَّةِ المَدَى ومن بندقِ الرامي ومن قَصَّةِ المقصص
 فهدي دواهي الطيرِ وقُيِّتَ شَرُّهَا إذا الدهرُ من أحداثه جرَّعَ الغُصَصِ

وقد جرَّعتني أحداثُ الدهرِ غُصَصًا ، وعدتُ مثلوماً منتقصاً^٦ ، مشوهاً
 بعدَ اقْتِبالِ الجمالِ ، مؤنَّسُ اليمينِ مُوحَشَ الشمالِ ، كأني شقٌّ^٧ في
 قَفَرٍ ، أو حوتُ موسى في بحرٍ ، وقد صُنِّتْهَا بِرَقْعَةٍ^٨ خِمارٍ أَسْوَدَ ،
 وأدَّعي أَني أَشْكُو^٩ الرَّمَدَ ، وربما سقط فأتَّبِعُهُ باليدِ ، وأنشِدُ قبل
 أنْ أنشِدَ^{١٠} :

سَقَطَ النِّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطهُ فتناولته واتقتننا باليدِ^{١١}

١ ط د س : إلى طبيب يلقب (ط : يلعب) .

٢ البرذقون : لفظة تعني الفتي أو الشاب .

٣ ط د س : أصيب بإحدى .

٤ ط د س : وأقابل له .

٥ ب م : بعد ما . . . بحسب .

٦ ب م : منتقصاً .

٧ ط د س : نسناس .

٨ ط د س : بخزقة .

٩ ب م : أشكو إلى .

١٠ ط د س : استنشِد .

١١ البيت للشاذلي الديباني ، ديوانه : ٣٤ .

ومالي سلو عندما دهنتي الأيامُ بالنقص في أكرم^١ أعضاءي وأشرفِ جوارحي
إلا بما أتسني به بعضُ إخواننا قائلًا : هاك حديقًا يسليك ويعزّيك ،
بمزيد حظٍّ وصلَ إلى الحكيم أخيك ، فقلت : هات حدثني^٢ بالحق عن
البرذقون ، فاستُ ممّن يؤمنُ بالأغرُقون^٣ ، فقال : إني اختلستُ
منه في الحمام نظرةً فرأيتُ إحدى خُصّيه في قدَرِ الدلاءِ^٤ العظيمة ،
[١٢٨ ب] والأخرى على الهيئة القديمة ، فقلتُ له : أراك أبرزتَ^٥
قثاءً في عباءة^٦ ، قد ركبْتَ باذنجانةً وأردفتَ دباءة^٧ . فأطربني
طيبُ نادرته^٨ ، وأمتعني خبرُ إفادته ، وعدتُ إلى اللازم من مخاطبتك بالتهنئة
والإيناس ، وما علينا من كلامِ الناس ، وما تخطّتي نعمةً وفدتُ عليك ،
ولا آلني نقصٌ مع مزيدٍ وصلَ إليك ، والعاقلُ لا يتنكّد بما تراه^٩ العوامُ
قبيحاً مستحيلاً ، إذا كان في حكم الخواصِّ حسنًا جميلًا ؛ وفي عِظَم
إحدى خصيتيك^{١٠} — أتماهما^{١١} الله — فضائلُ يعرفها العلماء ، ولا يجهلها الحكماء ،
فقد قال الفيلسوف : إن البيضتين كالمعلقتين ، تعدّ لأنِ الجسم ، وتسوسان^{١٢}

١ ب م : أكثر .

٢ ط د : حدثنا .

٣ لعل المقصود العقار الذي يسمى : غاريقون أو أغاريقون (من اليونانية ؛ وباللاتينية
Agaricum) وهو شيء أشهب يوجد في قلب شجرة الأرز (انظر تحفة الأحياء :
ه ٤ ومفردات ابن البيطار : غاريقون) .

٤ الدلاء : البطيخة .

٥ ط د : أخفيت لنا ؛ س : أبرزت لنا ، وبالهامش خ : أخفيت .

٦ الدباءة : القرعة .

٧ ب م : بادرته .

٨ ط د س : ي .

٩ ط د : خصيتك .

١٠ ب م : أتماها .

١١ ب م : ويسوفان .

البدن ، وهما كالمادة^١ للقوة الطبيعية ، والمعونة للحرارة الغريزية ، ويشبهان بالأثقال تعلق^٢ من السقاء^٣ فترم رخيته^٤ ، وتضم قصيته ، وإذا عظمت الواحدة^٥ ، بانت الحصلة الزائدة ، فان البناء إنما يزن^٦ برصاصة ، والمهندس يرصد^٧ بشاقول^٨ ، وربما هجس^٩ في نفسك ، أنك تصير^{١٠} إلى الفرك من عرسك^{١١} ، فتشذك ، وإنما تقصدك :

قد حلفت بالله لا أحبه^{١٢} أن طال خُصياه وقَصَرَ زُبُه^{١٣}

وهذا الشيد^{١٤} ، في مثلك بعيد ، فان متاعك يطول للصغرى ، وتطواه الكبرى ، فيتبين^{١٥} اعتداله^{١٦} ، ويبدو كماله ، وقد سلمتا من التشبيه بفرّوجين أو أترجتين ، ولا يسوغ^{١٧} فيهما ولا يجوز ، أن يكونا كثنتي حنظل في ظرف عجوز^{١٨} ؛ أستغفر الله ، وكيف تفرّكك غانية^{١٩} ، أو تعتصم^{٢٠} منك مخدرة ، وما على ظهرها خود^{٢١} إلا^{٢٢} وهي إذا عثرت في مِرطها أعيدت^{٢٣} باسمك ،

١ ب م : كالمبدأ .

٢ ط د س : والأثقال تعلق .

٣ ب م : السدا .

٤ ط د س : يوزن .

٥ س د : بسافوره ؛ ط : بساموره .

٦ ط د و خ بهامش س : زوجك .

٧ ط د س : فيسبق .

٨ فيه إشارة إلى قول الراجزة (الحماسية رقم : ٨٣٦) :

كان شخصيه من التدلل سحق جراب فيه ثنتا حنظل

٩ ب م : مخدرة .

١٠ ب م : أغرت .

ولا فتاة عَرُوبٌ إِلَّا وهي تَسْتَغْثِي من غيرِ نَعْسَةٍ رجاء في لقاء خيالك^١ ،
ولا محجوبةٌ مَصُونَةٌ إِلَّا وهي تَرَقُّعُ الكُوى بالمحاجر لمرك^٢ ، وهل في
تمامك ريبٌ فيعالج بحجة ، أو في فضلك ردٌ فيثبت بيينة^٣ ، وقد استويت
الآن بأثقالك ، واعتدلت بأرطالك ، ولوددت أن الأيام أعطني ما مَنَحْتِك
زيادة على ما نقصتني فكانت تكملُ صناعتي ، وتنقُ بضاعتي ، ولاستغيتُ
عن اسطرلاب كُرِّيٍّ ، وكرة ذات كُرسيٍّ ، إذ كنتُ أعودُ من الأدرّةِ ،
إلى أصح كُرّةٍ ، قد ماسها جرمُ أسطواني ، ومخروطُ عصباني^٤ ، يكون
تارة عضادة اسطرلاب ، وتارة مقياس باب^٥ . وما أنا وتمني ما لا أدركُ ،
وحسد ما لا أبلغُ ! ! الآن عدت فائقاً في الجماع ، وليس العيان كالسماع ،
فالخصية إذا عَظُمَ جِرمُها ، وكبرَ حجمها^٦ ، تضاعفت في التوليد
قوتها ، وتزايدت مادتها ، ولك المزية ، فإنك إنسانٌ حجلي^٧ ، أو حجلي^٨
إنسي^٩ ، [١٢٩ أ] فقد ذكر صاحبُ كتابِ الحيوان^٩ أن إناث القبيح

١ ناظر إلى قول المجنون (ديوانه : ٢٩٩) .

وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقي خيالها

٢ من قول عمر (ديوانه : ٢١١) :

وكن إذا أبصرني أو سمعني سمين فرقه من الكوى بالمحاجر

٣ ب م : فتعالج الحجة . . . فتثبت بيينة .

٤ ب م د ط س : عصياني .

٥ د ط : مكور .

٦ ب م : ظل .

٧ ط د : جسمها .

٨ ب م : لإنسان .

٩ م : حياة الحيوان .

تستقبلُ الذكورة ، فتتنسمُ الريحَ تهبّ من تلقائها فتحبل^١ ، وتصيح للصوت يصل من تلقائها^٢ فتحمل ، فاسحبُ أذيالكَ فاخراً ، فقد تقدمتَ أولاً وأخراً ، فلك من جهةِ الإنسانية سببُك في الفضائل^٣ ، وحلاوة الشمائل ، وحرارة النادرة ، وطيب الفكاهة ، مع شفوئك في الصناعة ، فعلاجُك في الاصابة والطف ، كأنه وحي أو أخذ بالكف ، إذ كنت تهزلُ بجالينوس ، وتلهو بلحية اسقليبيوس^٤ ، فلنك من فرقة أصحاب الحيل ، وهذا رأيُ أذاك من جهةِ مزاجِ الحجل ، فنصرت تاسلاس^٥ ، على جميع الناس ، وغنيت بجنس^٦ الاسترسال والاحتباس ، عن هذيان أصحاب القياس ؛ وأما فضلك من جهةِ القبح فهناك الملاحاة والحلاوة ، والرشاقة والطلاوة ، فلك من جمال الشفة ، ما يعرفه أهل النصفة ، فقد قبّح كلُّ لُمى بالسُّمرة ، وحسّن لَمَكَ بفضلِ الحمرة ، فالحسن أحمر^٧ ، وهذا حق لا ينكر ، ولك من جهة^٨ المشي ما جهدتِ الطيرُ في امتثاله ، كلفاً بجماله ، وربما

١ قال الجاحظ (الحيوان ٧ : ٢٤٨) : والحر والقيح ربما ألحقا الإناث إذا كانا حل

علاوة الريح .

٢ ط د س : قبلها .

٣ ط د س : بالفضائل .

٤ م ب : اسقليثوس ؛ وانظر ابن الأديم : ٢٨٦ .

٥ كذا في ب م ؛ وفي ط د و خ بهامش س : فصرت به ملكاً ؛ ولا ريب أن « تاسلاس » اسم لأحد أصحاب الحيل (علم الميكانيك) وأقرب الصور إليه « تاسلوس » وهو والد بقرط الرابع

(الفهرست : ٢٩٣) ب م : فبصرت ؛ س : فنصر .

٦ ط د س : وغنيت بجمى .

٧ هذا مثل ؛ انظر فصل المقال : ٣٤٤ والميداني : ١٣٤ .

٨ ط د س : حسن .

تشبهتُ بمشي الحجل ، فينلن^١ الحُسْن بالحيل :
 وكم من غرابٍ رام مشية^٢ قبجةٍ فأنسي ممشاهُ ولم يمشِ كالحجل^٣
 وما تفعلُ برقة ساقك مع عموم محاسنك وبراعة حلاك^٤ ، فلا تحفلُ
 بقولِ الراجزِ الجلف ، فكلامه يخرجُ إلى الخلف^٥ :
 وهل علمتِ يا قفي التثفلهُ ومرسِنَ العجلِ وساقَ الحجله^٦
 وهذا الغزال ، وهو النهايةُ في الجمال ، له دقة الشوى ونشوزُ القرن وصدع
 الظلف^٧ ؛ والطاوسُ — وهو الغايةُ في الحسن — له قُبْحُ الرجلين وعُرْيُ
 الساقين ، وإنما يوصفُ الشيءُ بالأغلب عليه ، فيذكرُ به ويُنسبُ إليه ،
 فقد برعتَ وبهرتَ^٨ وقهرتَ ، فأنت كالشمسِ لا يتعلقُ بها دنسٌ ولا
 ثَلَبٌ^٩ ، وما يضرُّ القمرَ أن ينبحه كلب^{١٠} .

١ س : فنلن .

٢ ب م د ط س : في مشي .

٣ البيت في ثمار القلوب : ٤٨٩ دون نسبة ، وروايته : وكم عقق قد رام .

٤ د ط س : جلالك .

٥ من أرجوزة أورذا القائي في أماليه ٢ : ٢٨٥ ونسبها لأعرابي وقال النجيري : الرجز
 للأصمعي (انظر السط : ٩٣٠) ، وهي في الأصمعيات : لصخير بن عمير التميمي ،
 وسماء في الجمهرة ٣ : ١٣٠ صخر بن عمير ، وفي اللسان (مرطل ، ثمل ، ضلل) صخر
 ابن عبيدة أو ابن عمير أو صخر النقي ، وزعم أبو حاتم أن الرجز ليس بقديم ، كأنه يقول
 هو من كلام المولدين (التاج : قفا) .

٦ قفي : تصغير قفا ، وقد حذف منه التاء ؛ التثفلة : الأنثى من ولد الثعالب ؛ والمرسن من
 الأنث : موضع الرسن .

٧ ب م : وصدع الصلف .

٨ ط د و خ بهامش س : بهرت وبرعت .

٩ من الأقوال المشبهة لهذا : قد ينبع الكلب القمر فيلقم الحجر ؛ ومنه أيضاً : لا يضر السحاب
 نباح الكلاب (انظر التمثيل والمحاضرة : ٣٥٣ ، ٣٥٤) .

جوابها من إنشائه أيضاً على لسان الحكيم البرذون المذكور :
يا سيدي الذي أعترفُ بخصائصه التي انفردَ بِجمالها ، وأقرُّ له بمحاسنه التي
استبدَّتْ^١ بِجمالها ، وإن كانتْ قد دبَّتْ عقاربُ حسادته ، وما يستطيعُ
أن ينسلخَ عن ذميم عاداته ، ووجدتهُ قد نعى بصره ، وشكا عورَه ،
وأثنى على شرعي ، ولم يحفل بعرجي^٢ :

إنَّ في الجسمِ دمايَ لَ وقُرَحَاتٍ مُلِحَّةً
ليتها في عينٍ مَن يَز عمها مالا وصحه

وقبَّحَ الله النَّهَمَ فعنه تكونُ العِلَالُ المتولدة ، وكل داءٍ أصله البرَدَّةُ^٣ ،
ومع ما رُكِّبَ فيَّ من الشرِّ [١٢٩ ب] إلى المأكَل ، فإني متطفِّلٌ على
استجازه أكلِ الحجل ، فأذهبَ الله نفسي ، يومَ أرومُ أكلَ أبناءِ جنسي ،
إذنُ أكونُ كالزنج الأنجاس ، الذين يستجيزونُ أكلَ لحومِ الناس ،
بل اني أطلبها من مظانِّها وأرتادُها ، وأنصبُّ لها الحبالَ واصطادها ،
ثم أرسلها أسراباً وأفواجاً ، وأسرحُها فرادى^٤ وأزواجاً ، وأنشد متمثلاً :
أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليومَ من وحشيةٍ لصديق^٥
وإن تكنْ — جُعِلْتُ فداك — قد أصابك عور ، ونالك منه ضعف^٦ وخور ،

١ ط د س : استبد .

٢ ب م : شرعي . . . بعرجي .

٣ البردة : التخمّة ؛ وهذا حديث ، انظر الفائق ١ : ٨٤ .

٤ ط د س : يستحلون .

٥ ط د س : افراداً .

٦ البيت للمجنون ، ديوانه : ٢٠٦ وروايته : من بين الوحوش .

٧ م ب : ونالك مستضعف .

وهو نقصٌ في الظاهر ومزیدٌ في الباطن ، فقد حبّيتَ باجتماع نورِ البصر
وكان متفرّقاً ، واتحاده وكان مبدّأ^١ ، فقد كان النورُ مرسلاً إلى
الحدّقتين في العصبّتين الجوفائين ، فلما انسَدَّ ثَقْبُ الواحدة عاد إلى
الأخرى موفوراً ، وشفع بنورها نوراً ، كالحالِ في القمرِ يطلعُ في لياليه
البيض ، ساطعَ السناءِ باهرَ الوميض ، يحلو الدياجي ، فيهدي الساري ،
فإذا غرقتُ أعقابهُ^٢ ، وتكامل غيابه^٣ ، فقَدَّتْهُ النجومُ ، فاعتراها
الوجوم ، ولفتها الليلُ في مُلاءةٍ دياجيهِ ، وأردفَ أعجازه ونأى بهواديهِ^٤ ،
فلو جُمِعَتِ الكواكبُ منتظمةً في القَدْرِ ، لكانت أضعافَ البدر ، وهي
على ما هي عليه من الانتثار ، لا تهدي الساري قَصْدَ الآثار ، فبصرُك
الآن بحمدِ الله أجمعُ نوراً ، وأضواءُ شعاعاً ، وأنفذُ نظراً وأبعدُ اطلاعاً ،
ولذلك قال القائل :

شمسُ الضحى يُعشي العيونَ ضياؤها إلاّ إذا نُظيرتَ بعينٍ واحدةٍ
فلذلك تاهَ العورُ واحتقروا الوری فاعرفُ فضيلتهم وتخذُها فائده
نقصانُ جارحةٍ أعانتُ أختها فكأنّما قویّت بعینٍ زائده
والعُقَابُ الكاسِرُ ، والنسرُ الطائرُ ، وابنُ الماءِ المخلّقُ ، ، بالإضافةِ
إليك خفافيشُ ، وبالمقايسةِ بك أخلادُ ، وقد أزریتَ بزرقاءِ الیمامةِ ،

١ ط د : وبجذبه وكان مبدّأ ؛ س : وانحيازَه ، خ بهامش س : وبجذره .

٢ ب م : عريت أعقاره ؛ ط س د : عرفت .

٣ ط د س : عبابه .

٤ د ط س : وأردف أعجازها بهواديهِ ؛ وفيه نظر إلى قول امرئ القيس : « وأردف
أعجازاً وناء بكلّكل » .

وما يبعدُ أن تحسبَ في لحظة ألف حمامة ، وترى حصّناً من أقصى تهامة^١ ،
فحدثنا عن هقعة الجوزاء أو نثرة السرطان : هل هي كواكبٌ صغارٌ
منتظمة ، أو [لطخة] سحابية^٢ مظلمة ؟ فإنّ بصرك يُدركُ حقيقة ذلك
ولا يكلُّ عن نيل مداه ، وبلوغ أقصاه ؛ وأما رؤيتك الثريا سبعة أنجم
فهو ما لا يفخر به مثلك ، وإنما يُقاسُ به الحديد البصر ، وأنت في ذلك
أقوى البشر . وحدثنا عن كلف القمر ما هو ؟ واشرح لنا الحال في قطري
السحاب كيف هو ؟ فإنك تبصره مجتمعاً قبل ان يصيرَ بددا ، وتلاحظه
ذائبا [١٣٠ أ] قبل ان يجمد برداً ، وهذا كله مما تراه عياناً ، فأوجدنا
فيه بياناً ، ولولا أنك عند الفقهاء غيرُ مقبولٍ لما تدّعيه من [علم] التأثير ،
إذ يرمون^٣ أهله بالتعثير ، لبشّرت بهلال العيد بعد الاجتماع بساعتين ،
وبُعدِهِ عن الشمس بدرجتين ، وقد كنت بالأمس ، عند رفع الأسطرلاب
إلى الشمس ، تُغمّضُ إحدى عينيك لتعتدل لك رؤية الشعاع ، وموضع
العضادة في أخذ^٤ الارتفاع ، وقد كُفّيت ذلك بالعوّز ، مع زيادة
النظر ؛ ولأمر ما تلطّف أهلُ الثغر في عورك ، فليس عندك شيء من
خبرك ، إذ صرت لهم رابثة تندرهم بالخليل على بعد مراحل ومسافة أيام ،
فأنت عندهم من أكرم البريّة ، وأجدى من متّار الاسكندرية ، لكنهم
لم يشعروا أنّك الدجال المنتظر ، وقد خرجت عليهم بخروج عينك ،
وبرزت إليهم ببروزها عنك . فان اعترض معترضٌ وقال : إنّ الدجال

١ يقال في المثل : « أنجد من رأى حصّناً » ، وهذا يعني أن من في تهامة لا يستطيع رؤيته .

٢ من : قطعة . . . ؛ د ط : سحاب .

٣ د ط : يرمزون .

٤ د ط س : موضع .

يقدمه خروجه الدابة ، فان يكن هذا هو الدجال فإين الدابة ؟ فالجواب :
 أنك كنت الدابة ثم صرت بالعمور دجالاً . وقد جال الصديق^١ في ذلك
 مجالاً ؛ وأنت قيطوس^٢ دابة البحر تعوم في حبسك الماء ، وتسبح [مثلاً] لها
 في فلك السماء ، فان صورة قيطوس التي أثبتتها جالينوس جماعة كواكب
 تعرف بدابة البحر ، وبطنها غائص في كواكب النهر^٣ ، فذنبها مما
 يلي الدلتا حيث ينصب ماؤه في فم الحوت الجنوبية ، وبأعلى عرفها^٤ المعروج ،
 كواكب الحوت من فلك البروج ، فهي مغمورة من كل ناحية بالمياه ، مأنوسة^٥
 بالأقارب والأشباه ، وقد فازت بالطبع المعتدل ، بما حازت^٦ من مجاورة
 برج الحمل ، فهذا المجد الباذخ ، والأصل الراسخ ، والفرع^٧ الشامخ ؛
 فأنت حقاً الدجال الأعور ، والقائم المنتظر ، الذي نبأنا^٨ به الأثر ، نسأل
 الله أن يعزنا بأعلامك ، وينصرنا في أيامك ، ونبتهل إليه في أن يكفيننا
 أشرارك ، ويزوي عنا أعدائك وإفراطك ، حتى إذا ظلمت وجرت^٩ ،
 وغيرت وبدلت ، قذف بك في قرار اليم العظيم ، والتقمك الحوت
 وأنت ملهم ، إن الله بعباده لرءوف رحيم .

١ د ط س : الفكر الصدوق .

٢ قيطوس وتكتب أحياناً قيطس (Cetus) ، لفظة يونانية تعني الحوت أو الهلينة ؛ وصورة
 قيطوس تشمل ٢٢ كوكباً منها كف الثريا الجذماء والصفدع الثاني (انظر : العلوم البحرية
 عند العرب ج ١/٣ : ٢٠٩) .

٣ ب م س : الشهر .

٤ ب م : عربيها .

٥ بما حازت : سقطت من ط ؛ وفي ب م : بما جاورت .

٦ د ط س : والجبل .

٧ د ط س : نبأ .

٨ د ط س : وتجهرت .

وله من رقعة عن المقتدر عنايةً بالحصري : ما أثَّلَ اللهُ من مَجْدِكَ
وَعَلَّاتِكَ ، وَأَكْمَلَ من سَرْوِكَ وَسَنَائِكَ ، وَأَصْدَرَ عنكَ من محاسن الشيم ،
وَقَصَرَ عَلَيْكَ من معالي الهمم ، يَقُودُ إِلَيْكَ الْأَهْوَاءُ تَنْتَحِيكَ بِصَفْوٍ وَدَادِهَا ،
وَتَعْتَفِيكَ بِصَدَقِ ارْتِيَادِهَا ، وما زال ذَرَاكَ الرَّفِيعُ سَابِقاً عَلَى ذَوِي الْأَخْطَارِ
ظَلُّهُ ، غَامِراً لَذَوِي الْأَدَابِ إِفْضَالُهُ بَاهِراً فَضْلُهُ ، وَأَحَقُّهُمْ بِأَجْزَلِ
الْبِرِّ الْأَوْفَى ، مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ، [١٣٠ ب] مَهْتلاً
بِمَحَامِدِهِ وَمَدَائِحِهِ ، مُسْتَشْعِراً لِمَا مِنْ قَصْدِهِ^٢ وَمُنَاجِحِهِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ^٣
الْفَاضِلُ الْكَامِلُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، أَلَمَّ بِجَهْتِي - جَهْتِكَ - فَوَفَدَ
عَلَيَّ مِنْهُ الْوَاغِدُ الْأَثِيرُ وَالزَّائِرُ الْكَرِيمُ^٤ ، وَأَنْتَ بَدَكَاءِ مَنَاسِمَتِهِ ، وَأَمْتَعَ
بِجَمَالِ مُحَاضَرَتِهِ ، وَهُوَ الْبَارِعُ الْمُتَقَدِّمُ فِي إِحْسَانِهِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي الْإِبْدَاعِ
وِافْتِنَانِهِ ، وَرَبَّمَا تَقُولَ كَاشِحٌ ، وَنَمَقَ كَادِحٌ ، وَزَوَّرَ حَاسِدٌ ، وَأَوْهَمَ
خَبَبٌ مُسْعَانِدٌ ، لِأَجْلِ اسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ ، وَاشْتِمَالِهِ بِظُلِّ الْمَجَانِبِ ،
أَنَّهُ انْحَرَفَ بِصَفْوٍ وَدَادٍ ، أَوْ حَرَّفَ بِقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ
شَرَّفَ رَتَبَتَكَ وَنَزَّهَ مَنْصِبَكَ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى تَنْمِيقِ الْوِشَاقَةِ ، وَالْإِجَازَةِ لِكَيْدِ
الْعُدَاةِ ، وَالْإِرْتِيَابِ بِعَهْدَةِ الْمُخْلِصِينَ الثَّقَاتِ ، وَعَصَمَ النَّبِيلَ النَّبِيَّةَ مِثْلَهُ ،
مَنْ زَكَّى اللَّهُ [دِينَهُ] وَعَقَّلَنَهُ ، مِنْ الْعُدُولِ عَمَّا دَانَ بِهِ ، وَاعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ ،
مِنَ الْاعْتِزَالِ إِلَى وَلَائِكَ ، [وَالتَّشْيِيعِ فِي عَلَيَّاتِكَ] ، وَالتَّشَرُّعِ بِمَدْحِكَ^٥
وِثْنَاتِكَ .

١ د ط س : وَأَحَقُّهُمْ بِالْبِرِّ ؛ ب م : بِأَجْرِ الْبِرِّ .

٢ س : مَقَاصِدُهُ .

٣ د ط س : الْأَدِيبُ . ٤ د ط : الْمَعْظَمُ . . . الْمَكْرَمُ .

٥ د ط س : الْمَقْدَمُ .

٦ د ط س : بِصَعْرِ .

٧ م : وَالتَّسْوِغُ ؛ ط : وَالتَّسْرِعُ ؛ ط د : فِي تَمْدَحِكَ ؛ س : فِي مَدْحِكَ .

ومن شعر أبي الفضل

من ذلك أبياتٌ اندرجتُ له في تلك الرسالة المتقدمة على لسان النرجس^١ :

تقضى زمانٌ، طائرُ الأنسِ عنده	مذودٌ وسيربُ اللهو فيه مروعٌ
وطال انتظاري دولةَ الوصلِ بعدما	تصرّمَ بالهجرانِ مشقى ومربع
عرضتُ له حبيّ فأعرضَ جانباً	ولكن رعى عهدي الذي لا يُضيع
وأرسلني كيما أدِلَّ بحُرمةٍ	لديكَ بها حقٌ كريم مشفع
فأقبلتُ أستجدي رضاكَ وإن تعدّ	يُسارعُ إلى وصلي المحبّونَ أجمع
وها فاعتبرْ في منبتي وتقلّبي	فكلَّ لأصلٍ واحدٍ يتفرع
لأودى بجثمانِي البلى وأبادَه	وأثبت روحاً ^٢ نيراً يتطلع
يرى الوهمُ منه جوهرأ متضرماً	يروق ونشراً ساطعاً يتضوع
كذلك أجسامٌ تبيدُ وأنفسٌ	إلى الشرفِ الأعلى تعودُ وترجع
وما العيشُ إلاَّ فرصةٌ يستديمها لا	يببُ بأثمارِ السرور فيمتع
فبادرْ زمانَ الأنسِ واعمرْ جنابهُ	فزاهرهُ رِيانُ بالحسنِ ينزع
ولا تمطلِ اللذاتِ عمركَ مثلما	يسوفُ بالدينِ الغريمُ ويدفع

وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرّج^٣ : [١٣١ أ] .

إن كان عندك شيءٌ من الدياخيلون^٤

١ د ط س : من جملة ... في رسالة ...

٢ د ط س : وأثبت دوحاً .

٣ د ط س : وكتب إليه بعض إخوانه بهذه الأبيات .

٤ الدياخيلون : مرهم ينفع من الجراحات ويحلل السلع والصلابات ، ويتكون من نسب معلومة من لعاب بزر الكتان وبزر مر وبزر الخصى وحلبة ومرداسنج (منهاج الدكان : ٨٩) .

فابعثُ به تتعوّضُ منه بشكرٍ ثمين
فان عندي خُرَاجاً من بَابَةِ التليين
ولا يكنُ^١ مثلَ شعري من الطرازِ الدُّون
قد قلتُ بالمزح أجري بطبعِ دهرٍ خثون
فإن تزيدتَ زدنا من نوعِ هذا الجنون
عساه ينجح > للـ لم < بعد حربِ زَبُون
فالشبهُ يَألفُ شبهاً والمثلُ مثلُ القرين

فأجابه أبو الفضل :

يا آخذاً باليمين في المجد شتّى الفنونِ
سَلِّمْ لِعَلْمِي في الطَّبِّ والقَرَابِاذِين
لا ينبغي أن يُدَاوَى إلّا خُرَاجُ بالتسليين
[حتى يَقُومَ رَدْعُ إلّا أخلاطِ بالتسكين]
وقد بعثتُ شراباً يُعزّي إلى الزَّرَجُون
يُغْنِي إذا ذُقْتَهُ عَن شَرَابِ الإفستين^٢

ولأبي الفضل^٣ :

أيها الماءُ الذي لولاه ما بَرَحَ الإسلامُ يشكو الغصصاً

١ ب م : ولا يكون .

٢ الإفستين (Absinthe) ويسمى أيضاً شبة العجوز والشيخ الرومي ، وقد أطنب ابن البيطار في الحديث عن الشراب الذي يصنع منه (انظر المفردات ١ : ٤١ - ٤٤ وتحفة الأحباب : ٤ وشرح أسماء العقار : ٤) .

٣ لم ترد هذه القطعة والتي تليها في د ط س .

جملة مني ^١ ولا حاجة لي
أبدًا تقنصُ أطيَّارَ العلا
وانثِرِ الحبَّ فإني طائرٌ
في حديثي أن أطيلَ القصصا
مستفيداً ^٢ فالتخذي قنصا
غَرِدْ لا أتعدّي القفصا

وله :

يا صاحبي سلا هل سالَ نَعَمَانُ
قالا نعم سال جرياً في مدائنيه
أتى ولم يسر طيفٌ للسحاب به
بلى كفاه أبو ^٣ عيسى وأحسبه
رأى الغمام في عُسْرٍ فأقرضها
سجيةً هو منها موسرٌ كسرماً
حي الخيام في الحي أنسةً
تسيرُ نفسي اليهم والحدأة بها
أطوي المراحل لا ألوي على وطير
قد أنكر [. . .] من نفسي معاملها
أرضٌ بجلقٍ والنهرين مونقةً
أمست ديارى خلاءً في معاهدها
إذا نبا بلدٌ يوماً بساكنيه
وفي جناب أبي عيسى لنا بدلٌ

بعدي وأورق فيه الطلح والبانُ
وأمرعتُ أظهرٌ منه وبُطْنان
ولا تندتُ بدمعٍ منه أجفان
نداه فهو روي الشرب سيمحان
إن الجزاء على الإحسان إحسان
حاز الكمال فما يعرفه نقصان
واقرا السلام في بالجزع إخوان
هوى وشوق وتأميل وإذعان
يُشجى ولو ذكَّرتُ بالعهد أوطان
وفي المجاهل لي أنسٌ وعرفان
أريضةً كلها قصرٌ وبستان [١٣١ ب]
وحلَّها ديسمٌ بعدي وسرحان
ففي سواه له أهلٌ وجيران
إذ قُطِّعت من جبال الوصل أقران

١ ب م : لي .

٢ ب م : مستفيداً .

٣ ب م : كفى وأبو .

حتى يمهدي قطرُ قرارتهُ تيماءُ والهضبةُ العليا عمران
هو المجيرُ من الأيامِ إن غَدَرَتْ وهي وبعضُ من الإخوانِ خَوَّان
وأخبرني أبو عامر ابن الفرّج قال : كنتُ بحصن روضة ١ ضيفاً عند
ابن المرشاني ، واتصلت مجالس أنسنا بها صبروحاً وغبوقاً ، وأظلتنا العيدُ ،
وورد الوزيرُ أبو الفضل من سر قسطة ، فكتبَ إلى ابن المرشاني بشعريقول فيه ٢ :

العيدُ أيتامُ أَكَلِ وَمَشْرَبِ وَبِعَالِ
وقد أَكلنا فهاهنا آسَ قننا من الجريال
إذ لا نكاحَ لنا في محرمٍ أو حلال
إلا ما نرتجي من نكاح طيفِ الخيال

قال أبو عامر : فكلفني فجوابته فقلت ، وبعث إليه بما رغب إليه ٣

زُفَّتْ إِلَيْكَ عروسٌ بكرٌ من الجريالِ
قميصها ذهبيٌ كالشمسِ في الآصالِ
وَحَلَّتْ بِهَا فُضِيٌّ مَنْظَمٌ كَاللَّائِي
فدونك اشربْ هنيئاً لا زلتَ ناعمَ بالِ
واجمع من الطيفِ بين الـ شُؤْفِ والخُلخالِ

١ روضة : يطلق على غير موضع واحد بالأندلس ، والمقصود هنا روضة الواقعة في الثغر الأعلى (Rueda) وكانت من أعمال سر قسطة وهي تابعة اليوم لوشقة .

٢ د ط س : وكان أبو الفضل يوماً في ضيافة بعض إخوانه ثالث عيد الأضحى ، وارتفع الطعام ولم تحضر المدام ، فقال لرب المنزل . . .

٣ د ط س : فلما وصل أبو الفضل إلى منزله بعث إليه بما طلب وكتب معها .

ومعنى هذا البيت كقول الكاتب أبي الحسن^١ صالح الشتمري^٢ ،
وقد تقدم إنشاده :

أَسْتَقَى لِيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةً لَمْ أُخْلِ فِيهَا الْكَاسَ مِنْ إِعْمَالِ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخُلْخَالِ
وَأَنْشَدْتُ لِأَبِي الْفَضْلِ^٣ :

وَأُطْرَبْنَا غَيْمٌ يَمَازِحُ شَمْسَةً فَيَسْتَرْ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ
تَرَى قُزْحًا فِي الْجَوِّ يَفْتَحُ قَوْسَهُ مَكْبَأً عَلَى قَطَنِ مِنَ الثَّلْجِ يَنْدِفُ
وَذَكَرْتُ بِمَا وَصَفَهُ مِنْ قَوْسٍ قَزَحَ خَبْرًا يُحْكِي عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُتَنَبِّئِي ، وَإِنْ ذَهَبَ فِي الْغُلُوِّ أَبْعَدَ مَذْهَبٌ : نُدِفَ لَهُ قَطَنٌ فِي ثَوْبٍ أَمْرٍ
بِعَمَلِهِ ، فَوَجَّهَ لَصَانِعِهِ فِيهِ دَرَهْمًا فَاسْتَقْلَهُ وَصَرَفَهُ عَلَيْهِ ، فَمِثَالُ الصَّانِعِ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ فِيهِ دِينَارًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُتَنَبِّئِي : وَاللَّهِ لَوْ نَدَفْتَهُ بِقَوْسٍ
[١٣٢ أ] قَزَحَ عَلَى أَجْنَحَةِ الْمَلَائِكَةِ مَا أُعْطِيتُكَ عَلَيْهِ دِينَارًا .

ومن أملح ما جاء في صفة قوس قزح قول القائل^٤ :

١ د ط س : وهذا كقول بعض أهل عصرنا وهو أبو الحسن . . . الخ .
٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة ؛ وانظر المغرب ١ : ٣٩٧ ومسالك الأبصار
٨ : ٣٣٤ .

٣ ورد البيهتان في المغرب ٢ : ٤٤١ .

٤ زاد في س : وهو سيف الدولة ؛ قلت : نسبها في اليتيمة ١ : ٨ لسيف الدولة بن حمدان ،
وانظر ابن خلكان ٣ : ٤٠٢ حيث ذكر أنها تنسب لأبي الصقر القبيسي ؛ ووردت في
غرائب التشبيهات : ٤٧ منسوبة لابن الرومي ، قال : وهو الصحيح ؛ وهي في ديوان
ابن الرومي ٣ : ٧٣ (ط . كامل كيلاني) .

كأنَّ السحابَ الجونَ قمصٌ تراكبُ على الأفقِ دكناً والحواشي على الأرضِ
يطرزُهُ قوسُ السماءِ بأخضرٍ على أصفرٍ في أخضرٍ فوق مبيضٍ
كأذيالِ خودٍ أقبلتْ في غلائلِ مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضٍ^١

وأنشدتُ لعز الدولة بن المعتصم بن صمادح في جارية :

صاغتِ الجوزاءُ قرطين على مسمعيها والثريا دُمْلُجاً
واستجادتُ من سماها حللاً فكساها قَزَحٌ مسا نسجاً

وقال الأسعد بن بليلة^٢ :

محيرةَ العينين من غيرِ سكرةٍ متى شربتُ الحماطُ عينيكِ اسفنتا^٣
أرى صُفْرةَ المسواكِ في حوَّةِ اللبى وشاربكِ المخضرَّ بالمسكِ قد خطا
عسى قزح قبلته فإخاله على الشفة اللامياء قد جاء مختطاً

وأكثر الشعراءُ تشبيههم قوسَ السماءِ السحابيِّ بقزح ، وهو منهيٌّ
أن يسمى قزحاً .

وروى الاخباريون أنَّ نوحاً عليه السلام عندما استقرَّت السفينةُ على
الجوديَّ سأل الله تعالى أن يؤمِّنَ ولدَهُ من الغرق . فأوحى الله إليه : قد
أمنتُ ولدك آخرَ الدهر . وجعلتُ لهم علامةً يرونها في السماء : قوساً .

١ إلينا ينتهي ما ورد في د ط س من ترجمة ابن حسداي ومن التذييل عليها ببعض أخبار المتنبي.

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الأول من الذخيرة (ط . مصر ١ - ٢ : ٢٩٠) والأبيات
هناك ص : ٢٩٧ ؛ وانظر المطمح : ٨٣ - ٨٤ والنفح ٤ : ٥١١ .

٣ الاسفنت : ضرب من الأشربة ، وورد في شعر الأضنى :

وكان الخمر العتيق من الاسفنت ممزوجة بماء زلال

وقالوا : قُرَّحَ من أسماءِ الشَّيْطَانِ فلا ينبغي أن ينسبَ إليه هذا القوس .

وقال أبو بكر بن الملح :

غُرَّتْهُ الشَّمْسُ والحيا يَدُهُ بينهما للنَّجِيمِ قَوْسُ قُرَّحِ

١ وقد تقدمت هذه الأبيات ، ولكني استجرت تكرارها لأنسق الأعجاز بالصدور ، وأضم الأول إلى الأخير .

وسمع القطعة التي تُعزَى للحكيم المصري ، وأولها : « توريد خدك للأحداق لذات » ١ ، فقال أبو الفضل :

عهد للبنى تقاضتهُ الأماناتُ بانَتْ وما قُضِيَتْ منه لباناتُ
يُدنِّي التوهمُ للمشتاقِ ممتزجاً من الوصالِ وفي الأوهامِ راحاتُ
تُقْضِي عِداتُ إذا هبَّ الكرى وإذا هبَّ النسيمُ فقد تُهدَى تحياتُ
لعلَّ عَتَبَ الليالي أن يعودَ إلى عُنْبِي فتُبلِّغَ أوطارُ ولذات [١٣٢ب]
بشرى تحقِّقُ ما زار الخيالُ به فربما صدَّقتُ تلك المنامات

وله مراجعاً إلى الوزير أبي محمد بن سقبال ٢ :

قابلتُ بالعتبي عتابكَ جاهداً للعهد حفظَ العينِ للأجفانِ
وبسطتُ أوضحَ من زياد^٣ عُدَّره لو لم تكن أقسى من النعمانِ

١ في القلائد : ١٨٤ وفي المصادر التي نقلت عنه (انظر الخريدة ٢ : ٤٨٠ والنفع ١ : ٦٤٠ ، ٣ : ٢٩٤) أن هذا المطلع لابن حسداي نفسه ، ويبدو أن صاحب القلائد قد خلط بين القصيدتين .

٢ القلائد : بن سفيان .

٣ زياد : النابغة الذبياني .

أَسْقَيْكَ عَذْباً بَارِداً وَسَقَيْتَنِي إِذْ جَاشَ حَمِيمُكَ مِنْ حَمِيمِ آنِ
 أَغْضَبْتَ جَهْلًا أَمْ تُنْسِبُ إِلَى الصَّبَا فَاْمَرَحْ فَإِنَّكَ مِنْهُ فِي رِيْعَانِ
 وَرَكِبَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ يَوْمًا بِسِرْقَسْطَةٍ يَرِيدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ ، وَارْتِيَادَ
 نَزْهَتِهِ ، وَافْتِقَادَ أَحَدِ حِصُونِهِ الْمُنْتَظِمَةِ <بَلْبَتَّتِهِ> ^٢ وَاجْتِمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ،
 مَنْ اخْتَصَّهُ لِاسْتِصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ ، مُشَاهِدًا لِانْفِرَاجِهِمْ ،
 سَالِكًا لِمُنْهَاجِهِمْ ، وَالزُّوَارِقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ ، وَالتَفَّتْ بِجَوَانِبِهِ ، وَنَغَمَاتُ
 الْأَوْتَارِ تَحْبَسُ ^٣ السَّائِرَ عَنْ عَدْوِهِ ، وَتُخْرَسُ الطَّائِرُ الْمَفْصَحُ بِشَدْوِهِ ،
 وَالسَّمَكُ تُثِيرُهَا الْمَكَائِدُ ، وَتَغْوِصُ إِلَيْهَا الْمَصَايِدُ ، فَتَبْرُزُ مِنْهَا قُضْبَانٌ دُرٌّ
 أَوْ سَبَائِكُ الْخَيْنِ ، فَقَالَ ^٤ :

لِللَّهِ يَوْمٌ أَثِيقٌ وَاضِحُ الْغُرَرِ مُفَضَّضٌ مُدْهَبُ الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 كَأَنَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبْنَا فِيهِ بَعْتُي وَأَبْدَى صَفْحٌ مَعْتَدِرٌ
 نَسِيرُ فِي زُورِقٍ حَفَّتِ السَّفِينُ بِهِ مِنْ جَانِبِيهِ لِنُظُومٍ وَمُنْتَثِرٌ
 مَدَّ الشَّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ بَدَأَ الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْأَخَرِ
 هُوَ الْهَمَامُ الْإِمَامُ الْمُسْتَعِينُ حَوَى عَلِيَاءَ مُؤْتَمِنٍ عَنْ هَدْيٍ مُقْتَدِرِ
 تَحْوِي السَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا بِحَرٍّْ تَجْمَعُ حَتَّى صَارَ فِي نَهْرِ
 تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ النَّيْنَانُ مُصْعِدَةً صَيْدًا كَمَا ظَفَرَ الْغَوَاصُ بِالْدُرَرِ ^٥

- ١ ب م : وكتب ؛ والنص كما هو هنا ورد في القلائد ، مع بعض إيجاز في الذخيرة .
 ٢ زيادة من القلائد .
 ٣ ب م : تحسر .
 ٤ وردت الأبيات في القلائد والنفع ٣ : ٢٦٧ والخريدة وبدائع البدائع : ٣٦٧ - ٣٦٨ .
 ٥ علق ابن ظان على هذا البيت بقوله : قوله « نينان » غير معروف فإن نونا لم يحى وجمعها على نينان ، وقد كان سيدييه خطأ بشار بن برد في قوله في وصف سفينة « تلاعب نينان البحور . . . » فغيره بشار « تيار البحور » ؛ وفي بيت المتنبي :
 فهن مع السهيدان في البر غسل وهن مع الحيتان في البحر عوم
 جاءت لفظة « نينان » بدل « حيتان » في عدد من النسخ .

وللندامي به عتب ومرتشف كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ود من لي خلقه زهر يذكو وغرته أبهى من القمر

جواب ابن هود إلى أبي الفضل عند فراره عنه : سيدي وأجل
عددي ، وأسنى الذخائر عندي ، وأزكى الفوائد بيدي ، ومَن أبقاه الله
في أتم نعمة ، وأعم حرمة ، وردني كتابك بما أودعته من صورة
وجهتك وممرّك ، وصفة مستوطنك ومستقرّك ، وعرفت [١٣٣ أ]
حقيقة منزلك ، في تعجلك وتسرعك ، وما علمتُك — على معلوم
ذكائك — يذهب عليك السداد في آرائك ، ولكن لا تملك عنانك في
اعتساف طرقك ، وخالق خلّيقك خالق خلّيقك ، وكان الأشبه بالجميل ، أن
تُشعر بلزاع الرحيل ، فتوصل وتشيع ، ولا تصدّ عن غرضك ولا تمنع ،
مُهدت بك الحال هنالك فلم تبرح موضعك ، ولا فارقت مآلفك ومجموعك ،
بما يقتضيه انتظام الجانبين ، والتفاف الأفقين ، وكيفما تصرّفت فأنت الولي
الحميم ، لا يُنكر ودك ، ولا يُخفّر عهدك ، والله يُلقيك كل خير ،
ويُجنّيك ثمر الغبطة في كل مقام وسير .

قال أبو الحسن بن بسام : رأيت هنا أن ألمع بيسير من أخبار أبي الطيب ،
سوقاً لفائدة أدّى إليها الخبر ، وإشارة إلى بعض محاسنه التي عنه تؤثر ،
وإن كان خارجاً عن هذا الغرض الذي شرطته من حذف التطويل ،
والاجتزاء عن الكثير بالقليل . ولكنه سنع لي هنا فصل من أخباره وبديته ،
وتصرّفه البديع بين إشارته وفكرته ، ورويّته وبديته :

استنشدہ سيفُ الدولة قصيدته التي أولها ١ :

* على قدرِ أهلِ العزمِ تأتيِ العزائمُ * .

وكان معجباً بها ، كثيرَ الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيّب يُنشدُها ، فلما وصل إلى قوله ::

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ كأنَّكَ في جفنِ الردى وهو نائمٌ
تمرُّ بكِ الأبطالُ كلَّمى هزيمةً ووجهك وضَّاحٌ وثغركَ باسمِ

قال له : قد انتقدنا عليك هذا البيت كما انتقدَ على امرئ القيس بيتاه :

كأنَّيَ لم أركبُ جواداً للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذاتَ خلخال
ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ ولم أقلَّ لخليٍّ كُرِّي كَرَّةً بعدَ إجحافِ

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما لا يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس ؛ كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنَّيَ لم أركبُ جواداً ولم أقلَّ لخليٍّ كُرِّي كَرَّةً بعدَ إجحافِ
ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذاتَ خلخال

ولك أن تقول :

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ووجهُك وضَّاحٌ وثغركَ باسمِ
تمرُّ بكِ الأبطالُ كلَّمى هزيمةً كأنَّكَ في جفنِ الردى وهو نائمٌ

فقال : أيّد الله مولانا ، إن صحَّ أن الذي استدركَ على امرئ القيس هذا

أعلمُ منه بالشعر فقد أخطأَ امرؤ القيس وأخطأتُ أنا ، ومولاي يعلم أن
 البزّازَ لا يعرفُ الثوبَ معرفةَ الحائك ، لأن [١٣٣ ب] البزّازَ لا يعرف
 إلّاَ جملته ، والحائكُ يعرفُ جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه
 من الغزليّة إلى الثوبية ، وإنما قرّنَ امرؤ القيس لذةَ النساءِ ببلدةِ الركوب
 للصيد ، وقرنَ السباحةَ في شراءِ الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلته
 الأغداء ، وأنا لما ذكرتُ الموتَ في أوّل البيت أتبعتهُ بذكر الردى وهو
 الموتُ ليجانسه ، ولما كان وجهُ الجريح المهزوم لا يخلو أن يكون عبوساً
 وعينه من أن تكون باكيةً قلت : « وَوَجْهُكَ وضاحٌ وثغرك باسم »
 لأجمعَ بين الأضدادِ في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجمعهما ، فأعجب
 سيفُ الدولة بقوله وبالع في صلته .

ولما أنشد أبو الطيب سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها :

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهتي والشكرُ من قبَلِ الإحسانِ لا قبلي
 أقل أنيلُ أقطع أحملُ علّ سل أعدُ زدْ هشّ بشّ تفضلْ أدنْ سرّ صلْ

وقع سيف الدولة تحت « أقل » أقلناك ، وتحت « أنل » : يحمل إليه من
 الدراهم كذا ، وتحت « أقطع » : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ، ضيعة بباب
 حلب ، وتحت « احمل » : يقاد اليه الفرس الفلاني ، وتحت « علّ » :
 قد فعلنا ، وتحت « ادن » : ادنيناك ، وتحت « سرّ » : قد سررناك .

قال أبو الفتح : فبلغني أنّ أبا الطيب قال : إنما أردت « سرّ » من
 السريّة ، فأمر له بجارية ، وتحت « صل » : قد فعلنا .

وكان المعقلي وهو شيخٌ بحضرته ظريفٌ قال له : وقد حسد أبا الطيب
على ما أمر له به : قد فعلت له من كلِّ ما سألك ، فهلا قلتَ لما قال هشَّ
بشَّ : هـ هـ هـ ، يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة وقال له : ولك
أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وسيف الدولة ، مع ما شهِّره به من الكرم والسخاء ، وعرف به من
انفجار ينابيع جوده على الشعراء ، قد قصَّر في توقيعه تحت « احمل » عن
غيره من الأمراء ، يحكى أن أبا القاسم الزعفراني لما أنشد الصاحب قصيدته
التي يقول فيها ^١ :

وحاشيةُ الدارِ يمشون في صنوفٍ من الخزِّ إلا أنا

وقَعَ فيها الصاحب : قرأتُ في أخبارِ معن بن زائدة أن رجلاً قال له :
احملي أيها الأمير ، فأمر له بناقةٌ وفرسٌ وبغلةٌ وحمارٌ وجاريةٌ ، ثم قال
له : لو علمتُ أنَّ اللهَ خلَقَ مركوباً غيرَ هذه لحملناك عليه ، وقد أمرنا
لك من الخزِّ بحبَّةٍ وقميصٍ ودُرّاعةٍ وسراويلَ وعمامةٍ ومنديلٍ ومطرفٍ
ورداءٍ وكساءٍ وجَوْرَبٍ وكيسٍ ، ولو علمنا لباساً آخرَ يُتخذُ من الخزِّ
لأعطيناكه .

ومما يؤثّر عنه من نفاذ خاطره وحضور جوابه أنه دخل على سيف
الدولة وأنشده بعضَ قلائده فيه ، وطار به السرور كلَّ مظار ، فلما أراد
الانصرافَ إلى الدار [١٣٤ أ] ، قال له السيف مملغزاً على من حضر :

١ الهتمة ٣ : ١٩٤ - ١٩٥ وترجمة الزعفراني أبي القاسم عمر بن ابراهيم في الهتمة ٣ :

٣١١ - ٣١٨ ، وانظر رأي هذا الزعفراني في الصاحب ، في كتاب أخلاق الوزيرين :

١٠٥ ، ١٤١ ، ٢٩٥ .

تتبختر يا أبا الطيب ، فقال : نتيه أيها الأمير ، فضحك سيف الدولة وتعجب من غمهم أبي الطيب وقال للحاضرين : أردت بـ « تتبختر » تصحيفه : « بتّ بخير » فقال : « نتيه » وتصحيفه : « بتّ به » .

ومن أطرف الجواب ، وأغرب مزاح الكتاب ، ما اتفق لي مع الوزير أبي محمد بن عبدون أول ما لقيته ، وسمع بعض الإخوان يدعوني باسمي ، فقال لي : أنت عليّ بن بسام حقاً ؟ ! قلت : نعم ، [قال] : وتهجو حتى الساعة أباك أبا جعفر وأخاك جعفرأ ، فقلت له : كلاك الله ، وأنت عبد المجيد ؟ ! قال : نعم ، قلت : ويتغزلُ فيك حتى الآن ابن مناذر ؟ ! فضحك منّ حَضَرَ لهذا الجوابِ الحاضر ، وعليّ بن بسام باقعة زمانه ، لم يسلم من هجائه في زمانه أمير ولا وزير ، ولا من أهل بيته صغير ولا كبير ، وعبد المجيد كان أجمل أهل زمانه ، وكان ابن مناذر يعشقه ويتغزلُ فيه ^٢ . هذا وما أشبهه من المزاح المباح ، البعيد عن الجناح .

١ هو علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام ويعرف بالبسامي (٣٠٢ أو ٣٠٣) ،

الظر ترجمته في ابن خلكان ٣ : ٣٦٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٢ محمد بن مناذر شاعر فصيح عالم باللغة ، كان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس

وتهتك ، فنفي من البصرة إلى الحجاز وهناك توفي ؛ انظر في أخباره وأخبار عبد المجيد

الثقفي : الأغاني ١٨ : ١٠٣ وطبقات ابن المعتز : ١١٩ والشعر والشعراء : ٧٤٧

ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ .

فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي^١

من قدماء الأدباء — كان — بذلك الثغر ، ومن كتّاب العصر ، المتصرفين في النظم والنثر ، وكلامه يجمعُ بين الحلاوة والجزالة ، ويتصرّفُ في لطائف الصنعة، و[كان] يعمدُ إلى خسيسِ المعاني فيقيم لها^٢ أوداً، بسلطةٍ لسانه، وقوةٍ مادته وحُسنِ بيانه ، فان كان في كلامه بعضُ الطول ، فهو غيرُ مملول . لطريفِ ألفاظِهِ واستعاراته التي يفخم بها التافهَ الحقير ، ويقلِّلُ المنزور الكثير . وفي ما أثبتَّ ها هنا من فصولٍ اقتضبتها من رسائله^٣ وإنشاءاته ، ما هو الشاهدُ العَدْلُ على ما أجرَيْته^٤ من صفاته .

فصل له^٥ من رقعة خاطب بها يوسف الاسلامي وقد طلب منه آلةَ نَجَّارٍ، خَدَمَ عنده فوجّه بها حاشا المِشْشار ، يقول^٦ فيها : مَنْ دَخَلَ في مِلَّةٍ التزمها . وليس من شريعةِ هذا الدين مَنَعُ الماعون ، ومن تمامِ الإسلام ، حفظُ الجوار و [رعاية] الذمام ، ومن أحسن الإحسان ، قضاءُ لُبَّاناتِ الإخوان ، وما تُعَلِّمُ العوانُ الحِمْرَةَ^٧ ، ولا تَجِدُ بك^٨ من وَنْيَةٍ ،

١ انظر المغرب ٢ : ٤٢٣ .

٢ ط د س : له .

٣ ط د س : كتبه .

٤ ط د : ما يصدق ما أجرَيْته ؛ س : ما يصدق على ما . . .

٥ ط د س : فصول له .

٦ ط د س : قال .

٧ من المثل : لا تعلم العوان الحِمْرَةَ (اللسان : عون) .

٨ ب م : تجدي بك ؛ س : وما يجدي لك ؛ د : يجري لك .

فأنت المستولي على أمدِّ النهايات ، والمبرز في غلابِ المذكيّات^١ ، والحاوي
قصبِ السبق إلى الغايات ، وإن كان قد قال الجهابذة أولاً :

« وأيُّ الجياد لا يُقالُ [له] هلا^٢ » .

وما تُعزّي إلى بخل وأنتَ أَسَمَحُ [من] لافِظَةِ^٣ ، ولا تُبَصِّر من جهل
وأنتَ قطبُ العلوم الثاقبة^٤ ، وقد أنكرتُ أشدَّ الإنكار ، بُخْلَكَ بالمشار ،
وأعملتُ الفكرة [١٣٤ ب] في النظر إلى بُعدِ مراميك ، والبحث عن
غموضِ معانيك ، فلاحتُ لي دريئةُ مَرَمَاكَ ، وأشرفتُ مُطْلًا على
مَغْزَاكَ ، وحدثتُ بعد تسديدِ سهامِ التوهّم ، ورميتُ عن قسيِّ التفهم ،
أن علةَ ضنانتك به من أجلِّ ما مرَّ ببالك ذكرُ الشجرة التي أَشْرَتْ وفيها
يحیی بن زكريا عليه^٥ السلام ، فتخرجتَ ان تُخْرِجَ من حريمك آله^٦ كانت
فيما مضى سبباً إلى حَدَثٍ مشنوم ، بِسَفْكَ دم [نبيٍّ] كريم ، ولو لمحت
وَجَّةَ مطلبي ' بناظرٍ تأملَكَ لعلمتَ ، وما أظنك جهلتَ ، أن الخشبةَ

١ يشير إلى المثل : جري المذكيّات غلاب ، انظر فصل المقال : ١٢٧ والميداني ١ : ١٠٦٠ والعسكري ١ : ٢٠٣ .

٢ من قول ليل الأخيلية في الرد على النافذة الجعدي : وصدره (الشعر والشعراء : ٣٦٠ والخزانة ٣ : ٣٣ والسمط : ٢٨٢) اعيرتني داء بأمك مثله ؛ ط : وأي جواد ؛ س : وأي الجواد .

٣ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٤٩٤ والميداني ١ : ٢٣٨ والعسكري ٢ : ٥ واللاطفة هي الرحي ويقال أيضاً هي العنز أو الحمامة أو الديك .

٤ ط د : الثابتة .

٥ ط د س : بعض .

٦ ط د س : عليهما .

التي أحببتُ أن تُؤشَرَ عندي لم يكن فيها حيوانٌ غيرُ الأرضيةِ^١ التي أكلت مِنسأةَ سليمانَ عليه السلام ؛ وهلاّت إذ أسأتَ بي الظنَّ تيقنتُ على ما توجبه السنّةُ أنَّ العاريةَ مؤداة ، وقد كان لك في ارتهانِ خطّي يدي لنجارك مَقْنَعٌ ، فقد قَبِلَ كَيْسَرِي . وهو جاهليٌّ ، قوسَ حاجبِ بن زُرَّارة^٢ على نزارتيها ، رهناً عن جرائم^٣ العرب أن تعيثَ في السواد ، وإنما كانت فاققة عودٍ ووتر [مصير] . وقد علمتُ أن الربانيّ^٤ أجدرُ بالوفاء والائتمار من الجاهليّ ، وفي الاعتذار المتقدم عنك ما يقضي ببراءتيك ، هذا إلى ارتثاء^٥ المشيخة وإيثارهم الروية على البدئية ، وحكمهم أن الرأيَ الفطيرَ ، وإن أصيبَ به التقدير ، من سوءِ التدبير ، والأناةُ عندهم محمودةٌ إلاّ في ثلاث : العمل الصالح ، ونكاح الكفو ، ودفن الميت . وما قدّحتُ في شرفيك هذه الوصمة وإن كان ظاهرها بخلاً وطفاسةً ، إذ باطنها عقلٌ وسياسة ، فإن احتجّ عليك بقوطم [ان] : أممّقتَ الأوم [وأقبحه] ، وأجلبه للشين وأفضحه [بخُلُ منْ بخل بالتافه اليسير ، والنزّر الحقير ، وهو مع ذلك ليس في ملك يديه^٧ ، ولا طماعية له في الميثار أن يصير^٨ إليه ، فإن الأمل لا يبعد ، أن يصيرَ إليه بعد ، فقد تنتقلُ دولات^٩ التأمير ، فكيف

١ م : الأرض .

٢ انظر الخبر عن قوس حاجب في ثمار القلوب : ٦٢٥ .

٣ ط د : كرائم .

٤ ط د س : الرأي .

٥ ط د : والائتمان .

٦ س : ارتقاء .

٧ ب م : يده .

٨ ب م : ولا في طماعية الميثار أن يصير . . . ؛ د ط : أن يصل ؛ س : ولا طماعته .

٩ ط د : ينتقل دولاب

بآلات المياشير^١ ، والأيام^٢ دول ، والدنيا جمّة التنقل ، تجمع وتبث ،
وتُسَمِّنُ وتُغَيِّثُ ، وربما تألفت الأضداد ، وتشتت الأنداد ، وأفادت
غير المطلوب ، وحالت دون المرغوب ، ألم تر إلى موسى عليه السلام كيف
اقتبس ناراً ، فأقبس أنواراً ، ووافد البراجم كيف شمّ القُتَار ، وأمّ^٣
قرماً^٤ إلى النار^٥ ، ألم تعين الكتابة التي أنت قُطْبُهَا ، وهي أجلُّ صناعة ،
ربّما عدل بها عن نبلاء المحسنين^٦ ، إلى الدخلاء الأميين ، الذين لا
يعلمون الكتاب إلاّ أمانى^٧ ، ولا يدركون بأفهامهم^٨ إلاّ المرثي^٩ ،
فحديثهم الطعن على أهل العلم ، والتنفص لذوي الفهم^{١٠} ، ولأمر ما
ذمّ الصبح المريب ، وعاب المتحمل^{١١} غير المعيب ، وقد بصرت بما عليه
هذا الصنف الواغلي من العجز والتشغيب ، والحيدة عن القياس المصيب ،
وأنهم إذا سمعوا بلاغة الصدر الأول ، من الجليل الأفضل ، قالوا : أمر
ليس عليه العمل ، وإذا أصغوا إلى تحبير صالح الخلف [١٣٥ أ] ، المقتدي
بمحمود السلف ، قالوا : هذا التفعيب ، والتقعر المعيب ، فقل لهم :

١ ب م : المناشير .

٢ د : قدماً ؛ ط : قوماً .

٣ في قصة وافد البراجم انظر فصل المقال : ٤٥٤ والعسكري ١ : ٨١ وقد مرت الإشارة
إلى المثل « أن الشقي وافد البراجم » ص : ٣٦٧ من هذا الكتاب .

٤ ب م : النبلاء .

٥ الآية : ٧٨ من سورة البقرة « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانى » .

٦ ط د س : يجهد أفهامهم .

٧ ب م : المرابي ؛ ط : المرمي .

٨ ب م : ألهم .

٩ ب م : المتحمل .

فاقتحموا^١ بحوركُمُ الزاخرة بزعمكم ، وأدروا^٢ سحبكم الثرة بدعواكم ،
واحشدوا^٣ مدودَ أذهانكم ، واسردوا غرائبَ بياتكم ، - وخلاكم ذم - ؛
إذا والله أيتها العصابةُ تهبُ ريحُ احتفالكم رخاءً لا تثير سحاباً ، ولا تسفي
هباءً ، إلا [ما] ينوءه بعد الريث وإدمان الإساس من قطارة المعاني المبتدلة
السوقية ، وعصارة الألفاظ الرذلة العامية ، التي يعافها الخاصي لسفالتها ،
ويجتنبها العامي لخلاقتها ، ثم إذا رجعتكم البكاة^٤ إلى الاستعارة من كلام
البلغاء المتقدمين ، والاجلاء المحدثين ، وذهبت إلى أن تهتدوا بأنوارهم ،
وتقتتدوا بآثارهم ، اعتسفتم الكلام وصحفتُموه ، وأحلتُمُ النظامَ
فأكهرتهموه ، ورقعتُمُ خيش^٥ المروطِ الصوفية ، برقيق البرود الموشية ،
وقرنتُمُ در^٦ غيركم بأجركم ، فامتازت مع تعديكم^٧ الآثار بتمويهكم
محاسنهم من قبائحكم ، وإذا حصصت^٨ حقيقة فضائحكم ، لم تعتصموا
بِعُلُقٍ ، سوى^٩ الاضطغانِ والحنق :

غضبَ التيوس على شيفارِ الجازرِ والمغرِقين على الأثيِّ الزاخرِ
فقد اجتهد لنصرك ، من قامَ بعذك . وحَمَلتني لك العصبية ، واستدعتني

١ ب م : فاتبعوا ؛ ولعلها « فائتبعوا » .

٢ ب م : وأمدوا ؛ لعل الصواب « وامروا » من المري .

٣ ط د س : واحضروا ؛ ب م : واحسروا .

٤ ط د : رجتم البكاة ؛ ب م : البكاوة .

٥ س : خشن .

٦ م ب : وقويم دار .

٧ ط د : مع ثمرتكم ؛ ب م : فأشارت مع تفويركم .

٨ ط د : صححت .

٩ ط د : تعتصموا بسوى .

فيك الحميَّةُ ، [إلى ما] ترى [من توبيخ] الكتبة^١ الذين ليس لهم
بَسْطَتُكَ في العلوم الدينيَّة^٢ ، ولا بُرَاعَتُكَ في الفنون الأدبيَّة والرياضية ،
جلالاً بك أن ينتسب إلى حزبك ، مَنْ لا يُعَدِّلُ بك ، وكما لا يضرُّ
بالجواد^٣ السابق أن يكونَ في آريٍّ مع بطاءِ الأعيار ، كذلك ليس عليك
في اختلاطك بهم من كآبة^٤ ولا عار .

ثمَّ نعودُ إلى تنفيذِ المعترضِ عليك باستئثار^٥ المشار : وكيف
يوسَمُ بالحقارة ، أو يُرَسَمُ بالنزارة ، وهو من الحديد ، الذي فيه بأسٌ
شديد ، ومنافعُ للنَّاسِ ، وهو من إرهافه ورقَّةٍ غراره واضطرابِ مَتْنِهِ
مناسبٌ لحسامِ الكميِّ البطل ، وحاملُهُ غيرُ أعزَل ، وإن شئتَ استمجدت^٦
منه زناداً ، وشفاراً حدَّاداً ، ومن بدائعِ أعاجيبه أن المَدَى ما لم تكنْ
مفلولةً فهي أبرى ، والمشارُ لا يحسُنُ قَضْبُهُ ، حتى يُفَلِّلَ غِربَهُ ،
ومن آلاتِ المشارِ عصاه التي تُثَقِّفُهُ أن يتَّادَ ، وتسدِّده إذا حادَ ، وإن
شئتَ صنعتَ منها مخاصراً لأربابِ المُلُكِ ، أو صلباناً [ومتكات] لطواغيتِ
الشرك ، مع ما فيها من المآربِ الجسيمة ، وقد اقتصرْتُ على تصنيفها بما

١ ب م : لدى الكتبة .

٢ ط د س : الدينية .

٣ ط د س : الجواد .

٤ ب م : كآته .

٥ ط د س : وفي فصل ، ونمود

٦ ط د س : في استئثار .

٧ س : استجدت ، وكتب خ في الهامش : استمجدت ؛ ط : استمجت .

٨ ط د س : بديع .

ذكره الجاحظ في العصا ، فكثيراً ما كنت أسمعك تلهج بكتاب « البيان »^١ وتدعي حفظه .

ومن عجائب المنشار إذا سمعَ جمعته رُئيَ^٢ طِحنُه^٣ ، ومن غرائبهِ شِكالُه^٤ ، وأكثرُ ما يكونُ من الشعر والصوف والوبر ، وقد وصفها [١٣٥ ب] الله تعالى [في التنزيل] فقال ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (النحل : ٨٠) فكيف لنا أن نستنزر^٥ ، ما نُبَيِّنُها لنحمدَه^٦ ونَشْكُرَ ، فإن اعتريضَ عليك أن شِكالَه^٧ قد يُصنَعُ من ليفٍ ودومٍ وشبهه ، فأقلُّ ما يوجبُه أن يُعقَلَ به بعير ، وقد قال الصديق^٨ : لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه ، ذُكِرَ في التفسير أن معناه « ثمن عقال » إذ ذلك حزمٌ في الملة ، وابتداعٌ مُحَدَّثٌ في زكاة الأمة . ولولا خوفُ الطول^٩ باقامة معاذيرك لأمسعتنا في التوجيه ، ولكن الإشارةَ كافيةً لمن عَقَلَ ، كما أن الإطالة غيرُ مقنعة لمن ساءَ فهمه وجهل .

وله من رقعة^{١٠} خاطب بها الوزير ابن محامس عنايةً بالكاتب ابن أرقم : مكاسبُ الشعراء — أعزك الله — من مواهب^{١١} الأمراء وعناياتِ الوزراء ؛ ومن شذا الأدباء فانما^{١٢} يُناقض أرباب الرياسة ، ويُعارض أقطاب الوزارة ؛

- ١ ط د س : تلهج بكتابه .
- ٢ ب م : عجمته ربي .
- ٣ هو من قولهم : اسمع جمجمة ولا أرى طحناً ، انظر فصل المقال : ٤٤٨ ؛ والعسكري ١ : ١٠٧ .
- ٤ ط د : فكيف يستنزر ؟ س : يستنزر .
- ٥ انظر تاريخ الطبري ١ : ١٨٧٣ .
- ٦ ط د س : وابتداع لحدث .
- ٧ ط د س : الاطالة .
- ٨ ط د س : أخرى .
- ٩ ط د : مراتب ؛ م : واهب .
- ١٠ ط د س : كأنما .

وكانت عند الأديب ابن أرقم المحتفل في شكرك احتفالي ، والمطنب في حمدك إطنابي ، بضاعة مزجاة أنفق في جمعها مُصاصة أيام العمر ، وخلاصة قوافي الشعر ، وقطع في اكتسابها ظهري^١ البر والبحر ، وصلي بجمرتي القر والحر ، حتى إذا وفّت بثمر خادم من الوخش ، لم ينتظر نماء المال ، إلى أن يفني برأس غال ، لتوقعه أن ينقضي الزمان ، ولم يقص أرباً من القيان^٢ ، ويصير من كبرة السن ، إلى حيث لا يقدر على ذلك الفن ، فافتنى بوشقة^٣ صبية فيها بلغة لمن كان ذا عزبة ، وفصلت له خمسة وعشرون ديناراً ، عدد نصف سنيه الماضية ، وفشا في قوم هجاء ظنوه من شعره رجماً بالغيب ، وحاشا لأدبيه من السفة ، واحتلقوا أنه اتباع بما بقي له مهرأ هجيناً ، وثورأ مربباً ، وتبنى بنتاً^٤ ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء ﴾ ويشير إلى قينته^٥ ، والبنين ﴾ ويشير إلى دعيته ﴾ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾ وينظر إلى كفه^٦ منهما إلى أقل من ربع أوقية ﴾ والخليل المسومة ﴾ (آل عمران : ١٤) ويلاحظ إلى مهره الذي لو بيع بحجر^٧ من حجارة القدح لربح البائع وخسر المشتري ، وكل هذا منهم

١ ب م : ظهر .

٢ م : العيان ؛ ب : العيان .

٣ س : بوسمه ؛ ط : برشقة .

٤ ط د س : ووصلت .

٥ ب م : مربباً ؛ ط د س : هزيلة .

٦ ط د س : وتبنى (ط : وتبنا) بنينا ؛ وفي م ب بعدها : وزرع .

٧ ب م : غولة .

٨ ط د س : عفة .

٩ ط د س : بحجارة .

افتراءٌ عليه ، واغتراءٌ به ، وأخافوه فلاذ بك ، واستجارَ بظلك :

ومن يستجرُ بالكاتبِ ابنِ مُحاميس^١ فقد لاذ من رَيْبِ الزَّمانِ بحارسِ
وزيرِ التجيبيِّ ابنِ منذرٍ الذي تبوأ مجداً فات شأوَ المقياسِ [١٣٦ أ]
مليكٌ متى يجلسُ يطلُّ كلَّ قائمٍ وكم من ملكٍ قائمٍ مثل جالسٍ

وله من أخرى : بعثتُ ابني وغلامي^٢ عشيّةَ العيدِ للسَّوقِ ، فأخطأ
أوجهُ النجاحِ ، وعاد مُشخناً [لي] بالجراحِ ، فبتَّ أَتَقَلَّبُ بين ألمِ العلةِ ،
ومَضَضِ الدَّلَّةِ ، وبات من عندي طاوياً إلاَّ من الكَرْبِ ، وصادياً
إلاَّ من الدَّمْعِ ، فتجاذبُ أَطْنابُ الكمدِ ، وسرورُ العيدِ يقومُ بالناسِ
ويقعدُ ، وسيّدنا الرئيسُ — أدام الله تأمينَ سِرِّهِ ، وإعزازَ حزبه —
أجلُّ من أن يضامَ جاره ، أو يكدرَ جواره ، وحسبي بهذه الشرعةِ سبياً
إلى وُدِّهِ ، فهي شرعتهُ ، وحاشا لشيحه الكريمة من المضارعةِ الكليّةِ ،
والمشاكهةِ الجُمليّةِ^٣ ، ولكنها — ولسؤدده المثلُ الأعلى — كما يفترنُ
عُطارِد على خفائِهِ ، بالشمسِ على ضيائِها .

١ ط د : محاسن .

٢ وغلامي : سقطت من ط د ، وجاء النص على التثنية في ب م ، ولا ضرورة لذلك لأن الغلام
والابن يشيران إلى واحد .

٣ ط د س : والمشافهة ؛ ب م : الجلية .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

[له من قصيدة] :

بِعَيْشِكَ إِلَّا مَا قَصَرْتَ لَنَا الدَّجَى فَقَدْ زِيدَ جَنَحُ اللَّيْلِ فِي طَوْلِهِ ضَعْفًا
كَأَنَّ النُّجُومَ الزَّهْرَى فِي حَضْرَةِ الدَّجَى أَزَاهِيرُ نَوَّارٍ عَلَى رَوْضَةِ خَيْفًا
كَأَنَّ جَنَاحِي نَسَرَهَا وَهُوَ وَقَعَ مَهِيضَانِ لَمَّا يَسْتَقِلَّ بِهِ ضَعْفًا
كَأَنَّ أَخَاهُ قَدْ أَتَى مِنْ ثَنِيَّةٍ لَدَيْهِ فَوَلَّى حِينَ لَمْ يَرْضَهُ خَلْفًا
كَأَنَّ السَّهْمَ مُصْبِحًا مُشْكَاءَ رَاهِبٍ تَشَبَّ لَهُ طَوْرًا وَأَوْنَةً تَطْفًا
كَأَنَّ عِرَاقِي الدَّلُو فِي كَفِّ مَائِحٍ مِيَاهُ جَفَانٍ تَجْذِبُ الْفَرَّغَ وَالْعِرْفَا
كَأَنَّ بَنِي نَعَشٍ [طَلَائِعُ نَعْسَجَةٍ] يَرُودُونَ فِي دَيْمُومَةٍ عَشْبًا جَرَفَا
كَأَنَّ سَهِيلًا خَلْفَهُ مِنْ أَنَاتِهِ سَكَّيْتُ عَلَى آثَارِ حَلَلْبَتِهِ قَفَى
كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ أَسْوَدُ مُطَرِّقٍ مِنَ الزَّنَجِ فِي لِبْسِ الْحَدِيدِ قَدْ التَفَا
كَأَنَّ ثَبَاتَ الْقُطْبِ فَوْقَ مَصَامِيهِ ثَبَاتُ لَبِيبٍ كُلَّمَا شَهِدَ الزَّحْفَا

ولمّا احتذى أبو الربيع في هذه التشبيهات^٢ طريقة محمد بن هانيء الأندلسي
وسلك سبيله فضل^٣ عنها ، وهي قصيدته التي أولها^٤ :

أَلَيْلَتَنَا إِذْ أُرْسِلَتْ وَارْدًا وَحَفَا وَبَتْنَا نَرَى الْجُوزَاءَ فِي قُرْطِهَا شِنْفَا
وَبَاتَ لَنَا سَاقٌ يَقُومُ عَلَى الدُّجَى بِشَمْعَةٍ صُبْحٍ لَا تَقْطُ وَلَا تَطْفَا
أَغْنُ غَضِيضٌ خَفَّفَ اللَّيْلُ قَدَّهُ وَأَثْقَلَتِ الصَّهْبَاءُ أَجْمَانَهُ الْوُطْفَا [١٣٦ ب]

١ س : نثير جمار ؛ ط س د : والعرفا .

٢ ب م : التشهيدات .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ وانظر النفع ٤ : ٤١ والمطبع : ٧٥ ونثار الأزهار : ١٢٩ ،

وفي ترتيب أبيات القصيدة في الديوان بعض اختلاف، كما هنا .

تزيّف مضاه السكرُ إلاّ ارتجاجةً
يقولون حِقْفٌ فوقه خَيْرَ رَانَةٍ
وقد فكتِ الظلماء بعض قيودها
وولّتْ نجومٌ للثريا كأنها
ومرّتْ على آثارها دَبْرانها
وأقبلتِ الشعري العبّور ملبّةً^٢
تخافُ زئيرَ الليثِ قدّم^٣ نثرةً
كأنّ سهيلاً في مطالع أفقهِ
كأن السماكين الذين تظاهروا
فذا رامحٌ يهُوي إليه سنانهُ
كأن معلّى قطبها فارسٌ له
كأن قدّامى النسر والنسر واقعٌ
كأن أخاه حين دوّمَ طائراً
كأن بني نعشٍ ونعشاً مطافلٌ
كأنّ سهاها عاشقٌ بين عودٍ
كأنّ ظلامَ الليل إذ مال ميلةً
كأن عمودَ الصبحِ^٤ خاقانٌ معشري
كأنّ لواءَ الشمسِ غُرّةُ جعفرٍ

إذا كلّ عنها الحصرُ حمّله الردفا
أما يعرفون الخيزرانةَ والحقفا
وقد قام جيش الصبح^١ [الليل] واصطفوا
خواتمُ تبدو في بنانٍ يدٍ تخفى
كصاحبِ ردءٍ كُمتت خيله خلفا
بمرزمها اليعسوب تُجنبهُ طيرفا
وبربرَ في الظلماء ينسفها نسفا
مُفارقُ إلفٍ لم يجدْ بعده إلفا
على لبدتيه ضامنان له لختفا
وذا أعزلٌ قد عضّ أتملّه لهما
لواء ان مركزوزان قد كره^٥ الزحفا
قُصِصنَ فلم تسمُ الخوافي به ضعفا
أتى دون نصفِ البدر فاختطف النصفا
بوجرة قد أضلّلت في مهمه خشفنا
فآونةً يبدو وآونةً يخفى
صريعُ مُدامٍ بات يشربها صرفا
من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
رأى القيرنَ فازدادت طلاقته ضعفا

١ الديوان : وقد ولت الظلماء تقفون نجومها... الفجر ؛ هامش س : جيش الليل للفجر .

٢ الديوان : مكبة ؛ ب م : مليّة .

٣ الديوان : يقدم .

٤ ب م : كرها .

٥ الديوان : الفجر .

وقد تقدم قبل هذه الصفة الجامعة في النجوم علي بن محمد الكوفي ، في قصيدة^١ يقول فيها^٢ :

مَتَى أُرْتَجَى يَوْمًا شَفَاءً مِنَ الضُّعْفِ	إِذَا كَانَ جَانِيهِ عَلِيٌّ طَبِيبِي
وَلِي عَائِدَاتٌ ضِفَّتِهِنَّ فَجْتَنَ فِي	لِبَاسٍ سَوَادٍ فِي الظَّلَامِ قَشِيبِ
نَجْمٍ أُرَاعِي طَوْلَ لَيْلِي بِرُوجِهَا	وَهَنَ لِبَعْدِ السَّيْرِ ذَاتَ لُغُوبِ
خَوَافِقُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ كَأَنَّهَا	قُلُوبٌ مَعْنَاةٌ بِطُولِ وَجِيبِ [١٣٧]
تَرَى حَوْتَهَا فِي الشَّرْقِ ذَاتَ سَبَاحَةٍ	وَعَقْرِبَهَا فِي الْغَرْبِ ذَاتَ دَبِيبِ
إِذَا مَا هَوَى الْأَكْلِيلُ مِنْهَا حَسِبْتَهُ	تَهْدُلُ غَصْنَ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبِ ^٣
كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْمَجْرَةِ أُورِدَتْ	لِتَكْرَعَ فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَبِيبِ
كَأَنَّ رَسُولَ الصَّبْحِ يَخْلُطُ فِي الدَّجَى	شَجَاعَةً مَقْدَامَ بِحَرِي هَيُوبِ
كَأَنَّ أَخْضَرَ الصَّبْحِ صَرَخَ مَمْرَدٌ	وَفِيهِ لَالٌ لَمْ تُشَنَّ بِثَقُوبِ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ صُبْحِهِ	سَوَادُ شَبَابٍ فِي بَيَاضِ مَشِيبِ
كَأَنَّ نَذِيرَ الشَّمْسِ يَحْكِي بِبَشَرِهِ	عَلِيٌّ بْنُ دَاوُدَ أَخِي وَنَسِيبِ
وَلَوْلَا اتِّقَائِي عَتَبَهُ قَلْتُ سَيِّدِي	وَلَكِنْ يَرَاهَا مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِ
نَسِيبُ إِخَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ مَنَاسِبِ	قَرِيبُ صَفَاءٍ وَهُوَ غَيْرُ قَرِيبِ
وَنَسَبَةُ أَجْسَامِ الْأَقَارِبِ وَحَشَّةٌ	إِذَا لَمْ يُوْنَسَهَا اتِّسَابُ قُلُوبِ

١ ط د س : في قصيدته التي .

٢ وردت أبيات منها في نثار الأزهار : ١٢٨ .

٣ ما بعد هذا حتى « رجع » لم يرد في د ط س .

٤ نثار : الجور .

٥ نثار : علي بن هرون .

ولأبي الفضل البغدادي الدارمي^١ من قصيدة في ذلك :

وليل تجلّى الصبحُ في جنباته
أحاطت بآفاق السماء خيامه
نفى طولُه عني الرقادَ كأنما
تعانقَ كيوانٌ وبهرامٌ وسطه
غريبان خافا الضغنَ في دارٍ غريبةٍ
فبتَ أُجِيلُ الطرفَ أرتادُ فجرةً
كأنَّ النجومَ الزهرَ فيه خرائدُ
تودّعَ مَنْ تهوى بكسري جفونها
ولاءَ كغزلانِ النصارى تدرّعوا
كأنَّ ثريّاهُ أناملُ فضّةٍ

سنا بارق في لَجّ بحرٍ تعبًا
وطبّقَ شرقًا في البلاد ومغربا
يغارُ على الجفنين أن يتركبا
على الحقدِ في صدريهما وترحبا
ورُبّتَ ناسٍ ضغنُهُ^٢ إذ تغربا
كما ارتاد ذو الشوق الحبيبَ المحجبا
تطالعُ من زهر الكواكب ربّرا
وتكثُرُ من خَوْفِ الوشاةِ الترقبا
بسودٍ مسوحٍ للصلاةِ ترهبها
تقلّبُ تُرْسًا من سنا الليل مذهبا

ومن أخرى :

كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ شَرَبُ
كأنَّ الفرقدين ذوا عتابٍ
كأنَّ المشتري لما تعلّى^٣
كأنَّ الأحمرَ المريخَ معد
كأنَّ سنا المجرةِ فيضُ نهرٍ
كأنَّ بقيّةَ القمرِ المولّي

تعاطيهم ولائدهم شرابا [١٣٧ ب]
أجالا طولَ ليلهما العتابِ
طلّيعةٌ معشرٍ خنّسوا ارتقابا
على حنقٍ يشبُّ بها شهابا
جرى في الزهرِ وانسابَ انسيابا
كثيبٌ مدنّفٌ يشكو اجتنابا

١ ترجم له ابن بسام في القسم الرابع من اللخيرة (انظر ط . مصر ٤ / ١ : ٦٧) .

٢ ب م : صنعه .

٣ م : تما لا .

كَأَنَّ الْفَجَرَ مَبْتَهَجٌ بِبَشْرَى تَلَأْلَأَ بَعْدَمَا ارْبَدَ اكْتِشَابَا
كَأَنَّ اللَّيْلَ مَذْعُورًا^١ بِفَجَرٍ مَرِيبٌ رَاعَهُ سَيْفٌ فَهَابَا

وله في مدح المنتصر بالله حسين^٢ بن يحيى المعتلي^٣ :

كَأَنَّ السَّمَاءَ اللَّالِزُورْدِيَّ وَهْنَةً مَلَأَتْ عَلَى جِسْمِ الزَّمَانِ مِنْهُمْ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِيهِ كَفٌّ خَرِيدَةٌ أُنِيطَ لَهُ إِذْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ مَعْصَمُ
كَأَنِّي أَرَاهَا إِذْ بَدَا دَبْرَانَهَا رَقِيبٌ لَتَعْذِيبِ الْمَتِيسِمْ يَلْزَمُ
كَأَنَّ السَّهْمَ صَبٌّ أَضَرَّ بِهِ الْهَوَى فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمُ
كَأَنَّ بِهِ الْجُوزَاءَ حِينَ تَطْلَعَتْ أَمِيرٌ يَحْيِيهِ الدَّجَى وَيَعْظُمُ
كَأَنَّ شَبِيهَ الْفَرْقَدِينَ مَتِيسٌ يَقْبَلُ مَعْشُوقًا جَفَاهُ وَيَلْثَمُ
كَأَنَّ سَنَا الْمَرِيخِ فِي غَسَقِ الدَّجَى شَهَابٌ تَذَكِّيهِ الرِّيَّاحُ مُفْصَرَمُ
كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ قَلْبٌ وَقَدْ هَوَى بِإِيْمَانِهِ نَسْرٌ مِنَ الشَّرْكِ قَشْعَمُ
كَأَنَّ ابْتِسَامَ الصَّبْحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَوَاجِدُ زَنْجِيٍّ غَدَا يَتَبَسَّمُ
وهذا يشبه قول ابن المعتز^٤ :

حَتَّى تَبْدَى تَحْتَ لَيْلٍ مَظْلَمٍ كَأَنَّهُ غُرَّةٌ طَيْرٌ أَدْهَمُ
أَوْ ثَغْرٌ زَنْجِيٍّ لَدَى التَّبَسُّمِ

ومن أخرى في مدح ابن جهور :

١ ب م : مذعور .

٢ في الجبهة : ٥١ ان ابن المعتلي اسمه الحسن .

٣ ب م : بن المعتلي .

٤ جاء في ديوان ابن المعتز ٣ : ١١١

أعلمتها في شفق لم يتم
والنجم في أديم ليل مظلم
تخاله طارة برد معلم
كأنه غرة طارف أدهم

في ليلةٍ ليلاءَ أَلَقَتْ كلَكَلًا
 طالت عليّ وطال بثِّي تحتها
 والنجمُ في كبدِ السماءِ كأنه^١
 وغدا سهيلٌ طاعنًا بسماكه
 وبناتُ نعشٍ تستديرُ كأنها
 والجلديُّ قد أسرتْ يداه قُطْبِيَّةُ
 والنسرُ قد ضمَّ الجناحَ كأنه
 وكان مطلعها رياضُ جادَه
 والبدرُ يحیی نورَه وقد انطوى
 والصبحُ منهزمٌ وقد رفع اللوا
 حتى تلقى الفجرَ في حلل الضحی
 فكأنه لما استطال على الدجی

ولأبي عامر بن شهيد^٥ :

وارتكضنا وقد مضى الليلُ يسعی
 وكان النجومَ عسكرُ خيلٍ
 وكان الصباحَ قانصُ طيرٍ
 [...] ^٧ :

وأتى الصبحُ قاطعُ الأسبابِ
 دخلت^٦ للكمون في جوفِ غاب
 قبضت كفَه برجلٍ غراب

١ ب م : كليه .

٢ ب : وتحله .

٣ ب م : ظلل الكنسا .

٥ ديوان ابن شهيد : ٨٥ .

٦ الديوان : دخلوا .

٧ بياض في ب م .

٤ ب م : ليعبسا ؛ وعبس : أخذ الشيء غنيمه .

كأنتما الليلُ إذ تولّى لغرةِ الفجرِ إذ رآها
زنجيةٌ أسكّرتْ فأمنستْ تجرُّ من خلفها رداها

رجع :

ولما دخل هشام بن محمد الناصريّ المتلقب بالمعتد^١ قرطبة ، واستوثق له الأمر بها ، سافر عنه رسولا^٢ إلى مقاتل صاحب طرطوشة ، وزيره فائز بن المغيرة ، فاجتمع بها مع أبي الربيع القضاعي هذا فقال له [فائز] : لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا ، فأشده أبو الربيع^٣ :

هَبْكَ كما تدّعي وزيراً وزيرٌ مَنْ أنت يا وزيرُ
والله ما للأمير معنى فكيف مَنْ وزيرَ الأمير

وانما نظر أبو الربيع في معنى هذين البيتين إلى قول^٣ عمر بن إبراهيم في خبر أورده الصولي قال : لما رُدَّ^٤ المعتد إلى سرّ من رأى من طريقه إلى ابن طولون على يدي اسحاق بن كنداج وأحسن التدبير في ذلك ، وسمي ذا الوزارتين* قال [١٣٨ ب] له عمر المذكور :

قل للمسمّى الوزيرَ ظلماً وزيرٌ مَنْ أنت يا وزيرُ
أنت أسرتَ الإمام قهراً وكيف يستوزرُ الأسير

١ د ط : بالمعتد .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٢٤ والبيان المغرب ٣ : ١٤٧ .

٣ د ط س : وإنما بدل أبو الربيع في هذين البيتين قول . . . الخ .

٤ د ط س : ورد .

• تتفق المصادر التاريخية على أن صاعد بن غنم الكاتب هو الذي لقب ذا الوزارتين في تلك الحادثة وإن ابن كنداج لقب ذا السنتين (انظر السوطي : ٣٩٤) .

جملة من أخبار هشام بن محمد الناصري أمير قرطبة
الملقب من الألقاب السلطانية بالمعتد ، نُقِلَتْ من أبي مروان ابن حيان ١

قال أبو مروان [ابن حيان] : وهشام بن محمد هو أخو المرتضى ، أخذت له البيعة بقرطبة ٢ سنة عشرين وأربعمائة ، وهو يومئذ مقيم بحصن البونت قبيل أميره محمد بن قاسم الفهري ، ألقاه إليه المخافة عند ٣ مهلك أخيه المرتضى ، فقلّد هذا الأمر في سنّ الشيوخة ، ولا نعلم أميراً من أهل بيته ولي في مثل سنّه ، وقد كان معروفاً بالشطارة في شبابه ، فأقْلَعَ مع شبيهه ، فرُجِّيَ فلاحه ، لصدق توبته ، وخلوص طاعته ، وتهديّه لما قرط من بطالته ، فجاء سَكِيناً لحلبته ، متخلفاً عن جميع ما قُدِّرَ فيه وظُنَّ عنده ، وكانت بيعته في سهولة أسرع الناس إليها ، افتتحت باجماع وختمت بفرقة ، وعقّدت برضى وحلت بكراهية ٤ ، وكان الوزراء قد نظروا في هيئة أمره ٥ ، وكيفية وروده ، فلم يفجأهم إلاّ وقد أشرف على البلد ، فانقلبت قرطبة أعلاها وأسفلها طرباً إليه وسروراً به ، فركب جيشها لاستقباله ، فدخل في زيّ تقتحمه العين وهناً وقلة ٦ ، عديم رواء وبهجة ، وعَدَدٍ وَعُدَّة ، فوق فرسٍ دون مراكب الملوك ، بحلية مختصرة ، سادلاً ممل غفارة ،

١ سقط هذا العنوان من ط د ، وراجع في أخبار هشام المعتد كتاب الممجب : ١٠٩ والبيان المغرب ٣ : ١٤٥ (وفيه نقل عن ابن حيان) وأعمال الاعلام : ١٣٨ (وفيه تلخيص لما أورده ابن حيان) .

٢ ط د س : بويغ بقرطبة .

٣ ط د س : لجأ إليه عند .

٤ ط د : برضى . . . بكره ؛ البيان : بكره .

٥ ط د : نظروا في أمره .

ما على تحتها كسوة^١ رثة ، قدّامة^٢ سبع^٣ جنائب من خيل الموالي [العامريين] سيّروها معه للزينة دون علكم ولا مطرد^٤ ، يسيّر^٥ هوناً والناس يهشون له^٦ ، ويضجّون بالدعاء في وجهه ، لا يعلمون ما سيق^٧ لهم من المكروه به ، فدخل القصر ، وجاء معه في جملة الموالي العامريين حائك^٨ من أبناء الزعانيف بقرطبة يسمّى حكّم بن سعيد ، الحائك المشهور ، حمل ابنه هذا السلاح ، وأطال السبال ، وخرّجته^٩ الفتنة فصحب^{١٠} أمراءها ، وعرف هذا الخليفة عند ظهوره بالثغر بصحبة جمعتهما بقرطبة في حال الصبا ، فسما إلى الغلبة ، واشتمل عمّا قليل على تدبير سلطانه فنقضه^{١١} سريعاً .

قال أبو مروان : ثم بات^{١٢} الناس ليلتهم^{١٣} ، وغدا الملائ^{١٤} عليه ، ووصلوا على مراتبهم إليه ، وهو بمجلس الخلافة ، فظهر منه ليسومه^{١٥} عي في القول ، احتاج إلى عبارة بعض الأكابر عنه^{١٦} ، وأنشده من^{١٧} حفّض من أدباء الوقت ، فلم يهزه^{١٨} شيء من ذلك لنبو طبعه . وحضره في ذلك اليوم [١٣٩ أ] محمد بن المظفر بن أبي عامر أمير بلنسية [فرفع مرتبته^{١٩} وسمّاه الحاجب وأثنى على سلفه ، يخادعه^{٢٠} وقوّه^{٢١} ينحلب^{٢٢} لأكله ، ثم قرئت كتب وردت معه من شرق الأندلس منها كتاب^{٢٣} عبد العزيز بن أبي عامر أمير بلنسية] وكتاب^{٢٤}

١ ط د س : وكيفية وروده فبادر هو ووفد على البلد ، فسر الناس به وركب جيش قرطبة

لاستقباله . . . وقلة رواء وبهجة . . . سادلا لأسمال غفارة إلى ما تحتها من كسوة . . .

سيرها (س : سيرت) . . . مطرد .

٢ البيان : يهزونه .

٣ ب م : سبق .

٤ ط د : اللباس .

٥ ط د س : وبات ؛ والكلام متصل دون عبارة : « قال أبو مروان » .

٦ ب م : احتاج بعض الأكابر إلى عبارة عنه .

سليمان بن هود صاحب لاردة ، كلّهما في إطراء الخليفة [المعتد] هشام المهديّ للأمة رحمة ، ثم توالّت بَعْدُ كُتُبُ الرُؤساء مسوقةً هذا المساق من غرور أهل قرطبة [فأصغوا من إفكهم إلى ما زادهم خبالاً ، وأوبقهم ورطة] ونكالا ، وكانت تلك الكتب المزورة حفظهم من هؤلاء السافرين بهم ، أدّوا إليهم هذا المغرور بامارتهم عديماً لآلاتها ، ثم تركوه في أيديهم وصرموا حبله ، ولم يتعهدوه فيما بعد بفارس ولا درهم .

وحكى لي بعض أصحاب هذا الخليفة هشام أنه اجتاز^١ على جزيرة شقّر من عمل الموالي العامريين بشاطبة^٢ وطمع^٣ أن يَدْخِلوه فلم يَتَّفَقْ له عندهم شيء ، وجعل يجوب الدوّ فالدوّ إلى قرطبة ، وأوّل ما أظهر من النوادر أن جلس بنفسه للمظالم ، وزاد في قُرَاءِ الجامع حين بلغه أن ما به غير مكّي^٤ وضاحبه ، وزاد في رزق مشيخة الشورى من مال العين ، ففرض لكل واحد خمسة عشر ديناراً مشاهرة^٥ ، فقبلوا ذلك على خُبث أصله ، وتساهلوا في مأكل لم يستطبه فقيه قبلهم ، على اختلاف السلف في قبول جوائز الأمراء الذين سبّكوا خباثت^٦ الضرائب والمكوس القبيحة ، فاستدّر القوم ميريّة هذه الطعنة الخبيثة ، وكنت أحسب فقهاء الشورى بعده^٧ أنهم يكتمون شأن ذلك الراتب^٨ ، حتى سمعت أبرهم يلح في طلبه

١ ط د س : وكان اجتاز . ٢ بشاطبة : سقطت من ط د س .

٣ ب م : وطمعوا . ٤ س ط د : مهم .

٥ هو مكّي بن أبي طالب (غاية النهاية ٢ : ٣٠٩) وصاحبه هو أحمد بن مهدي .

٦ ط د : أخايت .

٧ ط د س : بعده .

٨ ط د س : المرتب .

ويتنظرُ بلوغَ وقته ^١ ، فأنكشف لي شأنه ^٢ ، والقومُ أعلم بما يأتونه ، وهو القدوة ، لا جعلهم الله لنا فتنة ^٣ . وقد حُدِّثْتُ أن هشاماً أطمعهم من قمحٍ ولد القاضي ابن ذكوان أيامَ فرّ عنه ، وأخذ ماله ، فقبلوه قبولَ مالٍ الفبي ^٤ ، وهذه الأخبارُ تُكْتَبُ للغرائب ^٥ ، والفتنةُ تنتجُ العجب ، والحلّةُ تدعو إلى السلة ^٥ .

قال : وقلد هشام وزيره حُكْمَ بَنِ الْقَزَازِ جَمَلَةً [تلك] الأعمال ، وأطلقَ يَدَهُ في المال ، وناطَ به الرجال ، فجري مجرى أعظمِ الوزراءِ المستمرِّين على فتنَةِ ^٦ الملوِكِ في سالفِ الأزمنة ، فحجرَ حَجَرَهُم ^٧ على هذا الخليفة هشامٍ في سنِّ الشيخوخه بطبقٍ ومائدة ، كانا طباقَ همته الكاسدية ، عكفَ عليهما راضياً بأدنى المعيشة ، وقعد في حَجَرِهِ ^٨ ينظرُ بعينه ويسمعُ بأذنه ، يُدْثِي من أدنائه ، ويبعدُ ^٩ من أقصاه ، وخلاّه ومعظم ^{١٠} الأمور يدبّرها بجهله وخُرْقِهِ واعتسافه وتهوُّره ، فلم يلبث أن انتقضت به ، فأردته وصاحبةً سرّياً . واحتاج حُكْمٌ إلى رجالٍ يستعينُ بهم في تدبيره ، فلم يهتدِ منهم

١ ط د س : متى سمعت بعضهم يلح فيه بالطلب .

٢ ط د س : وهم .

٣ س : ط د : فتنَة .

٤ ط د س : استغرب .

٥ ط د : السلب ؛ س : الفلة ؛ ب : الصلة ؛ والمعنى أن الخصاصة تؤدي بصاحبها إلى السرقة ، وانظر اللسان (سلب) .

٦ البيان : المستمرين على فتية ؛ ولعل صواب العبارة : المستبدين على فتية . . .

٧ ط د والبيان : فحجرهم ؛ ب م : فجمد جمدهم .

٨ ب م : حجرة ؛ البيان : قصر .

٩ س : ويقصّي .

١٠ ط د س والبيان : ومما ظم .

إلا [إلى] نَغِيلٍ دَغِيلٍ ، وماجنٍ سفيهٍ أو سوقٍ رذلٍ ، سقطت به عليهم المشاكلة ، واتخذهم عَيْبَةً وبطانةً ، [١٣٩ ب] فمدّوا له في الغواية ، وَجَرَوْا في هواه طَلَقَ الجموح ، ما منهم حازمٌ ولا نصيحٌ ، فهوى صريعاً ، وأصبح مثلاً وموعظةً ، ووقع هشام على [خبر] ودائع ولد المظفر بن أبي عامر^١ ، وَبَعَثَ له عنها وزيره^٢ حكم ، فوصل إليه منها بعض أسباب من ذخائر وثياب ، وَجَرَتْ بأسبابها على الناس^٣ خطوب ، وجعلها على أهل اليسار وأعيان التجار بقيمة سَعَرَتْ مع حِمْلٍ من رصاص وحديد كان جُمِيعَ من خرابات^٤ القصور السلطانية^٥ ، عَجَّلَ عليهم في أثمانها ، فاستجحف^٦ الناس فيها واستعان عليهم بمن كان من الفقهاء رتب له فيها ، ولم يلبث أن ألهبها^٧ كلها شواظ النفقة ، وحال هشام في كل ذلك يزداد ضعفاً حتى^٨ انكشف ، واضطراً إلى طلب الأمتاء والأوصياء عن الأوقاف ومال الغيبة^٩ ، وشبه ذلك ، قُبِعَتْ عليها ، وانفتح بذلك على الأمة مكاره^{١٠} شديدة^{١١} ، وكان القيم له بها مارد من المتفقهين يعرف بابن الجيثار ، ممن خدم^{١٢} الدولة الحمودية في

١ ط د س : ولدان أبي عامر ابن المظفر ؛ س : ولد ابن أبي عامر بن المظفر .

٢ ط د س : وجرت على الناس بها .

٣ ط د س : خزانات .

٤ ط د س : السلطانيات .

٥ ط د س : فأجحف .

٦ ط د س : التهبها .

٧ ط د س : إلى أن .

٨ ب م : أو يصيب (اقرأ : نصيب) غائب .

٩ ط د س : مكاره جمة هناك .

١٠ ب م : خرب .

مثل هذه الأخابث^١ ، فَتَنَكَبَ في ذلك ، فَنَعَشَهُ^٢ هَاشِمٌ من نَكَبَتِهِ ، وَبَعَثَهُ على خِدْمَتِهِ ، فَعَمَّ أَذَاهُ ، وَكَثُرَ صَرَعا ، وَخُصَّ بوزيرِ الملكِ أبي العاصي الحائكِ ، لِمُشَاكَلَتِهِ لِيَاةٍ ، فَفَرَى الْفَرِيَّ ابْتِغَاءَ رِضَاهُ ، فَاعْتَرَتْ^٣ الْأُمَّةَ شِدَّةٌ مَرَّتْ^٤ ، لَهْمُ أَيَّامِ عَلِيٍّ بنِ حَمُودِ جَدَّةَةٍ ، فَسَاءَتْ أحوالُهُمْ لهذه السَّيَاسَةِ الْمَذْمُومَةِ ، وَالْوِزَارَةِ الْمَسْخُوطَةِ ، وَبَلَغَتْ هَاشِمًا فَانْزَعَجَ^٥ مِنْهَا ، وَأَوْعَدَ مِنْ أَفْشَاهَا ، وَأَمَرَ بِإِنْشَاءِ كِتَابٍ شَدِيدٍ عَنْهُ إِلَى الْكَافَّةِ بِمَا اسْتَكْرَهَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَغْلَظَ [فِيهِ] وَعِيدَهُمْ بِمَا دَلَّ عَلَى قِصَرِ الْمُدَّةِ فِي مَا أَتَاهُ ، كَتَبَهُ عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ بنِ شَهِيدٍ وَزِيرُهُ ، وَصَاحِبُ خَالِصَتِهِ أَبِي الْعَاصِيِ الْحَائِكِ ، مَطْوَلًا^٦ مُسْتَكْرَهُ الْلفْظِ ، عَلِيلَ الْمَعْنَى ، شَدِيدَ الْقِسْوَةِ ، خَارِجًا عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ ، لَمْ يَصْصَحِبْهُ^٧ فِيهِ تَوْفِيقٌ ، فَقَامَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ أَبُو عَامِرٍ عَلَى كُرْسِيِّ ، وَقَرَأَهُ عَلَى الْكَافَّةِ وَالْأَعْيَانِ ، ثُمَّ قَرَأَهُ أَيْضًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى الْعَامَّةِ فَصَلَّكَ^٨ الْأَسْمَاعَ بِأَصْلَبَ مِنَ الْجَنْدَلِ ، وَغَشِيَ وَجُوهَهُمْ بِأَحْرَّ مِنَ الْمَرْجَلِ ، وَانْصَرَفُوا يَتَدَارِسُونَ نَوَادِرَهُ .

قال أبو مروان : وكان أبو عامر بن شهيد قد اعتلق يومئذ بدولة هاشم المعتد^٨ ، واختصَّ بوزيره حكم النذل ، المرتقي ذروة الوزارة من الحياكة ،

١ ط د س : في مثل ذلك .

٢ ب م : فَنَشَلَهُ .

٣ ط د س : فاعترت .

٤ ط د س : فمرت .

٥ ب م : أقوالهم .

٦ ب م : فانزع .

٧ ط د س : لم يصحب أباه عامر .

٨ ط د : قد اعتلق به .

وانخرط في سِلْكٍ من [كان] يؤيد المعتدَّ على تلك الهنات الموبقات ،
ومن مأثور نظمته الشاهد بذلك ، قصيدته فيه ، وكانت من مكتوماته ،
أنشدها هذا الخليفة يومَ مهرجان العامِ المؤرَّخ ، لآثر قتلِ عبد الرحمن^١ بن
محمد بن الحنَّاط الوزير ، يحسُنُ له سَطْوَتُهُ ، ويُغْرِيه بمن بقيَ من
أصحابه ، وهي قصيدةٌ ذميمة المعاني استهدفَ بها إلى سَفْكِ دماءِ المسلمين ،
[١٤٠ أ] وجسَّرَ هشاماً على الفتك بالعالمين ، يقول^٢ فيها^٣ :

أحلتني بمحلةِ الجوزاءِ ورويتُ عندك من دمِ الأعداءِ
وطعمتُ لحمَ المارقين فأخصبتُ حالي وبلغني الزمانُ شفائي
ورأيتني كالصقرِ فوقَ معاشرٍ تحي كأنهمُ بناتُ الماءِ
ولمحتُ إخواني لديك كأنهمُ مما رفعتهمُ نجومُ سماءِ

ومنها :

لا يرحمُ الرحمنُ مَصْرَعَ مارقٍ عبثت بطاعته يدُ الأهواءِ
الحقيقُ به إخوانتهُ فحياتهمُ نكدٌ وقد أودى أخو السفهاءِ
ساعد بذاك ودَّعُ مقالَ معاشرٍ بخلوا فنالوا خُطَّةَ البخلاءِ
من لم يُفدك سوى الرماحِ فخلتهُ للشمس يرقبها مع الحرباءِ
ودعِ القلائسَ في السحاب يشقُّها^٤ ومفاخرَ الآباءِ للأبناءِ

١ ط د س : قصيدة له من المكتومات قالها آثر قتله أعبد الرحمن .

٢ ط د س : دماء جماعة قال . . . الخ .

٣ ديوان ابن شهيد : ٨١ .

٤ س د : الرياح ؛ وفي متن الديوان : الزمان .

٥ س : الجوزاء .

٦ س : المصاب تشقها .

إنّ الرجالَ إذا تأخَّرَ نفعهم في كلّ معنىٍ شُبّهوا بنساء
أنا صلّيتُهم عند الخِصامِ فخلّتهم لسانِ هذي الحيّةِ الرقشاءِ
في أبياتٍ غير هذه ، ما أحسنَ فيها ولا أغرب ، بل أعربَ عن سُقُمِ
يقينه ورقّةِ دينه .

قلت أنا صاحب الكتاب : أما الأبياتُ في أنفسها فدرٌّ مكنون ، وسحرٌ
مبين ، وأبو عامرٍ كان أعجبَ وأنجبَ من أن يقالَ له ما أحسن وما
أغرب ، ولو قال : حضٌّ^١ على أهلِ بلده ، وأبانَ عن فسادِ معتقده ،
بعد أن يبرأَ إليه من البيان ، ويسلّمَ له غايةَ الإحسان ، لكان أولىَ بابنِ حيّان .

ذكر الخبر عن مقتل الوزير الخائف المذكور وخلع هشام المعتد هنالك ،
وما انتظم من خبر مستطوف في سلك ذلك

قال أبو مروان^٢ [ابن حيان] : وضعف أمرُ هشامٍ ، لسوءِ تدبير وزيره حكم
القزاز ، وبلغ من الظلم والجور أن كَسَدَتْ أسواقُ قرطبةٍ ولم تُسَلَكْ
سبلها ، وأسرَّ الناسُ الوثوبَ على وزيره هذا ، فسقط إليه ذرٌّ^٣ من ذلك ،
فانزعجَ وخافَ على نفسه ، ورحل إلى قصرِ السلطانِ بأهله ورعياله ، وسكنه
مدةً مختلطاً به ، وأخذ في مداراةِ الناسِ ، وكفَّ عن الكلف ، وكتب إلى
الجماعة كتاباً طويلاً وضحَّ فيه العذرَ في شأن تلك الكُلُف ، وحَمَلَ هشاماً

١ ط د : حرض .

٢ ورد هذا الفصل في ط د س كثير الحذف والايجاز ، فكأنه تلخيص لما هو هنا ، انظر البيان
المغرب ٣ : ١٤٨ ، فالتقل فيه أكثر مطابقة للنسخ ط د س .

٣ ط د س : ذرو خبر .

٤ ب م : ورعياله ، وسقطت من ط د س .

على [١٤٠ ب] الازورار عن بعض مشيخة الوزراء الأقدام ، وقصد منهم كبيرهم أبا الحزم بن جهـور ، وطلب تعثيره فلم يستطعه ، وأما أنه يطمح لازالته ^١ ، ليتمكن بالناس بعده ، والله يستدرجه ^٢ ، إلى أن أمكن الله من هذا الجائر حكم ^٣ ، وذلك أنه لما خرق في تدبير سلطانه ، واعتسف الأمور ، وأساء السيرة والتدبير ، واستفسد إلى الكافة ، وكان من مغرس ديني ، ومهنة مردولة ، فأثره الخليفة ^٤ ، وسما به إلى المحل الذي لا يستحقه ، وتبوا حـجره ^٥ ، ورضي منه في حال الشيخوخة والحنكة ، بأهون ما رضىه أحداث الأمراء ، ففوض إليه ، وعول عليه ، ثم قعد ينظر بعينيه ، وينطق بلسانه ، وألزم حياة الأمراء طاعة الفسـكـل ^٦ ، وهو رجل من دخلاء الجند ما فيه شيء من خصال الرجال إلا ثقافة الركوب الساذج ^٧ ، دون غناء ولا شجاعة ، منتقلا من الحياكة إلى الذروة العليا من تقلد الوزارة ، فبدرا لأول وقته بعداوة الأحرار ، وتنقص الفضلاء ، والميل على أولي البيوتات بالأذى والمطالبات ^٨ ، وصير صنائعه في أضدادهم من التوابع والحاكة ، فكانوا وزراءه وأنصاره ، فنالوا معه المنازل النبيلة ، وأكلوا الطعوم الرقيقة ^٩ ، أكثرهم صبية أغمار عيتارون من نمطه ، ممن دينه

١ ط د س : إلى ازالته .

٢ ط د س : إلى أن مكن منه .

٣ ط د س : جلة الوزراء طاعته .

٤ ب م : لباقة .

٥ ط د س : ركوب ساذج .

٦ ط د س والبيان : والمطالب .

٧ س : الرفيعة .

حثُّ الكاس ، وتنضيدُ الآس ، وطبخُ الترفاس^١ ، والتفكُّه بأعراض
الناس . إن ضجَّ مظلومٌ سخروا به^٢ وحاكوه^٣ ، فالناسُ منهم ومِن
صاحبهم في بلاءٍ عظيم ، وتجهد^٤ مقعدٍ مقيم . وعندما سولت لهذا الحائك
— حكَم — نفسه الحبيثةُ الاستيلاءَ على البلد ، واجتثاث^٥ مشيخةِ الوزراء ،
بما زين له جاري القدر ، وسوءُ النظر ، سقطت جُنْدَهُ البلديين لعلمه
أنهم صنائعُ الوزراء قبله ، ورأى أنهم لا يصلحون له ، فأخترَ أعطيائهم
فاضطربوا ، فلما لاح له حركةُ الحمس والقول فيه ، بنى القصبة
المطلَّة^٦ على ساحةِ المدينة ، استظهاراً على ما خافه من تحركِ العامةِ ،
فَهَيْتِكَ بها عندهم سِتْرُهُ^٧ ، ودبروا القيامَ عليه ، وهو على ذلك مُصِرٌّ
في غيِّه ، عمٍ في لجاجته ، آمنٌ مَكْرَرٌ خالقه ، عَهِرُ^٨ الخُلُواتِ ، صريعُ
الشهوات^٩ ، لهجٌ بالفكاهات ، كلفٌ بالبطالات ، كثيرُ الكذبِ والأيمان ،
شنيعُ الفجورِ والعدوان ، وصاحبُهُ أميرُ المؤمنين القائم بأمرِ الأمةِ عالمٌ
بذلك راضٍ من وزيره هذا الحائك بإقامةِ وظائفه ليوميه وشهره ، من
نشيله وحنينه ، وشوائبه وشرابه ونبيذه ، وملأ قلبه وعينه^٩ بالمطعم

١ الترفاس (وعند ابن البيطار : الترفاش) : الكفاة ، بالبربرية ، وفي م ب : الرفاس .

٢ ط د س والبيان : منه .

٣ ط د : وتجهل ؛ البيان : وجهد ؛ س : ويجهد .

٤ ب م : واجتثاب .

٥ ط د س : بما زجر له (س : زجرته) زاجر القدر .

٦ ط د : قصبة منيفة ؛ س والبيان : قصبة منيفة .

٧ ط د س : سقيم .

٨ ط د س : النشوات .

٩ ط د س : وعينه .

الذي كان أثر الأشياء عنده ، فأكثر له من الأطعمة والشهوات ، وأعد له القينات والملهيات والمغنيات ، فوكسه^١ في الصبا بعد المشيب ، وعرف شغفه بالبطالة فقصدها وأصاب الغرة [١٤١ أ] فنال عنده نهاية الخطوة ، إلى أن خلط أهله بأهله ، وأباحه سكنى داره ، قد وثق حكم^٢ منه بذلك ، ففرق عنه الأصحاب ، وسد^٣ دونه الحجاب ، وخلا^٤ وراء الستر بين بسم^٥ وزير ، يطير بأجنحة السرور ، وقد شغل بكأس^٦ يمينه ، وبحير يسراه ، وأعرض عما أحاط به ، حتى أتاه من أمر الله ما أتاه ، وقصده في وزيره هذا ما أشجاه ؛ وأرسل [الله] على وزيره ودولته طائفة من فتاك^٧ الجند عرفت مراد الوزراء ووجوه الجند^٨ في إزالة هذا الخائن الحائك ، فدبروا قتله تدبيراً محكماً ، خفي عن حكم مع كثرة عيونه^٩ ، وكان الناظم لهذه الجماعة ابن عم الخليفة هشام^{١٠} ، [واسمه] أمية بن عبد العزيز العراقي ، من أبناء الناصر ، فتي شديد التهور والجهالة ، فانتظم في سلك هذه الجماعة ، وسوّلت له نفسه نيل الخلافة ، وأطمعته في ذلك ، سخرية به ، بعض من نظم التدبير من المشيخة ، علماً بأنه لا ينفذ في الوثوب على هشام إلا من ينازعه لبوسه^{١١} ، ويساهمه قرباه ، فتهيأ أمر القوم في ستر وخفية^{١٢} ، فرصدوا حكم الوزير في طريقه من القصر ، وقاموا عليه فقتلوه وصرعوه ركن الجامع الشرقي في شديد الوحل والقدر ، فكان من تمام محنته^{١٣} ، وطاقوا بالرأس^{١٤} وقد محا الطين رسمه ، فغسلوه

١ س والبيان : فركسه .

٢ ط د : وضرب .

٣ ط د س والبيان : الناس .

٤ ط د س : ابن عم هشام .

٥ ط د س : برأسه .

بي قصرية سمّاك بسوق الحوت ، ونصبوه تحت العليّة التي [كان]
أعدّها لدفاعه^١ ، فصار عبرة^٢ للمتأملين ، وأخذ القوم سلبه^٣ ، وغادروه
عريّاناً مكبوباً لوجهه ، مُضرجاً بدمائه ، وجروا جيفته إلى هوة
القناة ، فألقوها^٤ وسطّ الحماة والأقدار ، ووافى قومٌ من أعدائه فقلّوه
بأسيا فيهم . ووقعت الهبة في الناس ، وانقلب البلد أعلاه أسفله^٥ ،
 واجتمع العوامّ وطلابُ الفتنة إلى جُنْدِ البلد للوقت ، ووافى إليهم أمية بن
عبد العزيز العراقي ، قطبُ القضيّة ، فالتفّ الجناة به ، وتقدّم بهم إلى القصر
لحينه ، وقد وقع الخبر على المخلوع هشام وهو آخذ في بطالته [مع نسائه] ،
فبادروا الصعود إلى العليّة الحديدية فوق سور القصر ، المعدة
لمثل هذه الحادثة^٥ ، فصار الاعتصام بها سبب حياته ، إذ لم يطق
القومُ التعلّق بها ، وقد قصدوا نفسه ، وأشرف للحين على من اجتمع
تحتها داخل المدينة من الجند العامة ، وكلمتهم بجميل^٦ ، وولّى وزيره
الملامة ، فاستقبله قومٌ من الجناة من أسفل القصر برأس وزيره حكم ،
قد هُشّم شجاجاً ، ينادونه : هذا رأسُ وزيرك الذي أبليت به الأُمّة ،
ويغلظون له القول وهو يستلطفهم ، وهم يسبّونه ، فتوصل الناس
إلى حريمه فأباحوه ، ووضعوا أيديهم في نهب ما أصابوه من تشيّبه^٧ ،
وقد كان اجتمع عنده [١٤١ ب] من الأسلاب والغصوب التي استلبها
حكم الخائف متاعاً فاخراً ورياشاً حسن ، من سائر من ظهر عليه من مال
المنكوبين ، وانطلقت الأيدي على آلات القصر من السلاح وغيره ، ووجد

٢ ط د س والبيان : عظة .

٤ ط د س : ووافى مع .

٦ ب م : الخابط .

١ ب م : التي أعدت لرفعها .

٣ ب م : فألقوها .

٥ زاد في النسخ هنا : مع نسائه .

فيه أنواعٌ قيودٍ حديثة كان حكم أحكمها لمن يقيّد بها من الأعيان ، والجاهلُ أُميّة العراقي في كلّ ذلك يحرّضُ العامة على النهب ، والارتقاء إلى البائس هشام وطلب مهجته ، فلا يجدون مُطْلَعاً إليه لمنعة مكانه ، وهشام مُطْلِع رأسه إلى مَنْ تحته بداخل المدينة ينشدّهم ببيعته فلا يجيبه أحدٌ إلاّ بما يسوءه ، إلى أن تبينَ له خذلانهم لإيَّاه ، فأنجح في وكّره إلى أن نزلَ بأمان ، ولم يبقَ معه إلاّ أربعةُ غلمان له ، أحدهم فحلّ والثلاثة صقّلب ، يرقون مَنْ دنا منهم ، ويستعينون الناسَ لاستنقاذهم . وكان منظراً عجيباً في سرعة استحالة حال الدنيا في نصف نهار من العزّ إلى الدلّة . واجتمع الوزراءُ إلى زعيمهم أبي الحزم بن جهور عظيم القرية ، فهتف على الناس بكف الأيدي ^١ ، وسمع هشام الهتف باسم الوزراء ، وقد ألغى ^٢ اسمه ، فأيسرَ عند ذلك من نفسه ، وكعّ فلم يُطْلِعْ بعدُ وجهه ، ولا تكلم بلفظة ، ودفع الوزراءُ بباب القصر النهايةَ والعامة ، فأنهوا ، وأمية العراقي في كل ذلك مقيم بداخل القصر في جمهور النهاية ، قد تبوأ مجلسَ البائس هشام ، واستوى على فراشه ، ورتّبَ وجوهَ النهاية مراتبهم في الخفوفِ به ، والنفاذِ في أمور الإمارة ، لا يشكّ في حصولها له ، محرّضاً على هشام .- مجتهداً في إتلافه . ثم اجتمع الوزراءُ ^٣ واتفقوا على خلع هشام ، وهتفوا بإبطال الخلافةِ جملةً لعدم الشاكلة ، ونفوا عن الروائية والناصرية السداد ، ورجعتُ قرطبةُ إلى تدبير الوزراء ، وتركِ الدعاءِ

١ ط د س : بكف الأذى .

٢ ب م والبيان : ألقي .

٣ ط د س : المأ .

٤ ط د س : عل خلعهم .

لأحد . ونزل هشام^١ إلى ساباط الجامع المفضي إلى المقصورة في من تألف إليه من ولده ونسائه ، فحصل في السباط طارحاً نفسه على الجماعة ، مستغيثاً بهم ، وينشد^٢هم الله في مهجته ، فأعلم بكره الناس له ، فقال : ليت أني قرب البحر فترمون بي في بلته ، فتكون أخفى لشماتي^٣ ، وأروح لنفسي ، فافعلوا بي ما شئتم ، واحفظوني في ولدي وأهلي ، وبدا لهم من ضعف نفسه وغثائه قوله وإلقائه بيده ما كان مكتوماً عن الناس . وبقي بقية يومه وليلته من السباط أسيراً^٤ ذليلاً خائفاً ، ونسوته حوله مولولات^٥ شعثات حاسرات لا يملك لنفسه ولا لهن صبراً ولا نصراً ، شاخص البصر إلى حيث تهجم عليه المنية . ولقد حدث^٦ بعض سدة^٧ الجامع أن من أول ما سأل الشيوخ الداخلين إليه إحضار كيسرة^٨ من خبز يسد بها [١٤٢ أ] جوع بنيته^٩ له ، لا ولد سواها ، لطيفة المكان من نفسه ، قد احتضنها سائر أهلها بكمتهم من قر ليلته ، يقول إنها لبصباها تشكو من الجوع ذاهلة عما أحاط بها فتزید في همته . وسأل إلى ذلك سراجاً يأنس [هو ونساؤه] لضوئه ، فأبكى من كلمته اعتباراً بعادية الدهر ، وأحضر ما طلبه . وبات الوزراء والناس بالجامع ليلتهم غب الحادثة على هشام للفراغ من شأنه ، فأجمعوا على تعجيل إخراجهم إلى صخرة محمود بن الشرف^{١٠} ، والثقة بحفظه ، فاقتصروا على ذلك ، دون

١ ط د س : فيكون أشفى لثاني ؛ البيان : فيكون أخف لثاني .

٢ ط د س : وبقي مكانه من السباط بقية . . . أسيراً .

٣ ط د س والبيان : وحدث .

٤ ط د س : صبية ؛ البيان : طفيلة ؛ أعمال الاعلام : طفلة صغيرة .

٥ ط د : حصن محمود بن الشرب ؛ س : حصن ابن الشرب .

أن يأخذوا خَطَّهٗ بالخلع وَيُشْهِدُوا^١ عليه بعجزه عن تدبير الخلافة وتحلية الأمة مما له في أعناقهم من البيعة على السبيل المعهودة ، وأنساهم الله ذلك إما تهاوناً أو نسياناً ، فنقل إلى حصن ابن الشرف وحبس فيه ، وأمى بن العراقي في كل ذلك لم يبرح من القصر ، قد سوَّكت له نفسه الخلافة ، واستدعى وجوه الجند للبيعة ، وفرغ له الوزراء بعد نفوذ هشام ، فوبَّخوا الجند على الدخول إلى أمية^٢ وحذروهم فتنته ، وألزموا وجوههم إزعاجه عن القصر والقبض عليه ، فأطلق^٣ لسانه على الوزراء بالسب ، فأخرج عن البلد .

[فصل في ذكر الأديب أبي عامر البماري]

نسب إلى بادية^٤ بمار ، شيخ ذلك الثغر أدباً وظرفاً — كان — في ذلك الزمان ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، وسكن مصر ، وقرأ على أبي جعفر الديباجي كتابته في العروض والقوافي وسائر كتبه ، ولقي شيخ القيروان في العربية ، ابن القزاز ، وأبا إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري . وأخبر عن نفسه أنه كان يؤدب بمصر بالقرآن ، وبين يديه تلميذ وسيم ، فمر به أبو جعفر البجائي الأندلسي ، فألفاه يتناوَم ، والتلميذ قد قام عنه ، فأخذ البجائي سحابة^٥ وكتب له فيها هذه الأبيات ، وخلاها بين يديه^٦ :

-
- ١ ط د س : ولا شهد .
 ٢ ط د : فوبَّخوا على الاجتماع إليه .
 ٣ ط د س : فأنطلق .
 ٤ انظر نفع الطيب ٢ : ١١٠ وفيه : التياري ؛ والبماري كتبت بفتحة على الباء في ب ، وبه في س .
 ٥ ب م : منسوب إلى باديته .
 ٦ وردت في النفع .

يا نائماً متعمداً إبصار طيف حبيبهِ
هو جوهرٌ فائقه لـ إنَّ الطيبَ في مثقوبه
أو ركبتني ظهرةٌ إن لم تقلْ بركوبه

فلما قرأها البماري علم أنها للبخاني ، فكتب تحتها :

يا طالباً أضحي حجا بٌ دونَ ما مطلوبه
لو لم يكنْ في ذاك لؤمٌ لم أكنْ أسخوبه [١٤٢ ب]
إني أغارُ عليه من أثوابه^١ ورقيبه

قال : وأنشد يوماً في حلقة قول ابن الرومي^٢ :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقَ كوشكِ الملح بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفِّه كرةٌ وبين رؤيتها قوراء^٣ كالقمرِ
إلاَّ بمقدارٍ ما تنداحُ دائرةٌ في صفحةِ الماءِ يُرمى فيه بالحجرِ
فقال بعضُ تلامذته : ما أظنُّ أنه يُقدَّر على الزيادة ، فقال البماري :
فكدتُ أضرطُ إعجاباً لرؤيتها ومن رأى مثلاً ما أبصرتُ منه خري
فضحك من حضر وقال : البيت لائقٌ بالقطعة لولا ما فيه من ذكر
الرجيع ، فقال :

إن كان بيتي هذا ليس يعجبكم فَعَجِّلُوا مَحْوَهُ أو فاعقوه طري
وأنا مقلٌّ من أخبارِ هذا الرجل ، وما وجدتُ له أكثر مما أثبتُ وقتَ
الفراغِ من تحريرِ هذه النسخة .

١ د ط س : أثوابه .
٢ انظر ديوان المعاني ١ : ٢٩٢ ونفع الطيب .
٣ ب م : دوراء .

فهرس المحتويات

•	مقدمة المحقق
٩	ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الأندلس
١٣	جملة أخبار ونوادر ممن ثار بهذا القطر يومئذ من فتيان ابن أبي عامر
١٤	[مبارك ومظفر]
٢٢	[مجاهد صاحب دانية والجزائر]
	فصل في ذكر ذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر صاحب المظالم
٢٤	أبي عبد الرحمن بن طاهر
٢٨	نوادر رسائل ابن طاهر في أوصاف شتى
٢٨	فصول من رسائله السلطانيات
٤٠	طرف من أخبار الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز
٤٤	بقية رسائل ابن طاهر السلطانيات
٥١	ومن رسائل ابن طاهر الإخوانيات
٥٨	جملة من رسائله في الشفاعات والوسائل
٦٥	من رسائله في الدعابة والهزل
٧٥	من رسائله في التعازي وما يجانسها
٨٥	فصول من كلامه في وصف ثغور البلاد
٩٢	ذكر الخبر عن تغلب العدو على بلنسية وعودة المسلمين إليها
١٠٣	فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي عامر بن الفرج
١٠٤	فصل في ذكر ذي الوزارتين القائد أبي عيسى بن لبون
١٠٩	فصل في ذكر ذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن رزين

- ١١٣ [جملة من رسائله]
- ١١٤ [جملة من شعره]
- ١١٧ من شعر ذي الرياستين في النسيب وما يناسبه
- فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عمر بن
- ١٢٥ عبد البر النمري
- ١٢٧ جملة من رسائله السلطانيات
- ١٣٢ [أخبار ونوادر عن ابن الجصاص]
- ١٣٤ رجع [إلى ابن عبد البر ورسائله]
- ١٤٣ لإيجاز الخبر [عن قتل المعتضد لابنه اسماعيل]
- فصول من رقاع [لكتاب الأندلس يحاكون بها رسالة ابن
- ١٥٤ عبد البر في تلك الحادثة]
- ١٦٥ بقية رسائله السلطانيات
- ١٧٣ من رسائله في ذكر الجهاد واستنفار كواف البلاد
- ١٧٩ لإيجاز الحادثة بنجر بربرشتر
- ١٩١ من رسائله الإخوانيات
- ٢٠٨ فصول من كلامه في رسائل الشفاعات والوسائل
- ٢١٣ من كلامه في ذكر التهنة وإقامة رسم الهدية
- ٢١٨ من رسائله في التعازي
- ٢٢٦ فصل في ذكر الوزير الكاتب الماهر أبي عامر بن التاكربي
- ٢٢٧ فصول من رسائله السلطانيات
- إيجاز القول عن إمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه ببلنسية
- ٢٤٩ وأعمالها
- فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف عبد الرحمن بن فاخر
- ٢٥١ المعروف بابن الدباغ

- ٢٥٤ جملة من رسائله في أوصاف شتى (فصول في ذم الزمان وبنييه)
- ٢٧٨ من رسائله الإخوانيات
- ٣٠٦ من كلامه في العتاب وما يجانسه
- ٣٠٩ وله فصول من رسائل في العناية والوسائل
- ٣١٤ من رسائله في التعازي
- ٣١٧ فصل في ذكر الأديب أبي الربيع سليمان بن مهران السرقسطي
- ٣١٩ [في ذكر محمد بن الكتافي المتطبب]
- ٣٢٢ فصل في ذكر الأديب الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن خلصة الضرير
- ٣٢٢ فصول من كلامه في أوصاف شتى
- ٣٢٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٣٣١ فصل في ذكر الأديب أبي مروان بن غصن الحجاري
- ٣٣٦ فصل في ذكر الأديب ادريس بن اليماني العبدري اليباسي
- ٣٣٧ جملة من شعره في أوصاف شتى (في النسيب)
- ٣٤١ (من شعره في المديح)
- ٣٤٥ [تباري الشعراء في وصف الحمامة]
- ٣٥٢ رجع إلى ادريس بن اليماني
- ٣٦٠ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الاصمغ بن أرقم
- ٣٦١ فصول من رسائله السلطانيات
- ٣٨٩ فصول من خطبة ابن سيده مما نقد ابن أرقم عليه
- ٣٩٣ جملة له من الإنشاءات السلطانيات
- ٤٠٣ ابنه أبو عامر [ابن أرقم]
- ٤٠٩ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى
- ٤١٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عمر بن القلاس

- ٤١٩ جملة من رسائله في أوصاف شتى
الخبر ببادرة أحمد بن سليمان بن هود فيما كان راعه من
٤٢٣ الفتك بأخيه
٤٢٤ [عود إلى رسائل ابن القلاس]
٤٢٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم
٤٢٧ فصول له خاطب بها أغلب أصحاب ميورة
٤٤٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر بن جرج
٤٤٩ جملة من أثره
٤٥٢ [من شعره]
٤٥٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي
٤٥٩ جملة من ترسيله
٤٨٦ ومن شعر أبي الفضل
٤٩٠ [أبيات للشعراء في وصف قوس قزح]
٤٩٢ [رجع إلى شعر ابن حسداي]
٤٩٤ [لمعة] بيسير من أخبار أبي الطيب
٤٩٨ [نادرة للمؤلف مع ابن عبدون]
٤٩٩ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي
٤٩٩ [جملة من ترسله]
٥٠٨ قطعة من شعره
٥٠٨ [أشعار مختارة في التشبيه بالنجوم]
٥١٤ رجع [إلى ذكر أبي الربيع]
٥١٥ جملة من أخبار هشام المعتد
٥٢٢ ذكر الخبر عن مقتل الوزير الخائف وخلع هشام
٥٢٩ فصل في ذكر الأديب أبي عامر البماري

تم طبع هذا الجزء على مطابع

دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل البحر زرية

تأليف

أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (- ٥٤٢)

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

لقسم الثالث
المجلد الثاني

دار الثقافة
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٣

١٩٩٧م - ١٤١٧هـ

في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة^١

الناظمُ المطبوعُ ، الذي شهد^٢ بتقديمه الجميع ، المتصرفُ بين حكمه وتحكمه البديع . « تَصَرَّفَ في فنونِ الابداع كيف شاء ، وأَتْبَعَ دَلَوَهُ الرِّشَاءَ ، فشعشَعَ القولَ وروَّقَهُ ، ومدَّ في مَيدانِ الاعجاز طَلَقَهُ ، فجاء نظامُهُ أرقَّ من النَّفْسِ العليل ، وآنَقَ من الروضِ البليل ، يكادُ يمتزجُ بالروح ، وترتاحُ إليه النفسُ كالغُصْنِ المروح ، إن شئتَ فَغَمَزَاتِ الجفونِ الوُطفِ ، أو إشارةُ الأناملِ التي تُعَقِّدُ من اللطف ، وإن وصفَ سِرَّاهُ والليلُ بهميمٌ ما له وُضُوحٌ ، وخَدُّ الثرى بالنَّدَى منضوح ، فناهيكَ من غرضٍ انفردَ بمضماره ، ونجردَ لحي ذماره ، وإن مدح فلا الأعشى للمحلق ، ولا حسانُ لأهلِ جِلَقٍ ، وإن تصرَّفَ في فنونِ الأوصافِ ، فهو فيها كفارس خصاف^٣ ؛ وكان في شبيبته مخلوعَ الرَّسَنِ في ميدانِ مجونه ، كثيرَ الوَسَنِ ما بين صفا الانتهاكِ وَحَجْوَنِهِ ، لا يبالِي بمنِ

١ توفي سنة ٥٣٣ هـ ؛ راجع في ترجمته قلائد العقيان : ٢٣١ والمطمح : ٨٦ وبغية الملتبس : ٢٠٢ والمطرب : ١٠٩ والتكملة ومعجم أصحاب الصدي : ٥٩ والمغرب ٢ : ٣٦٨ وابن خلكان ١ : ٥٦ والخريدة ٢ : ١٤٧ ، ٣ : ٥٤٨ (ط . تونس) والمسالك ١١ : ٢٥٥ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ؛ وقد أثبت محقق ديوانه مصادر ترجمته (الديوان : ٣٧) ؛ وقد راجعت جميع ما أورده ابن بسام من قصائد ومقطعات على هذا الديوان ، ولكني لم أثبت الصفحات لكثرة ما اختاره المؤلف من شعره .

٢ ط دس : يشهد .

٣ م ب : كمارض اخصاف ؛ وخصاف فرس مالك بن عمرو الغساني ، فارس يوم حليلة ؛ وقيل غيره .

التبس ، ولا بأيّ نارٍ اقتبس ، إلّا أنه قد نسكّ اليومَ نسكَّ ابنِ أذينة^١ ،
وأغضى عن إرسالِ نظره في أعقابِ الهوى عَيْنَه ؛ وقد أثبت له ما
يقفُ عليه اللواءُ ، وتُصرفُ إليه الأهواءُ^٢ .

نشأ ببلادِ الجانبِ الشرقيّ من الأندلس ، فلم يُذكرَ معَه هناك
مُحسِنٌ ، ولا لغيره [١٤٣ أ] فيه وقتٌ حسن ، ولا أعرَفُه^٣ تعرّضَ
للكوكِ الطوائفِ بوقتنا ، على أنه نشأ في أيّامهم ، ونظرَ إلى تهافتهم في
الأدبِ وازديحامِهِمْ ، وهو اليومَ بمطلعهِ من ذلك الأفق ، يبلغني من
شعرِهِ ما يُبطلُ السّحرَ ، ويعطلُ الزّهرَ ، وقد أثبت بعضَ ما وقع
إليّ من كلامه ، فتصفّحه تعلم أنه بحرُ النّظام ، وبقيّةُ الأعلام .

فصول من نثره في أوصاف شتى

١ - فصل في استدعاء مغنّ :

إنَّ لِطَرَبٍ ° - أعزَّكَ الله - جِسْمًا وَنَفْسًا ، يُسَمِّيَانِ سَمَاعًا
وَكَأْسًا . وقد حَضَرَ تَنَاخِمَرَةً ، كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ ، قد تَنَاسَبَتْ سَوَرَتُهُمَا ،
كما تَضَارَعَتِ فِي الْخَطِّ صَوَرَتُهُمَا ٦ :

١ يريد عروة بن أذينة أحد نساك المدينة في القرن الأول .

٢ ما بين أقواس متفق مع القلائد ، ولم يرد في ط د س .

٣ ط د س : أعلمه .

٤ يختلف ترتيب هذه الرسائل في ط د س عما هي عليه في ب م ، فقد جاء في النسخ الثلاث
على النحو الآتي : ٢٠١ (٣) ٩ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ١١ ، ٥ ،
٤٠ ، ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، وقد رقمتهما لضبط هذا
الاختلاف .

٥ د : للظرف . ٦ ط ب : سورتها . . . صورتها .

لو ترى الشَّرْبَ حَوَّلَهَا^١ مِنْ بَعِيدٍ قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُّونَا
 فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْنِسَ ، وَتُطْرَزَ^٢ الْمَجْلِسَ ، فَتُجْرَى فِي ذَلِكَ
 الْجِسْمِ الْكَرِيمِ رُوحَهُ ، وَتُحْضِرَهُ مِنْكَ مَسِيحَهُ ، وَصَلْتَ وَأَجَمَلْتَ .
 ٢ - فصل في ذكر مَنَزَرِهِ :

ولَمَّا أَكْبَّ الْغَمَامُ إِكْبَابًا ، لَمْ أَجِدْ مَعَهُ إِغْبَابًا ، وَاتَّصَلَ الْمَطَرُ
 اتِّصَالًا ، لَمْ أَلَفْ^٣ مَعَهُ انْفِصَالًا ، أذن الله تعالى للصَّحْوِ أَنْ يُطْلَعَ
 صَفْحَتَهُ ، وَيَنْشُرَ صَحِيفَتَهُ ، فَفَقَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ ، كَمَا طَوَى
 السَّجِيلَ الْكِتَابَ ، وَطَفِئَتِ السَّمَاءُ تَخْلَعُ جَلْبَابَهَا ، وَالشَّمْسُ تَحُطُّ
 نِقَابَهَا . وَتَطْلَعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ كَأَنَّهَا عُرُوسٌ تَجَلَّتْ ، وَقَدْ تَحَلَّتْ ،
 ذَهَبَتْ فِي لُئِمَةٍ مِنَ الْإِخْوَانِ ، نَسْتَبِقُ إِلَى الرَّاحَةِ رَكْضًا ، وَنَطْوِي
 لِلتَّفَرُّجِ أَرْضًا وَنَنْشُرُ أَرْضًا ، فَلَا نُدْفَعُ إِلَّا إِلَى غَدِيرٍ نَمِيرٍ ، قَدْ
 اسْتَدَارَ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ سَمَاءٌ ، سَحَابِيهِ عَمَاءٌ ، وَانْسَابُ
 فِي كُلِّ تَلْعَةٍ حُبَابٌ ، جَلَدَتْهُ حَبَابٌ^٤ ، فَتَرَدَّدْنَا بِتِلْكَ الْأَبَاطِيحِ ،
 نَتَهَادِي تَهَادِيَّ اغْصَانِهَا ، وَنَتَضَاحِكُ تَضَاحِكُ أَقْحُوَانِهَا ، وَلِلنَّسِيمِ
 أَثْنَاءَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْوَسِيمِ ، تَرَأْسُلُ مَشْيًى ، عَلَى بَسَاطٍ وَشْيٍ ،
 فَإِذَا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ، وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدْوَلٍ

١ ط د و المسالك : حولنا .

٢ د : وتطرب .

٣ د ط س : لم نجد . . . لم لاف .

٤ د ط : لمة اخواني ؛ س : لبة لإخواني .

٥ العماء : السحاب المرتفع .

٦ ط س : حبها .

شَطَبَ مِنْهُ نَصْلاً^١ ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلاً^٢ ، فَلَا تَرَى إِلَّا بَيْطَاحاً ، مَمْلُوءَةً^٣ سِلَاحاً ، كَأَنَّمَا انْهَزَمَتْ^٤ هُنَالِكَ كَتَائِبُ^٥ ، فَأَلْقَتْ بِمَا لَيْسَتْهُ مِنْ دِرْعٍ مَصْقُولٍ ، وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

٣ - وفي فصل منها^٦ :

فَاخْتَلَلْنَا قُبَةَ^٣ خَضْرَاءَ ، مَمْدُودَةَ أَشْطَانِ الْأَغْصَانِ ، سُنْدُوسِيَّةَ رِوَاقِ الْأَوْرَاقِ . وَمَا زِلْنَا نَلْتَحِفُ^٤ [مِنْهَا] بِبَرْدِ ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَتَشْتَمِلُ^٥ عَلَيْهِ بَرْدَاءُ نَسِيمِ عَلِيلٍ ، وَتُجِيلُ^٦ النَّظَرَ فِي نَهْرِ [فَسِيحٍ] ، صَافِي لُجَيْنِ الْمَاءِ ، كَأَنَّهُ^٧ مَجْرَّةُ السَّمَاءِ ، مُؤْتَلِقِ جَوْهَرِ الْحَبَابِ ، كَأَنَّهُ^٨ مِنْ^٩ تُغُورِ الْأَحْبَابِ ، وَقَدْ حَضَرْنَا مُسْمِعٌ^{١٠} يَجْرِي مَعَ النَّفُوسِ لَطَافَةً ، فَهُوَ يَعْلَمُ غَرَضَهَا وَهَوَاهَا ، وَيُغْنِي^{١١} لَهَا مَقَرَّحَهَا وَمُنَاهَا ، فَصِيحُ لِسَانِ النَّقْرِ ، يَشْفِي مِنَ الْوَقْرِ ، كَأَنَّهُ^{١٢} كَاتِبٌ حَاسِبٌ [١٤٣ ب] تَمْشُقُ^{١٣} يُمْنَاهُ^{١٤} ، وَتَعْقِدُ^{١٥} يُسْرَاهُ^{١٦} :

يُحَرِّكُ حِينَ يَتَشَدُّ سَاكِنَاتٍ وَيَبْتَئِعُ^{١٧} الطَّبَائِعَ^{١٨} لَلسُّكُونِ

٤ - فصل في إهداء تفاحة :

مِثْلُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِمَّنْ كَرُمَتْ سَجِيَّتُهُ^١ فَرَقَّتْ ، وَحَسُنَتْ جُمْلَتُهُ^٢ فَرَاقَتْ ، فَكَانَتْ كَلِيَّةً^٣ الظَّرْفِ مِنْهُ^٤ شُعْبَةً^٥ ، وَجُمْلَةً^٦

١ م : انهمرت ؛ س : اهتمزت .

٢ بهذا العنوان تكون هذه الرسالة جزءاً من السابقة ، ولكن عنوانها في ط د س : فصل في مثله

٣ ط د س : فيه .

٤ ب م : وتنبعث .

٥ ط د س : كليلية .

الدَّكَّاءِ شُعْلَةً ، عَلِمَ أَنَّ خَيْرَ الْهَدَايَا ، مَا جَرَى مَجْرَى التَّحَايَا ، وَأَنَّ
أَفْضَلَ سَفِيرٍ سَفَرٍ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَ عَشِيقَيْنِ ، سَفِيرٌ أَشْبَهَ
الْمُحِبَّ خَفَةَ رُوحٍ ، وَالْمُحِبُّوبَ عَبَقَ رِيحٍ . وَلَمَّا طَالَ ، يَا سَيِّدِي ،
الْعَهْدُ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُجَدِّدَهُ ، وَذَهَبْتُ أَنْ أُوَكِّدَهُ ، وَتَوَقَّيْتُ مِنْ
رَقِيبٍ يَرْعَى فَيَسْعَى ، وَيُثِي فِيُثِي ، لَمْ أَرَ أَنْ أَجْعَلَ رَسُولِي ،
وَأَجْشَمَ فِي اقْتِضَاءِ سُؤْلِي ، مِثْلَ حَمَرَاءَ عَاطِرَةٍ ، كَأَنَّهَا دَمْعَةٌ صَبَّ
قَاطِرَةٍ ، أَوْ جَمْرَةٌ تُصْطَلَى وَاقِدَةً ، أَوْ خَمْرَةٌ تُجْتَلَى جَامِدَةً ،
مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَرْجِ اسْمُهَا ، حَمِيدٌ فِي السَّفَارَةِ بَيْنَ مُحِبِّينَ رَسْمُهَا ،
لَمْ أَرَ مِثْلَهَا ذَهَبًا يَنْفَحُ ، وَلَهَبًا لَا يَنْفَحُ ، قَدْ أَوْدَعَ حَشَاهَا الصَّبْحُ
فَلَقَّهَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهَا اللَّيْلُ شَفَقَهُ ، فَهِيَ تَقْدُ كَأَنَّهَا نَشَأَتْ فِي
تُرْبَةٍ مِنْ نَارِ ضُلُوعِي ، أَوْ سُقِيَتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ حُمْرِ دُمُوعِي . وَلَمَّا
وَجَدْتُهَا فِي الْحُسْنِ حَيْثُ الْعُيُونُ تَرْمُقُهَا فَتَمِيقُهَا ، وَالنَّفُوسُ
تَنْشَقُّهَا فَتَعَشِّقُهَا ، بَعَثْتُ بِهَا بَيْنَ تَحِيَّةٍ لَكَ ، وَرَسُولٍ إِلَيْكَ ،
مُعْتَقِدًا أَنَّهَا سَتَقْبَلُ عِنْدَمَا تُقْبَلُ ، وَتُفَدَى حِينَ تَتَصَدَّى ، فَوَدِدْتُ
أَنْ أَكُونَهَا ، وَأَحْظَى بِتِلْكَ الْحَالِ دُونَهَا .

٥ - وَكُتِبَ يَسْتَهْدِي ٢ مَاءَ وَرَدَ :

إِنَّ لِلْمَكَارِمِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - شَرِيعَةً قَضَتْ أَنْ يَكُونَ الْبِرُّ عَلَيْكَ
فَرَضًا ، وَالشُّكْرُ عَلَيَّ قَرْضًا ، وَإِنِّي وَجَّهْتُ رُفْعَتِي هَذِهِ خَاطِبَةً
إِلَى صَفْوٍ وَدَّكَ ، كَرِيمَةً مِنْ [بَنَاتِ] مَاءٍ وَرَدِكَ . وَقَدْ سَقَّتْ

١ ط د س : ولا لها .

٢ ط د س : فصل في استهداء .

إليها الشكرَ مهراً ، وأنفَذْتُ الإناءَ للزَّفافِ خيدراً . والطَّوْلُ لك
في قَبُولِ نَقْدِ الثَّنَاءِ ، وتعجِيلِ الجلاءِ والهداءِ ، مُوَفَّقاً ، إن
شاء الله .

٦ - فصل من أخرى :

إنَّ النَّبِيذَ بِسَاطٍ ، موضوعه الرَّاحَةُ والانبساط ، وقلَّما يَطْيِبُ
رضاعُ الكَّاسِ إلَّا^١ مع الصَّدِيقِ الشَّفِيقِ ، المُشْتَبِه^١ بِالْأَخِ الشَّقِيقِ ،
فهو رضاع^٢ ثانٍ تُرْعَى حُرْمَتُهُ ، وَتُحْفَظُ ذِمَّتُهُ . وهذا يومُ ضُرِبَتْ^٣
فيه أَرْوَقةُ الأنواءِ ، وأَعْرَسَتْ^٣ الأرضُ فيه بِالسَّمَاءِ ؛ فَالْغُصْنُ
يَتَلَوَّى وَيَتَشَنَّى ، والحمامةُ تُرْجَعُ وَتَتَغَنَّى ، والماءُ يَرْفُصُ مِنْ
طَرَبٍ وَيُصَفِّقُ ، والزَّهْرُ يَشُقُّ جَيْبَ كِمَامِهِ وَيُمَزِّقُ . فإنْ رَأَيْتَ
أَنْ تَكُونَ فِي مَنْ شَهِدَ هَذَا الْإِمْلَاكَ ، وَتَحْضُرَ فِي مَنْ حَضَرَ
هناك ، أَجَبْتَ مَنْعَماً .

٧ - وكانت بينه وبين [بعض] إخوانه مقاطعة ، فاتفق أن ولي ذلك
الصدِّيقُ حصناً ، فخطبه أبو إسحاقَ برقعة منها :

أطال الله بقاءَ سَيِّدِي [١٤٤ أ] ، النَّبِيْهَةِ أوصافُهُ النَّزِيْهَةِ
عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ ، المَرْفُوعَةِ قِيادَتُهُ الْكَرِيمَةِ بِالْإِبْتِدَاءِ ، ما انْخَدَعَتْ
يَاءُ « يَرْمِي » لِلْجَزْمِ ، وَاعْتَلَّتْ وَأَوْ « يَغْزُو » لِمَوْضِعِ الزَّمِّ ؛ كَتَبْتُ

١ ب م : المشبه .

٢ ط د س : يومنا قد ضربت .

٣ ب م : واعترضت .

٤ الديوان : امارته .

عَنْ وَدَّ قَدُمَ هُوَ الْحَالُ لَمْ يَلْحَقْهَا انْتِقَالٌ ، وَعَهْدُ كَرُمَ هُوَ الْفِعْلُ
لَمْ يَدْخُلْهُ اعْتِلَالٌ . وَاللَّهُ يَجْعَلُ هَاتِيكَ مِينَ الْأَحْوَالِ الثَّابِتَةِ
الْلاَزِمَةِ ، وَيَعْصِمُ هَذَا بَعْدُ مِنْ الْحُرُوفِ الْجَازِمَةِ ؛ وَأَنَا أَسْتَنْهِيضُ
طَوْلَكَ ، إِلَى تَجْدِيدِ عَهْدِكَ بِمُطَالَعَةِ أَلْفِ الْوَصْلِ ، وَتَعْدِيَةِ فِعْلِ
الْفَصْلِ ، وَإِلَى عُدُولِكَ عَنْ بَابِ أَلْفِ الْقَطْعِ ، إِلَى بَابِ [أَلْفِ]
الْوَصْلِ وَالْجَمْعِ ^١ ، حَتَّى تَسْقُطَ لِدَرَجِ الْكَلَامِ بَيْنَنَا هَاءُ السَّكْتِ ،
وَيَدْخُلَ ^٢ الْانْتِقَالَ حَالُ الصَّمْتِ . فَلَا تَتَخَيَّلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنَّ
رَسْمَ إِخَائِكَ عِنْدِي ذُو حِسِّيَّ قَدْ دَرَسَ عَفَاءً ، وَلَا أَنَّ صَدْرِي دَارُ
مِيَّةٍ أَمْسَى مِنْ وَدَّكَ خَلَاءً ، وَإِنَّمَا أَنَا فِعْلٌ إِذَا تُنِّي ظَهَرَ مِنْ ضَمِيرِ
وُدِّهِ مَا بَطَّنَ ، وَبَدَأَ مِنْهُ مَا [كَانَ] كَمَنْ . وَهَسِيئًا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنَّ
فِعْلَ وَزَارَتِكَ حَاضِرًا لَا يَلْحَقُ رَفْعَهُ تَغْيِيرٌ ، وَأَنَّ فِعْلَ سَيْفِكَ
مَاضٍ مَا بِهِ لِلْعَوَامِلِ تَأْثِيرٌ ؛ وَأَنْتَ بِمَجْدِكَ ^٣ جَمَاعُ أَبْوَابِ الظَّرْفِ ،
تَأْخُذُ نَفْسَكَ الْعَلِيَّةَ بِمُطَالَعَةِ بَابِ الصَّرْفِ ، وَدَرَسَ حُرُوفِ
الْعُطْفِ ، وَتَدْخُلُ لَامَ التَّبَرُّثِ عَلَى مَا حَدَّثَ مِنْ عَتَمِيكَ ، وَتُوجِبُ
بَعْدَ النَّفْيِ مَا سَلَفَ مِنْ عَتَابِكَ ^٤ ، وَتَدْعُ أَلْفَ الْأَلْفَةِ أَنْ تَكُونَ
بَعْدُ مِنْ حُرُوفِ اللَّيْنِ ، وَتَرْفَعُ لِلْإِضَافَةِ ^٥ بَيْنَنَا وَجُودَ التَّنْوِينِ ،
وَتَسُومُ سَاكِنَ الْوُدِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، وَمُعْتَلَّ الْإِخَاءِ أَنْ يَصِيحَّ .

وكتابي [هذا] حَرْفُ صَلَةٍ فَلَا تَحْذِفْهُ [وَلَا تَدُلَّ فِي اسْمِ الْجَوَابِ

١ د ط س : أَلْفِ الْجَمْعِ .

٢ ب م : وَلَا يَدْخُلُ .

٣ بِمَجْدِكَ : سَقَطَتْ مِنْ ط د .

٤ م : عَتَابِكَ ، وَمَوْضِعُهَا بِيَاضٌ فِي ط .

٥ الدِّيَوَانُ : بِالْإِضَافَةِ .

على سَرُوكَ فاصرفه ، فيه الأَنَسُ والأَنَسُ ثَلَاثِي فلا تُرَخِّمَهُ ، وفعلٌ
ماضٍ فلا تجزِمْهُ [حتى تعودَ الحالُ الأولى صِفَةً ، وتَصِيرَ هذهِ
النِّكَرَةُ مَعْرِفَةً ، فأنت - أعزَّكَ اللهُ - مَصْدَرُ فِعْلِ السَّرُوِ والنَّبَلِ ،
وَمِنْكَ اشتقاقٌ [اسم] السَّوْدَدِ والْفَضْلِ . وَإِنَّكَ ، وإن تأخَّرَ العَصْرُ
بِكَ ، كالفاعِلِ وَقَعَ مؤخراً ، وَعَدُوْكَ ، وإن تكبَّرَ ، كالكُمَيْتِ
لم يَقْعَ إلا مُصْغَراً . وللأَيَّامِ عِلَلٌ تَبْسُطُ وتَقْبِضُ ، وَعَوَامِلُ
تَرْفَعُ وتَخْفِضُ ، فلا دَخَلَ عَرُوضُكَ قَبْضٌ ، ولا عَاقِبَ رَفْعُكَ
خَفْضٌ ؛ ولا زِلْتَ مُرْتَبِطاً بِالْفَضْلِ شَرَطُكَ وَجَزَاؤُكَ ، جارياً
على الرَّفْعِ سَرُوكَ الكَرِيمُ وسناؤُكَ ، حتى يُخَفِّضَ الفِعْلُ ، وتُسَبِّحُ
على الكَسْرِ قَبْلُ ، إن شاء اللهُ .

٨ - وفي فصل من أخرى :

ولو أَنِّي شِئْتُ^٢ اسْتِدْرَارَ أَخْلَافِ الْعَيْشِ ، وَقَرَعْتُ أَبْوَابَ
الرِّزْقِ ، لَكَدَدْتُ وَجَدَدْتُ ، وَحَشْتُ الرِّكْضَ وَجَهَدْتُ ، وَجُبْتُ
السَّبَاسِبَ أَرْدِيَّةً ، وَخُضْتُ النِّوَابِ أَوْدِيَّةً ، وَرَعْتُ الْكَوَاكِبَ
أَنْدِيَّةً ، حَتَّى أُحْيِيَّمْ حَيْثُ السَّمَاءُ دَارٌ ، وَالسَّمَاءُ جَارٌ [وَأَرْفُلُ
حَيْثُ الْعِزَّةُ حُلَّةٌ ، وَالذُّرَّةُ حَلِيَّةٌ . وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبِي قَلْباً
هِمَّتُهُ مَا هِمَّتُهُ] فَهُوَ يَرَى الصَّبْرَ أَيْمَنَ رَفِيقٍ يَصْحَبُهُ ، وَالْقَنَاعَةَ
أَكْرَمَ ذَيْلٍ يَسْحَبُهُ . وَعَلَامَ يَبْشُدِلُ الْوَجْهَ مَصُونٍ مَائِهِ ، وَيُلْقِي
عَنهُ قِنَاعَ حَيَاتِهِ ، وَإِنَّمَا [١٤٤ ب] الدُّنْيَا - وَبَسَّ الطَّمَعُ - :

سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنِ قَرِيبٍ تَنْفَشَعُ

٩ - وكتب يستدعي^١ عود غيناء :

انْتَظَمَ مِنْ إِخْوَانِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِقْدُ شَرْبٍ يَتَسَاقُونَ فِي
وَدَّكَ ، وَيَتَعَاطُونَ رِيحَانَةَ شُكْرِكَ وَحَمْدِكَ . وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا شَرِيهُ
الْمَسَامِيعِ إِلَى رَنَّةِ حَمَامَةٍ نَادٍ . لَا حَمَامَةٍ بَطْنٍ وَادٍ . وَالطَّوْلُ لَكَ
فِي صِلَتِنَا بِحَمَادٍ نَاطِقٍ ، قَدْ اسْتَعَارَ مِنْ بَنَانٍ لِسَانًا ، وَصَارَ لَضَمِيرِ
صَاحِبِهِ^٢ تَرْجُمانًا ، وَهُوَ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ لَا يَتَفَكَّرُ مِنْ إِبْقَاعٍ
بِهِ ، فِي غَيْرِ إِيْجَاعٍ لَهُ ، فَإِنْ هَذَا عَرِكَتُ أَذُنُهُ وَأَدَبَ ، وَإِنْ تَأْتَى
وَاسْتَوَى بُعِيجَ بَطْنِهِ وَضُرِبَ ، لَا زِلْتُ مُنْتَظِمَ الْجَدَلِ ، مُلْتَثِمَ الْأَمَلِ .

١٠ - وفي فصل :

كُلُّ أَيَادِيكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - غَمَامٌ ، وَ [كُلُّ] النَّاسِ سَجْعًا
بِشُكْرِكَ وَطِيبِ ذِكْرِكَ حَمَامٌ ، قَدْ لَبَسُوا نِعَمَكَ أَطْوَقًا ، وَتَحَلَّوْا
بِهَا أَعْنَاقًا ، فَمَا يَقْرَأُونَ فِيكَ إِلَّا سُورَةَ الْحَمْدِ ، وَلَا يَتَطَلَّعُونَ مِنْكَ
إِلَّا إِلَى سُورَةِ الْمَجْدِ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لِسَانُ شُكْرٍ غَيْرَ أَنَّهُ فَصِيحٌ ،
وَعَبْدٌ^٣ رِقٌّ إِلَّا أَنَّهُ نَصِيحٌ . وَكَفَى بِحُسْنِ السَّيَرَةِ ، اسْتِصْفَاءً لِلْسَّرِيرَةِ .
فَلَا زِلْتُ لِنَهْجِ الْفَضْلِ سَالِكًا ، وَلِسَمَاءِ الْمَجْدِ سَامِكًا ..

١١ - وفي فصل :

هُوَ أَشْهُرُ غُرَّةِ مَجْدٍ وَعِلَاءٍ ، وَتَقَدَّمَ فَضْلٍ وَسَنَاءٍ ، مِنْ أَنْ

١ ط د س : فصل في استدعاء .

٢ الديوان : حامله .

٣ ب م : ومعه .

أوميّ إليه ، وأنبّه عليه ، وقد استظلّ من حرّ النّوائب ببردٍ ظلّك ،
واستنارَ في ظلمِ المطالبِ^١ بسراجِ عدليك ؛ لا زلتَ كعُبةٍ فضلٍ ،
وقبلةٍ عدلٍ .

هو نثرة^٢ أيجاد أفراد ، وأعلامٍ كرام ، ما منهم إلّا مُشرفُ
العالمِ ، في الهمم ، متقدّم القدمِ ، في الكرم .

١٢ - وفي فصل [يشفع لرجل كحال] :

ومؤديه أبو فلان الكحالُ ، وهو وإن كَرُمْتَ أكماله^٣ ، وأحمِدْتَ
في الصنعة حاله^٤ ، لم تبلغْ قوّة كُحله إلى أن تَجْلُوَ البصرَ ، حتّى
ترى الغيبَ وتُشاهدَ القدرَ . وقد وردك^٥ يخطُّ من نهاره في ليلة ظلماء ،
ويُقلِّبُ مقالةً صحِيحةً عمياءَ . ولا غرَوَ ، فالعينُ هي العينُ ، ولعله^٦
وعساه^٧ ، أن يسكونَ عيساهُ .

١٣ - [فصل في شفاعة : وما عرفته مذ كونه عندنا إلّا على أقوم^١
طريقة ، وأحسن سجيّة وخليقة ، فاستدللتُ بما علن على ما بطنَ ، وبما
بدا على ما انطوى ، والله غيبُ السموات والأرض ، فمن أمكنه أن يضع
عارفةً عنده يجني ثمرتها ، فعَلَّ ، مأجوراً مشكوراً] .

١ الديوان : المصائب .

٢ يبدو أن هذه بداية قطعة جديدة ، وقد انفردت بهام ب ، ولم ترد في الديوان .

٣ د ط س : والكمال أبو فلان وإن كرمته خلاله . . . الخ .

٤ د ط : ورد .

١٤ - وفي فصل :

للمتوسمين^١ - [أعزك الله] - منازل^٢ ، وفي الأيادي فروض^٣ ونوافل ،
وخير^٤ المعروف ، ما وُضِعَ عند الشريف لا المشروف . وإنَّ أبا فلان^٥
الهاشميَّ ، لَفَرَعٌ من أشرف^٦ نَبْعَةٍ ، نَمَتَ في أَكْرَمِ بُقْعَةٍ .
وَمَنْ حَلَّ من الشَّرَفِ مَحَلَّتَهُ ، وَلَبِيسَ من الْفَضْلِ حَلِيَّتَهُ ،
فَقَدْ غَنِيَ عن الإِطْرَاءِ والْتِنَاءِ ، غِنَى الْغَزَالَةِ عن الذِّبَالَةِ . وَهُوَ مُجْتَازٌ
عَلَى أَفْقِكَ ، وَنَازِلٌ بِكَ ضَيْفًا ، كَمَا تَتَغَشَّاءُ السَّحَابَةُ صَيْفًا ، وَهُوَ
رَاحِلٌ بَعْدُ ، تَخِيدُ بِهِ^٣ الرَّاكِبُ ، وَتُثْنِي عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ .
وَأَنْتَ أَجْدَرُ مَنْ تَلْقَاهُ بالبِشْرِ ، وَأَقْبَلُهُ وَجْهَ الْبَرِّ ، فَعِنْدَ أَهْلِ
الْفَضْلِ يَوْضَعُ الْفَضْلُ ، وَفِي مَغَارِسِهَا تُغْرَسُ النَّخْلُ ؛ لَا زِلْتَ
غَمَّامَ نَعْمَى وَرُحْمَى ، وَلَا نَزَلْتَ إِلَّا بِمَنْزِلِ رُعيَا وَسُقْيَا .

١٥ - فصل في العتاب :

أطال الله بقاءَ الشَّيْخِ الْقَاضِي ، عَلِمَ عَصْرِهِ^٥ ، وَإِنْسَانَ عَيْنِ
مِصْرِهِ ، فِي رُئُوسَةِ شَمَخَتْ فَكَأَنَّهَا كَوَكَبٌ ، وَرَسَخَتْ فَكَأَنَّهَا
كَبْكَبٌ ؛ الْفَضْلُ مَا قَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْقَاضِي ، جَبَلٌ وَعَرُّ الْمُرْتَقَى ،
وَجَمَلٌ صَعْبُ الْمُتَطَيِّ ، لَا يَتَسَنَّمُ كُلُّ فَارِعٍ ذِرْوَتَهُ ، وَلَا يَمْتَطِي

١ د ط س : للمتوسلين .

٢ ب م : وإن فلاناً من أشرف . . . الخ .

٣ ب م : تحدو به .

٤ من قول زهير :

وهل يثبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

٥ د ط س : دهره

كُلُّ رَاكِبٍ صَهْوَتُهُ ، وَشَجَرَةٌ بِاسِقَةِ الْأَفْنَانِ مُمْتَدَّةُ الْأَفْيَامِ ،
 أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ، لَا يَطْمَتِينَ كُلُّ جَنْبٍ فِي ظِلِّهَا ،
 وَلَا تَجْتَنِي كُلُّ يَدٍ مِنْ أَكْلِهَا . وَإِنِّي مَسَحْتُ الْأَرْضَ غَرْبًا وَشَرْقًا ،
 وَلَقِيتُ الدَّهْرَ جَهْمًا وَطَلَقًا ، وَشَرِبْتُ الْعُمَرَ صَفْوًا ١ وَرَنَقًا ، وَحَلَلْتُ
 أُنْدِيَةَ الْقُضَاةِ وَالْقَضَاءِ ، وَحَطَطْتُ بِأَوْدِيَةِ الْفَضْلِ وَالْفَضْلَاءِ ،
 فَمَا وَطِئْتُ لِأَحَدِهِمْ سَاحَةً إِلَّا رَاقٍ نَشْرُهُ ٢ ، وَرَقَّ قِشْرُهُ ،
 فَمَا الْفَضْلُ كُلُّهُ فِي الصَّمْتِ وَالْجُمُودِ ، حَتَّى يَلْتَمِسَ الْإِنْسَانُ
 بِالْجُلْمُودِ .

ومنها :

وَلَوْلَا أَنِّي نَزَّهْتُ سَمْعَهُ عَنِ الشَّعْرِ ، لَأَرَيْتُهُ كَيْفَ حَوَّكُ
 الطَّبْعِ الْمُهْدَبِ ، لِلْيُوشِيِّ الْمُدَهَّبِ ، وَكَيْفَ لَفَظُ بَحْرِ الْفِكْرِ ،
 لِلجَوْهَرِ الْبَيَّكْرِ ، وَلَأُطْلَعْتُ مِنْهُ فِي سَمَاءٍ مَعَالِيهِ نُجُومًا تُنِيرُ ،
 وَرُجُومًا تُبِيرُ ٣ ، وَآخِرُ مَا أَقُولُهُ ، بَعْدَ دُعَاءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْفَعُهُ
 فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ ، [وَتَمَكِّينِ بَهْجَتِي بِوَفَائِهِ] :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ ٤

١ ب م : صرفاً .

٢ الديوان : بشره .

٣ م : تثير ؛ ب : تثير .

٤ بيت شعر للمتنبي ، ديوانه : ٤٤٩ .

١٦ - فصل :

فما انبرت^١ النوائب إلا أرسل زمامها ، ولا برت^٢ الحوادث إلا أنصل سهامها ، ولا احنشدت الدواهي إلا كان من أعينها ، ولا استنجدت الليالي إلا كان من أعوانها . وهيهات أن يظفر بالحر^٣ الشريف جوهرة ، الكريم عنصرة ، فالناس اخبر ثقله ، وبالاختبار يتبين^٤ الأوغاد من الأحرار ، وعلى النار يتميز^٥ الخبيث من النصار . وإن الدهر لماش بأهله القهقري في سماء الفضل والكرم ، ومنازل النبل ومرآي الهمم .

١٧ - فصل :

كتاب قد أظلم بياضه في عيني وسواده ، حتى تساوى طرسه ومداده . فيا له كتاباً ، ملئ اكثاباً [وقيرطاساً ، لبس بدل الحداد أنفاساً ، فلو أن الجماد أمكنه البكاء لبكى ، وأعلن بالعويل وشكا] .

١٨ - فصل :

[فيها أنا بين عيش قد ذهب حلوه ، ونضب صفوه ، وأمل

١ م ب : ابدت .

٢ م ب : بدت .

٣ م ب : بالخلق .

٤ من حديث الرسول (ص) : وجدت الناس اخبر ثقله (انظر التاج : قلا) والهاء في « ثقله » للسكت ، ولفظه لفظ الأمر وانه الخبر أي من خبرهم أبغضهم وتركهم .

٥ م ب : يتبين .

أَخْلَقَتْ جِدَّتُهُ [وَذَبَلَتْ نَضْرَتُهُ ، مُتَلَدِّدٌ بَيْنَ عِبْرَةِ أَبَدِهَا ،
وَزَفَرَةِ أَرَدِّهَا ، وَحَسْرَةِ أَجَدِّهَا ، وَطَرْفِ أَقْلَبِهِ فِي الْكَوَكِبِ ،
كَأَنِّي أَلْتَمِسُهُ فِيهَا وَأَطْلُبُهُ ، وَأَمْلُ طُلُوعَهُ مَعَهَا فَأَرْقُبُهُ .

١٩ - وفي فصل :

ولقد اختُضِرَ^١ على حينٍ تَطْلُعِ إلى الدنيا وارْتِقَابِ ، وَنَضْرَةِ
في عُدُوهِ لِمَاءِ الشَّبَابِ ، فَكَأَنَّهُ - [رحمه الله] - وقد افترشَ
بَطْنَ الثَّرَى ، وَخَيَّمَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْلِ ، مَا اشْتَمَلَ بِظِلِّ مِنَ الْعَيْشِ
[مَدِيدِ ، وَلَا رَفَلٍ فِي بُرْدٍ مِنَ الْأَمَلِ جَدِيدِ ؛ وَمَا أَوْشَكَ لِحَاقِ
الْبَطَاءِ بِالْعِجَالِ] وَأَسْرَعَ طَيَّ اللَّيَالِي لِصُحُفِ الْأَجَالِ^٢ [١٤٥ ب]
فَأَفَّ لِدَهْرٍ لَا يَزَالُ يَسْتَرْجِعُ مُعَارَهُ ، وَيَشُنُّ مُغَارَهُ ، وَيَقْوُضُ
مَا بَنَى ، وَيَنْقُضُ مَا سَنَى [وَمَا خَيْرُ دُنْيَا أَرَى كُلَّ يَوْمٍ ثَوْبَهَا
يُطْوِي ، وَوَجْهَهَا يُزَوِّي ، وَسِيَّامَ الْأَمَلِ فِيهَا تُشْوِي ، وَتُجُومُ
الْإِخْوَانِ^٣ بِهَا تَنْكَدِرُ فَتَهْوِي] وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَمْسَحَ عَنِ الْعَيْنِ
سِنَةَ الْكَرَى ، وَيَسْرِي بَنَّا فَنَحْمَدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ السَّرَى ، وَيَرْغَبَ
بَنَّا عَمَّنْ تَنَاقَلَ فَالْتَقَى رَحْلُهُ وَحَطَّ ، وَنَامَ لَيْلَهُ فَغَطَّ .

٢٠ - وفي فصل :

وَمَا تَذَكَّرْتُ عَطَلَ نَحْرِ الزَّمَانِ ، مِنْ قَلَائِدِ الْإِخْوَانِ ، وَكَيْفَ
كَرَّ الدَّهْرُ فَمَحَا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ ، وَطَوَى طَوَامِيرَ تِلْكَ

١ اختضر بالخاء المعجمة : مات فتياً غضباً ؛ وفي النسخ والديوان : اختضر .

٢ م ب : الأعمال .

٣ د : الأحوال .

الشَّيْبِيَّةَ ، إِلَّا أَنْقَدَحَتْ بِصَدْرِي لَوْعَةً ، لو أَنَّهَا بِالْحَجَرِ لَانْفَطَرَتْ
فَانْفَجَرَتْ ، أو بالنَّجْمِ لَانْكَدَرَتْ فانتَثَرَتْ :

وما وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكْ ظَنَّتِ
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ الرَّعَاءِ وَخَيْمَةً بِنَجْدٍ فَلَمْ يُقْدَرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ
بِأَعْظَمَ وَجْدًا مِنْي لَذَلِكَ الْعَصْرُ^٢ ، وقد انتَثَرَ عِقْدُ أَحْبَابِهِ
[وَأَقْفَرُ عَامِرُ جَنَابِهِ] ، وَأَنْسَلَخَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، وَطَارَ^٣ وَأَقْبَعَ غُرَابِهِ ،
وَانْطَوَتْ لَهُ صَحَائِفُ أَيَّامٍ لَا تُنْشَرُ ، عَلَى سَطُورِ آثَامٍ^٤ لَا تُبْشَرُ ،
فَكَأَنَّمَا تَقْشَعُ مِنْهُ سَحَابٌ ، وَأَضْمَحَلَّ بِقَيْعَتِهِ سَرَابٌ^٥ ، فَصِرْنَا
لَا نَتَلَقَى إِلَّا بِالذِّكْرِ ، وَلَا نَسْتَرَاءَى إِلَّا بِالْفِكْرِ .

٢١ - فصل في التهنة بالقضاء وتثنية الوزارة :

بَدءُ كَوْنِ الشَّمْرِ - [أَعَزَّكَ اللَّهُ] - زَهْرٌ ، وَأَوَّلُ مَتَوَعِ الضُّحَى
فَجَرٌ^٦ ، وَإِنَّمَا تَنْمِي الْأَشْيَاءُ عَلَى تَدْرِيجٍ وَتَرْتِيبٍ ، كَمَا نَشَأُ^٧ الْإِنْسَانُ^٨
مِنْ نُطْفَةٍ وَالِدَوْحَةٍ مِنْ قَضِيبٍ . وَمِثْلُكَ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ مَخَايِلُ

١ البيتان في الحماسة البصرية ٢ : ١٤٣ لطارق بن نابي ، وقد ورد الأول مع أبيات أخرى
في الأغاني ٥ : ٣٢٧ - ٣٢٨ وفي مصادر أخرى ، وتنسب لأعرابي ، والشعر في ديوان
ابن الدميثة : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢ د : القصر .

٣ م ب : وأطار .

٤ م ب : سكون أنام .

٥ ب م : قمر .

٦ د : ينشأ .

٧ م : الأنس .

الولاية باكتمال السيادة ، واكتمال السعادة^١ . وإن القضاء ،
وإن شرف مرتبة^٢ ، وكرم مأثرة [ومنقبة] ، ليضيّق عن
نصل فضلك غمده^٣ ، ويغرق في بحر فخرِكَ مدّه^٤ ، ويزدان
بنحرِ مجدِكَ عقده^٥ ، ويبتهج بعطفِ سرّوك برّده^٦ . فليهنه
أن تسرّبت طوقه^٧ ، وتحملت أوقه^٨ ، وليهنى الزّارة أن
شدّت بجيدِكَ عراها ، ونيطت بنحرِكَ حلاها ، وشفع لها فضلك
فأصار وترها شفعا^٩ ، وجمع إلى بصريها سمعا^{١٠} . وإنهما في تقاصرهما^{١١}
لك وحسنهما بك العقد^{١٢} ثني بعقد^{١٣} ، وعلمان رُقيما في برّده^{١٤} .
وإن الدين لمشتدّ بك أزّره^{١٥} ، فعيناه على الرّائض صعب^{١٦} ،
وعوده على الغامز صلب^{١٧} . ولقد كنت على تقارب من سنك^{١٨} ،
ولدونة في غصنك^{١٩} ، ثقلت طرف الجراح^{٢٠} ، وتجري في عين
القارح ، فضلا عنك ، وقد سامت الليالي ذاتك تجريبا وتهديبا^{٢١} ،
وقومت قناتك أنبوا فأنبوا^{٢٢} ، حتى خلصت خلوص الذهب على
الذهب ، والدّينار على النار . وإن أفقا أنت بدر تمامه لينطح
السماء منكبه^{٢٣} ، ويترّحف [١٤٦أ] تحت راية الفتح والفلج موكبّه^{٢٤} ،
فلا عري الفضل من ظلك^{٢٥} ، ولا حطّ ركاب^{٢٦} الشكر إلا في محلك^{٢٧} ،
ولا زلت تتقلّد الحمد عقدا^{٢٨} ، وتلبس السعد برّدا^{٢٩} ، إن شاء الله^{٣٠} .

١ د : باكتمال السيادة والسعادة ؛ م ب : باكمال السيادة واكتمال السعادة .

٢ م ب : تقاصرهما .

٣ م ب : الجامع .

٤ د : خلوص الذهب النضار والديثار . . . الخ

٥ م ب : مركب .

٦ جاء في د ب من مواضع إن شاء الله : بده .

٢٢ - فصل ١ : انَّ مَنْ شَهِدَهُ - أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ - يَشْهَدُ
القَمَرَ مُنِيرًا ، وَالسَّحَابَ مَطِيرًا ، وَالْمَاءَ نَسِيرًا ، وَالرَّوْضَ نَضِيرًا ؛ وَلَا ذَبَّهُ
فُوجِدَ الْكَهْفَ مُنِيرًا ، وَالشَّرَفَ رَفِيرًا ، وَالْمَرَادَ مَرِيرًا ، وَالزَّمانَ رَبِيرًا ،
تَعَلَّقَ حَبْلَتَهُ قَاطِنًا دَانِيًا ، وَتَشَوَّقَ فَضْلَتَهُ ظَاعِنًا نَائِيًا . وَلَمَّا انْتَزَحَتِ الدَّارُ ،
وَبَعُدَتِ الْمَزَارُ ، اعْتَضَتُ بِالْكِتَابِ مِنَ الرِّكَابِ ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبِ الْطَلُّ عَنْ
الْوَبْلِ ، وَإِنِّي بَحِيثٌ أَقْسَمْتُ أَوْ خَيِّمْتُ لِحَادِمْكَ خَاتَمَكَ ، طَوْعًا لَدَيْكَ ،
وَجَرِيًّا عَلَى رَسْمِكَ وَحَدِّكَ ، لَا زِلْتَ نِظَامَ الْحَمْدِ ، وَقَوَامَ الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ .

٢٣ - فصل : وَهَا هُوَ رَهِينٌ قَيْدِ الْقَبْرِ ، سَلِيبُ ثَوْبِ الْيُسْرِ ،
قَدْ زَحَزَحَتْهُ الدَّهْرُ عَنْ بَلَدِهِ وَوَلَدِهِ ، وَأَبَانَهُ مَرْتَفَقًا عَلَى يَدِهِ ، مَطْوِيًّا
عَلَى كَتِفِهِ ، يَطْوُلُ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهُوَ قَصِيرٌ ، وَيُظْلِمُ عَلَيْهِ الصَّبْحُ وَهُوَ
بَصِيرٌ ، وَالْأَجْرُ نَعَمَ مَا لَزَّهُ قَرَنٌ ، وَخَيْرُ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ بَيْضُ الْأَيْدِي
وَالْمَنَنِ .

٢٤ - وفي فصل من تعزية :

وَعِنْدَ اللَّهِ يُحْتَسَبُ ذَلِكَ الْفَقِيدُ الشَّهِيدُ . قَمَرٌ فَضْلٍ سَارٍ
إِلَى سِرَارِهِ ، وَوُسْطَى عِقْدِ إِخْوَانٍ ٢ أَخَذَ فِي انْتِشَارِهِ ، وَمِصْبَاحُ
أَمَلٍ عَجَلٍ بَانِطَفَائِهِ ، وَصَبَاحُ جَدَلٍ أَسْرَعَ فِي انْطِوَائِهِ . فَقَبُحًا
لِدُنْيَا قَصَفَتَهُ أَنْضَرَ مَا كَانَ غُصْنًا ، وَكَسَفَتَهُ أَقْمَرَ مَا كَانَ حُسْنًا ؛
وَمَا كَادَ أَنْ تَسْتَنِيرَ لِسَارِيهِ مَطَالِعُهُ ، وَتَعْتَدَّ لِرَاجِيهِ مَطَامِعُهُ ،
حَتَّى مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الْبَدَارِ ، وَكَسَفَتَهُ عِنْدَ الْإِبْدَارِ ٣ . فَإِذَا

١ هذا الفصل والذي يليه لم يردا في د ط س والديوان .

٢ م ب : إحسان . ٣ م ب : يد الأقدار .

تَصَوَّرْتُ مَا أَتَاهُ الدَّهْرُ مِنْ اجْتِرَامِهِ فِي اجْتِرَامِهِ ، وَأَذْهَبَهُ بِاعْتِبَاطِهِ
 مِنْ اغْتِبَاطِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ كَيْفَ التَّقَمَّةِ^١ الْحِمَامُ ، وَاخْتَطَّقْتُهُ^٢
 الْأَيَّامُ ، وَصَارَ مَفْقُوداً ، كَانَ لَمْ يَكُنْ مَشْهُوداً ، وَمَنْشُوداً كَانَ
 لَمْ يَكُنْ مَوْجُوداً ، وَجَدْتُ لِدَلِكْ وَجْداً لَا يَسَعُهُ الصَّدْرُ^٣ ، وَلَا
 يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَأَوَارَأَ لَا تَطْوِيهِ أَحْنَاءُ الضُّلُوعِ ، وَلَا تُطْفِئُهُ أَحْسَاءُ
 الدُّمُوعِ . فَكَأَنَّا وَقَدْ صَارَ حَبْلُ حَيَاتِهِ إِلَى بَتَاتٍ ، وَسَلِيلُكَ مُؤَاخَاتِهِ
 إِلَى شَتَاتٍ [لَمْ نَسْتَبِقْ يَوْماً فِي مَيْدَانِ الصَّبَا ، وَلَمْ تَهْبُ بِنَا جَنُوبٌ
 وَصَبَا ، وَكَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا انْقَضَى فَمَضَى ، خَيَالُ أَلَمٍ ثُمَّ تَوَلَّى ،
 وَغَمَامٌ أَظْلَمَ ثُمَّ تَجَلَّى] .

٢٥ - وفي فصل من أخرى ٣ :

مَحَارُ الْفَتَى شَيْخُوخَةً^٤ أَوْ مَنِيَّةً وَمرْجُوعٌ وَهَاجِرُ الْمَصَابِيحِ رِمْدِ دُءٍ^٥
 أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ كَوْنٍ وَفَسَادٍ ، وَسَوْقُ نَفَاقٍ وَكِسَادٍ ، وَالْعَمْرُ بِالْإِنْسَانِ
 مُضْطَرَّبٌ ، وَالْمَرْءُ مَوْجٌ مَعَ الْأَيَّامِ مُنْقَلَبٌ ، وَإِنْ لِلشَّبِيبةِ صَبَوَةٌ^٦ ، وَلِلْحَدَاثَةِ
 هَفْوَةٌ ، وَقُصَارَى الطَّيْشِ رَكَاةٌ^٧ وَوَقَارٌ ، وَأَوَّلُ قَرْحِ الْخَيْلِ الْمَعَارُ ، وَلَمْ أَرِ
 [١٤٦ ب] كَالشَّبَابِ مَطِيَّةً^٨ لِلْجَهْلِ ، وَلَا كَالْمَشْيِبِ فُتْنَةً^٩ لِلْعَقْلِ :

وَأَنْ نَهَارَ الْمَرْءِ أَهْدَى لِرُشْدِهِ وَلَكِنْ ظِلُّ اللَّيْلِ أُنْدَى وَأَبْرَدُ^{١٠}
 فَإِنْ يَكُنِ الصَّبَا حَلِيَّةً تَرَوُعُ ، فَإِنَّ الْكِبَرَةَ عَطْلَةٌ أَوْ إِمْرَةٌ تَرُوقُ :
 صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَسَالُ اللَّبَاطِلِ^{١١} أَبْعَدُ

١ م ب : التهمة . ٢ م دب : الدهر .

٣ هذا الفصل وما بعده (٢٥ - ٣٢) لم ترد في ط د س والديوان .

٤ لابن الرومي ، ديوانه : ٥٨٧ ، ٥٨٦ .

٥ البيت لديريد بن الصنعة ، الأصمعيات : ١١٤ .

٢٦ - فصل : ها أنتم - أيذككم الله - قد أظلتكم الدولة الميمونة ، ووافتكم الإمرة المأمونة ، ولطالما وردتنا تسيرُ بها الرفاق ، فتطلَّعتْ إليها النفوس وامتدت الأعناق ، وهذه كتائبُ النصر قد طلعت عليكم بشائرُ صباحها ، وأظلتكم قادمةُ جناحها ، وإنَّ من ناصبها فحاول أن يدفعَ في صدرها ، ويقصرَ من تطاولِ عيناها عن شأنها :

كناطحِ صخرةً يوماً ليفلقها فلم يضرِّها وأوهى قرْنَه الوعلُ^١
هيهات ! توخى من الفلك ألاَّ يستدير ، وابتغى من الشمس ألا تستنير ،
واعترض في مطلع الليل يأمل ألاَّ يُظِلَّ ، ونصب راحته تلقاء الفجر يحاول
ألا يُطِلَّ .

٢٧ - وله من كتاب جاب به العدو : فتخيَّل حالك وقد أحاطت بك تلك الأجنادُ المتكاثفة ، والأعدادُ المترادفة ، بحرٌ متلاطمٌ موجه ، بعيد ساحله ، يرتمي من رعاله ، وكراديس أبطاله ، بموج لُجِّيٍّ ، قد نشِبت عليه مضاعفة الأزراد ، بدل الأزباد ، فيغشاك منه ما يعيد بحرك وشلا ، وعزملك فشلاً ، ويعيدُ بأسك خوراً ، فلا تزال غريقَ تلك البحار ، وحريقَ تلك النار ، ولو صدَّقت في حال طيرك لأنبأتك أن جدَّك نابٍ ، وحدك كابٍ ، وأنتك عمّا قريب قد جدلت فقللت ، وأسلمت فاصطلمت ، وكأني بك في القيد ، ووثاق القيد ، قد خُيرت بين اثنين : إما أن تُسلم فتسلم ، أو تُشرك فتهلك ، ولم يكن الله عز وجل ليهديك سبيل من تاب وأناب ، فيجمع لك بين العيش في أمته ، والمنقلب إلى رحمته .

٢٨ - وفي فصل من أخرى : انه تأكد بإلحاح العدو على فلانة ما لم

١ البيت للأعشى ، ديوانه : ٤٦ .

تنفكّ معه من مُغارِهِ ، واصطلاء ناره ، مع تداني دارِهِ ، واقتراب جواره ،
فما من غُدُوٍّ ، إلّاّ ومعه طلوعُ عدوٍّ ، وما من رواحٍ ، إلّاّ ومعه وقوعُ
اجتياحٍ ، ولما علم اللعين من أخلاقها ما علم ، دنا فتدلى ، وكان قابَ
قوسين أو أدنى .

٢٩ - وله من أخرى : إنْ كان التنازع - أعزّك الله - لم يمتدّ بيننا
فيه يدٌ للتصافح [١٤٧ أ] إلّاّ من الجوانح ، ولا قام خطيبٌ للقرب ،
إلّاّ في نأي القلب ، ولا نطقَ لسان الودّ ، إلّاّ دون سِتْرٍ البعد ، ولا لمع
برقٍ للاستطلاع ، إلّاّ في حُجُبِ السماع ، فلا غرو أن يُعربَ ذلك النطق ،
ويستطيرَ ذلك البرق ، فقد تقوم البصيرة مقام البصر ، وتكون الأمانة أحلى
من الظفر ، وما أتنسّمُ دائباً من ثنائك العاطر ، وأرتعُ فيه سمعي من صفة
خلقك الظاهر الطاهر ، قمين أن يكون للمداخلة سبباً ، وخليقٌ أن يكشف
عن وجه المراسلة حجباً .

٣٠ - ومن أخرى : مثل الأمير - ممّن المجدُّ من أعداده ، والبأس
من أجناده ، والفهم من طلائعه ، والحلم من طبائعه ، والكرم من حلاه ،
والسؤدد من علاه ، والعزم من خدمه ، والحزم من شيمه ، والإقدام والإكرام
والإنعام من صفاته ، والرياسة والنفاسة والسياسة من سماته ، والفضل من
أخلاقه ، والشرف من أعراقه ، والمحامد من أرديته ، والنصرُ معقود بألويته -
جديرٌ أن تهزّ نحوه الآمال ذوائبها ، وتحقيق أن تُعمل إليه الآمال ركائبها .

ولما أقبلت - أيدك الله - كما ابتسم الصارم الذكر ، وحللت كما وافى
المحلّ المطر ، نشأت لي همّة بالكون في جنابك ، وتحت ممطر سحابك ،
وأنا أرغبُ من فضله أن يزيد أوضاحي امتداداً ، ويقدح من تنبيهي زناداً ،
بأن يخصّني بصكِّ كَرِيمٍ أحيني به معالم شرفي ، وأباهي بمحاسنه فارطَ سلفي ،

والتحيفُ منه رداء العروس ، وأشتمل من تنويهه حلى الطاووس .

٣١ - ومن أخرى : ومن أبواه الله كارعاً من القسم في حوض لا يخللُ
الزمان نيمه ، ولا يغدر الصفاء غديره ، راتعاً من النعم في روض تساجل
النجوم أزهاره ، ويمج ندى السرور جشجائه وعرايه ؛ كتيته وودّي صدق
الصفاة ، نبغي القناة ، لا يهزه مع تراخي العهد ريح انحراف ، ولا يرضه
من الغضّ عضّ ثقاف ؛ بعد أن وردني كتابك الأثير يُذهل بنتائج طبعك
الباهر ، وينث بعرف نفسك العاطر ، ويُعجز ببديع نظامه فيؤنس ، ويُطمع
بمطبوع كلامه فينفس ، فما حديقة تفقاً فوقها القلع ، وشكلت عليها الرياح
الأربع ، ديمةً يصلصل الرعدُ في أرجائها ، ويضحك البرقُ خلال بكائها ،
ألطّطتُ تندفها بأدمع مشوق ، حتى كستها لبسة معشوق . . . ١

٣٢ - فصل :

يقاسُ المرءُ بالمرء إذا ما المرءُ ماشاهُ

وفي الشيء من الشيء علاماتٌ وأشباه [١٤٧ ب]

ما أنتَ والعثرة الفلانية ؟ إنما هم أجناس ، كلهم أنجاس ، إلاّ الشاذ فيهم ،
والنادر منهم ، وقليل ما هم ؛ وأما فلان منهم :

فهو الحبيثُ عَيْنُهُ فيرارهُ

أطلسُ يُخفي شخصه غباره في شدة شَفَرَتِهِ ونارُهُ

ما شبَّ حتى سبَّ ، ولا نفثَ حتى رفثَ ، ولا زُرَّ له جيبٌ إلاّ على عيب ،
ولا نيّطت به تيممة إلاّ على نيممة ، فهو إذا حضر أذن وعي ، وعين رعي ،
وبظهر الغيب لإنسان ظنة ، ولسان غيبة ، لا يشتمل ثوبه إلاّ على شخص

١ كذا ورد نيز تام .

نقص ، وجسد حسد ، لا يهدأ شره ، ولا يُطفأ شراره ، ولا يغرنك لينُ
أعطافه ، ولُذونةُ كلمته ، فإن الحية لينة الملمس ، لَسْدُنةُ المجسِّ ، فإن
لحظته — عافاك الله — فلحظاً شزراً ، أو جاذبته الحديث فقليلاً نزرأ ،
* كما يمسّ بظهر الحية الفرق *

وانه ليحضر النديّ فيحفظ ما يلفظ ، ويلتقط ما يسقط ، فهو كاتب الشمال ،
غير أنه إن مرّت به في صحيفة ذكر كحسنة سامها بشراً ، أو عثر بسيئة
كتبها عَشْراً ، لا يعنى إلاّ بعرض غرض ، فاستعد بالله من شيطانه ، وتوقّ
من موبقات أشطانه .

وهذه أيضاً جملة من شعره في اوصاف شتى

له من قصيدة يمدح بعض أهل الدولة لنهوضه بما يعنّ من أوطاره^١ :

وأَسْرِي فَاَسْتَصْنِي مِنَ السَّيْفِ صَاحِبًا وَأَرْكَبُ مِنْ ظَهْرِ الدُّجْنَةِ أَدْهَمًا
وَأَصْدَعُ أَحْشَاءَ الظَّلَامِ بِفَيْتِيَّةٍ تُوَاكِبُ مِنْهُمْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
أَذَعْتُ بِهِمْ سِرَّ الصَّبَاحِ وَلِأَنَّمَا سَرَرْتُ^٢ بِهِمْ لَيْلَ السَّرَى فَتَبَسَّمَا
وَقَدْ كَتَمْتَهُمْ أَضْلُعُ الْبَيْدِ ضِيئَةً وَلَمْ يَتَكُ سِرُّ الْمَجْدِ إِلَّا لِيُكْتَمَا
فَبِتْنَا وَبَحَرُ اللَّيْلِ مُلْتَطِمٌ بِنَا نَرَى الْعَيْسَ غَرَقَى وَالْكَوَاكِبَ عَوَّمَا
وَقَدْ وَتَرْتُ مِنْهَا قَسِيًّا يَدُ السَّرَى وَفَوَّقَ مِنَّا فَوْقَهَا الْمَجْدُ أَهْمَا

وهذا المعنى قد نبهنا عليه . [ومنها] :

وما هاجني إلاّ تَأَلَّقُ بَارِقٍ لَبِيسْتُ بِهِ بُرْدَ الدُّجْنَةِ مُعْلَمًا

١ انفردت د فأوردت القصيدة كاملة كما هي في الديوان ، غير ان اتفاق ط س مع النسختين ب م يدل على أن هذا من عمل الناسخ ، ولذلك لم أثبت القصيدة حسبما جاءت في د .

٢ س : سردت .

تَلَوَى هُدُوءًا يَسْتَطِيرُ كَأَنَّمَا
فِيهَا رَبٌّ وَضَّاحِ الْمَحَاسِنِ أَشْقَرِ
وَبَحْرِ حَدِيدٍ قَدْ تَلَاظَمَ أَخْضَرِ
أَبَى عَزَّ نَفْسٌ أَنْ يَجُولَ فَيُجْتَلَى
جَرَى الْحُسْنُ مَاءً فَوْقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
وَأَقْصَى مَنَى الْكَفِّ الْخَضِيبِ لَوَاتِنَى

ومن المدح أيضاً :

فَبَيْنَا تَرَى رَضْوَى وَقَارَ جَزَالَةٍ
[تَسْبِيْتُ تَرَى الشَّعْرَى جَلَالَةَ هِمَّةِ
خِلَالٍ كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ بِتِلْكَ
وَقَلْدَ نَحْرَ الرُّوضِ عِقْدًا مُفَصَّلًا]

[ومنها] :

وَقَدْ أَفْصَحَتْ أَعْطَافُهُ عَنْ سِيَادَةِ
وَطَالَ رِجَالِ الْحَيِّ طَوْلًا وَنَجْدَةً
فَلَوْ وَصَلُوا يَوْمًا كَعُوبًا لِأَسْمَرِ

وله من أخرى :

أَوْ مَيْضُ بَرْقٍ مَا سَرَى لَمَاعُ
جَلْدَ الدُّجَى وَهَنَا بِأَبْيَضِ صَارِمِ

أُرُوعُ بِهِ فِي سُدُفَةِ اللَّيْلِ أَرْقَمَا
رَمَيْتُ بِهِ الْهَيْجَا قَدْ فُغِرَتْ فَمَا [١٤٨]
إِذَا عَصَفَتْ رِيحُ الْجِيَادِ بِهِ طَمَى
وَلِإِشْرَافٍ هَادٍ أَنْ يُنَالَ فَيَلْجَمَا
إِذَا مَا جَرَى نَارُ الْغَضَا مُتَضَرِّمًا
وَصَلَتْ بِهَا ذَاكَ الْمُهَنْدَ مِعْصَمَا

وَهَيْبَةَ إِشْرَافٍ وَعِزَّةَ مُحْتَمَى
وَبَهْجَةَ أَوْضَاحٍ وَرِفْعَةَ مُنْتَمَى [
فَطَرَّرَ أَثْوَابَ الرَّبِيعِ وَسَهْمَا
وَطَوَّقَ جَيْدَ الْغُصْنِ شَيْئًا مُنْمَمَا

فَشَاهَدْتُ مِنْهُ صَامِتًا مُتَكَلِّمًا
فَأَسْدَى يَدَ النِّعْمَى وَزَادَ عَنِ الْحَمَى
لَكَانَ عَلَى حُكْمِ السِّيَادَةِ ٢ لَهْدَمَا

أَمْ قَلْبُ صَبٍّ قَدْ هَفَا مُرْتَاعُ
فَاتَتْ بِهِ كَفٌّ لَهُ وَذِرَاعُ

١ س : غدا .

٢ الديوان : السلامة .

سَايَرَتْهُ فِي حَيْثُ يُحْمِلُ لَأَمَتِي
 فِي ١ لَيْلَةٍ لِبَارِعْدٍ فِيهَا صَرْخَةٌ
 خَلَعَتْ عَلَىٰ بِهَا رِدَاءَ غَمَامَةٍ
 وَالصُّبْحُ قَدْ صَدَعَ الظَّلَامَ كَأَنَّهُ
 فَرَقَلْتُ فِي سَمَلِ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا
 وَدَعْتُ فِي صَدْرِ الرَّدَى عَنْ مَطْلَبٍ
 وَقَبَضْتُ ذَيْلِي عَنْ رِعَايَةِ مَعَشَرٍ
 يَرْمُونَ أَعْطَافِي بِنَظَرَةٍ لِحَنَةٍ
 أَفْرَغْتُ مِنْ كَلِمِي ٢ عَلَى أَكْبَادِهِمْ

أَسَدٌ وَيَلْدُوِي مَعْطَفِيهِ شُجَاعُ
 لَا تُسْتَطَابُ وَلِلْحَيَا لِبِقَاعُ
 رِيحٌ تُهْلِلُهُ هُنَاكَ صِنَاعُ
 وَجْهٌ وَضَى ٣ شَفَّ عَنْهُ قِنَاعُ
 قَزَعُ ٢ السَّحَابِ بِجَانِبِيهِ رِقَاعُ
 بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيهِ قِرَاعُ ٣
 عُوجِ الطَّبَاعِ كَأَنَّهُمْ أَضْلَاعُ
 وَقَدَّتْ كَمَا تُذَكِّي الْعُيُونَ سِبَاعُ
 قِطْرًا لَهُ أَسْمَاعُهُمْ أَفْعَا ٤ [١٤٨ب]

وله من أخرى :

وَمَفَازَةٍ لَا نَجْمَ فِي ظُلُمَائِهَا
 تَتَلَهَّبُ الشَّعْرَى بِهَا فَكَأَنَّهَا
 تَرْمِي بِي ٥ الْغِيظَانُ فِيهَا وَالرُّبَى
 وَالْقُطْبُ مُتَنَزِمٌ لِمَرْكَزِهِ بِهَا
 قَدْ لَفَتِي فِيهَا الظَّلَامُ وَطَافَ بِي ٦
 طَرَّاقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مُغَاوِرُ

يَسْرِي وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَّارُ
 فِي كَفِّ زَنْجِي الدُّجَى دِينَارُ
 دَوْلَا ٧ كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَّارُ
 فَكَأَنَّهُ فِي سَاحَةِ مِسْمَارُ
 ذَنْبٌ يُلِيمُ ٨ مَعَ الدُّجَى زَوَّارُ
 خَتَّالُ أَبْنَاءِ السَّرَى غَدَّارُ

١ ط د س والديوان : من .

٢ س : وقع .

٣ م ب : نزاع .

٤ س : كبدي .

٥ م ب ط د س : بها .

٦ س : وضافي .

يسري وقد نضح الندى وجه الصبا
فَعَشَوْتُ فِي ظِلْمَاءٍ لَمْ يُقَدِّحْ بِهَا
وَرَفَلْتُ فِي خَلْعٍ عَلَيَّ مِنَ الدُّجَى
وَالدَّلِيلُ يُقْصِرُ خَطْوُهُ وَلَرُبَّمَا
قَدْ شَابَ مِنْ طَوْقِ الْمَجَرَّةِ مَفْرُقٌ
وكان له صديق قد نشأ معه ، فكانا يبحث لا يُريان ينفصلان ، كأنهما
الدهرَ فرقدان ، فاخترمه الأجلُ لئلا وفاءَ جملة من الإخوان ، فقال يتفجع
ويتوجع^١ :

شَرَابُ الْأَمَانِي لَوْ عَلِمْتُ^٢ سَرَابُ
وَهْلٍ مُهْجَةٍ الْإِنْسَانِ إِلَّا طَرِيدَةً^٣
تَخُبُ^٤ بِهَا مِنْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَكَيْفَ يَغِيضُ الدَّمْعُ أَوْ يَبْرِدُ الْحَشَا
أَقْلَبُ طَرَفِي لَا أَرَى غَيْرَ لَيْثَةٍ
كَأَنِّي وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ حَمَامَةً^٥
وَعَتْبِي اللَّيْثَالِي لَوْ فَهِمْتُ عِتَابُ
تَحُومُ^٦ عَلَيْهَا لِلْحِمَامِ عُقَابُ
مَطَايَا إِلَى دَارِ الْبَلَى وَرِكَابُ
وَقَدْ بَادَ أَقْرَانُ^٧ وَفَاتَ شَبَابُ
وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نَقَابُ
يَمُدُّ جَنَاحِيهِ عَلَيَّ غُرَابُ

[ومنها] :

دعا بهم داعي الردى فكأنما
فها هم وسلم الدهر حرب^٨ كأنما
تبارت بهم خيل^٩ هناك عراب
جثا بهم^{١٠} طعن^{١١} له وضيراب

١ س : يتوجع ويتفجع .

٢ ب : عرفت .

٣ ب م : يحث ؛ س : يخب .

٤ س : السحاب ، وخ بها مشها : الصباح .

٥ ب م ط د س : جثا بهم .

هُجُودٌ وَلَا غَيْرَ التَّرَابِ حَشِيَّةٌ
فَلَسْتُ بِنَاسِي صَاحِبٍ مِنْ رِبِيعَةٍ
وَمَا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَنْفِهِ
وَأَنَا تَجَارِيئُنَا ثَلَاثِينَ حِقْبَةً^١
كَأَنْ لَمْ نَبْتَ فِي مَنْزِلِ الْقَصْفِ لَيْلَةً
إِذَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ هَزَّ عَظْفَهُ
وَلَمَّا تَرَاءَتْ لِلْمَشِيبِ بُرَيْقَةً
نَهَضْنَا بِأَعْيَاءِ اللَّيَالِي جَزَالَةً
فِيَا ظَاعِنًا قَدْ حُطَّ مِنْ سَاحَةِ الْبَلَى
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَمْ يَرُدَّنِي عَلَى النُّوَى
وَأَنِّي إِذَا يَمَمْتُ قَبْرَكَ زَائِرًا
وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ حَاوِرَ^٢ مَيْتًا
وَأَعْرَبَ عَمَّا عِنْدَهُ مِنْ جَلِيَّةٍ

لَحْنَبٍ وَلَا غَيْرَ الْقُبُورِ قَبَابٍ [١٤٩]
إِذَا نَسَيْتُ رَسْمَ الْوَفَاءِ صِحَابٍ
وَمَا ائْتَقْتُ رُمُحَ دُونِهِ وَذُبَابٍ
فَمَاتَ^٣ سَبَاقًا وَالْحَمَامُ قِصَابٍ^٤
نُجِيبُ بِهِ دَاعِيَ الصَّبَا وَنَجَابِ
شَبَابٍ أَرْقَنَاهُ بِهَا وَشَرَابِ
وَأَقْشَعُ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ سَحَابِ
وَأَرُسْتُ بِنَا^٥ فِي النَّائِبَاتِ هَضَابِ
بِمَنْزِلٍ بَيْنَ لَيْسَ عَنْهُ مَأْبِ
رَسُولٍ وَلَمْ يَتَفَنَّذْ إِلَيْكَ كِتَابِ
وَقَفْتُ وَدُّونِي لِلتَّرَابِ حِجَابِ
لَطَالُ كَلَامٍ بَيْنَنَا وَخِطَابِ
فَأَقْلَعُ عَنْ شَمْسٍ هُنَاكَ ضَبَابِ

وله من أخرى في قاضي القضاة أبي أمية بن عصام^٨ :

١ الديوان : حجة .

٣ م ب ط د س : فمات .

٣ ط : نصاب ؛ م ب : تصاب .

٤ ب م ط د س : بها .

٥ س : يزورني ، وخ في الهامش : يردني .

٦ ط د : إليه .

٧ ب م ط د س : جاور .

٨ هو أبو أمية إبراهيم بن عصام (٥١٦) ، انظر ترجمته في القلائد : ٢٠٣ ومعجم أصحاب

الصدقي : ٥٦ والمغرب ١ : ٢٥٨ والخريدة ٣ : ٤٨٦ (ط . تونس) .

وَأَخْضَرَ عَجَّاجٍ تُدْرِجُهُ الصَّبَا
كَانَ فِرَادًا بَيْنَ جَنْبَيْهِ رَاجِفًا
سَارُكِبُ مِنْهُ ظَهَرَ أَدْهَمَ رَيْتَضٍ
وَأَمْضِي فِيمَا بَيْتُ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ
نَبِهَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَمْرُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ : [« نَحَاوِلُ مَلَكًا أَوْ نَمُوتُ فَنَعْذِرَا »]
وَمِنْ مَدَحِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَلَا يَغْتَرِرُ بِالْحُلُمِ قَوْمٌ فَرُبَّمَا
وَلَا يَكْفُرُوا نَعْمَى الْغَنَامِ فَرُبَّمَا
فَقَصُرَ أُنَاةُ الْحُلُمِ عَضَّةً سَطَوَةً
فَمَنْ دَهَشَ يَنْدِنِي خُطَاهُ كَأَنَّهُ
وَمَنْ لَا نَمِي أَرْضُ الْخُضْرِ كَأَنَّهُ
تَصَدَّعَ عَنْ سَقَطٍ مِنَ النَّارِ جِلْمَدُ
تَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ صَعَقَةٌ^١ تَتَوَقَّدُ
تُقِيمُ صَغَا تِلْكَ الْقَتْنَا وَتُسَدُّ
وَقَدْ هَالَتْهُ وَطْءُ الْبَسَاطِ مُقَيَّدُ
سَجُودًا عَلَيْهَا لِلْمَهَابَةِ^٢ هَدَّهْدُ [١٤٩ ب]
وَمِنْهَا :

أَمَا وَصْرَاطٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لِلْهُدَى
[وَأَلْفَ أَشْنَاتِ الْفَضَائِلِ أَرْوَعُ]
وَدَارَ بِهِ فِي مُقَلَّةٍ الْمَجْدِ نَاطِرُ
وَسَارِ مَسِيرِ النَّجْمِ هَدْيًا وَرِفْعَةً
تَدِيرُ الْمَعَالِي كُلَّمَا خَطَّتْ رَقْعَةً
تَبْرَعُ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْوَعْدِ ضِنَّةً
لَهُ شَيْخَةٌ تَنْدَى فَتَشْفِي مِنَ الصَّدَى
لَقَدْ شَادَ أَرْكَانَ الْعَلَا مِنْهُ سَيِّدُ
وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْمَكَارِمِ أَيْدُ
وَأَشْرَفَ فِي حُلِيِّ الْمَسَاعِي مُقْلَدُ
فَغَارَ بِهِ رَأْيُ^١ وَأَنْجَدَ سَوْدَدُ
عَيُونًا لَهَا مِنْ حَالِكِ النَّقْسِ إِيْثْمُ
وَعَاقِبَ لَمْ يُقْعِدْهُ^٢ ضَعْفُ^٣ فَيُوعَدُ
وَتَنْقَعُ أَحْشَاءَ^٤ الْهَجِيرِ فَيَهْرُدُ

١ ب م : ساقفة .

٢ د ط م و الدبران : كلما هاب .

فمن حُرِّ نِيلٍ قَدْ أَفَاضَتْهُ هَمَّةٌ
 وَقَوْلٍ لَهُ فِي مَقْعَدِ الْحُكْمِ حِكْمَةٌ
 وَحَلْمٍ لَهُ دُونَ الدِّيَانَةِ سَوْرَةٌ
 [وما السيف لولا الخوف إلاَّ حديدة]

وقال :

وَكَامَةً حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
 فِي أَبْطَحٍ رَضِعَتْ ثُغُورُ أَقَاحِهِ
 نَثَرْتُ بِحَجَرِ الرُّوضِ فِيهِ يَدُ الصَّبَا
 وَقَدَارْتَدَى غُصْنُ النَّقَا وَتَقَلَّدَتْ
 فَحَلَمْتُ حَيْثُ الْمَاءُ صَفْحَةُ ضَا حَكْ
 وَالرَّيْحُ تَنْفُضُ بَكْرَةً لِمِ الرُّبَى
 مُتَقَسِّمَ الْأَلْحَاطِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
 وَأَرَاكَةَ سَجَعِ الْهَدِيدِ بَفَرْعِهَا
 هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافُهَا وَلَرُبَّمَا

وقال في فتي نبيل حسن الصورة والصوت [يستعين به في أمر طواه

لعله] :

فَقَبِّلْتُ رَسْمَ الدَّارِ حُبًّا لِأَهْلِهَا
 وَحَنَنْتُ قُلُوصِي وَالْهَوَى يَبْعَثُ الْهَوَى
 فَهَا أَنَا وَالظَّلْمَاءُ وَالْعَيْسُ صُحْبَةٌ
 وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً سَعَى فَنِيَمًا
 فَلَمْ أَرَ فِي تَيْمَاءَ إِلَّا مُتَيْمًا
 تَرَامَى بِنَا أَيْدِي النَّوَى كُلَّ مَرْتَمَى

١ ب م : سمع ؛ د : سجد .

٢ د ط والديوان : إلا صعيداً تيمما .

أُرَاعِي نَجُومَ اللَّيْلِ حُبًّا لِبَدْرِهٖ ١ وَلَسْتُ كَمَا ظَنَّ الْخَلِيَّ مِنْجَمًا [١٥٠]

منها :

تَرَى يَوْسُفًا فِي ثَوْبِهِ حُسْنَ صُورَةٍ وَتَسْمَعُ دَاوُدَآ بِسَهْ مِثْرِنَا
تَقْلِدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمَلِكِ مَرْهَفًا إِذَا مَا نَبَا الْعُضْبُ الْمَهْنَدُ صَمَمَا

ومنها في التعريض بأمر طواه ٢ :

وَرَبَّ مَعْمَى قَدْ تَعَاطَيْتُ فَكْبَةً وَأَرْقِي حَتَّى الصَّبَاحِ وَهُومَا
أَقْلَبُ مِنْهُ نَاطِرِي فِي غِيَابَةٍ ٣ لَوْ اعْتَرَضْتُ دُونَ الصَّبَاحِ لِأَظْلَمَا
وَلَوْ مَثَلْتُ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ ثَغْرَةً لِأَطَّرْتُ فِيهَا السِّمَهْرِيَّ الْمَقُومَا
هَزَزْتُ لَهَا عِطْفَ الْوَزِيرِ وَإِنَّمَا هَزَزْتُ عَلَى هَادٍ حَسَامًا مَصْمَمَا
وغيرَ بَعِيدَ أَنَّ أَنَالَ بِكَ السَّهَا سَمَوًا إِذَا كَانَ اعْتِنَاؤُكَ سَلَامَا
وَهَا أَنَا إِن تَمْرَضَ بِأَرْضِكَ حَاجَةً فَقَدْ جِئْتُ أَلْقَى مِنْكَ عَيْسَى بْنِ مَرِيَمَا

وله من أخرى :

سَقِيًّا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْخْتُ بِسَرِّحَةٍ رِيًّا تُلَاعِبُهَا الرِّيَاحُ فَتَلْعَبُ
سَكْرَى يُغْنِيهَا الْحَمَامُ فَتَسْتَنِي طَرَبًا وَيَسْقِيهَا الْغَمَامُ فَتَشْرَبُ
نَلْهُوهُ فَتَرْفَعُ لِلشَّيْبَةِ رَايَةً فِيهِ وَيَطْلُعُ لِلْبَهَارَةِ كَوَكَبٌ ٤

١ ب م : لبدرها .

٢ ب م : بأمر هواه .

٣ س : غيابة .

٤ الديوان : لأطردت .

٥ ب م : تلهو .

٦ الديوان : ويسرج للتصابي مركب .

والرَّوضُ وَجْهٌ أَزْهَرُ وَالظِّلُّ فَرْجٌ
 فِي حَيْثُ أَطْرَبْنَا الْحَمَامُ عَشِيَّةً^١
 وَاهْتَزَّ عَطْفُ الْغَصْنِ مِنْ طَرَبٍ بَنَّا
 فَكَأَنَّهُ وَالْحَسَنُ مَقْتَرَنَ بِهِ^٢
 فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدِعُ الدُّجَى
 كَرُمُوا فَلَا غَيْثُ السَّمَاحَةِ مَخْلَفُ
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرٍ لِلنَّعِيمِ بَوَاجِهِهِ

وله من أخرى يندب الشباب ، ويتوجع لوفاة الإخوان والأتراب :

أَلَا عَرَّسَ الْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ الْبَلَى
 فَدَمَعُ كَمَا سَحَّ الْغَمَامُ وَلَوْعَةُ^١
 إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ عَشِيَّةً
 أَكْرُ بِطَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ
 فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَزَفْرَةٍ
 وَأَحْوِ جَمِيلَ الصَّبْرِ طَوْرًا بَعْبَرَةٍ
 [وَقَدْ دَرَسْتُ أَجْسَامَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
 وَحَسْبِيَ شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلَقَعًا]
 وَمَا رَفَعُوا غَيْرَ الْقُبُورِ قِيَابَا
 كَمَا ضَرَبَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شَهَابَا [١٥٠ ب]
 تَلَدَّدْتُ فِيهَا جِيثَةً وَذَهَابَا
 تَكَلَّمْتُهُمْ بَيْضَ الْوُجُوهِ شَبَابَا
 أَنَادِي رَسُولًا لَا تَحِيرُ جَوَابَا
 أَخْطُ بِهَا فِي صَفْحَتِي كِتَابَا
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَقْبَرًا وَيَسَابَا
 خَلَاءَ وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تَرَابَا]

[ومن شعره في الغزل وما يتعلق به]

وَأَغِيدَ أَهْدَى نَرَجَسًا مِنْ مَحَاجِرٍ وَثْنَى فَاتَلَى سَوْسَنًا مِنْ سَوَافِرِ

١ الديوان : حيث التقى نفس الخزامى والصبا .

٢ الديوان : فكأنه والغيم ثوب أدكن .

٣ ط د س : السحاب .

تطلّع مثلَ الرمحِ بسطةَ قامةٍ وفتكةَ ألحاظٍ ولينَ معاطفٍ
وقد ماج من عطفيه ماءُ شبيبةٍ تعبٌ ولا أمواجٌ غيرُ الروادفِ
فقبّلَ طرفي في محياه مبسماً شنيهاً ومن صدغيه لُعنسَ مراشفِ

وقال :

ما للعدارِ وكان وجهك قبيلاً قد خطّ فيه من الدجى محراباً
فإذا الشبابُ وكان ليس بخاشعٍ قد خرّ فيه راکعاً وأنا بـ
فكأنَّ وجهك وهو يخبو نورهُ لم تلمحْ منه العيونُ شهاباً
ولقد علمتُ بكونِ ثغرك بارقاً أن سوف يُزجي للعدارِ سحاباً
وأقاحةً غازلتهَا نفاحةً في فرعٍ إسحلةً تميدُ شهاباً
وضحتُ سوائفُ جيدها سوسانةً وتوردتُ أطرافها عُناباً
بيضاءُ فاض الحسنُ ماءً فوقها وطفأ بها الدرّ النفيسُ حباباً
غازلتها ليلاً وقد طلعتْ به شمساً وقد رقّ الشرابُ شراباً
وترنّمتُ حتى سمعتُ حمامةً حتى إذا حسرتُ زجرتُ غراباً
بين النجوم قلادةً تحتَ الظللا م غمامةً خلفَ الصباحِ نقاباً]

وله من أخرى يصف متنزهاً :

يا رُبَّ وَضَّاحِ الجبينِ كأنّما رَسَمُ العذارِ بصَفْحَتَيْهِ كتابُ
تُغْرِى بِطَلْعَتِهِ العُيُونُ ملاحَةً وتبيتُ تَعَشِقُ عَقْلَهُ الألبابُ
نخلِعتُ عليه من الصِّباحِ غلالةً تندى ومن شفقِ المساءِ نِقابُ
فَكَرَعْتُ من ماءِ الصِّبَا في منهلٍ قد شفّأ^١ عنه من القميصِ سرابُ
في حيثِ للرَّيحِ الرُّخاءِ تَنفَسُ أريجُ وللماءِ الفُراتِ عُبَابُ

١ د ط س : رق .

[ومنها] :

وَلَرُبَّ غَضٍّ الْجِسْمِ مَرَّ يَخُوضُهُ ١
ولقد أنختُ بِشَاطِئِهِ يَهْزِي
وعبرتُ دِجْلَتَهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
تُجَلِّي مِنَ الدُّنْيَا عُرُوسٌ ٢ يَبِينَا
ثُمَّ ارْتَحَلْتُ وَلِلنَّهَارِ ذُوَابَةٌ ٣
تلوي معَاطِفِي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا

سَبَحًا كَمَا شَقَّ السَّمَاءَ شَهَابٌ
طَرَبًا شَبَابٌ رَاقِيٌّ وَشَرَابٌ
فَرَحًا حَبِيبٌ شَاقِيٌّ وَحَبَابٌ
حَسَنَاءُ تُرْشِفُ الْمُدَامُ رُضَابٌ
شِيَاءُ تُخَضَّبُ الظَّلَامُ ٤ خِضَابٌ
وَاللَّيْلُ دُونَ الْكَاشِحِينَ حِجَابٌ

وقال :

مَرَّ بَنَا وَهُوَ بَدْرٌ تِمَّ
[قد سال في صفحتيه ماءً]
بِقَامَةٍ تَنْشِي قَضِيبًا
[كَأَنَّهُ مَوْجَةٌ تَهَادِي
تَقْرَأُ وَاللَّيْلُ مُدْلِهِمُ
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالُ سُكْرًا
وَحَامَ مِنْ سُدْفَةٍ غُرَابُ
ازْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا ٥]

يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابًا
يَعُودُ مِنْ خَجَلَتِهِ شَرَابًا [١
وَعُرَّةٌ تَكْتَضِي شَهَابًا
تَلْبَسُ مِنْ وَشِيهِ حَبَابًا [٢
لِنُورِ أَخْلَاقِهِ ٣ كِتَابًا
أَزْجَرُ مِنْ جُنْحِهِ غُرَابًا
وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابًا
طَالَتْ بِهِ سَنَةٌ فَشَابًا
فَجَثْتُ مِنْ غَلَّتِي سَرَابًا ٤ [١٥١ أ]

١ ب م : مد لحوضه .

٢ ب م : والنهار .

٣ م ب : اجلاته .

٤ م ب : شهدت .

٥ م : شرابًا .

قد شب في وجهه شعاع
 [فالتُّ من نعمة شقاء
 وما خطا قادمًا فوافي
 وبين جفني^٢ بحرُ شوقِ
 وروضة طُلقة جنيباً^٣
 ينبجأ^٤ عن نورِها كِمَامُ
 بات بها مبسمُ الأَقاحي
 ومن خفوق^٥ البروقِ فيها
 كأنَّها أنمُلُ وِرَادُ
 وشبَّ عن قلبي^٦ التهابا
 وذقتُ من رحمة عذابا^١
 حتى انثى ناكصاً فأبا
 يعبُ في وجنتي عابا
 غناء مخضرة^٥ جنابا
 تنحطَّ عن وجهه نقابا
 يرشِفُ من^٤ طلَّها رُضابا
 ألوية^٥ حُمُرَت خِضابا
 تحصرُه قَطَرُ الحيا حسابا

هذا أحسن من قول التميمي :

كأنَّ تألقه في السما يدا حاسب أو يدا كاتب

وقوله : « يرشِف من طلَّها رُضابا » كقول أبي محمد الصقلي^٦ :

من قبل أن ترشِفَ شمسُ الضَّحَى ريقَ الغواذي من ثغور الأَقاح

وله من أخرى :

يا ربَّ بدرٍ زارني منه الهلال وقد تَلَسَّمْ

١ لم يرد في س .

٢ د : جنبي .

٣ ب م : حياء .

٤ ب م : جفون .

٥ ب م : مخضر .

٦ انظر ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

فرَشَفْتُ فاهُ في اللَّثَا مِ أَظُنُّهُ كَأَسَا تَفْدَمُ
 وَكَأَنَّهُ دَرٌّ تَحْلَلْ في شَعاعٍ قد تجسم
 وَشَتَّ المَلاحَةَ وَجْهَهُ وَجَرى العِذارُ بِهِ فَأَعْلَمُ
 فَقَرَأْتُ سَطَرَ زُمُرْدٍ فِيهِ بِمَسكِ الخالِ مُعْجَمُ
 وَكَأَنَّ جَوْهَرَ لَفْظِهِ نَظْمٌ بِفِيهِ إِذَا تَبَسَّمَ
 وَكَأَنَّ لَوْلُو ثَغْرِهِ نَشْرٌ بِفِيهِ إِذَا تَكَلَّمَ

بيته الأولان منها أخذهما^١ من قول الرضي لفظاً بلفظ ومعنى بمعنى

ولما وقفنا بالسَّراة غُدِيَّةً وقوفاً لتوديع وردٍ سلامِ
 تلثم مرتاباً بفضلِ رِدايهِ فقلتُ هلالٌ بسعدِ بدرٍ تمامِ
 وقبلته فوق اللثامِ فقال لي هيَ الخمرُ إلاَّ أنها بِفِيْدامِ
 وقال :

يا بَانِةً تَهْتَزُّ فِينانَةً^٢ وَرَوْضَةً تَنْفَحُ مِيعطارا
 كم دمعِ عَيْنٍ بك قد أُجريت وقلبِ صبِ فِيكَ قد طارا
 لَهِ اعْطافُكَ مِنْ خِوطة وَحَبِّدا نُورُكَ نُوارا
 عَلَيَّتْ طَرْفاً فاتناً فاتِراً^٣ فِيكَ وَغَيْراً مِنْكَ غَراراً
 وَنابلاً مُسْتوطِناً بابلاً نَفَّاثَ لَحْظِ العَيْنِ سَحاراً
 كُنِي فَمَسَى قَوْسُهُ حَاجِباً رَمَزاً وَاسْمَى النَبْلَ أَشْفاراً
 إِذَا رَناءُ يَجْرَحُنِي طَرْفُهُ لَحْظَتُهُ أَجْرَحُهُ ثاراً

١ م ب ط د س : أحدهما .

٢ م ط س : فنانة .

٣ ب م : فاطرأ .

٤ ط د : فإن رمى .

فيصبغ الدُرَّ عتقيقاً به وأصبغُ النَوَّارَ^١ أزهّاراً
 [في خده^٢ من يدع الحسن ما يقيمُ للعشاق أعداراً]
 ينشر من صفحته رقعةً ويدمجُ الاصداعَ أسطارا
 من باقٍ من لاعج وجدٍ به ريحاً فقد لاقيتُ إعصارا
 يُديرُ للأعين من وجهه كعبةَ حُسنٍ حيثما دارا
 فلي به عينٌ مجوسيةٌ تعبُدُ مينَ وجنته نارا
 [قد طبع الحسن به درهماً تسبكُ^٣ منه العينُ دينارا]
 كأنما قد خطت بالمسك في خديّه للعدال أعدارا]

وهذا كقول محمد بن هاني :

صفةٌ تزيّنُ بعضها في بعضها حتى غدا التوريد فيها^٤ ملهبا

وقال عبد الجليل الرسي : [١٥١ ب]

بقلب كحرباء الظهيرة [ترمي^٥] إلى^٦ الشمس من ذاك الشعاع تدورُ

وقال ابن خفاجة :

رَحَلْتُ عَنْكُمْ^٧ ولي فؤادُ تَنَقَّضُ^٨ أضلاعهُ حيننا

١ ط د س : الأنوار .

٢ الدُّوَّار : وجهه به .

٣ ط : تسبك .

٤ ط د س : تزندق .

٥ ب م : فيه .

٦ د : دانه .

٧ ب م : ترمى .

أَجُودُ فِيكُمْ بِعَاقِ دَمْعٍ كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ ضَمِينَا
يَثُورُ فِي وَجَنِي جَيْشاً^١ وَكَانَ فِي جَفْنِيهِ كَمِينَا
كَأَنْتِي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقْتُ مِنْكُمْ يَمِينَا

وهذا البيت من قول ابن المعتز ، ولكنه محابشره ، وأبطل سحره ، وأنشد
البيتين ليحسن حالهما ، ويروق اتصالهما :

أَقِيمُ وَتَرْحَلُ ذَا لَا يَكُونُ لَنْ صَحَّ هَذَا سَتَدَمَى عَيُونُ^٢
وَلَا نِي وَإِيَّاكَ مِثْلُ الْيَدَيْنِ وَلَكِنْ لَكَ الْفَضْلُ أَنْتَ الْيَمِينُ

وقال :

وَلَيْلَةٌ طَلَفَتْ قَضَنِي مِنْ مَوْعِدٍ بِاللِّقَاءِ دَيْنَا
بَتْنَا نَجْرُ الدُّيُولِ فِيهَا^٣ وَالْحَمْرُ تَمْشِي بِنَا الْهُوَيْنَا
[يُدِيرُ أَجْفَانٍ مُسْتَمِيتِ يُوَسِّعُ كُلَّ الْأَنَامِ حَيْنَا]
كَالسَّيْفِ تَلْقَى الْغَرَارَ عَضْباً يَمْضِي وَتَلْقَى الْمَجْسَّ لَيْنَا
أَرْسِلُ فِي رَوْضِ وَجَنَّتِيهِ لَحْظَةً عَيْنٍ تَقْفِضُ عَيْنَا
كَأَنَّمَا اللَّحْظُ كِيمِيَاءُ^٤ تَذْهَبُ^٥ مِنْ وَجْهِ لُجَيْنَا
وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنْ طَرَفًا يَقْلِبُ عَيْنَ اللَّجَيْنِ عَيْنَا

وقال يستقصر بعض إخوانه وقد كلفه حاجة فمطله بقضاها :

أَدْعُو فَلَا تُلْوِي وَأَنْتَ قَرِيبُ وَأَشْكُو فَلَا تُشْكِي وَأَنْتَ طَبِيبُ

١ م ب : حسناً .

٢ ط د : تيهاً .

٣ م ب : تذيب .

٤ م ب : المحب .

وما كنتُ أخشى أن أرايَ ضاحياً
 وهل يستجيزُ المجدُ أن أشتكي الصدى
 وكيف بمطاولي إذا شطتِ النوى
 فهل شيبَ من تلك المصافاة مشرعٌ
 سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مؤدّعا
 سلامٌ له فوقَ المحاجرِ بِلثة
 وقد كان يسري والتنايفُ بيننا
 وتفتتَ من بيشراً هنالك زهرةٌ
 وأثلُّكَ مطلوبُ الفروعِ رطيب
 وأنتَ رشاءٌ مُحفَّصٌ وقلوب
 وقد صمَّ من قُربِ فليسٍ يجيب
 وهيلَ على ذاك الإخاءِ كتيب
 سلامِ فراقٍ ما أقام عسيب
 وطوراً بأحناءِ الضلوعِ هيب
 فتندى به ريحٌ ويتفتحُ طيب
 ويهفو له من معطفي قضيب [١٥٢]

وقال يتنزل في أمة صفراء^٢ تسمى عفراء :

أرقتُ لذكرى منزلٍ شطَّ نازح
 فقلتُ لبرقٍ يتصدعُ الليلَ لائح^١
 وبلغَ قطينَ الدَّارِ أني أحبتهم
 وأفرىءَ عفرَاءَ السلامِ وقُلْ لها
 وهل يتثنى ذلك الغصنُ نَضرةً
 ومن لي بذلك الخشفِ من متقننص
 ودونَ الصَّبَا إحدى وخمسونَ حِجَّةً
 فيا ليت طيرَ السَّعدِ يَسْنَحُ بالمئى
 وبإليتي كنتُ ابنَ عشرٍ وأربع
 كلفتُ^٣ بأنفاسِ الشَّمالِ له شَمًا
 ألا حي عني ذلك الرِّبْعُ والرَّسْمَا
 على النَّأيِ حُبًّا لو جزوني به جمًا
 ألا هلْ أرى ذاك السَّهْمَا قمرًا تمًا
 يجرعا وهل ألوي معاطفه ضِمًا
 فأكله عَضًّا وأشربَه لثْمًا
 كأتي وقدْ ولَّتْ أريتُ بها حلما
 فأحظى بها سَهْمًا وأبأى بها قسما
 فلم أدعُها بنتًا ولم تدعني عمًا

١ ب م : نشر .

٢ الديوان : سفيرة .

٣ ب م : الفت .

٤ الديوان : لامح .

وقال في لزوم ما لا يلزم :

ونَشَوَانٌ غَنَّتَهُ حَمَامَةٌ أَيْكَةٌ
فَهَبَ وَرِيحُ الْفَجْرِ عَاطِرَةٌ الْجَنَى
وطاف بها والليلُ قد رثَّ برْدُهُ
وأصغى إلى لَحْنٍ فصيحٍ يَهْزُهُ
تَهَشُّ لِيْلِهِ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ
على حينِ طَرْفِ النِّجَمِ قَدْ هَمَّ أَنْ يَكْرَى
لَطِيفَةٌ مَسَّ الْبَرْدِ طَيْبَةُ الْمَسْرِ
وللصُّبْحِ فِي أُخْرَى الدُّجَى مِنْكَبٌ يَعْرِى
كما هَزَّ نَشْرُ الرِّيحِ رِيحَانَةَ سُكْرِى
على كَبْدٍ نُعْمَى فِي أذُنٍ بُشْرِى

ومن شعره في أوصاف شتى

يا مَادِحَ الْبَحْرِ وَهَوَّ يَسْجَهْلَهُ
فَائِدُهُ مِثْلُ قَعْرِهِ بَعْدَ
مَهْلًا فَإِنِّي خَبَرْتُهُ عِلْمًا
وَرِزْقُهُ مِثْلُ مَا بِهِ طَعْمًا
وقال :

لَتَيْنِ كُنَّا رَكْبَنَا ضَلَالًا
فَأَخْرَجْنَا عَلَى^٢ الْمَرْغُوبِ مِنْهَا
فِيَا لِلَّهِ إِنَّا تَائِبُونَ
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ
وقال :

كَمْ تُمْلَأُ الْعَيْنُ مِنْ قِذَاهَا
بَحْرٌ وَنَوْءٌ^٣ وَطُولٌ هَمٌّ
وَتَشْتَكِي النَّفْسُ مِنْ أَذَاهَا
فَلَوْ يَدُّ الْمَرْءِ وَهِيَ مِنْهُ
ثَلَاثَةٌ أَطْبَقَتْ دُجَاهَا [١٥٢ ب]
أَخْرَجَهَا لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا
وقال في وصف عارض برَد :

١ ب م : نسر .

٢ م ب : عن .

٣ ب م : وبعد .

ألا مسخ^١ الله القِطارَ حِجَارَةً^٢ تَصُوبُ عَلَيْنَا وَالْغَمَامَ غُثُومًا^٣
 وكانت سماءُ الله لا تَمْطُرُ الْحَصَى^٤ لِيَالِي كُنَّا لَا نَطِيشُ حُلُومًا^٥
 فلَمَّا تَحَوَّلْنَا عَفَارِيثَ شِرَّةٍ^٦ تَحَوَّلَ شُؤْبُوبُ الْغَمَامِ رَجُومًا^٧
 وقال من قصيدة :

هل أنت ذَاكِرُ عَيْشَةٍ سَلَفَتْ نَلْدُهَا وَتَنَعَمُ^١
 أَيَّامَ عَيْقُدِ الشَّمْلِ مُنْتَظِمٍ^٢ وَحَبْلُ الْوَصْلِ مُبْتَرَمٍ^٣
 ما بين غُصْنِ نَضَارَةٍ^٤ أُنِقَ وَبَدْرِ مَسْلَاحَةٍ^٥ تَمُ
 يَغْدُو^٦ وَكَافُورُ الْجَبِينِ نَدِيٍّ وَمَيْسَلُ الشَّعْرِ أَسْحَمُ
 [إِنْ لَمْ يَكُنْ آسُ الْعِدَارِ^٧ بَدَا بِرَوْضَتِهِ فَقَدْ هَمَّ^٨]
 طَفْنَا بِكَعْبَةٍ^٩ فِتْنَةٍ^{١٠} مِنْهُ لَنَا مِنْ فِيهِ زَمْزَمُ
 وَإِلَيْكِهِمَا^{١١} أَحْجِيَّةُ^{١٢} رَمَزَ الْقَرِيضُ^{١٣} بِهَا فَجَمَعَمُ
 مَا سَافِجُ^{١٤} الْعَبْرَاتِ لَمْ يَخْزَنْ^{١٥} وَنُضُو^{١٦} لَمْ يُثَمَمُ
 يَهْرِي^{١٧} وَلَا يَدْرِي^{١٨} وَيَهْ^{١٩} لَمْ بِالْأُمُورِ^{٢٠} وَلَيْسَ يَعْلَمُ
 تَلْقَى^{٢١} سَيْنَانُ^{٢٢} رَيْبَةٍ^{٢٣} مِنْ صَدْرِهِ^{٢٤} وَلِسانُ^{٢٥} أَكْثَمُ
 إِنْ طَارَ^{٢٦} بَارِقُهُ^{٢٧} دَجَا^{٢٨} وَجْهَ الصَّبَاحِ^{٢٩} بِهِ وَغَيْمُ
 يَمْشِي^{٣٠} وَلَا قَدَمٌ^{٣١} ثَقِيلٌ^{٣٢} وَمَا مَشَى^{٣٣} إِلَّا تَكَلَّمَ^{٣٤}

١ م : سيج .

٢ م ب : غيوماً .

٣ ب م : نغدو .

٤ ب م : فنية .

٥ ب م : سائح .

٦ م ب : يهري ؛ وهامش م : يهري .

٧ م ب : لسان .

وتراهُ سادِسَ خَمْسَةَ يُفَصِّحْنَ قولاً وهو أبكم
في حيثُ لا أذنُ تعيي قولاً ولا هوَ فاغِرٌ فَمَ

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام^١ :

فصيحٌ إذا استنطقتهُ وهو راكبٌ وأعجمٌ إن خاطبته وهو نازلٌ^٢
إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ عليه شعابُ الفكر وهي حوافلُ
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّضتْ^٣ لنجواهُ تقويضَ الحيام الجحافلُ
إذا استغزَرَ الدهنَ الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاس وهي أسافلُ
وقد رَفَدَتَهُ الخِصِرانِ وسدَدَتِ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملُ
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مرهفٌ ضنًى وسميناً خطبُهُ وهو ناحلُ

وقال ابن المعتز [فيه]^٤ :

ولطيفِ المعنى جليلٌ نحيفٌ وكبيرِ الأفعالِ وهو صغيرٌ
كم منايا وكم عطايا وكم حة في وعيشٍ^٥ تضمُّ تلك السطور

وقال ابن الرومي^٨ [١٥٣ أ] :

-
- ١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٢٣٤ .
 - ٢ الديوان : راجل .
 - ٣ د ط : أطراف الرماح وقوضت .
 - ٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ٩٠ وزهر الآداب : ٣٠ .
 - ٥ الديوان : وجيل المعنى لطيف .
 - ٦ الديوان : الفعال .
 - ٧ الديوان : وكم عيش وحتف .
 - ٨ ديوان ابن الرومي ١ : ١٦٦ (١ : ١٩٣ تحقيق د. نصار) وزهر الآداب : ٣٢ .

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكم. يُّ بأخوفَ من قلم الكاتبِ
له شاهدٌ ان تسألتَهُ ظهرت على سرِّه الغائب
أداةُ المنية في جانبِهِ فمن مثله رهبةُ الراهب
سنانُ المنية في جانب وحدٌ^١ المنية في جانب

وقال محمد بن أحمد الاصبهاني^٢ :

أخرسُ يتبيك بإطراقِهِ عن كلِّ ما شئت من الأمرِ
يُنذري على قرطاسِهِ دمةً يُبدي بها السرَّ وما يدري
كعاشقٍ أخفى هواه وقد نمتُ عليه دمةً تجري
تبصره في كلِّ أحواله عُرِّيَّان يكسو الناسَ أو يُعري
يُرى أسيراً في دواةٍ وقد أطلقَ أقواماً من الأسر

وقال أحمد بن جدار^٣ :

أهيفُ ممشوقٌ بتحريكه يحلُّ عقد السرِّ إعلانُ
له لسانٌ مرهفٌ حدّه من ريقة الكرُسُفِ عريان
ترى بعينِ الفكرِ في نظمه شخصاً له حدٌّ وجثمان
كأنما يسحبُ في إثره ذيلًا من الحكمة سحبان
لولاه ما قام منارُ الهدى ولا سما بالملك ديوان

حدث أبو عمر محمد بن عبد الواحد [الزاهد] قال : كنتُ جالساً

١ الديوان : وسيف .

٢ وردت الأبيات في زهر الآداب : ٢٣ ؛ والثلاثة الأولى في محاضرات الراغب ١ : ١١٣ .

٣ زهر الآداب : ٢٣ . ٤ ب م : يرى بسيط .

في مجلس ثعلب إذ وقف عليه غلام بدويّ فقال : أسألك أيها الشيخ ؟ قال :
قل ، فقال :

وعريانَ من حُلّةٍ مكتسٍ يَميسُ من الوشي في يَلمَقِ
فأطرق ثعلب ، فقال الغلام :

يغوصُ في البحر مستأنساً فلم يَرَ بؤساً ولم يغرق
فقال ثعلب : [هذا سرطان ، فقال الغلام :

يلوح للشمس وَسَطَ الحجير فما لوّحته ولم يَعرَقِ
فقال ثعلب] : هذا شيطان ، فقال الغلام :

إذا أنت مَشَيْتَه في الركوبِ أذاك عَجُولاً ولم يُعْنَقِ
فقال ثعلب : هذا فرس ، فقال الغلام :

أقام بغربيّ غورِ العِراقِ يَسنْهَى ويأمرُ بالمشرقِ
فأمسك ثعلب ، فقال الغلام :

يسوقُ إلى المطبقِ الناكثين ومثواه في خَندَقِ المطبقِ

فقال ثعلب : هذا قلم ، وما سمعنا في صفته بأحسن من هذا [١٥٣ ب]

[وقال ابن خفاجة ملغزاً :

وخطيبِ قومٍ قام يخطبُ فيهمُ أبدأ مع الإصباح والإمساء
حملت عليه تنالُ مته لثيمةٌ فأجابها عنه أخو الخنساء]

وقال أيضاً ملغزاً :

يا راكضاً في شَوَاطِ كُملَ فضيلة^١
 مُتَبَتِّظاً^٢ تَنْدِي حواشي لَمَظِيه
 ما حاميل^٣ خَطَطَ المَهَانَةِ خَامِلٌ
 مُتَعَذِّبٌ ما زال يَتَضَرَّبُ يَوْمَهُ
 ولربما نَحَلَ الأعْزَةَ نَخْوَةً
 ما إن يَسِيرُ^٤ مَعَ الصَّبَاحِ لَشَأْنِهِ^٥
 وقال^٦ :

وَأَقْبَّ وَرَدِي القَمَيْصِ بِمِثْلِهِ
 يَمْشِي العِزَّضِنَةُ فِي الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ
 فَبدا وقد مَلَأَ النَفْسَ مَسْرَةً
 مُتَخَطِّفٌ ما شَاءَهُ مُتَعَطِّفٌ
 ولربَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَدْ خَاضَهُ
 وَمِنَ الحَسِيمِ بِيَذْفَرَتِيهِ فِضَّةٌ
 والشَّهْبُ شُهْبٌ والعِجَاجَةُ سُدْفَةٌ
 والحَرْبُ رَوْضٌ فِيهِ مِنْ خِرْصَانِيهَا
 خِيضَ الظَّلَامِ وَرَبَعَتِ الظَّلَمَانُ
 أَوْمَى الْجَذْبُ^٧ عَنَانَهُ نَشْوَانُ
 وَجَرَى فَمَا مَلَسَتْ بِهِ الْأَجْفَانُ
 فَكَأَنَّمَا هُوَ فِي الْعِيَانِ^٨ عِنَانُ
 سَبْحاً وَبَيْضٌ سَيُوفِهِ غُدرَانُ
 وَمِنَ النَّجِيعِ بِصَدْرِهِ عِقيَانُ
 [وَالشَّقَرُ] جَمْرٌ وَالْقَتَامُ دُخَانُ
 زَهْرٌ وَمِنَ سُمْرِ الْقَنَا أَغْصَانُ

١ الدَّوَانُ : سِيَادَةٌ .

٢ ب م : مُتَبَتِّظٌ .

٣ ب م : يَخْتَقِ . . . إِنْخَانًا ؛ ط د س : وَيَخْتَقِ . . . إِنْخَانًا .

٤ ط د س : يَقُومُ .

٥ ب م : بِشَأْنِهِ .

٦ س : دَجَعَ وَقَالَ ابْنُ خَفَاجَةَ .

٧ ط د : يَجْذِبُ .

٨ ب م : الْعَيْنَانُ .

ركبوا الجياد إلى الجلال وأوجفوا
فكأنهم^١ من فوقها أسدُ الشرى

حتى كأنَّ وجيفهم طيران
وكانتْها من تحتهم عقبان

وقال :

كفى حزناً أن الديار قصية^٢
ولا رسل^٣ إلا الرياح عشيية^٤
فأستودعُ الريحَ الشمالَ تحية^٥
وحسبي شجواً أن لي فيك أضلعاً
وطرفاً قريحاً صام فيك عن^٦ الكرى
وما الدهرُ إلا صفحة^٧ بك طلقة^٨
[فما أنسه^٩ لا أنسَ ليلاً على الحمى
وزار به نجمَ السرى^{١٠} قمرُ الدجى
إذا ما هداني فيه بارقُ مبسم^{١١}
ولي نظراً^{١٢} يرتدُّ فيك صباية^{١٣}
فجاء الحمى غادٍ من المزن رائح^{١٤}
وسارية^{١٥} دهماءُ جاد بها السرى^{١٦}

فلا زورَ إلا أن يكونَ خيالا
تتكرُّ جنوباً بيننا وشمالا
وأستنشقُ الريحُ الجنوبَ سؤالا
حراراً وأرداناً عليك خيضالا
ولا فيطرَ إلا أن تلوحَ هلالا
لثمتُ بهامن ليل وصلك خالا^[١٥٤]
وقد راق أوضاحاً ورقاً جمالا[[]
فباتاً^{١٧} بحالِ الفرقدينِ وصالا
أجنَ دُجى فرعٍ فحرتُ ضلالا
وقد فاض ماءُ الشوق فيه وجالا
تهاداه^{١٨} أعناقَ الرياحِ كلالا
فشبَّ لها البرقُ المنيرُ ذبالا

١ ب م : وكانهم .

٢ م ب : بالرياح ؛ الديوان : ولا رسل إلا للرياح .

٣ م ب ط د س : من .

٤ الديوان : السهى .

٥ ط د : وباتنا ؛ س : وفاتنا .

٦ م ب : نفس .

٧ ط د س والديوان : الدجى .

[فلله ما أشجى الحمامة غدوة
وقد جاذبت ريح الصبا غصن النقا
وأيقظ برّداً الصبح جفن عرارة]
وقال أيضاً :

فيا لشجا صدر من الصبر فارغ
ونفس إلى جو الكنيسة صبة
تعوّضت من واهأ باه ومن هوى
وما كل بيضاء ترّوق بشحمة
فيا ليت شعري هل لدهري عطفة
ميادين أوطاري ومعهد للآتي^١
كان لم يصلني فيه ظبي يقوم لي
فسقياً لواديهم وإن كنت إنما
وكم يوم هوى قد أدركنا بأفقه
وللقضب^٢ والأطيار ملهى بجزعه
ومنها :

وبالحضرة الغراء غير علقته^٣ فأحببت حباً فيه قضبان نعمان

١ م ب : جفن .

٢ م ب : ولذة التي .

٣ م ب : براحي .

٤ ط د س : فكم .

٥ م ب : وللقضب .

وَمِنْطَقِهِ مَسْلَى قُلُوبٍ وَآذَانٍ
 بَدَأَ وَلَعَطْفِيَّهِ عَلَى غُصْنِ الْهَيَّانِ
 فَمَنْ أَيْنَ لِي^٢ مِنْهُ بِشَفَّاحِ لَبْنَانٍ
 خِيَالٌ لَهُ يُغْرِي بِمَطْلٍ وَلِيَّانٍ
 عَلاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسِنَّةِ مِرَّانٍ [١٥٤ ب]
 تَرَاعَتْ لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ
 قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطَرَ عَنَوَانَ
 وَرُؤْيَيْتُهُ حَسْبِي وَذِكْرَاهُ قُرْآنِي

رَفِيقُ الْخَوَاشِي فِي مُحَاسِنِ وَجْهِهِ
 أَغَارُ لِحْدَيْهِ عَلَى الْوَرْدِ كُلَّمَا
 وَهَبَنِي أَجْنِي وَرَدَّ خَدَّيْ بِنَاطِرِي^١
 يُعَلِّلَنِي مِنْهُ بِمَوْعِدِ رَشْفَةِ
 حَبِيبٍ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمِ
 تَرَاعَتْ لَنَا فِي مِثْلِ صَوْرَةِ يَوْسُفَ
 طَوَى بَرْدُهُ مِنْهُ صَحِيفَةُ فَتْنَةٍ
 مَحَبَّتُهُ دِينِي وَمِثْوَاهُ كَعْبَتِي

وله من أخرى في الاعتبار :

تَحُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُورُ النِّجَائِبِ
 فَأُشْرَقَتْ حَتَّى جُبْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
 وَجُوهَ الْمَنَايَا فِي قَنَاعِ الْغِيَاهِبِ
 وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ
 ثَغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجْهِهِ الْمَطَالِبِ
 تَكْشِفُ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
 لِأَعْتَقَ الْأَمَالَ بَيضَ تَرَائِبِ
 تَطْلَعُ وَضَاحَ الْمَضَاحِيكِ قَطَاطِبِ
 تَأْمَلُ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ

وَعِيشُكَ مَا أُدْرِي^٣ أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ
 فَمَا لُحْتُ فِي أَوَّلِي الْمَشَارِقِ كَوَكْبِ
 وَحِيداً تَهَادَانِي الْفَيَافِي فَتَأْجَتْلِي
 وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَحَّمِ
 وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً
 بَلِيلٍ إِذَا مَا قَلْتُ قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى
 سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سَوْدُ ذَوَائِبِ
 فَمَزَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصِ أَطْلَسِ
 رَأَيْتُ بِهِ قِطْعاً مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشَ

١ س والديوان : يجني ورد خديه ناظري .

٢ ط د س والديوان : فمن لقمي .

٣ س والديوان : بعيشك هل تدري .

٤ ب م : فأشرق .

وَأَرَعَنَ طَمَاحِ الذُّؤَابَةِ بِادِّخِ
يَتَسَدُّ مَهَبُ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَقَوْرٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ^١ سَوْدَ عَمَائِمٍ
أَصْخَتْ إِلَيْهِ وَهَوَّ أَخْرَسُ صَامِتُ
وَقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ فَاتِكِ
وَكَمْ مَرًّا بِي مِنْ مَدْلَجٍ وَمَوْوَبٍ
وَلَا طِمَ مِنْ نَكَبِ الرِّيحِ مَعَاطِفِي
وَكَمْ سَفَرْتُ لِي مِنْ شَمُوسٍ وَأَقْمَرٍ
فَمَا كَانَ^٢ إِلَّا أَنْ طَوَّهْتُمْ يَدُ الرَّدَى
فَمَا خَفَقُ أَبْكَي^٣ غَيْرَ رَجْفَةٍ أَضْمَلَعُ
وَمَا غَيْضُ السَّلَوَانِ دَمْعِي وَإِنَّمَا
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى وَيُظْمَنُ صَاحِبُ
وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الْكَوَاكِبَ سَاهِرًا
فَرَحْمَاكَ يَا مَرْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعٍ
فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ
فَسَلِّتِي بِمَا أَبْكِي وَسَرِّتِي بِمَا شَجَا
وَقَلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لَطِيفَةً

يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ
وَيَزْحَمُ لَيْلًا شُهَيْهَةً بِالْمَنَاكِبِ
طَوَالَ اللَّيَالِي مُطَرِّقُ فِي الْعَوَاقِبِ
لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْهَرَقِ حَمَرُ ذَوَائِبِ
فَحَدَّثَنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ
وَمَوْطِنَ أَوَاهٍ تَبْتَلِ تَائِبِ
وَقَالَ بَظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
وَزَا حِمَمَ مِنْ خُضْرِ الْبَحَارِ جَوَانِبِ
وَبَاتَتْ تَرَاوِي^٤ مِنْ عِيُونِ كَوَاكِبِ
وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النُّوَى وَالنَّوَابِ [١٥٥أ]
وَلَا نُوحُ وَرُقِي غَيْرَ صَرْخَةٍ نَادِبِ
نَزَفْتُ دَمْعِي فِي فِرَاقِ الْأَصْحَابِ
أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آيِبِ
فَمَنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
يَمْدُ إِلَى نُسْعَاكَ رَاحَةَ رَاغِبِ
يُسْتَرْجِمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرَى خَيْرُ صَاحِبِ
سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ

١ ب م : الأول .

٢ ط : تراني .

٣ م ب : ما هو .

٤ ب م : فما كان طابري .

٥ م : اسلمي .

وقال في إهداء مهر بهيم أدهم :

تَقَبَّلِ الْمُهْرَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
مُسْتَمِلًا بِالظَّلَامِ مِنْ شَيْئَةٍ
مُسْتَسْبَأً لَوْنُهُ وَغَرَّتُهُ
تَحْسِبُهُ مِنْ عُلَاكَ مُسْتَرْقَاً
حَنًّا إِلَى رَاحَةِ تَفِيضٍ نَدَى
تَرَى بِهِ وَالنَّشَاطُ يُلْهِبُهُ
أَحْمَى مِنَ النَّجْمِ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ
أَسْوَدَّ وَأَبْيَضَ فِعْلُهُ كَرَمًا
كَأَنَّهُ وَالنَّفُوسُ تَعَشِّقُهُ
فَازِدَدْ سَنَا بَهْجَةِ بَدْهُمَتِهِ
وَمِثْلُ شُكْرِي عَلَى تَقَبُّلِهِ

وقال أيضاً من أخرى :

وَلَيْلٍ تَعَاظِنَا الْمُدَامَ وَبَيْنَنَا
نُعَاوِدُهُ وَالْكَأْسُ تَعْبَقُ نَفْحَةً^١
وَنَقْلِي أَقَاخُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطَّلَى
إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ^٢ وَالْكَرَى
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لَمَّا بَيْنَ أَضْغَلِي

١ الديوان : مسكة .

٢ ط د س : ما تعيد وما تبدي .

٣ الديوان : الراح .

وعانقته^١ قد سل^٢ من وشي برده^٣ ١
 ليان^٤ بحس^٥ واستقامة^٦ .قامة
 أغازل^٧ منه الغصن^٨ في مغرس النقا
 فإن^٩ لم ينكنها أو تكنه^{١٠} فإنه^{١١}
 تسافر^{١٢} كلا^{١٣} راحتي^{١٤} بحسمة^{١٥}
 فتبهط^{١٦} من كشحيه^{١٧} .كف^{١٨} تهامة^{١٩}
 وإني وقد فارقته^{٢٠} لمقبل

وقال :

ورداء^{٢١} ليل^{٢٢} بات فيه^{٢٣} معاني^{٢٤}
 فتجمعت^{٢٥} بين رضاءيه^{٢٦} وشرابه^{٢٧}
 ولثمت^{٢٨} في ظلماء^{٢٩} ليلة^{٣٠} وفرة^{٣١}
 [ثم استمر^{٣٢} كلمحة^{٣٣} من بارق^{٣٤}
 والليل^{٣٥} مشمط^{٣٦} الذؤابة^{٣٧} كبرة^{٣٨}
 ثم^{٣٩} انقضى^{٤٠} والصبح^{٤١} يسحب^{٤٢} فرعه^{٤٣}
 تندى^{٤٤} بفيه^{٤٥} أقحوانة^{٤٦} أجرع^{٤٧}
 وتميس^{٤٨} في أثوابه^{٤٩} ريحانة^{٥٠}

.....

١ م ب : وشي ملبس ؛ ط د : ذي برده .

٢ ط د : وألثم منه .

٣ م ب : كفي .

٤ م ب : زندي ؛ ط د س والديوان : زندي .

٥ ط د س : طيف تأويني مع الاسراء .

٦ ط د س : فلتمت في ظلماء ليل صغيرة

وئي د : زهراء .

نَفَّاحَةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَتَهَا حَدَرَ النُّوَى خَفَّاقَةُ الْأَفْيَاءِ
فَلَوَيْتُ مَعْطِفَهَا اعْتِنَاقًا حَسْبُهَا^١ فِيهِ بَقْطَرِ الدَّمْعِ مِنْ أُنْدَاءِ

وله جواب عن شعر تضمن صفة عنب ؛ قال :

أما وابتسام النَّقْعِ عن صفحة النَّصْلِ
لَقَدْ طُلَّتْ أَعْنَاقَ الْهَضَابِ جَلَالَةً^٢
وَأَرْهَفَتْ مِنْ حَرِّ^٣ الْقَرِيضِ مُهَنَّدًا
[وَأَبْدَعَتْ فِي تَقْرِيطِ أَيِّ قِلَادَةٍ
رَضَعْنَا لَهَا أُمَّ الْمُدَامِ عَشِيَّةً^٤
وَأَسْوَدَ مَعْسُولِ الْمُجَاجِ^٥ لَوْ أَنَّهُ
حَكِي لَيْلَةَ الْهَجْرِ اسْوَدَادًا وَإِنَّهُ
فَلَمَّ طَوْدُ^٦ الْجَزَالَةِ رَاسِيخُ
يُسْنِيلُ عَلَى الْعَلَّاتِ بِيضَ مَكَارِمِ
وَيَطْلُعُ مُنْهَلًا^٧ النَّدَى مُتَهَلِّلًا^٨
[وَيَمْضِي إِذَا كَعَّ الشُّجَاعُ^٩ مَهَابَةً^{١٠}]

وَرَجَعَ صَلِيلِ السَّيْفِ مِنْ مَنْطِقِ فَصْلِ
وَحَزَّتْ بِمِيدَانِ الْعَلَا قَصَبَ الْخِصْلِ
يَسِيلُ عَلَى إِفْرِنْدِهِ رَوْنَقُ الصَّقْلِ
يَشْدُو بِهَا الْحُرُّ الْكَرِيمُ يَدَ الْبُخْلِ
وَيَا عَجَبًا مَا لِلرَّضَاعَةِ وَالْكَهْلِ
لَمْ يَشْفِ لَمْ أَرَوْ يَوْمًا مِيزَ الْقَبْلِ
لَأَشْهَى وَأُنْدَى مِنْ جَنَى لَيْلَةِ الْوَصْلِ
عَلَى الْجِدِّ يَهْتَزُّ ارْتِياحًا إِلَى هَزْلِ
تُرِيكَ الْجِبَالِ الشَّمِّ فِي عَدَدِ الرَّمْلِ
[طُلُوعَ وَمِيزَ الْبَرْقِ فِي الْبَلَدِ الْمَحْلِ]
مُضِي لِسَانِ النَّارِ فِي الْخَطْبِ الْجَزْلِ [١٥٦]

وله من أخرى يشفع لأحد^{١١} لإخوانه عند قاضي الجماعة ابن حمدين :

جَرَّرَ مَلَاءَةً كُلَّ يَتَوْمٍ شَامِسٍ
وَاسْحَبَ ذُوَابَةً كُلَّ لَيْلٍ دَامِسٍ

١ م ب : حسبنا .

٢ م ب : حد .

٣ ط : المزاج .

٤ م ب : على الهزل .

٥ د ط : السحاب .

٦ ط د س : ليعض .

واطلع بِكُلِّ فلاةٍ أرضٍ غُرَّةً
وانزلُ بها ضَيْفًا لَيْثٌ خادِرٌ
وإذا ملّعت فتغن قنيصٌ فيلدةٌ
والريحُ تلوي عطفَ كلِّ أراكّةٍ
وسلّ الغني من ظهر طيرٍ أشقرٍ
وازحم بذاتيك شِدْقَ لَيْثٍ ضاغمٍ
وارغب بنفسك عن مقامةٍ فاضلٍ
فالخُرُ مُفْتَقِرٌ إلى عِزِّ الغني
وإذا عثرت ولا عثرت بحادثٍ
فافزعْ إلى قاضي الجماعة رَهبةً
واستسق منه إن ظمئت غمامةً
وإذا رويت بماءِ ذاك المَجْتَلَى
من آلِ حمدين الأولى حليّت بهم
من أسرةٍ نشأوا غنائمَ أزيمةٍ
مُتَطَلِّعين إلى الحُرُوبِ كأنّما
أجروا بميدانِ المكارمِ والعلا
وجنوا ثمارَ النصرِ من غرسِ القنا
فهمُ لبابُ المجدِ نجدةٌ أنفُسٍ
وهمُ رياضُ الحزنِ نضرةٌ أوجُهٍ

[ومنها] :

غَرَاءَ في وجهِ الظلامِ العائِسِ
يَقْرِيكَ أو جاراً لظبي كائِسِ
وإذا شربت فمن غمامِ راجِسِ
ليّ السرى وهنا لعطفِ الناعِسِ
بطأ القليلَ وصَدُرُ رُوحٍ داعِسِ
طَلَبَ الثراءَ ونابَ صِلٍ ناهِسِ
قد قام بمثلٍ في خصاصةٍ بائِسِ
فقتر الحُسامِ إلى يمينِ الفارسِ
فركبت منه ظهرَ صَعْبٍ شامِسِ
تضع العينانَ بخيرِ راحةٍ سائِسِ
يخضّر عنها كُفٌّ عودٍ يابِسِ
فحذارٍ من الهُوبِ ذاك الهاجِسِ
قديماً صُدُورُ كتائبٍ ومدارسِ
ولربّما طلّعا بُدُورَ حناديسِ
يتطلّعون بها وجوهَ عرائِسِ
فكأنّما ركبوا ظهورَ رَوامِسِ
بأكفّهم ولنعم غرسُ الغارسِ
وذَكَاءُ ألبابٍ وطيبَ مغارسِ
وجمالَ آدابٍ وحُسنَ مجالِسِ

سَلَيْسُ الكلامِ على السَّماعِ كأنّه سِينَةُ تَرَفَّرَقُ بين جَفَنِي ناعِسِ

١ ط د س : الزمان .

ما إن يُمازُ من الشَّهابِ طَلاقَةً
ترك الأعدايَ بين طرفٍ خاشعٍ
وذكاء فهم لو تمثل صارماً
وبَرّاعةٍ سكنت لسانَ يرّاعةٍ
ومقامٍ أحكمٍ عادلٍ لا يزدري
وجالٍ حربٍ جرّ فيه لأمةٍ
يطأ العدى ما بينَ تَصلٍ ضاحكٍ
في حيثُ يلعبُ بالقنّاةِ شَهامةٍ
فانهضُ أبا عَبدِ الإلهِ بِأَميلٍ
عاج الرّجاءُ على عَلاكٍ بهِ فلم
فاشفعُ لمُعترِبٍ^٢ رجالكَ على النّوى
وامدُدْ إليه بكفٍّ جدٍّ قائمٍ
فلربَّ يومٍ قد زففتُ^٣ بهِ المُنَى

حتى تُمدَّ إليه كفُّ القابِسِ [١٥٦ ب]
لا يَسْتَقِيلُ وبين رأسٍ ناكسٍ
لم يَأتمنَّ ظُبَيْتَيْهِ عاتقُ فارسٍ
حَكَمَ البَيانُ لها بِحِكْمَةٍ فارسٍ
فيه المُعلّى حُظوةً بالنّافِسِ
قد قام منها في غَدِيرٍ جامِسِ
تحت العَجاجِ وَوَجْهٍ طَريفٍ عابِسِ
لَعِبَ النُّعامي بالقَضيبِ المائِسِ
قد جاب دونك كلَّ خرقٍ طامِسِ
يُعججُ المطيُّ بِرِسمٍ رَبعٍ دارِسِ
يمدُّدُ إلى الخُضراءِ راحةً لامِسِ
تجذبُ بهِ من ضبيعٍ جدٍّ [جالِسِ]
وتحوّت فيه سوادَ ظنِّ البائِسِ

وقال من أخرى يمدح الأمير أبا يحيى بن ابراهيم^٤ :

سمحَ الخيالُ على النّوى بمزارٍ والصُّبحُ يَمسَحُ عن جبينِ نهارٍ

١ م ب : ومقال .

٢ ط د س : واشفع ؛ ب م : لمنصرف .

٣ م ب : رفعت .

٤ هو أبو بكر بن ابراهيم المعروف بابن تيفلاويث مدوح ابن باجة ، ولي غرناطة سنة ٤٩٩ فوصلها في ربيع الأول من العام التالي ، وفي رجب غادرها ، ثم ولي سرقسطة سنة ٥٠٩ وتوفي في السنة التالية (انظر ترجمته في الاحاطة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ وصفحات متفرقة من البيان المغرب ج : ٤) .

فرفعتُ من ناري لضيْفٍ^١ طارقٍ
ركبَ الدُّجى أحشِن^٢ بها من مركبٍ
وأناخ حيث دموعٌ عيني متهلّ
وسقى فأروى غلّةً من ناهيلٍ
يتلوي الضلوع من الولوعِ الخطرةِ
والليلُ قد نَضَحَ الندى سيرباله
مترقبٌ رُسُلَ الرياحِ عشيّةً
ومسجراً ذيلَ غمامةٍ لبيست به
خفقت ظلال^٣ الأيك فيه ذواثباً
ولوى القضيْبُ هناك جيداً أتلعاً
باكزته والغيمُ قطعةٌ عنبرٍ
والريحُ تلطيمٌ فيه أرْدافُ الرُّبى
ومنابرُ الأشجارِ قد قامت بها
في فتية جنبوا العجاجةَ ليلةً
ثار القتامُ بهم دُخاناً وارتمى
شهدتُ من همتهم وهباتهم

يتعشو إليها من خيالٍ طار
وطوى السرى أحسن به من سار
يرؤي وحيث حشاي موقدُ نار
أورى بجاحتيه زنداً أوار
من شيم برقٍ أو شميمٍ عرار
فأنهل دمعُ الطلّ فوق صيدار
بمساقطِ الأنواءِ والأنوار
وشئى الحبّابِ معاطِفُ الأنهار
وارتجّ ردفا مائجٍ التيّار [١٥٧]
قد قبلته مباسمُ الثّوار
مشبوبةً والبرقُ لفحةٌ نار
لعباً وتكلمُ أوجهَ الأزهار
خطباءُ مفضحةٍ من الأطيّار
ولربّما سَفروا عن الأعمار
زندُ الحفيظةِ منهم بشرار
إشرافِ أطوادٍ^٧ وفيضِ بحار

١ م ب : لعيف .

٢ م ب : أحسن .

٣ م ب : دلال .

٤ م ب : سائل .

٥ ط د : لمحة .

٦ ط : غلبوا .

٧ ط د : أسداً وأطواداً .

مِّنْ كُلِّ مُنْتَقِبٍ بُورْدَةٍ خَجَلَةٍ
 فِي عِمَّةٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ لِيَمَّةٍ
 ضَافِي رِداءِ الْمَجْدِ طَمَّاحِ الْعَلَا
 جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
 طَرَدَ الْقَنِيصَ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ
 مُنْتَقَةٍ أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ^٢
 يُرْمَى بِهِ الْأَمَلُ الْقَصِي فَيَنْشِئُ
 وَيَكُلُّ نَائِي الشَّأْوِ^٣ أَشْدَقَ أَخْزَرٍ
 يَفْقَرُ عَنْ مِثْلِ النُّصَالِ وَإِنَّمَا
 مُسْتَقْرِيًّا أَثَرَ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا
 مِنْ كُلِّ مُسَوَّدٍ تَلَهَّبَ طَرَفُهُ
 وَمُؤَوَّرَسِ السَّرْبَالِ يُخْلَعُ قَيْدُهُ
 يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
 عَطَفَ الضُّمُورُ سِرَاتَهُ فَكَأَنَّهُ
 فَلَسْرُبٍ رَوَّاحٍ هُنَالِكَ أَنْبَطَ
 يَجْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيَجْمَعُ بِسُنْطَةٍ

كَرَمًا وَمُسْتَمَلٍ بِثُوبٍ وَقَارِ
 وَذَوَابَةِ قُرْنَتٍ بِهَا لِعِدَارِ
 طَامِي عُبَابِ الْجُودِ رَحْبِ الدَّارِ
 حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ
 رَجَلِ الْجَنَاحِ مُورَدِ الْأُظْفَارِ
 مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بَيْنُضَارِ
 مَخْضُوبٍ رَأَى الظُّفْرِ وَالْمِنْقَارِ
 طَاوِي الْحِشَا حَالِي الْمُقَلَّدِ ضَارِ
 يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَّارِ
 وَاللَّيْلِ مُسْتَمَلٍ بِشِمْلَةٍ قَارِ
 فَرَمَتْكَ فَحَمَّتُهُ بِشُعْلَةٍ نَارِ
 عَنْ نَجْمٍ رَجَمَ فِي سَمَاءِ غُبَارِ
 قَدَمًا فَيَقْرَأُ أَحْرُفَ الْآثَارِ
 وَالنَّقْعُ يَحْجُبُهُ هِلَالُ سَرَارِ^٤
 ذَلِكِ الْمَسَامِيحِ أَطْلَسِ الْأَطْمَارِ
 تَهْوِي^٥ فَيَنْعَطِفُ أَنْعَافُ سَوَارِ [١٥٧ ب]

١ ب م : بعذار .

٢ ط وهامش د : بوشيمة .

٣ م ب : الشوط .

٤ د ط س والديوان : ترميك .

٥ ط د س : شواته .

٦ ب م : هلال سار .

٧ الديوان : بسطه يهوي ؛ س : يهوى .

مُمتدَّ حبل الشَّاورِ يَعْسِلُ رانِغاً^١
مُتردِّداً يَرْمِي بهِ خَوْفُ الرَّدَى
وَلتُرَبُّ طَيَّارٌ خَفِيفٌ قَدْ جَرَى
مِنْ كُلِّ قاصِرةٍ الخَطَى مُخْتالَةً
مَخْضُوبَةً المِنْقَارِ تَحْسَبُ أَنَّهَا
وَلَوْ اسْتَجَارَتْ مِنْهُمَا بِحِمَى أَبِي
خَدَمَ القَضَاءُ مُرَادَهُ فَكَأَنَّمَا
وَعِنَا الزَّمانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
وَجَلَا الإِمَارَةُ فِي رَقِيفٍ نَضَارَةٍ
فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّةٌ بِقِلَادَةٍ
جِلْدَانُ يَمْلَأُ بِهِجَةً^٢ وَبِشَاشَةٍ
أَرْجَ النَّدَى بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ
بَطَلَ جَرَى الفَلَكَ المُحِيطُ بِسَرْجِهِ
بِيَمِينِهِ يَوْمَ الوَغَى وَشِمَالِهِ
وَالسُّمَرُ حُمُرٌ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ
وَالْحَيْلُ تَعْرِ فِي شِبا شوكِ القَنَا
وَالْبَيْضُ تُحَى فِي الطُّلَى فَكَأَنَّمَا
وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الضُّحَى
صَحْبَ الحُسَامِ النَّصْرَ صُحْبَةَ غِبْطَةٍ
لَوْ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِنَظَرَةٍ

فِيكَادُ يُفْلِتُ أَيْدِي الأَقْدَارِ
كُرَّةً تَهَادَاهَا أَكُفُّ قَفَارِ
فَشَلَا بِجَارٍ خَلْفَهُ طَيَّارِ
مَشَى الفَتَاةِ تَجُرُّ فَضْلَ لَزَارِ
كَرَعَتْ عَلَى ظَمَأٍ بِكَاسٍ عُقَارِ
يَحْيَى لِأَمْنِهَا أَعَزَّ جَوَارِ
مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعِينَةَ الأَقْدَارِ
أَصْغَى الزَّمانُ بِهِ إِلَى أُمَّارِ
جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الأنوارِ
مِنْهَا وَحَلَى مَعْصِماً بِسَوَارِ
أَيْدِي العُفَاةِ وَأَعَيْنَ الزُّوَارِ
مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةٍ مَعْطَارِ
وَاسْتَلَّ صَارِيَةً يَدُ المَقْدَارِ
مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
وَالجَوُّ كَاسٍ وَالسِّيُوفُ عَوَارِ
قَصْدًا وَتَسْبَحُ فِي الدَّمِ المَوَارِ
تُلَوَّى عُرَى مِنْهَا عَلَى أَزْرَارِ
فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
فِي كَفِّ صَوَّالٍ بِهِ سَوَّارِ
يَوْمًا لَثَارَ فَلَم يَتَمَّ عَنْ ثَارِ

١ د : رائغاً ، والحاشية : رابماً ؛ م : رايماً .

٢ الديوان : نفحة .

ومضى وقد ملكته هزةٌ عزةٌ تحت العجاج وضحكةٌ استبشار

وقال :

وأراكة ضربت سماءً فتوقنا
حقت بدوحتها مجرةٌ جدول
فكأنها^١ وكان جدول مائها
زف الزجاج بها عروس مدامة
في روضة جنح الدجى ظلاً^٢ بها
غناء ينشر وشيه البزأ^٣ لي
نام^٤ الغبار بها وقد نضح الندى
والماء في حلي الحباب مقلد^٥

وقال :

يا راكضاً يمشي الهوينا عزة
جمعت ذوابته وتور جبينه
هل كان عندك أن عندي لوعة
طالت مراقبة الخيال ودونه
ما بين نحر بالدموع مقلد
ويهز أعطاف القضيبي المورق
بين الدجنة والصباح المشرق
ينبوا لها حد السنان الأزرق
رعي الدجى فمتي أنام فملتقي
فرحاً وجيد بالعناق مطوق

١ م ب : وكأنها .

٢ ب م ط د : طلا .

٣ د ط : قام .

٤ الديوان : مترفاً .

٥ الديوان : طرف ؛ ب م : ونز .

وقال :

هَجَرْتُ لِبَيْضِ الشَّيْبِ بَيْضَ الْعِمَامِ
فَلَوْ كُنْتُ أُسْتَسْقَى الْعِمَامَ لِعَلَّةٌ^١
فَمَا أُرْتَدِي إِلَّا بِأَحْمَرَ قَانِيٍّ
بَحِيثُ يَهْزُ الْمَوْتُ مِنْ أَكْعَبِ الْقَنَا
وَيَنْظُرُ عَنْ طَرَفٍ مِنَ الرُّمَحِ أَزْرَقِ
وَقَدْ فَاضَ بِحَرِّ الرَّدَى^٢ مِنْ دَمِ الْعَدَا

وقال :

يَا نَشَرَ عَرَفِ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ
هَذَا يَهْبُ مَعَ الْأَصِيلِ عَنِ الرَّبِيِّ
عَوَجًا عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ غُدْبِيَّةٌ
وَتَحْتَمَلَا عَشِيَّ إِلَيْهِ أَمَانَةٌ
وَإِذَا رَمَى بِكَمَا الصَّبَاحُ دِيَارَهُ
فِي حَيْثُ جَرَّ الْمَجْدُ فَضْلَ إِزَارِهِ
وَتَسِيمَ ظِلَّ السَّرْحَةِ الْغِنَاءِ
أَرْجَا وَذَلِكَ عَنْ غَدِيرِ الْمَاءِ
فِي وَثِي زَهْرٍ أَوْ حُلَى أُنْدَاءِ
مِنْ عِلْقٍ صِدْقٍ أَوْ رَدَاءِ ثَنَاءِ
فَتَرَدَّدَا فِي سَاحَةِ الْعَلْيَاءِ
وَمَشَى الْهُوَيْنَا مَشْيَةَ الْخِيَلَاءِ^[١٥٨ ب]

[ومتها] :

وَلَثَمْتُ ظَهَرَ يَدِي تَنْدَى حَرَّةٍ
وَمَلَأْتُ بَيْنَ جَبِينِهِ وَيَمِينِهِ
فَكَأَنِّي قَبَلْتُ وَجَهَ سَمَاءِ
جَفَنِي بِالْأَنْوَارِ وَالْأَنْوَاءِ^٣

١ الديوان : لفظة .

٢ ط د : للعدا .

٣ م ب ط د س : والأنواء .

قد راق بين فصاحة وصباحة^١ عبقُ الثناء ندي الجناح كأنه أبدأ له في الله وجهُ بشاشة وكأنه من عزمة في رحمة لو شاء نسخ الليل صباحاً لانتحي بين الطلاقة والمضاء كأنه ثني به ريحُ المتكريم خوطة وكأنه وكان رجع نشيده

سمع المصبيخ له وعين الرائي ربحانة^٢ مطلولة^٣ الأفياء وراء ستر الغيب عين ذكاء متركب من جدوة في ماء فمحا سواد الليلة الليلاء وقاد نصل الصعدة السمراء في حيث تسجع السن الشعراء فصل الربيع ورنه المكاء

وله من قصيدة في الوزير [المشرف] أبي محمد بن عامر ببلنسية^٤ :

حدّر القناع عن الصباح المسفر وتملكته هيزة^٥ في عيزة^٦ متنفساً عن مثل نفحة مسكة سلت عليّ سيوفها أجفانه متجلداً أبأى بنفسي أن أرى فحشا بطعنته حشا متنفس يغشى رماح اللحظ^٧ أول مقبل فتراه بين جيراحتين للحظلة نزر الكرى يرمي الظلام بمقلة

ولوى القضيب على الكتيب الأعفر فارتج في ورق الشهاب الأخضر متبسماً عن مثل سمطي جوهر فلقيتهن من المشيب بمغفر هذا الهزبر قتيل ذاك الجؤذر تحت الدجى عن مارج متسعر ويكر يوم الحرب آخر مدبر مكسورة ولعامل متكسر سهرت لأخرى تحته لم تسهر

١ ط د س : سماحة وفصاحة .

٢ كان أبو محمد بن عامر صديقاً لابن خفاجة وكان مراعيّاً له فيما يختص بضميمته ببلنسية (الديوان : ٤٨) .

٣ ب م س : الخط .

من ليلة أرخى علي جناحه^١
 لا يستقل بها السرى فكأنهما^٢
 ولقد أقول لبرق ليل هاجني
 اقرأ على الجزع السلام وقل لله^٣
 بيني وبينك ذمة^٤ مرعية^٥
 وإذا غشيت ديار ليلي باللوى
 والمخ صحيفة صفحتي فاقرأ بها
 كتبتهما^٦ تحت الظلام يد الضنى
 ولئن جريت مع الصبا جري الصبا
 ناجيت منه عطارداً ولربما
 تندى بفيه أقاحة^٧ نفاحة^٨
 شهدت له فتكاته^٩ في مهجتي
 [لقد اعتنقت القرن دون عناقه
 ولقد خلوت به أقسم ناظري^{١٠}
 يثني معاطفه وأذرف عبرتي
 وأهاب بي شرخ الشباب لربما^{١١}

[ومنها] :

- ١ م : وكأنها .
- ٢ الديوان : الأذمة .
- ٣ ب : كتبتهما .
- ٤ زينة من س وحدها .
- ٥ ب م ط : فلقده .
- ٦ ب م : منظري ؛ وبها مش د والديوان : نظري .

[وأخـ زأرتُ له ولولا أنـي
أنسأتُ^٢ ما أنشأتُ من عتبي له^٣
ولو التقينا حيثُ يُصغي ساعة
تهمي بماء الورد في أردانه
وعلاه لولا برق وعد شمتة
لنسختُ أسطار الكتاب كـثائباً
ومقام بأس في الكريمة قمته
أضحكتُ ثغر النصر فيه من العدا
ورميتُ هبوته بهبة^٤ أشهب

ومنها في الاستطراد :

ولقد خبطتُ الغاب أسألُ ليله
وحططتُ عن بنت الزناد قناعها
ومسحتُ منها عن معطف مهرة
وجرى الحديث بطيب^٥ ذكرى طاهر
وظفقتُ أذكيتها وأذكرُ ذهنه
وكأنها والريح عابثة بها

آنستُ^١ ما أنكرته لم أزار
فأقام تحت غمامة لم تُمطر
لستته بين ملامة وتشكر
وبلاً وتحصّب سمعة بالجوهر
في عارض من بره مُستمطر
مُصطفة وطرقته في عسكر
فَسَبَحْتُ في بحر الحديد الأخضر
ولربما أبكيت عين السّمهرى
فسفرتُ ليلاً عن صباح مُسفر

عن صُبْح سرّ في حشاه مُضمير
ليلاً لِسار تحته [متنور] [١٥٩ ب]
شقراء تدعّر من شمال صرصر
فجعلتُ جزل وقودها من عنبر
فإخالُ ذاك وهذه من عنصر
تزهى فترقص في قميص أحمر

١ ط : أنسيت .

٢ ب م : أنشأت .

٣ ط س والديوان : أنشأته من عتبه ؛ د : آنسته من عتبه .

٤ ب م : عجاوبة .

٥ ط : فلور .

٦ الديوان : هبته بلبية ؛ د ط س : هبوته بلبية .

٧ الديوان ، ط وهامش د : بهمض .

وقال من قصيدة :

ألا ليت أنفاسَ الرياحِ النَّواسِمِ
وَيُرْمِينَ أَكْنَافَ العقيقِ بنظرةٍ
وَيَلْثَمْنَ ما بين الكئيبِ إلى الحمى
فهل ساءها أنا^١ كبرنا عن الصِّبا
صبحونا وقد أصبحتُ هناك سماءونا
فما راعني إلاَّ وميضٌ لشبَّيةٍ
ولا هالني إلاَّ نَدِيرٌ بِرَحْلَةٍ
تولَّى الصِّبا إلاَّ ادِّكارَ معاهدٍ
أُطلتْ له رَجَعَ الحينَ ورُبَّما
فإن غاضتِ الأيامُ ماءً شبيبي
أسيرُ فتغشى بي دُجى الليلِ همّةٌ
فربَّ ظليمٍ قد ذعرتُ على السرى
فلم أدرِ أمَّ الرِّآلِ من بنتِ أعوجٍ
وإن كنتُ شِعْراً العنانِ على الطوى
فيا عجباً أن انعطى الفأبي مقودى
وأدهمَّ من ليلِ السرارِ ركبتهُ
على حينِ أرخى الدِّجَنُ فَيَضِلَّ لثامه
وقد كَمَنْتُ^٢ بيضُ السيوفِ وأشرفت

يُحْيَيْنَ عَنِّي الوَاضِحَاتِ المَباسِمِ
تَرَدَّدُ في تلكَ الرُّبى والمَعالمِ
مَوَاطِئَ أَخفافِ المطيِّ الرَّواسِمِ
ولثنا على الأحلامِ بيضَ العمامِ
وكنا نشاوى تحتَ ظِلِّ الغمامِ
توقَّد في قِطْعٍ منَ اللَّيلِ فاحمِ
مَسَحَتْ له من رَوْعَةٍ جفنَ نائمِ
له لذعةٌ بين الحشا والحيازِمِ
بَكَيْتُ على عَهْدٍ مضى مُتَقَادِمِ
ومالت بغُصْنٍ من قوامي ناعم^٣
تَهْمُ فَأَعْرَوْرِي ظُهورَ العزائمِ
بجزوى وظبي قد طردتُ بجاسِمِ
ولا ظبيةَ الوعساءِ من أمَّ سالمِ
فإنَّني على الأعداءِ صعبُ الشَّكائمِ
وأدرا عنه في نَحْوِ الضَّرَاغِمِ
فأودَعْتُ أسرارَ السرى صدرَ كاتمِ
على كلِّ أَقْفَى من أنوفِ المخارِمِ
طلائعُ آذانِ الجيادِ الصَّلَادمِ | ١٦٠ |

١ الديوان : فهل ساء دعاءُ أن .

٢ بعد هذا البيت كتب في ب م « ومئها » .

٣ د ط س : حميت .

وكاثرت^١ أوضاع النجوم على السرى
إذا ما تداعوا للكريهة حطّتموا
وكرّوا وحده^٢ السيف يدمى فثلّثوا
فمن مبلغ الحسنة عني أنني
وكنْتُ إذا ما أعضل الخطبُ لاجئاً
فها أنا لا يسرى تناجي^٣ على السرى
مُنيخٌ بمثوى المتجد من ظلّ أروع
جدير بإحراز العلا غير راکض
تهزُّ به ریحُ المكارم^٤ خوطة
كأنّي وقد أسحبته الحمد^٥ ريطة
فيأراكباً يزجي المطي^٦ على الوجي^٧
كفأك بذاك الطول من وبل مزنة
فإن قذفت يوماً إليك به النوى
فعرّس من العلياء في رأس هضبة
من القوم سادوا في المهود نجابة
وقاموا لإقعاد الخطوب ودمّثوا

بغرّ كرام فوق غرّ كرائم
صُدور العوالي في صُدور الملاحم
رقاق الظُّبّا بين الطلّي والجماجم^٨
خلعتُ نجاد السيف خلع التمام
إلى وزرٍ من مضرب السيف عاصم
عنناً ولا يُمنى تلوذُ بقائم
جفا للمعالي دَارِساتِ المعالم
مُعذّ وإدراك السّها غير قائم
تفضُّ بها الآمالُ نور الدّراهم
سنتُ على عطفه حلة راقم
ويخبطُ أنفاس الرّياح النّواسيم
وحسبك ذاك البشرُ من برق شائم
وأدّتكَ أيدي النّاجيات الرّواسيم
تُزّاحيمُ أشباح النّجوم العوالم
وطبّوا صغاراً من كلوم العظام
جَنَابَ اللّياالي للملوك الحضارم

١ م : وكاثرت .

٢ الديوان : ونصل .

٣ في ط د بعد هذا البيت : « ومنها » ، ولا حذف هنالك ، قارن بالديوان .

٤ الديوان : كالى .

٥ ط د س والديوان : تؤاخي .

٦ د ط س : السماحة .

٧ د ط س : المجد .

٨ ب م : النوى .

فإن دقت الهيجاءُ أرماحَ حلبةٍ
وإن هدَّت الأيامُ أركانَ دولةٍ
ترى بهم مَن هزّةٍ في طلاقةٍ
وما شئت من آراءٍ تُججِ كوالٍ
تُقلِّمُ أظفارَ المكارِه تارةً
أبا حسنٍ كتم منّةً لك حرّةً
[يرفُّ عليها الشكر في كلِّ محفلٍ
هزّزت لما عطف القضيبي^١ ورُبّما
فما روضةً غناءً في رأسٍ ربوةٍ
بأحسن مرأى من حلالك لناظيرٍ
[ودونكها نصبي الحليم فصاحه
تغنّى بها حباً لها فكأنها
ولولا وقارُ الشيب خفَّ به الهوى

فثمّ مَن الآراءِ أمضى لهاذِم
فثمّ مَن الأعلامِ أقوى دعائم
ليدان العوالي في بريقِ الصّواري
تسدُّدُ من أطرافٍ سميرِ كوالِم
وتمسحُ طوراً عن وجوه المكارِم
كما سحَّ صوبُ العارض المتراكم
رفيف اللآلي في نحورِ الكرائم]
سجعتُ أبثُ الشكر تسجّع الحمايم [ب ١٦٠
تعلُّ بمنهلٍ من المزنٍ ساجِم
وأعطرُ نشرأ مَن نثاك لناسيم
فيرسلُ في أعطافها طرْفَ هائم
تنفض عن النوارِ خضِرَ الكرائم
فمدَّ إلى تقبيلها فمَ لائم]

ومن مقطوعات قالها في زمن الصبا

قال بداعب :

[وفتاةٍ حسنٍ كلَّها أعجازُ غنت غناءً كله إعجازُ
لذَّتْ أغانيها وخفَّتْ موقعاً فكأنما تطويلُها [إيجاز]

[وقال] :

للهِ نُورِيَّةُ المُحيّا تحمِلُ نارِيَّةَ الحُمَيّا

١ ط د م : أنوف .

٢ ب م : الكروب .

دونا بها تحت ظلّ دوح قد راقَ زهراً^١ وطاب ريباً
تجسّم النورُ فيه نوراً فكلُّ غُصْنٍ به ثُريّاً

وكتب إليه بعض الفتيان شعراً يعرض فيه بسبه، فوقع الحفاجي على ظهر
رقعته وقال :

ومُعَرَّضٍ لي بالهَجاءِ وَهُجِرِه جاوبتهُ عَن شعرِه في ظهَرِه
فلئن نكن بالأمسِ قد لُطنا به فاليومَ أشعاري تَلُوطُ بشعرِه

وهذا كقول البديع للخوارزمي :

ومنى التقينا ناك شعري شعرَه ونزا على شيطانيهِ شيطاني

وقال الحفاجي :

تَعَلَّقَتْهُ رِيَّانَ من خَمَرٍ رِيْقَةٍ له رَشَفها دوني ولي دونَه السُّكْرُ
تَرَقَّرَقُ ماءً مُقْلَتَايَ وَوَجْهَهُ وَيُدْكِي على قلبي ووجنتهِ الجَمْرُ
فلي وله من حُسْنِهِ وَمَدَامَعِي على وَجْههِ رَوْضٌ وفي وجنتي نهر
ولا عَجَبٌ أن طاب نَشْراً فلنما^٢ مُحَاسِنُهُ في غُصْنٍ قامتهِ زَهْر
أَرَقَّ نَسِيبي فيه رِقَّةٌ حُسْنِهِ^٣ فلم أدْرِ أيَّ قَبْلَتها مِنْهُمَا السَّحَرُ
وطبنا معاً ثغراً وشعراً^٤ كأنما له مَنطَقِي ثَغْرٌ ولي ثَغْرُهُ شِعْرُ

وقال في ذم خط واستبراد لفظ :

١ الديوان : والدوح رطب المهز لدن ؛ قد رف ربا .

٢ الديوان : فهله .

٣ ب م : نفسه .

٤ د ط س : شعراً وثغراً .

لحى الله أبياناً بعشت ذميمة
معوّجة أسطارها، وحرّوفها
ولا عجب من سخيفهن فإنه
فلو كن أعضاء لكنّ مخارجا
كان بها من برد لفظيك فالجا
إذا ساء فيعل المرء ساء نتائجا

وقال :

ومنهف نف طاوي الحشا
ملا العيون بصورة
فإذا رنا وإذا شدا
ففضح المدامة والحما
خنت المعاطف والنظر
تليت أحاسينها سور
وإذا سعى وإذا سقر
مّة والغمامة والقمر [١٦١]

وقال :

أخذها وقد سمرت إليك يد الصبا
واقدها بهارت السرور وقد طمى
وانجاب نفع الغيم من قمر الدجى
وتعشرت قدم الثرى سحرة
وافتر مبتسم الصباح كأنه
عن وجه أفق الغمام ملثم
بحر الدجى وطفا حباب الأنجم
عن غرة وضحت بوجه أدهم
في برد ليل بالمتجرة معلم
وضح بقادمة الغراب الأعصم

وقال :

وحوراء^٢ بيضاء المحاسين طلقة
يزر عليها الصبح^٣ جيب قميصه
لبست بها الليل البهيم نهارا
وقد لبس الجوّ الظلام صدارا

١ ب م : ثابت .

٢ الديوان : وفوراء .

٣ ب م : الاول .

هَزَزْتُ لِأَغْصَانِ الْقُدُودِ مَعَاظِفًا بِهَا وَلِرُمَّانِ النُّهُودِ ثَمَارًا
فَسَقِيًا لِأَيَّامٍ هُنَاكَ سَحْبَتَهَا^٢ ذُيُولًا عَلَى حُكْمِ السُّرُورِ قِصَارًا
إِذَا شَتَّ غَدَّائِي وَشَاحُ وَحَلِيَّةٍ لِحَسَنَاءَ غَصَّتْ دُمُجًا وَسَوَارًا
هِيَ الظَّيُّ^٣ طَرَفًا أَحُورًا وَمَلَا حِطًّا مِرَاضًا وَجِيدًا أَتْلَعًا وَنِفَارًا

وله من مرثية في ابن أختله وقد ورد النعي من أغمات بموته :

أَرِقتُ أَكُفَّ الدَّمْعِ طُورًا وَأَسْفَحُ وَأُنْضَحُ خَدَّيْ تَارَةً ثُمَّ أَمْسَحُ
وَدُونَكَ طَمَاحٌ مِنَ الْمَاءِ مَائِجٌ [يَعْبُ] وَمُغْبِرٌ مِنَ الْبَيْدِ أَفِيحُ
وَلَيْتَ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ بِفَحْمَةٍ لِأُورِي زِنَادَ الْهَمِّ فِيهَا . فَأَقْدَحُ
وَأُتْبِيعُ طَيْبَ الذِّكْرِ أَتَّةَ مَوْجَعٍ فَيَنْفَحُ هَذَا حَيْثُ هَاتِيكَ تَلْفَحُ
وَأَلْقَى بِيَاضَ الصُّبْحِ يَسُودُ وَحِشَةً فَأَحْسِبُنِي أَمْسِي عَلَى حِينِ أَصْبَحُ
وَيُوحِشُنِي نَاعٍ مِنَ اللَّيْلِ نَاعِبٌ فَأُزْجِرُ مِنْهُ بَارِحًا لَيْسَ يَبْرَحُ
غَرِيقًا بِبَحْرِ الدَّمْعِ وَالْهَمِّ^٥ وَالدُّجَى وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أَسْبَحُ
وَفِي^٦ نَاطِرِي لِلَّيْلِ مَرْبُطٌ أَذْهَمُ وَفِي وَجَنَّتِي لِلدَّمْعِ أَشْهَبُ يَحْمَحُ

ومنها :

أَقُولُ^٧ وَقَدْ وَافَى كِتَابُ نَعِيَّتِهِ يُجَمِّعُنِي فِي الْفَاطِيهِ وَيُصَرِّحُ^٨

١ ب م : لأعطاف .

٢ الديوان : تقلصت .

٣ الديوان : الشباب .

٤ م : هو الطرف .

٥ م ب : الهم والدمع .

٦ د ط س والديوان : ففي .

٧ د ط س : وقلت .

٨ الديوان : فيصرح .

غُلامٌ كما استخشنت جانب هضبة
أرامٍ بأغصانٍ يسندُ سَهْمَهُ
فيا لغريباً فاجأته منية
ترى بي إذا أعولت حزناً حمامة
وأبأسْتُ قلباً كان يخشعُ تارة
فما أتاكى^٢ الركبُ أرجو تحية
وخادعتُ عنه النفسَ والنفسُ صبة
ينمُّ بأسرار الصباية مسدعي
فلي نظرة نحو الشمال ولوعة
فيا عارضاً يستقبل الليل والفلا
نعمتلُ إلى قلب الغريب مسدماً
وأحقتى سلام يعبرُ البحرَ دونه
وعرجُ على مئوى الحبيب بنظرة

ولان على طش [من] المزن أبطح
فيرمي وقلب بالجزيرة يجرح
أتته على عهد الشباب تُجلجح
ترن وطوراً أيككة تترنج
وتنزو به الآمال طوراً فيطمح
توافي له أو رقعة تُنصّح
وراوغت حسن الصبر والصبر أرجح
وكل إناء بالذي فيه يرشح
تلدّد [بي] نحو الجنوب فأجنح
ويسري فيطوي الأطولين ويمسح
نكب فتروي أو تعب فتطفح^٣
فيندى وأزهار البطاح فتفتح
تراه بها عني هناك وتلمح

وله من مرثية في صديق توفي باشيلية ، فقال :

ألا ليت لعمح البارقي المتألق
ويتركب من ربح الصبا متن سابع
ففيهندي إلى قبر بحمص تحية
فعندي لحمص أي نظرة لنوعة

يتلف ذبول العارض المتدفق
كريم ومن ليل السرى ظهر أبلق
مى تحتميلها راحة الريح تعبق
وللتجهم وهنا أي نظرة مطرق

١ م ب : للغريب .

٢ م ب : فها أنا ألقى .

٣ م ب : فتصيح ، ط د س : مزادة من الدمع تندى حيث مرت وتنصح .

٤ م ب : حملها .

حناناً إلى قبرٍ هنالك نازحٍ
وكيف يشكوى ساعةٍ أشتفي بها
فهل عندَ عبدِ الله ما بات ينطوي
وقد أذكرتني العهدَ بالأُنسِ أُنكةً
وأَكَبْتُ أبكي بينَ وجدٍ أناخَ بي ٢
وأنشَقُ أنفاسَ الرِّيحِ تَعَلُّلاً
ولما علَت وجهَ النهارِ كآبةً
عطفتُ على الأجداثِ أجْهَشُ تارةً
وقلتُ امْغُفْ لا يهبُ من الكرى
لقد صدعتُ أيدي الحوادثِ شملنا
وإن تآكُ لِلخَلِيقِ ثمَّ التِّقَاءُ
فأعززُ ٣ علينا أنْ تَباعِدَ بيننا
فسقياً لثربٍ بين أضلُعِ ثُرْبَةٍ
وألوي ضلوعي أندبُ المجد والنَّدَى
ومِثْلِي يَبْكِي للمُصَابِ بِمِثْلِهِ
فقد كان يومَ الرُّوعِ أبيضَ صارِماً
فكمُ للحيا مِن أدمعٍ فيه ثُرَّةٍ
وللبَرْقِ من قلبٍ به مُتَمَلِّمِلٍ

وشلّو عثا فيه البلى مُتَمَزَّقٍ
ودونَ التَّلَاقِ كُلُّ بِيْدَاءٍ سَمَلِقٍ
عليه الحشا من لَوْعَةٍ وَتَحَرَّقٍ
فأذكرتها نُوحَ الحَمَامِ المُطَوَّقِ
حديثٍ وعهدٍ لِلشَّيْبَةِ مُخْلِقِ
فأعْدَمُ فيها طيبَ ذاك التَّنَشُّقِ
ودارتُ به للشمسِ نظرةً مشفقٍ [١٦٢أ]
والثمُّ طَوَراً تُرْبها من تَشَوُّقٍ
وقد بَتُّ من وَجدٍ ليلِ المُوَرَّقِ
فهل من تَلَاقٍ بَعْدَ هذا التَّفَرُّقِ
فيا ليت شعري أين أو كيف نلتقي
فلم يَدِرْ ما ألقى ولم أدِرْ ما لقي
مَتَى أَتَدَكَّرُهُ بها أَتَشَوُّقٍ
بأفصحِ دَمَعٍ تحتِ أخْرَسٍ منطقٍ
فإنْ أخلَقَ الصَّبْرُ الجَمِيلُ فأخلِقِ
بِكِفِّي ويومَ الفَخْرِ تاجاً بمُفْرِقِ
وللرَّعْدِ مِن جَيْبٍ عَلَيْهِ مُشْفَقِ
وللنَّجْمِ من طَرْفٍ عَايِه مُوَرَّقِ

١ ب م : بالأس .

٢ الديوان : أظني .

٣ الديوان : وأعزز .

٤ ط د : والعلا .

[وفيها يقول] :

فما ابنُ شَمالٍ بات يهفو كأنما
سرى بين دَفَّاعٍ من الودقِ مُغْدِقٍ
بأندى ذبولاً من جُفُوني موهناً

وكتب^٢ إلى بعض إخوانه :

أورى بأفكٍ بارقٍ يتألقُ
وتحملاً عنّي إليك تحيةُ
وكان^٣ ماء الورد عنها ينهمي
ويهبجي نفس التسيم إذا سرى
فلذا تطاع من سمائك بارقُ
خفقت لذكرك أضلعي فكان لي
وتماكتني لوعة مشبوبةُ
فابعث بطيفك باغثاً أو واعداً
وصل التحية إن عهدك زهرةُ

وقال وهو مضطجع :

الليل إلا حيث كنت طويلُ
والصبر إلا منذ بنت جميلُ

١ ط د س : وأحلى .

٢ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من ط د س ، سوى عبارة : « ومحاسن الخفاجي كثيرة . . .
الغاية » .

٣ الديوان : فكان .

٤ الديوان : جائحة .

٥ ب م : راغبياً .

وَالنَّفْسُ مَا لَمْ تَرْتَقِبْكَ كَثِيبَةً
فَلَقَدْ خَلَعَتْ عَلَى الزَّمانِ محاسِنًا
فَالصُّبْحُ ثَغْرٌ فِي جَنَابِكَ ضَاحِكٌ
وَاللَّيْلُ طَرْفٌ فِي ذَرَاكَ كَحِيلُ

ومنها :

ووشى رِداءَ الحمد^٢ باسمك خاطرٌ
فَسَجَعْتُ فِي قَيْدِ الشَّكَاةِ مُغْرَدًا
ولوى العِنانَ عن الإطالةِ أَتَنِي
ماد النُّحولُ به فَلَاعَبَ شَخْصَهُ
فَبِعَثْنُهُ جَمَّ المحاسِنِ نَاقِيهَا
ولكم قَصِيرٌ من يَسْرَاعِكَ شَاحِبِ

وله من قصيد فريد :

حُبُّ المَدَامَةِ فَاالنَّسِيمُ عَلِيلُ
وَالنُّورُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعُ
وقد انتشى عِطْفُ الأَرَاكَةِ فَانثَى
وَتَطَلَّعَتْ مِنْ بَرَقَةٍ وَغَمَامَةٍ
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةٍ أَيْكَةِ
فَالرَّوْضُ مُهْتَزٌّ الْمَعَاطِفِ نِعْمَةٍ
رَبَّانٍ فَضَضَهُ النَّدى ثُمَّ انْجَلَى

١ م : أعطافها .

٢ ب م : المجد .

٣ الديوان : كليل .

طَرَفٌ يَمْرُضُهُ الْعَشْيُ كَلِيلُ
 شَاكٍ وَيَلْتَمِصُ الْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 وَالرَّيْحُ خَافِقَةُ الْجَنَاحِ بَلِيلُ
 وَيَمْجُ رَوْحُ الرِّيحِ مِنْهُ قَتِيلُ [١٦٣ أ]
 عَرَقٌ عِلَالُهُ مِنَ الْحَبَابِ يَسِيلُ
 وَجْهُهُ أَغْرُ وَمِيسَمٌ مَعْسُولُ
 رُمَحٌ أَصَمٌ وَصَارِمٌ مَسْلُولُ
 فَكَأَنَّهُ رِيحَانَةٌ وَشَمُولُ
 لِيَجْنِيَ الْحَدِيثَ حَدِيقَةً وَقَبُولُ
 غُصْنٌ تَنْفَسُ نَوْرُهُ مَطْلُولُ
 أَبْدَأُ فَبَطْنُ يَمِينِهِ مَبْلُولُ
 طَاوَى الْمَصِيرِ وَبِالْقَنَاءِ ذَبُولُ

وارتدَّ ينظر من نِقَابِ غَمَامَةٍ
 سَاجٍ كَمَا يَتَرَدُّ إِلَى عَوَادِهِ
 فَالْشَّمْسُ شَاحِبَةٌ الْجَبِينِ مَرِيضَةٌ
 وَالزَّقُ مُنْجَدِلٌ يَكْبُ لَوَجْهِهِ
 وَالكَأْسُ طَرَفٌ أَشَقَرٌ قَدْ جَالُ فِي
 يَسْعَى بِهَا قَمَرٌ لَهُ وَلِيكَاسِهِ
 شَاكِي السَّلَاحِ يَقْدَهُ وَبَطْرُهُ
 وَأَخِي تَهْزُ لَهُ الْعَلَا أَعْطَافَهَا
 رَاضِعَتُهُ كَأْسُ الْمُدَامِ وَبَيْنَنَا
 مَيْتَاسٌ أَعْطَافِ السَّمَاكِ كَأَنَّهُ
 تَنْدَى لَهْيٌ وَرَدَى أَسْرَةً كَفَّهُ
 طَلَقُ الْجَبِينِ وَاللِّحْسَامِ تَبَسَّمَ

منها :

تَحْمَى وَمِنْ ظِلِّ اللِّوَاءِ مَقِيلُ
 غُرَّرٌ تَلَوُّحٌ وَلِلْسَيْفِ حُجُولُ
 وَبِحُمْرِ أَلْسِنَةِ الظُّبَا مَشْكُولُ

فِي حَيْثُ مِنْ حَرِّ الطَّعَانِ هَجِيرَةٌ
 وَالنَّقْعُ أَذْهَمُ لِلرِّمَاحِ بِوَجْهِهِ
 وَالْحَيْلُ سَطَرٌ بِأَلْسِنَةِ مُعْجَمٍ

ومن أخرى :

فَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْعُنُقِ
 تَدْمَى وَكَمْ سَلَخَ دَرْعٍ بَيْنَهَا مِزْقُ
 عَلَى نَدِيمٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُغْتَبِقُ

فِي مَرَقٍ أَفْصَحَتْ بَيْضُ السَّيْفِ بِهِ
 فَكَمْ أَنَابِيْبٌ خَطِيئٌ بِهِ كَيْسَرُ
 وَكَمْ كُثُوسٍ مِنَ الْبَاسَاءِ دَائِرَةٌ

١ م ب : يندى لما ورداً أسرة وجهه .

منها :

مِنْ أَشْهَبَ شَقٌّ عَنْهُ الرِّكْضُ هَبْوَتَهُ كَمَا تَفَرَّى أَدِيمُ اللَّيْلِ عَنْ فَلَاقِ
وَأَدْهَمَ فَضْضُ السَّحَابِ أَكْرَعَهُ كَمَا تَعْلَقُ بَدْءُ الصُّبْحِ بِالْغَسَقِ
وَأَشْقَرُ سَائِلِ فِي وَجْهِهِ وَضَحٌّ كَمَا تَصَوَّبُ نَجْمُ الرِّجَمِ فِي شَفَقِ

وقال يتفجعُ لفقد الشباب ، وَعَدَمِ العليّةِ الأصحاب ، ويصف
فرساً أشهب :

أَلَا سَرَّتِ الْقَبُولُ وَلَوْ نَسِيمَا وَطَالَعَتِي الظَّلَامُ بِهِ خِيَالًا
تَقْضَى غَيْرَ لَيْلٍ مَا تَقْضَى كَأَنِّي مَا أَلِفْتُ بِهِ شَفِيعًا
وَأَسْأَلُ هَلْ سَقَى طَلَلًا بِحُزْوَى وَأَنْشَقُ لَوَعَةٍ بِعَرَارٍ نَجْدِ
وَكُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ أَعْتَاضَ مِنْهُ وَمَطَرُورًا أَجْرَدُهُ صَقِيلًا
يَشِيمُ بِهِ وَرَاءَ النَّقْعِ بَرْقًا إِذَا أَوْطَأَ [تَهُ] أَعْقَابَ لَيْلٍ

وقال يصف خيلاناً :

غَا [زَلْزَلُهُ] مِنْ حَبِيبِ وَجْهِهِ فَلَاقُ فَمَا عَدَا أَنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ شَفَقُ

١ الديوان : لعرار .

٢ ب م : أفرده .

وارتج يَعْرُ في أذبالِ خَجَلْتِه
تخالُ خَيْلَانَهُ في نُورِ صَفْحَتِه^٢
عَجِبْتُ والعَيْنُ ماءٌ والحشا هَبْ^١
كَيْفَ التَّقْتُ بهما في حَبِّهِ الطُّرُق

وقال يصفُ شَجَرَ النَّارَنِج :

ألا أَفْصَحَ الطَّيْرُ جَتَى^٣ خَطَبْ
فَمِلْ طَرَبًا بَيْنَ ظِلِّ هَفَا
وَجُلْ في الحَدِيقَةِ أَخْتِ الْمُنَى
وَحَامِلَةً مِنْ بَنَاتِ الْقَنَا
تَنْوِبُ مَوْرَقَةً عَنْ عِذَارِ
وَتَنْدَى بِهَا فِي مَهَبِّ الصَّبَا
تُفَاوِجُ أَنْفَاسَهَا تَارَةً
فَتَبْسِمُ فِي حَالَةٍ عَنْ رِضَى

وَحَفَّ لَهُ الْغَصْنُ حَتَّى اضْطَرَبَ
رَطِيبٌ وَمَاءٌ هُنَاكَ انْتَعَبَ
وَدِنَ بِالْمُدَامَةِ أُمَّ الطَّرَبِ
أَمَالِيدُهُ تَحْمِلُ خُضْرَ الْعَدَبِ
وَتَضْحَكُ زَاهِرَةً عَنْ شَنْبِ
زَبَرُجْدَةٍ أُمَمَرَتْ بِالْدَّهَبِ
وَطَوْرًا تُغَازِلُهَا مِنْ كَثَبِ
وَتَنْظُرُ آوِنَةً عَنْ غَضَبِ

وقال يصفها :

وَمَيَّاسَةٌ تَزْهَى وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا
يَذُوبُ لَهَا رِيقُ الْغَمَامَةِ فَضَّةً
عَلَيْهَا حُلٌّ حُمْرًا وَأُرْدِيَّةٌ خُضْرًا
وَيَحْمَدُ فِي أَغْصَانِهَا ذَهَبًا نَضْرًا [١١٤]

١ ب م : بكفيه .

٢ ب م : مهجته .

٣ ب م : حين .

٤ م : حين .

٥ ب م : أماله .

٦ الديوان : أعطافها .

وقال يصفها ، ويصف الشراب ملتزماً :

أنعم فقد هبت النعامي وتبهت ريحها الخزامي
ومل إلى أليكة بليل تهفو اهتزازاً بها قدامي
تهز أعطافها القوافي لها وأكواسها الندامي
كأن أمّا بها رقوماً تحضن من شرابها يتامي

وقال يصفها ويصف الثمر في أغصانها :

عاط أحلاّءك المداما واستسق للأليكة الغماما
وأرقص الغصن وهو رطب يقطر أو طارح الحماما
وقد تهادى بها نسيم حيت سليمي به^٢ سلاما
فتلك أفنانها نشاوى تشرب أكواسها قياما

وقال يصف ثمر النارج ملتزماً :

ومحمولة فوق المناكب عيزة لها نسب في روضة الحزن معرق
رأيت بمرآها المني وهي تلتقي وشمل رياح الطيب وهي^٣ تفرق
يضحكها نغر من الشمس ضاحك ويلحظها طرف من الماء أزرق
وتجلى بها للماء والنار صورة تروق فطرفي حيث يغرق بحرق

وقال في ذلك ملتزماً :

١ الديوان : وراقص .

٢ م ب : حسي . . . بها .

٣ الديوان : كيف . . . كيف .

٤ الديوان : واضح .

نَحْنُذُهَا إِلَيْكَ وَإِنَّهَا لَنَضِيرَةٌ
 حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ نَفْحَةٌ فِي بَهْجَةٍ
 مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهَا
 نَجْمَتْ تَرُوقُ بِهَا نَجُومٌ حَسْبُهَا
 وَأَتَتْكَ تَسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةً
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدَى وَرُبَّمَا
 فَاسْتَضَحَكَتْ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةً
 طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةَ النَّظَرَاءِ
 عَبَقَ الْعَرُوسِ وَخَجَلَةَ الْعَدْرَاءِ
 نَشَأَتْ تَعْلُ بِرِيْقَةِ الصَّفَرَاءِ
 بِالْأَيْكَةِ الْخَضِرَاءِ مِنْ خَضِرَاءِ
 وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفِ عَنِ السُّفَرَاءِ
 بَسَطَتْ هُنَاكَ أَسِيرَةَ السَّرَاءِ
 حَمَلَتْ^٢ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغُرَاءِ [١٦٤ ب]

وقال يصف أحداً أسود يسقي :

رُبَّ ابْنٍ لَيْلٍ سَقَانَا
 فَظُلٌّ يَسْوَدُ لَوْنًا
 وَلَيْلٌ سَدَامٍ مُدِيرٌ
 تَضَاحَكَتْ عَنْ حَبَابٍ
 فَظَلَّتْ آخِذٌ يَاقُو
 حَتَّى تَنْشَيْتُ غُصْنًا
 وَارْتَدَّ لِلشَّمْسِ طَرْفٌ
 يَجُولُ لِلْغَيْمِ كُحْلٌ
 وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ غُرَّةً
 وَالْكَأْسُ تَسْطَعُ حُمْرَةً
 يَتَشَبُّ جَمْرَةً خُمْرُهُ
 يُقْبِلُ الْمَسَاءُ ثَغْرَهُ
 تَتَّ وَأَصْرِفُ دُرَّهُ
 وَاصْفَرَّتِ الشَّمْسُ زَهْرَهُ
 بِهِ مِنَ السُّقْمِ فَتَرَهُ
 فِيهِ وَلِلْقَطْرِ عَبْرَهُ

وقال فيما يتعلق بصفة نار :

وَمَعِينِ مَاءِ الْبَيْشْرِ أَبْرَقَ هَشَّةً^١ فَكَرَعَتْ مِنْ صَفْحَاتِهِ فِي مَشْرَبٍ

٢ ب م : نجوماً حسنها .

١ الديوان : لفحة .

٣ الديوان : جملة .

٤ ب م : تمشيت .

مُتَهَلِّلٌ يَنْدَى حَيَاءً وَجْهَهُ
أَضْنَى الْحُسَامِ حَسَادَةً فَفَرِنْدُهُ
خَيَّيْمَتُهُ مِنْهُ بَيْنَ طَوْدٍ بِأَذِيحٍ
حَمْرَاءُ نَازَعَتِ الرِّيحَ رِدَاءَهَا
وَتَنَفَّسَتْ عَنْ كُلِّ لَفْحَةٍ أَجْمَرَةٍ
قَدْ أَهْيَبَتْ فَتَنَدَهَبَتْ فَكَأَنَّهَا
تَذْكُو وَرَاءَ ٢ رَمَادِهَا فَكَأَنَّهَا
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى يُقْلَصُّ بُرْدُهُ
وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثُّرَيَّا سُحْرَةٌ

ومن أخرى في صفتها :

لَوْ جَاءَهُ ٣ مُنْتَقِدٌ لَمَا دَرَى
تَلْتَمُ مِنْهُ الرِّيحُ خَدًّا خَجَلًا
فِي مَوْقِدٍ قَدْ رَقَرَقَ الصَّبْحُ بِهِ
مُنْقَسِمٍ بَيْنَ رَمَادٍ أَزْرَقٍ
كَأَنَّمَا خَرَّتْ ٤ سَمَاءٌ فَوْقَهُ

وقال يصف البرد [١٦٥ أ] :

يَا رَبِّ قَطْرِ عَاطِلٍ حَلَّى بِهِ
نَحْوَ الثُّرَى بَرْدٌ تَحْذَرُ صَائِبُ

١ م ب : نفحة .

٢ م ب : يذكو أوار .

٣ م ب : جاءها .

٤ م ب : خر .

حَصَّبَ^١ الأباطيحَ منه ماءً جامدٌ غَشَى البلادَ به عذابٌ ذائبٌ
فالأرضُ تضحكُ عن قلائدِ أنجُمٍ نُشِرَتْ بها والجوُّ جَهْمٌ قاطبٌ
وكانما زنتِ البسيطةُ تحتَهُ فأكَبَّ يَرْجُمُها الغمامُ الحاصِبُ

وقال يصف أسود ظلوماً حسوداً :

يا جامعاً بمساويهِ وطالعتيهِ بين السَّوادينِ من ظلمٍ ومن ظلمٍ
أمثلهُ حسداً في مثلهِ جسداً^٢ لقد تألفَ بين النَّارِ والفَحْمِ

وقال :

ومعشوقةِ الحُسنِ^٣ ممشوقةٌ ميهيمُ [بها] الطَّرْفُ والمعطيسُ
لها نَضْرَةٌ سَمَتْها نظرةٌ وتكَلَّفُ بالأنفُسِ الأنفُسُ
فَمِنْ ماءٍ جَفَّتِي لها مَكْرَعٌ يَسِيحُ ومن راحتي مغريسُ

وقال يراجع عن شعر ورده :

أطْرُسُكَ أمْ تُغْزِرُ تَبَسَّمَ واضِحُ وَلَفْظُكَ أمْ رَوْضُ تَنْفَسُ نَافِحُ
كَلامُ يَرْفُ النُّورُ في جَنَابِهِ وتندى به تحت الهجيرِ الجوانحِ
تُنْصَلُ يَوْمَ الرُّوعِ سُمُرُ القنا به وتُطْبَعُ منه للجلادِ الصَّفائِحِ
ولأنِّي لظمآنُ إليه عَلاقةٌ وها أنا في بحرِ البلاغةِ سَابِغِ
بَعَثَتْ به يندى كما طشَّ عَارِضُ وَيُطْرِئُ طَوْرًا كما حَنَّ صَادِحِ
تَلَوُّحُ به في دُهِمَةِ الحَبِيرِ غُرَّةٌ وَيَرْكُضُ في شَوَاطِيفِ الفَصَاحَةِ سَابِغِ

١ م ب : خضب .

٢ م ب : جسداً . . . جسداً .

٣ م ب : العين .

وقال يصفُ مجلساً وإخواناً ، ونارنجاً وورداً خليطين :

وَتَدِيْ أَنْسٌ هَزَنِي هَزَّ الشَّرَابِ مِنْ الشَّبَابِ
وَاللَّيْلِ وَضَحَّ الْجَبِيْهِ نَ قَصِيْرُ أَذْيَالِ الثِّيَابِ
فَقَنَصْتُ^١ مِنْهُ حَمَامَةٌ بَيْضَاءَ تُنْسَخُ^٢ مِنْ غُرَابِ
وَالنَّوْرِ مُبْتَسِمٌ وَخَدُّ الْوَرْدِ مَحْطُوطِ النَّقَابِ
وَكِلَاهُمَا نَثْرٌ^٣ كَمَا نَثَرُوا الْقَوَافِي فِي الْخَطَابِ
وَكَانَ^٤ كَأْسٌ سُلَافَةٌ ضَحِكَتْ إِلَيْهِمْ عَنْ حَبَابِ

وقال في ذلك المعنى :

وَصَدْرِ نَادٍ نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَافِي عِقْدًا
فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بَرْدًا [١٦٥ ب]
تَذْكُو بِهِ الشَّهْبَ جَمْرًا وَيَعْبِقُ اللَّيْلُ نَدًا
وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرٌ غَضٌّ يَخَالِطُ وَرْدًا
كَمَا تَنْفَسُ تَنْفَسُ ثَغْرَ عَذْبٍ يَقْبَلُ خَدًا

وقال يصف خيريّة :

وْخَيْرِيَّةٌ بَيْنَ النَّسِيمِ وَبَيْنَهَا حَدِيثٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ يُطِيبُ
لَهَا نَفْسٌ يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ عَاطِرٌ كَانَ^١ لَهُ سِرًّا هُنَاكَ يَرِيبُ
يَدْبُ مَعَ الْإِمْسَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا لَهُ خَلْفَ أُسْتَارِ الظَّلَامِ حَبِيبُ

١ م ب : فتنهت .

٢ م ب : تمسح .

٣ م : تبر .

٤ الديوان : فكان .

ويخفى مع الإصباح حتى كأنما يظلُّ عليه للصباح رقيب

وله من أخرى يصف يوم أنس ويتمغزل :

وأغْبَدَ في صدرِ التديِّ لحُسْنِهِ
يرفَ بروضِ الحُسنِ من نورِ وجهِهِ
جلاها وقد غنَّى الحمامُ عَشِيَّةً
وجاء بها حمراءَ أماً زُجاجُها
على لُجَّةٍ تَرْتَجُجُ أماً حبابُها
تجافَتْ بها عَنَّا الحوادثُ بُرْهَةً
وغازَلنا جَفَنٌ هناكَ لَنُرجِسَ
فللهِ ذَيْلٌ لِلتَّصَابِي سَحْبَتُهُ

حُلِيٌّ وفي صدرِ القصيدِ نسيبُ
وقامتِهِ نُورَةٌ وَقَضِيبُ
عَجُوزاً عليها للحَبَابِ مَشِيبُ
فماءٌ وأما مِلْؤُهُ فَلَهَيْبُ
فَتَوْرٌ وأما مَرَجُها فَكُثِيبُ
وقد ساعدتنا قَهْوَةٌ وحبِيبُ
وَمُبْتَسَمٌ لِيْلَافِحوانِ شَنِيبُ
وَعَيْشٌ بِأَكْنافِ الشَّبَابِ رَطِيبُ

وقال فيما يتعلق بصفة نار :

ومُقَنَّعٌ بُخْلًا بنُصرةِ حُسْنِهِ
قَبَّلْتُ مِنْهُ أَقْحوانَةً مَسْهِمِ
ولثمتُ جَمرةً ١ وجَنَّةً تَندي به
ويَكُلُ مَرَقَبَةً مُنَاخَ غَسَامَةِ
أوحَتْ هناكَ إلى الرَّبِّي أنْ بَشْري
وكفى بلمحِ البرقِ غَمَزَةً حَاجِبِ
وأحَمَّ مُسَوِّدَ الأديمِ كأنما
ذاكي لِسَانِ النَّارِ تحسَّبُ أنه

أَمسى هَيْلَالاً وهو بَدْرٌ تَمَامِ
رَفَّتْ وراءَ كَمَامَةِ اللِّثَامِ
فَنَكَرَعْتُ في بَرْدِهَا ٢ وسَلَامِ
مِثْلَ الضَّرِيبِ بِهَا مُعْجَاجُ لُغَامِ
بِالرِّيِّ فَرَعٌ أَرَاكَةُ وبِشَامِ
وبصوتِ ذاكِ الرَّعْدِ رَجَعَ كَلَامِ [١٦٦أ]
خُلِعَتْ على عَظْفِيهِ جِلْدَةٌ حَامِ
بَرَقَ تَمَزَّقَ عَنْهُ جَيْبُ غَمَامِ

١ ب م : حمرة .

٢ م ب : به .

وَكأنَّ بَدءَ النَّارِ فِي أَطرافِهِ شَفَقَ لَوِي [يَدُهُ] بِذَيْلِ ظَلامِ
وَقَالَ مِنْ أُخْرَى :

وَمَا شاقَّني إِلَّا وميضُ غَمامَةٍ تَطَلَّعَ فِي نَجْدٍ فحيمًا اللَّوى رِبعًا
فَقُلُّ في أَنِّي قَدْ تهادى كَأَنَّهُ إِذا ما لَئِي أَعطافُهُ حَيَّةٌ تَسعى
وماءٍ مَسيلٍ سائِلٍ لِقَرارَةٍ فبينما تَرى مِنْهُ حُسامًا تَرى درعا

وكتب إلى الأستاذ أبي محمد البطل يوسي جواباً له عن شعر :

أَبْرُكَ أُمُّ ماءٌ يَسِيحُ ١ وَبُسْتانُ وَذَكَرُكَ أُمُّ راحٍ تدارُ ٢ وَريحانُ
وإِلَّا فَمَا بَالِي وَفَوْدِي أَشْمَطُ تَلَوَيْتُ في بُرْدِي ٣ كَأَنِّي نَشوانُ
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جُمْلَةٌ مِنْ عَحاسِنِ تَغايِرُ أَبْصارُ عَلَیْها وَأَذانُ
بأَمثالِها مِنْ حِكْمَةٍ في بِلاغَةٍ ٤ تَحَلَّلُ أَضْغانُ وَتَرَحَّلُ أَطْعانُ
وَتُنظَّمُ في نَحْرِ المَعالي قِلادَةٌ وَتُسحَبُ في نادِي المَفاخِرِ أَرْدانُ
تَدْفِقُ ماءُ الطَّيْعِ فِيهِ تَدْفِقُ فِجاءَ كَما يَصفو عَلى النَّارِ عِقيانُ
أَتاني يَريفُ النُّورِ فِيهِ نَضارَةٌ وَيَكْرَعُ مِنْهُ في الغِمامَةِ ظِمانُ
وَتَأخُذُ عَنْهُ صَنعَةُ السَّحَرِ بِابِلُ وَتَلوِي إِلَیْهِ عَطفَةٌ ٥ الصَّبَّ بَغدانُ
وَجَدْتُ بِهِ رِيحَ الشَّبَابِ لِدُونَةٍ وَدُونَ صَبّا رِيحَ الشَّيْبَةِ أَزْمانُ
وَشاقَ إِلى تَفْراحٍ لُبْنانَ نَفْحَةٍ وَهِيهاتَ مِنْ أَرْضِ الجَزیرَةِ لَبْنانُ

١ الديوان : يسح .

٢ ب م : يراح .

٣ ب م : برد .

٤ ب م : وبلاغة .

٥ الديوان : أخدع .

فهل تَرِدُ الأُسْتَاذَ عَنِّي تَحِيَّةٌ تسيرُ كما عا طى الرُّجَاجَةَ نَدَمَانُ
تَهَشُّ إليها رَوْضَةُ الحَزَنِ سُحْرَةٌ وَيَشْنِي إليها من مَعَاطِفِهِ البَانُ
وقال :

نَبَّهٌ وَلَيْدَكَ مِنْ صِبَاهُ بَزَجَرَةٍ فَلَرُبَّمَا أَغْفَى هُنَاكَ ذَكَؤُهُ
وَأَهْرَهُ حَتَّى تَسْتَهِيلَ دُمُوعُهُ فِي وَجْنَتَيْهِ وَتَلْسُظِي أَحْشَاؤُهُ
فَالسَّيْفُ لَا تَذْكُو بِكَفِّكَ نَارُهُ حَتَّى يَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ مَاؤُهُ [١٦٦ب]

وقال ابن الصائغ^١ يرثي الأمير الأجل أبا بكر بن إبراهيم^٢ :

يَا صَدَىِّ بِالشَّغْرِ جَاوَرَهُ رِمَمٌ بُورِكَتْ مِنْ رِمَمٍ
صَبَّحَتْكَ الْخَلِيلُ غَادِيَّةٌ وَأَثَارَتَكَ فَلَم تَرِمِ
قَدْ طَوَى ذَا الدَّهْرِ غُرَّتَهُ عَنْكَ فَالْبَسَ حُلَّةَ الْكَرَمِ

فقال فيها معارضاً :

يَا صَدَىِّ بِالشَّغْرِ مُرْتَهَنًا بِمَمَرِّ الرِّيحِ وَالِدَيْمٍ
لَا أَرَى إِلَّا أَخَا كَمَدٍ بَاكِيًا مِنْكَ^٣ أَخَا كَرَمٍ
كَيْمَ بِصَدْرِي فَيْكَ مِنْ حُرْقٍ وَبِكَفِّي لَكَ مِنْ نِعَمٍ

وقال :

لَا لَعَمْرُ الْمُجْدِ وَالْكَرَمِ وَمَزَارِ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

١ هو ابن باجة الفيلسوف .

٢ الأبيات في القلائد : ٣٠٤ والمغرب ٢ : ١١٩ .

٣ ب م : منه .

٤ ب م : ومدار .

لا سَلَوْتُ الدَّهْرَ عَنْ مَلِكٍ طَلَقَ وَجْهَ الْعُرْفِ وَالْكَرَمِ^١
هذه نُعْمَاهُ مِلٌّ يَدِي وَنَا حُسْنَاهُ مِلٌّ قَمِي

ومن قوله يصف خالاً :

أَلَمْ يُسَقِّبْنِي سُلَافَةَ رَيْقِهِ وَطَوَّرَ أُحْيِيَّيْنِي بَاسِ عِيَادِهِ^٢
فَنَلْتُ مَرَادَ النَّفْسِ مِنْ أَقْحَوَانَةٍ شَمَمْتُ عَلَيْهَا نَفْحَةً لِعَرَارِهِ
وَوَجْهَ تَخَالِ الْحَالِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ فُتَاتَةٌ مِسْكٍ فَوْقَ جَدْوَةِ نَارِهِ

ومما يتعلق بصفة حية :

نَهْرٌ كَمَا سَاغَ اللَّمَى سَلَسَالُ وَصَبًا بَلِيلٌ ذَيْلُهَا مِكْسَالُ^٣
وَمَهَبٌ نَفْحَةٌ رَوْضَةٌ مَطْلُولَةٌ فِي جَلْهَتَيْهَا^٤ لِلنَّسِيمِ مَجَالُ
غَازَلَتُهُ وَالْأُقْحَوَانَةُ مَبْسِمٌ وَالْآسُ صُدُغٌ وَالْبَنْفَسُجُ خَالُ
وَوَرَاءَ خَفَاقِ النَّجَادِ ضُبَارِمٌ يَسْرِي بِهِ خَلْفَ الظَّلَامِ خِيَالُ
أَلْقَى الْعَصَا فِي حَيْثُ يَعْتَرُ بِالْحَصَى نَهْرٌ وَتَلْعَبُ بِالْغُصُونِ شِمَالُ
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْغُصُونِ تَنَازُعٌ وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْمِيَاهِ جِدَالُ
فَكَأَنَّمَا أَلْقَى هُنَالِكَ دِرْعَهُ بَطْلٌ وَجَرَدٌ وَشَيْهٌ مُخْتَالُ
بِيَدِ الْهَجِيرَةِ مِنْهُ سَوَطٌ خَافِقٌ وَبِسَاقِ لَيْلَةٍ قِرَّةٌ خَلْخَالُ
فَتَوَعَّدْتَنِي نَظْرَةً وَقَسَادَةً يُذَكِّي بِهَا تَحْتَ الظَّلَامِ ذُبَالُ [١٦٧أ]

١ الديوان : والشيم .

٢ القافية في الديوان : عذار ، لعرار ، نار .

٣ ب م : حليتيها .

٤ الديوان : وتعبث .

٥ الديوان : فكأنا .

وهوى كما أهوى أتى مزبد
جمد الغدير بمثنيه ولربما
وجمعت بين المشرقي وبئنته
وتساورا يشكافحان كما التقى

وقال يتشوق إلى الوطن :

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا
فقلت ولي دمع تفرق فانهمي
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبئة
وأغدو بواديها وقد نتضح الندى
أغازل فيها للفرقة سنة
وقد فصر عقد القطر في كل تلعة
وبات سقيط الطل يضرب سرحة
فقد تركني بين جفن جفا الكرى
أقلب طرقي في السماء لعلني

وله :

إن لي الجنة بالآندلس
فسنا صبحتها من شنب
فإذا ما هبت الريح صبا

ومما يشتمل على أوصاف :

رجمت به بعض اللال تلال
أعشاك إفرند له سيال
فتلاقى الأشباه والأشكال
يوماً أبو إسحاق والرئبال

عشيّة غناني الحمام فرجعا
يسيل وصبر قد وهى فتضعصعا
فأسكن أنفاساً وأهدأ متضععا
معاطف هاتيك الربى ثم أقشعا
تخط الصبا عنها من الغيم برقعا
نسيم تمشى بينها فتضوعا
ترف بواديها وينضح أجرعاً
وجنب تقلى لا يلائم مضجعاً
أشيم سنا برق هناك تطلعا

مجتلى حسن ورينا نفس
ودجى ليلتها من لعس
صحت واشوقاً إلى الآندلس

١ م ب : فبات بها ضيقاً وناهيك مريها .
٢ الدوران : واشوقي .

أَبَى الْبَرْقُ إِلَّا أَنْ يَحِينَ فُؤَادُ
فَبَتَّ وَلِيَّ مَنْ قَانَى الدَّمْعِ قَهْوَةً
تَنُوحُ لِي الْوَرَقَاءُ وَهِيَ خَلِيَّةُ
وَلَيْلٍ كَمَا مَدَّ الْغُرَابُ جَنَاحَهُ
بِهِ مِنْ وَمِضِ الْبَرْقِ وَاللَّيْلِ^١ فَحِمَّةُ
سَرَيْتُ بِهِ أَحْيِيهِ لَا حَيَّةُ السُّرَى
يُقَلِّبُ مِنِّي الْعَزَمُ لِنَاسٍ مَقْلَّةُ
بُخْرٍ لِقَلْبِ الْبَرْقِ خَفَقَةُ رَوْعَةٍ
سَحِيقٍ فَلَا غَيْرَ الرِّيَّاحِ رَكَائِبُ
كَأَنِّي وَأَحْشَاءُ الْبِلَادِ تُجَنِّي
أَجُوبُ جُيُوبَ الْبَيْدِ وَالصَّبْحُ صَارِمُ
وَفِي مُصْطَلَى الْآفَاقِ^٢ جَمْرُ كَوَاكِبِ
وَلَمَّا تَفَرَّرَى مِنْ دَجَى اللَّيْلِ طَحَلَبْتُ^٣
حَتَنْتُ وَقَدْ نَاحَ الْحَمَامُ صَبَابَةً

ومنها :

وَيَكْحَلْ أَجْفَانِ الْمُحِبِّ سُهَادُ
تُدَارُ وَمَنْ لِحْدَى يَدَيَّ وَسَادُ
وَيَنْهَلُ دَمْعُ الْمُزْنِ وَهُوَ جَمَادُ
وَسَالَ عَلَى وَجْهِ السَّجَلِ مِدَادُ
شَرَارُ تَرَامَى وَالْغَمَامُ زِنَادُ [١٦٧ب]
تَمُوتُ وَلَا مَيِّتُ الصَّبَاحِ يُعَادُ
لَهَا الْأُفُقُ جَفْنُ وَالظَّلَامُ سُودُ
بِهِ وَلَجَفْنُ النِّجْمِ فِيهِ سُهَادُ
هَنَّاكُ وَلَا غَيْرَ الْغَمَامِ مَزَادُ^٤
سَرِيرَةُ حُبِّ وَالظَّلَامُ فُؤَادُ
لَهُ اللَّيْلُ غِمْدُ وَالْمَسْجَرُ نَجَادُ
عَلَاهَا مِنْ الْفَجْرِ الْمُطِيلِ رَمَادُ
وَأَعْرَضَ مِنْ مَاءِ الصَّبَاحِ ثِمَادُ
وَشُقُّ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَدَادُ

وَلَا مِثْلَ رَقْرَاقِ الْحَدِيدِ عَتَادُ
سَنَانُ وَعَضْبُ صَارِمُ وَجَوَادُ
وَلَا غَيْرَ ظَهْرِ الْأَعْوَجِيِّ مِهَادُ

عَشِيَّةَ لَا مِثْلَ الْجَوَادِ ذَخِيرَةَ
إِذَا رَابَ خَطْبُ خَفَرْتَنِي ثَلَاثَةَ
فَبْتُ وَنَصَلَ الْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعُ

١ الديوان : والجو .

٢ ب م : مراد .

٣ الديوان : الظلماء .

٤ الديوان : ولا غير الحسام .

مُعَانِقَ خَيْلٍ لَا يُخِيلُ^١ وَإِنَّمَا مَكَانَ ذِرَاعِيهِ عَلِيٌّ نَجَادٌ
وله في وصف نار :

وَمَوْقِدِ نَارٍ طَابَ حَتَّى كُنَّا نَمَّا فَاطْلَعَ مِنْ دَاخِلِي دُخَانٌ بِنَفْسَجَا
وَصَاحَكَ غُرّاً مِنْ وَجْهِهِ وَضِيَّةٌ إِذَا بَسَطْتَ كَفَّ الْهِجَابِ إِلَى الْعِدَا
أَرَى خَيْرَ نَارٍ حَوْلَهَا خَيْرُ فِتْيَةٍ إِذَا الرِّيحُ مَاسَتْ^١ مِنْ سَوَادِ دُخَانِهَا
وَنَارَتْ فَتَمَامًا يَمْلَأُ الْعَيْنَ أَكْهَبًا رَأَيْتَ جُفُونِ الرِّيحِ وَاللَّيْلِ^١ إِعْمِدُ
وَبِالْجَمْرِ فِي أَكْنَافِهَا مَسَّ رِعْدَةٌ كَأَنَّ^١ بِحَامِي الْجَمْرِ مِنْ شِدَّةِ بَرْدَا [١٦٨]

وقال يستهدي خمرأ في يوم برد :

كَتَبْتُ وَقَدْ خَصِرْتُ رَاحَتِي فَهَلْ مِنْ حَرِيقٍ لِكَأْسِ الرَّحِيقِ
وَقَدْ أَعْوَزْتُ نَارُهَا جُمْلَةَ فُلُولَاكِ شَبَّهْتُهَا بِالصَّدِيقِ

وله في صفة رمح :

وَأَسْمَرٌ يَتَلَحَّظُ عَنْ أَزْرَقٍ يَضْحَكُ مِنْ بَيَاضِ حَبَابِ طِفَا
حَيْثُ الْوَغَى بِحَرٍّ وَبَيَاضُ الظُّبَا

وفي صفة سفينة :

١ الديوان : باست .

وجارية رَكِبْتُ بها ظلاماً
إذا الماءُ اطمأنَّ فرقاً خَصِراً
وقد فَغَرَ الحِمَامُ هناك فاهُ
فما أدري أَمْوَجُ أم قلوبُ
يطيرُ من الصَّبَاحِ بها جناحُ
علا من مَوْجِهِ ردفُ رَدَاحِ
وأتلَعَ جِيدَهُ الأَجَلُ المُتَاحِ
وأنفاسُ تَصَعَّدُ أم رياحُ

وله :

نَدِيَّ النِّسِيمِ وما أَرَقَّ وأعطرا
فَزَفَفْتُهَا بِكَرَأٍ إِذَا أَقْبَلَتْهَا
وَرَفَلْتُ بَيْنَ قَمِيصٍ غِيَمٍ هَلْهَلِ
وَالرَّيْحُ تَنْخُلُ مِنْ رِذَاذٍ لَوْلَا
وهذا القَضِيبُ وما أَغْضَى وأنضرا
أَلَقْتُ عَلَى وَجْهِ قِنَاعاً أَحْمرا
وَرِداءُ شَمْسٍ قد تَمَزَّقَ أَصْفرا
رطباً وَتَفْتَقُ مِنْ غَمَامٍ عَنبرا

وله في الغَضِّ من مَعْدَر :

وَأَفَى بِنَا وَلَهُ صَحِيفَةٌ صَفْحَةٌ
مُتَّجِهَةٌ ثَكِلَ الشَّبَابَ وَإِنَّمَا
جَعَلَ العِدَارُ بها يَسِيلُ مِدَادَا
لَبَسَ العِدَارَ عَلَى الشَّبَابِ حِدَادَا

وله في الشَّقِيقِ :

يَا حَبِّدَا وَالْبَرْدُ يَزْحَفُ بُكْرَةً
حَتَّى إِذَا اسْتَوَى وَأَسْلَمَ عَنُودُ
أَخَذَ الرِّيبُ عَلَيْهِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ
جَسْمَا رَحِيقٍ دُونَهُ وَحَرِيقٍ
مَا شَتَّ مِنْ سَهْلٍ وَذُرُودٍ نِيقٍ
فَبِكُلِّ مَرْقَبَةٍ لَوَاءُ شَقِيقٍ [١٦٨ ب]

وله في صفة كلب مطوق العنق بالبياض محجل الأربع ، وصفة أرنب :

وَأُطْلِسَ مِإْءُ جَانِحَتَيْهِ خَوْفٌ
لَأَشْوَسَ مِإْءُ شِدْقَيْهِ سِلَاحُ

١ ب م : فرقتها .

نجا هَرَبًا بِطَيْرٍ حَذَارَ طَاوٍ له رَكْنُصٌ يَتَغَصُّ به البَرَّاح
فَطَوْرًا يَمُرُّتَقِي حُدُوبَ الرَّوَابِي وآوِنَةٌ تَسِيلُ به البطَّاح
جَرَى شَدًّا وَلِلصُّبْحِ التِّمَاعُ بُعِثَ جَرَى وَلِلْبَرْقِ التِّمَاحُ
فَحَجَلَهُ^١ وَسَوَّرَهُ^٢ وَمَيِّضُ^٣ جَرَى مَعَهُ وَطَوَّقَهُ صَبَاحُ

وقال في صفة خاتم سماوي الفص :

وَمُرْقَرَقِ الإِثْرِنْدِ أُبْدَى^٤ بِهِجَةً وَذَكَا فَاطْلَعَ بِالظَّلَامِ ضِيَاءُ
وَتَحْتَمَّتْ مِنْ^٥ فَصَّةِ^٦ بَيْغَمَامَةٍ كَفَّ تَكُونُ عَلَى السَّمَاحِ سَمَاءُ
قَدْ صَبِغَ صَبِغَةً فِتْنَةً أَصْبَى لَهَا نَفْسَ الحَلِيمِ وَضَاجَعَ العَذْرَاءُ
مَا إِنْ تَرِفَ لَهَا بِنَفْسَجَةٍ^٧ بِهِ حَتَّى تَرِقَ لَهَا فَتَجْرِي مَاءُ
فَكَانَمَا نَظَرْتُ بِهِ يَوْمَ النُّوَى عَنْ مُقَلَّةٍ^٨ بُهِتَتْ بِهِ كَحَلَاءُ

ومما تعلق بصفة جبل :

وَصَهْوَةٍ عَزُومٍ قَدْ تَنْطَلَيْتُ^٩ وَالدُّجَى مُكَبَّ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي صَدْرِهِ سِرُّ
وَقَدْ أَلْحَفْتَنِي شَمْلَةً^{١٠} الطَّلَّ شَمَالُ^{١١} يُقْلِقِلُ أَحْشَاءَ الْأَرَاكِ بِهَا ذُعُرُ
وَشَقُّ الدُّجَى نَجْمٍ مِنَ النُّفْطِ^{١٢} مُرْسَلُ^{١٣} تَرَامَى مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ بِهِ فَجَرُ
وَأَشْرَفَ طَمَاحُ الدُّؤَابَةِ شَامِخُ^{١٤} تَنْطَلِقُ بِالْجَوَزَاءِ لَيْلًا لَهُ خَصَرُ
وَقُورٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا يُصْبِخُ إِلَى نَجْوَى وَفِي أُذُنِهِ وَقَرُ
تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ رُكَانَةً^{١٥} فَقَطَّبَ إِطْرَاقًا وَقَدْ ضَحِكَ الْبَدَرُ

١ الدَّيْوَانُ : فَعْلَمَلَهُ .

٢ الدَّيْوَانُ : أَبْرَقَ .

٣ ب م : دَفَعَهُ .

٤ الدَّيْوَانُ : نَقَطَ مِنَ التَّجِيمِ .

ولاذ به نَسْرُ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا يَبْحِنُ إِلَى وَكْرِ به ذَلِكَ النَّسْرُ
فَلَمْ أَدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسْكِينَةٍ أَكْبَرَةُ سَنٍ وَقَرَّتْ مِنْهُ أُمُّ كَبَرٍ

وقال يداعب ويتغزل بنعجة سوداء :

وسوداء تَدْمَى به مَنَحَرًا كَمَا اعْتَرَضَ اللَّيْلُ تَحْتَ الشَّقَقِ [١٦٩أ]
وَأَقْسِمُ لَوْ مَثَلْتُ لَيْلَةً لَعِيفْتُ الْكُرَى وَاسْتَطَبْتُ الْأَرْقَ
فِيَا حُسْنَ خَصْرِ لَهَا أَحْمَرُ وَمَنْزَرُ شَحْمٍ عَلَيْهِ يَبْقَى
وَمَا رَفَلْتُ فِي قَمِيصِ الدُّجَى وَلَا اشْتَمَلْتُ بِرْدَاءِ الْغَسَقِ
وَلَكِنْ تَسِيلُ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ هَوًى وَتَذُوبُ عَلَيْهَا الْحَدَقُ

وقال فيها وفي كبش أملح :

أَلَا حَبْدًا عِيدٌ تَلَاقَتْ بِهِ الْمُنَى
وَأَعْرَضَ فِي حُسْنِ الْمَلِيحَةِ أَمْلَحُ
تَهَادَتْ تَتَنَّى وَهُوَ يُدْعَرُ فَالْتَوَى
وسوداء أَمَّا نَيْسَبَةٌ فَهِيَ نَعْجَةٌ
أَقَا [م بها] مَا بَيْنَ ظِلٍّ^١ وَمَوْزِدٍ
أَتَتْكَ وَأَفْيَاءُ الشَّبَابِ تُظِلُّهَا
فَطُفَّتْ بِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا وَإِنَّمَا

وله ، قال :

وَأَعْرَضَ ضَا حَكَ وَجْهَهُ مُصْبَاحَهُ
مَا لِنْ خَبَا تِلْقَاءَ نُورِ جَبِينِهِ
فَأَنَارَ ذَا قَمَرًا وَذَلِكَ فَرَقْدًا
حَتَّى ذَكَأَ بِذِكَائِهِ فَنُوقْدَا

١ م ب : صدر .

وقال يصف شجرة ، طرحت ظلها على نهر ، لم تكرع فيه ولا بعدت عنه :

وسرحة خاض الحمى^١ ظلها نهر
كما تدانيت من ثغري ليمر تشفى
كان أفياءها طيباً حمى ملك
أوقت عليه فلم تنقص ولم تزد
ثم اتقيت فلم تصدُر ولم ترد
أغضى وأعطى فلم يوعد ولم يعيد

وله في معذر :

أمل وقد خط في خده
فقات أرى الشمس مكسوفة
من الشعر سطر^١ دقيق الحروف
فقوموا فصلوا^٢ صلاة الكسوف

وله :

يا أيتها الصبب المعنى به
سود ما ورد من خده
ها هو لا نخل ولا خمر
قال فحماً ذلك الخمر [١٦٩ب]

وله :

هل ساءه أن عاد^٣ آسا ورده
وكان صفحته وبدة عذاره
وتعطلت من فيه كأس تشرب
ماء يثور بصفحته طحلب

وله في النحول :

بهرت جمالا فرعت البصر
فصرت إذا أمكنت لقيّة
وذبت سقاماً ففت النظر
أريك السها وتريني القمر

١ ب م : رقيق .

٢ الديوان : نعل .

٣ الديوان : آل .

وفي جنى التين :

أما واهتِصارِ غُصُونِ البَلَسِ*
ومال يسيلُ جَنَى شَهِدِهِ
لقد شاق من رائقِ المُجْتَلَى
فَهِمْتُ له بِبَيَاضِ الثَّغُورِ
وقد قلَّصَ الصَّبِيحُ ذَيْلَ الغَلَسِ*
كما سال رِيْقُ حَبِيبِ نَعَسِ
شَهِىَ الجَنَى مُسْتَطَابِ النَّفَسِ
وأَحْبَبْتُ فيه سَوادَ اللَّعَسِ

في صفة أسود يسبح :

وأَسودٍ عنَّا لنا سَابِحٍ
وإنما جال بها ناظِرٌ
في لُجَّةٍ تَطْفَحُ بِبِضَاءِ
في مُقْلَةٍ تَنْظُرُ زَرْقَاءِ

وفي صفة سحابة :

وغمامةٍ لم يَسْتَقِيلَ بها السُّرَى
حملت بها^٢ رِيحُ القَبُولِ سَحَابَةً
في ليلةٍ ليلاءٍ يَلْحَسُ حَبْرُهَا
نَسَجَ الضَّرِيبُ بها الظَّلَامَ حِجَامَةً^٣
شَابَتْ وراءَ قَناعِهَا لِمَسِّ الرُّبَى
فَمَشَتْ على الظَّلَمَاءِ مَشْيَ مُقْبِدِ
سَحَابَةِ الأَذْيَالِ تُلَمَسُ باليدِ
وهنا لِسَانُ البَارِقِ المُتَوَقِّدِ
فابيضَ كُلُّ غُرَابٍ لَيْلٍ أَسودِ
واشْمَطَ مَفْرِقُ كُلِّ غُصْنٍ أَمَلَدِ

وقال يمدح ، ويسأل حاجة :

أَلَيْتَ إِلَّا أَنْ تَسِيرَ معَ الفَضْلِ
فَنُبْتَ مَنَابَ البَدْرِ في لَيْلَةِ السُّرَى
وَأَزْمَعْتَ إِلَّا أَنْ تَصِمَ عنَ العَدْلِ
وَقُتِمَ مَقَامَ الوَبْلِ في البَلَدِ المحلِ

١ م ب : جيش .

٢ م ب : به .

٣ ب م : نسج . . . غمامة .

وأضرمت نارَ الطّعنِ في ثَغْرِ العِدا
فحيّت أبا يحيى ذُرَاكَ غَمَامَةً
تُجَرُّرُ أَذْيَالَ الرَّبَابِ عَلَى الرَّبِي
فطل عُمُرُ الدُّنْيَا وطأَ قَمَمَ العِدا
ومنَّ بها أُنْدَى نَسِيمًا من الصَّبَا
ولا تحتقِرْهَا من نَوَالِكِ بَرَّةٍ
وقال في صفة فرس أشقر :

ومُطَهَّمٍ شَرِيقِ الأَدِيمِ كَأَنَّمَا
طَرِبَ إِذَا غَتَّى الحُسَامُ أَمَمَ
قَدَحَت يَدُ الهَيْجَامِ مِنْهُ بَارِقًا
ورمى الحفَاطُ بِهِ شَيَاطِينَ العِدا
بَسَامُ ثَغْرِ الحَلِي تَحَسَّبُ أَنَّهُ
وله :

وَحُسَامٍ يَكْفُ أَشْوَسَ أَجْرَى
عَطَفَ الضَّرْبُ مِنْهُ عَارِضَ شَيْبٍ
فوق وَرْدٍ مُعْجَلٍ مَزَجَ الحُسْنُ
خَلَصَتْهُ نَارُ الطَّبِيعَةِ سَبْكَ
قَدَحَ الرِّكْضُ زَنْدَهُ فَاسْتَطَارَتْ
يَضْحَكُ الحَلِي فَوْقَهُ عَنْ أَقَاحٍ
في الطَّلَى مَاءَهُ وَأَضْرَمَ نَارَهُ
فَانْحَنَى يَخْضِبُ النَّجِيعُ عِدَارَهُ
وَأَسَالَتْ لُجَيْنُهُ وَنَضَارَهُ
نَتَرَتْهَا الصَّبَا عَلَى جُلْنَارِهِ

١ ب م : الحمام .
٢ ب م : نشرتها .

وقال يصف شاباً حسن الصوت .:

ومُغَرَّدٍ هَزَجٍ الغِنَاءِ مُطَرَّبٍ تلقى به ليلَ التَّمامِ فيقْصُرُ
سَفَرَ الشَّبابُ لَنَا بِهِ عَنْ غُرَّةٍ تَرْمِي بِهَا لَيْلَ السَّرَارِ فيُقْمِرُ
غَاظَلْتُهُ حَيْثُ المُدَامَةُ والحَبَا بَةِ وَجَنَّةٍ تَدْمِي وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
والمُزْنُ طَرْفُ جَالٍ يَصْهَلُ أَشْهَبُ والبرقُ بُرْدٌ قَدْ تَمْزِقُ أَحْمَرُ
وكَأَنَّهُ وَالسُّكْرُ يَتَلَوِي عِطْفُهُ غَصْنٌ تَعَانِقُهُ الرِّيحُ مَنْوَرُ [١٧٠ ب]
مَلَأَ المَسَامِيحَ والعُيُونَ مَحَاسِنًا فَلَمْ أَدْرِ هَلْ أَصْغِي إِلَيْهِ أَمْ أَنْظُرُ

وله من قصيدة^٢ يقول فيها :

هَذَا غُرَابٌ دُجَاكَ يَنْعَبُ فَازْجِرْ وَعُبابٌ لَيْلِكَ قَدْ تَلَاظَمَ فَاعْبِرْ
وَأَشْتَفُ مِنْ نُطْفِ النَّجْمِ عَلَى السُّرَى وَالتَّفَّ فِي وَرَقِ الظَّلَامِ الْأَخْضَرِ
وَالْبَسَ رِدَاءَ السَّيْفِ وَهُوَ مُطَرَّرٌ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ بِالنَّجِيعِ الْأَحْمَرِ
وَارْمِ الْكَرِيمَةَ بِالْكَرِيمَةِ وَارْتَشِفْ صَفْوَ الْحَيَاةِ مِنَ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ

وقال يتغزل في لابسَةِ ثوبِ مُعْصَفَرٍ :

وَيَبْضَاءَ فِي صَفَرَاءَ تَحْمِيلُ نَفْعَةٍ تَنْفَسُ عَنْهَا المَنْدَلُ الرَّطْبُ وَالْجَمْرُ
خَلَعْتُ رِدَاءَ الصَّبْرِ فِيهَا عِلَاقَةً وَيَحْسُنُ إِلَّا فِي هَوَى مِثْلِهَا الصَّبْرُ
وَلَا غَرَوُ أَنْ تَرَوِي بِهَا عَيْنُ نَاطِرٍ وَبَاطِنُهَا مَاءٌ وَظَاهِرُهَا خَمْرُ

وقال يصف :

وساقٍ لَحِيلٍ^٣ اللَّحْظِ فِي شَأْوِ حُسْنِهِ جِمَاحٌ وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِرَانُ

٢ ب م : قصيدة .

١ الديوان : به لنا .

٣ ب م : بَحِيل .

سَقَانَا ١ وَقَدْ لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً
عُقَارًا نَمَاهَا الْكَرْمُ فِيهِ كَرِيمَةٌ
وَقَدْ جَالَ مِنْ جَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمُ
وَضَمَمَتْ رَدْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ
وَنَمَّتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَمِيلَةٌ
كَمَا اعْوَجَّ فِي نَحْرِ ٢ الْكَمِيَّ سَنَانٌ
وَلَمْ تَزَنْ بِابْنِ قَطٍّ ٣ فِيهِ حَصَانٌ
لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطٍ وَالشَّمَالُ عِيَانٌ
عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطِ جُمَانٌ
لَهَا النُّورُ ثَعْرٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانٌ

وقال :

حَسَبُ الْفَتَى حَالِيَّةً أَنْ يَسْتَقِيلَ بِهِ
فَمَا احْتَمَى جَانِبُ لَمْ يَحْمِهِ مَلِكُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ فَلَا يَقْعُدُ بِكَ الْعَطَلُ
وَلَا مَضَى صَارِمٌ لَمْ يُمْضِهِ بَطَلُ

وقال يصف سحابة :

وَحَمِيلَةٌ قَدْ أَخْمَلَتْ سِرْبَهَا
نَشْوَى تَهَادَى فِي وَشَاحٍ مُذْهَبٍ
طَبَعَتْ مِنَ النُّوَارِ بَيْضَ دَرَاهِمٍ
فَرَفَلَتْ حَيْثُ تَعَثَّرَتْ بِي نَشْوَةٍ
وَالْأَرْضُ تُتَسَفَّرُ عَنْ وُجُوهِ مُحَاسِنٍ
كَفًّا صِنَاعٍ تَسْتَهْلُ هَتُونٍ
قَلْبِي وَتَسْحَبُ مِنْ ذُبُولِ جُونٍ
مَدَّتْ إِلَيْكَ بِهَا بَنَانُ غُصُونٍ [١٧١]
فِي ثَوْبٍ وَشِيٍّ لِلرَّبِّيعِ مَصُونٍ
بَيْضٍ وَتَنْظُرُ عَنْ عَيْونِ عَيْونٍ

وله :

وِظْلَامٍ لَيْلٍ لَا شِهَابٌ بِأَفْقِهِ
إِلَّا لِيَنْصَلَ مُهَنَّدٍ أَوْ لَهْنَدَمٍ

١ ب م : سقاها .

٢ الديوان : درع .

٣ الديوان : المزن .

٤ ب م : شهاب .

لَا طَمْتُ لُجَّتَهُ بِمَوْجَةٍ أَشْهَبُ يَرْمِي بِهَا بَحَرَ الظَّلَامِ فَرْتَمِي^١
 قَدْ سَالَ فِي وَجْهِ الدُّجْنَةِ غُرَّةٌ فَالْلَيْلُ فِي شَيْتَةِ الْأَغْرِ الْأَدْهَمِ
 أَطْلَعْتُ^٢ مِنْهُ وَمِنْ سِنَانِ أَرْزَقِ وَمُهَنْدٍ عَضْبٍ ثَلَاثَةَ أَنْجُمِ
 جَاذَبْتُهُ فَضُلَّ الْعَنَانَ وَقَدْ طَغَى فَانْسَاحَ يَنْسِلُ^٣ انْسِيَابَ الْأَرْقَمِ
 فِي خَصْرِ غَوْرٍ بِالْأَرَاكِ مُوَشَّحٍ أَوْ رَأْسِ طَوْدٍ بِالْغَمَامِ مُعَمَّمِ
 أَوْ نَحْرِ نَهْرٍ بِالْحَبَابِ مُقَلَّدٍ أَوْ وَجْهِ خَرَقٍ بِالضَّرِيبِ مُسَلَّسِ
 حَتَّى تَهَادَى الْغُصْنُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ طَرَبًا لِشِدْوِ الطَّائِرِ الْمُتَرْتَمِ
 وَكَأَنَّ ضَوْءَ الصُّبْحِ رَايَةُ ظَافِرٍ نَقَضَتْ بِهَا الْهِجَاءُ نَضْحًا مِنْ دَمِ

وكانت بينه وبين القاضي أبي اسحاق بن ميمون مداعبة ، فاستطعمه
 يوماً فراخ حماماً وعنبراً ، فكتب إليه يستدعيه :

بِمَا حُزَّتُهُ مِنْ شَرِيفِ النَّظَامِ وَأَرْهَقَتَهُ مِنْ حَوَاشِي الْكَلَامِ
 تَعَالَ إِلَى الْأُنْسِ فِي مَجْلِسِ يَهْزُ بِهِ الشَّيْخُ عِطْفِي غَلَامِ
 رَطِيبِ النَّسِيمِ كَأَنَّ الصَّبَا تُجَرَّرُ فِيهِ ذُيُولَ الْغَمَامِ
 وَعِنْدِي لِمِثْلِكَ مِنْ خَاطِبِ بَنَاتُ الْحَمَامِ وَأُمُّ^٤ الْمُدَامِ
 بَنَاتُ تَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَتَلْهُو الْعَذَارَى بِهَا فِي الْمَنَامِ
 فَقَدْ كِدْنَ يَلْقُظْنَ حَبَّ الْقُلُوبِ وَيَشْرَبْنَ مَاءَ عَيْوُنِ الْكِرَامِ
 وَعَيْشُ تَتَشَنَّى انْتِثَاءَ الْقَضِيبِ سُرُوراً وَتَسْجَعُ سَجْعَ الْحَمَامِ
 وَتَحْمِلُ ثَوْبَكَ خَطِيئَةً وَيَنْطِقُ عَنْكَ لِسَانُ الْحُسَامِ

١ الديوان : فيرتمي .

٢ ب م : أطلقت .

٣ الديوان : فانصاع ينساب .

٤ ب م : وأدم .

وقال :

وَجَرَّ ذَيْلَ غِمَامَةٍ قَدْ نَمَسَتْ وَشَيَّ الرَّبِيعَ بِهِ يَدُ الْأَنْوَاءِ
أَلْقَيْتُ أَرْحَلَنَا هُنَاكَ بِقُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ مِنْ سَرَحَةِ غَيْمَاءِ [١٧١ ب]
وَقَسَمْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ بَيْنَ رَبَاوَةٍ مُخْضَرَّةٍ وَقَرَارَةٍ زُرْقَاءِ
وَشَرِبْتُهَا عَذْرَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا مَعْصُورَةٌ مِنْ وَجْنِي عَذْرَاءِ

وقال يصف صفرة الشراب وبياض الحباب :

خُلِدَهَا كَمَا أَطْلَعْتُ إِلَيْكَ عَرَّارَةً مُفْتَرَّةً عَنْ لَوْلُؤِ الْأَنْدَاءِ
صَفْرَاءَ فِي بَيْضَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا شَمْسُ الْعَشِيَّةِ فِي قَرَارِ الْمَاءِ

وفي صفة سيف :

وَمُرْهَفٌ كَلِيسَانِ النَّارِ مُنْصَلَتْ يَشْفِي مِنَ الثَّارِ أَوْ يَنْفِي مِنَ الْعَارِ
تَحَالُ شُعْلَةً بَرَقَ مِنْهُ طَائِرَةٌ فِي عَارِضٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ مَوَّارِ
يَمْضِي فِيهِوَيٍ وَرَاءَ النَّقْعِ مُلْتَهَبًا كَمَا تَصُوبُ يَجْرِي كَوْكَبٌ سَارِ

وذكر أن جارية للمعتمد - رحمه الله - تسمى جوهرة خاطبته وأثبتت اسمها تحت الحتم ، فقال في ذلك :

قَالَتْ وَقَدْ حَطَّتِ الْعُنْوَانَ جَوْهَرَةً عَنْ مُرْتَقَى رُبَّةٍ قَدْ سَنَّهَا الْأَوَّلِ
لَا غُرُوَ أَنْ صِيرْتَ تَحْتَ الْحَتَمِ وَاقِعَةً إِنَّ الْجَوَاهِرَ تَحْتَ الْحَتَمِ تُحْتَمَلِ

وقال :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي تَحِيَّةَ وَامِقٍ لِأَحْوَرَ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبِ

١ ب م : النار .

أَيُّتُ بِهِ مَا بَيْنَ نَهْرٍ لِيَمْدَمَعَ
وَمَهْمَا تَنَسَّمتُ الرِّيحَ عَشِيَّةً
وَحُضْتُ حِشَا الظُّلَمَاءِ فِيهِ صَبَابَةً
وَمَا ضَرَّهُ لَوْ كُنْتُ أَنْقَعُ غُلَّتِي
سَاحِلُ وَخَزَ الشُّوكِ فِي الْحَبِّ لِلْجَنَى

ومما يشتمل على أوصاف :

وَيَوْمٍ تَرَى^١ بَرْقَهُ أَشَقَرَا
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهُ^٢ وَقَدْ فُضِّضَتْ
وَقَدْ أَطْلَعَ الرُّوضُ مِنْ أَيْكَةٍ
وَطَرَّرَ^٣ أَنْوَابَ خُضِرِ الْغُصُونِ
وَقَدْ قَبَّلَ الْمَاءُ كَأْسَ الْمُدَامِ
وَشَبَّ^٤ الْمِزَاجُ بِهَا جَمْرَةً
عَرُوسًا تَرَى خَدَّهَا أَحْمَرَ

وله :

أَلَا أَطْرَبْتَنِي وَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
لَهَا دُونَ أَسْتَارِ الظُّلَامِ مَا تَمَّ
سَجَعْنِ وَعَهْدِي بِأَلْهَوَى مَتَقَادِمُ
فِيَا رِشًا لِلْمَسْكِ فِي صَفْحَاتِهِ
أَلَا إِنَّ ثَغَرَ الدَّمْعِ فِيكَ لِبَاسُ

١ الديوان : جرى .

٢ الديوان : فيه .

وَمَنْ لِي بِطَيْفٍ مِنْكَ يَطْرُقُ مُضْجِعِي
وَلِيَّيْ . لِمَهْتَزٍ لِدُكْرَاكَ . لَوْعَةٍ

وله :

وَيَوْمٍ صَقِيلٍ لِلشَّبَابِ ظَلَمْتُهُ^١
تَوَضَّعَ فِي وَجْهِ الصَّبَا مِنْهُ مَبَسْمٌ
تَقَلَّبْتُ فِيهِ بَيْنَ أَعْطَافٍ عَيْشَةٍ
وَقَدْ هَزَّ مِنْ عِطْفِي نَدِيمٌ وَخُوطَةٌ
وَجِزْعٌ^٢ بِأَنْدَاءِ الْغَمَامِ مُفَضَّضٌ
وَقَدْ جَالَ مِنْ كَأْسِ الْمَدَامَةِ^٣ أَشْقَرُ
بِرَوْضٍ كَانَ الْغُصْنُ يَزْهِي فِيْثَنِي
قَدْ ارْتَجَزَ الرَّعْدُ الْمُرْنُ بِأَفْقِهِ
كَأَنَّ لِسَانَ الْبَرْقِ فِيهِ عَشِيَّةٌ

وقال يصف أثر سيل :

أَمَّا وَمَسِيلٌ سَائِلٍ الْغَيْثِ كَالسَّطْرِ
وَقَدْ غَمَرَ الْقِيْعَانُ مَاءً^١ مُصْنَدَلٌ^٢
وَهَا أَنَا مَبْلُولُ الْجَنَاحِ مِنَ الْحَيَا
بِدَارٍ سَقَتْهَا دِيمَةٌ^٣ إِثْرَ دِيمَةٍ
فَعِنَ عَارِضٌ يَسْتَقِي ، وَمِنْ سَقْفِ مَجْلِسٍ

وَبَيْنَ الْكُرَى وَالْعَيْنِ فِيكَ حُرُوبُ
كَمَا اهْتَزَّ فِي مَسَرِّي النِّسِيمِ قَضِيبُ

تَجَدُّ^١ بِي الصَّهْبَاءُ فِيهِ وَالْعَبُّ
وَأَشْرَقَ فِي لَيْلِ الشَّيْبَةِ كَوَكَبُ
كَمَا اخْضَرَ يَنْدَى أَبْطَحَ^٢ طُلَّ مُعْشَبُ
رَيْنُ حَمَامٍ أَوْ غُلَامٌ يُطْرَبُ
وَذَيْلٌ عَلَيْهِ لِلْعَشِيِّ مُذْهَبُ
يُسَابِقُهُ مِنْ جَدَوْلِ الْمَاءِ أَشْهَبُ
بِهِ وَكَأَنَّ الطَّيْرَ يُسْقَى فِيْطْرَبُ
فَأَمَلِي وَجَالَتْ رَاحَةُ الْبَرْقِ تَكْتُبُ
لِيَوَاءَ^٣ خَضِيبُ أَوْ رِدَاءُ مُذْهَبُ

يَوْمٌ قَرَارًا دَائِرَ الْمَاءِ كَالْعَشْرِ
كَمَا تُنْرَعُ السَّاقِي الزُّجَاجَةُ بِالْخَمْرِ [١٧٢ب]
بَصُوبٍ وَمَذْعُورُ الْفَرَاخِ مِنَ الْوَكْرِ
فَمَالَتْ بِهَا الْجُدْرَانُ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ
يَغْنِي ، وَمِنْ بَيْتٍ يَمِيلُ مِنَ السَّكْرِ

١ ب م : طلبته .

٢ ب م : الصحيح .

٣ الديوان : السلافة .

إذا ما وهى ركنٌ فأهوى فأنى
فضيلتي بدارٍ من ديساركِ مُجَمِّلاً
ولرُبَّما انحدرَ النِّقابُ فأقمرًا
وقضيبَ بانٍ في وشاحكِ مُثْمِراً
وطويتُ من خيلِ الظَّلامِ مُعْبِراً
في شَمَلَةٍ ورَسِيَّةٍ وتأزراً
وقال يراجع ابن أبي الخصال ٢ :

أُمُّمُقامُ وَصَلٍ أُمُّ مَقامُ فِرَاقٍ
خَفَاقَةٌ ما بين نَوْحِ حَمَامَةٍ
عَبَثْتُ بِهِنَّ يَدُ النِّعَمِ سُحْرَةٌ
أَنسِنِي خُلُقَ الوَقارِ وَرُبَّما
ضَمًّا وَلثَمًّا وَاسْتَطابَةَ نَفْحَةٍ
فلو أن سَرَحَةَ بَطْنٍ وَاذٍ باللَّوى
لَنَثَرْتُ بِالْجَرَعِ عِقْدَ مَدَامِعي
فإِلَيْكَ يا نَفَسَ الصَّبَا فَلَطَلَا
ها إنَّ بي لِمَما يُؤرِّقُ ناظِري
فالقُضْبُ بين تَصافُحٍ وَعِناقٍ
هَتَفَتْ وَدَمِعَ غَمَامَةٌ مُهْراقٍ
فَوَضَعْنَ أَعناقاً على أَعناقٍ
أذْكَرْتَنِي بِمَوَاقِفِ ٣ العُشاقِ
وَحُفُوقِ أَحْشاءٍ وَفَيْضِ مَاقٍ
حَيَّتْهُنَّ تُصْغِي إلى مُشْتاقٍ
فَقَضَضْتُ حَتَمَ الصَّبْرِ عَن أَغْلاقٍ
أذْكَى نَدَاكَ حَرَّارَةَ الْأَشْواقِ
أَسْفَا فَهَلْ مِنْ نَافِثٍ أَوْ راقٍ

١ الديوان : مصنفه لا .

٢ سيترجم له ابن بسام في ما يلي من هذا القسم .

٣ ب م : بمواقف .

٤ الديوان : المأ .

سِرٌّ وادِعاً لَا تَسْتَطِيعُ قَلْباً هَفَا
وَإِذَا طَرَقَتْ جَنَابَ قُرْطُبَةٍ فَقِيف
وَالْتَمَّ يَدَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ عَنِ الْعَلَا
وَافْتَقُ بِنَادِيهِ التَّحِيَّةَ زَهْرَةً
كَالشَّمْسِ يَوْمَ الدَّجَنِ تَنْدَى مُجْتَنَى
وَاهْزُزْ بِهَا مِنْ مَعْطَفِيهِ فَإِنَّمَا
وَالنُّورُ يَرْقُمُ مِنْ بَسَاطٍ بِسِيطَةٍ
يُزْهِى بِأَعْلَاقِ الْمَعَالِي حَلِيَّةٌ
طَالَتْ بِهِ رُمُوحُ السَّمَاءِ بِرَاعَةٍ
مَا خَطَّ فِي غُرَرِ الْحَسَنِ وَضَاءَةً
مُغَرَّى بِأَغْرَاضٍ تَهْوُلُ بِرَاعَةٍ
أَقْسَمْتُ لَوْ أَخَذَ الْهَلَالُ كَمَالَهُ

بِحَنَاحٍ شَوْقٍ رَشْتَهُ خَفَاقٍ
وَكِفَاكِ^١ مِنْ نَاسٍ وَمِنْ آفَاقٍ
مُتَشَكِّراً وَاضْمُمُهُ ضَمَّ عِنَاقٍ [١٧٣]
نَفَّاحَةً تُغْنِي عَنْ اسْتِشْقَاقِ
ظِلٍّ وَتُحَسِّنُ مُجْتَلَى إِشْرَاقِ
شَعَشَعَتَهَا كَأَسَا بِيْئَمْنَى سَاقِ
وَالْغَيْمُ يَنْشُرُ مِنْ جَنَاحِ رِوَاقِ
إِنَّ الْمَعَالِي أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ
تَسْتَضَعِفُ الْجَوَازِءَ شَدَّ نِطَاقِ
حَتَّى اسْتَمَدَّ لَهَا مِنَ الْأَحْدَاقِ
وَرَفِيفِ أَلْفَاظِ تَشَوْقٍ رِفَاقِ
عَنْ لَتَمَّ تَمَامَ غَيْرِ مُحَاقِ

ومن نثره :

ها هو - أدام الله عزَّ عمادي - قد تجافى له عن صدرِ مَيدانه ،
وتَشَرَّفَ بِلِئَمِ أَرْدانه ، فاستقبلَ فُسْطَاطَهُ^٢ استِقبالَ إِهْلَالِ ، وَقَبَّلَ
بِإِسَاطِهِ تَقَبُّيلَ إِجْلَالِ ، وَأَقْسَمُ لَوْ تَحَمَّلَ حَاجِمًا ، وَتَمَثَّلَ نَجْمًا ،
لَمْ أَرْضَهُ ، حَتَّى يَهْبِطَ أَرْضَهُ ، وَيَقْضِي فَرَضَهُ ، جَوَابًا عَنْ نَثْرِ
تَرَدَّدَتْ فِيهِ بَيْنَ رَوْضَةِ وَغْدِيرِ ، وَتَلَدَّدَتْ مِنْهُ بَيْنَ أَرَاكَةِ وَغْدِيرِ^٣ ،
لَا أَعْدَمُ هُنَاكَ نَسْمًا رَطْبًا ، وَمَوْرِدًا عَذْبًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً

١ الديوان : فكفاك .

٢ ب م : بساطه .

٣ ب م : وغدير .

وأباً ، ونظم قد أخذ بمجاميع الأهواء ، وامتزج لطافة بالهواء ،
وحسبك من شعير يضاهي الشعريين^١ إشرافاً ، والشمس إبراقاً ، ويباهي
القمر اتسافاً ، والجوزاء انتسافاً ، يتغنّى به الشرب ، ويترنم الركب ،
فطوراً ينتشق مع العرّار بتلك الحمائل ، وثارة يعتنق مع
الطيب^٢ اعتناق الحمائل .

وأقرأ عليه سلاماً تندى به الرّمضاء ، وتتأنّس فيه الأعضاء ،
فتودّ المعاطيس لو فتق ميسكاً فيتنشّق ، وتتمنى السّوالف
لو نسق سلكاً فيستطوق .

ومن أخرى :

أوجهك بسام وطرفي باك وعدلك موجود ومثلي شاك
وتأبى اهتصامي في جنبك همّة تهزك هزّ الريح فرع أراك

وله في طريقة مهيار :

ويا بانة الوادي بمنعرج اللوى أتصني على شحط النوى فأقول
ويا نفحات الريح من بطن لعلع
ويا خيم نجد دون نجد تهامة
ويا ريم نجد والعوادي كثيرة
ألا رجعت تلك^٣ الشمال تحية
وجاذبي رياء العرارة ناسم

١ الديوان : الشعرى .

٢ ب م : الطيب .

٣ الديوان : عنك .

وهل بين هاتيك التلاع مُعرّسٌ
وهل باتتني عندي خيالك ليلةٌ
وفي مُلتقى تلك الظلالِ مَقيلٌ
ورَيحٌ يَهْطُنِ الوادِيَيْنِ بَليلٌ

وله :

وإني لأعشى موقِفَ البينِ والوغي
وإلاّ فهذا جَيْبٌ صبري ممزقاً
فتندى جفوني عبّرةً ويدي دما
بكفني وهذا صدرُ رجلي محطماً

وقال من قصيد مطوّل :

أما والشفات الرّوضِ عن زرقِ النّهرِ
وقد نسيتُ ربيعَ النّعامي فتنبّهتُ
وخدّرتُ فتاةً قد طرقتُ وإنما
لقد جئتُ دونَ الحيّ كلّ ثنيةٍ
وخصمتُ ظلامَ اللّيلِ بسودّ فحمةٍ
وجئتُ ديارَ الحيّ واللّيلِ مطروقٍ
أشيمُ بها برقَ الحديدِ ورُبّما
فلم ألقَ إلاّ صمّدةً فوق لامةٍ
ولا شئتُ إلاّ غرّةً فوق شفرةٍ
ودونَ طروقِ الحيّ خوضتُ فتكةٍ
نظمتُ في فرعٍ من النّقعِ أسودٍ
فسرتُ وقلبُ البرقِ يخفقُ غيرةً
وطار إليها بي جناحُ صبايةٍ
فقلتُ روّنداً لا تُراعي فلاننا
وسكنتُ من نفسٍ نجيشٍ مروّعةٍ

وأشرافُ جيدي الغُصنِ في حليةِ الزّهرِ
عيونُ التّدامي تحت رِيحانةِ الفجرِ
أُبعثُ به وكُفّرَ الحماصةُ ليصقُرَ
نعومُ بها نسرُ السّماءِ على وكُفّرَ
ودُستُ عرينَ اللّيثِ ينظرُ عن جمرِ
مُنمنمٍ ثوبِ الأفقِ بالأجْمِ الزّهرِ
عُثرتُ بأطرافِ الرّدينيّةِ السّمرِ
فقلتُ قضيبيّ قد أطلّ على نهرِ
فقلتُ حبيبُ يستديرُ على خمرِ
مورّسةِ السّربالِ داميةِ الظّفِرِ
وتُسفيرُ عن تحدٍ من السيّفِ محمّرِ
هناك وعَيْنُ النّجمِ تنظرُ عن شُرّ
فطار بها عني جناحُ من الدّعْرِ [١٧٤]
لشَطوى ضلوعِ اللّيلِ منّا على سيرِ
ومسّحتُ عن عِطْفٍ تمايلَ مزورٍ

وَمَزَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْهَا وَإِنَّمَا
وَقَبَلْتُ مَا بَيْنَ الْمُحْيَا إِلَى الطَّلِي
وَأَطْرَبَ سَجْعُ الْحَلِي مِنْ خَيْرِ رَأْنَةٍ
غَزَالِيَّةُ الْأَلْحَاطِ رَيْمِيَّةُ الطَّلِي
تَرْتَنُجٌ فِي مَوْشِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ
تَلْقَى نَسِيبي فِي هَوَاهَا وَأَدْمُعِي
وَقَدْ خَلَعْتُ لَيْلًا عَلَيْنَا يَدُ الْهَوَى
وَلَمَّا انْجَلَى ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
وَحُطَّ رِداءُ الْغَيْمِ عَنْ مُنْكَبِ الصَّبَا
صَدَدَتْ وَدُونِ النَّجْمِ سِتْرُ غَمَامَةٍ

ومنها :

عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَفِيضَ يَمِينُهُ
وَوَجْهُهُ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ لِيثَامُهُ
سَرَى بَيْنَ نَوَارٍ لِيَزُرُقِ أَسِنَّةُ
فَهَزَّتْ إِلَيْهِ عَظْفَهَا كُلُّ رَايَةٍ
وَحَنَّ إِلَيْهِ كُلُّ وَرْدٍ مَحْجَلٍ
يَحُولُ فَتَجْرِي فِي عَيْنَانِ بِهِ الصَّبَا
وَأَشْهَبَ وَضَّاحٌ تَحْمَلُ رُقْعَةً
تُحْطُّ سَطُورُ الضَّرْبِ يَوْمًا بِهَا الظُّبَا

رَفَعْتُ جَنَاحَ السَّيْرِ عَنْ بَيْضَةِ الْخَدَرِ
وَعَانَقْتُ مَا تَحْتَ التَّرَاقِي إِلَى الْخَصَرِ
تَمِيلُ بِهَا رِيحُ الشَّبِيْمَةِ وَالسَّكْرِ
مُدَامِيَّةُ الْأَلْمَى حَبَابِيَّةُ الشَّغَرِ
كَمَا اشْتَبَهَتْ زُهْرُ النَّجْمِ عَلَى الْبَدْرِ
فَمِنْ لَوْلَوْ نَظْمٍ وَمِنْ لَوْلَوْ نَثْرٍ
رِداءَ عِيَانٍ مَزَقَّتَهُ يَدُ الْفَسْجَرِ
مَشِيْبٌ بِفُودِ اللَّيْلِ طَالِعٌ مِنْ خَطَرٍ
وَنَمَّ عَلَى ذَيْلِ الدُّجَى نَفْسُ الزَّهْرِ
يَتَشَفُّ كَمَا شَفَّ الرَّمَادُ عَنِ الْجَمْرِ

وَأَلَا يَغْضُّ الْجَفْنَ جَفْنًا عَلَى وَتَرٍ
كَمَا شَفَّ رُقَاقُ الْغَمَامِ عَنِ الْبَدْرِ
حِدَادٍ وَأَوْرَاقٍ لِرَايَاتِهِ خُضْرٍ
تَهْزُ عَلَيْهِ الْغُصْنُ فِي الْوَرَقِ النَّضْرُ
كَأَنَّ لُجَيْنًا سَالَ مِنْهُ عَلَى تَبَرٍ
وَيَزْخَرُ فِي لَبْدٍ بِهِ الْبَحْرُ فِي الْبَرِّ
مِنْ الْحُسْنِ لَمْ تَعْرِ بِهَا الْعَيْنُ فِي بَشَرٍ
وَيُعْجِمُهَا وَخَزُ الْمُثَقَفَةِ السَّمَرِ

١ الديوان : بين .

٢ ب م : رفعة .

٣ ب م : يسر .

وتدرجُ منهُ السَّلمُ ما ينشرُ الوغى
وأدْهَمَ لولا أنَّه راق صُورةٌ
طويلُ سببِ العرفِ والعُنقِ والشَّوى
له غُرَّةٌ تستصحبُ النَّصرَ طاقمةٌ
أما وانتشارِ النَّقعِ عنه صَحيفةٌ
ونال تميمٌ سُوددَ الكهلِ في الصِّبا
وحَلَّتْ بهِ الأملاكُ وهي شريفةٌ
تَقَسَّمُهُ جودٌ يَفِيضُ وهيمَةٌ
فلو مَسَحَتْ يُمناهُ^٢ عن وجهِ لَيْلَةٍ
رَمَيْتُ بِأَمالي إِلَيْهِ وإنَّما
ولا أَمَلُ^٣ إلاَّ كِتابُ شِفاعَةٍ
وبي [مس شكوى] لا أَطِيقُ لها السُّرى
أبا الطَّاهرِ اقبَلْها إِلَيْكَ تحِيَّةٌ
خَلَعْتُ قَوافيها عَلَيْكَ وإنَّما
فَسُدْ وَطأ التَّيجانَ عِزًّا وذُودُ^٤ وَجُدْ
فصيح^٣ لسانِ السَّيفِ والضَّيفِ والنَّدَى

فطوراً إلى طيٍّ وطوراً إلى نَشْر
لما عَرَفْتَهُ العَيْنُ من لَيْلَةٍ الهَجَرِ
قصيرُ عَسيبِ الدَّيْلِ والأذنِ والظَّهْرِ [١٧٤ ب]

كفأكَ بها في سورَةِ الحُسْنِ من بشراً
لقد راع في تلك الصَّحيفة من حبر
فتمَّ تمامَ البَدْرِ في غُرَّةِ الشَّهرِ
مَحَلَّ لِيالي الصَّومِ من لَيْلَةٍ القدرِ
فَمِنْ مَنهَلِ غَمْرِ^٢ وَمِنْ جَبَلِ وعَرِ
لَحَطَّتْ قِناعَ اللَّيْلِ عن قَمَرٍ يَسْري
حَمَلْتُ بهِ المرعى الجديبِ إلى القطرِ
إذا الخطبُ أعياءَ وزرهُ شَدَّ من أُرْري
فإن لم أطأ بابَ الأميرِ فعن عذرِ
أَرَقْتُ عَلَيْها سُحرةً رونقَ السَّحرِ
نَظَمْتُ بها عِقداً نَقِيساً على نحرِ
رحيبَ فِناءِ المُلْكِ عالي يَدِ الأمرِ
رَفِيعَ مَنارِ القَدْرِ والدَّكْرِ والفخرِ

ومما تصرَّف به القول فيه من غزل إلى رثاء من قصيد :

أفي ما تُؤدِّي الرِّيحُ عِرفُ سلامٍ ومما يَشُبُّ البرقُ نارُ غَرامٍ
وإلاَّ فماذا أَرَجَ الرِّيحَ سُحرةً وأذكى على الأحشاءِ نارُ ضِرامٍ

٢ ب م : في .

١ الديوان : عشر .

٣ الديوان : طليق .

٤ الديوان : لفتح .

أما وجمان من حديث علاقة
لقد هزني في ربطة الشيب هزة
ورب ليال بالغميم أرقتها
يطول علي الليل يا أم مالك
ولم أدري ما أشجى وأدعى إلى الهوى
فقتضيتها ما بين رشفة لوعة
وأحسن ما التفت عليه دجنة
فليت نسيم الريح رقرق أدمعي
وعاج على أجزاع واد بني الغضا
مسحت له عن ناظري صباية
فيا عرف ريح عاج عن بطن لعل
بما بيننا بالحقف^١ من رمل عاج
تلدّد بدار القصف عني ساعة
وقل لي غمام الحف الأرض ذيله
أما لك من ظل يهرّد مضجعي
وأني ندّي أو برّد ظل ليمزنة
وقفت وقوف الشكل بين قبورهم
وأندب أشجى رنة من حمامة
مضوا^٢ بين واد للسماح ومشرع
ومنتصب كالرمح هزة عزة

يهزّ إليه الشيخ عطف غلام
أرتني ورائي في الشباب أمامي
لمرضى جفون بالفرات نيام
وكّل ليالي الصب ليل تمام
أخففة برق أم غناء حمام
وأنة شكوى واعتناق غرام
عناق حبيب عن عناق حسام [١٧٥]
خلال ديار باللوى وخيام
فصافح عني فرع كلّ بشام
وأقلل بدمعي من قضاء ذمام
يسجر على الأنداء فضل زمام
وفي ملتقى الأرضي يستفح شمام
وألدغ ندامها أعزّ سلام
فلف فجاءاً تحته بإكام
أما فيك من طل يهبل أوامي
على عقب أتراب رزئت كرام
أعظمها من أعظم ورجام
وأبكي فأقضي من ذمام رمام
وغارب عز في العلا وستام
وفتكة بأس واستواء قوام

١ ب م : بالخيف .

٢ الديوان : قضاوا .

وَمُنْصَلَّتِ كَالسَّيْفِ نُصْرَةً صَاحِبٍ وَضَحِكَةً بَشِيرٍ وَاعْتَزَّازَ مَقَامٍ
وَمُقْتَبِلٌ مُسْتَقْبِلٌ كَعَبَةِ الْعُلَا يُصَلِّي بِأَهْلِهَا صَلَاةَ إِمَامٍ
تَهْلُ لَهُ مِنْ عِفَّةٍ فِي طَلَاقَةٍ كَأَنَّ بِيْرُدِيَه هَلَالَ صِيَامٍ
وَمَا ضَارَهُ أَنْ يَسْتَسِيرَ لِعَالَمٍ إِذَا مَا بَدَأَ فِي عَالَمٍ لِيَتِمَامٍ
وله يصف كلباً مطوق العنق بالبياض ، وصفة طائر :

وَأَخْطَلَ لَوْ تَعَاطَى سَبَقُ بَرَقٍ لَطَارَ مِنَ النِّجَاحِ بِهِ جَنَاحُ
يَسُوفُ الْأَرْضَ يَسْأَلُ عَنْ بَنِيهَا فَتُخْبِرُ أَنْفَهُ عَنْهَا الرِّيحُ
أَقْبُ إِذَا طَرَدَتْ بِهِ قَنِصاً تَنْكَبُ قَوْسَهُ الْأَجَلُ الْمُتَّاحُ
أَضَلَّ بِرَأْسِهِ لَيْلٌ بِهِيمٌ فَشَدَّ عَلَى مُخْنَقِهِ صَبَاحُ
وَلَمَّا عَلِمَتْ رَغْبَتَهُ - فِي التَّمَاسِ الطُّيُورِ اللَّبْلِيَّةُ - وَاقْتَنَائِهَا ، وَتَحَقَّقَتْ
هَيْمَتَهُ فِي انْتِخَابِهَا [١٧٥ ب] وَانْتِقَائِهَا ، تَهَمَّتُ بِالْفَحْصِ عَنْ
أَفْرَهِهَا ، وَأَشْرَفَهَا صِفَةً وَأَشْرَهَهَا ، فَسَنَحَ مِنْهَا طَائِرٌ يُسْتَدَلُّ
بِظَاهِرِ صِفَاتِهِ ، عَلَى كَرَمِ ذَاتِهِ ، طَوْرًا يَنْظُرُ نَظَرَ الْخَيْلَاءِ فِي عِطْفِهِ ،
كَأَنَّمَا يُزْهَى بِهِ مِنْهُ جَبَّارٌ ، وَطَوْرًا يَرْمِي نَحْوَ السَّمَاءِ بِطَرْفِهِ ، كَأَنَّمَا
لَهُ هُنَالِكَ اعْتِبَارٌ . وَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ عَلَى قَنْصِهِ شَهَابًا ، وَيُلْوِي
بِهِ ذَهَابًا ، وَيَحْرِقُهُ تَوَقُّدًا وَالتَّهَابًا . وَقَدْ بَعَثَ بِهِ سَابِغَ الذَّنَابِ وَالْجَنَاحِ ،
كَفِيلًا فِي مَطَالِبِهِ بِالنِّجَاحِ ، حَمِيدَ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ ، حَدِيدَ السَّمْعِ
وَالْبَصَرِ ، يَكَادُ يُحَسُّ بِمَا يَسْجُرِي بِبَالٍ ، وَيَسْرِي مِنْ خَيَالٍ ، قَدْ
جَمَعَ بَيْنَ عِزَّةٍ مَلِكٍ ، وَطَاعَةِ مَمْلُوكٍ ، لَوْ سَبَكَ لَهُ النُّجْمُ قَنْصًا ، أَوْ
جَرَى بِذِكْرِهِ الْبَرَقُ قَنْصًا ، لَأَخْتَطَفَهُ أَسْرَعَ مِنْ لِحْظَةٍ ، وَأَطْوَعَ

١ ب م : به ابنه .

٢ اللَّبْلِيَّةُ : المنسوبة إلى مدينة لبابة (Niobla) وفي الديوان والمسالك : اللَّبْلِيَّةُ .

من لفظة ١ ، وانتسفه أمضى من سهم ، وأجرى من وهم ، قد
أقسم بشرف جوهه ، وكرم عنصره ، لا توجه مسفراً ، إلا
غادر قيصه معفراً ، وآب إلى مرسليه مظفراً ، مؤرد المخلب
والمنقار ، كأنما اختضب بحناء وكرع في عقار .

وله في صفة محك :

ومخطوط السواد كأن دمعاً جرى ودماً هناك على حداد
إذا التبت وجه الحكم يوماً قضى فمضى على وجه السداد
فأي بياض نعى ليس يعزى ليمشمل يسربال السواد
تكون فالتمحت به ضميراً دخیل السر ممدوق الوداد
يجيب وما سألت به سمياً ٣ فيا عجباً لإفصاح الجمداد

وله في معذر :

أقوى محل من شبائك أهل فوقفت أندب منه رسماً عافيا
مثل العذار هناك نؤياً دائراً واسودت الخيلان فيه أثافيا

وقال نظماً ونثراً ، يداعب غلاماً قد بقّل عذاره :

أيها التائه مهلاً ساءني أن تهت جهلاً
هل ترى فيما ترى إلا م شباباً قد تولّى

١ ب م : لفظة . . . لفظة .

٢ الديوان : نهج .

٣ الديوان : مجيباً .

٤ م ب : السائل .

وغراماً قد تسرّى وفؤاداً قد تسلى
 أين دمعٌ فيك يجري أين جنبٌ يتقلّى
 أين نفسٌ بك تهذي وضلوعٌ فيك تصلّى
 أيُّ ملكٍ كان لولا عارضٌ وافى فولّى
 وانطوى الحُسنُ فهلاًّ أجملَ الحُسنُ وهلاًّ [١٧٦]

أما بعدُ ، أيها النّبيُّ النّبيهُ ، فإنّه لا يجتمعُ العذارُ والتّيهُ ،
 كان ذلك وغُصْنُ الشّيبَةِ رطبٌ ، ومنهلُ ذلك المُقبِلِ عذبٌ ،
 وأما والعذارُ قد بَقِلَ ، والزّمانُ قد انتَقَلَ^٢ ، والصّبُّ قد صحّا فَعَقَلَ ،
 فقد ركدتْ رِيّاحُ الأشواقِ ، ورقدتْ عيُونُ العشاقِ ، فدعْ عنك
 من نظرةِ التّجنيّ ، ومِشيةِ التّثنيّ ، وغُصٍّ من عِنانِكَ ، وتُخَذِ في
 ترَضِي لإخوانِكَ ، وهشٍّ عند اللّقاء هَشَّةَ أُرْيَحِيَّةٍ ، واقنعْ بالإيماءِ
 رَجْعَ تحييةٍ ، فكأنّني بفنائِكَ مهجوراً ، وبزائيرِكَ مأجوراً .

وقال وقد طلع عليه القمر في بعض ليالي أسفاره ، فجعل يطرق في
 معنى كسوفه وإقامه ، وعله إلهاله تارة وسراره :

لقد أصحّتُ إلى نجْوَكَ من قَمَرٍ وبيتُ أدلِجٍ بين الرّعي^٣ والنّظرِ
 لا أجتلي لمحا حتّى أعْيِ مُلْحاً عدلاً من الحُكمِ بين السّمعِ والبصرِ
 وقد ملأتْ سوادَ العينِ من وَضَحٍ فقرّطِ السّمعِ قرطَ الأُنسِ من سمرِ
 فلو جمعتُ إلى حُسنِ مُجَاوَرَةٍ حُزّتَ الجمالينِ من خُبرٍ ومن خبرِ
 وإن صمتَ ففي مرّآكِ لي عِظَةٌ قد أفصحتُ ليَ عنها ألسُنُ العِبرِ

١ ب م : وولى .

٣ الديوان : الوعي .

٢ م ب : ابتهل .

تَمُرُّ من ناقصٍ حوراً ومُكْتَمِلٍ كوراً ومن مُرتقٍ طوراً ومنحدرٍ
فلن بكيتُ فقد يبكي الجليدُ فعن شجرٍ يفجر عين الماء في الحجر
ومحاسن الخفاجي كثيرة، وفي ما مرَّ منها كفاية، إذ لا يتسع هذا المجموع
لاستقصاء الغاية^١.

أخبرني أنه لما أقبل من صبوته، وطلع ثنية سلوته، والكهولة قد حنكته، وأسلكنه من
الارعاء حيث أسلكته، رأى^٢ أنه مستيقظ، وجعل يفكر في ما مرَّ من شبابه، وفي من
ذهب من أحبائه، ويبكي على أيام لوه، وأوان غفلته وسهوه، ويتوجع لسالف ذلك
الزمان، ويتبع الذكر دمعاً كواهي الجمان، ثم جعل يقول^٣ :

ألا ساجلٌ دموعي يا غمامٌ وطارحني بشجوك يا حمامٌ

وأخبرني أنه لقي عبد الجليل^٤ الشاعر بين لورقة والمرية، والعدو بليط^٥ لا يريم،
يفرع تلك الربي، ويروع حتى مهب الصبا، فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة
المساق، ويواليان أناشيد بديعة الاتساق، إلى أن طلع لهما الصباح أو كاد، وخوَّفهم تلك
الأنكاد، فقام الناس إلى رحالهم فشدوها، واقتدوا أسلحتهم وأعدوها، وساروا يطيطون

١ هذه جملة ختامية، ولا أدري كيف استمرت الترجمة بعد ذلك، ومما يبعث على الظن
بأن ما سيجيء إنما هو من زيادات بعض المعلقين أو النساخ ذلك الاتفاق مع القلائد المقيمان نصاً.

٢ القلائد : نام قرأى .

٣ القلائد : ثم استيقظ وهو يقول .

٤ يعني عبد الجليل بن وهبون وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة .

٥ م ب : بليط ؛ القلائد : يلبط ؛ ولييط أو ألييط (Aledo) حصن يقع بين لورقة
ومرسية، وهو الذي أطال حصاره يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني فأعجزه، وكان
ذلك من أسباب حنقه على ملوك الطوائف، انظر الحلل الموشية : ٩٤ وما بعدها .

وجلاً > وان رأوا غير شيء ظنوه رجلاً < ١ فمال إليه عبد الجليل وفؤاده بطير ، وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير ، فجعل يؤمّنه فلا يسكنُ فرَقَهُ ، ويؤنسه فيتنفس صعداء تثيرها حرّقه ، إلى أن مرّا بمشهدين عليهما رأسان باديان ، وكأنهما بالتحذير لهما مناديان ، فقال أبو اسحاق :

ألا ربّ رأسٍ لا تزاوَرَ بينه وبين أخيه والمزارُ . قريبُ
أنافَ به صلدُ الصّما فهو منبرٌ وقام على أعلاه فهو خطيبُ

فقال عبد الجليل :

يقول حذاراً لا اغتراراً^٢ فطلما أناخَ قتيلٌ بي ومرّ سليبُ
فما أتمّ قوله حتى لاح لهما قتام فانقشع عن سرية خيل ، كقطع الليل ، فما انجلت إلاّ وعبد
الجليل قتيل وابن خفاجة سليب ، وهذا من أغرب تقول ، وأصدق تفوّل .
وله^٣ :

خلدها يرنّ بها الجوادُ صهيلاً وتسيلُ ماءٌ في الحسامِ صقيلاً
بسامةٌ تُصبي الحليمُ وسامةٌ لولا المشيبُ لَسُمْتُها تقيلاً
مينٌ كُلٌّ بَنِيَتْ لَوُ تَدْفَقَ طبعهُ ماءٌ لَغَضَّ به الفَضاءُ مَسِيلاً
إليه ولم بين الجوانحِ غِلّةٌ لو كُنْتُ أنقَعُ بالعِتابِ غَلِيلاً
ما للصّديقِ وقِيَتْ تَأْكُلُ لَحْمَهُ حَيّاً وتجعلُ عِرْضَهُ مِندِيلاً
أقبَلْتَهُ صَدَرَ الحُسامِ وطلما أضفيتُهُ درعاً عليه طويلاً

١ زيادة من القلائد .

٢ ب م : اغتراراً .

٣ . كتب بها الشاعر إلى الفتح بن خاقان يماثبه لأذنه بلده أن الفتح ذكره في كتابه بقبيح ووصف أيام فتوته بشيء من التهديد .

٤ الديوان : الأريب .

٥ الديوان : عليك .

ماذا ثنأك عَن الثَّنَاءِ وَتَشْهِرِهِ بُرداً عَلَى الرَّسْمِ الْجَمِيلِ جَمِيلاً

ومنها :

واصحب وذِهْنُكَ من هَجِيرٍ لَا فِجْ ذِكْرًا كَمَا سَرَّتِ الْقَبُولُ بَلِيلًا
فلقد حَلَلْتَ مَعَ الشَّبَابِ بِمَنْزِلٍ يَرْتَدُّ طَرْفُ النَّجْمِ عَنْهُ كَلِيلًا
وبدعت لَا نَزْرَ المحاسِنِ مَجْلًا وَمَضَيْتَ لَا قِصَمَ الغَرَارِ فُلِيلًا
متدفقًا أَعْيَا العقولَ طَرِيقَةً فَكُنَّا رَكْبَ المَجَرِّ سَبِيلًا
يستوقفُ العُلَيَا جَلَالًا كُلَّمَا سَجَدَ الْيَرَاعُ بِكَفِّهِ تَقْبِيلًا
وسوَايَ يَنشُدُ فِي سَوَاكَ نَدَامَةً « يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَخَذْكَ خَلِيلًا »

وله ٢ :

خَلِيلِيَّ عُوجَا خَبَرَانِي فُديتُمَا عَلَى الحِلِّ وَالتَّرْحَالِ مَا صَنَعْتُ رِيًّا
أَجْدَّ كَمَا هَلْ بِالْعَقِيقَيْنِ مَنْزِلٌ لِمَهْضُومَةِ الكَشْحَيْنِ عَاطِرَةٍ رِيًّا
بَعِيشَكُمَا قَوْلًا لِنَجْدٍ وَأَهْلِهِ غَدَرْتُمْ وَفِيًّا رَدًّا حَبْكُمَا فَيَّا
فِيَا صَدَّ هُمٌ هَلْ مِنْ مَعِينٍ عَلَى الْجَوَى وَيَا بَعْدَهُمْ هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى اللُّقْيَا

وله فِي وَصْفِ وَرْدٍ نَثَرَ عَلَيْهِ نَوَارُ نَارِ لَيْلِج ٣ :

يُونْدِي أَنَسْ هَزَنِي ... (الآبيات)

وله فَصْلٌ مِنْ كِتَابِ ٤ :

وإنَّ كِتَابَكَ الْكَرِيمَ وَافِي ، فَأَهْدِي تَحِيَّةً ٥ ، هَزَنِي أُرِيحِيَّةً ، هَزَنٌ الْمُدَامَةُ

١ ب م : واصلح وذكرك ؛ القلائد : وذكرك .

٢ هذه الآبيات لم ترد في الديوان أو القلائد .

٣ قد مضت الآبيات ص : ٦١٨ وهذا التكرار متابع للقائد .

٤ القلائد : ٢٣٥ وهي موجهة إلى الفتح .

٥ القلائد : وفاني تحية .

تَتَمَشَّى^١ ، والحمامة تَتَغَنَّى ، فلولا أن يُقالَ صبا ، لالتَزَمْتُ^٢ سَطُورَه ،
وَلَتَمْتُ مَسْطُورَه ، وَمَا أَنْطَقْتَنِي صَبْوَه اسْتَقَزَّتَنِي ، فَهَزَّتَنِي ، ولكن فضلة راح^٣
فضل في كأسِ العلا تناولَتْهَا ، فكلَّما شَرِبْتُ طَرِبْتُ . فلولا تَوَقَّعَ غمرات^٤
الشَّيْبِ ، لابتَدَرْتُ شَقَّ الجَيْبِ ، ثُمَّ صَحَّتْ وَاطْرَبَاهُ ، وَنَادَيْتُ واحِرَّ قلباهُ .

وبعد ، فَإِنِّي من جُمِلَتِهِ على ما وقع مَوَقَّعَ القَطْرِ ، وَحَسَبُكَ تَلَجاً ، وطلع
طُلُوعَ هِلَالِ الفِطْرِ ، وَكفَّاكَ مَبْتَهَجاً . وما أَغْرَبَ [فيما أَرَبَ] عَنَّهُ من تَفْسِيرِ
حالِكَ ، وَتَفْصِيلِ حِلِّكَ وَتَرْحَالِكَ . ولا غَرَوُ أن تجدَ بك^٥ الرواحيلُ ، وتتهاداك^٦
المرَّاحيلُ ، فَمَا لِلتَّجَمِ أَحْيَاكَ مِنْ دَارٍ ، ولا في غير الشرفِ من مَدَارٍ ، فقع أنَّى شئت
وارتَع ، وطُرَّ حيثُ أَحْبَبْتَ أَوْ قَع ، فما انتضتكَ يدُ المِغْرَبِ ، إِلَّا ماضِي المَضْرَبِ ، ولا
تعاطتكَ أَقْطَارُ البِلَادِ ، إِلَّا طَيْبَ المِيلَادِ ، وما ضار أن نَعِيَ بِبَيْتِيكَ غَرَابَ ، وخَفَقَ^٧
بِرَحْلِكَ سَرَابَ ، إذ لم يَفْضُ من فَضْلِكَ اغْتَرَابَ ، ولم يَخْلُ بِنَصْلِكَ ضَرَابَ ، لا زلت
مُخَيِّماً بِمِزْلَةٍ عَزِيزٍ^٨ ، تجمع من امتناع^٩ في ارتفاع ، وامتناع في امتناع > بين إمرة
بغدان وممنة غمندان < .

وله :

يا نُزْهَةً^{١١} النَّفْسِ يا مُنَاهَا يا قُرَّةَ العَيْنِ يا كَرَاهَا

١ القلائد : تتمي .

٢ القلائد : للزمت .

٣ ب م : راح فضل ؛ الديوان : سور .

٤ الديوان : الشباب تناولته .

٥ الديوان : تَنَامَز .

٦ ب م والقلائد : تجذبك ، الديوان : تتجاذبك .

٧ ب م : وتنتهي تلك .

٨ ب م : ويخفق .

٩ القلائد : يجد .

١٠ القلائد والديوان : اتساع . ١١ ب م : منية .

أما ترى لي رضاك أهلاً
فاستدرك الفضل يا أباه
قسوت قلباً ولينت عطفاً
وهذه حالتي تراها
في رمق النفس يا أخاه
وعفت من تمرّة نواها

وله :

وأهيف قام يسقي
والسكر يعطيف قده
وقد ترحّح غصناً
واحمرت الكأس وردّه
وأهب السكر خدّاً
أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي
وكدت أشرب خدّه

وله :

يا ليل وجدي بينجدي
أما لطيفك مسرى
وما لدمعي طليقاً
والنجم الجوّ أسرى [١٧٧ب]
وقد طمى بحر ليل
لم يعقب المدّ حسراً
لا يعبر الطرف فيه
[غير] المجرة جسراً

فصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجاري^٢

من وادي الحجاره ، فردّ من أفراد العصر ، شاعر متصرف في النظم والنثر ، ولما انقرضت أيام ملوك الطوائف بالجزيرة ، وتسلبت الكساد على أعلاق الشعر الخطيرة ، خلع أبو حاتم بردّته . وسلخ جلده ، وأصبح

١ ب م : كسرا .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٣٦ وهو يقل عن المشهور . حيث ذكر أن أباه حاتم كان شاعراً .

شاعر ، خطيب ، ولبيب ، وحمامي ، انظر المسالك ١١ : ٢٧٧ ونسخ الطيبر ٢ : ١٠٠ .

بمحاضرة قرطبة صاحب [طَوَلَقِي] وَحَنْبِل^١ ، وجلس بين هاونٍ وَمُنْحَلٍ ،
 يأخذُ للصَّحَّةِ من المرض ، ويتكلَّمُ على الجوهرِ والعَرَضِ ، فقل في حُنَيْنٍ ،
 تكلم^٢ بلسانِ أحمدَ بن الحسين ، وانظر إلى البديع ، في مسلاخ جبريل بن
 بختيشوع ، كلُّ ذلكَ حرصاً على الحياة ، واحتياطاً لهذه الملابس والأقوات ،
 وخوفُ الرَّدَى آوَى إلى الكهفِ أهلهُ وكَلَّفَ نوحاً وابنهُ عَمَلَ السَّفِينِ^٣
 وفي ذلك يقول :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ قَرْطَبَةٍ كَأَنِّي أَمِيرُ جَبَايَةٍ أَوْ قَهْرْمَانِي
 فَمَالِي ضَيْعَةٌ إِلَّا ضَيْعَايَ وَتَصْرِيفِي لَهَاوُونِ الْهَوَانِ
 وَدَقِي شَحْمَ حَنْظَلَةٍ وَعَصْرِي حَشِيشَةٍ غَافٍ أَوْ أَنْجِدَانٍ^٤

١ الطولقي : وضع في Vocabulisto : ١٧٣ مقابل « طولقة » اللفظتين اللاتينيتين (Invercundia)
 (Vituperare) وقال في تفسير الثانية منهما (ص ٣٩) : وقبيح ، وقاح ، مطولقي ؛
 والمعنى الأصلي للفظتين يوحى بعدم الاكتراث فيما يتصل بالسلوك العام ، وربما كان في ذلك
 إشارة إلى الشهوة والمزادة . على المقاقير ، أو تشهير النفس بالجلوس على دكة .
 والحنبلي : نوع من البسط أو الحصر تطرح على مقعد أو على دكة (انظر ملحق دوزي)
 وقال ابن هشام في لحن العامة : ويقولون (أي عامة المغرب) لبعض البسط حنبلي . . .
 ووردت اللفظة في الزجل رقم : ١٣٧ من ديوان ابن قزمان (انظر مجلة معهد المخطوطات
 ٣ : ١٥٥) وانظر Vocabulisto : ٩٠ حيث وضع مقابلها لفظة Tapet .

٢ ط د س : يتكلم .

٣ البيت للمعري ، شروح السقط : ٩٢٢ .

٤ غافث : نبات يخرج قصبياً واحداً أسود صلباً وعليه ورق متفرق مشرف ، وقال ابن البيطار :
 قد كثر الاختلاف في هذا النبات بين الأطباء شرقاً وغرباً . . . وأهل أطباء شرق الأندلس
 يسمونه الزيمنده بمعجمة الأندلس ؛ أما الانجدان فهو ورق شجرة الخلتيت ، والخلتيت صنم
 ومنه نوعان أبيض ويسمى السرخسي ، وأسود منتن يخلط مع بعض الأدوية .

وشمسي وهي تملأ كل أنف^١ قوارير المياه من الصنآن
تجارة ذلة قرئت بنحس ونجم الشوم متّصل القرآن
لقد أضللت يا بقراط قوماً على بُعد الأوان من الأوان

وقوله : « قهرماني » [أراه] مما وهم فيه حين خاله منسوباً^٢ ، إنما هو
قهرمان ، يقال للوكيل ؛ وهو يجري بوجوه الإعراب .

ولما ابتدأت بتحرير هذا الكتاب^٣ ، وأنا يومئذ بقرطبة [سنة ثلاث
وتسعين] نظرت في مبهضات كانت عندي لأهل هذا الاقليم ، فلم أجده
لأبي حاتم فيها شيئاً من منشور ولا منظوم ، فاستهديت قطعة من أشعاره وما
عسى أن يتعلق^٤ بها من ملح أخباره ، وتكرّر عليه رسولي هنالك ، فمطلني
في ذلك ، فكتبت إليه رقعة أقول في فصل منها :

وقد تواتر عليك النبأ أني جمعت من الرسائل الأندلسية ، والأشعار
العصرية ، جملة موفورة ، لطوائف كثيرة ، ممن تحقق عندي أن حليته
التي تحلى بها من صوغ طبعه ، وحلله [التي] نشرها^٥ من نسج فكره ،
وأضربت ، عن من ارتبت ، إذ باعة الشعراء^٦ أكثر من عدد الشعراء ؛
ولما كنت أبا حاتم خاتمة أئمة هذا [١٧٨ أ] الشأن ، أحببت أن أجعل

١ ط د س : بطن كفي .

٢ ط د س : إذ أجراه على الانتساب .

٣ ط د س : في تصنيف هذا التأليف .

٤ ط د س : ونظرت . . . لم .

٥ ط د س : يتشبه .

٦ ب م : يتحلى . . . ينشرها .

٧ ط د س : ابتداعه للشعر .

كلامك واسطة هذا الديوان ، إلا أني رأيت لك من الامتناع ، بتلك الرقاع ، ما حدست عليك أنك قلت : هذا ابن بسام كما أخرجته الروم من بلاده ، وصفرت يده من طارفه وتلاده ، وقدم^١ قرطبة بقدم الضرورة ، على تلك^٢ الصورة ، يريد أن يشحذ^٣ المديّة ، في أبواب الكُدَيّة ، فاتخذ تأليف^٤ هذه الشذويع القلائد ، سبباً أن يسبي عذارى القصائد ، في حجر أربابها ، ويسلبها عن أصحابها ، حتى إذا قيّد لفظها ومعناها ، وجليّت عنده آثاها ، وقد أبعدت مَرَمَاكَ ، إن كنت ظننت بي ذاك ، وكلاً أبا حاتم ، فإنك لي لعين الظالم ، إن نسبني لهذا العجز ، وأني أحق أن أطيّل لسيف غيري الهزّ ، وقد شهدت الأَشْهادُ ، بتلك البلاد ، أن لي بديهة قوية ، تُوفي على الرويّة ، إلا أني أبا حاتم لا أجري في ميدانك ، ولا أعتدّ من أقرانك ، فسقى الله بلاداً أنجبتك وإن كانت حجازيّة ، فإن معانيك عراقية ، وألفاظك حجازية ؛ والله مدينة الفرج ، فلقد تحدثت منك عن أنموذج بيان ، تخلّى الطريق للجريان .

فلما وردته الرقعة ، زَمَّ عن الجواب قلمه ، وكلف الإيجاب قدّمه ، وورد من حينه عليّ^٥ ، ونثر مبيّضاته بين يدي ، [يقيمه الحجل ويقعد ، وقد صبغته كما صبغ اللجين العسجد] ، فمما تخيرت منها قوله يستهدي نبيلاً^٦ :

-
- ١ ب م : وقدم من .
 ٢ ط د س : على قدم ... بتلك .
 ٣ ط س : ربما شحذ .
 ٤ ط د س : تقييد .
 ٥ ب م : علي من حينه .
 ٦ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٦ .

يا سيدي والنهار تبصره^١ منسجمَ الدمع مطبق^١ الأفقِ
وعندي البدرُ قد خلوتُ به وفوق خديّ به حمرةُ الشفقِ
جاذبته الجبلَ فاستقاد وكم جريتُ جريَ الجَموحِ في الطلقِ
والحمرُ نعم القيادُ ، طائعة^٢ لشاربيها مسكيةُ العبقِ
وقد هزناك كمي توجهها^٣ في الشعرِ هزَّ القضيبيّ في الورقِ

وكان أبو الأصبغ البلنسيّ المتطبيب ربما قام في مجالس الأُنسِ ويخطبُ
بكلام غثٍ يُضحكُ به مَنْ حضر^٤ ، فخطبه أبو حاتم بهذه الأبيات :

قل للحكيم وقد هزرت مهنداً وجذبتَ عطفاً للندى هزّازا
يا نفحةَ الزهر الأنيفة سُحرةٌ أحرزتَ كلَّ فضيلةٍ إحرازاً
هل تشينك رقةٌ شاكتها فتفارقَ الهمّازَ واللامازا
أمتلي ريثاك فهل سمعتَ بشاعر قطع الصراطِ إلى رضاك وجازا [١٧٨ ب]
[ياليت شعري والجوائحُ كاسمها هل ترجعنَ بياذني أفرأزا]
حتى أراك وأنت حاملٌ قالسٍ^٥ وأرى يمينك حاملاً عكازا
وتقومُ في نادي النديم منادياً فعلَ الخطيبِ تعمّدَ الإيجازا
عمري لقد أنسيتَ يومَ نثرها ونظمتها الخطباءَ والرجازا
وأنشدني لنفسه :

١ ب م : مطلق .

٢ ط د س : العتاد سائفة ؛ المغرب : جامعة .

٣ المغرب : تجود بها .

٤ ط د س : يضحك به ويطرب .

٥ قالس : القلنسوة ، ويلبسها الفقيه في الأندلس إذا بلغ مرحلة الفتوى ، ويبدو أن أبا الأصبغ المتطبيب كان يحاكي بعض الفقهاء متندراً فيضحك من حوله .

وزائر زارني وقد هَجَعَتْ عيناىَ حتى تبلَّجَ الفجرُ
بكيتُ للقرب ثم قلتُ لسه من ثمرِ الوصلِ يُجَتِّى الهجر
وهذا يناسب قول القائل^١ ، وتنشد الأبيات لحسها ، ولكون هذا المعنى
فرعاً عن^٢ غصنها ، وهي :

وما في الأرضِ أشقى من محبٍّ وإن وجد الهوى حلَّوَ المذاقِ
تراه باكياً في كلِّ حالٍ مخافةَ فُرقةٍ أو لاشتياقِ
فتسخنُ عينُهُ عند التناهي وتسخنُ عينه عند التلاقي
فيبكى إن نأوا حدَّراً عليهم ويبكى إن دَنَوْا خوفَ الفراقِ

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة^٣ :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً عني بذاك الرضى بمغتبِطِ
علماً بأن الرضى سيعقبُهُ منكَ التجني وكثرةُ السَّخَطِ
فكلُّ ما ساءني فغنَّ خُلُقِي منكَ وما سرَّني فغنَّ غَلَطِ

وقال العباس بن الأحنف^٤ :

قد كنتُ أبكي وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ
إن تمَّ ذا الهجرُ يا ظالمٌ - ولا تمَّ^٥ - فمالي في العيشِ من أرب

١ ط د س : الآخر .

٢ ط د س : من .

٣ أخيار سعيد بن حميد وفضل الشاعرة في الأغاني ١٨ : ٨٩ ، ١٩ : ٢٥٧ وطبقات ابن

المعز : ٤٢٦ .

٤ د ط : سيقته .

٥ ديوان العباس : ٣٣ .

٦ الديوان : إن دام . . . ولا دام .

وأنشدني له من قصيدة أولها :

أرقتُ للامع^١ البرقِ اليماني
هلمّا نكتنفُ أكنافَ ليلٍ
ونركضُ في جوانبه فإني
خذا بي مأخذاً^٢ يُسلي وإن لم
وقولا في حديثكما لقلبي
رويدك إنها أنفاسُ نفسٍ
وقيتكما وهذا السهمُ يدمي^٣
سلاه لم أهلٌ يجمعُ خيفٍ
لقد بلغ الزبى هذا التصابي
بعيني منه بدرٌ تحتَ ليلٍ
ووجهٌ ياسميني^٤ وصُدغُ
عدائي أن أُجِيلَ إليه خطوي
وسمرُ أسنةٍ في نَقْعٍ ليلٍ
عليك به وفي يسرى يديه
يقلبُ خيزرانتَه بكفّي

فيا أخويّ من عبدِ المدانِ
وسّاعِ الجيبِ فضفاضِ اللّبانِ
أراه باركاً مُلقًى الجرانِ
تكن إلاّ أباطيلَ الأمانِ [١٧٩]
أما تنفكُ من حربٍ عوانِ
تصعدُ بين أحنامٍ حواني
برامٍ من بني ثعلٍ رمانِ
بنبلٍ جفونه حول الجمانِ
بقلي والتقتُ حلقُ البطانِ
أتت ستّ عليه إلى ثمانِ
خَلَوقي وثغرُ أقحواني
مجالٍ للضّرّابِ وللطعانِ
بدتْ كالنارِ في طُررِ الدخانِ
كليثِ ثنيّةٍ ثُنيا عنانِ
غلامٍ قدّه من خيزرانِ

ومنها في المدح :

بناني والضياعُ^٤ يهدُّ مني ويهدمُ مدّ بسطتُ له بناني

١ ط د س : لبارق .

٢ ب م : ماجداً .

٣ د ط س : يرمى .

٤ ب م : والصباح .

إلى ذي صفحة كالماء رقت وراقتُ فهي كالسيفِ اليماني
إذا لم استبدَّ به فإني كمن حملَ القناةَ بلا سنان

وله من أخرى في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن^١ وقد قتل من غزاة^٢ :

تراك غداة عاقدت الزمانا	أخذت عليه بالبشرى ضمانا
بلى قد كان ذلك فاستقادت	لياليه وعادت مهرجانا
حشدت محاسن الدنيا ليوم	وجدناه كوجهك ^٣ أضحيانا
أردت إشادة العليا فكانت	ورممت تجدد النعمى فكانا
وما حسنت سجايا الدهر حتى	قرئت بها سجاياك الحسنانا
لبان الحليم أريضت الليالي	فكيف تضيق ذرعاً أو لبانا
أخذت على الكماة الكر حتى	لكدت تعلم الكر الجبانا [١٧٩ب]
وأشرعت الأسنة وهي تحدو	رعال سوابق حكى الرعانا
تفحمها شذاتك وهي بكر	فكيف لقيتها حرباً عوانا
أتوا والجيش يقدمه فلان	فلا والله ما حمدوا فلانا
فديتكم من أخي دنيا ودين	أبت أحنأوه إلا حنانا
تحمل وهو يلعب حد ^٤ قلب	كما حملت مثقفة سنانا
أخطبه فيمتعني بلحظ	يرى سر القلوب به عيانا

١ أبو عبد الله محمد بن علي بن حمد بن (٤٣٩ - ٥٠٨) ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٤٩٠
وكان من أهل الجزالة والصرامة ، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي (انظر الصلة : ٥٣٩
وبنية الملتبس رقم : ٢٣٠ وقلاند العقيان : ١٩٢ وأزهار الرياض ٣ : ٩٥) .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ ط د س : كيومك .

٤ د ط س : حر .

وأجذبه إليّ ولست أدري أعطفاً عِطْفه أو خيزرانا
وله فيه من أخرى [أولها] ١ :
أت تختالُ عاطرةَ الديولِ وشمسُ الأفق تجنحُ للأُقولِ
يقول فيها :

أموقفنا بتوضح غبّ يومٍ على أكناف حوملٍ والدخولِ
وليلتنا وقد نشرت علينا ذوائبَ حالكٍ مُرخي السدولِ
لبسنا سَمَلٍ شملته ٢ ونبتنا
وعهدي بالرقيب وقد غشينا بغمز الحاجبين عن الرسولِ
مضتُ بشبابها الدنيا فمالي أقيمُ على رسومٍ من طلوعِ
أقولُ لمهجتي وعليّ منها سرايلُ المدلةِ والحمولِ
ردي دارَ الخلافةِ تستدرّي مواهبَ مثلِ حملاتِ السيولِ
وسيري ما استطعتِ إلى سميعٍ مُطيعٍ للالهِ وللرسولِ
إلى من بين فكيه لسانٍ وشقشقةُ كشقشقةِ الفحولِ
هجرتُ جنابَ قرطبةٍ ولكنّ جعلتُ إلى ابنِ حمدين قُفولي
فقيهُ ديانةٍ وسراجُ دنيا عليهمُ بالفروع وبالأصولِ
ألانَ المشكلاتِ وراضٍ منها فردّ حَزُونُها مثلَ السهولِ
أبا عبدِ الإلهِ إليك منّي جوانحَ جانحاتٍ للوصولِ
بعثتُ إليك عن سحر حلالٍ وبعضُ السحر من ثمرِ العقولِ [١٨٠أ]

١ أورد منها في المسالك أربعة أبيات .

٢ ب م : شمل سملته ؛ د ط : شمل شملتنا ؛ س : شمل شملته .

٣ ب م والمسالك : جمات .

أنجعة رائد الآمال هب لي رضاك ولقني وجه القبول
تطالعني الحوادث عن حدود مصعرة وعن أجفان غول
وها أنا والمحل جديب أرض وعندك ثرة الديمهمول
وقد سمرت لسان الحال عنها كما سفر الخضاب عن النصول

ومن شعره في الرثاء^١ : له [من قصيدة] في القاضي ابن أدهم ، أولها :

أما الأسى فعلي^١ منه تخايل^٢ نفس أصعده ودمع سائل^٣
من ناظري علي^٤ أعظم شاهد^٥ ومن العيون على القلوب دلائل^٦
في كل آونة إلى أفق الثرى شمس^٧ مغورة^٨ وبدر آفل^٩
خفض^{١٠} عليك فللحياة تقلص^{١١} هي نومة^{١٢} والعمر طيف^{١٣} راحل^{١٤}
مزجت^{١٥} لنا الدنيا بشهد^{١٦} ظاهر وبظهر ذاك دم^{١٧} الأفاعي القاتل^{١٨}
أقسمت^{١٩} بالحدث الذي أنا واقف^{٢٠} أرنو إليه ودمع جفني هامل^{٢١}
لو يعلم^{٢٢} البشر^{٢٣} المطيف^{٢٤} بأنه جبل^{٢٥} على كبد المكارم نازل^{٢٦}
لثموا جوانبه^{٢٧} وقد أرج^{٢٨} الهدى وتضوع^{٢٩} العليا وفاح^{٣٠} النائل^{٣١}
قلب^{٣٢} جفونك^{٣٣} في حدائق زهره^{٣٤} فمن الغمام على الرياض شمائل^{٣٥}
كالبحر^{٣٦} كان فنهته^{٣٧} منية^{٣٨} فغطت^{٣٩} به^{٤٠} ولكل^{٤١} بحر ساحل^{٤٢}
عصده^{٤٣} الهدى وسعى^{٤٤} إلى تأييده والزغف^{٤٥} نهر^{٤٦} والسيوف جداول^{٤٧}
وهدى^{٤٨} الأمير^{٤٩} إلى مناهج^{٥٠} قصده ومع^{٥١} الدلاء^{٥٢} على الميساه^{٥٣} حبائل^{٥٤}

١ ومن شعره في الرثاء ، وقع هذا عنواناً كبيراً في ط د س ، وأدرجت تحته مرثية في ابن أدهم ومرثية في ابن عبد الصمد ، وبذلك تنتهي الترجمة ؛ ولهذا تقع قصيدته في مدح ابن أبي سابقة لباب الرثاء في تلك النسخ .

٢ ط د س : مقورة .

٣ ط د س : زائل . ٤ ط د س : قطعت .

لم تُلْهِهِ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ دُونَهَا وَبِتَرَكٍ عَاجِلِهَا يُنَالُ الْآجِلُ

ومن أخرى في الفقيه عبد الصمد :

الآنَ أَدْرِجَتِ الْآمَالُ فِي كَسْفَنٍ	واليومَ فَرَّقَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسْنِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ جَلَّ الْخَطْبُ فِي رَجُلٍ	مَلَأَ الزَّمَانَ وَمَلَأَ الْعَيْنَ وَالْأَذْنَ
أَمَا وَقَدْ طُوِّبَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ لَا	وَاللَّهِ لَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى حَسَنِ
مَالِي كَرَعْتُ مِنَ الْبُلُوَى وَبِي ظَمَأٌ	إِلَى حَيَّاتِكَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَسَنِ [١٨٠ب]
أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ وَالْأَيَّامُ مُعْرَضَةٌ	مُعْرَضَةً لَزَمَانَاتٍ مِنَ الزَّمَنِ
يَا مُخْرِسِي وَقَدِيمًا كَانَ يُنْطَقُنِي	قَلَّدَ حَسَامَ [لِسَانِي] حَلِيَّةَ اللَّسَنِ
أَمَا السَّمَاءُ عَلَى أَرْضِي فَمُطْبَقَةٌ	تَشَابَهَ الضِّيقُ ^١ فِي سُرْبٍ وَفِي عَطَنِ
وَقَدْ تَبَلَّدْتُ لَا أَدْرِي وَكَانَ مَعِي	رَأْيٌ يَخْلُصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهْنِ
هَادَنْتُ فِيكَ هُمُومَ النَّفْسِ أَصْحَبَهَا	لَعَلَّهَا هَدَنَةٌ تُبْهِتُ عَلَى دَخَنِ
هِيَهَاتَ لَا أَنْتَ إِلَّا ^٢ وَاضِعًا لِيَدِي إِيَّا	يَمْنَى عَلَى الْقَلْبِ وَالْيَسْرِى عَلَى الدَّفَنِ
أَنْهَيْتَ مَالِكَ فِي تَقْوَى ذَخَرَتْ بِهَا	أُخْرَى بِأَجْرِ وَخَزُونًا بِمَخْتَزَنِ
يُنَآئِ الثَّنَاءُ فَتَسْتَدْنِيهِ مَرْتَحِصًا	لِجَوْهَرِ الْحَمْدِ بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ
تُعْطِي وَتَمْنَعُ فِي حَالٍ فَيَا عَجَبًا	عَرَضُ ^٣ مَصُونٌ ^٤ وَمَالٌ غَيْرُ مُحْتَجَنِ

ومن مديحه من قصيدة في ذي الوزارتين أبي جعفر بن أبي :

كَمْ بِالظَّعَائِنِ مِنْ ذَوَاتِ حِجَالٍ	هَيْفَ الْخُصُورِ رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ
عَهْدِي بَيْنَ ^١ وَهْنٍ يَطْوِينَ الْمَلَا	طَيِّبِينَ بَيْنَ النَّصِّ وَالْإِرْقَالِ
وَاللَّيْلِ كَالزَّنْجِيِّ تَحْسَبُ أَنَّهُ	كُرَّةٌ تَثَارُ بِصُوبِ لِحَانِ هَلَالِ
أُسْفَى لِأَيَّامِي ^٢ بِمَنْزِلَةِ اللَّوَى	وَزَمَانِنَا الْخَالِي بَذَاتِ الْخَالِ

٢ ط د س : لأَيَّامِ .

١ ط د س : حشابه الضير .

أَيَّامٌ نَمْرُحٌ تَحْتَ ظِلِّ شَبِيبَةٍ
 وَالْدَهْرُ يَمْزُجُ بِاتِّصَالِ حَدِيثِنَا
 مَالِي سِوَى كَنْفِ الصَّبَابَةِ بَعْدَهُمْ
 لَا هُمْ إِلَّا أَنِّي عَفِثْتُ النَّوَى
 ظَفَرْتُ يَدَايَ وَقَدْ يَثُتُ بِمَاجِدِ
 يَا مَنْ نَحَازِرُهُ وَنَرْجُو عَفْوَهُ
 هُوَ كَالْغِمَامَةِ أَوْ كَبَحْرِ سَاكِنِ
 وَالْأَرْضُ تَحْمِلُ أَهْلَهَا وَلِرَبِّمَا
 قُسِمَ الزَّمَانُ بِصَوْلِهِ وَبِقَوْلِهِ
 حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ فُضَاضَةً بِأَسَهِ

ومنها :

يَا مَنْجِدِي وَالْدَهْرُ يَغْمِزُ جَانِبِي
 كَيْفَ الْإِقَامَةُ بَيْنَ حَالَتِي ذَلَّةٍ
 مَاذَا^٢ تَرَاهِ وَأَنْتَ مَالِكُ عَزْمَتِي
 أَسْلَمْتُ نَحْوَكَ وَجْهَ آمَالِي فَهَلْ
 لِي لِأَعْلَمُ أَنْ شُغْلُكَ بِالْعَلَا

وله من أخرى :

وَأَبَايَ مِنْ شَادِنٍ جَمٍّ الدَّلَالِ خَرِقِ
 رَمَى بِقَوْسِي حَاجِبٍ قَلْبِي وَسَهْمٍ مَذَقِ

١ ب م : دمع سال .

٢ ط د س : مالي .

من لي به كعهدنا يوم الحمى بالأبرق
 وركضنا في ليلة تفتق مسك الأفق
 ونارنا قد نُشِرتْ طيَّ لسواء الأفق
 وابتسمت ضاحكة عن شفق في غسق
 يا ابن أبي الفتح وهل مفتاح باب الغلق
 الا يبدأ تخطها عن ورق من ورق

منها :

ردت جناحي ضافياً وطوّقت من عنقي
 مثلك لا يلقي امرؤ مؤمل ولا لسقي
 غريبة في مغرب وآية في مشرق
 بيت قريش بيته وأي شيء يتقي

ومن أخرى :

وأبأي من لحظ ذي غنة وشخت الحشا أهيف أملود
 طرّز فوق الورد من خده بالمسك من خيلانه السود
 مُستملح علواً ومُستحسن سيفلاً بتصويب وتصعيد
 ردف كحقف الرمل يرتج في قد كغصن البان مقدود
 بي ظمأ برح إلى صرفة تمطرها ماء العناقيد

ومنها :

رضيع درّ المجد في أسرة من معشر غر صناديد
 ما أحسن الدنيا وقد حلّيت منهم بحلي القادة الرود

وما ألدَّ العيشَ في ظلهم ما بين مخضودٍ ومنضود
وهاكها والسحرُ حليُّ لها وليدةٌ في بُزْدٍ توليد [١٨١ب]
ذاتَ قوافٍ شُرِّد ما بَدَت إلّا وصادتْ مُهَجَّ الصيد
حالي وإن لآحَ [لها] روثقُ حالُ شريدِ الدارِ مطرود
وربما يبيضُ وجهُ امرئٍ والنارُ في أحشائه السود
ويكتسي من وَرَمٍ حمرةً ما كلُّ توريدٍ بتوريسد

نظر فيه إلى قول القائل :

وقد يكتسي المرءُ حرَّ الثياب ومن تحتها حالةٌ مضنيه
كمن يكتسي خدَّهُ حمرةً وعلتهُ وَرَمٌ في الرية

وله من أخرى في القاضي ابن حمدين^١ :

هجموا وقد سَرَّتِ القِلاصُ الوحد والليلُ كالزنجيَّ أسحمُ أسود
والخاطفاتُ من البروقِ كأنها بيضٌ مؤلِّلةٌ تُسَلُّ وتغمد

ومنها :

يا صاحبيَّ وشدَّ ما علَّثما ووعدتما لو صحَّ ذاك الموعد
ما يصنعُ الصَّنُو الشقيقُ بَصْنوهِ ما يصنعُ القاضي الأجلُ محمد
هذا الذي لولاه أجذبَ مُخْصِبُ وتجلَّ البطحاءَ ليلُ أربد
يبني العلا ويهدُّ ركنَ عدوه فهو الزَّمانَ مهدِّمٌ ومُشيد
إنَّ العيونَ وقد قَرَّرنَ بعدله لثنامٌ وهو القائمُ المتهجد
ينأى ويُدنيه التواضعُ منزلاً فمقربٌ في حاله ومبعد

١ أورد العمري منها ٤ أبيات في المسالك .

فَرَّجَتْ يَا قَاضِي الْقَضَاةِ بَهْمَةً أَدْنَى مَرَاتِبِهَا السَّهَاءَ وَالْفَرْقَدَ
لَوْلَاكَ وَهِيَ مِنَ الذُّوَابِلِ هَزَّةٌ كَانَتْ قَنَاقَةً قِصَائِدِي تَتَقَصَّدُ
هِيَهَاتَ ، يَعْبِزُ عَنْ صِفَاتِكَ شَاعِرٌ وَلَوْ أَنَّهُ الْمُتَكَوِّفُ الْمُتَبَعَّدُ
خَذَهَا إِلَيْكَ وَقَدْ قَعَدْتَ بِمِرْصَدٍ وَالذُّ شَيْءٌ مَوْعَعًا مَا يُرْصَدُ
رِشْتَ الْقَرِيضَ وَقَدْ أُخِلَّ بِأَهْلِهِ عَدَمَ السَّمَاحِ وَخُطْبُ دَهْرٍ أَنْكَدُ
دَامَتْ لَكَ النِّعْمَى الَّتِي أَلْبَسَتْهَا تُبْلِي وَتُخْلِقُ بَرْدَهَا وَتَجِدُّ
وَجَمِيلَ ذِكْرِكَ يَا ابْنَ حَمْدَيْنِ عَلَى صُحُفِ الْمُحَامِدِ بِالشَّعَاءِ مُخَلَّدُ [١٨٢]

في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى الداني وسياقة جملة من متخير شعره^١

كان أبو بكر شاعراً يتصرف ، وقادراً لا يتكلف ، مرصوصاً المباني ،
ممتزجاً^٢ الألفاظ والمعاني ، وكان من امتداد الباع ، والانفراد بالانطباع ،
كسيف الصَّيقل الفرد ، توحد بالابداع وانفرد ، لو كانت له مادة^٣ تفي

١ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ٢١٣ والقلائد ٢ : ٢٤٥ - ٢٥٢ والمغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٦
والمعجب : ٢٠٨ - ٢٢٤ والتكملة : ٤١٠ والخريدة ٢ : ١٠٧ - ١٤٧ (ط .
تونس) والمطرب : ١٧٨ والوأي بالوفيات ٤ : ٢٩٧ والفوات ٤ : ٢٧ (ط . بيروت)
والزركشي : ٣٠٦ والمسالك ١١ : ٢٧٠ وصفحات متفرقة من نفح الطيب و Hist.
Abbadid. جمع دوزي ، وله موشحات في دار الأتراز وجيش التوشيح : ٥٩ - ٧٢ ؛
وقد ذكر ابن الأثير في التكملة أنه توفي بميوزقة سنة ٥٠٧ هـ ودفن إلى جانب أبي العرب
الصقلي ، وعدد من مؤلفاته : مناقب الفتنة وكتاب نظم السلوك في وعظ الملوك وكتاب سقيط
الدرر ولقيط الزهر .

٢ المغرب : منحق . ٣ ط د س : مدة .

ببيانه ، لكان أشعر أهل زمانه ، وكانت أمه امرأة برزة فارسة دكان ، وصاحبة مكيال وميزان ، وعلى ذلك فقد كانت امرأة صِدْقٍ ، وفي حرفتها - على ما بلغني - صاحبة حق ، مشغلة ببيع لبنها ، مقبلة على ما يعينها من حال زمنها ، حتى غلب اسم اللبن عليها ، ونُسِبَ أولادها به إليها ، وكانت لأبي بكر وأخيه [عبد العزيز] همة تعرضهما للصدور ، وتترامى بهما إلى معالي الأمور ، إلا أن أبا بكر كان أوسعهما في الأدب مجالا ، وأكثرهما على صنعة الشعر إقبالا ، ومال عبد العزيز إلى التجارة فحسنت طريقته ، وحُمِدَت خليفته ، وكان له مع ذلك أدب دل على نبهه ، وشعر يُستحسن من مثله ؛ إلا أنه لم ير ضه مكسبا ، ولا اتخذهُ إلى أحدٍ من الملوك سببا ، فذهب عن أكثر الناس ذكره ، ومات قبل موته شعره .

وأما أبو بكر فتردد على ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس ١ تردداً القمير في المنازل ، وحل من ملوكها محلّ الحلي من صدور العقائل ، يسحب على دولهم ، ويقلب الطرف بين خيلهم وخوتهم ، وخيم آخر ٢ في ذرى المعتمد بن عبّاد إذ كان أصدقهم نوءاً ، وأبههم في مطالع السّودر ضوئاً « فلما نبت صيادته ، وأعوزته من دهره اسعاده ، وصار إلى المغرب ، وحل فيه محلّ < النازح > المغرب ٣ ، وغدرت الأيام غدر أهل خراسان لقتيبة ، وقى له بالرحلة إليه وفاء الظعينة لعتيبة » ٤ ؛ فلما

١ ط د س : الطوائف بأفقتنا .

٢ ط د س : آخرأ .

٣ ب م : المضطرب .

٤ قتيبة بن مسلم الذي فتح مناطق ما وراء النهر ثم قتلته تميم عندما تولى سليمان بن عبد الملك

زال مُلكُهُ ، وانتثر سِلْكُهُ ، وتقلّصَت حواشي ظِلِّهِ ، وأنكره أكثرُ أهله ،
 وَقَدَّ عليه أبو بكر وفادةً دلَّتْ [١٨٢ ب] على أنَّ كَرَمَ العَهدِ كما
 كان ، وأن الوفاءَ لم يدرس رَسْمُهُ حتى الآن ، فنازعه بُوسَتُها ، وعاطاه
 كؤوسَتُها ، ومدحه للوفاءِ ، بأحسنَ مما مدحه للغَناءِ ، حتى كأنَّ عبدَ
 الجليل إنما نطق بلسانه ، وأعرب عن شانه ، حيث يقول :

قضى الله أني في الثناءِ عليكمُ زيادٌ وأنّي في الوفاءِ قصيرٌ^١
 وقد أشار إلى ذلك هو من مذهبه ، حيثُ يقولُ في شعرٍ مدحه به ، وقد
 تقدم لإنشاده في أخبار ابن عباد :

جذيمةُ أنتَ والزبأُ خانتَ وما أنا من يقصّرُ عن قصيرِ
 وقد جمعتُ من أشعاره ، ومستظرفِ أخباره ، وأضفتُ إليها من
 سائر ملحِه^٢ ، وأوصافه ومِدَحِهِ ، ما يدلُّ على وفائه ، ويشهدُ ببراعة
 ذكائه .

= الخلافة سنة ٩٧ ؛ أما عتيبة فلعله عتيبة بن الحارث بن شهاب فارس بُني يربوع ؛ وما
 بين أقواس هو نص القلائد .

١ زياد : النابغة الذبياني ، ووفاء قصيرٍ لجذيمة مشهور .

٢ د ط س : وقد أثبت من سائر ملحِه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال يتغزل^١ :

بدا على خدّه عذارٌ في مثله يُعذّرُ الكئيبُ
وليس ذاك العذارُ شعراً لكنما سرُّه غريب
لما أراق الدماءَ ظلماً بدتْ على خدّه الذنوب

وهذا كقول عبد الجليل المرسى من شعر تقدم إنشاده :

فَطَوَّقَهُ الزمانُ بما جناهُ وعلّق من عذاريه الدّنوبا

وقال^٢ :

يا شادناً حلّ بالسوادِ مِن لحظِ عيني ومن فؤادي
وكعبةً للجمال طافت من حولها أنفُسُ العباد
ما زدّني في الوصالِ حظاً إلاّ غدا الشوقُ في ازدياد
أعشى سنا ناظيريكَ طرفي فليس يلتدُّ بالرقاد

وقال^٣ :

بدا على خدّه خالٌ يزيّنُه فزادني شغفاً فيه إلى شغفِ
كأن حبة قلبي حين رؤيته طارت فقال لها في الخدّ منه قفي

١ وردت الأبيات في المغرب والمسالك .

٢ انظر المغرب ٢ : ٤٠٩ - ٤١٠ .

٣ ورد البيتان في المغرب والمعجب .

وقال ١ :

يروقلك في أهل الجمال ابن سيّد كترجمة راقته وليس لها معنى
حكى شجر الدفلاء حسناً ومنظراً فما أحسن المجلى وما أقبح المجنى

وقال ٢ من قصيدة في المتوكل عند قدومه من بلاد الجوف ، وقد
أوقع بقوم بها من الجنّة ، أولها ٣ :

مضيت حساماً لا يُفلّ له غرْبُ وأبت غماماً لا يُحدّ له سَكْبُ
وأصبحت من حاليك تقسم في الورى هبات وهبات هي الأمن والرعب [١٨٣]
وقد كان جوف القُطر كالجوف يشتكي سقاماً فلما زرتّه زاره الطبّ
رغا فوقهم سقب العقاب فأصبحوا نشاوى من البلوى كأنهم شرّب
ويا لسجّادٍ تحتهم مستقرة من الدّهم لاجرد حكتّها ولاقُب
إذا أمسكوا منها الأعنة خلّتهم يُكبّون خوفاً أنها بهم تكبو
وصيّابة لما عصوك بينهم دماؤهم حِلّ وأموالهم نهب
ملأت جدوع النخل منهم فأصبحت بهم كرحال شدّ من فوقها قتب
فلا مقلة إلاّ وأنت لها سنا ولا كبد إلاّ وأنت لها خلب
ولله يوم الأوب منك كأنه وحيد من الأيام ليس له صحب
ولما زأوك استقبلوك بأوجهٍ عليها سيمات من وداك لا تحبو

١ انظر المغرب .

٢ ط د س : وله .

٣ من هذه القصيدة ستة أبيات في المغرب وبيتان في النفع ٤ : ١٥٦ .

٤ ب م : جذب .

٥ ط د س : فيهم .

٦ ط د س : أنهم بهم ركب .

وما لوالا^١ إلى التسليم فوق جيادهم
ففضّوكَ ما قضّوا وهم للعلا ردا
كتائبُ نصيرٍ لو رميتَ ببعضها
وما هي إلاّ دولةٌ مسلميّة^٢
كرمتَ ولا بحرٌ حكاك ولا حيا
وأوليتني منك الحميلَ فواله
وله من أخرى فيه يعائبه :

نبا يبيدي حسام^٣ من رضاكا
فيا صرّفتَ الزمان ويا دُجاه
يقينُ رضاكَ لم ألْبَسَهُ حتى
وكيف يقيمُ عندك مَنْ رَمَتْهُ
فلا ناديكَ يحضرُهُ لأنس^٤
وما قلقتَ ركابي عنك إلاّ
وما ذنبُ الفراق على محبّ
تجاوزَ فيك ودّي كلّ حدّ
ولو جازيتني قدّر اعتقادي
ولو يؤتني مناه نُورُ طرّفي
فوافتني النوائبُ عند ذاكا^٥
وقد صرّفتَ جفوني عن سناكا
أفضتَ عليّ من شكّ شكاكا
خطوبُ الدهر في أعلى ذراكا
ولا في وقتِ تأميلٍ يراكا
وقد حلأت رائدها حِمَاكا^٦
حويتَ وداده ووطى قلاكا^٧ [١٨٣]
ولكنّ التجاوزَ ما أطباكا
لنلتُ بكَ المجرةَ والسماكا
لما أوّما إلى أحدي سواكا

١ ط د س : فمالوا .

٢ مسلميّة : نسبة إلى جد بني الألفطس عبد الله بن مسلمة .

٣ ط د س : وفهت .

٤ بعد هذا البيت في ط د س : يقول فيها ، مع حذف البيت الثاني .

٥ ط د س : حباكا .

٦ ط د س : وحوى .

ثناك عن القبول عليّ واشٍ
وأعجبُ كيف حالتُ منك حالي
فكيف أثمتَ في تعذيب قلبي
أطعتَ عليّ من لا ميتٌ حتى
محا حسنات قصدي وانقطاعي
فجنتبَ ماءً^١ بشرك عن جنابي
ووفرَ رائي قبلَ ارتحالي

ولكنْ عن هياتِكَ ما ثناكا
ولم تدرِ السّامةَ من حلاكا
وما عقيدتُ على حُوبٍ حُبّاكا
أرى مثواه مَتَوَى من عصاكا
ببيئَةٍ أقام لها دراكا
ونفّرَ طيرَ حظّي من رباكا
كأنَّ به استدلَّ على غناكا

عرّضَ في هذه القصيدة بأبي الحسن بن الأستاذ ، وكان ولاء عمر بن محمد ببطلوس^٢ خبطة الاشراف ، فقطعَ جرايةَ جملة من الأضياف ، وكان يلقَّبُ بالمتنبي ، ويغضبُ إذا سمعَ هذا اللقب ، فقال فيه أبو بكر الداني :

معشرَ الأضياف ضجّوا قد أتى الدهرُ بآيةٍ
قد أتاكم بنبيٍّ شرَّعهُ قَطْعُ الجرايه

فطار هذان البيتان فيه ، وكانا السبب في أن نكب .

وقال فيه أبو محمد بن عبدون :

يا أيها المتنبيّ من أرضِ وادي الحجارةِ
وعِرْضُهُ من زجاجٍ ووجْهُهُ مِن حجاره

وفيه يقول أيضاً من أبيات :

أيا نبيَّ الكفرِ خفْ سطوةَ تأتيك من فِرْعَوْنِكَ المسلمِ

١ ب م : من .

٢ ط د س : ولاء المتوكل ببطلوس .

ومن قصيدة أبي بكر المتقدمة الذكر :

وَهَبَهُ أَطَاقَ عَنْ مِثْوَالٍ صَرَفِي أَيْقَدِرُ صَرَفَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكَ
وَأَنْ تَكُ مَرَّةً عَثَرْتُ جِيَادِي فَمَا قَدِمْتُ مِنْ سَبَبِي كَفَسَاكَ
وَلَوْ كُلَّ السَّهَامِ أَصَابَ قَصْدِي لَمَا كَلْنَا إِلَى الْأَقْدَارِ ذَاكَ
وَقَالُوا لَيْسَ لِي أَدَبٌ سَنِيٌّ لَقَدْ زَعَمُوا مَعَ الْغَيْبِ اشْتَرَاكَ
وَهَلْ قَذَفَ الْجَوَاهِرَ غَيْرُ بَحْرِي فَحَتَّى كَمْ يُطِيقُونَ ابْتِشَاكَ [١٨٤أ]
سَتَعْلَمُ بَعْدَ سِيرِي أَيَّ عِلَاقِي لِأَجْيَادِ الْعَلَا نَبَدَتْ يَدَاكَ
وَأَيُّ شَذَا أَبَيَّتْ لَهُ ابْتِشَاقًا وَكَانَ نَسِيمُهُ بِالْحَمْدِ صَاكَ

وكان أبو بكر هذا قد رَحِبَ ببطيوس مثواه ، وأجزل صاحبها قراه ،
إلى أن ملَّ وارتحل ، واجتمعتُ به بعدُ بقرطبة ، فأُشْدِنِي لِنَفْسِهِ وَقَدْ نَدِمَ
عَلَى فِرَاقِ بَطْلِيُوسٍ ١ :

رَضِيَ الْمُتَوَكِّلُ فَارَقْتَهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ بَطْلِيُوسُ لِي جَنَّةً فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ
ثُمَّ وَجَدْتُ أَبَا عَامِرَ بْنِ الْأَصْبَلِي قَدْ أَثْبَتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي شِعْرِهِ بِخَطِّهِ ،
وَقَدْ بَدَّلَ بَعْضَ اللَّفْظِ فَقَالَ فِي صَاحِبِ الْمَرِيَةِ ٢ :

جَنَابُ ابْنِ مَعْنٍ يُجَنَّبُهُ فَلَمْ يُرْضِنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ مَرِيَّتُهُ ٣ جَنَّتِي فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ

وهذا المعنى قد تقدم للقائل قبلهما من شعراء الدولة العامية :

١ البيتان في الحريدة والبغية .

٢ انظر نفع الطيب ٤ : ٩ حيث ورد البيتان منسوبين للنحلي البطليوسي .

٣ ب م : بمريسة .

عَوَّضْتُ مِنْ قَرُطْبَةٍ يَابُورَةٍ تِلْكَ لِعَمْرِي كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
كَأَدَمٍ حِينَ عَصَى رَبَّهُ عَوَّضَ بِالْدُنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
وَقَالَ الْفُكَيْيْكَ فِي مِثْلِهِ :

لَهْفِي عَلَى بَغْدَادَ مِنْ بَلَدَةٍ كَانَتْ مِنَ الْأَسْقَامِ لِي جُنَّةٌ
كَأَنِّي عِنْدَ فِرَاقِي لَهَا آدَمُ لَمَّا فَارَقَ الْجَنَّةَ

[رَجَع]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي آلِ عِبَادٍ :

وَقَفَ الْفِرَاقُ أَمَامَ عَيْنِي غَيْهَبًا فَفَعَدْتُ لَا أَدْرِي لِنَفْسِي مَذْهَبًا
يَا مُوقِدًا بِجَوَانِحِي نَارَ الْأَسَى رِفْقًا فَمَاءُ الدَّمْعِ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى
نَبْتَ الصَّبَا فِي صَحْنِ خَدَّكَ رَوْضَةً لَوْ لَمْ يَدْبِ الصَّدْعُ فِيهَا عَقْرَبَا
وَكِفَاكَ حَبْسُ الْحَسَنِ نَوْعِيهِ فَمَنْ بَرَدٍ أَذِيبَ وَمَنْ عَقِيقٍ أَهْبَا

[وَمِنْهَا] :

أَعَدَدْتُ مِنْ تَجْنُحِ الدَّجَنَةِ جُنَّةً وَتَخَذْتُ مِنْ خَطْفِ الْبَوَارِقِ مَرْكَبَا
وَذَهَبْتُ أَطْلُبُ حَيْثُ يَنْبُعُ النَّدَى فَوَجَدْتُ فِي كَفِّ الرَّشِيدِ الْمَطْلَبَا [١٨٤ ب]
مَلِكٌ غَدَا مَعْنَى غَرِيبًا فِي الْعِلَا وَغَدْتُ بِهِ الْأَيَّامَ لَفْظًا مُعَرَّبَا
أَجْلَى مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُنْتَضَى صَفْحًا ، وَأَمْضَى مِنْ ظُبَاهُ مَضْرِبَا
حَاوَرْتُهُ فَلَقَطْتُ مِنْهُ جَوْهَرًا وَنَظَرْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ كَوْكَبَا
رَطْبُ اللِّسَانِ كَأَنَّ فِي أَلْفَاظِهِ رَاحًا مَعْتَقَةً وَشَدْوًا مَطْرَبَا

١ ط د س : مِنْ قَصِيدَةِ أَوْطَا .

يَلْقَى الكَمَاةَ فَتَشْنِي مَدْعُورَةً فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ يَمُرُّ عَلَى هَبَا
 رَاقَتْ عَلَى عُلْيَاهُ آدَابُهُ فَكَأَنهَا زَهْرٌ تَفْتَحُ فِي رَبِي
 تَلْقَى بِكُلِّ مَكَانَةٍ يَسْعَى بِهَا عَيْنًا مَفْجَرَةً وَمَرَعَى مَخْصَبَا
 يَهْبُ الدِيَارَ الْمُسْتَقَرَّةَ ، وَالْهَضَا بَ الْمُسْتَقْلَّةَ ، وَالْبَسِيطَ الْمَعْشَبَا
 وَالسَّابِرِيَّ مَضَاعِفًا ، وَالسَّمْهَرِيَّ مَثْقَفًا ، وَالْمَشْرِفِيَّ مَشْطَبَا
 وَالْجَيْشَ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ مُؤَيَّسَدًا وَالْخَيْلَ فِي وَهَجِ الْكَرْيَةِ شُرْبَا

وهذا كقول أبي بكر بن عمار من شعر تقدم لإنشاده :

يَخْتَارُ إِذْ يَهْبُ الْخُرَيْدَةَ كَاعِبًا وَالطَّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحَسَامَ مُعْجَوْهَرَا
 [وله من أخرى في المعتمد^١ :

يَا رَبُّ رَبَّةٍ خِدِرْ زُرْتُ مَضْجَعَهَا مِنْ مَكْنِيٍّ وَالْجِي الْغَرِيبُ مَعْتَكُرُ
 ضَمَمْتُهَا ضَمَّ مُشْتَاقٍ إِلَى كَبْدِي حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْحِلِيَّ مَنْكَسِرُ
 تَعَجَّبْتُ مِنْ ضَنِي جَسْمِي فَقُلْتُ لَهَا : عَلَى هَوَاكِ ، فَقَالَتْ : عِنْدِي الْخَبَرُ
 ومنها :

لَا غُرُو أَنْ يَتَسَمَّى غَيْرَهُ بِعُلَا وَمَا لَهُ فِي الْعَلَا رَأْيٌ وَلَا نَظَرُ
 وَقَدْ يُسَمَّى سَمَاءً كُلُّ مُرْتَفَعٍ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ حَيْثُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 ومنها :

كَمْ جَاعِلٍ قَصْرِي عَيْبًا أَعَابُ بِهِ وَهَلْ يَضِيرُ طَوِيلَ السَّاعِدِ الْقَصْرِ
 لَمَّا تَنَاهَيْتُ عِلْمًا ظَلَّ يَنْقُصُنِي عِنْدَ الْكَمَالِ يَصِيبُ النَّيْزَ السَّرَرُ

١ . ورد بمض أبياتها في المغرب والمساك والخريدة .

وفي الغراب إذا فكرت مُغْرِبَةً
 ان ضَعْتُ والشعر بما قد علمت به
 فالجودُ كالمزنِ قد يسقى بصيِّبه
 أبثك البثَّ عن قلبٍ به حُرِّقُ
 ان لم اكنَ أهلَ نَعْمَى أرتجيك لها
 كلني إلى أحدِ الأبناءِ يُنْعِشني
 قد طال بي أقطعُ البیداءِ متصلاً
 كأنما الأرضُ مني غيرُ راضيةٍ
 إن الهمومَ مع الأعمارِ ماشيةٍ
 جُدْ بالقليلِ وما نَزُرُ تجودُ به
 من فرطِ إِبصاره يُعْزَى له العور
 ونال جودَكَ أقوامٌ وما شعروا
 شوكُ القتادِ ولا يُسقى به الزهر
 وليس عن غيرِ نارٍ يرتمي الشرر
 فالسلكُ خيطٌ وفيه تنظم الدرر
 ما لم يكنْ لي بحرٌ فليكنْ نهر
 وليس يُسْفِرُ عن وَجْهِ المني سَفَر
 فليس لي وطنٌ فيها ولا وطر
 لا ينقضي الهمُّ حتى ينقضي العمر
 يا ماجداً يهبُ الدنيا ويعتذر

قوله : « وفي الغراب إذا فكرت مغربة » أذْكَرَ به بيتين لبشار أدقَّ
 معانها ، وألغز سيماهما ٢ ، وهما :

تُخَبِّرني طيرُ الفراقِ بسيرةٍ أباركُ يا طيرَ الفراقِ مبيرُ
 تسميتِ عوراءٍ وأنتِ بصيرةٌ ألا ليتني أعمى وأنتِ بصير

قوله : « ولا يُسْقَى به الزهر » . . . البيت ، كقول الخليل بن أحمد ٣ :

١ المغرب : إن لم يكن منك بحر .

٢ ط : مسماها .

٣ ظنه من أبيات الخليل كتبها إلى سلمان بن علي (أو سليمان بن حبيب) حين أرسل إليه يستدعيه لتأديب أولاده ، وهي تتردد في مصادر كثيرة ، انظر مثلاً أخبار النحويين البصريين : ٣١ وابن خلكان ٢ : ٢٤٦ وانهاء الرواة ١ : ٣٤٤ ؛ وفي اللسان (طبخ ، دندن) أن البيت لحسان بن ثابت ، وهو من قصيدة في ديوانه ١ : ٣١٤ وروايته « لا طبأخ لهم » .

والمال يَغْشَى أناساً لا خلاقَ لهم كالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدُّنْدَنِ الْبَالِي^١
وأخذه أبو تمام فقال^٢ :

لا تنكري عَطلَ الكريمِ من الغنى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكانِ العالي
وكرَّره في موضع آخر فقال^٣ :

نزلوا منزلَ^٤ الندى وذراه وَعَدَدَتْنَا عن مثلِ ذاكِ العوادي
غيرَ أنَّ الرُّبى إلى سَبَلِ الأذ واءِ أَدْنَى والحظُّ حظُّ الوهاد
وقلب بعض أهل عصرنا هذا المعنى فقال :

حسبي من المال أغراهم وغيرهم علمٌ تنبيهٌ به الأقلامُ والصحفُ
والحزنُ إلاَّ يَكُنْ والأمرُ مشتبهُ^٥ فيه الغديرُ فتمَّ الروضةُ الأُتُفُ

وقوله : « فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر » يشبه قول بعضهم :

وإن لم أكن أهلاً لما قد سألته فقد عطَّلوا اليمنى وقد حَلَّوْا اليسرى

ويتعلق بذيل هذا المعنى قول الجزي^٥ :

ان البنانَ الخمسَ أكفاءُ معاً والحليُّ دونَ جميعها للخنصرِ

١ الدندن : ما يلي واسود من النبات والشجر .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٧٧ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٣٦٤ .

٤ الديوان : مركز .

٥ يعني عبد الملك بن ادريس الجزي ، وبيتته هذا من قصيدة له في الآداب والسنة كتب بها إلى

بنيه وهو مسجون (انظر الجذوة : ٢٦٢) .

وقال أبو العلاء^١ :

ومن فضل ذي كُسيَّت خائماً يروق^٢ وعُرِّيَت البينصر^٣

وقوله « كم جاعل قصري » . . . البيت ، كقول الآخر :

لا يقتضي بي صغاراً عندكم صِغري فالسهمُ يصنعُ ما لا تصنعُ الخدمُ^٤

وقال الداني من أخرى^٥ :

ألقاهم^٥ والظبأ ما دونهم^٥ فأرى
جاروا على الريح فاستعلت رماحهم^٥
وضاعفوا حلق الماذي فوقهم^٥
بدائع الحسن لم تؤت حقيقتها
ويح المحبين مما بالهوى فُتِنوا
لا تؤت نصحك مفتوناً بمذهبه
لم آت من جهة النعمى إلى أحد
ولا لمحت ابن عباد بناحية^٥
ملك^٥ يُضيء ويبيدي منظرأ وندى^٥
عذب المناجاة ما في نطقه خطل^٥
يُعِدُّ للأمر قبل الأمر واجبه^٥

أني على صُور في المساء أطلع^٥
دون المهب فما للريح متسع
ألا ترى من سناهم بيننا لمع
لغيرهم فلذا أفعالهم بدع
ظنوا النصائح فيها أنها خدع
فما لأعمى بضوء الصبح منتفع^٥
إلا تمكن لي في قلبه ولسع
إلا حسبت عمود الصبح ينصدع^٥
والجو محلوك والغيث منقشع
وطاهر الذات ما في طبعه طبّع
كأنه كاهن فيه لما يقع

١ شروح السقط : ١٠٩٢ .

٢ السقط : يزين .

٣ وردت منها أبيات ستة في المسالك .

٤ ب م : أوت .

٥ قبل هذا البيت في د ط : ومنها .

ولن^١ يضيقَ له ذَرَعٌ بِمُعْضِلَةٍ ، فالبرّ والبحرَ في حوْبائه يسع
من سرّ لحمٍ ولحمٍ حيث ما شهدت تقدّمت وبنو العليا لها تبع
قومٌ يوالفُ سيماهم^٢ طهارتهم كأنهم بطباع المزن قد طبعوا
يا وارثَ المجد عن شمّ غطارفة بهم أنوفُ الخطوب الشمّ تجتدع
ان كان مجدك شعراً في نفاسته فإنما أنت بيتٌ فيه مخترع
وهذا كقول أبي الطيب^٣ :

ذُكِرَ الأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ البَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُبَيَّاتِهَا
وكذلك بيته المتقدم حيث قال « فما لأعمى بضوء الصبح^٤ منتفع » ،
من قوله^٥ :

وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلمُ
وكرر أبو بكر هذا المعنى وتصرّف فيه ، وكثيراً ما يولع بترديد ألفاظه
ومعانيه ، كقوله :

ومن يسدّ عليه الضوءَ بأصره^٦ فليس ينفعه أنّ الضحى بادِ
وكان أبو بكر قد حضر في غزاة يوم الجمعة^٧ المتقدمة^٨ الذكر^٩ فلما

١ ب م : ولم . ٢ ط د س : نعماهم .

٣ ديوان المتنبّي : ١٧٤ من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن صمران .

٤ ب م : الشمس . ٥ ديوان المتنبّي : ٣٢٣ .

٦ ط د س : ناظره . ٧ يعني غزوة الزلاقة .

٨ ط د : المتقدم .

٩ ط : المذكور .

ورد حضرة اشبيلية وتعذر عليه رؤية^١ المعتمد كتب إليه شعراً قال فيه :

يا مَنْ عليه من المكارم والعلا بُرْدٌ بتطريزِ المحامدِ مُعَلَّمٌ^١
هل نظرةٌ تُوحِي إليَّ ، وعطفةٌ تَنْدِي عليَّ ، ورأفةٌ ترحم
وعسى أراكَ بحيثُ ينبعثُ^٢ الندى ولقد رأيتك حيثُ ينبعثُ الدم
قد كنتُ في أرضِ الوغى أجني الردى وأنا بروضِ^٣ الجودِ لا أُنسَمُ
ما كان بينَ يديكَ غيري والظبا متلفعاتٌ والقنا متحطَّمُ
قد رِشتني سهماً فَرِشني طائراً وكما نفدتُ فإني أُنرَمُ

وكتب أيضاً إليه [في ذلك] بشعر قال فيه^٤ :

أحدثُ عن يومِ الوغى ملءَ منطقي وأسأل عن يومِ النّوالِ فأسْكُتُ
وأراه ألمٌ في هذا المعنى ، وإن لم يكن به ، بقول أبي العتاهية في عمر بن
العلاء^٥ :

يا ابنَ العلاءِ ويا ابنَ القرمِ مرداسِ إني امتدحتك في صحيّ وجلاسي
أثني عليك ولي حالٌ تكذبني في ما أقولُ فأستحيي من الناس
حتى إذا قيلَ ما أعطاك من صَفَدٍ طأطأتُ من سوءِ حالٍ^٦ عندها راسي

وقال الآخر :

١ ورد هذا البيت في المغرب .

٢ د : يبعث .

٣ ط : بأرض .

٤ انظر البيت في المغرب ٢ : ٤١١ .

٥ ديوان أبي العتاهية : ٥٦٨ .

٦ د : حالي .

فاختر لنفسك ما أقولُ فإنني لا بدّ أخبرهم وإن لم أسألِ

وقال ابن زيدون من شعر قد تقدم إنشاده^١ :

وأيّ جوابٍ منك ترضى به العلا إذا سألتني عنك السنةُ الحفل [١٨٥ ب]

وقوله : « قد رشتني سهماً . . . » البيت ، معنى مشهوراً موضعه ،
باهرٌ مّطلعه ، فأخذه أبو بكر فنقله نقلاً مّليحاً ، وزاد فيه إحساناً صريحاً ،
والذي نبهه عليه قول المعريّ^٢ :

وحالاً كـريش النسر بينا رأيته جناحاً لشهمٍ آصّ ريشاً على سَهمٍ^٣

ومن شعر أبي بكر في صاحب ميورقة قصيدة أولها :

خلعتُ عذارِي في عذارٍ على خدّ حكي خُصرةَ الرِيحانِ في حمرةِ الوردِ
صقيلٌ كمثلِ السيفِ أخضرٌ مثله يبيتُ ولكن من فؤادي في غمدِ
ومما شجاني شكلُ شاريهِ الذي تمثّلَ قوساً مثل مَبْسِمِهِ البردِ
كفاني أنّي بالزبرجدِ أَشتكي فقد صار لي قُفلاً على الدُرِّ والشهدِ
يقرّ بعيني أن أزورَ كناسه ولو كان مخفوفاً بضارية الأسدِ
ويُقنّعي سعدي* لدى ناظرِ العلا وإن كان لي في كل وادٍ بنو سعدِ

ومنها في المدح :

١ ديوان ابن زيدون : ٢٧٣ وفيه « وأين جواب » .

٢ شروح السقط : ٩٤٩ .

٣ حالاً : منصوبة بفعل « شكوت » في بيت سابق ؛ والشهم : الطائر للشهم الفؤاد .

٤ ط د : من

٥ ب : شعدي ؛ م : شعري .

هو الدهرُ في تصريفه لصروفه
 خصيب نواحي^١ الفضل يضحك كله
 فقل في أياديه رياضية^٢ الذرى^٣
 إليه ، وإلاّ قيّدوا قدم السرى
 يطالع عن صبح ، وينهل عن حياء
 وعنه أفيضوا إنه مشعر العلاء
 وألغوا حديث البحر عند حديثه
 يؤثر في الأفلاك من بُعد غوره
 تخصصت أحياناً بلخم ويعرب
 ولما حلت الناصرية أقبلت
 وثقت به ضيفاً على رغم حاسدي
 سكنت له حتى أرت^٤ وإنما
 تقيسني الأعداء في مهجاتها
 وتحسب في عودي لياناً وإنه
 عهدت مع الفتح الكواسر طائراً
 ويا عجباً من جهل كل فراشة
 وأيقظ من صلّ خلقت وها أنا

فمن جهة يحيي ومن جهة يردى
 عن المكرمات السببط والحسب الجعد
 وقل في معاليه هضابية المجد
 وفيه ، وإلاّ أخرسوا منطق الحمد
 ويخطف عن برق ، ويقصف عن رعد
 وحوليه طوفوا إنه كعبة القصد
 فكم بين ذي جزر وكم بين ذي مد^٥
 كتأثير نور الشمس في العين الرمد
 وظهرت أحياناً بغسان والأزد^٦
 إليك وفود الشعر وفداً على وفد
 كأني وقف ضاق منه على زند [١٨٦]
 كمت كمون النار في حاجر الزند
 كمن قاس في أوداجه ظبة الهند
 لفي السر من نبع وفي الجهر من رند
 وها أنا مشاء مع النعم الربد
 تعارض مصباحي ليحرقها وقدي
 يسامرنى^٦ من ظل أنوم من فهد

١ ط د س : نوال .

٢ ط س : الندى .

٣ سقط هذا البيت في ط س وجاء في موضعه : ومنها .

٤ ط د : ربت .

٥ ط د س : أريت .

٦ ط س : يسايرني .

شكرتك عن ودّ وليس مركباً
وفيك جرعتُ الذلّ ، والعزّ عاذتي
من الشكر إلاّ من بسسيطٍ من الحمد
فلي شيمَةُ المولى ولي شيمَةُ العبد
وله فيه وقد طاف به ألم :

شكا لشكواك حتى الشمس والقمر
وراحت الريح لا يذكوا لها عبق
وقلص الظل في فصل الربيع لنا
والماء غاص لنا غيضاً فما نبعت
والسحب صاحبتها ذعر فما نشأت
ومعدن الدر والياقوت غيض به
وحل بالطيب في دارين دائرة
يومان غبت فغاب الأُنس أجمعه
يا ناصر الملك إن الملك وجهه علا
إبلال جسمك أهدانا بليل صبا
وبات دُرّ الدراري الزهر ينتثر
وأصبح الروض لا يندى له زهر
فكادت الأرض بالرمضاء تستعر
عين ولا سال في بطحائها نهر
ولا استهل لها فوق الرّبي مطر
فلم يُصَبّ فيه من أحجاره حجر
فظل يُمسك عنها مسكها الدفر
وأَيّ أنس إذا ما غبت يُنتظر
وليس غيرك فيه السمع والبصر
فعاد عهد الصبا واستبشر البشر

وسُعي^٢ به إلى ناصر الدولة وبُغي ، وتُبيد حق نباهته وألغي ، فلم يَرع انقطاعه ،
ولا جازى إحسانه وإبداعه ، وكانت عادته في غير ما طارء ولا ضيف ، النفي أو
السيف ، فلم يُفتَح مع أبي بكر في إحداهما باب ، ولا أغبّه جزع وارتباب ، فكتب
إليه يستصرخه^٣ ، فقال^٤ :

عسى راقّة في سراح كريم أبُلُّ ببرد نداء الغليلا [١٨٦ ب]

١ ط د : يدرى .

٢ من هنا يتفق النص مع القلائد : ٢٤٩ ، ولم يرد في د ط س .

٣ القلائد : يستصرخه .

٤ انظر القلائد والمغرب ٢ : ٤١٣ .

وعسلي أراح من الطالبين
ومن بلد الغيث في بطن واد
أفر بنفسي وإن أصبحت
فأسكن للأمن ظلاً ظليلاً
وبات فلا يأمن السيولا
ميورقة مصرأ وجدواك نيلاً

وله يمدحه ١ :

عرج بمنعرجات واديهم عسى
اطلبهم حيث الرياض تفتحت
مثل وجوههم نجوماً ٢ طلعا
وإذا أردت تنعماً بقدودهم
بأبي غزال منهم لم يتخذ
ليس الحديد على لجين ٣ أديمه
وأتى يجر ذواًباً وذواًبلاً
لا ترهب السيف الصقيل بكفته
رام العدا علي عليه ففتهم
وفككت بغيمهم ففزت وهكذا
وإذا وصلت إلى الأمير مبشراً
تلقاهم نزلوا الكتيب الأوعسا
والريح فاحت والصبح تنفسا
وتخيل الحيلان شهباً كتسا
فاهصر بنعمان الغصون الميسا
إلا القنا من بعد قلبي مكنسا
فعمجت من صبح توشح حنديسا
فرأيت روضاً بالصلال تحرسا
وارهب لعاذله العذار الأملسا
والنجم ليس بممكن أن يلمسا
فك الصحيفة خلص المتلمسا
فاجعل بساطك في ثراه السلسا

وكان ٤ بينه وبين الوزير أبي القاسم زمام ائتلاف ، ومعاطاة سلاف ، فلما دخل ميورقة
تجدد دارسه ، وعادت آجاماً مكانسه ، وكان أبو بكر يظن أن هذه الموات تنفقه وإن
كسد ، وتخلصه ولو حصل في هوات الأسد ، ولم يعلم أن لا جديد لمن لم تخلقه الأيام ولم
تبله ، ولم يسمع : « وجدت الناس أخبر ثقله » ؛ فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ،
ورأى من قعود أبي القاسم عنه ما أنكر ، هب من غفلته ، واحتال في تفلته ، فلاذ بالفرار ،

١ القلائد والمغرب والحريدة : ١٣٤ .

٢ المغرب : بدوراً .

٣ ب م : الحديد ، والتصويب عن القلائد والمغرب .

٤ القلائد : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

وعاذبني حماد بحكم الاضطرار ، وجعل يستنزله من هناك ويستعطفه ، ويداريه ويستلطفه ،
ليمنّ باعادته ، وصرفه إلى عادته. ، فمن ذلك :

نسيمك حتام لا ينبري وطيفك حتام لا يعتري [١٨٧أ]
أعيلك من عرض أن تكون وأنت الذي كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحصى وأيامنا بدوي^١ الأعصر
ألا رافة من وفيّ كريم ألا عطفة من سنيّ^٢ سري
رمى زحل فيّ أظفاره وحل فداعني^٣ المشتري
عطاردهل لك من عودة فأرجع منك إلى عنصر
سيشتاقي الملك مهما أراد لباس نسيج من المفخر
ولو أن كلّ حصاة تزين ما جعل الفضل للجوهر

ولمّا^٤ نوى الانفصال ، خاف الانتهاب والاستئصال ، فأراد أن يكتم ذلك القرار ،
ويطوي إعلانه في الاسرار ، وخشي أن يفتن لخروجه^٥ ، ويطلع عليه من خلال فروجه ،
فعزّم على مصادعة بعض الإخوان ، ومطالعة < ما > في ذلك الخوان ، فكتب إليهم :

أقول تحية وهي الوداع خداعاً لي وما يغني. الخداعُ
أعلل بالمنى قلباً شعاعاً وهل يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وأشدو «أضاعوني وأي فتى أضاعوا»^٦
إذا لم يرع لي أدب وبأس فلا طال الحسام ولا البراع
لقد باعتني الأيام^٧ بنحساً وعهدي بالخائر لا تباع

١ كذا هي أيضاً في القلائد ولعل الصواب : بلوى .

٢ ب م : سري .

٣ ب : يداعني .

٤ القلائد : ٢٥١ .

٥ ب : بخروجه .

٦ صدر بيت للمرجي ، وعجزه « ليوم كريمة وسداد ثغر » .

٧ ب م : العلماء .

أجفتني^١ فلم ينبت ربيع^٢ وحطنتي فلم يثبت يفاع
ومكّنت العدا مني فعائت^٣ ، بلحمي ضعف ماعاث السباع

وقال يخاطب ناصر الدولة مردعاً وعائباً :

سلام على المجد يندى بليلاً كنشر الربى بكرة وأصيلاً
سلام وكنت أقول الوداع ولكن أدرج قلبي قليلاً

وله عند خلع المعتمد^٤ :

أستودع الله أرضاً عندما وضحت
كان المؤيد بستاناً بساحتها
في أمره الملوك الأرض^٥ معتبر
نبيكه من جبل خرّت قواعده
ما سُدَّ موضعه^٦ ، ألرزق^٧ سُدَّ به
بشائر الصبح فيها بدلت حلماً
يُسجني النعيم وفي حافاتها فلماً [١٨٧ب]
فليس يفتّر ذو ملك بما ملكا
فكلّ من كان في بطحائه هلكا
طوبى لمن كان يدري أية سلكا

وله فيه من أخرى^٨ :

أخذت عليك مسالك السلوانِ حَدَقُ^٩ المها وسوالف الغزلانِ
يقول فيها :

زمن^{١٠} المشيب زمانة^{١١} ولربما زادتك فيه خيانة الإخوانِ

١ ب م : أخافتني .

٢ انظر القلائد : ٢٤ والنفح ٤ : ٢٧٤ .

٣ القلائد والنفح : الدهر .

٤ هذه القصيدة في مدح مبشر صاحب ميورقة ، وهذا يدل على أن الاقتباس من القلائد قد فصل بين نصين متصلين في الذخيرة ، راجع قصيدته السابقة « خلعت عذارى في عذار على سعد » أما هذه القصيدة الوثنية فقد وردت منها أبيات في المغرب والمسالك .

٥ ط : زيادة .

زادوا جفاءً فانتقصت مودةً
أنا مثلُ مرآةٍ صَقِيلٍ صَفَحُها
كلِّماءٍ ليس يُرِيكَ من لونٍ سوى
وهذا مثل قول الآخر^١ :

أنا كالمرآة ألقى كلَّ وجهٍ بمثاليه

ومن المدح :

ملك إذا عقد الغنائر^٢ للوغى
وإذا غدت ربابته منشورةً
ضبطت الأمور ثقافةً فأعادها
عضت على الأملاك دولته به
ولقلمها يتقري الحسامُ ضريبةً
والدرعُ ليست جنةً ما لم يكن
عن ناصر الأملاك حدثٌ واطرح
من قومه العربُ الأولى خيماهم
حدثت إلى أرماحهم مهجُ العدا
يمنيةً حُجزاتهم فلذلكم
يخفي المكارم وهو يوقد نارها
ويجيءُ نوعُ بنائه بغريبةٍ
تروي الربى والشمسُ في السرطان [١٨٨أ]

١ البيت لابن الرومي كما في التمثيل والمحاضرة : ٣٠١ .

٢ ب م : المعائد ؛ ط د س : المغائر .

٣ ط : تبن .

فعلت بآمالي عوارفُ كفه
 أسدى إليّ من الصنائع مثلما
 يا منشيءَ العلياءِ بعد مماتها
 الأرضُ حاجتها إليك بطبعها
 عالج بسيفك ما وراءَ بحورها
 لا تشغلنك خدعةٌ فلربما
 والخبرُ يجلو كلَّ شيءٍ مثلما
 ثُرُ ثورةَ السفاحِ^٢ تصفرُّ بالعدا
 عجباً لأعيادِ أتمك ثلاثة
 الفتحُ عيدٌ والعروبةُ مثله
 فكأنَّ نجمَ المشتري في سَعده
 ملأ البسيطةَ فيه جُنْدُك كثرةً
 هَلَلَتْ صُبْحَتَهُ بِنِيَّةٍ مخلصٍ
 خذها إليك نسيجَ شكرٍ حاكه^٣
 كلمٌ هو السحرُ الحلالُ وما أرى
 يا حاقراً قَدري وقَدري فَوَقَهُ
 عبتم رطوبةَ منطقي فكأنكم
 وجهلتم أن القلادةَ لؤلؤ
 أنا شمسكم، إن لحتُ غبمٌ، أو أغب

ووردت على الأمير مبشر بن سليمان بميورقة قصيدة من نظم أبي المظفر

٢ ب م : الصفاح .

١ ط د س : أصعب .

٣ ط د : حاكها .

البغدادي ، أولها ١ :

هو طيفُها وطروقُهْ تعليلُ فمَتى يَفي لك والوفاءُ قليلُ
وكانَ زَوَرَتَهْ تخيُّلُ بارق فتَقَت به النكباءُ وهي بليـل
فالقدُّ من مَرَح الصِّبا متأوِّدُ واللحظُ من تَرَفِ النعيمِ عليلُ [١٨٨ب]
والخصرُ مما خَفَّ جال وشاحُهْ قلقاً وما وارى الإزارُ ثـقيل
أقصرُ من الإدلالِ فهو على النوى ما دام يجلبُهْ الدلالِ دليل
ودعِ الوشاةَ فكلُّ ما يحكونه عند اللقاء يُزيـلُهْ التأويل
ووراءَ وصلكمُ القصيرُ زمانُهْ هجرُ كما شاء الغيورُ طويل
لو دام قبلكمُ اجتماعُ لم يدقْ ألم < التفرُّق > مالكُ وعقيل^٢
ومنها :

فرحلتُ والنفسُ الأبيَّةُ حرَّةُ والعزمُ ماضٍ والحسامُ صقيل
بقصائدٍ قستِ الليالي واكتست منها فرقَتُ بكرةُ وأصيل
خَضِلَتْ بدجلةَ والعراقِ ذيولها فاهتزَّ من طربِ إليها النيل
فأقمتُ حيث العزُّ أبلغُ والندى جمُّ وظلُّ المكرماتِ ظليل
سمحُ وإن كثر العفاةُ بماله وبماءِ أوجُهٍ سائليهِ بخيل
ومسدَّد العَزَماتِ لا يغتاها خطبُ كما اعتكر الظلامُ جليل
ويصيبُ أعقابَ الأمور إذا ارتأى عفواً ، وآراءُ الرجالِ تـفـيـل
وإذا الوغى حَدَرَ الكمأةُ لثامهْ ومشى بسرِّ المشرفي صليل^٣

١ د ط س : قصيدة من مصر ليمض أهل العصر أولها ؛ ولم ترد هذه القصيدة في د ط س .
٢ مالك وعقيل نديما جذية الأبرش ، وكان يضرب بهما المثل في التلازم ، وقد ذكرتهما الشعراء
كثيراً ، فمن ذلك قول أبي خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلاً صفاء مالك وعقيل
٣ لم يحى جواب « إذا » في ما يلي من أبيات .

ورماحه تُوجِّنَ من هام العدا
من معشرٍ لهم السماحةُ شيمةٌ
نَفَضَتْ إلى أكنافهم لمَ الرُّبى
شرقت بنعمة شاعرٍ أو زائرٍ
لكم الملقى والرقيبُ من العلا
وسعت للعلياء حتى أيقنت
واهاً لعصرِكَ وهو يقطر نَضْرَةً
فكأنه وردُ الخلدودِ إذا اكتست
أين المدى ولقد بلغت من العلا

ولخيله بدمائهم تنعيل
والمجدُ تيربُ والنجومُ قبيل
أيدي الركائب سيرهن ذميل
ودعا هديلٌ فاستجاب صهيل
وبكم أفاضَ قِداحهنَّ مُجِيل
أن الأوائلَ سعيهنَّ تضليل
ويميسُ تحت ظلاله التأميل
خجلاً وكاد يزيناها التقبيل
رُتباً تردُّ الطرفَ وهو كليل

فكلف أبا بكر الداني معارضتها فقال ^١ : [١٨٩ أ]

في الطيف لو سمح الكرى تعليلُ
وينوبُ عن شخصٍ الحبيب خيالهُ
برقُ السماءِ على الغمام علامةُ
والروضُ إن بَعُدَتْ عليك قطوفهُ
حَسَبُ النسيم من اللطافة ^٣ أنه
وبمهجتي نجمٌ له في مهجتي
حوَّلْتُ عهدَ مُناخه بمناخه

يكفي المحبَّ من الوفاءِ قليلُ
إن لم يكنهُ فإنه تمثيل
وسنا الصباح على النهار دليل
وَقَدَّتْكَ ^٢ عنه الريح وهي بليل
صَحَّتْ به الأجسامُ وهو عليل
مسرَّى ولي في قربه ^٤ تعديل
فَقَضَى بتحويلي ^٦ لي التحويل

١ وردت بعض أبيات منها في المغرب والمسالك .

٢ د : وافتك .

٣ ط د س : الطلاقة .

٤ ط د س : نوره .

٥ ب م : تمويل .

٦ ب م : بتحويل .

في مثل لَمَّتِهِ سريتُ وفي يدي
 شفقٌ وشارقةٌ لديه ورقةٌ
 وتنوفةٌ واصلتها بتنوفةٍ
 تقفُ الرياحُ بها مقيّدةً الخطي
 لا يلتقي طرفٌ إلى طرفٍ بها
 وركبتُ ما ترك الوجهُ ولا حقٌ
 ورميتُ عن قوسٍ تنيرُ لي الدجى
 وكأنه قَرْحٌ^١ على أفق الضحى
 ملكٌ كما اتقد الصباحُ وراءه
 جاورتُ منه البحرَ إلا أنه
 وصبوتُ حيث تغالزتُ هممُ^٢ العلا
 كنفٌ يرودُ الغيثُ خصبَ جَنابهِ
 قرمٌ له فلّكُ البروجِ محلّةٌ
 وإذا رنا للرمحِ طرفٌ شاخص
 وشدا صهيلٌ مطربٌ فأجابه
 وقف الوغى منه على ذي هيبةٍ

سيفٌ كطرةٍ عارِضِيهِ صقيل
 فكأنما هو بكرةٌ وأصيل
 لا يستبينُ بها إليك سبيل
 ويظلُّ طَرْفُ النجمِ وهو كليل
 فالباعُ فيها واحدٌ والميل
 لا ما تخلف شدقمٌ وجديل
 مما يخولني القنا ويُنيل
 وعلى جبين مبشّرٍ لِكليل
 ظلٌّ كما برَدَ المساءُ ظليل
 عذبٌ كما رشف اللمي تقبيل
 فلها لي من السماك رسيل
 ويبيتُ فيه الدهرُ وهو نزيل
 والبدرُ جارٌ والشموسُ^٣ قبيل
 واحمرَّ خدّ للحسام أسيل
 من نحو السنة الغمودِ صهيل
 يقفُ العزيزُ لديه وهو ذليل [١٨٩ب]

ومنها :

وأنتك من بغدادَ بكرٌ ما لها غيري وان كثر الرجالُ كفيل

١ ب م : قلدح .

٢ ب م : مع .

٣ ب م : والشمس .

غُدِرَتْ^١ بماءِ الرافدين وربما قد بلَّ عطفها بمصرَ النيل
جُمِعَتْ وشعري في بساطك مثلما جُمِعَتْ بثينة في الهوى وجميل
ان لم يفتها أو تفت^٢ به فلا تفصيلَ بينهما ولا تفضيل
انا ذاك لو أني أكونُ لكندة ما فاني فيها الفتى الضليل
لا عيبَ لي إلاَّ النحولُ رضىتهُ إن المهندَ قاطعٌ ونحيل

وكان أبو بكر الداني مع جودة شعره يخلط أمره كله من أوله إلى آخره
عُجِبَ يُحِلُّ به وبأدبه ، فلا تزال عُقْدُهُ تنحلُّ عند من يحتلُّ به ،
حتى يرجع على عقبه ، إذ كان أعجبَ الناس تهاقناً ما بين قوله وفعله ،
وأخطأهم في هوى نفسه ، وأهتكهم لعرضه ، وأجراًهم على ربِّه ، له
في هذا الباب أخبارٌ مشهورة ، وأغراضٌ مذكورة ، وكان خروجه عن
صاحب ميورقة^٣ على هذه السبيل ، بعد أن ساء فيه القول والقليل ، فاعتذر
إليه بهذه القصيدة ، وهي آخر شعر قاله فيه ، أولها :

[سلامٌ على المجد يندى قليلاً كنشر الربى بكرةً وأصيلاً]
سلام وكنت أقول الوداع ولكن ادرج قلبي قليلاً
ومنها :

جُرِحْتُ لديك وكنتُ البريء كما يجرحُ اللحظُ خدّاً أسيلاً
[أخاف عليه انصداع الصفاة ألا يكون زجاجاً عليلاً]

١ ب م : عذبت .
٢ ط د س : يعبها أو تعبها .
٣ زاد في ط س : المذكور .
٤ وردت أبيات منها في القطعة التي قدرت أنها دخيلة من القلائد ، ص : ٦٨٣ ، ٦٨٦ وهذا
مثال على مقدار الخلط الذي اعتمد في المزج بين الكتابين : القلائد والذخيرة .

ولو لم أكن ماضيَ الشفرتين
[تسرُّ ضالتيَ الشامتين
أنت ذلةٌ منك محبوبةٌ
تكلفتُ فيها سوادَ الخطوب
ولولا مقاميَ بين العُداءِ
ومن بله الغيثُ في بطن وادٍ
عسى رافةٌ في سراحٍ كريمٍ
لعلني أراحُ من الطالبين
لقد أوقسدوا لي نيرانهم
يميناً بكم وهو أزكى يمينٍ
سَعَوْا لي عندك في عثرةٍ
أفرُّ بنفسِي وإن أصبحت
وله أيضاً من قصيد طويل ٣ :

هلا ثنالك عليَّ قلبٌ يخفقُ
وغرقتُ في دمعي عليك وعقَّني
هل خدعةٌ بتحيفةٍ مخفيةٍ
أنت المنية والمنى ، فيك استوى
لك قد ذابلةٌ الوشيج ولونها
يا من رشقتُ إلى السلو فردَّني
فترى فراشاً في فراشٍ يُحرقُ
طرقى فهل سببٌ به أتعلقُ
في جنبٍ موعده الذي لا يصدّق
ظلُّ الغمامة والمهجِرُ المحرق
لكن سنائك أكحلُّ لا أزرق
سبقتُ جفونك كلَّ سهمٍ يرشق

١ س : حلة منك محبوكة . . . بالغير ؛ ط : محبوبة .

٢ هنا تنتهي ترجمة ابن اللبانة في د ط س .

٣ راجع القلائد : ٢٤٧ والمغرب والخريدة والفوات والوافي والمعجب : ٢١٤ والمسالك :
وواضح أنها ليست نقلا عن القلائد .

ويقال إنك أيككة^١ حتى إذا
لو في يدي سحر^٢ وعندي أخذة^٣
جسدي من الأعداء فيك لأنه
لم يدر طيفك موضعي من مضجعي

- ومنها في المدح :

وكان^١ أعلام الأمير مبشر
ملك^٢ - بفتح اللام - جوهر هديه
الخيزرانة^٣ تلتظي في كفه
فكان صوب^٤ حياً وصعقة^٥ بارق
بأس^٦ كما جمد الحديد ، وراءه
ضد^٧ أن فيه لمعتد^٨ ولمعتف^٩
عبقت^{١٠} بنار الحرب نفحة^{١١} عوده
وانهل^{١٢} من كفيه^{١٣} نوء^{١٤} مغرب^{١٥}
تلقي^{١٦} العفاة^{١٧} يمينه^{١٨} وكأنها
يا أول^{١٩} الأعداد^{٢٠} في أهل الندى
شهرت^{٢١} علاك^{٢٢} فما يشار^{٢٣} لغيرها
بشرى^{٢٤} بيوم^{٢٥} المهرجان^{٢٦} فإنه
وعلى^{٢٧} الخليج^{٢٨} كتيبة^{٢٩} جرارة^{٣٠}
وبنو^{٣١} الحروب^{٣٢} على^{٣٣} الحرابي^{٣٤} التي
خاضت^{٣٥} غدير^{٣٦} المساء^{٣٧} ساجدة^{٣٨} به

تُشِرت^{٣٩} على قلبي فأصبح^{٤٠} يخفق
من جوهر الشمس المنيرة^{٤١} أشرق
والتأج^{٤٢} فوق^{٤٣} جبينه^{٤٤} يتألق
ما ضم^{٤٥} منه^{٤٦} نديته^{٤٧} والمأزق^{٤٨}
كرم^{٤٩} يسيل^{٥٠} كما يسيل^{٥١} الزئبق^{٥٢}
السيف^{٥٣} يجمع^{٥٤} والعطاء^{٥٥} يفرق^{٥٦}
ما كل^{٥٧} عود^{٥٨} في وقود^{٥٩} يعبق^{٦٠}
سيان^{٦١} فيه مغرب^{٦٢} ومشرق^{٦٣} [١٩٠ب]
قلب^{٦٤} إلى لقيا^{٦٥} الأحبة^{٦٦} شيق^{٦٧}
ولأنت^{٦٨} في جسم^{٦٩} الكريهة^{٧٠} فيلق^{٧١}
والخيل^{٧٢} أشهرها^{٧٣} الجواد^{٧٤} الأبلق^{٧٥}
يوم^{٧٦} عليه^{٧٧} من احتفال^{٧٨}ك رونق^{٧٩}
مثل^{٨٠} الخليج^{٨١} كلاهما^{٨٢} متدفق^{٨٣}
تجري^{٨٤} كما تجري^{٨٥} الجياد^{٨٦} السبق^{٨٧}
فكانها^{٨٨} هي^{٨٩} في سراب^{٩٠} أينق^{٩١}

١ المعجب والقلائد والحريدة : يعشق .

٢ المعجب والقلائد : لا يستبين . ٣ القلائد : تردي كما تردي .

هزّت مجاذيفاً إليك كأنها
وكانها أقلامُ كاتبِ دولة
يا ناصرَ العلياءِ دونك من فمي
ويقلُّ فيك الشهبُ لو هيَ أحرفُ
شكراً لأنعمك التي ألبستني
فيأتني ظلّ الندى وأشدت لي
تباً لمحطوط يروحُ مكائبي
من كان يُنفِقُ من سوادِ كتابه

وله ٢ :

يا ذا الذي حجّ في عهد الصبا فمضى
أما الجمارُ فمن قلبي رميت بها
صفى المنازلَ لي كيف انتقلت بها
عن بشرٍ زمزمَ حدثني في ظمأ
وشفعَ الحجّةَ الأولى بثانيةٍ

وله :

وأبأبي ذلك من حاسب
لما رأني في الهوى واحداً
يقرأ بابَ الضربِ في مهجتي
ويلزم الطرحَ لو صلي فلا

خُطَّ استواءُ الحسنِ في خدّه
أسقطني للأُس من عدّه
ولا يسمي لي سوى بعده [١٩١أ]
أنفك طولَ السدھر من صدّه

١ الممجب : أهداب .

٢ انظرها في مسالك الأيصار .

معاملات^١ ليتهما لم تكن أو ليت ما أبداه لم يُبْدِه^٢
وله^٣ :

والدهر^٤ في صبغة الحرباء منغمس^٥ ألوان^٦ حالاته فيه استحالات^٧
ونحن من لُعَبِ الشطرنج في يده ورهما قُمرت بالبيدقِ الشاة^٨
وله^٩ :

نعمت^{١٠} به والليل^{١١} مدة^{١٢} ناظر^{١٣} فصار من السراء غمزة^{١٤} حاجب^{١٥}
كأنني شربت^{١٦} الليل^{١٧} في كاس^{١٨} ذكره فلم أبق^{١٩} فيسه^{٢٠} فضلة^{٢١} للكواكب^{٢٢}
وهذه كقول الآخر^{٢٣} :

عهدي بها ورداء^{٢٤} الوصل^{٢٥} يجمعنا والليل^{٢٦} أطوله كاللمح^{٢٧} بالبصر^{٢٨}
فالآن ليلي^{٢٩} مسد غابوا فديتهم^{٣٠} ليل^{٣١} الضرير^{٣٢} ، فصبحي غير^{٣٣} منتظر^{٣٤}
وهذا الباب فيه طول ، وقد شرطت أن اجتزىء عن الكثير بالقليل .
ومن كلمة له :

نتيجة^{٣٥} عقل^{٣٦} الفتى^{٣٧} فِعْلُهُ^{٣٨} بما عنده يقذف^{٣٩} المعدن^{٤٠}
وله من أخرى :

قدمت^{٤١} ربيعاً^{٤٢} والربيع^{٤٣} كأنما تأخر^{٤٤} وترأ^{٤٥} إذ تقدمته شفعاً^{٤٦}

١ البيتان في المسالك ، وهما من قصيدة طويلة في القلائد : ٢٩ يتفجع فيها على زوال مجد ابن عباد .

٢ البيتان في المسالك .

٣ ب م : سمعت .

٤ كتاب المعاني : ٣٤٨ .

على نَسَقٍ وافيتما ووفيتما
صباحُ الأمانِي أنت أطلعتَه ضحىً
أيا ضيفُ لم تنزلَ فِئاءَكَ وحده
إليك ودادي ان تشهيتَه قِرىً
ودونك خدي فانتعلهُ ومهجتي
وهبني شفاءَ النفسِ منك فطالما
ذكرتك والآمالُ نحوكَ عَطَشُ
وكم ذرّ لي من أفقٍ بشركَ شارِقُ
صغرتُ مكاناً إذ كبرتُ درايةً
كتبتُ أهرُ المجدَ في حالٍ حيرةً
ودونكها رقت وراقت محاسناً

فكنتَ حياً سكباً وكان حياً نبعا
وأصلُ المعالي أنت أثبتَه فرعا
بلى قد نزلتَ العينَ والقلبَ والسمعا
ودونك صدري ان رضيتَ به ربعا
فشُدَّ على نعليك ناظرُها شِسْعا
بكيتُ نجيحَ القلبِ بعدك لا الدمعا
وقد منعوها الخِمسَ بعدك والرّبعَا
ولليلِ قِطْعٍ ما أووبه١ قِطْعَا
كأني مَنِيّ على خَلقةِ الأفعى
كأثمٍ لَذَهَزْتُ وقد جازتِ الجُدعا [١٩١ب]

فما الروضةُ الحسناءُ تشبهها طبعاً

وله :

وعَلِقَتْهُ في الحبِّ علقَ مَضْنَةٍ
بعثُ الحِياةَ بنظرةٍ من حسنه
ولقد يلوحُ كما تَكشَفَ مِعَصَمُ
فترى الوشاةَ كما استدار بُرِينُ

أَرَحَصْتُ فيه العمرَ وهو ثمينُ
وبدا إليّ بأنّه المغبون
فترى الوشاةَ كما استدار بُرِينُ

وكتب إلى أبي الفضل بن شرف مشيراً عليه بمدح ابن مهلهل من وادي آش ٢ :

يا روضةً أضحى النسيمُ لسانها
ومن اغتدى وقد اهتدى لطريقةٍ
طاقتُ بكعبتك المعالي إذ رأتُ

يصفُ الذي تخفيه من آراجها
ما ضلَّ مَنْ يسعى على منهاجها
أن النجومَ الزُّهرَ من حجّاجها

١ ب م : واليك القطع ما (م : من) أونه .

٢ انظر القلائد : ٢٥٨ .

شَغَلَتْ قَضِيَّتَكَ النُّفُوسَ فَأَصْبَحْتَ
هَلَاً كَتَبْتَ إِلَى الْوَزِيرِ بِقِطْعَةٍ^١
يَجِدُ السَّبِيلَ بِهَا وَلَا تُكَلِّعُ عِنْدَهُ
أَنْتَ السَّمَاءُ فَبَانَتْهَاكَ رَفْعَةٌ
وَضَحَتْ مَفَارِقُ كُلِّ فَضْلٍ عِنْدَهُ
فَأَجَابَهُ فَقَالَ :

يَا مِنْجِدِي وَالْدَهْرُ يَبْعَثُ حَرَبَهُ
لِلَّهِ دَرْكٌ إِذْ بَسَطْتَ إِلَى الرُّضَى
وَأَرَقْتَ مَاءَ الْوَدِّ فِي نَارِ الْأَسَى
فَيَأْتِنِي تِلْكَ الْغَمَامَ فَبَرَدَتْ
فَأَوَيْتُ تَحْتَ ظِلَالِهَا وَوَجَدْتُ بَرّاً
هِيَهَاتَ أَنْ تُشْنِيَ النُّفُوسُ لُوجْهَةً
مَنْ ذَا يَرُدُّ الْعَصْمَ عَنْ غُلَّتَوَائِهَا
أَزِيدُ فِي أَمْرِي وَضَوْحاً بَعْدَمَا
فَأَكُونُ أَنْ زِدْتُ الصَّبَاحَ أَدْلَةً
دَعْنِي أَبْرِدْ بِالْقَنَاعَةِ غُلَّةً
بَكْرٌ بَخِلْتُ عَلَى الزَّمَانِ^٢ بِوَجْهِهَا
وَضَرَبْتُهَا مَحْجُوبَةً بِصَوَانِهَا
فَالنَّفْسُ إِنْ ثَبَتَتْ عَلَى أَخْلَاقِهَا
وَلَهُ :

مَرْضَى وَفِي كَفِيكَ سُرٌّ عِلَاجُهَا
تَصْبُو مِعَاطِفُهُ إِلَى دِيْبَاجِهَا
وَتَنْيرُ سَعِيَهُمْ بِنُورِ سِرَاجِهَا
أَطْلَعُ عَلَيْنَا الشَّهْبَ مِنْ أَجْرَاجِهَا
فَاجْعَلْ كَلَامَكَ^٣ دُرَّةً فِي تَاجِهَا

شَعْنَاءَ قَدْ لَبِسْتَ رِدَاءَ عَجَاجِهَا
نَفْساً تَمَادَى الدَّهْرُ فِي إِحْرَاجِهَا
كَالْأَرَاكِ يَكْسَرُ حَدُّهَا بِمِزَاجِهَا
مَنْ غُلَّةٌ كَالنَّارِ فِي إِنْصَاجِهَا
دَ نَسِيمِهَا وَكَرَعَتْ فِي ثُجَّاجِهَا
مَنْ بَعْدَ مَا رَجَعْتَ عَلَى أَجْرَاجِهَا
أَوْ مِنْ يَصُدُّ الْبُزْلَ عِنْدَ هِيَاجِهَا
قَامَتْ بِرَاهِنَهُ عَلَى مَنَاجِهَا
خِرْقَاءُ تَمْشِي فِي الضُّحَى بِسِرَاجِهَا^[١٩٢]
يَأْسُ النُّفُوسِ أَتَمُّ فِي إِثْلَاجِهَا
وَمَنْعَتُهَا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَزْوَاجِهَا
مِثْلَ السُّلُوكِ تُصَانُ فِي أَجْرَاجِهَا
أَعْيَا عَلَى النَّصَاحِ طَوْلُ لُجَاجِهَا

١ القلائد : برقة .

٢ القلائد : قريضك .

٣ القلائد : الأنام .

تذكرتُ عهداً للصبا لو سَقَيْتُهُ
 زمان لِياليه تَكْتَفِها الصبا
 ولي في التصابي والركونِ إلى الهوى
 رأين هوىّ ملء العنان يهزه
 فأقبلن ينهين الفؤادَ عن الهوى
 وله :

في القيظ ما يدعو البياضَ للابس
 لبستُ سواداً والجميعُ مبيّضُ
 ألا يا ابنِ معنٍ ما لمجدك غايةُ
 قد اتفقت فيك المذاهبُ كلها
 وله ١ :

غناءٌ يلدُّ ولا أكوسُ
 وأعجبُ كيف شدا طائرُ
 تسكَّنُ من أنفُسٍ طائشه
 بروضٍ منابته عاطشه

وله من قصيد مطوّل ٢ :

عاوده الشوقُ وكان استراحُ
 ذكرني عهدَ اللوى ساجعُ
 وانبرتِ الطير تغني فصاحُ
 مدَّ جناحاً والتوى في جناح

١ انظرهما في الخريدة والبنية .

٢ ورد بعض أبياتها في الخريدة والمسالك .

٣ الخريدة : فتاح .

٤ الخريدة : ذكره عهد الصبا .

بَلَّلهُ قَطْرُ النَّدى فاغتندى
أورقُ قد أورقَ من تحته
وإن سَقَّتْهُ الرِّيحُ^١ راحاً لها
أعطافُهُ تشبه أعطافَ من
سقاني الحمرةَ من ريقه^٢
يا طاعنَ الخيل غداةَ الوغى
والحدقُ السودُ إليك ارتمتُ
ما بَقِيَتْ فيَّ سوى نظرة
الحمد لله فإني امرؤٌ

يَنْفُضُ ريشاً سُنْدِسِيَّ الوشاحُ
غصنُ رطيبٌ فوق حِقْفِ رَداح
مال وقام <وهو> نشوانُ صاح
راح فؤادي مَعَهُ حيثُ راح
وقام لي من بَرْدِ الأَقاح [١٩٢ب]
طاعنك النهْدُ فألقي الرماح
فما عسى تُغْنِيكَ بِيضُ الصِّفاح
فاسقة باطنها من صلاح
قد تُبَيِّتُ إلّا من وجوه الملاح

ومنها في المدح :

تُبْصِرُهُ إن حاجة صارخُ
يُجَلِّي الوغى منه ومن طرفه
موطأً الأكناف رَحْبُ الدرى
ولم يضقْ دهرٌ على أُمَّةٍ
تحكي لياليه بأيامه
ينشرُ يومَ الفخر من نفسه
لو أنَّ لي قوةَ عهد الصبا
يومٌ رقيقٌ نائرٌ ناظم
تلعبُ فيه كلُّ مَيَّاسةٍ

كالخية انسابَ وكالماء ساح
عن قمرٍ لاح وبرقٍ ألاح
مقدمُ السَّبَقِ مُعَلَّى القداح
إلّا أصابوا بِيَدَ رَاهُ انفساح
خيالان مسكٍ في خدودِ صباح
عِرْضاً مصوناً طيَّ مالٍ مباح
لم أتركَ النيروزَ دون اصطباح
كافورُهُ فوق الربى والبطاح
مَيَّسَ غصونٍ تحت رَوْحِ الرواح^٣

١ ب م : البحر ، وأثبت ما في الخريدة .

٢ ب م : خمره ؛ والتصويب عن الخريدة .

٣ المسالك : الرياح .

إن قعدتُ قلتَ رُبِّي في ثرى
 غَيْدَاءُ جَيْدَاءُ لها معطفُ
 إنسيةٌ وحشيةٌ ركبتُ
 ساكنةٌ في جوفها ناطقُ
 يخدمها كلُّ كميٍّ ليه
 يجرحُ رُوحَ الرُّوعِ صمصامُهُ
 مرهفُهُ نارُ وفضفاضُهُ
 وإن مشتُ قلتَ مَهَّاءُ في مزاح
 يرقلُ من ديباجِهِ في انشاح
 من صورةِ الجددِ وشكلِ المزاح
 ينطقُ عنها بمعانِ فصاح
 وجهُ حَيٍّ وفؤادُ وقاح
 ووجهه يَجْرَحُهُ الإلتِماح
 ماءٌ وبين الحالتين اصطلاح

وله :

تذكَّرَ الدارَ فحنَّ اشتياقُ
 أرقهُ جُنَحَ الدجى أورك
 مُفَسِّسَتُ الطوقِ أحمُ القرا
 بات بأعلى غصنِهِ نائحاً
 والقُصْبُ تننيها الصَّبَا مثلما
 واحسرتا ماذا ابتلينا به
 مهفهفِ الكشحِ قريبِ الخطا
 تروقُ لي في خدِّه حمرةٌ
 واعتاده الحبُّ وكان استفاقُ
 قام على ساقٍ وقد ضمَّ ساقُ [١٩٣]
 أحوى الخوافي ذهبي المآق
 يبكي على أَلْفِهِ باحتراق
 تعانقَ الأحبابُ يومَ الفراق
 من كاملِ الدَّرْعِ قصيرِ النطاق
 بعيدِ مهوى القُرْطِ طَوْعِ العناق
 تشهدُ لي أن دماً قد أراق
 ومن بديع قوله يتغزل ٢ :

تولَّى السُّرْبُ خيفةً ما يليه
 على شَرَفِ الحميلةِ كان حتى
 وأفلتَ من حبائلِ قانصيه
 توجَّسَ نبأَةً من خاتليه

١ ب م : العرى .

٢ انظر الأبيات في مسالك الأبصار .

فمرَّ على مهبِّ الريح يعدو بأسرعَ من مدامع عاشقيه
 وصادف عنده مرعىً مريعاً فأصبح يستريث ويرتعيه
 توجهَ حيثُ لم تُعقَلْ خطاه بمنسوبٍ إلى آل الوجيه
 بمياعِ الأديم يكادُ يُعشي بِنُفْسِهِ^١ لواحظَ مبصريه

ودخل^٢ ميورقة في زمنِ ناصرها ، وسلامةٍ مقاصرها ، وهي باهيةُ الجمال ، عاطرةُ
 الصَّبَا والشمال ، تقيِّدُ النواظرَ ببهجتها ، وتنبه بئدي ملكها على بلتها ، فنلقاه ناصر الدولة
 بمعهودٍ لإجلاله ، وصدقَ له طيرَ آماله ، فقال يمدح :

حُنيبَتُ جوانِحُهُ على جَمَرِ الغَضَا لما رأى برقاً أضاء بذي الأضا
 واشتمَ في رَوْحِ الصَّبَا رَوْحَ الصَّبَا ففضى حقوقَ الشوقِ فيه بأن قضى
 والتفتَ في حبراته فحسبتها من فوق عطفيه رداءً ففضفا
 أليفَ السرى فكانَ نجماً ثاقباً صدَعَ الدجى منه وبرقاً أومضا
 مهما بدت شمسٌ يكونُ مذهباً وإذا بدا بدرٌ يكونُ مفضفا
 ملكٌ سمتَ عليه حتى دوّحت وسقى ثرى نعماه حتى روضا
 ماء الغمامة جُرْعَةً مما سقى وسنا الأهلّة خلةً مما نضا [١٩٣ب]
 خفقت عليه رايةٌ وذؤابةٌ فكانَ صيلاً نحو صيلٍ نضضفا

وقال يرثي أخت المرتضى :

أبنتَ الهدى جددتِ منعى على منعى مضى المرتضى أصلاً وأنبعته فرعا
 جرى الموتُ جرّى الرّيح في منبتكما فأذواك ريحاناً وقصّفه نبعاً

١ ب : ينفضته ؛ ب م : ينفث لنفثته .

٢ هذه القطعة من القلائد ، وأعدّها دخيلة على نص الذخيرة ؛ وانظر المغرب والمسالك والحريدة .

فصل في ذكر الأديب

أبي جعفر أحمد بن الدودين البلسي^١

هو أحدُ مَنْ لَقِيَتْهُ وُشَافَهَتُهُ ، وأُمِلَى عَلَيَّ نَظْمُهُ وَنَثَرُهُ بِالْأُشْبُونَةِ ،
سنة سبعٍ وسبعين ، ومما أنشدني [من شعره] في الغزل قوله^٢ :

علَّمَنِي فِي الْهَوَى عَلِيٌّ كَيْفَ التَّصَابِي عَلَى وَقَارِي
أَطْلَعَ لِي مِنْ دَجَاهُ بَدْرًا لَمْ يَدِرْ مَا لَيْلَةُ السَّرَارِ
فَحَادِثِي^٣ عَنْ طَرِيقِ نَسْكِ وَظَلْتُ مُسْتَأْهِلًا لِنَارِ^٤

وأنشدني أيضاً لنفسه :

يَا عَلَّمَ الْحُسْنَ يَا عَلِيٌّ دَلَّهْنِي حَسَنُكَ الْعَلِيُّ
لَوْ قُلْتُدَ اللَّحْظُ مِنْكَ عَمْرًا قَصَّرَ عَنْ شَأْوِهِ عَلِيٌّ

وأنشدني أيضاً له :

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الَّذِي يَهْدِي الْوَرَى بِضِيَائِهِ
صِيرْتَ قَلْبِي مَطْلَعًا وَأَفْأَسْتَ فِي سُدَائِهِ

١ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣٢٢ والمسالك ١١ : ٤٤٩ .

٢ وردت هذه القطعة في المغرب .

٣ ط د : فحادي .

٤ ب م : وصلت مستهلاً بناري .

وأنشدني أيضاً له^١ :

خطَّ العِذارُ بصفحتيه كتاباً مَشَقَّتْ به أيدي المشيب جواباً
فغدتْ غواني الحيَّ عنك غوانياً وأسلنَ الحَظَّ الربابَ رباباً
من بعد ما بوَّأني وطنَ الجوى يرشفنَ من رشفِ الثغور رضاباً
فلأبكينَ على الشبابِ مَلَاوَةً^٢ ولأجعلنَ دمَ الفؤادِ خضاباً

وأخبرني برسالته التي ردَّ فيها على أبي عامر بن غرسية^٣ [وكان]
هذا — لحاه الله وأبعده — قد استقرَّ بمدينة دانية^٤، في كَنَفِ مجاهد ، فخطب
الأديبَ أبا جعفر [ابن] الخراز^٥ معاتباً له لتركه مَدْحَ مجاهد ، واقتصاره
على مدائح ابن صمادح التجيبي ، وهي رسالةٌ ذميمةٌ غرَّبَ في تسطيرها ، فلم
يسبق لكثرة غلطه^٥ [فيها] وزلله إلى نظيرها ، وذمَّ فيها العرب ، وفخر

١ ط د س : له أيضاً ، وانظر المغرب والمسالك .

٢ في النسخ : ملاءة ؛ المغرب : وطيهه .

٣ أبو عامر أحمد بن غرسية ، قال فيه صاحب المسهب : « من عجائب دهره ، وغرائب
عصره ، وهو من أبناء نصارى البشكنس ، سبي صغيراً وأدبَه مجاهد مولاه ملك الجزر ودانية
[المغرب ٢ : ٤٠٦] .

٤ ب م : الخزار ، وكذلك في المغرب (٢ : ٤٠٧) وترجم ابن الأبار لابنه في التكملة :
٤٢٣ وسماه محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الأوسي من أهل سرقةطة وسكن بلنسية يكنى
أبا عبيد الله ويعرف بابن الخراز ، وكان أديباً شاعراً راوية مكثُر الخط . ثم قال : وكان
أبوه أبو جعفر (أحمد بن محمد) أيضاً شاعراً وهو الذي خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة
المشهورة . وفي نص الاسكوريال الذي اعتمده الأستاذ عهد السلام هارون في نشر رسالة
ابن غرسية والردود عليها ورد اسمه « ابن الحداد » (انظر نواذر المخطوطات ١ : ٢٣٤ -
٢٣٥) هذا وقد جاءت الرسالة في ط د س مختلفة كثيراً عما هي في ب م بين حذف وتقديم
وتأخير . وقد ترجم الأستاذ جيمس منرو هذه الرسالة والردود عليها في كتاب بعنوان
The Shuubiyya in Andalus ، (كاليفورنيا ١٩٧٠) .

٥ ط د : خطله .

بقومه العجم ، وأراد أن يُعَرِّبَ فأعجم ، وإذ قد أفضى بنا القولُ إلى ذكرها ، فأنا أثبتُها هاهنا بأسرها ، وأجتلبُ [١٩٤] فصولاً من رسائل جلائلَ لبعض أهل العصر ردُّوا عليه وبكَّتوه ، حتى أسكَّتوه ، وإن كانت طويلةً ، فهي غير مملولة ، لما تشتملُ عليه من المآثرِ العربية ، والمفاخرِ الإسلامية .

[وهذه] نسخة رسالة ابن غرسية

يخاطب الشاعر ابن الخراز المذكور^١

سلامٌ عليك ذا الرويِّ المرويِّ ، الموقوفِ قريضه على [حَلَلَةٍ]
بِحَافَةِ أرشِ اليمنِ^٢ ، بزهدٍ [من] الثمن ، كأنَّ ما في الأرض إنساناً
إلاَّ من غسَّان ، أو من آل ذي حَسَّان ، وإن كان القومُ أَقْنَوْكَ ، وعن
العالم أَغْنَوْكَ ، على حَسَبِ المذكور ، فما هذا الإعمالُ للكور ، وتركُ
الوكور^٣ ؟ ولعلما تأخذُ الشَّعْرَةَ في الرحيل ، إلاَّ عن الرِّبْعِ المَحِيل ،
ولو أنَّ القومَ خلطوك بالآل ، لما أَلْجَأوكَ إلى الخَبْطِ في الآل . مَهْ مَهْ !

١ لقد تبين لي أن ابن بسام لم يورد الرسالة كاملة ، وبعض الردود عليها تشير إلى أمور قد حذفت منها ، ولهذا أبحثُ لنفسِي تكملة ما يتقصها .

٢ أرش اليمن : إقليم في شرق الأندلس أنزل الأمويون فيه بني سراج القضاة وجملاؤا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا حفظه يسمى أرش اليمن (أي عطيتهم ونخلتهم) وكانت بحافَة أبرز قرى ذلك الاقليم (الروض المعطار : ٣٧) .

٣ ب م : المذكور .

٤ الشعرة : الشعراء .

٥ ط : أجاهوك .

مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ الْمَهْمَةِ ، وَثَقَفَ ، وَوَدَّكَ أَلَا^١ تَقِفَ ، عَلَى مَنْ
اضْطَرَّكَ إِلَى الْإِيغَالِ ، وَبَاعَكَ بَيْعَ الْمُسَامَحِ بِكَ لَا الْمَغَالِ ، وَبَعَثَكَ عَلَى
مُخَالَفَةِ الْحِصَانِ ، وَمُخَالَفَةِ الْحِصَانِ^٢ ، وَعَوَّضَكَ مِنْ [قَطْعِ]^٣ الْأَنْدِيَةِ ،
بِجَوِّبِ^٤ الْأُودِيَةِ ، وَمَنْ الْمَالْفُ بِخَوْضِ^٥ الْمُتَالِفِ ، وَوَكَّلَكَ بِمَسْحِ الْأَرْضِ ،
ذَاتِ الطُولِ وَالْعَرْضِ ، فَإِذَا يَمْتَدُّ بَطْنُ تِبَالَةٍ^٦ [تَتْبَالَهُ] ، وَصَرَتْ ضِعْفًا
عَلَى إِبْتَالِهِ ، تَتَعَلَّلُ بِالْيَمِينِ ، ضَنْتًا بِالْعِلْقِ الثَّمِينِ ؛ أَحْسَبُكَ أَنْ أَزْرِيَتْ ، وَبِهَذَا
الْجَلِيلِ النَّجِيبِ^٧ أَزْدَرِيَتْ^٨ ، وَمَا دَرِيَتْ أَنَّهُمُ الصُّهْبُ الشُّهْبُ ، لَيْسُوا
بِعُرْبٍ ، ذَوِي أَيْتُنَى جُرْبٍ ، [بَلْ هُمْ] الْقِيَاصَةُ الْأَكَاسِرَةُ :
مُجْدُّ نَجْدُ : بَهَمٌ لَا رِعَاةَ شُؤْيَهَاتٍ وَلَا بَهَمَ ، شَغَلُوا بِالْمَآذِي
وَالْمَرَّانِ ، عَنْ رِعْيِ الْبُعْرَانِ ، وَبِجَلْبِ الْعَزِّ ، عَنْ حَلْبِ الْمَعَزِ ؛ جَبَابِرَةُ
قِيَاصَةُ ، ذَوُو الْمَغَافِرِ وَالْدُرُوعِ ، لِلتَّنْفِيسِ عَنْ رَوْعِ الْمَرُوعِ ، حُمَاةُ
السُّرُوحِ ، نَمَاةُ الصُّرُوحِ ، صَقُورَةُ ، غَلِبَتْ عَلَيْهِمْ شَقُورَةُ ، وَصَقُورَةُ
الْخُرْسَانِ^٩ ، لَكِنَّهُمْ خَطْبَةٌ بِالْخُرْصَانِ^{١٠} :

-
- ١ ط د س : لَا .
٢ ط د س : الْحِصَانُ .
٣ زيادة من ط د لم ترد في س .
٤ ط د س : بِخَوْفٍ .
٥ ط د س : يَقْطَعُ .
٦ تِبَالَةٌ : فِي تَهَامَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْشَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَفِيهَا ضَرْبُ الْمَثَلِ « أَهْوَنُ مِنْ تِبَالَةٍ عَلَى الْحِجَابِ »
لأنه حين ولي عليها ، وَوَجَدَ الْأَكْمَةَ تَحْجِبُهَا ، احْتَقَرَّ ذَلِكَ وَكَرَّرَ رَاجِعًا .
٧ هَارُونُ : الْبَجِيلُ .
٨ ط د : أَحْسَبُكَ أَنْ دَرِيَتْ وَمَا دَرِيَتْ . . . الْخ ؛ س : أَبْأَرْبَابَ الْمُلُوكِ أَزْدَرِيَتْ وَعَلَى وَعِنْدِي
الْجَلِيلِ أَزْرِيَتْ وَمَا دَرِيَتْ بِهَذَا أَحْسَبُكَ أَرْدِيَتْ وَمَا دَرِيَتْ .
٩ هَارُونُ : وَشَقُورَةُ الْخُرْصَانِ .
١٠ أَيُّ أَنْ فِيهِمْ صَقُورَةُ الْخُرْسَانِ ، وَهِيَ الصَّقَالِبَةُ مِنْ حَرَسِ الْقَصْرِ وَكَانُوا يَلْقَبُونَ الْخُرْسَ ، وَإِنَّمَا
يُظْهِرُونَ فَصَاحَتَهُمْ بِالْخُرْصَانِ أَيُّ الرِّمَاحِ .

ما ضرَّهمُ أنْ شهدوا مِجَاداً^١ ألاَّ يكونَ لونهمُ سواداً
أرومةً روميّةً ، وجرثومةً أصفريّةً :

نمتهم ذؤو الأحسابِ والمجدِ والعلا من الصُّهْبِ لا راعو غضاً وأفانٍ^٢
من القُدُم ، المُلسِ الأذُم ، لم يُعْرِقْ فيهم الأقباطُ ، ولا الأنباطُ ،
حَسَبَ حريّ ، ونَسَبُ سَريّ ،

➤ أَمَكُمُ لَأُمَّنَا كانت أمه إن تنكروا ذلك تُلَفِّقُوا ظَلَمَهُ

ولا تهايلَ ، في التكايل^٣ ، فما سُسُنَا قطّ قرودا ، ولا حِكُنَا برودا ،
ولا لُكُنَا عروداً^٤ ، فلا تهاجرَ ، بني هاجر ، أنتم أرقاؤنا وَعَبَدْتَنَا ،
وَعَتَّقَاؤُنَا وَحَفَدْتَنَا ، مِنَّنَا عليكم بالعِتْقِ ، وأخرجناكم من رِبْقِ الرقّ ،
والحقناكم بالأحرار ، فغمطم النعمة ، فصفعناكم صفعاً ، يشارك سفعاً ،
اضطركم إلى سُكُنَى الحجاز ، وألجأكم إلى ذاتِ المِجاز .
رُزْنُ رُصْنُ :

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهم بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسَّيرِ^٥
إذا قامتِ الحربُ على ساق ، وأخذت في انساق ، وقُرِعَتِ الظنائبُ ،

١ المِجاد : المضاهاة بالمجد .

٢ الأفاني : نبتة غبراء لها زهرة حمراء مجتمع ورقها كالكمة .

٣ أهيل : صب الطعام دون كيل ، وإذا كان القوم يهيلون فمعنى ذلك أنهم لا يلجأون إلى
الكيل ، والتكايل : التوازي والتنافس في الكيل ، وإذا تم لم تعد حاجة إلى التهايل ، يقول :
إذا نحونا نحو الدقة فلا مجال لتجاوزها .

٤ الهرود : جمع عرد ، وهو الذكر الصلب .

٥ البيت لأبي العلاء المعري ، شروح السقط : ١٤١ .

وأُشْرعت الأنايب ، وَقَلَّصَتِ الشفاه ، وفغر الهدان^١ فاه ، وولَّتْ قفاه ،
ألفيتهم ذَمْرَةً^٢ الناس ، عند احمرار الباسِ ؛ الطعنُ بالأسلِ ، أحلى
عندهم من العَسَلِ :

مستسلمين إلى الختوف كأنما بين الختوف وبينهم أرحام^٣
من أمنياتهم ، حلولُ ميتاتهم < لهم على القُدْمة^٤ اليدانِ ، على النأيِ
والتدانِ :

من الأُلى غيرَ زجْرِ الخيل ما عرفوا إذ تَعْرِفُ العُربُ زَجَرَ الشاء والعكْرِ^٥
بُصْرٌ صُبْرٌ : تزدانُ بهم المحافلُ والجحافلُ ، كواكبُ المواكب ،
قبولٌ على خيول ، كأنهم فيول ، نجومُ الرجوم < من العجم ضراغمة الأجم >
بنو غاب ، منتفونَ من كلِّ عاب ، لم تلدهمُ صواحبُ الرّايات^٦ ، بل
تَبَحَّحِبَحَتْ عنهم سارةُ الجمال والكمال ربةُ الإيالة^٧ ؛ شُمُخُ بُدُخُ :
بَرَرَّةُ أقيال ، جَرَرَّةُ أذيال^٨ ؛ بخِ بخِ : أَحَلَّتْهُمْ [١٩٤ ب] سيوفُهُمْ
سِطَّةَ الأرضين ، فما قنعوا بذلك ولا رضىين ، حتى دَوَّخوا المشارِقَ

-
- ١ الهدان : الثقيل في الحرب .
 - ٢ ذمرة : جمع ذامر ، وهو من يخفض الناس على القتال .
 - ٣ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٣٦ وروايته : مسترسلين .
 - ٤ المقدمة : الإقدام .
 - ٥ البيت لأبي العلاء المعري ، شروح السقط : ١٤٠ وروايته يا ابن الألى ؛ والعكز : القطعة من الإبل .
 - ٦ صواحب الرايات : البغايا في الجاهلية ، لأنهن كن يرفعن فوق بيوتهن رايات يميزنها بها .
 - ٧ في النسخ : الآيات ؛ والايالة هنا بمعنى الحسن .
 - ٨ ط دسر : من الأقيال جررة الأذيال .

والمغارب ، فاستوطنوا من المجد الذرّوة والغارب ، وألجأوكم ^١ إلى سكنى
الحجاز ، ذاتِ المجاز :

بضربٍ يزيلُ الهامَ عن سكناته وطعنٍ كتشهاقِ العفا همَّ بالنهق ^٢
شدهوا برناتِ السيوفِ ، عن ربّاتِ الشنوفِ ، وبركوبِ المسروجِ ،
عن الكوبِ ^٣ والفُرُوجِ ، وبالنّفيرِ عن النّقييرِ ^٤ ، وبالحنائبِ عن الحبابِ ،
وبالحبِّ عن الحبِّ ^٥ ، وبالشّليلِ عن السليلِ ^٦ ، وبالأمرِ والذّمِّ عن
معاقرِ الحمرِ والزمرِ ، > وباللقيانِ عن العقيانِ وعن قنيانِ القيانِ < طبائهم ^٧
خطيائهم ، وعلائهم ^٨ آلاتهم ، > وحصونهم حصّونهم ، أقبالٌ ، آباؤهم
من بين الأنامِ أقتال < ^٩ :

أولئك قَومِي إن بَـؤوا أحسنوا البنا وإن حاربوا جدّوا وإن عقدوا شدّوا ^{١٠}
وضُحٌ رُجُحٌ : لا حَفَرَةٌ عَكَرٌ ، ولا حَفَرَةٌ أَكْرٌ ^{١١} > ملوكُ جِلّةٍ ،

١ ط د س : اضطروكم .

٢ السكنات : جمع سكنة وهي مقر الرأس من العنق ؛ العفا : الجحش ؛ والبيت لأبي الطمحان
القيني حنظلة بن الشرقي (اللسان : سكن ، عفا) .

٣ هارون : الكلب ؛ والكوب : الكوز ، ولعل صوابه « الكحوب » أي الأدبار .

٤ النفير : الخفوف إلى الحرب ؛ النقيير : الوعاء الذي يتخذ فيه النميذ ، يريد به هنا النبيذ
نفسه ، أو هو صيغة مناسبة للفظ « نقيير » يعني بها النقر الموسيقي ؛ والمعنى أنهم يفضلون
إجابة الداعي إلى الحرب على الذات .

٥ الحب : ضرب من السير ؛ وفي ب م : عن الحب ، وكذلك عند هارون ، ولا أراه صواباً .

٦ الشليل : الدرع ؛ السليل : لحم المتن أو السنّام .

٧ طبائهم : جمع طبة وهي الشقة الطويلة من الثوب ؛ وعند هارون : طيائهم .

٨ هارون : وغلاتهم .

٩ أقتال : أشباه ، والمفرد : قتل ، وهو القرن في الحرب .

١٠ البيت للحطيفة ، ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : أولئك قوم ، وإن عاهدوا أوفوا .

١١ الأكر : الحفر .

لا محرقو جِلَّةٍ^١ ، نُدُسُ^٢ ، غنوا بالاستبرق والسندس ، عن البتِّ المقيظ
المشتِّ ، المجموع من النعيجات الست^٣ ؛ بُسْلُ^٤ : لا حُرَّاسُ مُسْلُ^٥ ،
ولا غُرَّاسُ فُسْلُ < مُلْكُ لَقَاحٍ^٦ ، ليس منه^٧ في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ
شرابُ دَرِّ اللَّقَاحِ . [جُمُوحٌ طُمُوحٌ^٨ طَعَامُهُمُ الحنيد ، وشرابهم النبيذ ،
لا زهيدٌ الهبيد^٩ ، في البيد ، ولا مُكُونُ^{١٠} الوكون ، ولا أوطنوا بيوتَ
الشَّعَرِ ، ولا غَنَسُوا^{١١} عن الحطبِ بالحلَّةِ والبعرِ] ولا منهم من احتشى ،
مذ نشأ ، بلمومٍ الكشي^{١٢} [ولا منهم وليدٌ ولا ناشٍ ، ممن اغتذى
بالأحناش ، فلا [يُقَعَّقَعُ^{١٣} لهم بالشَّانِ^{١٤} ، ولا يوعوع^{١٥} لهم باللَّسانِ ،
فكفَّ أيها الشان^{١٦} ، فلمهم عظيم الشان ، واليدُ الطُولى إذ تَخْلَصُوكم
من أكفِّ الحُبْشان ، صَنِيعٌ منيع ، ومُنَّةٌ ، لا يشوبها منة^{١٧}] ، > فيا

١ الحلة : البهر .

٢ ندس : جمع ندس وهو الفطن .

٣ البت : الطيلسان من خز ونحوه ، وهذا من قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بقي مقيظ مصيف مشي

تخلّدت من نعجات ست

٤ المسل : جمع مسيل ، وهو الخريد الرطب .

٥ لقاح : لا يديثون للملوك .

٦ هارون : منهم . ٧ زيادة من س وحدها .

٨ الهبيد : حب الحنظل . ٩ المكون : بيض الضب .

١٠ الكشي : جمع كشية ، وهي شحمة بطن الضب ؛ وهذه زيادة من س وحدها .

١١ الشنان : القرب الصغيرة الخلق ؛ ولا يقع له بالشنان : مثل ، أي هو لا يخدع ولا يروع ،

وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع .

١٢ ط د س : يززعز ، ولعله يدعدع ، أي يقال دع دع وهو صوت التعميق بالغم أو

زجرها ؛ وعند هارون : ولا يوعوع لهم بالشنان .

١٣ الشان : الشانء أي البغض . ١٤ زيادة من س وحدها .

لها منحة ، لكنّها أعقبت محنة ، إذ صادفت كفرّة لا شكرّة . إليها ،
 إذ تأبطتم تيهاً ، معشر البداة العداة ، اعتقدتم غيلاً ، فاستثتم صيلاً <
 أما علمتم أنّ المملكة النوشيروانية والدولة الأزدشيرية بسقروا أجوافكم ،
 وخلعوا أكتافكم ؟ ثم عطفوا ورأفوا ، وملّكوكم الحيرة ، بعد عظيم
 الحيرة > قللاً ذللاً ، تتخيرون البنات عند البيات ، مبهورات لا ممهورات ،
 فبرم من ذلك غسانكم ونعمانكم ، وكان برمه سبياً لدرء أمانكم ، فأصبح
 بعد جرّ الديول ، مدوساً بأخفاف الفيول < والكرامُ بنو الأصفر ، الأظهر
 الأظهر ، عطفتهم [عليكم] الرّحيمُ الابراهيمية ، والعمومةُ الاسماعيلية ،
 وسمحوا لكم من الشام بأقصى مكان ، بعد أن كان من سيل العرم ما كان .
 [سرج وهج] قروم الأعاجم ، يؤدّي إليهم نعمانكم وغسانكم الاتاوة
 على الجماجم :

* هذي المفاخرُ لا قعبانٍ من لبنٍ ¹ *

> مهلاً بني الإمام ، عن الغمز والإيماء ، فنحن عُرُق ، غرق ، في
 الأنساب الصحيحة ، والأحساب العجيمة ، فمن يهّولنا أو يروعنا ؟ ! قد
 رسخت في المجد أصولنا وفروعنا ، ومن يطولنا ، وكلّ الورى قد شمله
 فضلنا وطولنا ؟ !

شرف ينطح النجوم بروقيه وعزُّ يقلقلُ الأجبالا ²

حُلُمٌ عُلُمٌ : ذوو الآراء الفلسفية الأريضية ، والعلوم المنطقية الرياضية ،
 حَمَلَةٌ الاسترلوميقي [والجومطريقي ، والعلمة بالارتماطيقى وأنولوطيقا]

١ صدر بيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه : ٤٥٩) وعجزه : شيبا بماء فعادا بعد أبوالا .

٢ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٤٠٣ .

وَالْقَوْمَةُ بِالْمُوسِقَى [وَالْفُوطِيقَا ^١ ، وَالنَّهْضَةُ بِعِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالطَّبَائِعِ ،
وَالْمَهْرَةُ فِي عِلْمِ الْأَدْيَانِ وَالْأَبْدَانِ] مَا شَتَّ مِنْ تَدْقِيقٍ وَتَحْقِيقٍ ، حَبَسُوا
أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ الدِّينِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ ، لَا عَلَى وَصْفِ النَّاقَةِ الْفَدْنِيَّةِ ^٢ :

هَمْ مُلِكُوا شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَهَمْ مُنْحَوِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ سُودَدَا
فِعْلُهُمْ لَيْسَ بِالسَّفْسَافِ ، كَفَعَلَ نَائِلَةٌ وَإِسَافٌ ^٣ ؛ أَصْغِرُ بِشَانِكُمْ ،
إِذْ بَزَقَ خَمِيرُ بَاعِ الْكَعْبَةِ أَبُو غَبْشَانِكُمْ ^٤ ، وَإِذَا أَبُو رِغَالِكُمْ ^٥ ، قَادَ فِيلَ
الْحَبْشَةِ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ [لِاسْتِصَالِكُمْ] ؛ غَضُّوا الْأَبْصَارَ ، فَهَذَا الذِّكْرُ إِلَى
الْفَحْشِ أَصَارَ . فَلَا فُخْرَ مَعَشَرَ الْعُرْبَانِ الْغُرْبَانِ ، بِالْقَدِيمِ الْمَفْرَى ^٦ الْأَدِيمِ ،
لَكِنْ الْفَخْرُ بِابْنِ عَمْنَا ، الَّذِي بِالْبَرَكَةِ عَمَّنَا ، الْإِسْمَاعِيلِيُّ الْحَسَبِ ،
الْأَبْرَاهِيمِيُّ النَّسَبِ ، الَّذِي بِهِ إِنَّمَا انْتَشَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالْعَمَايَةِ ،
وَلَا غُرُو أَنْ كَانَ مِنْكُمْ حَبِيرُهُ وَسِيرُهُ ، فِي الرِّغَامِ يَلْفَى تَبْرُهُ ، وَالْمَسْكُ
بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ^٧ ، وَالنَّطَافُ الْعِذَابُ مُسْتَوْدَعَاتُ مَسْكِ الْعَزَالِ ^٨ :

لِلَّهِ مِمَّا قَدْ بَرَا صِفْوَةٌ وَصِفْوَةُ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ ^٩

١ الاسترلوميقي : (Astronomy) علم الفلك ؛ الجومطريقى : (Geometry) الهندسة ؛
الارتماطريقى (Arithmetic) : الحساب ؛ أنولوطيقا : (Analytics) تحليل
القياس ؛ الفوطيقا أو البوطيقا (Poetics) : الشعر . وفي ط د س : الاسترلوقيقا ،
الجومطيقا ، الموطيقا .

٢ الفدنية : الضخمة ، شبهها بالقصر وهو الفدن .
٣ نائلة وإساف فجرا في الكعبة فمسخا حجرين ، انظر كتاب الاصنام والسيره ومعجم البلدان .
٤ أبو غبشان : باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر .
٥ عمل أبو رغال دليلا لابرهة عندما أراد غزو مكة .
٦ ط د س : فعلي فري . ٧ ناظر إلى قول المتنبي :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال
٨ المسك : الجلد ، والغزال أي الغزالي وهي القرب .
٩ وردا غير منسوبين في مروج الذهب ٤ : ١١٩ .

وصفوة الصفوة من بينهم^١ محمدُ النور أبو القاسم [١٩٥]

بهذا النبي الأمي أفاخر من يفخر ، وأكاثر [جميع] من تقدّم وتأخر ،
المنيف الطرفين ، الشريف السلفين ، المتلقّى بالرسالة ، والمتقى للأداء
والدلالة ، أصلي عليه عدد الرمل ، ومدد النمل ، وكذلك أصلي
على واصلي جناحه ، سيوفه ورماحه ، صحابته الكرام ، عليهم من الله
أفضل السلام :

> يا ابن الأعراب ما علينا باس لم أحك إلا ما حكاه الناس
هذا :

ولم أشم لكم عرضاً ولكن حدوثٌ بحيثُ يستمعُ الخداءُ^٢

ثم أحنج بشاعر غسان لا ساسان ، في هذا العيد ، بالوعيد ، وأحر
في هذا الفصل بعدم الوصل > لقد غم آخرك ، لكن بالرغم أنك > ،
إذا أضربت عن مديح هذا^٣ العلق الربيع ، سهمنا النفيس ، وشهينا
الرئيس ، معز الدولة ، [المولى الأعظم ، والموئل الأعصم] قَيْلِ الأمم ،
وسيل العرم ، مغنى المغاني ، ومعنى المعاني ، ذي النفاسة النفسانية ، والرياسة
الساسانية^٤ ؛ فاذهب يا غث المذهب ، وابتنغ في الأرض نفقاً أو في السماء
مرتقى ، أو حك^٥ من المديد والبسيط ، في الملك ذي الخلق البسيط ، ما

١ المروج : من هاشم .

٢ البيت للحطّية ، ديوانه : ٩٨ وفيه : لكم حسباً .

٣ ط د س : المديح لهذا .

٤ ط د س : ذي الرياسة . . . والنفاسة . . .

٥ ب : خذ .

تستجيرُ به من بطشنا^١ ، إذ نحن معشرَ الموالي لانوالي ، إلا^٢ من هو لعظيمنا
مُوالي ، فاستأخِر أو تقدم^٣ ، وحذارِ أن تفرعَ سنَّ الندم^٤ ، قبل أن تجمع
ذُنوبَكَ في ذُنوبكَ^٥ ، < وكُربك في كُربك >^٦ فمن أبصرَ أقصر :

فلا تتبشع^٧ ممض^٨ العتابِ يلقاك يوماً بلقىاه لاقٍ
فإن الدواءَ حميدُ الفعال وإن كان مرّاً كرىه المذاق

[يا مُعْتَقِلَ عِلْمِ الشعر ، والمستقلَّ بقلمِ النظم والنثر] :

قد استحييتُ منك فلا تكلمي إلى شيء سوى عُدْرِ جميل^٩
وقد أنفذتُ ما حقِّي عليه قبيحُ الهجوِّ أو شتمَ الرسول
وذاك على انفرادك قوتُ يومٍ إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيل
وكيف وأنت علويُّ السجايا وليس إلى اقتصادك من سبيل
وقد يقوي الفصيحُ فلا تقابلُ ضعيفَ البر إلا^{١٠} بالقبول
وإن الوزنَ وهو أصحُّ^{١١} وزنٍ يقامُ صغاهُ^{١٢} بالحرف العليل
فإن يكُ ما بعثتُ به قليلاً فلي حالٌ أقلُّ من القليل
فختم رقعته كما تراه بأبيات المعري .

١ هارون : من البسيط والمديد ما تستجير . . . الشديد .

٢ زاد بعدها عند هارون : ولات حين مندم .

٣ الذنوب : الدلو .

٤ الكرب : الحبل الذي يشد على عراقي الدلو .

٥ ط د س : تتبشع .

٦ الأبيات المعري ، شروح السقط : ١١٤٤ وما بعدها ، من قصيدة مطلعها :

تعلم يا صريع الهين بشري أتت من مستقل مستقيل

وقد ذكر ابن خلكان (٣ : ٣٨٤) أنه خاطب بها صريع الدلاء علي بن عبد الواحد البغدادي ،
وكان طلب من المعري شراً بفسير له قليل نفقة ، واعتذر بهذه الأبيات .

٧ شروح السقط : أتم . ٨ الصفا : الميل .

فمن رسالة أبي جعفر [بن] الدودين يردّ عليه

فصل^١ يقول فيه :

احسأ أيّها الجهول المارق ، والمرذول المنافق ، أين أمّك [١٩٥ ب]
تكلّمتك أمّك . أو ما علمت أنّك [إنما] سحّبت^٢ من عيّالك لعقّالك^٣ ،
وقدّمت أولّ قدمك لسفك دمك ، وبسطت مكفوف كفّك لسلطان حتّفك ،
فقلّمت شبا أقلامك لاصطلامك ، وحبّرت بحبرك لذهاب خبرك ، ومشقّت
في قرطاسك لمشقّ راسك ، فما حقيقة جوابك على خطّ خطابك ،
إلاّ سلبك عن إهابك ، وصلّبك على بابك ، لو كان بالحضرة أقبال ،
وحضرك رجال ، لكنّك بين همّج هامج ورعاع مائج ، ﴿ مذبذبين بين
ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ (النساء : ١٤٣) . فأقسم ببارئ النّسم ،
وناشر الأمم من رفات الرّمم ، لأصيرنّ عليك أيها السّخيف المضعوف ،
— على نذالتك وفسالتك — عرض البساط ، أضيق من سمّ الخياط ، ولأخلطن^٤
قصبك بعصبك ، ولأجمعن بين سحرك ونحرك ، ولأخلدك سمرّاً غابراً ،
ومثلاً سائراً [أو نُشوّه حيّاك ، ونخلق سبالك من قفاك ، وتحتزّم بزّارك ،
وتلحق بأديارك] مآلك ومقرّآلك ، أسرتك الأرذلين ، وعيرتك الأنذلين ،
الصّهْب السّبال ، من ولغ الدم وشرب الأبال ، أكلة الجيف ، وحلّة
الكُنْف ، الوضّح الرّجّج : رُجّج الأكفال ، وضّح كذوات الأحجال ، فلله
أبولك لقد أجدت في قومك الوصف ، وبسطت لنا منهم النّصف^٤ ، وأنا

١ ط د س : فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها .

٢ ط د س : سمحت .

٣ المقال : الحبل يعقل به البعير ؛ وفي س : لاعتقالك .

٤ ب م : الرصف .

الآن أنصِف ، وفقارَكَ أَقصِفُ .

عُلِّمْ حِلْمٌ : عُلِمَ بالتَّداوي من القَرَمِ ومَنافعِ العُلَمِ ، حُلِّمْ "عن كلِّ" مجاوزِ الحُلُمِ ذي طعنٍ سديدٍ بعُددٍ شديدٍ .

جُمُحٌ طُمُحٌ : الآنَ صدقتَ ، وغَلَطْتَكَ يا فطنٍ استدرَكَتَ : جُمُحٌ في الإحجامِ عن الإقدامِ ، طلبَ الفِرارِ يومَ الانتصارِ وإدراكِ الثَّارِ ، طُمُحٌ إلى كلِّ رَمُوحٍ طَمُوحٍ ، يَطُولُ الشُّبْرَ وَيُطِيلُ الشُّبْرَ ، مَعَلَبٌ مَعَلَبٌ^٢ ، ذي خَلْقٍ^٣ مرصوصٍ وهامةٍ كالْفصوصِ ، إِيَّاكَ ولُعَابِكَ أنْ يمحُوَ كِتَابَكَ .

حِماةُ السُّروحِ . بناه^٤ الصُّروحُ : النَّصْفَةُ^٥ يا كُشاجِمُ لا الأَنفَةَ ، غُضٌّ قليلًا من طرفِكَ ، وأَمْسِكَ بعضَ عِنانِ طرفِكَ ، ولتتَحَاكَمْ في ذلكَ إلى ظَرْفِكَ ، هلْ يَجُوزُ في التَّحْصِيلِ ، أوْ يَصِحُّ في العَقولِ ، أنْ يحميَ قومُكَ سُرُوحَ شائِهِمْ ، وقد أباحوا فُرُوجَ نِسائِهِمْ ؟ أليسَ هَذَا عَيْنَ المَحَالِ ومِغالطةَ البُهِهَالِ ؟ فهِلَّا تَوَهَّمتَ يا فتيَ الجِوابِ قَبْلَ الخُطابِ ، وأَبصرتَ الوَرطَةَ قَبْلَ السَّقَطَةِ ؟ ١

وأَمَّا ما قَعَقَعْتَ بِهِ ووَعِوعْتَ مِنْ صِوَاحبِ الرِّاياتِ ، فَهِنَّ وأَبْيَكِ

١ الشُّبْرُ : الجِماعُ .

٢ المَعَلَبُ : الصِّلبُ الغَلِيظُ ؛ المَنْلَبُ : الغَلِيظُ أيضاً ؛ وَعِنْدَ هَارُونَ : المَعْلَفُ المَغْلَفُ : بِمَعْنَى المَسْمُونِ ذُو الغُلْفَةِ ؛ وَلَوْ قُرِئَتِ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ « المَقْلَفُ » لَكَانَ أَصَوْبَ ، وَهُوَ الَّذِي نَزَعَتْ قَلَمَتَهُ .

٣ طَدَسَ : غَلَوَسَ .

٤ طَدَسَ : نَمَاةٌ .

٥ ب م : القِصَّةُ .

بعضُ بذات ربة الإيالة^١ ، إماننا المسيبات المتهنات ، ملكتناهنَّ ظبا البيض
الهنديّة ، وشبّا السُّمر الرُّدينيّة ، فما عُنَجنا بهنَّ عما عودتموهنَّ من البيّغ
للاسترضاء ، فكثّر معشر العُربان من ولد سارتكم الإموان^٢ والعبدان ، وفيك
وأبيك من ذلك أصحُّ دليل وأوضح برهان . فهلاًّ يا فتي ثقيفت ، ودون
هذا الفصل وقفت ؟ !

رجع^٣

بُصْرٌ صُبْرٌ : <بُصْر> بتركيب عَصَب [١٩٦ أ] أنابيب السُّرر ،
ومنافعها [بزعمهم] للجِسم والبصر ، صبر على إيغال الغراميل الطّوال .
سُرُجٌ وهُجٌ : سُرُج المَضْجاع ، وهج تحت المَضْجاع ، لا يُطفأ وهَجَانُ
ذلك السَّعَر^٤ ، إلّا بدافق ماء الكَمَر .

مُلْسُ الأُدُم ما حاكوا قَطُّ بُرودا ولا لأكوا عُرودا : هذا وأبيك
من التعريض الرقيق في مقالك وآلك ، وذلك أنّك وصفتهم بامّلاس الجلود ،
وقفيت بنقي لوك العُرود ، فهذا لعَمرك من بديع التّحقيق ، فافخر
فهاتان صفتان سلّمتا لأجلك لقومك . وأما لوكهم^٥ العُرود فأوضح من
السّراج الوهّاج في اللّيل الدّاج ، لكن ألع بذلك لمعة تشهد بذاتها على ذواتها
وذلك أنّ قد تحدّث أنّ ولدانتكم عطّلوا في بعض أعوامكم سُوق نساءكم ،

١ ط د س : ربّات ؛ ب م ط د س : الآيات .

٢ الاموان : جمع أمة .

٣ ب م : رجع الحديث إلى ابن اسحاق .

٤ في النسخ : صبر بصر ، ورددته ليتفق مع ما ورد في رسالة ابن غرسية .

٥ ط د : السدير .

٦ ط د س : لوك .

فَنُصِي ذلك إلى المليك^١ العظيم ، فحكّمَ أكرِمَ به من حَكَمَ^٢ أن يبيع النِّسوانُ من أنفسهنَّ ما أباحَ الولدان ، فامتثلن ذلك ، فاتَّسَقَت الحالان ونفَقَت السُّوقان ، وما سُمِعَ في الأزمان بأغربَ من هذا الشَّان ، فاشمَخَ بأنفك ، وافخرَ بنِصْفك^٣ .

وأما حَوَكُكُمْ^٤ البرود ، فناهيك من الغِفارة الإفرنجية إلى الديباجة الرومية ، والنَّسبتان بذلك تشهدان .

وأما فخركَ برَبَّة الإيالة^٥ فيا ليتَها حين ولدنكم ثَكَلتكم ، فلقد سربلتموها عاراً مجدِّداً ، وعصبتُم بها شِئناً مغلِّداً ، حين خِصِمْتُم عن الكفاح ، حذَرَ الصَّوَارِم والرِّماح ، فأسلمتم لعدائِها من بناتها ، كل طَماعة رَدَّاح ، جائلة الرِّشاح ، ذات ثغر كالأقحاح ، وغرَّة كالصباح ، أَعْجِلُنَّ عن لَوث أُرْزُهْن واعتجار خُمُرهنَّ ، فعوِّضن من الإدلال [بالإذلال] ومن الحِجَال بالرجال :

خلفَ العَضاريط لا يوقينَ فاحشةً^٦ [مستمسكاتٍ بأقناب وأكوار]^٦

وأما ما عيَّرت به العرب من الاغتذاء بالحيات ، فكتفذيكم^٧ بالدِّماء

١ ط د س : مليككم .

٢ ط د س : محكم .

٣ ط د : بيضك .

٤ ب م : حوكهم .

٥ في النسخ : الآيات .

٦ البيت للنابغة الذبياني ، ديوانه : ٨٢ وروايته :

خلف المضاريط من عوذى ومن عمم مردفات على أحناء اكوار

والمضاريط : الأجراء والتباع ، وعوذى وعمم من لحم ؛ والأكوار : الرجال .

٧ ط د س : وعيرت العرب بالاغتذاء . . . لشفذيكم .

والمَيْتَات ، فيمتاز الضدّ ويقع الحدّ ، بين من تناهت جرأته وماتت همّته . على أن لا افتخار في مشرب ولا مطعم ، لعرب ولا لعجم^١ . وكذلك ما عيّرتهم به من حرق الجليّة والبعر ، غرّوا بإضرار النّيران ، وانضاج سدف الثّنيان من البعران ، لإكرام الضّيفان ، ولإطعام المقرور الجوعان ، إلى أن عديّوا الأرطى والغضا ، وموجود السّمّر ، وسائر أنواع الشّجر ، فلعجأوا إلى الجليّة والبعر ، فهل تقدّم لأحد من الأمم مثل هذا القدم في الكرم ، يا قدار العجم ؟ !

وكذلك وصفك قومك بأن ليسوا حفرةً أكر ، ولا حفرةً عكّر : الله أجلّ الأكر أن يحفّروها ، والعكّر أن يحفّروها ، لكنّهم حفرة جحشان ، وحفرة كُهوْف وغيران ، اتخذوها مخبأ عن حبائل^٢ العُربان ، وملجأ من وقع الصّوارم والمُرّان ، فعِل الحِزّان^٣ واليرابيع والجرذان ، وشبه ذلك من أنواع الحيوان . [١٩٦ ب]

وأما فخرك بعلمهم الشرائع ، فمِن أبداع البدائع ، استنّيت الفِصال حتّى القرعى^٤ ، وجهلهم بذلك أوضح من أن يُشرّح ، وأبين من أن يبيّن ، لكن أنكّستُ من ذلك نكّته ، وأنبذُ منه نبذة تصفعهم صفعاً ، وتردُّ صُهب أدُمهم سُفْعاً ؛ وأتى يكون ذلك كذلك ، هُيِّلت لآلِكَ ، ولم يأخذوه عن نبيّ ، ولا نَقَلوه عن حواريّ ، ولم يزالوا يتعاورون أصلهم الإنجيل بالزيادة والنقصان ، إلى أن أصاروه في حيّز الهديان . وحسبك بهم جهلاً

١ ط د . ملهم ولا مشرب لعجم ولا لعرب ؛ س : مطعم ولا مشرب لعرب ولا لعجم .

٢ هـ . د : قبائل .

٣ الخربان . جمع خرز وهو ولد الأرنب .

٤ هذا . لا يسرب للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، انظر فصل المقال : ٤٠٢ ، والجمهرة

١ : ٣ ، ٨٢ : ١ والمصري ٧١ .

أنهم يعتقدون إلهاً نبيهم ، فوسموه^١ بالرب المعبود ، وصيروه بعد مصابوب اليهود ، فاعجب لجهل يجمع بين هذين الطّرفين . وأعجب من ذلك أنهم مُجمعون أن عيسى ينزل إلى الأرض لحساب الخلائق يوم العرض ، فما ظنك بفعل اليهوديّة على ما قدّموه على زعمهم من صلبه إذا ناقشهم الحساب ؟ فهل يصحّ بهذه الآراء الضعيفة والعقول السخيفة دين أو يثبت [لهم معه] يقين ؟ ولولا أنني أجلّ قلبي وأنزّه كلمي عن سخافاتهم في دياناتهم ، وبيرساميهم^٢ في أحكامهم ، لأوردت من ذلك ما لا يستجيزه إلاّ مثال قومك العجس ، عقول البوم والرخم .

وأما علم الطبائع فسلمّ بعضها لهم ، لما تقدّم في أثناء الرسالة ، من علمهم بخواص تلك الآلة ، والصدق أزيّن ما به نطق وإليه سبق .

وما ذكرته من أبي رغال ، فذلك جدّ محتال^٣ ، قاد أعداء^٤ علماً منه باستئصالهم على اختيارهم إلى بوارهم ، فعجل الله بأرواحهم إلى نارهم .

والآن تذكرت مساق أبي غبشان ، وما أنسانيه إلاّ الشيطان ، ذلك الذي به ظننت ومنّ قضيته عظمت^٥ ، وليس الأمر كما توهمت ، لأن الكعبة بيت الله وملكه لا شريك له وضعه الله تعالى للعباد ، وسوّى بين العاكف فيه والباد ، وأبو غبشان إنما باع خِدْمَتَه في البيت [وهبتها وصمة سفيها العربي^٦ ، أين تقع من قضية إمامكم يهوذا الحواري] إذ باع نبيّه روح

١ ط د س : فسموه .

٢ البرسام : علة تسبب الهديان .

٣ ب م : مختار .

٤ ط د : باد وأعداء .

٥ ط د س : وقضية أبي غبشان التي عظمت .

٦ هارون : قضية . . . الفوي .

القُدُس من اليهود أعدائه بالأفلس ، فكذب الله ظنّه وأنجى نبيّه ، فدونك
ضَعُ قضية سفيهنّا في كذّة وفي أخرى قضية إمامك ، ورجّح بينهما بفص
خيتامك^١ .

وأما وصفك قومك أنّهم مُجُودٌ نُجُودٌ ، شمع بُذخ ، [عرقٌ عرقٌ :
فهيات هيات ذلك منهم !! تلك صفات قومنا العرب ذوي الأنساب
والأحساب ، والعلوم والحلوم ، أولي اللّسن والبيان واللّحن ، والإسهاب
في الصواب ، والحكمة وفصل الخطاب ، فرسان العرب^٢ وأرباب القِباب ،
ومُعَمِّلِي الصّوارم والحِراب ، أنديتهم عراصُ المنيّة ، وأرديتهم بيض
المشرفيّة ، ولبوسهم مُضَاعَفَةُ الماذية^٣ :

سَهَكِينَ من صلب الحديد كأنّهم تحت السّنور جيئة البقّار^٤

مجالسهم السّروج ، وريحانهم الوشيج [١٩٧ أ] وموسيقاهم^٥ رنّات
الرّدينيّات ، وطوبيقاهم^٦ نغمات السّريحيات ، لم تكن قادتهم النّساء ،
ولا إرادتهم في آجالهم النّساء^٧ ، مناهم تعجيل منايهم :

يَسْتَعْدُونَ منايهم كأنّهم لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلُوا^٨

١ س : بيمض ختامك ؛ ب م : بفص .

٢ العرب : الخيل العرب ؛ هارون : الأعراب .

٣ الماذية : الدروع اللينة ؛ المضاعفة : التي نسجت حلقتين حلقتين .

٤ البيت للناطقة ، ديوانه : ١٠٠ ، والسهكة : خبث الرائحة ؛ السنور : الدروع أو السلاح
كله ؛ البقار : موضع يرمل عالج ؛ يقول كأنهم في سلاحهم جن . ن جن ذلك المكان .

٥ ب م : وموسيقاتهم .

٦ ب م : وطوبيقاتهم ؛ وطوبيقا تعني المبارة .

٧ ب م : أرادهم ؛ هارون : رادتهم ؛ النساء : التأجيل ، والمعنى أن التأخير في الأجل
لم يكن من هبهم ، وفسر ذلك بقوله : « مناهم تمجيل منايهم » .

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ١٧ .

عُنُوا بِمَدِّ أَطْنَابِ الْأَفْنِيَةِ ، عَزَّةً وَأَنْفَةً عَنِ تَشْيِيدِ الْأَبْنِيَةِ ، مُحَالِفِي
الصَّحَاصِحِ وَالْبَيْدِ ، فَعِيلَ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسْوَدِ ، قُصُورِهِمُ الْمَنَاهِلَ ، وَمَعَاقِلِهِمُ
الذَّوَابِلَ . صُبْرٌ وَقُرٌّ : إِذَا ثَارَ الْغُبَارُ ، وَأَسْوَدَّ النَّهَارُ ، وَحَسُنَ الْفِرَارُ ،
وَذُهِلَتِ الْأُذْهَانُ ، وَأَبْهَمَ الْعِيَانُ ، وَتَلَجَّلَجَلَ اللِّسَانُ ، وَتَلَاطَمَتِ السِّيُوفُ ،
وَحَمِيَّتِ الْحَتُوفُ ، وَقَلَبَتِ الشَّعَاهُ وَخَمَسَتِ الْأَنْوُفُ ، وَعَصَبَ الرَّيْقُ
<بِالْأَفْوَاهِ> وَتَعَانَقَتِ الشُّجْعَانُ ، وَتَشَاجَرَ الْمُرَّانُ ، وَبَرَحَ الْحِمَامُ ، وَفُلَّ
الْحَسَامُ ، وَحَمِيَّ الْوُطَيْسُ ، وَتَفَتَّتِ الْأَقْدَامُ وَالرَّعُوسُ ، فَلَا تَرَى إِلَّا حَزَّ
الْغَلَاصِمِ ، وَشَيْمَ الصَّمَامِ فِي الْجَمَاجِمِ ، فَهَنَالِكَ تَلْقَاهُمْ ، لَا دَهِيْمَكَ
لِقَاهُمْ ، أَقْيَالَ الْأَقْيَالِ ، شَمِرَةَ الْأَذْيَالِ ، أَسْوَدَ الْأَغْيَالِ ، حُمَامَةَ الْأَشْبَالِ ،
لَا مُلْسَ أَدْمٍ وَلَا جَرَّةَ الْأَذْيَالِ ، وَهَكَذَا فَلْيَكُنْ أَقْيَالُ الرِّجَالِ ، يَا مُسْلُوبَ
الْحِجَالِ .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَزُّ الذُّيُولِ ٢

وَمَا كَانَ أَغْنَاكَ يَا كُشَّاجِمَ ، عَنْ كَشْفِ عَوْرَاتِ آلِكَ الْأَعَاجِمِ ،
لَكِنْ ضَعُفَ نَظْرُكَ ، حَدَاثَكَ إِلَى هَتَدَرِكَ ، وَسُوءُ أَدَبِكَ ، وَافِيَ بِكَ عَلَى
عَطَبِكَ ، نَسِئَلُ اللَّهَ سِتْرًا يَمْتَدُّ ، وَوَجْهًا لَا يَسْوَدُّ .

قال أبو الحسن : وممن ردَّ أيضاً على ابن غرسية ٣ وأجاد ما أراد أبو
الطيب عبد المنعم القروي ٤ ، برسالة أثبت أكثر فصولها ، على طولها ،

١ ط د : وأم ؛ س : وترنم .

٢ البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٣٣٨ .

٣ ط د س : أيضاً عليه .

٤ ط د س : عبد المنعم بن من الله القروي ؛ قلت : كنيته أبو الطيب دخل الأندلس وحدث
في شرقها عن ابن البر الصقلي ، وكان أديباً شاعراً ، توفي سنة ٩٣ هـ (الصلة : ٣٧١) =

لاشتمالها على المآثر العريضة ، والمفاخر الإسلامية ، قال في أولها مفتتحاً :

وذي خطل في القول يحسب أنه مُصِيبٌ فما يُلمِمُ به فهو قائلُه^١
نهدتُ له حتّى ثنيتُ عنانَه عن الجهل واستولتُ عليه معاقلُه
تعالَ فخبّرني علامَ تشدّدت قوَى العير حتّى أحرزتك مجاهله .

وفي فصل منها : أيُّها الفاخر بزعمه ، بل الفاجر برُغمه ، ما هذه البسالة في الفسالة ،
ما هذه الجسارة على الحسارة ، لقد تجرأت ومن المِلَّة تبرأت ، وكيف جهلت -
حتى وهات ، وكيف زللت حتى ضللت ؟ ! أبا العرب تمرّست وفي مجدها
تفرّست ، وعلى شرفها [١٩٧ ب] تمطّيت ، وإلى سُوددها تخطّيت ،
أما تهديت لما تعدّيت ، أما وجمت مما هجمت ، أما اتقيت مما ارتقيت ؟ !

إنا إذا ما فئةً ناقاها^٢ نردُّ أولاهها على أخرها
نردُّها داميةً كُلاهها قد أنصف القارة من رامها

وفي فصل : فأخبرني عنك أما كانت للعرب يدٌ تشكرها ، ومِنَّةٌ
تذكرها ؟ أمّا جبرّت نقيصتك ، أما رفعت خسيستك ؟ أما استنهضتكَ
من وهديتكَ ، أما أيقظتكَ من [غفائك و] رقدتك ؟ ألم تُربِّك فينا وليداً ، ألم
تتخيلك لها تليداً ؟ ألم تُعِنّ بتخريجك وتدريبك ؟ أما أنطقستكَ بعد العجمة ،
أما أسلقتكَ^٣ عقب اللُّكنة ؟ حتى إذا اشتد كاهلك وعَلِمَ جاهلُك ، وقوي

= وقد ذكر البلوي رسالته ، وكذلك صاحب كشف الظنون بهنوان « حديقة البلاغة ودوحة
البراعة . . . الخ » .

١ البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١٣٩ .

٢ انظر الميبداني ٢ : ٣١ في المثل « قد أنصف القارة من رامها » .

٣ أسلقتك : جعلتك ذا سليقة ؛ وفي ب م : أما بلغتكَ عيب اللكنة .

ساعدك ورقّي ضاعدك ، كفرت نعمتها لديك ، ونثرت عصمتها من بين يديك ، وأخذت تطاولها^١ بأرسانها ، وتقاولها بلسانها ، وتُناضلها بسهامها ، وتهاطيلها برهامها^٢ ، أحين فكّت أسرك من أفدورة القلف ، وأخذت بضبعيك من أهويّة التلف ، وشدّت ظهرك للمتان^٣ ، واعتمدت ظهرك بالختان ، ناهضتها بحسامها ، وجاهضتها بكلامها ، ورميتها [بسهامها] ، عن قوسٍ هي نبعثها ، ومن هضبةٍ هي قلعتها ؟ !

أعلمه الرّماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رماني^٤

وفي فصل : وهات أرينا مفاخركَ ، نُرك مَسَاخرَكَ . أنت صاحب الشُّهب الصُّهب ، والسَّنة شهباء ، والجُهامُ صهباء . كذلك أنتم لا خير ولا مير ، ولا عمرو ولا عُمير ، ليس للسَّخاء بالرُّومية اسم ، ولا للوفاء في العَجَميّة رسم . أين أنت عن السُّمر القُمر ، البيض غُرراً وصفاحاً ، السُّود طُرراً وأوضاحاً ، الدُّعج عيوناً ورماحاً ، البُلجج وجوهاً وسماحاً ، قِمَمٌ في العمام ، وهِمَمٌ في الغمام ، سَعَّروا عليكم نارَ الحرب ، بتلك الأينقُ الجُرب ، فكسروا أكاسرتكم^٥ ، وقصَّروا قياصرتكم ، فسفكوا دماءهم ، وأباحوا أحماؤهم ، وأحمدوا نارَ صولتكم^٦ ، ونحو آثَارَ دولتهم^٦ ، وطهَّروا

١ ط د : تسايها .

٢ الرهام : جمع رحمة وهي المطرة تكون أشد من الديمة .

٣ ط د : بالبيان ؛ س : بالإيمان ، خ : بهامش س : بالمتان ؛ والمتان أو المماننة : المباركة في الجري إلى الغاية .

٤ البيت لمن بن أوس ، انظر اللسان (سدد) وفيه : فلما استد .

٥ ط د س : كياسرتكم .

٦ ط د س : صولتكم . . . دولتكم .

الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجد الأقصى من أرجاسكم ، الذين يتنجسون ولا يستنجون ، ويُجنبون ولا يتطهّرون ، رعاة الخنازير ، وأكلة السنائر ، وطهاة الثناير ؛ أمّا رجالكم فقلّف غُلْف ، وأما نساؤكم فقُدِّرْ بظُر ، لا يعرفون الخفاض ولا الختان ، ولا يألِفون السَّنانَ ولا العنان . ويحك ما آثرت وبمن كاثرت ، أما استحييت مما انتحيت ؟ ! هل كانت العربُ إلّا كَنز عَزٍّ وذُخْر فَخْر ، وخبيثة ذخرها الله إلى الوقت المحتوم ، وأسكنها أرضاً يرغب عنها أولو البطنة ، ويرغب [١٩٨ أ] فيها ذوو الفطنة ، حفظ فيها أحسابها ، وطهّر بها أنسابها ، واختارها ليختار منها صفيّه ، وميّزها ليميز منها حَفِيّته ، ثم اختصّها بالأحلام الزكية ، والأفهام الدكيّة ، [إن جاورتهم نصرؤك ، وإن حاورتهم مفصروك] وإن فاضلتهم فضلوكم ، وإن ناضلتهم نضلوكم ، وإن طاولتهم طالوك ، وإن استنلتهم أنالوك ، بالكرم بلهجون ، وبحسن الشيم يبهجون ، يمشي أحدهم إلى الموت ثابتةً وطأته ، فسيحةً خطوته ، شديدة سطوته ، جرياً على الكُماة جَنَانُهُ ، لبقاً^٢ بتصريف القناة بنائه^٣ ، بصيراً بمهج الدّارعين سنانه ، وأنتم كما وصفت^٤ مُلْسُ لُئْس ، لا تُغيرون ولا تغارون ، ولا تمنعون ولا تمتنعون ، قُلُوبكم قوآء ، وأفئدتكم هواء ، وعقولكم سواء ، قد لانت جلودكم ، ونهدت نهودكم ، واحمرت خلودكم ، تحلّقون اللّحي والشّوارب ، وتتهادّون القُبل في المشارب ، وتعفون اللحم ، وتوفررون اللحم :

١ ط د س : بما .

٢ ط د : لقناً .

٣ من قول عبيد يغوث بن وقاص الحارثي :

وكنّت إذا ما الخيل شمصها القنا لبيقاً بتصريف القناة بنانيا

٤ ب م : وصفتهم .

والحربُ^١ لا يبقى لصا حبها^٢ التخيلُ والمراحُ
الا القى الصبَّار في النَّجْدَاتِ والفرسُ الوقاح^٣
يا بؤسَ الحربِ التي وضعتُ أراهم فاستراحوا

والعربُ تدمُّ بالدَّعةِ ، وتهجو بالسَّعةِ ، وتفخر بالجلادة ، وتبهج
بالصلادة ، فإن فاخرتها فبغير الطعام والشراب ، ولكن بالطَّعان والضراب ،
وما عليك من لوك العُروء ، أخيفت إعجازها ، وخشيت إعوازها ؟ أليك
حاجة إليها ؟ ألك حرصٌ عليها ؟ لشدَّ ما أدركتك الحمية فيها ، وحرَّكتك
العصبية لها ! هذه نادرة لم تحرد لها وبادرة لم تقصِد قصدها ، وأنت إن شاء
الله بعيد منها . ومن الآيات ذكر صواحب الرايات ، والمباضعة عندكم
كالمراضعة ، مافي الشُّكر عندكم نُكر ، [تُبَيِّحُونَ] ولُوج العلوج ، على
بدور الحدوج ؛ الزُّنا عندكم سَنَا ، والفجار بينكم فغار ، تقتادونهن
وتستأدونهن ، فكيف أنكرت ما ذكرت ، وسرفت ما عرفت ، وأنت على
سنن تلك السنن ، الحال قائمة والقصة دائمة :

* وأول راضٍ سنةً مَنْ يسيروها *

ومتى كنتم تصبرون ولا تصبِّرون ، وفي أي المواطن تظفرون ولا

١ الأبيات لسعد بن مالك من قصيدة حماسية رقم : ١٦٧ (المرزوقي : ٥٠٢) مع اختلاف في ترتيبها .

٢ الحماسة : لحاحمها .

٣ النجدات : الشدائد ؛ الوقاح : الجريء الصلب .

٤ طدس : الحدود .

٥ من قول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي ؛ وصدر البيت : فلا تجزعن من سنة أنت سرتها (ديوان الهذليين ١ : ٢١٣) .

تُظَنَّفَرُونَ ؟ أليس شعاركم : الهَرَبُ الهَرَبُ ، هذه العرب ! ! أليس قد دفعوكم بكفاحكم وصفعوكم^١ بصفاحكم ؟ أليس الذين قَوْمُوا ألسنتهم ، وأرسلوا أعنتهم ، من أعالي نجدٍ وأسافيل تهامة ، وضواحي طَيْبَةَ ونواحي اليمامة ، ومما بين مدين إلى عدن ، لا يردّهم رادّة^٢ ، ولا تصدهم صادة ، حتى أهلكوا ساسان وكاسان ، وملكوا خراسان وماسان [١٩٨ ب] ، وسلكوا بالقطهر ما وراء النهر ، فأدخلوكم الدُّرُوبَ وألزموكم الكُرُوبَ ، بجريدة خَيْلٍ وطريدة وِيلٍ ، وأمضوا فيكم العزائم ، وأرضوا منكم الهزائم ، حتّى أجبروكم روميّة الدّقراء ، والقسطنطينيّة البخراء ، لا تاوون على تريك ، ولا تعوجون على ضريك^٣ ، ونازلوكم منها على ذراعين ، وصرعوكم بين المِصرَاعَيْنِ ؟ ! ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموده^٤ ، وخبر^٥ خالد بن يزيد في أخدوده ؛ والرّايةُ المعلمة والآية المحكّمة ، مسجد مسلمة^٦ ؟ [ثمّ كم قائظة غائظة ، وصائفة عليكم طائفة^٧] ؛ ثمّ عطفوا مغرّبين ، وللأرض مجرّبين ، فما تركوا من الأعاجم عاجماً ولا ناجماً ، ولا أبقوا من البرابر عابراً ولا غابراً [وساروا قدماً يذبّحون البرّ ذبحاً ، ويسبّحون البحر سبّحاً] حتى طرقكم طارقُهم في هذا الطّرف ، ورشقّكم راشقُهم في هذا الهدف ، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأنا رموها بالحجارة فما أخطأوها ،

١ ب م : وصفوفكم .

٢ ط س د : فصاروا معرّقين وعلوا مشرّقين لا تردّهم رادة .

٣ التريك : البهيضة أو العثقود إذا أكل ما عليه ؛ الضريك : الفقير السيء الحال .

٤ ط د س : أما بلنك . . . بعموده .

٥ ط د س : وقبر .

٦ س : ثمّ مسجد مسلمة .

٧ ط د : ماقطة غابطة وطايمة عليكم طالمة .

فملكوا أرضكم بساحتَيْها ، وأحاطوا بها من ناحيتَيْها ، سلبوها بأقطارها ،
وحلبوها من أقطارها :

وَضَمُّوا جَنَاحَيْكُمْ إِلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً ١ تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ ١

[فما تعرَّضْكَ لِقَوْمٍ سَلَكَوا بِلَادَكُمْ ، وَمَلَكَوا تِلَادَكُمْ ، وَاسْتَعْبَدُوا أَوْلَادَكُمْ .
ثُمَّ إِنَّهُمْ حِينَ قَدَّرُوا غَفَرُوا ، وَوَضَعُوا الْإِتَاوَةَ عَلَى جَمَاجِمِ الْأَعَاجِمِ ، وَالْوُشُومِ ٢
فِي بَرَاكِجِ الْعَلَاجِمِ ٣ ، فَلَا يَحْضُرُونَ الْعَشَّارَ إِلَّا ٤ بِالْغِيَارِ ، وَلَا يَشْهَدُونَ الْأَسْوَاقَ
إِلَّا ٥ بِالْأَطْوَاقِ ، فَإِنْ دَخَلْتُمْ فِي الدِّينِ قُطِيعَتِ أَسْتَاهِكُمْ ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ مِنْهُ
أُخِذَتْ الَّتِي فِيهَا شَفَاهِكُمْ ٥ ، وَكُنْتَ أَنْتَ مِنْ رِذَايَا تِلْكَ السَّبَايَا ، وَمِنْ عِبَايَا
تِلْكَ الْخَبَايَا ، وَمِنْ خَطَايَا تِلْكَ الْعَطَايَا ، فَلَا تَحْرُدُ حَرْدُ الْمُقْهُورِ ، وَلَا تَضْجَرُ
ضَجَرُ الْمُبْهُورِ ، وَلَا تَحْنُقُ حَنْقُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَيْدِ ، وَلَا تَغْضِبُ غَضَبُ
الْمُسْتَقِيِّ عَلَى الْعَيْدِ ٦] وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ فَقَبْلَكَ مَا قَصَرُوا الْأُمَمَ ، وَهَضَرُوا الْقَمَمَ ٦ ،
وَهُمْ أَبْكَارُ الزَّمَانِ وَأَفْكَارُ الْأَوَانِ ٧ ، لَهُمُ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ ، وَمَنْهُمْ عَادُ الْغَالِبَةِ ،
ذَاتُ ٨ الْأَحْلَامِ السَّدَادِ ، وَالْأَجْسَامِ الشَّدَادِ ، وَلِأَرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ
مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَمِنْهُمْ لَقَمَانُ ٩ صَاحِبِ النُّسُورِ وَيَانِي الْقُصُورِ ، وَمِنْهُمْ

١ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٣٧٨ ، وغير في الرواية تمعناً .

٢ ط د : والوجوم ؛ وأثبت رواية س ، وعند هارون : والمرسوم .

٣ هارون : السلاجيم ؛ والعلاجيم : جماعات الناس ، والمعنى أنهم وشموهم على أيديهم ،
لكي يعرفوا إلى أي قرية ينتمون ، كما يروى من فعل الحجاج .

٤ المشار : قابض العشر ؛ الغيار : علامة أهل الذمة ؛ ط د س : العيار .

٥ التي فيها شفاهمكم : كناية عن الرؤوس ؛ س : أخذ فيه شفاهمكم .

٦ ب م : وصهروا بالقسم ؛ ط : القسم .

٧ ط د س : الأمان .

٨ ط د : ذوات .

ثُمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَنَحْتُوا الْبُيُوتَ فِي الْأَطْوَادِ ، يَتَخَذُونَ
السَّهْلَ قُصُورًا آمِنِينَ ، وَيَعْمُرُونَ الْأَرْضَ سَاكِنِينَ ، لَهُمُ الْقَضَبُ وَالْحَضِيمُ ،
وَالنَّخْلُ الَّتِي طَلَعُهَا هَضِيمٌ^١ ، وَمِنْهُمْ الْعِمَالِقَةُ وَالْجَبَّارُونَ ، وَالْفِرَاعِنَةُ
الْقَهَّارُونَ ، أَنْتُمْ لَهُمْ أَكَّارُونَ ، [وَحَرْبَةُ عَكَّارُونَ]^٢ ، اتَّخَذُوكُمْ أَكْسَابًا ،
وَاتَّخَذْتُمُوهُمْ أَرْبَابًا ، وَمِنْهُمْ التَّبَابِعَةُ الْآكِلُونَ ، وَالْمَرَابَعَةُ^٣ الْأَفْضَلُونَ ،
وَمِنْهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ صَاحِبُ السِّدِّ ، وَشِمْرُ مَحْرَبُ سَمُرْقَنْدَ ، قَالَ تَعَالَى
﴿أَهْمُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُتَّبَعُ﴾ (الدخان : ٣٧) ، فَضَرَبَهُمْ مِثْلًا فِي الْجَلَالَةِ ،
وِغَايَةِ فِي شَرَفِ الْحَالَةِ . وَلَهُمُ الْمُلُوكُ مِنْ حَمِيرٍ وَالْمَقَاوِلُ مِنْ كَهْلَانِ :

كَانُوا سَمَاءَ الْوَرَى قَبْلَ النَّبِيِّ وَهُمْ لَمَّا أَتَى الْحَقُّ فِيهِمْ أَنْجَمٌ زَهْرٌ
سَمَوْا بِمُلْكِهِمْ قَبْلَ الْهَدْيِ وَسَمَّوْا مَعَ الْهَدْيِ فِيهِمْ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا
وَلَاةَ عِلَاةٍ ، وَسُمَاءَ حِمَاةٍ ، لَهُمُ الْعُلُوفُ وَالْعَلَاءُ ، وَفِيهِمُ الْعَبَاهِلَةُ وَالْأَذْوَاءُ :

وَمَا حَمِيرٌ فِي النَّاسِ إِلَّا كَبَاذِخٍ يَعِيشُ الْوَرَى فِي ظِلِّهِ الْمَتَمَدِّدِ
هُمْ الْأَنْفُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ وَمَجْدُهُمْ عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ بِجَلْمَدٍ
هُمْ مُلْكُوكَ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَعَدُّوا جِيَادَ الْخَيْلِ فِي كُلِّ مَوْرَدٍ [١٩٩أ]
وَسَدُّوا عَلَى يَأْجُوجَ لَمَّا تَتَابَعَتْ عَلَى الْعَيْنِ فِي قِطْرِ مِنَ الْعَيْنِ مَبْعَدٍ
تَرَى كُلَّ مَعْطُوفٍ الْوُشَاحِينَ أَحْمَصِ عَلَى كُلِّ مَخْطُوفٍ الْجَنَاحِينَ أَجْرَدٍ
فَمَنْ أَمْرَدٍ فِي السَّلَامِ فِي حِلْمٍ أَشِيبَ وَمَنْ أَشِيبَ فِي الْحَرْبِ فِي جَهْلٍ أَمْرَدٍ
بِأَيْدِيهِمُ الْبَيْضُ الرُّقَاقُ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ مَاءِ الْمَوْتِ قِيلَ لَهَا أَجْمَدِي

١ القَضَبُ : الرُّطْبَةُ ؛ الْحَضِيمَةُ : الْحَنْظَلَةُ ؛ هَضِيمٌ : لَيْنٌ مَرِيءٌ .

٢ الْحَرْبَةُ : الْمُحَارِبُونَ ؛ الْعَكَّارُ : الَّذِي يُؤَلِّي فِي الْحَرْبِ ثُمَّ يَكْبُرُ رَاجِعًا ؛ طَدٌ : خُزْنَةٌ .

٣ الْمَرَابَعَةُ : لَعْلُهُ يَعْنِي مَنْ يَكُونُونَ عَلَى رِبَاعَةٍ قَوْمُهُمْ أَيْ الرُّؤَسَاءُ .

[فأين حصّاتك من جبالهم ، أم أين سفّاتك من نبالهم] .
وفي فصل منها^١ : وعلامَ جثت أصلك من الأنباط ، وأزحت فصّلك^٢
عن الأقباط^٣ ، ما كان ذنبهم إليك وجنابتهم عليك ، حتى أخرجتهم عن
جملة الأعاجم [ونفيتهم] عن جنبه أصحاب التراجم^٤ ، بسبب كرميتهم ،
ومن أجل شريفتهم ، لتسب^٥ العربَ بولادةٍ من تعلق بك ، وتشبّثَ
بنسبك . أما علمت أن أحقّ أفعالك ، وأخرق أقوالك ، سبك عدوك
بولادةٍ امرأةٍ من أهلك ؟ أمّا هذا من جهلك ؟ !
ولما قال ابن فضالة في ابن الزبير^٦ :

ومالي حين أقطع ذات عريقٍ إلى ابن الكاهلية من معادٍ^٧

قال عبد الله بن الزبير : لو علم لي أمّا هي شرٌّ من عمّته لسبّتي بها ونسبتي
إليها ؛ أفلا ترى^٨ كيف غلب عليه حتى سقط شعره فيه ؟ ! وحاشا لمن

١ وفي فصل منها : سقطت من ط د س .

٢ ط د س : فضلك ؛ ب م : نصلك .

٣ ط : الأقباط .

٤ ب م : التراجم .

٥ ب : ينسب ؛ د : يسب .

٦ ابن فضالة : عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدي ، وكان أبوه فضالة شاعراً فاتكاً صلوياً
مخضرمّاً أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان له ابنان شاعران أحدهما عبد الله الوافد على ابن
الزبير والقائل له : إن ناقتي قد نقيت ودبرت ، فقال له : ارقعها بجلد واخصفها هلب . الخ .
فهجاه بأبيات منها هذا البيت (انظر الأغاني ١٢ : ٦٥) وينسب البيت أيضاً لغيره ،
(انظر الخزائن ٢ : ١٠٠) .

٧ الكاهلية : أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

٨ ب م : ترون .

كُنَّا فِي ذِكْرِهِ ، بَلْ لَهَا الشَّرَفُ الْأَرْفَعُ ، وَالسَّيِّئُ الْأَمْتَعُ ^١ . هَذَا عَلَى اتِّصَالِ
نَسَبِكَ بِرُومَانَ ، [فَإِنْ كُنْتَ] مِنْ وَلَدِ كَتْنَانَ فَمَا أَبْعَدَ دَارَكَ ، وَأَشْحَطَ
مَزَارَكَ ، وَأَطْمَسَ آثَارَكَ ! ! وَأَمَّا الْخَيْلُ فَسَامِسِحِ الْعَرَبِ بِرُكُوبِهَا وَوُثُوبِهَا ،
وِخْلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِيُوبِهَا ، فَلَا حِظَّ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ فِيهَا . عَلَيْكُمْ بِالْبِرَازِينَ
الْمُحَدَّقَةِ ، وَالْكُوَادِينَ الْمُوَكَّفَةِ ^٢ ؛ الْخَيْلُ حَرْتُ الْعَرَبِ وَحَصَادُهَا ،
وَعُدَّتْهَا وَأَرْصَادُهَا ، لَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ الْأَعْجَمِيَّةِ تَنَازَعُهَا ذَلِكَ وَلَا
تُدَافِعُهَا عَنْهُ ، تَسْمِيهَا بِأَسْمَائِهَا ، وَتَنْسِبُهَا إِلَى آبَائِهَا ، وَتَعْرِفُهَا بِأَصْوَاتِهَا ،
وَتُؤَثِّرُهَا بِأَقْوَاتِهَا ، وَلِئِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْلَهُمْ أَشْهُرُ مِنْ مَلُوكِكُمْ ^٣ أَسْمَاءُ
وَالْقَابِ ، وَأَطْهَرُ مِنْ نِسْوَانِكُمْ ^٤ أَنْسَاباً وَأَعْقَاباً . قَالُوا : بَنَاتُ أَعُوجَ وَآلِ
الْوَجِيهِ وَلاَحِقِ ، وَبَنَاتُ الْعَسْجَدِيِّ وَآلِ ذِي الْعُقَالِ ، وَدَاحِسُ وَالْغَبْرَاءِ ،
وَالْجَرَادَةِ وَالْحَنْتَفَاءِ ، وَالنَّعَامَةِ وَالشَّمَاءِ ، وَحَافِلُ وَالشَّقْرَاءِ ، وَالزَّعْفَرَانِ
وَالْحَرُونَ ، وَمَكْتُومٌ ^٥ وَالبَطِينُ ، وَقِرْزُلٌ وَالصَّرِيحُ ^٦ ، [وَالْعَصَا] وَالرَّبْدُ
وَالْوَحِيفُ ، وَأَسْمَاؤُهَا كَثِيرَةٌ ، وَالْقَابِهَا شَهِيرَةٌ ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَذَكَّرَ لَنَا مِنْ
خَيْلِ آبَائِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَأَفْرَاسِ أَسْلَافِكَ الْأَقْدَمِينَ ، فَرَساً مَشْهُوراً ، وَفَارَساً
مَذْكُوراً ، فَإِنْ أَتَيْتَ بِذَلِكَ شَهِيداً وَآمناً . وَلَوْ كُنْتَ فَاخِرْتَ الْعَرَبَ بِنَصَبِ
الدَّوَالِبِ [١٩٩ ب] وَعُطِفَ ^٧ الْكَلَايِبِ ، وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ ، فِي الْأَحْجَارِ ،

١ فِي النِّسْخِ : الْأَمْتَعُ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ هَارُونَ .

٢ ط د : وَالْكُوَادِينَ ؛ الْمُحَدَّقَةُ : الَّتِي قَصُرَتْ أُذُنَاهَا ؛ الْمُوَكَّفَةُ : الَّتِي وَضَعَ عَلَيْهَا الْاِكَاثُ
أَوْ الْوَكَاثُ .

٣ ط س د : مِنْ أَسْمَاءِ مَلُوكِكُمْ .

٤ ط د : نِسْوَانِكُمْ ؛ س : أَنْسَالِكُمْ .

٥ هَارُونَ : وَمَكْتُونٌ .

٦ ط د : وَالصَّرِيحُ وَقِرْزُلٌ .

٧ ط د : وَنَصَبِ .

وقطع ما عظم من العيَندانِ ، وعمَل العَلَاة والسَّندان ، رضينا وسلّمنا .
 فأما نحر الليل بأذان الخيل ، وطَيُّ الفلاة بأيدي اليعَمَلات ، وشنُّ الغارات
 وطلب الثارات ، فلا عليكَ أن تخلّي بينهم وبين شصائصهم^١ ، وألّا^٢
 تنازعهم في خصائصهم ، فإنّها لأبيهم أقرب ، وهم بها أدرب ، وهي بهم^٣
 أليق وأعلق ، [وهم إليها أسبق] وهم بها أصب وأملق . يركبون إلى
 الحرب في ثياب الشّرب ، ويعتنقون الزّوارس كما تعتنقون الأوانس :

لو كان في الألف منهم واحد ودعوا من فارس^٤ خالطهم إياه يعنوننا^٥

وفي فصل : وما عيّت من قوم ينزلون البرّاح ويشربون القَرَاح ،
 ويرفعون العِماد ويُعْظِمون الرّماد :

الموقدون بنجد نارَ بادية لا يحضّرون وفقدُ العزِّ في الحضر^٦ ،
 إذا هَمَى القطرُ شَبَّتْها عبيدُهم^٧ تحتَ الغمامِ للساّرين بالقُطر

وقائلهم الذي يقول لغيره :

أوقدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قرٌّه والريحُ فيها برْدٌ وصرٌّ
 عسى يرى نارَكَ منْ يمرّ إن جلبتُ ضيفاً فأنت حر

١ الشصائص : الشدايد .

٢ ب م : وهم بها .

٣ البيت من الحماسة : ١٤ (شرح المزدوقي : ١٠٧) لبعض بني قيس بن ثعلبة أو لبشامة بن
 جزء (أو حزن) النهشلي أو النهشل بن حري ، وروايته : منا واحد فدعوا .

٤ البيتان للمعري . شروح السقط : ١٤٢ .

٥ الرجز لحاتم الطائي ، وقيل إنه لأبي التيمار الراجز ، بحر بن خلف (الوافي : ١٠
 الورقة ٣١ - ١) .

وفي فصل : وما أدري من أين كان فتقدُّ الأحطاب لو فقدوها مثليةً
وليس راجعة إلى خَلْق ولا خُلُق ، ولا معدودةً في نسب ولا حسب ،
ولقد اهتديت إلى طريفة ، وانتهيت إلى لطيفة ، فسبحان الله ما أصدقَ
حِسِّك وأسبقَ حَدِّك ! ! تدفقت^١ وترقت ، حتى توثقت وتحققت ،
لا ، ولكنك تعمقت حتى تحممت ؛ فإن كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين
غَضًا نجد وقلَّامه ، وأين رَدُّه وبَشَامُه ، وأين غَرْبه ونَبْعُه ، وأين
سَلَمُه وسَلَمُه ، وأين العَنَم والعَلَجَان ، وأين السَّابَم والبَان ، وأين الشَّيْزَى
والاثَاب ، وأين الرَّتْف والشَّوْحَط^٢ ، وكيف عرَّفوا دوحَ الكنهيل^٣ ،
ومساويكَ الإسحل ؟ وكتابُ النَّبَات يشهد عليك . بما فيه من الأيك .
وقد عنفت على العرب وعَسَفْتَ . ارفقْ بهم رفقَ الله بك . اخفضْ
لها من جناحك ، عُد عليها بعطفٍ من جماحك :

لا تملأ الدلو وعرِّقْ فيها أما ترى حبار من يسقيها

وفي فصل : وكيف استجرت على فضلك الباهر . وشرَّفك —
[بزعمك] — الظاهر ، أن تستعين على فخرك بخلاف الحق ، وتلجأ في
تهوُّرك^٤ إلى غير الصدق ؟ هل كان النُّعْمَانُ إلَّا مَلِكَ أَمَلَاك ، وشمسَ

١ ب م : تدفقت .

٢ الرِّبْس . من شح الجبال يعضم ورقه إلى فضيلته ليجاز وينفتح بها . الشَّوْحَط : ضرب من النبع .

٣ الكنهيل : من عظم من شجر العضاد .

٤ الرُّبُز في اللسان (عرف) ؛ وعرِّق في الدلو : جعل فيها ماء قليلاً . وحبر : اسم ناقته ، قبل هو الأكبر أو الهيمنة .

٥ ب م : فهرك ؛ س : هرك .

أفلاك ، أصله عريق ، وفرعُه ورِيق ، اتخذتموه جباراً ودون العرب حجازاً ،
نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهيم من لدن مالك [٢٠٠ أ] بن فهم ،
له سَقْيُ الفرات بقضيه وقضيضه ، يجي خراجُه ، ويستعيد أعلاجَه ، قد
كفاكم^١ العربَ جمعاء ، من جَلَّقَ إلى صنعاء ، يذبُ عنكم بماله واحتماله ،
بوضائعه وصنائعه ، بعد عَقْدٍ مؤكَّد ، وعهدٍ منكم مؤبَّد ، وأجارتِ العربُ
من أجار ، وأغارت على ما أغار ، وحسُنَتْ حال الفُرس بمكانه ، وعزَّت
بسُلطانِه ، فلمّا شَمِخ على أعلاجكم ، وامتنع من زواجكم ، ولم تكن
العربُ تزوَّجُ أحفاهُ ، أو يكون من أكفاهُ ؛ فقال لباغي السَّواد ، عليك
ببَقَرِ السَّواد ، استزرتموه فغدَرتموه وغررتموه ، فكيف رأيتم غضبَ
العرب لشارها وطلبتها لأوتارها ؟ ألم تصدمكم بندي قار صدمة ذي احتقار ،
فأدرَكْت فيكم رضی الرحمن وأخذت بثأر النُّعمان ، وطحطحت بني
ساسان وآل كاسان^٢ ؟ ! ولم تَقم للفرس بعدها قائمة ، ولا رعت لها سائمة ،
ولم تزل في قواصف تتقاذف ، وعواصف تترادف ، حتى تمم الله آفتها ،
واستأصل الإسلام شأفتها .

وأما آل غَسَّان فالشرفُ الأقدم ، والبناء الذي لا يُهدَمُ ، سالت
من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة ، وساحت^٣ من أرضها حافلة ،
هاجرةً لأعطائها ، نافرة عن أوطانها ، وجاوزت^٤ الحجاز وهبطت الشام ،
فوجدت بلاداً ريفاً خريفاً ، ورجالاً جُوفاً عَجُوفاً^٥ ، لا يحمون ولا يحتمون ،

١ طدس : فكفاكم .

٢ ب : كلسان .

٣ ب م : وصارت .

٤ طدس : وجاورت .

٥ ب : عوفا .

فقلت : غنيمةٌ باردة ، وبهيمةٌ فاردة ، فنزلت الزَّوراء والغوَطة الزَّهراء :
وجالت على الجولان ثم تصيَّدت منها بصيِّدَاءَ الذي عند حاربِ

فألقت عصاها واستقرَّت^١ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ مسافرُ^٢
على رغم أنوفكم ، وقطَّع شُنوفكم ، وولَّجُوا خدوركُم ، على غيظ صدوركم :
وما بُقيا عليَّ تركتُماني ولكن خفتُما صرَدَ الشِّبالِ^٣

[فقلتم قضيةٌ كريمة ، ونعمةٌ عميمة ، وسورٌ له باب ، باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبَله العذاب ، لا يُستكفُّ العرب ، إلّا بالعرب ،
ولا يُقَطَّع الحديد إلّا بالحديد ، ودفع الشر بالشر أحزم] فمتى أدَّوا
إليكم الإتاوة ، وأملؤا لكم الإداوة ؟ وهم يحمونكم حميَّ القُروم
أشواها ، ويمنعونكم منَع الأسودِ أشبالها ، أم تُراكم تركم لهم الشامَ
رعياً لدمامهم ، وصلةً لأرحامهم ؟ !

وفي فصل : وفخرت بالرياضية والأريضية ، صدقت ونُبئت عني
في الجواب ، هي كالرياضِ سريعةُ الذبول كثيرةُ الجبول^٥ ، زَهْرٌ مشرق
ونور مطريق ، لا ثمر ولا كثر^٦ .

١ ط د : واستقر .

٢ البيت لمقر بن حمار البارقى (اللسان : عصا) ونسب أيضاً لغيره ، ونسبه الجاحظ في
البيان (٣ : ٤٠) إلى مفرس الأسدي ؛ ب : المسافر .

٣ البيت للعين المفقري يهجو جريراً والفرزدق (اللسان : صرد) ؛ والصرَد : نفاذ النبل .

٤ ط : واملؤوا ؛ هارون : وحملوا .

٥ ط : الجبول ؛ د : الجمول ؛ س : الحمول .

٦ الكثر : طلع النخيل .

وهل في الرياض مستمتعٌ . سيوى أن يرى حُسنَ أزهارها^١

وكالأرض الأريضة ، ذات العَرصة العريضة ، لا بناءً فيُحَلّ ،
ولا فناءً فيُظِلّ ، [يُدفن فيها الأموات ، وتُخمد فيها الأصوات] .

وأما الاسترلوميقا وهو علم الهندسة فعلم عمليٌّ مبنيٌّ على التقاسيم
والتراسيم ، والنواظر والمناظر [٢٠٠ ب] وكله آلات للحالات ، وأدوات
للذّوات ، ومساحات للمساحات ، وأمداد للأعداد ، وفي أفانين القوانين ،
ليس فيها معنى من تحصيل دقائق الفصول . ولا تفصيل حقائق المحصول ،
فأهلها عُمّالٌ ممتهنون ، وبأشكالها مرتتهّنون ، والعرب بعيدةٌ من المهنة ،
نافرةٌ من الخدمة . ومن قولكم : إنَّ قسم العلم أفضل من قسم العمل ،
فهي إذن أرذل القسمين . وأسقطُ العلمين .

والجومطريقا^٢ وهو علم الهيئات ودورها ، والطّوالع وكورها ، [وجنسها
ذو] نوعين ، وبابه على مصراعين : القضايا ، وليست برضايا^٣ . أما الأول^٤
فيبثونها على أنَّ الطّوالع مدبرة مقبلة . وهي أصولٌ فاسدة وسوق كاسدة .
وقال آخرون : هي كالعيافة والزّجر والقيافة . وهذا باب مسلّمٌ للعرب
لا ينازعون فيه ولا يدافعون عنه ، لهم فيه اليدُ الطولى ، والمنزلة الأولى ، لهم
السّوانحُ والبوارحُ ، والقواعد والنّواطح ، وعندهم الأيامن والأشائم ،
والأوقاي والحواتم ، وغير ذلك من التّمائم والرتائم . وفيهم من لا يعتسده
ولا يرتصّده كالقائل :

١ ط د : آثارها .

٢ عكس هنا . فالجومطريقا هو علم الهندسة ، والاسترلوميقا هو علم المهنة .

٣ ط د : وصايا .

٤ ط د س : الأولون .

لا يمنعك من بغاء الخيبر تعقاد الرتائم^١
ولا التشاؤم بالعطا سر ولا التيمن بالمقاسم
فلقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم^٢
فلماذا الأشائم كالآيا من والأيامن كالأشائم
فكذلك لا خير ولا شر على أحدي بدائم

وفي فصل : وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية ولهم غاشية ، وقد سمعت
بیشق وسطيح ، وزرقاء اليمامة وطليحة الأسدي ، ومسيلمة الحنفي ،
والأسود العنسي ، وزهير بن جناب الكلبي ، وأفعى نجران ، وحازي^٣
غطفان ، فلما جاءت الديانة بطلت الكهانة ، ولما نزل القرآن زجر الشيطان .
وكذلك الدرجة الأخرى ، فالعرب بها أحق وأحرى ، وهي معرفة
الشهور والأيتام ، وحساب الدهور والأعوام ، والأفلاك وأدراكها ،
والأبراج وأدراجها ، والنيرات وتعاورها ، والدراي [وتغاورها] ،
والعرب أدري بها ، عرفوا السماء ومعاشها ، والأرض وحشائشها ،
ووعورها المذراع والغراب ، [ورتبوا الثوابت وأنواعها ، والنواب
وأدواعها] والأزمنة وأهواءها ، والأودية وأنداءها ، فلا ينجم نجم إلا سمته ،
ولا ينبت نبت إلا سمته ، [ولا عيش في سائر الأقطار ، إلا بعابر

١ الأبيات للمرقش السدوسي في الحيوان ٣ : ٤٣٦ ، ٤٤٩ وعيون الاخبار ١ : ١٤٥ ، وهي
منسوبة للمرقم الذهلي (خرز بن لوزان) في حساسة البحري : ١٦٣ والمؤتلف للآدي :
١٤٣ ، وجاءت دون نسبة في أمالي القالي ٣ : ١٠٩ ، والرتائم : أن يعقد الرجل خيطاً في
شجرة إذا أراد سفرأ فإذا وجد الخيط في مكانه عند عودته عرف أن صاحبه لم تخونه .

٢ الواق : الصرد ؛ الحاتم : الغراب .

٣ الحازي : الكاهن .

٤ طد : الأعراب .

الأمطار ، كما لا ثبات للحيوان إلاّ بالنبات ، فقد عرفوا إذن طريقي الحياة ، ووصفوا فريقي النّجاة] ، وما سوى ذلك فضلٌ ليس فيه فضل ، وتكلف لا يفيد فائدة ، ولا يعيد عائدة .

وأما أقسام الطبّ للأجسام فقد جمعته^١ العرب في كلمتين معلومتين ، ولفظتين محفوظتين ، على رأيها في الاختصار ، ومذهبها في الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء [٢٠١ أ] والحمية رأسُ الدواء » ، وقال عليه السلام : « أصل كلِّ داء البردة »^٢ ، وقالوا : « كلُّ وأنت تشتهي ، ودع وأنت تشتهي » . وكانوا يطعمون ليعيشوا ، وينعمون ليريشوا ، فقد جمعوا الطبّ بأظافيره ، والصّلاح بحذافيره ، [وإذا فتشت أصول سقراط ، ونبشت فصول بقراط ، لم تجد مستزاداً مستجداً ، ولا مستراداً مستفاداً] . وليست هذه الأمور مما يخص به آحادهم ، أو ينفرد به أفرادهم ، بل ينطبق به صغارهم وكبارهم ، ويعرفه نساؤهم ، ويهتف به إماءهم ، ورعاتهم وعبدانهم ؛ أشعارهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تلووا فيه متلوّاً ، ولا قرؤوا^٣ به مقرأوّاً ، ولكنها الطبّاع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنّحائز الكريمة ، تلتقط الحكم من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من مجاباتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة في المشاورة ، وفي المحاوراة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة في المسألة والمراغمة ، [والموازاة] مع المناجزة ، [ولا يتعلّمون ولا يتأمّلون ، بل] يرسلون الحكم لإرسالاً ، ويبعثون الفطن أرسالاً .

١ ط د س : وأما الطب فجمعته .

٢ البردة : التّخمة .

٣ ط د س : قرءوا .

والموسيقى وهو علم فنون اللّحون^١ ، بالعجم^٢ إليه حاجة مُجحفة ،
 وضرورة مُعجّفة ، لمجز^٣ طباعهم عن الأوزان ، وقلة اتّساعهم في
 الميدان ، لأنّ لغاتهم قليلة^٤ ، وقواهم كليلة^٥ ، لا تستجيب إلاّ بوسائط ،
 ولا تستقلّ إلاّ ببسائط ، ليس عندهم شعرٌ موزون ، ولا كلامٌ مرصون ،
 ولغةُ العربِ واسعةُ العباراتِ ، ناصعة^٦ الإشارات ، لها الشعرُ الموزون ،
 والنظمُ المكنون ، والكلامُ المنشور ، والسجعُ المأثور ، والرجزُ المشطور ،
 والمزدوجُ المبتور ، والموشحُ والأطواق ، والقلائدُ في الأعناق ، والمخمّسات
 والمربعات ، والكواملُ والمقطوعات ، ولعبدها في كلّ ذلك اللّحونُ
 الشجيات المطربات والمشوقات ، والتغليل والتقايل^٧ ، [والأهزاج والأرمال ،
 وغير ذلك من الأعمال ، كالركباني والأعرابي ، والنصبي^٨ والمدني ،
 والثقليل الثاني ، وعمود المدني^٩ ، والماخوري^{١٠} والسريجي ، وخفيف المدني ،
 وهي كثيرة أثيرة ، نسي معها الأرغن والسلياق^{١١} والصنج^{١٢} والكنكلة^{١٣}]
 والقندورة^{١٤} والقيثارة^{١٥} ، فلا يعرفن ولا يولفن .

وما أظن معبداً والغريض وأشعب وطويساً وابن سريج وابن محرز

١ ط د س : والموسيقا علم اللّحون فما للعجم .

٢ ط د : لخبو ؛ س : لخم .

٣ ب م : ناطقة .

٤ ط : والتهايل والتمايل ؛ س : والتهايل والتعليل .

٥ س : المنصبي ؛ ط : والنصبي .

٦ ط د : المدي .

٧ د ط : والماخوري .

٨ سقطت من ط ؛ د : والسلمان ؛ ب م : والسليمان ؛ وأثبت رواية س .

٩ د ط : والصنج ؛ س : والصليج .

١٠ د ط : والكنكلة .

١١ د ط : والفيديورة ؛ س : والقندورة (وبالفاء أيضاً) .

١٢ د ط : والفشاة ؛ وتقرأ بالقاف والفاء في س .

والميلاء وبصبصاً قرأوا^١ قط موسيقى ، ولا سمعوا بيطيقا^٢ ، فاعرض إن شئت ألعانهم المطبوعة على أوزانكم المصنوعة، فأظهر غلطهم في التنغم ، وخطأهم في الترثم . على أنه من العلم المذموم [روي في الحديث : أن أول من غنى وناح إبليس حين أكل آدم من الشجرة ؛ قيل وهو أول من عمل الطنبور ؛ فلا مرحباً بعلم الأستاذ فيه إبليس اللعين^٣ ؛] وقد كان منهم من إذا غنى ثنت الوحش أجياها وفارقت اعتيادها ، وعطفت خدودها وتركت شرودها ، مصغية إليه مقبلة عليه ، فإذا قطع عاودت نفاها وطلبت أوكارها ، هذا فعل الأوابد والوحوش الشوارد ، فما ظنك بالقلوب الرقيقة ، والفطن الرشيق^٤ ؟ ولقد ألف الإسلاميون في الأغاني ، وما يتصل بها من المعاني ، ما إن نظرت بهيز وحكمت بعدل ، وقفت على الفضل في هذا الفصل ، ولم تحو جك العصبية والنفس الغضبية ، إلى شهادة الزور والجور المأزور .

وأما الأناطويقا والطوبيقا^٥ فهناك جاءت الاحموقى والأخروقى . [٢١٠ ب] وظهر عجز القوم وتبدلت أفهامهم وركدت ريحهم ، وكثر ترييحهم ، وبان أنهم أغمار ، ليس فيهم إلا حمار ، وضل سعيهم في الحياة الدنيا لما وصلوا إلى حيث تنفرد العقول بنظرها ، والبصائر بفكرها ، والأفهام باستنباطها ، هنالك تاه المحزون ، وخسر المبتطلون ، وتفرقوا شذر مذر وعباديد أباديد ، فمنهم الدهرية القائلون ليس للعالم ابتداء ولا انتهاء ، لا نثبت إلا بما شهدناه ، ولا نعلم إلا ما عهدناه ، فأنكروا حجج العقول والعلم

١ ط د س : وما أظن معبداً والفريض وأصحابهما قرأوا .

٢ ط د : منطيقا ؛ ب : سطيما .

٣ ط د س : إبليس اللعين فيه الأستاذ .

٤ ط د : والطوميقا ؛ ب : والطريقا .

المنقول ، والدليل والمدلول ، وهم يُبصرون تعاقب الأضداد وتعاور الكون والفساد . ومنهم الطبيعيون وهم أيادي سبا وفيرق شتى ، قوم يقولون العالم من أصلين : هوائي وأرضي ، فجمعوا بين الرأس والطافي ، والكدر والصافي ، وعلى هذا الرأي قال المتنبي ^١ :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجساد من تربه

ومنهم القائلون ^٢ : العناصر أربعة هي بسائط للمركبات ، ففقدوا بائتلاف المتضادات ، وتركيب المتحدات ، فجمعوا بين النار والماء ، والأرض والهواء .

فإن قيل : كيف صارت متظافرة وهي متنافرة ، وغدت متجاورة وهي متعاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تتمازج ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ويلتبس الحار بالبارد ؟ قالوا : جمعتها جامع ، وقسمتها قانع ، بطبعه لا باختياره ، وبفعله لا باقتداره ، وهذا غاية المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنه لا بد أن يكون الخامس مثلها أو مثل بعضها ، أو مخالفاً لكلها . فإن كان مثلها أو مثل بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرهما فلا بد من سادس لتغايرها [ثم كذلك إلى غير غاية] ولم قالوا أربعة ؟ فإن قيل أيها أقدم ولمركزه ألزم ؟ ...
[قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان قولهم في احتجاج طويل ، أضربنا عنه تركاً وتخفيفاً ^٣ للتثقيل] .

١ ط د س : ذهب بقوله أبو الطيب ؛ وانظر ديوانه : ٥٧٣ .

٢ ط د س : ومنهم من قال إن .

٣ س : حذفته تخفيفاً .

[ثم قال] : وأما أصحاب الطوائع ، وعُباد المطالع ، فقد اختلفوا في الهيئة [أيضاً] على جهات ، ووصفوها بصفات ، فقالوا كالدائرة تتساوى أبعادها ، ويتعدل أطرافها ، وقالوا : كالبيضة وكالقلادة . والمنجمون^١ ، وهم فنون^٢ في الجنون ، يقولون فللك^٣ الأفلاك ، ودَرَكَ الإدراك ، والفلك الأثير ، وهذيان كثير ، يعبدون الشمس ، ويسجدون^٢ للنَّار ، ويعبدون زحل والمريخ والزهرة والشعري العبور وغير ذلك ، وهم يرون آثار النقص فيها ، ودلائلَ الحدث تعترئها ، من طلُوعِ وأفول ، وقدم وقفول ، ويزعمون أنَّها تتغير [٢٠٢ أ] وتتمانع^٣ ، وتتكاسف وتتخاسف ، وكيِّلُ بصاع هذا التخليط من هذه الأغاليط ، لا يعرفون رُشدًا ، ولا يهتدون قَصْدًا . هذا مقدارُ عقولِ حكمائك ، ونهايةُ آراءِ علمائك ، [وهذا قليلٌ من كثير هذيانهم ، وأوارٌ من عوارٍ غشيانهم] .

وفي فصل منها : وأما أنتم معشَرَ النصارى الخسارى ، فقد اتخذتم المسيحَ وأُمَّه لإلهين من دونِ الله ، وقلتم بالمحال ، في قضايا العقول والاستدلال ، قلتم : إلهٌ واحدٌ وأبٌ وابنٌ وروحٌ قدس ، فهو إذن ابن نفسه وأبو نفسه وروح روحه ، وقلتم : امتزجَ اللاهوتُ بالناسوت في بطن أمه امتزاجَ الخمر بالماء ، وقلتم : تحولتِ الكلمةُ في الرحم لحماً ودمًا ، وقلتم : لا كما يظهرُ الوجهُ في الجسم الصقيل ، والطابعُ في الشيء البليل ، وقال آخرون : بل كما يمتزجُ العقلُ بالنفس من غير مماسَّة ، فكيف يمتزجُ ما لا يتماس ؟ وكلكم مطبقون على أن المسيحَ ابنُ الله ، تعالى الله عما تقولون ، وضللتُم وخسرتم ، ثم أقررتم طائعين وأذعنتم خاضعين أن اليهودَ قتلته قتلاً وصليبه

١ ط د س : لا سيما المنجمين .

٢ ط د : وعبدوا . . . وسجدوا .

٣ ب : وتنبأ .

صليبا ، فأين ما ادّعيتم مما نعيم ، وأين ما استرېتم مما اقترفتُم ، لا ترعون
ولا تستحيون ، ولا تبالون ما خرجتُ بكم الحالُ إليه ، ولا ما وقفكم
الشقاءُ عليه ، أربُّ معبودٍ يُقتل ويُصلبُ ويقهر ؟ ١

* لقد ذلَّ من بالتَّ عليه الثعالبُ ١ *

فكيف لم يدفع عن نفسه ؟ وكيف لم يخسف بهم الأرض جميعاً أو يرسل
السماء عليهم كسفاً ؟ ! بالأمسِ إله ترقبون جنته ونارَه ، واليوم قتلُ
صليبٍ لا تُدركون ثاره ! !

وزعمت طائفةٌ منكم أن اللاهوتَ فارق النَّاسُوتَ عند ذلك ، وخلّى
بينه وبين اليهود ، فهلاًّ حماهُ منهم أو نصره عليهم ؟ ! هذه إشارةٌ إلى
تناقضكم ، ولمحةٌ دالةٌ على تعارضكم ، ولو أحصيناه وتقصيناه لاتسع
مجاله ، وامتنع مقاله .

فإن قلت : إنَّ العرب [أيضاً] كانت تعبد الأصنام وتستقسم بالأزلام ،
فنحن ما أحمدنا لك دينها ، ولا رضينا يقينها ، بل نعلم أنَّ من قال منها
بالإشراك ، فقد قصّر في الإدراك . وهي على كلِّ حال تذكُرُ الله تعالى ،
كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (لقمان :
٢٥) ؛ وقال ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر : ٣) .
وكثيرٌ منهم يقرُّ بالبعث والجزاء ، ويعترف بالحشر واللقاء ، وكان منهم
من رغب عن عبادة الأوثان ، وتفرَّقوا في الأديان ، فكانت حِميرُ على

١ عجزيت ، وصدره : أرب يبول الثعالبان برأسه ، وهو لغاوي بن ظالم السلمي وكان
سادناً لصنم فرأى ثعلباناً يبول عليه ؛ انظر الإصابة ٢ : ١٨٥ وسرح الميون : ٣٣٧
والميداني ٢ : ٨٦ .

دين موسى ، وكان بنو الديّانِ وأهلُ نَجْرانِ وتغلبِ وغَسَّانِ على دين عيسى ، وكانت فيهم المِلَّةُ الحنيفية الإسلامية والشريعة الإبراهيمية ، ومن أهلها كان قسُّ بن ساعدة الإيادي ، وورقة بن نوفل [٢٠٢ ب] الأسدي ، وزيد بن عمرو من بني عدي ، وقتلته الرومُ لذلك ، وقد قيل في خالد بن سنان ما قيل . وكان أسعد أبو كرب الحميري أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلَ مبعثه بسبعمائة عام وقال :

شهِدْتُ على أحمدٍ أَنَّهُ رسولٌ من الله باري النَّسمِ
فلو مُدَّ عُمري إلى عمره لَكُنْتُ وزيراً لسه وابن عم

وذكر الله تعالى كثير في أخبارهم وأشعارهم. وقد ذكر بعضُ أصحاب المقالات أن عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين في الدين ، واستدلَّ بأنه أُجيبَ لما سأل ، وسُقِيَ حين ابتهل ، وذكر النبي عليه السلام لعبد المطلب سيفُ بن ذي يزن ، وحزِنَ على فَوْتِهِ أَشَدَّ الحزن ، وأكَّدَ له اليهود ، وحذَّره عليه اليهود . ولما دُعُوا دَخَلُوا في الدين أفواجا ، وأتوه أَزْوَاجاً ، إِلَّا مَنْ أَدْرَكَته النَّفَّاسَةُ وَحَبُّ الرِّياسَةِ ، وَسَبَقَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ ، وَوَرِمَ أَنْفُهُ مِنَ النَّخْوَةِ ، كأبي جهل بن هشام وعامر بن الطفيل وأمِّية بن أبي الصلت ومن كان من ضربائهم وقرنائهم .

وقال معاوية في كلام له مشهور : « فما كان إِلَّا كغِرارِ العَيْنِ حتَّى جاء نبيُّ لم يسمَعْ الأوَّلونَ بمثله ، ولم يسمَعْ الآخرونَ به ٢ ، ولقد كنَّا نَفخرُ بذكره على من نظراً عليه أو يطرأ علينا وإنا لنكذِّبه ، ونتهجج ٣ بذكره [وإنا لنحاربه] » .

١ التيجان : ٤٥٥ . ٢ س : بشكله .

٣ ط د : ونهيج ؛ س : ونهيج .

هذه لمع^١ من أمور الجاهلية ، وطُرف من مفاخر الأوليّة ، إن أنصفت نفسك ، أو صدقت حسك ، عرفت أين يقع منها مُفَاخِرُهَا ، وهل يشقُّ غبارها مُسْجَارُهَا .

وفي فصل منها : [وما تصنع إذا نُشِرتِ الكمائن ، ونُشِرتِ الكنائن ، وقَرَعَتِكَ القوارع ، وقَرَعَتِكَ الفوارع ، وماست راياتُ السّيادة ، وخفقت ألوية السّعادة ، وطلعتُ عليك طوالعُ النبوة في أبهةِ الجلالِ والجمال ، وسماحةِ العزِّ والكمال ، وقيل لك : هذا سيّدٌ وَلَدِ آدَمَ أَوْ لَهم وآخِرمهم ، خاتمُ الأنبياء ، وقاتلُ الأَغبياء] . وأشهدُ أنَّ الله لم يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم هاشمياً إلاّ وهاشمٌ خيرُ قريش ، . ولا قرشياً إلاّ وهم خيرُ مُضَر ، ولا مضرباً إلاّ وهم خيرُ العرب ، ولا عريباً إلاّ وهم خيرُ الأُمم . لهم كعبةُ الله وولادةُ إسماعيل ودعوة إبراهيم ، وإليهم مُهاجرُ هودٍ وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين ، وأشياعهم من المُوقنين [فيهم كان حُمامُهم ، وعندهم دُفِينَت رِماثُهم] لا كُتُناتك الذي أسررت فيه حسوا في ارتغاء ، ودفعاً في ابتغاء ، وكشفت فيه ضِبابك عن ضِبابك^٢ ، وهتكت أستارك من اهتارك^٣ ، وظننت أنَّ مخالطتك تُخفي مغالطتك ، وأنَّ مدحك يسترُ قَدْحُك [حين مدحت مدحاً بجلياً^٤ ، وأثنت ثناءً دَخَلِيّاً^٥ ، ولم يُمدَح من ذُمَّت قبائله ، ولم يثبت من جُدَّت حَبائله]

١ ط د س : لمعة .

٢ الضباب : كناية عن الحقد والضغينة .

٣ س : اختبارك .

٤ ط د : جلياً ، وأثبت قراءة س ، وفيها إشارة إلى مدح الرجل وهجاء قبيلته ، كما قال عوف القواني في مدح جرير بن عبد الله البجلي « لولا جرير هلكت بجيلة » .

٥ ط د س : وجلياً ؛ والدخلي : المدخول الفاسد .

أجعلتَ ويحك تبره في الرّغام ؟ بل الرّغام لأنفك ، والرّغام^١ لوجهك .
لقد أخللتَ بنفسك وزلتَ قدمك ، وأحلتَ بعقدك وقد حلّ دمك .
ولو صحّ اعتقادك لصحّ انتقادك ، ولو خلص باطنك لأقصرَ باطلك ،
ولو اصطُلِمَت ما ظُلِمَت ، ولو اُحترمت ما وُفِيَ بما اُجترمت .

سمع عمر بن عبد العزيز رضي الله بعض كتابيه ، وقد عيّر بنصرانية
أبيه ، فضرب لذلك^٢ مثلاً يحلّ عنه ويرتفع عن قدره [٢٠٣ أ] فقال له
عمر : أو قد قاتتها ؟ والله لا تشربُ الباردَ بعدها ؛ وأمر به فضربت عنقه .
فأما إذْ أغفلَ ولايةُ الأمرِ تأديبَكَ ، وتأديبَ الكافّةِ بك ، فأهماوا
تأنيبك وتأنيب السّفهاءِ مثلك ، فتنبّ إلى الله توبةً تهديك وتُنَجِّيك .
وعلى أنك خلتَ من ذلك السّلف ، رأيك فيه رأيُ أهلِكَ ، وفرعُك
جارٍ على أصلِكَ ، إلّا أنَّ السيفَ قهرَكَ والدّينَ قسركَ ، وأخذَكَ حُكْمُ
الدّارِ وخوفُ البیدارِ ، فأنتَ تشرّقُ بريقك ، وتغصُّ برحيقك ، ولا بدّ
للمصدور أن ينفضَ ، وللمبهور أن يَغْرُثَ :

ولا بدّ للماء في مِرْجَلٍ على النّارِ مُسْنَعَرَةٍ^٣ أن يفورا

ومن كتّاب لابن عباس يردُّ فيه على ابن غرسية : عليك السّلامُ
لا السّلام ، تحيةَ آلِكَ ، لا هديةَ آلِكَ ، يا ذا الوَسَنِ لا اللَّسَنِ ، واللكنُ^٤
لا الركن ، وابن المراغة لا البلاغة ، المزري بولاءِ مواليه ، المغري بهاجرِ

١ الرغام : المخاط .

٢ ط د : بنفسه ؛ س : لنفسه .

٣ هارون : موقدة .

٤ من هنا حتّى آخر الترجمة لم يرد في ط د س ، والنصّ قلق في مواضع .

٥ ب م : ولاكن .

ونسيَ أرقّاء مواليه ، البخاني لهم شرٌّ ما يجني :

« وعلى أهلها براقشٌ تجني ^١ » *

المفاخر بالعبيد ، على أملاكها الصيد ، مالك لا أبالك ، تتهانفُ وتهالك ،
أما هالكٌ ما أضناك ، وأمالكٌ عن التّهَجِ بآلٍ ذي حسّان ، وحسّانةٍ
الماء من غسّان ، أو ما أجزّ منك اللسان ، ما في عنقك من المنّ والإحسان ؟
على أنك استغنيت بنعمك حين أبقيت ، فاقطعتهم ملكة البلاد ، والحسب
التّلاذ ، وموارد الشرفِ الأعداد ، السامين على الأنداد ، النامين بالآباء
والأجداد ، من عيدانٍ عاد ، وعاد شداد ، الضاريين الأرضَ بالأسداد ،
النازلين القصرَ ذا الشرفات من سنداد ^٢ ، تداعوا من أعالي الحجاز ، وحيث
اضطرتهم — بزعمك — من أسفلٍ ذي المجاز ، ساميةً الهوادي والأعجاز ،
عيراباً لا نبي ادّراباً ، وغضاباً لا ترتدي الاعضاباً ، فأداروا الأمر مدّاره ^٣ ،
وأقرّوه بعد الزلزال قراره ، وأوطنوا من حلالِ الملوكِ دارةً ، وعفّوا
لك بأخيرةٍ عن أبادره ^٤ فهي عليك دارةً ، فوبخت كما ولج الثعلبُ وجاره ،
ولياك أعني واسمعي يا جاره ^٥ ، سما لك من قومهم قبل جذام ، فقضى
لدولتك المقرفة بالجذام ، وذلتَ ذُلَّ الحليلةِ للبعثِ ، وزلتَ كما زلتَ

١ من المثل : على أهلها دلت (أو جنت ، أو تجني) براقش ، انظر فصل المقال : ٤٥٩

والميداني ١ : ٣١٠ والعسكري ٢ : ٧٥ والجمهرة ٣ : ٣٠٦ وأمثال الضبي : ٦٩ ؛

وهذا الذي أورده هنا عجز بيت حمزة بن بيض ، وصدره : بل جناها أخ علي كريم .

وقد مر البيت مع آخر في ما تقدم ص : ٣٨٦ .

٢ من قول الأسود بن يعفر :

أهل الخورثق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

٣ لعلها جمع بدرة ؛ وربما رجحت أن تقرأ « أنادره » أي « يبادره » .

٤ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ ، ٧٧ والميداني ١ : ٣٢ والعسكري ١ : ١٦ .

زليلةُ النَّعْلِ ، وأصبحتَ للسَّيِّئِ بعدَ الإِبَاءِ ، كعادةِ أَعلاجِكَ الأَبْناءِ
والآبَاءِ ، وعوليتَ وما عاليتَ صهوةَ الأَقْتَابِ والعمدِ ، هذا وأبيكَ الحديثِ ،
وعن القديمِ فإليكِ يساقُ الحديثُ ^١ : اقدِ نُبِتَ في الجوابِ عني ، وربَّ
كلمةٍ تقولُ دعني ^٢ ، أجلُ هي ^٣ مثلها في الهُؤُنِ والدونِ ، لا الخصبِ
ولا الهدونِ ^٤ ، حتَّى ثنى عنها الثَّقَفِيَّ لإياله ^٥ ، وأشرفَ فلم يبال بها باله ،
ولا رضي أن يكون له عليها إباله ^٦ ، فمن الضَّغْثُ الآنَ ومن الإِبالةِ ؟
[٢٠٣ ب] .

وفي فصل : ولا غرو ، فالرودُ لكَتَفِهَا ^٧ ، والأسودُ لَأَسَلِهَا ، والحجالُ
لرَبَّاتِهِ ، والمجالُ لمن ثَوَّرَ على الخيلِ في سَروَاتِهِ ؛ خامرُ أبا عامرٍ ، كخيلتكِ
أمَّ عامرٍ ^٨ :

نخلُ الجِراجِ ^٩ لمن يَبني المَنارَ بهِ واحللُ بَوَهْدِكَ حيثُ احتلَّكَ القَدْرُ
مَهْ ^{١٠} ! أَلَا تُقَصِّرُ عن عَمَمِهِ ، انتبه لما أنتَ بهِ ؛ إلى مَنْ يملكُ أَسَلْتَ

-
- ١ إليك يساق الحديث : مثل ، انظر فصل المقال : ٥٠ والميداني ١ : ٣١ والعسكري ١ : ١٤ .
والضبي : ٨٠ .
- ٢ في المثل : رب كلمة تقول لصاحبها دعني ، الميداني ١ : ٢٠٦ .
- ٣ غير واضح إلى أي شيء يشير بالضمير « هي » ، وإن كان الحديث متصلاً بما قاله ابن
غرسية عن تباله التي هانت على الحجاج « الشَّقَفِي » فثنى عنها لإياله ؛ راجع ما تقدم ص : ٧٠٦ .
- ٤ الهدون : الدعة والسكون .
- ٥ الإيال : الولاية والسياسة .
- ٦ الإباله - مثل الإيالة - : الولاية . ٧ ب م : يكشفها ؛ والكثف : المشي الرويد .
- ٨ أم عامر : الضميج ، وفي المثل : « خامري أم عامر » ، انظر فصل المقال : ١٨٧ والميداني
١ : ١٦٠ والعسكري ١ : ٢٧٦ .
- ٩ الجراج : لعله من الجرجة : معظم الطريق أو الجرج : الأرض ذات الحجارة . وفي ب م :
الجراج ؛ وهامش م لفظة « الطريق » ، كأنه شرح للكلمة .

سَيِّلَكَ ، وشمّرتَ عن السير ذَيْلَكَ ؟ وأجلّبتَ رَجُلَ سَفْهَتِكَ
 وخيَّلَكَ ^١ ، ما انتفخ سُحْرُكَ ، حتى نفخ بما نفخ وشلَّكَ لا بحَرْكَ ؛
 لقد دانيتَ ما ليس بالمتدان ، وعاليتَ ما ليس لك به يدان : المعاطس ^٢
 السمر القُمر ، لا الزُّعر المعر ^٣ ، الصُّبُر الخبر ، العُقُر الوقر ، إذا ركبوا :

* تخرّقت الأرضُ واليومُ قرّ ^٤ *

طالوا أُمّما ، وأدركوا الطوائلَ أُمّماً ، وفَضّأوا أحساباً وإمّماً ، وشَرُّفوا
 أنفُساً وهمّماً :

* لهم شيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهُمْ ^٥ *

ليسوا بناتحي عفاء ، ولا ناسجي مِسْج عِفَاء ^٦ ، ولا من استشفّرَ بقرْدَة ^٧ ،
 ولا استحلَّ خنازيرَ وقِرْدَة ، ولا من اغتلى الجريث ^٨ ، ولا من اشتوى
 جُرْد اللغيث ^٩ ، ولا من قارن بين ثيرة ^{١٠} ، ولا من امتطى ظهرَ عيْرَة ^{١١} .

١ ب : وحملك ؛ م : وجملك ، وفوقها « وخيلك » بخط دقيق .

٢ ب م : المفاطس .

٣ المعر : جمع أمعر ، وهو الذي ذهب شعره كله .

٤ عجز بيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٥٤) وصدّره : إذا ركبوا الخيل واستلأموا .

٥ صدر بيت للنابغة الذبياني (ديوانه : ٥٦) عجزه : من الناس والاحلام غير عواذب .

٦ العفاء : جمع عفر ، وهو الجحش ؛ العفاء : الوبر .

٧ استشفرت المرأة : شدت فرجها بخرقه إذا غلبها سيلان الدم ؛ القردة : نفاية الصوف أو الكتان
 وما شابههما . ب م : استنفر .

٨ ب م : اغتلى الجريث . والجريث : ضرب من السمك يقال له أيضاً الجري ، وقيل إن
 علياً نهى عنه .

٩ ب م : استوى حرد الالهي ، والالغيث : الطعام المخلوط بالشعير .

١٠ الثيرة : جمع ثور .

١١ العيرة : جمع عير ، وهو هنا الحمار الأهلي .

ولا من أثارَ عن النقع المثار، ولا من شدَّ الحلبة، ليشرب الحفنة والعلبة ،
 بل يشدُّونَ العمائم ، وينجعُّونَ الغمامَ ، ويرتدونَ الرُّدَيْنِيَّاتِ ، ويستجيدونَ
 اليزْنِيَّاتِ ، ويفتلونَ الرَبْدِيَّاتِ ^١ ، ويتقلَّدونَ الهنديَّاتِ ، ويُظَاهرونَ
 التَّبَعِيَّاتِ ، ويغزونَ الرُّبْعِيَّاتِ ، ويتوشَّحونَ المُعْلِمَاتِ ، والموشِيَّةَ المنمنماتِ ،
 يجرُّونَ أَهْدَابَهَا ، ويأْخِضُونَ الأَرْضَ هُدَّابَهَا ، ويابسونَ للحال لَبُوسَهَا ،
 لِمَا نعيمَها ولِمَا بُوسَها ،

* رفاق النعالِ طيِّبٌ [حُجُرَاتِهِمْ] ^٢ *

ذو الفطنِ والهمم ، والآراءِ والمجدِ العمم ، والعلمِ بالأفلاك ، والرَّصْدِ
 في الأحلاك ، وأخذِ الأهواءِ في الأنواء ، والاهتداءِ في الجدَاءِ ^٣ ، بالساقطِ
 والطارعِ ، والمساقطِ والمطالعِ ، هم زهروا منها الزُّهْرُ ، وشافوا صَفْحَ
 الجوزهرِ ، حتى بهَّرَ وزهر ، وأخذوا على البدرِ ثنايا سفره ، ونفضوا
 عن مكامين سرره ، وقدَّوا قَلَامَتَهُ من ظُفْرِهِ ، وأدلوها الدُّكُلُ بالرَّشَاءِ ،
 وخلَّوا للحوت سرَّه حيثُ شاء ، وقتلوا العقربَ لِبرَّتِهِ ، والاسدَ
 زُبْرَتِهِ ، وراشوا من الطائرِ قوادمَهُ ، وقصَّوا من الواقعِ مقادِمَهُ ،
 واقتحموا على العذراءِ رواقَهَا ، وفصموا عن الجوزاءِ نطاقيها ، وطوقوا
 الزهرةَ في خِدْرِها ، بيدٍ من الفكرِ لم تدرها ، وأجرُّوا لِهْنَاتِ نعشٍ ذيلًا ،
 ونحَّأوا الغَزَلَ سهيلًا ، وتركوا الثريَّا وكفَّها لثابه فريَّا ، بعد أن
 صَغَتْ [٢٠٤أ] إليه بزعمهم مليًّا ، ومدَّتْ كفَّها الخضيبَ وقالت إليَّا ،

١ ب م : الراندييات ؛ والرَبْدِيَّاتِ : نوع من السياط .

٢ صدر بيت للناطقة الذَّيْبَانِي (ديوانه : ٦٣) وعجزه : يميحون بالريحان يوم السباسب .

٣ الجدء : المفازة اليابسة .

وأعلوا لأتني المجرة ، طريقه ومجره ، وأذنوا للعبور^١ ، في الإجازة والعبور ،
وتخلفت أختها الغميصة ، فلذلك لا تطرف إلا عن الغميصة^٢ ، وأخفروا
الرواكدة فلم تسير مع السيارة في خفارة ، وأضرموا للمريخ مريحه^٣
وعقاره^٤ ، ولم يفتحهم زحل^٥ ، وإن نأى ورحل^٦ ، بل حصروه في
ساحته ، وقصروه عن مساحته ، وقبضوا بيد الفهم لا العمل ، على روقي^٧
الثور وذنب الحمل ، وشروا المشتري بالأوزان من غير موج ولا أوج ،
ولا أخذ ارتفاع ، ولا تقويم ساع ، ولا دقائق ولا درج ، ولا حساب
تلقوه^٨ عمّن درج ، بل بإفهام أفهام^٩ ، وإلهام أوهام^{١٠} ، مع معرفتهم
بالحشائش ، ولسانهم^{١١} بكلها جائش^{١٢} ، وطبيبهم الحارث بن كلدة ،
فهل كان منكم له في عصره ليدّة^{١٣} ، ولهم اللحن باللحن ونسب النغم ،
والزير^{١٤} والبهم ، والمثلث والمثاني ، والثقل^{١٥} الأول^{١٦} والثاني ، وما أحسبك
سمعت جرادتي عاد ، وكيف ألهمتنا وفدها بصوتها المعاد^{١٧} ، وفيهم العيافة^{١٨}
والقيافة ، والكهانة والعرافة ، وحديث خرافة ، وابننا عيان^{١٩} ، لما استخبرتموه
من البيان ، والرق والتمائم ، والزجر بالأيامين والأشائم .

وفي فصل : حاثوا من الأرض سيّطتها ، ومن قلادة الدنيا واسطنها ،

.....

- ١ يريد الشعرى العبور وهي اليمانية .
- ٢ الغميصة : هي الشعرى التي تخلفت بعد أختها العبور التي عبرت البحر لاحقة بسهيل أخيها .
وبقيت الغميصة تكي حتى غمعت عينها ، والغمص في العين كالرمص .
- ٣ المريح والغفار : نوعان من الشجر ، سريعا الايراء ، وفيهما يضرب المثل : « في كل
شجر نار واستمجد المريح والغفار » .
- ٤ الروق : القرن .
- ٥ ب م : حاش .
- ٦ ابننا عيان : طائران يزجر بهما العرب ، وقيل هما خطان يخطان في الأرض يزجر بهما
الطير ؛ ويقول الذي يخطهما : ابني عيان أسرعا البيان .

وبين سَمْع الأرض وبصرها ، وفي جفن كسراها وقيصرها ، ينزلون
الدهناء ، ويرتحلون الوجناء ، ويستبطنون الحسناء :

يتقيّلون ظلال كل مطهم أجَلِ الظليم وربقة السرحان^١

لَقَّاحٌ لا يدينون ، وبإلقاح الحروب يدينون ، يستأدونكم الإتاوة ، في
كل وهد ورُباوة ، أفبهذا اخدمتم نعماننا وغساننا ، أم بعطية جذع ازدرى
ثم ابن عمك أماننا ؟ ! أم بيوم ذي قار ، وهو أشهر في بادٍ وقار ، إذ
أسروا أساورتك ، وكسروا أكاسرتك ، وقصروا عن العامة قياصرتك ؟ !
أم العجب العاجب ، وقد رهنكم حاجب من النبع فليقه^٢ ، ليكف عنكم
من غواثرنا فليقة ، فوفينا برهنه وما غلقا ، وغدرتم على العهد بنشئهم^٣
وساء خلّقا ، ثم تحيرت^٤ منا بهيرة ، وقد تبغّاها شيروانك مهيرة ،
فقدح أنفه ببقر السواد ، وهو منك خير مال وأكرم سيواد . وإذا سببت
فاصدق ولا فريّة ، فهذه زفراء وسمية ، وعلى ذكر البغاء فأنتم له بغاء ،
نساؤكم عليه حبايس^٥ ، وكوانس في الكنائس ، يترافعن في الشبر والشكر^٥ ،
ولا تروّن ذلك من الشكر ، ونساؤنا للطرف قواصر ، وعلى بني العم^٥
قواصر ، لم يحتضن بغية^٥ ، ولا حصن قط^٥ ليغية^٥ ، ولا لإقراف ، بل عن

١ البيت للمثنبي ، ديوانه : ٤١٤ .

٢ هو جذع بن عمرو الغساني ، وكانت غسان تؤدي كل سنة إلى ملك سليج ديناوين من كل
رجل ، وكان الذي يلي ذلك سيطرة بن المنذر السليحي ، فجاء إلى جذع يسأله الديناوين ،
فقتله جذع وقال : خل من جذع ما أعطاك ، وامتنعت غسان عن أداء الإتاوة (الميдавي : ١ : ١٥٦) .

٣ ب م : المنع ؛ والقلق ؛ القوس ؛ وحاجب بن زرارة هو الذي رهن قوسه .

٤ تحيرت : سكنت الحيرة ؛ ب م : تجبرت .

٥ الشبر : النكاح ؛ الشكر : الفرج .

[٢٠٤.ب] اشراف فاشراف ، وعن كل أنوف ، ترغنم بمجده الأنوف ،
وعن سابق فسابق يعبوب :

* كالرمح أنبوباً على أنبوب *

ما تستطيع بأن تُحاول عزنا حتى تُحاول ذا المضاب يسوما^١

فخلّ عن العَدَنِيَّة واليزنِيَّة لا الرَّسَبِيَّة ، فنفاستهم^٢ نفسانيَّة^٣ ، وسياستهم
إنسانيَّة^٤ . أَقْلِيلُ بَكْمٍ وَأَقْلِيلُ بَغْرَبِكُمْ ، إِذْ فَتَكَّتْ يَهُودُ بَكْمٍ ، وَكَشَفَتْ
أَسْأَاهَكُمْ — بَزَعْمَكُمْ — ، إِذْ قَدْ صَلَبْتُمْ^٥ لِأَهْكَكُمْ^٦ ، وَإِذْ لَيْسَتْ لَكُمْ
أَصْرَةٌ^٧ ، تَجْمَعُكُمْ غَيْرُ نَاصِرَةٍ ، وَإِذْ قَدْ أَضْرَرْتُمْ بِقُدْسِكُمْ ، فَطَطَّهَرُ مِنْ
رَجْسِكُمْ وَنَجْسِكُمْ ، وَلِئِنْ أَهْجَرْتُمْ بِهَاجِرٍ ، مَا جَدْنَا بِهَا هَاجِرٍ ، وَأَحْلَلْتُمْ
مِنَ الْخَلِيلِ ، حَرَمَةَ الْخَلِيلِ ، فَمَنْ قَبْلُ مَا قَلَمُ فِي سَارَةٍ^٨ ، مَا أَبْقَى لَكُمْ عَارَهُ^٩
وَإِسَارَهُ ، وَقَرَفْتُمْ ابْنَ الْخَالَةِ ، فَإِنَّمَا أَزْرَيْتُمْ بِالصَّدِيقِ يُوسُفَ ابْنَ نَبِيِّ اللَّهِ
الذَّيِّحِ ، بَلْ اخْتَصَّهَا بِالْوِلَادَةِ ، وَخَصَّهَا بِإِسْمَاعِيلَ وَوِلَادِهِ ، وَبَوَّأَهَا حَرَمَهُ ،
وَأَحْظَاهَا بِسُقْيِ بَثْرٍ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ .

وفي فصل منها : فخفف^{١٠} لا أمَّ لك على قبة المال ، فما علونا عن سفال ،
ولا وُسِمْنَا عن أغفال ، بل من عالٍ إلى عالٍ ، كماء المزن يحد من عالٍ ،
أو كما توسطت الأقمار هالاتها ، وسطعت الشمس عن إياتها ، فقد أعذَرْنَا
وما عذرنا ، ولا نذرنا وما أنظرنا ، فالعصا للعبد إن عصا ، ومثلك من بني
سهوان لا يُوصى ؛ ولا يُقبَلُ ولا كرامة^{١١} ، ما رأيت به في سيد المرسلين
من الكرامة :

البيت لليل الأخيلية (معجم البلدان : يسوم) وروايته: لن تستطيع بأن تحول عزهم حتى
تحول . . . ؛ ويسوم : جبل في بلاد هذيل وقيل قرب مكة .

من° قبلها طابَ في الظلالِ وفي مستحصفٍ حيثُ تُخَصِّفُ الورقُ^١
ثم تخطى البلادَ لا بشر^٢ كان ولا مضغة° ولا علق
[و] يركبُ الموجَ والسفين^٣ وقد ألجمَ نسرأ° وآلهُ الغرق
يُنْقَلُ° من صالبٍ إلى رحم إذا مضى عالمٌ بدا طبق
حتى احتوى بيته المهيمنُ من خندفٍ علياءَ تحتمها النطق
فنحن في ذلك الضياءِ وفي الذر وسُبلِ الرشادِ نخرق
يا <أيها> المحتمي بلواء الغي ، والمشتملُ برداءِ العيِّ ، لا دواليك ،
فقد نبذنا عن سؤاليك ، ونجوتَ مَنْجَى الذبابِ لا لك ولا عليك :

عذرتك يا أخا الدهنِ العليلِ فأنت أقلُّ عندي من قليلِ
وفتً على التهاجي والتلاحي بعرض الواهنِ النكسِ الدليلِ [٢٠٥أ]
وكيف أسلُّ غضباً ذا غرارٍ على من سُلَّ من غاورٍ سليل
وأنت كما علمتَ تدقّ غياً [كما] عيِّ الدقيقُ عن الجليل
وقد أهديتَ من لؤمٍ هسدياً تحسدي للخليلةِ والخليل
فسوف أبثُّ نبلاً عاثراتٍ تهدى للثيم بلا دليل
وكلَّ شريدةٍ حذاءَ تقضي وان راقى بويلك والأليل

١ الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٥ وتأويل مختلف الحديث : ١٠٦ وشروح السقط : ٣٥٣
وابن كثير ٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ وديوان حسان ١ : ٤٩٨ والبيت الأول في اللسان (خصف)
والرابع في اللسان (حلب) وتنسب للعباس بن عبد المطلب كما تنسب إلى حسان بن ثابت ؛
ورواية البيت الأول : طبت ؛ مستودع .

٢ ب م : لا نقطة ، والتصويب عن المصادر ، وفيها : ثم سكنت ، ثم هبطت .

٣ في المصادر : مطهر يركب السفين ، بل نقطة تركب السفين .

؛ المصادر : تنقل .

وأضربُ رأسَ شكّتك غيرَ شكٍّ بمرهفٍ ما وعيت من الصليل
وأنفقُ ما أنلتَ بلا اقتصادٍ بما يشفي ويُروي من غليل
ومن يفللُ بروقيه صفاةً أليس شباه ذا غربٍ فليل
فكيف يحيكُ في حصداً زَغَفٍ مضاربُ بَطْلِكَ النَّائِي الكليل
وفعلك في تجاوزه ثوابٌ فقد يقضي الخليل من الخليل

هذه سلم الله غيرك، ولا جزاك إلا خيرك، سرادة ضنك، بل سرادة صك، والسلام على من سلم من الهجر لسانه، وسلم من الكفر قلبه وجنانه.

ومن فصل في ذكر الوزير أبي جعفر بن أحمد^١

> قال الفتح < : حلت حامة بجانة ليلاً وجفونها بالظلام مكتحلة ، فتشوفت مستوحشاً ، ووقفت منكشاً ، لا أجد أين أريح ، ولا أرى مع من أستريح ، إلى أن لقيني من أنزلني في منية نائية عن الديار ، خالية من العمار ، فما حططت حتى وافاني رسوله ، يتحمل رغبته في الانتقال إليه ، والتزول عليه ، فاعتذرت له ، وشكرت تفضله ، > بما كان غير بعيد حتى وافاني مسلماً لي ومؤنساً ، وأعاد لي المكان مكناً ، وبتنا بليلة لم أجد للدهر غيرها ، ولم أحمد إلا طيرها ، ولما كان الغلس تركني مزماً ، وانفصل عني مودعاً ، فلما حل بموضعه كتب إلي < : أستكمل الله تعالى > لثني الوزارة < سعادة ، وأستوصله من سموها عادة ، كيف لا أراقب مراقي النجوم ، وأطالب مآقي العيون

١ هذا النص من القلائد : ١٦٥ ويبدو في موضعه دخيلاً على الذخيرة ؛ وقد أورد ابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٠٧ ترجمة الكاتب أبي جعفر أحمد بن أحمد ، وذكر نقلاً عن المسهب أنه من أعيان كتاب بلنسية ، ثم ترجم (المغرب ٢ : ١٠٤) للكاتب أبي جعفر أحمد بن أحمد الداني الذي ستأتي ترجمته هنا ، وهو يعتمد في ما أورده على الذخيرة ؛ فهل هناك كاتبان بهذه الكنية والاسم واسم الأب ، وأحدهما من بلنسية والآخر من دانية ؟ أو أنهما شخص واحد ؟

بالسجود ، وقد أنذر بالفراق منذر ، وحذر من لحاق البين محذر ، ويا ليت ليلنا غير محبوب ، وشمسنا لا تطلع > بعد وجوب < فلا نروّع بانصداع ، ولا نفجع بوداع .

وكتب إليّ : ومن لاعدمت من أمره إنصافاً ، ومن بره إسعافاً ، ودنا كالسراب بُعدُهُ أنس ، وقربه يأس ، وعهدنا كالشباب حظه مبخوس ، وفقده تتوجع منه النفوس ، فنحن نقنع بالسؤال ، ونتمتع بالخيال ، وللتقي على النأي تمثلاً ، ولا نبتغي في الجد تأملاً ، وما كذا ألفت الحميم ، ولا على هذا خلفت الرأي الكريم ، ولا أدري [٢٠٥ ب] لعل للأقطار خواص تغيره ، وللأحرار أخلاق تسيره ، وحبذا فعل الصديق كيف تقلب ، ومذهبه حيث ذهب ، وأكرم بقدره ما أنجب ، وبذكره ما أطيب وأعذب ، لا زلت أمتع ببقائه ، ولا أمتنع من لقائه .

وكتب إلى الرئيس أبي عبد الرحمن > بن طاهر : لا أشتكي من الليل طولاً ، ولا أذم جنحه موصولاً ، وقد زادت بي حال صباحه ، وكافحني أشد من كفاحه ، ووصلت البارحة على حين هجع السمير ، وامتنع إلى حضرة المجد المسير : وفي يومنا للرجاء امتداد ، وللوفاء ميعاد ، ولدي شوق يطير بي إليه مطاراً ، ولا يوجد دونه استقراراً ، فسكنت من لاعجه قليلاً ، وبردت من برحائه غليلاً ، وعمرت في مبادرة الحق ومواصلة البر سبيلاً ، إن شاء الله ، والله تعالى يعيد إلى أفقنا حسن ضيائه ، ويعينني في المنعم على قضائه .

وكتب وقد أهدي ورداً : زارنا الورد بالفاسك ، وسقانا مدامة الأنس من كاسك ، وأعاد لنا معاهد الأنس جديدة ، وزف إلينا من بنات البر خريدة ، فاحمرّ حتى خلتته شفقاً ، وابيض حتى أبصرته من النور فلقاً ، وأرج حتى كأن المسك من ذكائه ، وتضاعف حتى قلت الورد من حياته ، فليتصور شكري في مرآه ، وليتخيل ذكرى في بهجته ورياه ، إن شاء الله .

فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت
 وزمان ، واشتمل عليهم شان وأوان ، ونسقهم شبه ،
 وكلهم وان كان جاهر بالنفار غزاله ، وجذبت البطالة
 والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه ، أعيان أهل زمانه ،
 حتى تحاماه الناس ، وانحرف عنه التقليد والقياس ، فله
 من الإحسان مكان لا يحجل ، ومن التقدم في هذا الميدان
 حكم لا يعدل ، ولأمر ما أطلعتهم في أفق ، ووضعهم
 على نسق ، والمرء لمشبهه ، دون قرابته وذويه ، وسأثر ما
 نظمت ، وأوضح ما أبهت ، وأذكرهم رجلاً رجلاً ،
 وأسرد من قصصهم تفاصيل وجملاً ، وأكتب من أشعارهم
 ونوادر أخبارهم ، بما يقفك على إحسانهم ، ويعجبك
 من اشتباههم واقترانهم ، فمنهم ١ :

الكاتب أبو جعفر بن أحمد ٢

من [مدينة] دانية [٢٠٦ أ] ؛ قدّمته إذ كان أنبّههم موضعاً ،
 وأوسعهم عند ملوك الطوائف بأفقتنا مطاراً وموقعاً ، وله إحسان كثير ،
 منظوم ومنثور ، بين قلب ذكي ، ولسان غير بكّي ، شهدا له بفضل براعة ،
 وتقدّم في هذه الصناعة ، وتفاوت هو وأخوه تفاوتاً عظيماً فيه الشان ،

١ هذه المقدمة لم ترد في د ط س ؛ وقد ميز ابن بسام أحد هؤلاء الثلاثة وهو أبو جعفر بن أحمد
 الداني ، ولم يميز الاثنين الآخرين فهل نعد الاثنين التاليين وهما عمر بن عطيون التميمي
 وابن أبي الخصال من ضمن الثلاثة الذين عناهم المؤلف ؟ وهل كان هذان ممن « جذبت
 البطالة والاستهتار أذياله ، واستفرص بلسانه أعيان أهل زمانه » ؟ ليس في أخبارهما التي
 أثبتتها ابن بسام ما يشير إلى ذلك .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٤ ، وانظر ما تقدم ص ٧٥٥ .

وأعرب به عن ذاتِ نفسه الزمان : كانا ابني رجلٍ من شُرَطِ ابنِ مجاهدٍ بدانية . مشهورٍ بلاؤم المكسب ، وضعة المركب ، صاحب عصاً شوهاة ، ودعوةٍ غير ذات سناء ، و [نشأ] ابناه هذان ولهما همة في الأدب ، وحرصٌ على الطلب فقُسمَتَ بينهما العلياء . قسمةٌ مثلما يُشَقُّ^١ الرداء ، فتقدم أبو جعفر هذا بالإحسان في النظم والنثر ، وذهب عليه أخوه بالمكان من النهي والأمر . فحمل تلك الدولة على كاهله ، وصرف الملوك بين حقّه وباطله ، ووقع معه أخوه أبو جعفر تحت المثل : « أوسعَتْهُمْ سبياً وأودَوْا بالإبل »^٢ ، فله فيه من ذلك غرائب تجاوز فيها ملح العتاب ، إلى قذع السباب . فمما له فيه ، يشير إلى ضعة أبيه ، قوله^٣ :

وعصا أبينا إنها لأليّة شوهاة إنك شوهاة الوزراء

وقوله :

جار ذا الدهرُ علينا وكذا الدهرُ يجورُ
كان شرطياً أبونا وأخي اليوم وزير
أنا مأبونٌ صغيرٌ وهو مأبونٌ كبير

إلى غير ذلك من مقطوعات ، فيها هنات ، صنت الكتاب عنها . وفي ما أجريت من ذكره ، وأثبت في هذا الفصل من نظمه ونثره ، ما يدلّك على عجيب أمره .

١ طدس : انشق .

٢ انظر المثل في الميداني ٢ : ٢١٤ .

٣ ورد هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية في المغرب .

فصول له من رقعة أنشأها على لسان القصر المبارك ، إذا انتقل عنه
المعتمد [بن عباد]^٢ إلى القصر المكرم من قصور اشبيلية ، قال في فصل منها :
نحن أيها المحلُّ السعيدُ ، والقصرُ القديمُ^٣ الحديد ، وإن نبضتُ فينا للنفاسة
عروقُ ، نعلمُ أنه لبعضنا^٤ على بعضِ حقوقُ ، فما أحقُّنا بحقِّ المشايعة
والمتابعة ، لما نظمنا من سناء الدولة اللخمية ، وتشرَّفنا^٥ به من ولاءِ المملكةِ
المعتمديةِ — عقدَ الله لنا أسبابها ، ومدَّ علينا أطنائها — وحقاً أقولُ أيُّها
القصرُ المكرَّمُ ، لا جرمَ أنه لك السبقُ والتقدم ، فإنك أسَّ^٦ الخلافةِ ،
وقرارَةُ الرئاسةِ ، ومركزُ الدَّولِ المتداوِلَةِ ، شهدتُ الأَشهادُ ، أنه بك
مُهدَّتِ البلادُ ، وعنك انبثَّتِ^٧ الجيادُ ، كأنها الجرادُ ، على حين اشتدت
شوكَةُ المارقين ، وحميتُ جمرةُ المعاندين ، فألظَّوا بهم مجلِّحينَ ، وشنَّوا
[٢٠٦ ب] عليهم الغارةَ مُمَسِّينَ ومُصَبِّحِينَ ، وأذلُّوا كلَّ جبارٍ
عنيدٍ ، وقطعوا دابر كلِّ ختارٍ مريدٍ ، حتى خضدوا تلك الشوكَةَ ، واطفأوا
تلك النَّائرةَ ، فانجلتِ الغمَّاءُ ، وسكنتِ الدهماءُ ، بتدبيرِ قاضي^٨ العدلِ ،
وحكمِ عبَّادِ البأسِ^٩ والفضلِ ، فمرَّتْ لك كذلك بُرْهةٌ ، وتراختُ
بكَ على تلك الحالِ مدَّةٌ ، آمناً سِرْبُكَ ، صافياً سِرْبُكَ ، لا يُطارُ

١ س : حين .

٢ زيادة من س وحدها .

٣ ط د : الكريم .

٤ ط د : لبعض .

٥ ط د : وشرفنا .

٦ ط د س : أثر ؛ ب م : أسى .

٧ د : ابلت ؛ ب م : انثنت .

٨ ط د : بتدبير حكم قاضي .

٩ س : عتاد الناس .

غرابك ، ولا يُضار بسوءِ جَنَّتَابِكْ ، فهنيئاً لك النعمى أُولى وهذه أُخرى .
ولما ثاب من سَعْدِي ثابٌ ، وأسعدَ جدِّي قَدَرٌ غالبٌ ، درج عنك
إليَّ ، وطلع من تِلْقَائِكْ بطالع الإقبالِ عليَّ ، المولى المعتمدُ الذي أحيَاكَ
رفاتاً قَدُمٌ ، وأشبَّ منك كبيراً قد هَرَمَ^١ ، كما أحيَا ذِكْرِي ، ونوَّةَ
من قدرِي ، إذ حَطَّ اسمي عن عَرَضِ الدور ، وأثبتته في ديوان سامياتِ
القصور ، فمن رأى من قبلي الوهادَ ، تُطاولُ الأطوادُ ؟ ! فأصبحتُ
— والله وليُّ الإحْمَادِ — هضبةَ القَصَادِ ، ونُجْمَةَ الرَوَادِ ، وكعبة بني
الأملِ ، وعصمة كلِّ خائفٍ وجَلِ :

في كلِّ شارقِ الزوَّارُ تكنفي وبعد حولٍ يزار الركنُ والحجرُ
لو أن إيوان كسرى كان عاصري لكان لي دونه عزٌ ومفتخر
بساحتي تُعْقَدُ الراياتُ يتبعها جيشٌ يسايره أو يقدمُ الظفر
بسعدٍ محتسبٍ في الله معتمدٍ عليه أفعاله في دهره غرر
وكم له في الوري من فتكةٍ قُرِئَتْ فينا كما تُقْرَأُ الآياتُ والسور

وفي فصل منها : ومعلوم أيها القصرُ ، الذي يَزْدَانُ^٢ به العصرُ ، أنْ
لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، وللنفوسِ علائقُ وأسبابٌ ، وأغراضٌ وآرابٌ ،
فالليِّبُ من قَدَرِ الأشياءِ بمقدارها ، واعتبر الأمور حقَّ اعتبارها ، فعلم
أنَّ لها [عوارض من سأم يلحقها ، وكسل يطرقها ، فتستريح بالانتقال من
حال إلى حال ، ليعود ذلك الانقباضُ] انبساطاً ، ويؤول ذلك الكسل نشاطاً ؛
ولا عجب من غضارة بساتيئي ، ونَضَارَةِ رياحيني ، فإنَّما كان ذلك في

١ ب م : انهرم .

٢ ط س د : المزدان .

مُدَدٍ متراخيةً ، وأيامٍ وليالٍ [عليّ] ^١ متعاقبةً ، وإنما العجبُ
 الأعجبُ ما نُمِّيَ إليّ عنك ، مما تكاملَ فيكَ واجتمعَ لك ، من حداثٍ
 بواسقٍ ، في أيسرَ من رَجْعَةِ الطَّرَفِ ، وأسرعَ من قبضةِ الكفِّ ^٢ ، إلى
 أنوارِ أينعت ^٣ ، وأزهارٍ تنوّعتْ : فمن وردٍ كتوريدِ الخدودِ ، ونرجسٍ
 كَمَقَلِ الغيدِ ، وسوسنٍ كأنه راحةٌ ثنتِ البنانَ ، على قُرْأَةِ من العقيانِ ،
 وأذريونٍ كمداهنِ عسجديةٍ ، على قَضْبِ زبرجديةٍ ، وخيريٍّ كأنما
 استعارَ شَكْلَةَ العيونِ ، أو اختارَ بذلةَ ^٤ المحزونِ ، وبنفَسِجِ حكي زُرْقٍ
 اليواقيتِ ، وبقيّةِ النارِ في أطرافِ كهريتٍ ^٥ ، وباسمينِ يذكرُ بالخدودِ
 البيضِ [٢٠٧ أ] ويعطلُ كلَّ نسرٍ ولأغريض .

وفي فصل : وإن الخجلَ منك ليكسوني أثواباً ، والمعرفةَ بحقك تقتضي ^٦
 اعترافاً لك واستعتاباً ، على ما ضيَّعْتُهُ قبلُ من مداخلتك ، وفرطتُ قديماً
 فيه من مواصلتك ، فإني كنت أنفأ في نحو ما أنت فيه اليومَ زاهياً ، هناك
 الله المنحة ^٧ منه ، وسوَّغَكَ النعمةَ الجسيمةَ به ، من الشُّغْلِ المطَّردِ ،
 بخدمةِ المولى المعتمدِ ؛ ولما انتقلَ إليك وجبَ أن أخاطبكَ معتذراً مستغفراً ،
 وأُكتبَكَ مهنئاً لك مستكثراً منك ، وما اتفقَ لي من ينوب في ذلك منابي ^٨ ،

١ لم ترد في س أيضاً .

٢ ب م : وأيسر . . . بالكف .

٣ ب م : البهت .

٤ ط د س : لبسة .

٥ من بيت ينسب لابن المعتز أو لغيره (انظر تخريجيه بهامش أسرار البلاغة : ١١٧) :

كانها فوق قانات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كهريت

٦ ب م : تقتضي .

٧ ط د : المحبة .

٨ ط د : ينوب عني في ذلك ؛ س : ينوب في ذلك عني .

وما زلت أطلبُ مَنْ يُجيدُ ما يكتبُ، حتى مُقيضَ منشئ هذه الرقعة، وحلي لديّ بالبلاغة ، فخطابك عني بما تراه^١، وتستوضح مغزاه، وقد استوجب باتصاله بي واعتلاقه بسببي حقوقاً عندي ، وحظاً وافراً من اعتنائي وودّي ، وأسألك فَضْلَ العناية به دوني ، وصدق الشفاعة له عنّي عند المولى المنعم ، ولا أقلّ من أن يبلّوه وَيُخْبِرُهُ ، فإن استحقّ بالإحسان إحساناً، أوسّعته وأوسعني عنه إنعاماً وامتناناً ، وإن كانت الدولة السعيدة غنية عنه فما أخلق مكارمه بأن يلحفه ظلّها ، ويؤثّه فضلها ، فيكون في خباياها ، وقيم في ذراها ، ليعلم من علم بقصده لها ، أنه قد حليّ بظائل منها ، وعسى أن يظهر بعد حين رأي في تشريفه بتصرفه .

الجواب عن ذلك من إنشائه [أيضاً]^٢ : أحسنت أيها القصر المباركُ أحسنت، شدّ ما بيّنت^٣ ، وسرعة ما لقيت، وأصبحت - والله يُتمّ سناءك ، ويُنمي بهاءك - . بهذه الطبايع ، محبّ المقاطع والمنازع :

ومن يكُ عبداً للمؤيد لا يزَلْ [حميداً] مساعيه سديداً سهامه
ملك إذا ما همّ أمراً فإنما ذريعتُه خطيئته وحسامه

لقد هيأت لك الهيئَةُ العلويّة ، مراتبَ سنيّة ، وأطلعت لك النصبّة
الفلكيّة مطالع من السعود، سمّت بك صُعداً من الصعید، ومنحتك من
عِزّة السلطان ، ما أناف بك على الأقران إلى العنان ، فأين منك الجوزاءُ ،
وقليل لك أن أقول الأبلق الفردُ وتيماء ؟ أنت فلّك نجوم الملّك ،
وسماء رُجوم الشّرك .

١ ط د ب م : على ما تراه .

٢ ط د س : وفي فصل من الجواب على ذلك من إنشائه أيضاً .

٣ ب م : بثّت .

وفي فصل منها : والله يا سيّد القصور ، وبهجة الدهور ، [١٠ تقرّر
لك لديّ] ، وقصّ عنك إليّ ، من محاسن أحرزتها صفتك ، وفسرتها
[جُمَلتُك ، من تحليّك] بوجهين على منصيين ، مفضيين إلى مجلس
بين حيرين^١ ، كلاهما محاسنهُ فائقة ، وبساتينهُ راقية ، ذواتُ أفنان
متعاقبة ، تعانقُ الخلاّن ، تلهيك عن قدودِ العذارى ، وتُنسِيكَ معاطفَ
[٢٠٧ ب] النّواعم السّكاري ، قد أقامت من الأوراق ، شكّل الرّواق ،
فيمرّ النسيمُ بها عليلًا ، وتلاحظُ^٢ طَرفَ الشمس أثناءها كليلاً ، فأنت
منها في ظلّ ممدودٍ ، وطلّحٍ مخضودٍ ، وطلعٍ منضودٍ^٣ ، لتساقطُ ؛
ذلك الثمر ، وإن كان لا يُهْتَصَر ، إلى آسٍ عبيقِ الأنفاس ، حكى
سلاسل الدّوائب من أصداع الكواكب ، وأنوارِ أشتاتٍ ، وأزهارِ ملوّناتٍ ،
فمن أبيضٍ ناصع ، وأصفرٍ فاقع ، [وقانيء حمرة ، وباقل خضرته]^٤
ومن أقحوان كثغور الحسان ، وشقائق كالشقيق ، أو مذابِ^٥ العقيق ،
كلّ ذلك بهجٍ متبرّج ، بين يدي ذلك المجلس الرفيع البديع ، صدّقة الدرة
اللّخمية ، ومقرّ^٦ الدولة المعتمدية ، [تروق النظار ، وتستوقف الأبصار ،
بمصانع شاكّته الوشائع ، ومحاسن عطلت البساتين ، لم تعرف تلك أرضُ صنعاء ،
ولا حاكت هذه أيدي السماء ، قد مازجها النضار سائلاً ، وترقرق بها ماء

١ الخير أو الحائر : المكان المطمئن من الأرض يجتمع فيه الماء ، ويطلق على البستان .

٢ س : وتلاحظك (صوابه : ويلاحظك) .

٣ انظر الآية : ٣٠ من سورة الواقعة .

٤ ب م : تساقط ؛ س : يتساقط .

٥ هذه الزيادة من س وحدها ؛ وفي د ط في موضعها : وأحمر قان .

٦ ب م : ثمرات .

٧ س : وهم .

الحسن مقيماً وجائلاً ، فلتماثيله^١ صور يسحر منها النظر ، من ناطق لبق
الحركات ، وصامت مألوفِ النزعات] :

قد فات حُسْنُكَ كلَّ قصرٍ مثلما فات المؤيدُ كلَّ مَلِكٍ في الوري
ملكٌ إذا وقفَ الملوكُ ببابه عاد المعظمُ منهمُ متصغراً
طلبُ المعالي بالعوالي واللها فاحتازَها والطالِبوها بالعرا
إيقادُهُ نارَ الحروبِ فخارُهُ وفخارُ قومٍ يوقدون العنبراً
في حين تلتحمُ السيوفُ بوارقاً والزَّغفُ ليلاً والحيادُ كنهوراً

وبودِّي أيها القصرُ المألوفُ جَنَابُهُ ، المنيفُ نِصَابُهُ ، لو أمكننا اللقاءُ ،
حتى يقعَ الشفاءُ ، ويتمكنَ الإخاءُ :

ولو كان يمكنُ سَعْيُ الجمارِ سعى بِيَ نحوكَ فرطُ الودادِ
وشخصكُ إلّا أطلِيعُهُ لحظاً فلإني أطلِيعُهُ بالفؤادِ
ولله مَلِكٌ ظللنا به مليكي قصورِ جميعِ البلادِ
لقد جمعَ اللهُ فسيه خلالاً جلالاً ما اجتمعت في العبادِ
[إذا ما انتمى فابن ماء السماء ولما اعتزى فابن حرِ الجلالِ]
حمى عندها النومَ أجفانه فيكحلهنَّ بميلِ السهادِ

جمل لا يفصلها^٢ إلّا العيان ، ومحاسنُ يَصْدُقُ فيها اللسانُ والبرهانُ ،
ومكارم لا تحتويها^٣ الغمائم ، وأدبٌ كما تفتتحت الكماثمُ ، تُسْمِعُ
الصمَّ ، وتَسْتَنْزِلُ العُصَمَ ، وتُرْهِيفُ طباعَ الغيِّ ، وتُحِثُّ قريحةَ البكيِّ ،

١ س : تقابله .

٢ د ط : يفصلهن .

٣ س ط : تحتويها .

بأدنى لحظة ، وأيسر نكتة ، في أقرب مدّة ، فناهيك بمن أسعدته قريحة ،
وعضدته لودعيّة صريحة ، إياك أعني أيها النشأة المباركية ، والجملة
المستجادة المرضيّة .

وفي فصل [منها] : ولقد أثقلَ ظهري ، وأعيأ^١ [٢٠٨ أ] ناهضَ
حمدي وشكري ، [إذ أخذتَ بطرفي الفضل ، وسمّيتني خُطّتي العجز
في القول والفعل] ، ما^٢ تبرعت به — ولك أتمّ الطول فيه — من مبادهة
المخاطبة ، ومفاتحة باب المكاتبة ، بعاطرِ ثناء ، كأرج الكباء ، [وبارع
إحماد ، كأزهارِ الربى غبّ العياد] ؛ فلو لا ما اتصلَ بي عنك ، وتقرّر
لديّ من لديك ، من صحّة طويّتك ، وسلامة دخلتك ، لقلتُ : هذا
الجفاءُ مجلّو في صورةِ الثناء ، والازدراءُ مخبّو تحتَ لسان الإطراء ،
ولنك أمنت في كتابك في التصريح ، وجريت فيه طلقَ الجَموح ، وما
اجتليتُ له فصلاً ، إلّا استربتُ فيه فضلاً ، ولا مررتُ منه بفقرة ، إلّا
صرتحتُ لي عن ندرة ، وكلما أعدت طرني فيه ، راغني حُسْنُ ما تُعيده
وتُبدّيه ، فطفقتُ تارة [به] أعجَبُ ، وأخذتُ طوراً منه أعجَبُ ،
وقلتُ : لله كاتبه ، لقد أوجزَ فأعجز ، واقتضبَ فكأنما^٣ أسهب ، ثم
عدتُ أقولُ : لا عجب ، استملى من محاسن [القصر المبارك] فكتب ،
وهل هو إلّا البحرُ يقذفُ بالدرّ ، والروضُ يبسمُ عن يانعِ الزهر .

وفي فصل منها : وقد تعقبتُ على الكاتبِ نكتةً ، إلّا تكن هناةً ،
لم تبعده^٤ أن تكونَ غفلةً ، من أن يرى العجبَ الأعجبَ ، والغريبَ الأغربَ ،

١ ط د س : أثقلت . . . أعييت (س : وأعيى فأنهض) .

٢ ط د س : بما .

٣ ط د : وكأنه .

٤ س : لم تعد .

ما اتفق لي مما تكامل في^١ ، ونمي إليك غني ، في قِصَرٍ من الزمان^٢ ،
 كاهام الحُبَارَى في العيان ، فما رثت^٣ أن تحليت^٤ ، حالياً زاهياً ، مفوّفاً
 مُزَخرفاً ، مُقَرَّطاً مُشْتَقّاً ، لا ترى إلّا روضةً غناء ، وحديقةً خضراء^٥ ،
 وبهجةً زهراء ، محاسن تأخذُ بمجامع القلوب ، وتحير صفاتها البعيدة
 < فضلاً > عن القريب ، أشجارٌ نجمتُ لحينها ، وتفتقتُ أثناء^٦ رياحها ،
 نُقِيتْ عن رية إلى رية^٧ . فتمجلتُ في أحسن^٨ زي ، قيد القدود ، وأشباه
 الهَيْف الغيد ، [ربّا ناضرات^٩ ، أتراب^{١٠} أيدآت^{١١} ، ليست بالشمام الضعاف^{١٢} ،
 ولا الأدواح القفاف^{١٣}] ، فللرياحين أريج^{١٤} ، ولحرير الماء ضجيج^{١٥} ، كلما
 تجلت عن خرطوم أقود^{١٦} أغلب^{١٧} ، صحرائي النسبة^{١٨} ، آدمي الصنعة^{١٩} ، إنسي^{٢٠}
 الحضرة ، شبح ممثّل ، وجماد لا يهرول .

[قال ابن بسام] : وفي صفة [هذا] الفيل يقول عبد الجليل . من
 قصيد طويل ، هو ثابت في موضع أخباره من هذا المجموع :

ويُفرغُ فيه مثلَ النّصلِ بدع^١ من الأفيال لا يشكو ملالا
 رعى رطبَ اللجين فجاء صلدأ^٢ وقاحاً قلماً يخشى هزالا
 كأنّ به على الحيوان عتياً^٣ فلم يرفع لرؤيتها قذالا

١ ط د : وفي فصل من الزمان . ٢ انظر الحاشية : ١ ، ص ٧٦٨ .

٣ ب : ريت ؛ م : رأيت .

٤ ب م : تحليه .

٥ ب م : غضراء .

٦ ب م : وبسقت .

٧ د ط س : عن أحسن .

٨ القفاف : اليابسة ؛ وهي زيادة من س وحدها .

٩ أقود : سلس ؛ أغلب : ضخم ؛ ط س د : أغلب .

ومنها في وصف ثمار هذا الغصن^١ :

وأوصى بالرياحين اغتراساً همام طالما اغترس الرجال [٢٠٨ ب]
وكان الغرس والإثمار وقفاً لمن جعل الندى والوعد حلالاً
وقامت يوم قمنا منشدات فغضت من رويتنا ارتجالاً .

ولابن أحمد فصل^٢ من رقعة : إذا تُدبِّرَتْ - أعزَّكَ الله - معاليك
حقيقة التدبير ، ومُسِحَتْ فَضْلَ النظر ، تجلَّتْ من الكمال في أحسن
الصور ، وراقت العيون ، وفاتت الظنون ، فانك اتخذت إلى العلا طريقاً
مختصراً ، خفّيت عن غيرك فلا يَرَى له أثرٌ ، فكلُّ يرى أساس المجد
سعيه لنفسه ، واستنفاد وسعيه لذاته ، فيكون كما جرى به المثل :
« سَمْنُكُمْ هَرِيقٌ فِي أَدِيمِكُمْ »^٣ أو كما قيل : « لِنَفْسِهِ بَغْيٌ ثُعَالَةٌ » ،
وأنت - أعزك الله - إنما تشيّدُ مجدك ، بأن تبدلَ لغيرك [جهدك] ،
وتنفق في ذلك ما عندك ، وهذا طريق لا يهتدي إليه إلاَّ عيونُ آرائك ،
وغرضٌ بعيدٌ لا تُصمِّيه إلاَّ سهامُ إِنْخائِكَ ، والله يُبْقِيكَ لِلْأَفْضَالِ إِمَاماً .
وللفضائلِ نظاماً ، بعزته .

وله من أخرى مما كتب به عن بعض أمراء الثغور^٣ إلى قوم من النصارى :
أيتها الشرذمة الطاغية ، إنكم لنا لغائظون ، وإنكم لتُفْسِدُونَ في الأرضِ
ولا تصلحون ، ناشدتمونا الله في عقدِ السلم أن تكفوا عن المسلمين عادية
الأذى والاستطالة ، فحملتموهم ضِعْفاً على إِبْأَالَةٍ ، وانتسفتم النعم ، وهتكتم
الحرم ، وبيتم سكون الدهماء ، واستبيتم الخرائر في رِبْقِ الإِماء ، وتوغلتم

١ ط د س : في صفة هذه الرياحين .

٢ انظر فصل المقال : ٤٣٦ والميداني ١ : ٢٢٧ والمسكري ١ : ٣٣٣ ؛ وجاء المثل في

ط د : سمنهم هريق في أديمهم . ٣ ط س د : الثغر .

البيسطات ، وتستم القلاع الممتنعات ، ولم تَرْقُبُوا فينا إلاّ ولا ذمّة ، ولا رعيتم لنا سَلَمًا ولا حُرْمَةً ، وليس إلاّ حَكَمُ الله بيننا وبينكم ، وهو بعزته يُحِيقُ دائرةَ السَّوْمِ بكم ، ويستأصلُ شأفتكم ، [ويصرفُ معرَّتكم] . وانا لَنرجو أنها علةٌ قد نضجت ، وكأنّ بالكُرْبَةِ عَنّا قد تفرجت ؛ فلتستشعروا حلولَ النّقمة بكم ، وإنّاخستّها عليكم ، وتخطّفتِ المنايا لكم ، وقَطَعَتِها لدابركم ، وإن الذي بينكم وبين الهَلَكَةِ لأقصرُ من إيهام الحبارى^١ ، في يومٍ تُرَوْنَ فيه سَكَارَى ، وما أنتم بسَكَارَى ، ولكنّ عذابُ الله الواقعُ ، وسخطُهُ الذي ما لكم عنه دافع ، ولسنا نحاكمكم إلى غير المهند ، ولا نماطلكم ذلك وكأنّ قد^٢ ، فإن الله لكم بالمرصادِ ، ولن يتولّى كِبَرَكُمُ إلاّ أقلُّ الأعدادِ ، من أنجادِ الأجنادِ^٣ ، فتصبّحوا كأن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، وتصيروا إلى جهنّمَ وساءتُ مصيراً . [والسلام على من اتبع الهدى ، وخشي عواقبَ الردى] .

[وهذه أيضاً] جملة من شعره

من ذلك ما أنشدني لنفسه مما خاطب به^٤ الوزيرَ الأجلَّ أبا بكر بن زيدون :

لا تمنعنكمُ الدنيا وزخرفها بيري فقد كنتُ منها في زخاريفِ

١ انظر الميذاني ٢ : ٥٠ ويقال أيضاً : أقصر من إيهام قطاة ومن إيهام الضب .

٢ س : إلى الند .

٣ ب م ط : الأنجاد .

٤ ب م : قال يخاطب . . . الخ .

أسماء أعلامٍ أنتم ظلت بينكم [٢٠٩] حرفاً وما أبتغيكم غيرَ تصريحٍ

وهذا المعنى ينظر إلى قول اللجاء^١ ، مما أنشده الثعالبي^٢ :

أنا من وجوه النحر فيكم أفعُلُ ومن اللغات إذا تُعدُّ^٣ المهملُ

وقال اللجاء أيضاً^٤ :

ونُعِيتُنَا^٥ بشاعِرٍ نَعِيتُهُ ليس ينصرفُ

وحدثني أبو حاتم الحجاري قال : كتب إليّ ابن أحمد بهذه الأبيات^٦ :

قالوا الحجاري وطنّي أنه حجرٌ والدُّر ليس بمنحوتٍ من الحجرِ
عني إليك من أشعارٍ لها غُرَرٌ غيري يباحثُ بالتحجيل والغررِ
بيتٌ ببيتٍ ومصرعٌ بمشبهٍ حتى يصدق خُبيري ذائع الخبرِ

قال أبو حاتم : فأجبتُه^٧ :

قف يا ابنَ أحمدَ لا تجمعْ على غرَرٍ كوقفِ العَيْرِ بين الوردِ والصدَرِ
ولا تعرّضْ فعندي كلُّ شاردةٍ كالنار تُلقي إلى الأشرار بالشررِ
إن شئتَ سلماً فسلماً أو محاربةً عندي أناةٌ وعندي بطشةُ القدرِ

١ اليتيمة ٤ : ١٠٢ وفيها « اللجاء » وهو علي بن الحسن الخرازي .

٢ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٣ ب م : تعدى .

٤ اليتيمة ٤ : ١٠٣ .

٥ اليتيمة : وصرفنا .

٦ ب م : وكتب إلى أبي حاتم الحجاري .

٧ ب م : فأجابه أبو حاتم .

أنا سواد^١ وآياتي مبيّنة فما يخصّك من خبري ومن خبري

قال أبو حاتم : فكتب إليّ ثانية بقوله^٢ :

أمرت مني جفاءً غير مؤتمر كالذئب نهنه عدوّ والضيغم الهصير
والعيرُ مستوقفُ الأفراسِ سابقةً كوقفِ العيرِ بين الوردِ والصدر
إن كنتَ مستأخيراً يوماً فلا عجبٌ فوائدُ الكتبِ قد أثبتنَ في الطرر
وبين فكري ونفسي كلُّ صائبةٍ كالسهم ينفذ بين القوس والوتر

قال أبو حاتم : فراجعته بهذه الأبيات^٣ :

أنا الحجاري والياقوتُ من حجرٍ والماءُ ينبعُ سلسالاً من الحجرِ
وركنُ مكةَ فيه ما سمعتَ به تراك تجحدُ أو تعمى عن النظر
لا تحسبِ الشعرَ إلاّ دوحَ باسقةٍ أصبحتُ أقطفُ منها يانع الثمر
ليّ المحاسنُ وانظرُ قلماً خفيتُ إلاّ على جاهلٍ بالشمس والقمر
أخفى عليك ولكن سوف تعرف بي^٤ ليثاً تكنفُ ملتفّاً من الشجرِ [٢٠٩ ب]
وقد أتتني وبعدَ البطءِ ما وردت صحيفةٌ لم أنمُ منها على غرر
ثَقَّفُ كعوبَ فناةٍ أنتَ تحملها واضربُ بمنى كمنِ الصارمِ الذكر
ماذا تريدُ بنسجٍ هلهلتهُ يدُ أخشى عليك هجومَ القرّ في صفر
وقد نصحتكُ والأيامُ واعظةٌ وأنتَ تجنحُ^٥ أحياناً إلى السفر

قال أبو حاتم : فلم يراجعني بعدُ ، فكتبتُ إليه آخرّاً بقولي^٦ :

١ ط د س : سواك .

٢ ب م : فأجابه أبو حاتم .

٣ ب م : فكتب إليّ أبو حاتم .

٤ ط د س : تعرفني .

٥ ط د س : تلمب .

٦ ب م : فكتبتُ إليه أخرى .

ما لابن أحمد لم تُبَصِّرْ بصيرتهُ هيهات تضعفُ أحياناً عن النظرِ
 يظنُّ بي قِصراً والطولُ يعجبني إني لأعجبُ من طول ومن قصر
 إذا استراب بمثلي في بديتهه وقال ما يملأُ الأسماعَ من هذر
 فخله يخبطُ العشواءَ في رجل يسري فيمرحُ بين الشمس والقمر

ولابن أحمد مما خاطب به أبا بكر الداني المعروف بابن اللبانة^١ :

هب السحرَ يُمَيِّ والمعالى تدَفَّقْ هل الكلُّ إلّا من صفاتك يُشْرِقُ
 وهبنا شدونا كالبلابل إنّه جميعُ الملاهي من قريضك ينطق
 جمعتَ معاني الحسن في طيِّ مهْرَقٍ ولم أحتسبُ أن يجمعَ الحسنَ مهْرَق
 ولا فضل لي إلّا النظامُ وإنّها إماؤك تجلوها كواكبُ تعشق
 وماذا عسى تُهدي إليك وإننا جدّاولُ في أدنى بحارك تغرق
 وما زلتَ تهدي كلّ حينٍ جواهرأ فتخزنُ منها ما تشاءُ وتنفق
 أرى شعراءَ الوقتِ دونك قصّرتُ إلى عفوك الأدنى تحبُّ وتُعْنِقُ
 وجدتك شمسَ الفهم أشرقَ نورُها فلستُ أراعي كوكباً يتألق

فأجابه^٣ أبو بكر الداني [بقوله] :

سبقتَ إلى العليا وما زلتَ تسبقُ فأرسلتَ ما يندى عليّ ويعيقُ
 كتابُ كما يُتلى الكتابُ وراءه حديثُ كما يُروى الحديثُ المصدّق
 أضاء الهوى في صَفْحٍ ما قد خططته كما ضاءَ في وجهِ الحقيقة رونق
 أعدتَ لي الدنيا فتاةً وربما غلاماً، كلا الوجهين في الحسن ريق [٢١٠أ]

١ د ط س : وكتب ابن أحمد إلى أبي بكر . . . هذه الأبيات .

٢ ب م : وانها .

٣ ط د س : فراجع .

وَأَنْسَتَنِي مِنْ وَحْشَةٍ فَكُنَّا مَدَدْتَ عَلَيَّ الظِّلَّ وَالشَّمْسُ تَحْرَقُ
أَخَذْتَ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ فَحَزَنَتْهُ فَحَظُّ الْوَرَى مِنْهُ الَّذِي تَتَصَدَّقُ

ومن شعر أبي جعفر بن أحمد يستنجز^١ بعض الوزراء :

عِدَاتٌ مِثْلُ مَا ابْتَسَمَ الْحَسَانُ وَتَسْوِيفٌ كَمَا عَبَسَ الزَّمَانُ
وَقَدْ خَبَّرْتُ نَفْسِي عَنْكَ خَيْرًا وَأَحْرَى بِأَنْ يَصْدَقَنِي الْعِيَانُ
وَهَا مِدْحِي سَوَابِقُ مَلْجَمَاتٍ لِأَرْسَلَهَا وَفِي يَدِكَ الْعِنَانُ

ومما قاله في الغزل وسمي هذه القطعة بالصفقة :

سُمْتُ الْحَبِيبَ وَصَالًا قَالَ لِي نَعَمْ وَلَا أُبِيعُكَ إِلَّا يَدَا بَيْدٍ
فَقُلْتُ هَاكُ فُؤَادِي قَالَ تَبْخُسْنِي حَقِّي فَزِدْنِي عَلَيْهِ فَلَذَّةَ الْكَبِدِ
فَقُلْتُ هَاكُهَا فَاغْتَرَّ مِنْ عَجَبٍ وَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا غَايَةُ الْجُلْدِ
فَقُلْتُ لَا تَعْجَبَنَّ فَالْوَجْدُ يَقْتُلُنِي^٢ فَقَالَ مَا لَقَتِيلُ الْحُبِّ مِنْ قُودِ

وهو القائل من أبيات اندرجت له في أثناء رسالة^٣ :

وَلَمْ يُرَ مِثْلُ الْجُودِ لِلْمَرْءِ حُلَّةً وَهَلْ يَسْتَوِي قَدْرًا جَوَادُ وَبَاخِلُ
يَذْمَمُ بِالْبَخْلِ الشَّرِيفُ انْتِسَابُهُ وَتَحْمَدُ بِالْجُودِ الْحَسَّاسُ الْأَرَاذِلُ
وَمَا لَكَ فِي الدُّنْيَا سِوَى مَلْبَسٍ يُرَى عَلَيْكَ وَمَا تُعْطِي وَمَا أَنْتَ آكِلُ
يُطِيلُ حَيَاةَ الْمَرْءِ طَيِّبُ ثَنَائِهِ وَالْأَفْأَيَامُ الْحَيَاةِ قَلَائِلُ

وفي فصل منها : فاعجب لهذه المنقبة النبيلة ، والحلة الوسيمة الجميلة ،

١ ب م : يستحث .

٢ ب م : فقال لي يدك لي قال تقتلني ؛ س : فقال لي نوبة إلى قلت تقتلني .

٣ ب م : في اثبات جوده .

تُكْسِبُ المرءَ خُلْدًا مع الزمنِ ، وإن كان الخلدُ غيرَ ممكنٍ ، وبالكرم
استدلَّ على كثيرٍ ممن كان في سالف الأسم ، لاسيما إن أَلَفَ شعراً ،
أو صنف نثراً ، وبه عرف هَرِمُ بن سنانِ المرِّي وحاتم الطائي ، ومَن
سواهما من الأجوادِ والأصفاد .

وله ^١ :

قم فاسقني ^٢ والرياضُ لابسَةٌ وشيأ من النور حاكهُ القَطْرُ
والشمسُ قد عَصَفَرَتْ غلائلها والأرضُ تندي ثيابها الخضر
في مجلسٍ كالسماء لاحَ به من وجه من قد هويته ^٣ بدر [٢١٠ب]
والنهرُ مثل المجرِّ حَفَّ به من الندامي كواكبُ زهر

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي الخطاب

عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التنجيبي الطليطلي ^٥

أحدُ بحوري البراعة ، ورؤوسِ الصناعة ، نفثَ هاروتُ على لسانه
بسحري ، إلا أنه حلو حلال ، وتفجرت البلاغةُ من جَنَانِهِ ببَحْرِ ، إلا أنه

١ هذه القطعة لم ترد في د ط س ؛ وهي في المغرب ٢ : ٣٨ في ترجمة الوزير الكاتب أبي جعفر
ابن أحمد ؛ وقد مر القول بأن ابن سعيد ترجم لاثنتين بهذا الاسم ، فهل يمكن أن نستنتج
من هذه القطعة أنهما شخص واحد ؟ كان ذلك ممكناً لو أن النسخ جميعاً اشتركت في إيرادها .
والأبيات في وصف منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية ، حسب قول الجباري .

٢ المغرب : سقني .

٣ ب م : من قد هو المني ، وآثرت ما في المغرب . ٤ المغرب : النواحي .

٥ ترجم له ابن سعيد في المغرب ٢ : ١٦ وفيه « عيطون » بتقديم الياء على الطاء ، وانظر
المسالك ١١ : ٤٥٠ .

عذبٌ زلال ، فأنتى ثانياً من عَيْنَانِهِ ، وسبق على تأخيرِ زمانه ، على أنه لم يشرح قطُّ بحبِّ الشعرِ صدرًا ، ولا أبلى في طلبه عذراً ، وإنما قاله متحجباً لا متكسباً ، وألمَّ به متمرّناً لا متزيّناً ، وقد أثبت من كلامه ما يُزري بالدرِّ في السلك ، ويخلُّ بالكافورِ والمسك .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة في المتوكل بن المظفر صاحب بطليوس المعروف بابن الأفتس :

عاكف ^١ جفني على سَهَرِهِ	سيفُ جفني سُلِّ من حَوَرِهِ
نفحتُ بالسحر هَبَّتُهُ ^٢	فأنثى والصبرُ من جَزَرِهِ
قَدَرٌ ما قد أُتِيحَ له	لا يفرُّ المرء من قَدَرِهِ
إنَّ ليلَ الصبِّ أولسه	في تمادي الشوق من سحره
روَّعتُ أسماءُ أنْ طلعتُ	رائعاتُ الشيب من شعره
لا تراعي يا أُسَيْمَ لها	إن حُسْنَ الروض في زهره
واخضرارُ الليلِ أَحْسَنُهُ	ما تلوحُ الشهب في نُحْدَرِهِ
ليس شيئاً ما لمحت به	جمرُ قلبي طارَ من شره
إن تَرَيَ رأسي به قَزَعٌ	لستُ بالباكي لمنحسره
قد حلبتُ الدهرَ أشطره	ومريتُ السحبَ من دره
ربِّ وادٍ قد هبطتُ به	فبهرتُ الوحشَ في نفره ^٣

١ ب م : عاط .

٢ ط د س : بهر .

٣ د : مقلته .

بِعَمْرٍ عَقْدُهُ أَشْرِي سَبَقَتْ مِنْهُ مَسَامِعُهُ
 ضَاعَفَ التَّضْمِيرُ مِنْ أَشْرِهِ رَجَعَتْ بِالطَّرْفِ مِنْ حَذَرِهِ
 بَارِقٌ جَالَتْ حَوَافِرُهُ مَعَ جَوْلِ اللَّحْمِ مِنْ بَصَرِهِ^١ [٢١١أ]
 لَوْ تَعَاطَى الْبَرْقُ غَايَتَهُ لَأَتَى يَكْبُو عَلَى أَثَرِهِ
 مِثْلَهُ أَذْنَى إِلَى مَسْلِكِ نَامَ طَرْفُ الْمَلِكِ عَنْ سَهْرِهِ
 جَاعِلٌ سُمْرَ الْقَنَا شَجَرًا يَحْتَنِي التَّأْيِيدَ مِنْ ثَمَرِهِ
 مَا قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرًا مِنْذَ لَاحَ الْمَلِكُ مِنْ وَطَرِهِ
 [وفيها يقول] :

قَدْ بَنَى مُلْكًا مُظَفَّرُهُ بِاسْمِهِ الْمَشْتَقُّ^٢ مِنْ ظَفَرِهِ
 ثُمَّ سَمَّاهُ لَهُ عَمْرًا كَيْ يَكُونَ الدَّهْرُ مِنْ عَمْرِهِ
 يَا مَلِيكًا كُلُّ شَارِدَةٍ سَقَّتْهَا فِي الشَّعْرِ مِنْ فَقَرِهِ
 لَيْسَ لِي فَضْلٌ بِمَدْحَتِهِ سَلَكُهُ أَدْرَجْتُ فِي دَرَرِهِ
 إِنِّي فِي مَا أَجِيءُ بِهِ جَالِبٌ تَمْرًا إِلَى هَجَرِهِ
 وله من أخرى أولها :

غَدُوٌّ لَنَا فِي حَبْكُمُ وَرَوَاحُ وَلَيْسَ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ^٣ بَرَاحُ
 تَنَكَّرْتُ لَمَّا خَالَطَ الشَّيْبُ نَلْمِي وَأَسْفَرَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ صَبَاحُ

ومنها^٤ :

١ ب م : نظره .

٢ ب م : المبيض .

٣ ط د س : الزمان .

٤ ورد البيتان في المسالك .

إلى كم نوى تملو نوىً وتغرّب^١ كأني بأيدي الياسرين قِداحُ
تعاورُنَا أيدي الفيافي كأننا^١ هشيمٌ ذَرَّتُهُ بالفضاء رياح
وفيهما يقول في مدح المتوكل على الله :

إذا كنتُ قد أمسكتُ من عمر الرضى بجبلٍ فعِلّاّتي به ستّراحُ
هو الصارمُ الهنديّ أمضاه عزمه ولألاءِ متّسّيته عليّ وشاح
من القوم تسخو بالبلاد نفوسهم وأما على أعراضهم فشاح

وله فيه من قصيدة أنشدها إياه^٢ في محرم سنة أربع وسبعين^٣ ، صدّره
من التطوّفِ ببلاد الثغر ، يدعو أهلها إلى الدخولِ في طاعته ، فأجابته^٤
حاشا أهلَ وادي الحجارةِ فإنهم رَجَموه بها ، وحاربوه على بابها ، وكان
زعيمها يومئذٍ والقائمُ بأمرها من أهلها ، حامدُ بن مسرّةَ الفقيه ، أوها :

بمثلِكَ مِن مولى ومثليّ من عبدٍ يرى الناس كيف المجد أو صفة المجد^٥ [١١
رمىَتَ قصيَّ الثغرِ بالخيَلِ شُرْباً هبطنَ على غَوْرٍ فأصعدن^٦ في نجد
فما شتته من لاحقٍ بطنُهُ طوى وأقرباهُ نيطتْ إلى كفلٍ نهد
وأقبلتْها مجرِيطُ شُعْثاً كأنها كواسرُ عقبانٍ تقضّينَ من قند
تدوسُ الإكامَ الجُرْدَ منها فترتمي سجوداً إلى أيدي سوابقك الجرد

١ ط د : تعاورني . . . الفلاة كأنما .

٢ ط د س : أنشده إياه .

٣ ب م : وتسعين ؛ وهو خطأ لأن المتوكل قتل سنة ٤٨٧ .

٤ ب م : فأجابته .

٥ يمد هذا البيت في س : ومنها .

٦ ط د س : وأصعدن .

فلما رأته مجريطاً وجنّته أكبلتُ لغزتك القعساءِ في ذلّة العبد
ومدّوا يدَ السلم الذي أنت ربّه إليك ولاذوا بالمواثيق والعهد
فأوسعتهم منّاً بأمنهم وقد تطلّع سيفُ الإنتقام من الغمد
وما حامدٌ من ذا الوري فعلَ حامدٍ وقد أبرزَ البهيم الضعافَ إلى الأسد
كأنّي أرى وادي الحجارة قد جرى دماً بهم حتى يُعافَ عن الورد

واعتلّ المتوكلُ وأرجفَ به ثم اضمحلّ سقامه ، واستهلّ بالبرم
غمّامه ، فجلس بمجلسه للسلام ، ورُفِعتْ إليه من بطائق النُظام^١ ، نيّف^٢
على عشرين قصيدة^٣ ، فمن شعر أبي الخطاب فيه يومئذٍ من قصيدة أولها :

نهنيكمُ بل نحن فيكم نهناً فباسمك يرعانا الإلهُ ويكلاً
وأنت الذي أحللتنا جنّة المنى فنحن كما شئنا بها ننبوأ

وفي خلال مرضه خرجتْ صِلاتٌ لأولئك الأدباءِ الشعراء فقال فيها^٤ :

وما اعتلّ عنا جودهُ باعتلاله ولكن* وجدنا غبهُ ليس يهنأ
ينغص* شكواه بلحدواه عندنا كأننا عطاشُ البحرِ في الماء نظماً

وله من أخرى :

أمين* كيوانَ أطلبُ أن أقادا لقد أعظمتُ شأوي* ذا بعاذا
وفي الأرضين أعجزُ عن مداه فكيف أرومُها سبعا شداذا

١ د : الشعراء .

٢ ط د : بطاقة .

٣ ورد البيتان في المغرب والمسالك .

٤ ب م ط : ينغص ؛ د : تنغص .

٥ س : شائي .

ومقصوري على الآفاقِ أُمسى
ألوف للفياني لا يبالي
سهامٌ في قسيّ العيس ترمي
وريشٌ في جناح البين يهفو
كأن عليه للأيام عهداً
لعل نذورها حلت بحمص^٣
ونكرع في نمير طالما قد
وكم مستعرض أعرضت عنه
أرانا خيرَه وعداً جهاماً
كلاماً أحرقت منه القوافي
ولو عمرو يجاذبه ذهاء
يراع الدهر من عزّاتِ شهم
وتُمضي حُكمته الأيام قسراً
عزوف النفس يكلفُ بالمعالي

يرأوح بالبرى^١ إن لم يغادى^٢
قتوداً أوطأته أم قتادا
بأنصلها التهاثم والنجادا [٢١٢أ]
مع الأيام لا يألو اجتهدا
موفى أن تعم به البلادا
فتبلغ^٤ من أمانينا المرادا
رشفنا دون جمته ثمادا
ولم ألمم به إلا انتقادا
وبشراً خلّباً ونديّ جمادا
تركناه لسافية رمسدا
لأصعب ملئك مصر أن يقادا
يعفّي ما أفات بما أفادا
فتترك ما تريد لما أرادا
إذا كلفوا بسعدى أو سعادا

ومنها :

عليّ أليّة^٥ ما دمت حياً
فلم نلق^٦ الكرام سواك إلاّ
أخصّ بمدحيّ إلا جوادا
كما^٧ ألفيت من عيوز سدادا

١ ط د : بالندى ؛ س : بالندى .

٢ ب م ط د : يقادا .

٣ ب م : لعل تزرورها حلماً وحمصاً .

٤ د : فبلغ ؛ ب م : فتبلغ .

٥ س : فلما .

٦ ب م : يلق .

٧ ط د : وما .

الوذُءُ يعطفُ مجدك من خطوبٍ تخوّنتِ الطوارفَ والتلادا
 وأنفذتِ التّجملَ وهو زَغَفٌ يفلّ قتيْرُها الأسَلُ الحدادا
 فأبقاك الذي أعطاك مجداً أبى لك حُكْمُهُ إلاّ انفرادا
 فصيرَ ذكرَكَ السّمّارُ أنساً وأحقبَ مدْحَكَ الركبَانُ زاداً

وله من أخرى في أبي عبد الله بن أبي حمزة :

أعَنَ* برقٍ تلاًلاً في غمامه* بكت عينك أن شمتَ ابتسامه*
 أضواءَ لعينك الأثلاثِ وهنا برامة لا تَعْدَى السقي رامة
 ذكرتُ به زماناً قد تقضى وولّى أنسه رتكَ^١ النعامه
 وأخضرَ جُبْتُ فحمتَهُ مُطِلاً* على الأخطار^٢ لم أرهب ظلامه
 بأهدى في سُرَاهُ من قطاة وأقدم في دجَاه من أسامه [٢١٢ب]
 كأن نجومه في الأفقِ ظلت حيارى لا تَهْدَى لاستقامه
 كأن الليث لما همَّ يعدو على الجبّار شدَّ له حزامه
 وسدّد قوسَ هَنَعَتِهِ^٣ إليه فأثبتَ في لَهْيَاهُ سهامه
 وقد أكل المحاقُ البدرَ حتى تحيّفَ نورَه إلاّ قُلامه

وهذا التشبيه كثير ، ومنه قول ابن المعتز^٤ :

* مثل القلامِ قد قُدَّتْ من الظُّفْرِ *

١ الرتك : الاهتزاز في المشي ومقاربة الخطو .

٢ ب م : الأقطار .

٣ الهنعة : قوس الجوزاء يرمي بها ذراع الأسد .

٤ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ ، وصدّره : ولاح ضوء هلال كاد يفضحه .

وفيهما يقول^١ :

يُجاذِبني العنانَ به سَبوحٌ طموحٌ هَمّةٌ أبدأ أَمامةً
قليلُ الصَّحبِ لا ألقى أنيساً على طولِ السَّرى إلّاّ بحامه^٢
كأنَّ صليلَ حَلَقَتَيْهِ فُريخٌ صدى قد أعرَضَتْ عنه الحمامه

وهذا أيضاً كقول ذي الرمة^٣ :

كأنَّ أصواتَ من إيغاهنَّ بنا أواخرَ الميسِ أصواتُ الفراريجِ^٤

ومنها :

وقد ولَّتْ نجومُ الليلِ ذُعرأ لَدُنْ سَلِّ الصُّباحِ لها حِسامَةٌ
فلم تطلُعْ وقد غربتْ بنجد لنا إلّاّ وقد جزنا تهامه
ولا نشأ الهلالُ عليّ إلّاّ وقد شارفتُ أوديةَ اليمامة
وأعملتُ الركائبَ خاضعاتٍ تمدُّ لسيرها عُنُقاً وهامه^٥
إلى طَوْدِ المفاخيرِ والمعالِ وبحبوحِ السيادةِ والزعامه
إلى ضُخمِ الدَّسِيعَةِ لا يبالي مَن الطائيُّ أو كعبُ بن مامه
أنافَ به أبو بكرٍ أبوه فسدَّ وساد ما أعيا حمامه

وله من أخرى^٦ :

١ منها بيتان في المسالك .

٢ ط د : امامه .

٣ ديوانه : ١٠٥ وروايته : إنقاض الفراريج .

٤ الميس : شجر تعمل منه الرماح : وقد فضل في المبيت بين المضاف والمضاف إليه . للضرورة الشعر ، ويريد كأن أصوات أواخر الميس — من إيغاهن بنا — أصوات الفراريج .

٥ قبل هذا البيت في س د ط : ومنها .

٦ ط د : ولا أرى أن يـ : وله من أرجوزة .

لمع من البرق سرى يلتاحُ والنسرُ قد مال به جناحُ
لم يَمِ الليلَ له لمّاحُ كالشعلة استطارها اقتداح
أنهى على الزندِ به مشّاح فشاقي نحو الحمى التماح [٢١٣ أ]
وذكرتني عهدتها الأدواح سقى ثراها الوابلُ السّحاح
ولاعبتُ أغصانها الأرواح بسجسجٍ هبوبها لفتح
فكم لنا في ظلّها رّواح وهو علينا وارفُ نفّاح
وأعجمُ الطيرِ له إفصاح للغصن من تغريده ارتياح
مثل التزييفِ عطفتتهُ الراح

ومنها :

والصعبُ يأبى وله إسماحُ ودارتِ الكؤوسُ والأقداح
نجومُ راح أطلّعتها الراح عاطينها الخردُ المسلّاح
والغادةُ البهكّة^١ الرّواح غصّتْ بُراها وجرى الوشاح
واستهدفتُ في صدرها^٢ التفاح قد شرّعتْ . كأنها رماح
للدم في أطرافها انتضاح تقتلُ باللمسِ ولا جراح
وربّ جدّ أصله^٣ مزاح وفتية كأنهم رمّاح
بضميرٍ كأنها القيداح خضّرٍ من الليل لها أشباح
وانشق من جباهها الإصباح يعدو^٤ بهنّ معقّبٌ وقّاح

١ ط : البهكّة ؛ ب : البهابة ؛ س : النبهة .

٢ ط د : واشتهرت في نهدها ؛ س : واستهددت .

٣ بعد هذا الشطر ، في ط د س : وفيها يقول .

٤ ب م : دجى .

٥ ط د س : يفدو .

صلد^١ على صلد الصفا رضاح^١ يحار^٢ فيه الناظر^٢ الملتاح^٢
 أحافر^٣ في الحضر^٣ أم جناح إذا اعتلى اعطافها انتشاح
 وابتلت^٤ الحجول^٤ والأوضح لج^٤ بها النشاط^٤ والمراح
 وشره لم يؤده^٥ جنساح أتى تنال^٥ شأوه^٥ الرياح
 وسبق^٥ البرق^٥ به اطلاق^٥ يا ليت شعري هل غدوا أو راحوا
 فالدهر^٥ قفر^٥ بعدهم^٥ براح

وله من مرثية في الوزير أبي حفص الهوزني^٣ ، وكان استشهد - رحمه
 الله - في قتال الروم على وادي طليبرة^٤ ، قصيدة أولها :

نبأ به وافي البريد^١ فظيع^١ صدع^٢ القلوب^٢ حديثه^٢ المسموع^٢
 وافي فكل^٣ تجلد^٣ متعذر^٣ أسفا^٣ وكل^٣ تصبر^٣ مهنوع^٣
 طلعت^٤ بمطلعه^٤ علي^٤ غياهب^٤ لم يبد^٤ فيها للسرور^٤ طلوع^٤ [٢١٣ب]
 فبكيت^٥ من جزع^٥ عليه بمقلة^٥ إنسانها^٥ بجفونها^٥ ماسوع^٥
 ولو أن^٦ لي عدد^٦ النجوم^٦ مدامعا^٦ تجري ومن فيض^٦ البحور^٦ دموع^٦
 لم أقض^٧ حقك^٧ يا محمد^٧ إنه حزن^٧ تعظم^٧ قدره^٧ وولوع^٧
 ماذا نعى^٨ الناعون^٨ صم^٨ صداهم^٨ من طود^٨ عز^٨ خر^٨ وهسو^٨ منبع^٨
 ماذا نعوا^٩ من جود^٩ كف^٩ أخصبت^٩ فزمانها^٩ للمعتفين^٩ ربيع^٩
 يا سالكا^{١٠} بين الأسنة^{١٠} والظبا^{١٠} في موضع^{١٠} فيه السلوك^{١٠} فظيع^{١٠}
 يغشى^{١١} الحمام^{١١} به النفوس^{١١} مراقبا^{١١} للهندوانيات^{١١} وهو^{١١} مروع^{١١}

١ ب م س : وضاح . ٢ ب م : الملتاح .

٣ ذكره في المغرب ١ : ٢٥٤ وأورد رثاء فيه لأبي القاسم بن المطار ؛ وانظر القلائد : ٢٨٧

٤ وادي طليبرة هو نهر تاجه نفسه ، وعليه تقع المدينة إلى الغرب من طليطة .

٥ ب م : الدموع .

لو حلَّ ساحته السماكُ برحمه
ما زال قدركَ سامياً حتى غدا
ما ذقتَ موتاً إذ صرَّعتَ وإنما
يا طالعاً في الجيش من طلبيرة
أم قد أطل بها الثواءَ ولم يحنْ
فغدا نظامُ مؤمليه مبدداً
سخى بنفسي عنك أني لاحقٌ
فالموتُ يحترمُ الأنامَ قد استوى
سيان مدَّرعٌ لديه وحاسرٌ
نفترٌ بالدنيا ويخدعُ بعضنا
فسرورها همٌّ ، وصفوُ نعيمها
ماذا أجنَّ التربُّ في طلبيرة
هابتُك الحاشدةُ المنايا فانبرتْ
حتى سلَّبتْ النفسَ وهي عزيزةٌ
جفتْ ينابيعُ بتاجو^٢ إنما
أنى غمرت البحرَ وهو غطاميطٌ

عند الطعانِ لظلٌّ وهو صريع
في زُمرةِ الشهداءِ وهو رفيع
نلتَ الحياةَ وصبريَ المصروع
هل آن لابن الهوزنيّ طلوع
منه إلى يومِ النشورِ رجوع
والشملُ شتّى وهو أمسِ جميع
[بكمُ] وأنتَ سابقٌ متبوع
منهم جبانٌ عنده وشجيع
طعنُ المنيةِ لا تقيه دروع
بعضاً بها وجميعنا مخدوع
كدرٌ ، وحَبَلٌ وصالها مقطوع
من سؤددٍ لك ذكره مرفوع
زَحَفاً إلى لقياك وهي جموع
لم يبدُ منها للعدوّ خضوع
سَمٌّ لأرواح الكرام نقيع
وطمست نورَ البدرِ وهو سَطوع [٢١٤]^١

١ ط د ب م : هاتيك .

٢ س : جفت ينابيع نهر تاجو .

ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله

ابن أبي الخصال أعزه الله^١

حامل لواء النباهة ، > الباهر < بالروية والبداهة ، مع منظر ووقار ، وشيم كصفو العقار ، ومقول أمضى من ذي الفقار ، وله أدب بحره يزخر ، ومذهب يباهي به ويفخر ، وهو وإن كان خامل المنشأ نازله ، لم ينزله > المجد < منازل ، ولا فرع للعلاء هضاباً ، ولا ارتشف للسناء رضاباً ، فقد تميز بنفسه ، وتحيّزاً من جنسه ، والذي ألحقه بالمجد ، وأوقفه بالمكان النجد ، ذكاء طبيع عليه طبعه ، ونجم في تربة النباهة غريبه^٢ وَتَبِعَهُ ، وتعلق بأبي يحيى بن محمد بن الحاج ، وهو خامل الذكر ، عاطل الفكر ، فملك قياد مأموله ، وهب من مرقد خموله ، وقدر استعماله زناد^٣ ذكائه ، وأبدى شعاع ذكائه ، ولم يزل عائرأ معه ومستقلاً ، ومثرياً حيناً وحيناً مقلأً ، إلى أن تررطوا [في] تلك الفتنة التي ألقوها حائلها ، وما لمحوها تخايلها ، وطمعوا أن يفتالوا ملكاً معصوماً ، وأبرموا من كيدهم ما غدا بيد القدر مفصوماً ، وفي أثناء بغيتهم . وخلال جريهم^٤ الويل وسعيتهم ، كانت ترد عليهم من قبله كتب تحل ما ربطوه ، وتروعههم مما تأبطوه : ورد عليهم كتاب في أحد الأحيان راعهم ، وأنساهم جلادهم وقراعهم ، وهو^٥ بمجلس أنس ، فاستدعي للمراجعة عن فصوله ، والمعارضة لفروعه وأصوله ، فأبان عن الغرض ، وخلص جوهره من كل عرض ، وأبدع في إحكامه ، وبرع في قضاياه وأحكامه ، فحمل أبا يحيى بن محمد استحسان^٦

١ هذه الترجمة من القلائد : ١٧٥ ومن الغريب أن لا يشنّه من أدخلها في هذا الموضع إلى أن

ترجمة ابن أبي الخصال ستجيء تحت عنوان آخر بعد قليل ، ولم ترد هذه الترجمة في د ط س .

٢ ب م : وتخير .

٣ ب م : نار .

٤ م : اسجوا .

٥ القلائد : حريهم .

٦ القلائد : وهم .

ما كتبه ، أن خططه للحين ولقبه ، والمدام لرأيه الفائل^١ ماله ، ولعقله في طُرُق الخيال^٢ سالكه ، فلم يعمل فيها فكراً ، ولم يتأمل أعرفاً أتى أو نكراً ، ففجرت^٣ عليه لقباً ، وأعلته من الاشتهار مرقباً ، وصار مرتسماً في العلية ، متسماً بتلك الحلية ، وما تزال الدول تستدنيه نائياً ، وتنشيه دانياً ، فلا أجعله^٤ مجنياً عليه ولا جانياً ، فما بيده رَفَعُ شومه ، ولا محو رسومه . وقد أثبت له ما تجتليه فتستحليه ، وتلمحه فتستلمحه ، فمن ذلك قوله في مغنّ زار ، بعدهما شحط المزار* [٢١٤ ب] :

وافى وقد عظمت عليّ ذنوبه في غيبة قبحت بها آثاره^٥
فمحا إساءته بها إحسانه واستغفرت لذنوبه أوتاره
وله^٦ :

يا حبذا ليلة لنا سلفت اغرت بنفسي الهوى وقد عرفتُ
زارت بظلمائها المدام فكم نرجسةٍ من بنفسجٍ قطفت
وله يعتذر من استبطاء المكاتبة^٧ :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم يُخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قبلتي^٨ الحادثات مكانكم لأنهبها فكري وأوطأها خدي
ألم تعلموا أنني وأهلي وواحد فداء ولا أرضى بتفدية وحدي

١ ب م : الماي ؛ القلائد : البائل .

٢ ب م : ولغمله . . . الخيال .

٣ ب م : فمرت . ؛ القلائد : ولا تجعله .

٥ القلائد : بعدما أغب وشط منه المزار .

٦ سيرد البيتان في نص الذخيرة الأصلي : ٧٩٦ .

٧ لم يرد هذان البيتان في القلائد ، ولعلهما سقطا من النسخة المطبوعة ، وسيردان في نص ابن

بسام : ٧٩٣ .

٨ سترد ص : ٧٩٧ . ٩ القلائد : قبلتي .

كتب الكاتب أبو نصر^١ إلى أبي يحيى بن محمد بن الحاج ، سقى الله مصرعه ، وأورده
منهل العفو ومشرعه :

أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تقطرُ
هنيئاً للملك زانٍ نورك أفقهُ وفي صفحته من مضائك أسطر
ولني لخفاقُ الجناحين كلما سرى لك ذكرٌ أو نسيم معطر
وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجر فبتٌ وأحشائي جوى تتفطر
فهل لك في ودٍ ذوى لك ظاهراً وباطنه يندى صفاءً ويقطر
ولستُ بعلقٍ بيعٍ بخساً واني لأرفعُ أعلقِ الزمان وأخطر

فراجعه :

ثبتَ أبا نصر عنائي وربما ثنتُ عزمةَ الشهم المصمم أسطرُ
ونالت هوى ما لم تكن لتناله سيوفٌ وواضٍ أو قناً متأطر
وما أنا إلاّ ذو عرّفتٍ وإنما بطّيرت ودادي والمودة تبطر
نظرت بعين لو نظرت غيرها أصبت وجفن الرأي وسنان > أشتر<
وقدماً بدلت الود والحب فطرة وما الحب إلاّ ما يخص ويفطر

في ذكر الكاتب

أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال^٢ [٢١٥ / أ]

أحدُ أعيان كتّاب الزمان ، وحاملُ جملةِ الإحسان ، بسحرُ معرفةٍ
لا تعبِرهُ السّقمُ ، ولو جرّتْ شهوتها الرياح ، وطودُ علمٍ لا ترقى

١ أبو نصر : الفتح بن خاقان ، وهذا يدل على أن الذي دس هذا الفصل هنا يلخص عن القلائد .
٢ محمد بن مسعود بن طيب بن خلیصة (٤٦٥ - ٥٤٠) من فرغليط من عمل شقورة ، درس
على شيوخ عصره ، حتى أصبح متقناً في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالأخبار =

إليه الفِطْنُ ، ولو سماها الإمساءُ والإصباح ، وأدبٌ لا تعبّر عنه الألسن ،
ولو أمدّتْها الأوتارُ الفصاح ، إلى طول^١ باع ، ورقة طباع .
نجم بأفقيهِ من بلدٍ شقورةٍ فأسكتَ القائلين ، واستوفى غايةَ المحسنين ،
وهو اليومَ بحيثُ لا تشيرُ الأصابعُ إلّاَ إليه ، ولا تنطوي الأضالعُ إلّاَ عليه ،
وله بيان لا يتعاطاه ناظمٌ ولا نائرٌ ، وإحسانٌ لا يبلغ مداه أوّلٌ ولا آخرٌ ؛
وقد أثبتت من كلامه مما نقلت من خطه الذي خاطبني به ، ما يدلُّ على
نبيله وأدبه .

فصول من نثره

كنت قد انفردتُ لتحرير هذه النسخة من هذا المجموع في شهور
سنة ثلاثٍ وخمسمائة ، فلما انتهيتُ إلى نقلِ ما كان وقع إليّ من ترسيل

== شاعراً مترسلاً، فقد به قيام صاحبه ابن الحاج أمير قرطبة بالثورة على ابن تاشفين، ولما استقل
ابن الحاج وولي بعض أعمال المغرب اتصل به ابن أبي الحصال ثم انتقل معه إلى سرقسطة ،
ثم استشهد ابن الحاج فلزم ابن أبي الحصال داره خائفاً ، وامتد خموله أيام ابن تاشفين ،
فلما كانت فتنة ابن حمدين ودخلت المصامدة قرطبة عنوة ، كان ابن أبي الحصال واقفاً
على باب داره ينهى جند المصامدة عن العبث والنهب ، لما له من دالة عليهم ، فتصدى له
أحدهم واسمه تيفوت وقتله . وقد كان له إلى جانب رسائله وأشعاره مؤلفات منها « ظل
الغمامة وطوق الحمامة » و « سراج الأدب » وقصيدة في نسب الرسول تسمى « معراج المشاقب »
ويقع نظمها ونثره في خمس مجلدات (انظر ترجمته في المعجب : ٢٣٧ والتأنيذ : ١٧٥
والصلة : ٥٥٧ وبغية الملتبس رقم : ٢٨٢ والمغرب ٢ : ٦٦ والمطرب : ١٨٧ ومعجم
الصدقي : ١٤٤ وفهرست ابن خيبر : ٣٨٦ ، ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ورايات المبرزين : ٧٤
والشفح ٣ : ٢٦٨ ، ٤٦٦ ، ٥١٩ ، ٦٠٢ ، والخريدة ٢ : ٤٤٩ (ط . تونس) وبغية
الوعاء : ١٠٤ ومسالك الأبصار ١١ : ٢٤٣) .

١ ب م : طويل .

كتاب هذا الجانب الشرقي من الأندلس ، لم أقع لهذا الرجل على كلام في نثار ولا نظام ، فكاتبه^١ بعض الإخوان في ذلك ، ونشطني أيضاً على مخاطبته هنالك ، فوردت عليه الرقعتان وهو مجتاز على حضرة اشبيلية في جملة أهل العسكر ، فراجعته في كتاب طويل ، قال فيه في بعض الفصول^٢ :

الحذر - أعزك الله - يؤتى من الثقة ، والحبیب يؤذى من المقة ، وقد كنت أَرْضَى من ودك ، وهو الصبح^٣ ، بلمحة ، وأقنع من ثنائك ، وهو المسك ، بنفحة ، فما زلت تعرضني للامتحان ، وتطالبني بالبيان ، وتأخذني بالبرهان ، وأنا بنفسي أعلم ، ولمقداري^٤ أحوط وأحزم ، والمعيدي يُسمع به ولا يرى ، وإن وردت أخباره تُتَرَى ، فشخصه مُفْتَحَمٌ مُزْدَرَى ، لاسيما ممن لا يُجَلِّي عن نفسه ناطقاً ، ولا يبرز سابقاً ، فتتركه والظنون ترجّمه^٥ ، والقال والقليل يقسمه ، والأوهام تحيله وتحرمه ، وتحية وتخرمه^٥ ، أولى به من كشف القناع ، والتخلف عن منزلة الاقتناع^٦ ؛ وفي الوقت من فرسان هذا الشأن ، وأذمار هذا المضمار ،

١ ب م : فكاتبني .

٢ هذا ابن بسام يقرر أن صديقاً له كتب إلى ابن أبي الخصال ، ليقنعه بارسال نماذج من إنشائه لتدرج في الذخيرة فرد ابن أبي الخصال بالرسالة التالية ، ثم نجد الفتح بن خاقان (القلائد : ١٧٦) يذكر أنه هو الذي استدعى من ابن أبي الخصال بعض كلامه فأجابه بهذه الرسالة ؛ ونحن إزاء فرضين : أن يكون الوسيط الذي حفزه ابن بسام هو ابن خاقان نفسه ، أو يكون ابن أبي الخصال كرر هذه الرسالة مرة لأحد إخوان ابن بسام ومرة لابن خاقان لأنها تليق بالمناسبتين المتشابهتين .

٣ القلائد : الصحيح .

٤ د ط س و القلائد : وعلى مقداري .

٥ القلائد : وتخفيه وتخرمه ؛ س : وتحليه وتخرمه .

٦ القلائد : الامتاع .

وقطا هذه المناهل ، وهداة تلك المجاهل ، [من] تحسدُ فقرَه الكواكبُ ،
ويترجلُ إليه منها الراكبُ ^١ ، فأما الأزاهيرُ فملقاةٌ في رُباهَا ، ولو
حلتْ عن المسك حُبَاهَا ، أو صيغتْ من الشمس ^٢ حلاها ، فهي تنظر من
الوجد ^٣ بكل عينٍ شكَّرى لا تكُرى ، وإذا كانتْ أنفاسُ هؤلاء الأفرادِ
مبثوثةً ، وبدائعهم [٢١٥ ب] منثوثةً ، وخواطرهم على محاسن الكلام
مبعوثةً ، فما غادرتْ متردِّمًا ، واستبقتْ ^٤ المتأخِرَ متقدِّمًا ، فعندها يقف
الاختيار ، وبها يقنع ^٥ المختار . وأنا أنزّه ديوانه ^٦ النزيهَ ، وتوجيهه ^٧ الوجيهَ ،
عن سَقَطٍ من المتاع ، قليلِ الإمتاع ، ثَقِيلِ رُوحِ السَّردِ ، مهلكِ صرِّ
البرد . وهَبْنَهُ قد استسهلَ استلحاقه ، وطامنَ له أخلاقه ، أنراني أعطي
الكاشحين في إثباته يدًا ، وأترك عقلي لهم ^٨ سُدِّي ؟ ! ما إخالكَ ترضاها
لي من ^٩ الودِّ خُطَّةَ خَسَفٍ ، ومهواةَ حَسَفٍ ، لا يَسْتَقِيلُ عاثرها ،
ولا يستجدُّ دائرها ، ولا يَسْتَقِيلُ غيبنها ، ولا يُهْلُ طعينها ؛ وقد كنتُ
حرضتُ حين عُرِضَ عليَّ صَدْرُ هذا التأليفِ الأليفِ - حيث عُرِضَ - على
التماحه ^{١٠} ، واجتلاء غُرره وأوضاحه ، وما غرَّني إلاَّ وعدك ، ولا استجرني ^{١١}

١ ب س : وترجل إليه منها المراكب ؛ ط د : ويترجل إليها .

٢ ط د : السلك .

٣ ط د والقلائد : فهي من الوجد تنظر .

٤ ط د : سكرى .

٥ ط د س : ولا استبقت .

٦ ط د س والقلائد : يقع .

٧ ب م س : له .

٨ ط د س والقلائد : مع .

٩ ط د : اعراضه ؛ س : حين عرض عليَّ التماحه .

١٠ ط س د : استجدني .

إِلَّا عَهْدُكَ ، وغرضي في تصفحه أن أجدَ قدوة ، وأصادفَ أسوة ،
فأنزلَ عن حذري ، وأرجَحَ بين مغيبِي ومحضري ، وأقعَ على أَلَاقي ،
وأجاورَ في التخلُّفِ أحلافي ، فلم يتممَ لي وعدُكَ إنجازاً ، ولا وجدتُ
لفرصتك انتهازاً ، بل انقلبتِ الحقيقةُ مجازاً ، والموادي أعجازاً ، ولم نحلَّ
بطائل ، وصرنا تحت قول القائل :

تركَ الزيارةَ وهي ممكنةٌ وأتاك من مصرٍ على جملٍ

وفي فصل : وأنت المفتتح^١ للصلاة ، المولي للمنةِ المشتعلة ، وان رسولك^٢
لوافي بكتابك الخطير ، والشمسُ واجبةٌ سقوطَ مُنازع ، وحياة الذي
يقضي حُشاشةَ نازع ، والبيتُ قد غصَّ بما فيه ، وضاق لفظُهُ عن معانيه ،
والشغلُ مُساهِمٌ بل مُشاطِرٌ ، [والخاطرُ لا طالع ولا خاطر] ، يَصُورُ
فكري إليه ، ويخلعُ فقري عليه ، إِلَّا صُبابَةٌ لا تردُّ صُبابَةً ، ورسيماً لا يشفي
نسيماً ، فدوبكه واهنَ الدعائم ، واهيَ العزائم ، يتبرأ تابعُهُ من متبِّعه ،
ويفرُّ سامِعُهُ من مستمعه ، ولولا أن الجوابَ فرضٌ لا عذرتُ واقتصرْتُ ،
لكن أوثرُ حقَّكَ وإن أبقى عليَّ دَرَكَاً ، وبوَأني دركاً ، وقد راجعته
[أيضاً] - أعزّه الله - بشريطة^٣ كتمانهِ وسَترِهِ ، انقياداً لأمرهِ ، وتضدياً
إلى عقوبِهِ ببرهِ^٤ .

وأجابني أيضاً برقعة قال فيها : وصل من السيد المسترقّ ، والمالك

١ ب م : المبيح (اقرأ : المتيح) ؛ ط د س : المفتح .

٢ ب م : كتابك ؛ س : كتابك وافي بكتابه .

٣ ط د والقلائد : على شريطة .

٤ القلائد : لأمرِك . . . عقوبك ببرك .

المستحقّ - وصل الله أنعمه عليه ، كما قصّر الفضل عليه - كتابه البليغ ، واستدراجه المريع ، فلولا أن يصانّد زنّد اقتداحه ، ويرتدّ طرّف افتتاحه ، وتنقبض [٢١٦ أ] يد انبساطه ، وتغبّن صفقة اغتباطه ، للزمت معه مركز قدري ، وضمن بسرّ صدري ، لكنه بنفثته سيحّره يسّميّع الصمّ ، ويسّتنزل العضم ، ويقنّاد الصعب فيصحب ، ويستدرّ الضجور فتحلب ، ولما فجأني ابتداؤه ، وقرع سمعي نداؤه^١ ، فزعت إلى الفكر ، وخفق القلب بين الأمن والحذر ، فطاردت^٢ من الفِقْرِ أوابد قفّر ، وشوارد عَقْرِ ، تغبّر في [وجوه] سوابقها ، ولا يتوجّه للحاق لوجيها ولاحقها ، فعلمت أنها الإهابة والمهابة ، والاصابة والاسترابة ، حتى أياستني الخواطر ، وأخلفني المواطر ، إلاّ زبرجاً يعقب جواداً ، وبهرجاً لا يحتمل انتقاداً ، وأنتى لمثلي والقريحة مُرجّاة ، والبضاعة مزجاة ، ببراعة الخطاب ، وبزاعة^٣ الكتاب ، ولولا دروسُ معالم البيان ، واستيلاء العفاء على هذا الشأن ، لما فاز لمثلي فيه قيدح^٤ ، ولا تحصّل [لي] في سوقيه ربح ، ولكنه جوّ خال ، ومضمار جهّال .

وفي فصل منها : وأنا أربأ - أعزك الله - بقدر « الذخيرة » ، عن هذه التتّف الأخيرة ، و [أرى] أنها قد بلغت مداها ، واستوفت حلاها ، وإنما أخشى القدح في اختيارك ، والاخلال بمختارك ، وعلى ذلك فوالله ما من عادي أن أثبت ما أكتب في رسم ينقل ، ولا في وضع المراتب عندنا مخاطب نتحفّر له ونحتفل^٥ ، وإنما هو عفو فكر ، ونشر ذكر ؛

١ ب م : ابتداه . . . بداره .

٢ ب م : فطارت . س : ونزاعة ؛ ط د : وبراعة .

٤ ط د : مخاطبة له يحفّر له ويحتفل ؛ س : مخاطب ينحفّر له ويحتفل .

٥ ب م ط د : وبسر .

وقد وَجَّهْتُ من المنظوم طيها ما حَضَرَ . وعذري إليك - أعزك الله -
 في أي خططتُ والنومُ مغازل ، والقرم منازل ، والريحُ تلعبُ بالسراج ،
 وبصولُ عليه صَوْلَةٌ الحجاج ، فطوراً تسدده سناناً ، وتارةً تحركه
 لساناً ، وآونةً تطويه حَبَابَةٌ ، وأخرى تنشره ذُؤَابَةٌ ، وتقيمه إبرةً لُحْبٌ ،
 وتَعْطِفُهُ بُرَّةٌ ذهب ، أو حُمَّةٌ عقرب ، وتقوِّسه حاجبٌ فتاة ذاتِ
 غمزات ، وتسلطُ على سليطه ، وتزيله عن خايطه ، وتخلِّفه نجماً ،
 وتردُّه رَجْماً ، وتستلُّ روحه من ذباله ، وتعيده إلى حاله ، وربما نصبتُهُ
 أذنَ جواد ، ومسخته حدقَ جراد ، ومشقته حروفَ برق ، بكفٍ
 ودقٍ ، ولثمتُ بسناه قنديله ، وألقتُ على أعطافه منديله ، فلا حظاً
 منه للعين ، ولا هدايةً في الطرسِ لليدين ، والليلُ زنجيُ الأديم . تيهريُّ
 النجوم ، قد جَلَّسَنَا ساجهٌ ، وأغرقتنا أمواجهُ ، فلا مجالاً للحظة ، ولا
 تعارفٌ إلاً بلفظة ، ولو نظرتُ فيه الزرقاءُ لا كتحت ، أو خُصِيتُ^٢ به
 الشبيبةُ لما نصَّاتُ ، والكلبُ قد صافح خيشومه ذنبه [٢١٦ ب] وأنكر
 البيتَ وطنه^٣ ، والتوى التواءَ الحُبَابِ ، واستدارَ استدارةَ الحُبَابِ ،
 وجَلَّدهُ الجليد ، وضربَهُ الضريب ، وصعدَ أنفاسه الصعيد ، فحماه
 مباح ، ولا هريز ولا نباح ، والنارُ كالصديق أو كالرحيق ، كلاهما عنقاءُ
 مغرب ، أو نجمٌ مغرب .

استوفي^٤ يا معتمدي هذا الفصل ، ولك في الاغضامِ الفضل .

١ ط د : أعطافها . ٢ ط د : اختصبت .

٣ من قول مرة بن محكان (الحماسية رقم : ٦٧٥) :

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يجسر الكلب من ظلماتها الطنبا

لا ينجح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطومه الذنبا

٤ ط د : استوف ؛ ب م س : استول (اقرأ : استوى) .

وهذه أيضاً المقطوعات الي وجه بها إلي من شعره

قال يصفُ ليلة أنسٍ مع أحدَ ظباء بني مروان^١ :

وليلةٌ عنبريةٌ الأفقِ رَوَيْتُ فيها السرورَ من طرقِ^٢
وكنْتُ حرَّانَ فاقْتَدَحْتُ بها ناراً من الراحِ بَرَّدَتْ حُرْقِي
حلتُ^٣ بنا عاطلاً وقد لبستُ غلالةً فُصِّلَتْ من الحدقِ
فجاءها الدهرُ من بنيه هوىً^٤ بغشيةٍ كالصباحِ في نسقِ
قامتُ لنا في المقامِ أوجههم وراحهمُ بالنجوم والشفقِ
وأطلعَ البدرُ من ذرى غصنٍ تهفو عليه القلوب كالورقِ
من عهدِ شمسٍ بدا سنهٌ وهل ذا البدرُ إلاً لذلك الأفقِ
مدَّ بحمراءَ من مُدامتيهِ بيضاءَ كفاً مسكيةَ العبقِ
فخلتُها وردةً منعمةً تُحْمَلُ من سوسنٍ على طبقِ
يَشْرَبُ بالراحِ حينَ أَشْرَبها ما غادرتُ مقلته من رَمَقِ

وقال أيضاً فيها^٥ :

يا حَبْدًا ليلةٌ لنا سَلَفَتْ أَغْرَتْ بنفسِي الهوى وقد^٦ عرفتُ

٢ ط د : أفق .

١ انظر المغرب ٢ : ٦٧ .

٣ ط د س والمغرب : وافت .

٤ المغرب : فاجأ . . . دجأ .

٥ س : غازلت .

٦ منها بيتان في بغية الوعاة ، وراجع ص ٧٨٥ فيما تقدم .

٧ البغية : وما .

دارت بظلماتها المدامُ فكم
ثم انطوى [ثوبها] ومن أسفٍ
نرجسة من بنفسج قُطفت
أن صرقتَ لوعي وما انصرفت
وقال في ضدها :

بَعُدَتْ لَيْلَةٌ تَوَلَّتْ ذَمِيمَهُ
لَيْلَةٌ لَوْ تَقَدَّمَتْ لَاسْتَحَقَّتْ
غَسَلْتُ لِمَتِي بِصَبْحِ مَشِيبٍ
وَوَرَائِي مِنَ الْخَضَابِ قَصِيرٌ
لم تفق^١ فيضَ دَيْمَةٍ بَغْدِ دَيْمَةٍ
شَهْرَةَ الذِّكْرِ قَبْلَ يَوْمِ حَلِيمِهِ
ومحّت لَيْلَةً عَلَيَّ كَرِيمِهِ [٢١٧]
وهي زَبَاءُ وَالشَّبَابُ جَذِيمُهُ
وأرى أبا بكر بن بقي ألم بهذا الغرض في قطعة له كتب بها إلى أحد إخوانه :

نحن كنّا في التصافي
فأتى بالصرمِ يومٌ
وتعاطينا التقاضي
تقدحُ الأيامُ حتى
مثلَ نَدَمَانِي جَذِيمُهُ
دونه يومٌ حَلِيمُهُ
أينّا أقوى شَكِيمُهُ
في الموداتِ القَدِيمُهُ

وقال يعتذر من انفصال صديقٍ دونَ وداع :

يا روضةً بَعُدَتْ^٢ بها أيدي النوى
فتركتها والحسنُ ملءُ نواظري
أُرددُ إذا هبَّ النسيمُ فإنه
بِتَحِيَّتِي ومودتي يعتسدها
ضمنَ الزمانِ بنظرةٍ أزدادُها

وقال يصف^٣ نار فحم :

١ د : تَبَقَّ ؛ س : يَفَقَّ .

٢ ط د : قَلَذَتْ ؛ س : قَدَّ بَعُدَتْ ؛ ب م : نَفَدَتْ .

٣ ط د س : فِي وَصَفٍ .

أما ترى النارَ وهي راقصةٌ تنفضُ أردانَهَا من الطربِ
تضحكُ من أبносها عجباً إذ حَوَّلَتْ عَيْنَهُ إلى الذهبِ

وقال يصف كأساً^١ صنوبرية الشكل من عنبر^٢ ، منجمة بذهب ، وفيها
المدام :

وكأسٍ من الليل مخلوقةٌ تبدتُ من التبر فيها نجومٌ
تضمّنُ باطنُها قهوةً إذا مردّ الهَمُّ فُضَّتْ رجومُ

وقال في كأس غدر^٣ :

وكأسٍ من الغدرِ مخلوقةٌ ولكنها للأُمير الوفي
إذا [ما] تضمّنْها كاشحٌ تبينَ من سرّه ما خفي
قفّا في المدام على ودّه ولا تنشداني قفّا أو قفي

وقال في رواقصٍ قبّاح [الوجوه] :

جاء عليٌّ بملهيّاتٍ للهَمِّ والقبحِ جامعاتٍ
لم يلتفتْ ناظري إليها إلّا تذكّرتُ سيّثاتي [٢١٧ ب]

وقال فيهن وبينهن واحدة أشبه^٤ [منهن] :

وليلةٍ طولُها عليّ سنّةٌ بات بها الجفنُ نادباً وسنّةٌ
بأربعٍ بينهن واحدة كسيّثاتٍ وبينها حسنة

١ ط د س : : في وصف كأس .

٢ ط د : غير .

٣ ط د : وقال في كأس من العدر (د : العذر) .

٤ د : آنسة ؛ س : أشبة ؛ ولم ترد كلمة « منهن » في س .

وقال في مُسْمَعٍ محسنٍ أغبَّ ثم زار^١ :

وافى وقد عظمتْ عليَّ ذنوبه في غيبةٍ قبحت بها آثاره^٢
فمحا إساءتَه بنا^٣ إحسانه^٤ واستغفرتْ لذنوبه أوتاره

وقال في مطيّبٍ ورد مفصّلٍ بترنجان^٥ :

ورود جنيّ طالعتنا حدوده^٦ بنشرٍ وبشرٍ يبعثان على الشكرِ
وحفّ ترنجانٌ بها فكأنها حدودُ العذارى في مقانعها الخضر

وقال في [مداعبة] شيخٍ ثقیلٍ اتفق حضوره^٧ معهم في مجلسٍ أنس :

أما لهذا الشيخ من عهدٍ عادٍ من أجلٍ يُقضى ولا من معادٍ
ليت لنا في سنّه قهوة^٨ تدلُّ من ظلمته باتقادٍ
وليتنا نخرجُ في صفقةٍ جائزة عنه ولسو بالجماد
وهل لنا في البيع من حيلةٍ إذا رمينا بثبوتٍ السداد

وقال^٩ من قصيدة :

وذی نخوةٍ يختالُ ثانيَ عطفه فلولا تناهي لؤمه قلتُ أصبَدُ
له نظرةُ الزرقاءِ في كلِّ بدعةٍ ولكنه عن مسلكِ الحقِّ أرمَدُ

١ البيتان في القلائد والمطرب والبنية ، وقد مرا في النص المفقول عن القلائد ص ٧٨٥ .

٢ ط د : بها ؛ س : بهذا .

٣ ط د : بريحان ؛ والبيتان في النسخ ٣ : ٦٠٢ .

٤ ط د س : يبشر ونشر .

٥ ط د : بثبات .

٦ ط د س : وله .

وقال فيه :

ومناقي يبدي انفعالَ منافق متبسماً وضميرُهُ متجهّمُ
حاجاك^١ مكتتماً بما في نفسه ولطيفُ ذهنك مخرجٌ ما يكم
وتريدُ عدلاً من سبجيةٍ جائرٍ ومتى أفادَ الشهدَ يوماً أرقم

وقال من قصيدة مراجعة^٢ عن شعر :

وما كُنْههُ نُظمٌ بطرسٍ وإنما نسقتُ النجومَ الزهر في صفحة البدرِ [٢١٨]

وله من أخرى :

ومن كان في حُكم الزمانِ مصرّفاً فلا بدَّ أن يلقى مُهيناً ومُكرّماً

وله من أخرى يعتذرُ من استبطاء المكاتبة^٣ :

ولو وفّت الأيامُ جاشتْ صدورُها بما ضُمّنَتْهُ أو تبلّغَ ما عندي
ولو جرت [الحمسُ] الرياحُ تَضوَعَتْ بما استنشقتَه من ثنائي ومن ودي
ولو كان عهدٌ للغزاة جددتُ لكم كلَّ ما أبقي الحديدان من عهد
ألم تسألوا^٤ والقلبُ رهنٌ لديكم فيخبركم عني بمضمّره بعدي
فلو قبلتني الحادثاتُ مكانكم لأنهيئُها وقري وأوطئُها خدي
ألم تعلموا أنّي وأهلي وواحدٍ فداءً ولا أرضى بتفديةٍ وحدي

١ ط د : حا كاك .

٢ س : وله من قصيدة . . . ط د : وقال في مراجعة .

٣ بعض أبياتها في القلائد والمطرب ، وورد منها ثلاثة في القسم المشقول عن القلائد : ٧٨٥ .

٤ ط د : كنت عهداً . . . جردت ؛ س : جردت .

٥ المطرب : تعلموا .

قال ابن بسام : ثم ختم رقعته إليَّ بأن قال : هنا — أعزك الله — وقفَ ذكرى ، ولا أذكرُ شيئاً من نثري ، وهو عندي بالإضافة إلى النظمِ أصلح ، وكلاهما بعيد^١ من الغرض ، لولا مكانَ حَقِّكَ المُفترَض .

وهذه أيضاً فصول وقعت إلي بعد ذلك من كلامه

فصل له من رقعة تعزية : أطال الله بقاءَ الأمير مؤيداً اعتزاهُ ، مسددةً إلى أغراضه سهامهُ ، نائمةً عنه التَّوبُ ، ساميةً به الرتبُ ، ولا زالت الرزايا تتخطاهُ^٢ ، والحوادثُ تهابهُ وتتحاماه .
الأمير [الجليل] — أيدهُ الله — ممن آتاه الله أجرَهُ مَرَّتَيْنِ ، وجمعَ له بين الدارين : جهادٌ في سبيله مبرور ، وأجرٌ بجميل صبره موفور ، ومثله تقلد نجاد السَّعدِ مثنى^٣ ، [ووردتْ عايه الصالحاتُ مثنى] ، فكلُّ^٤ له في كليهما غابط ، ولكلنا يديه باسطٌ ، في انفساح عمره ، وانسراح صدره ، وتأيد صبره ، وما ألامَ دهرٌ تحاماه ، ولا ألمَ رزءٌ تخطاه .

وله من أخرى :

إني أعزِّيكَ لا أني على ثقةٍ من البقاء ولكنَّ سُنَّةُ الدينِ
فما المعزَّى بباقي بعد صاحبه ولا المعزَّى وإن عاشا إلى حين
كتبته وقد دهم من المصابِ بالأختِ البرَّة — كرمَ الله [مشواها و] منقلبها ،

١ ط د : يبعد .

٢ ط : تتخطاه .

٣ ط د : مثنى . ٤ ب م : فالكل .

ورفعَ في جناته درجاتها ورتبها ، ما لفتح الأكباد حره ، وصدع الفؤاد ذكره ، ولما غار الحزن وأنجد ، وصوب [٢١٨ ب] الوجد وصعد ، أهاب داعي النهى فلبيت ، وصدع زاجر الحلم فانشيت ، وما الجزع مما لا يطفأ ، [ولا يعاف] ما لا بد من شربه^١ ، ويشفق من قُرب^٢ إلى تربه . هذا وللسلوان مذاهب لا تذهب على ذي نظر ، ولا تغيب على ذي تأمل وتدبر ، أولها التسليم للقدر المحتوم ، والثقة بالعوض الكريم ، إلى ما لا يخفى موضعه ، ولا يُجهل من النفوس موقعه ، من فضل الله تعالى في بقاء فلان الذي هو رأس المال ، وجه آع الآمال ، وما زالت لله مع كل محنة منحة تقاومها ، ومنّة تلازمها ، حكمة منه بالغة تسكن إليها القلوب ، ويرجع معها الصبر ويشوب ، وأنت — أيدك الله — فوق أن تُنسب بوعظ ، إلى مكان حظ ، وأرحب بالنوازل ذراعاً ، وأكثر عن الأجر ذباً ودفاعاً ، لكن ناجيت مستريحاً ، وذكرت تلويحاً ، والله يجعلها آخر الرزايا ، ويحرس الأولياء والولايا [بمنه] .

وله من أخرى : يا سيدي الأعلى ، وظهيري لخطب إن تجلّي ، نداء من قام شاهده في المودة^٣ وبرهانه ، واستوى في موالئك إسراره وإعلانه ، دمت مقتبل الجد ، واري الزند ، مستقلاً بأعباء السيادة والمجد ، في المحل النجد ، والطالع السعد .

١ من قول المتنبي :

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعان ما لا بد من شربه

٢ ب م : تربه ؛ ط د : ترب .

٣ ط د س : الود .

٤ ط د : فاستوى ؛ ط د س : موالاته .

كتبتُ هذه الحروف ذاهباً مذهبَ الإيجاز ، وراغباً مع الحقيقة عن المجاز ، فعبءُ الإطراءِ ثَقِيلٌ ، ومركبُ الاسترسالِ نَبِيلٌ ، وشاهدي منك حاضِرٌ ، وإليك في كل الأحوال^١ ناظرٌ ، وموصِّلُهُ فلانٌ ، والوائِقُ بفضلِكَ في ما ينهيهِ إليك ، ويوردُهُ عليك ، ويستظهرُ فيه بسعيكَ الحميد ، ويستنجحُ برأيكَ الأصيل السديد ، وأنت لا تألوه بيسرٍ وِكَ نصحاءٌ ، ولهم أبوابه فتحاً ، وهو في تفضيلِكَ أُمَّةٌ لا يُشْتَنَى ولا يُصَدَّ ، وما قال الا بالذي^٢ علمت سعد^٣ .

وله من أخرى : أطالَ الله بقاءَكَ ومقاليدُ المجد تُلْتَقَى إليك ، ووفود الحمد وقفٌ عليك ، وأزمنةُ الفضلِ في يديكَ ، ولا زلتَ للمبهمات فارجاً ، ولسبلِ المكرماتِ ناهجاً ، ناهضاً بالهزلاء^٤ ، صبوراً [على العزاء] . كتبتُ والأحوالُ التي استطلعتها اهتباك ، واستهدى علمها^٥ إجمالك ، في ريعانِ ظهورها ، وشرخِ شبابِ نورها ، والله بفضلِهِ يعيدُنا فيها من عَيْنِ الكمال ، ويديمُ لنا حالَ الاستواء والاعتدال . وإنَّ الخطابَ الكريمَ نجوهُ ، المنيرَ فجره ، الذكيَّ نشره ، وافى قريباً^٦ بالسيادةِ عهدُهُ ،

١ ط د : والبر في كل الإخوان ؛ س : والبر في كل الأحوال .

٢ ط س : بالتي .

٣ من قول الخطيئة :

وتعذلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

٤ ط د : ووفور . . . موقوف .

٥ من أمثالهم : « إنه نهاض بهزلاء » والهزلاء : الرأي الجيد أو الداهية العظيمة ، قال الشاعر :

إني إذا شغلت قوماً فروجهم رحب المسالك نهاض بهزلاء

(انظر فصل المقال : ١٤٧) .

٦ ط د : عليها .

٧ ط د س : حديثاً .

مطرزاً بالبلاغة بُرْدُهُ ، فوردتُ منه معيناً ، واجتليتُ [٢١٩ أ] به^١
من البيان سحرأ مبيناً ، ومثلُكَ أهدى مثله ، ووالى فَضْلُهُ ، وتابع بذله^٢ ،
وأَتبع دَلْوَهُ في السَّماحِ رِشَاءَهَا ، وسما إلى هِمَمِ أَملاكٍ جُعِلَ إِزَاءُهَا^٣ ،
والله لا يُعْدِمُنِي الأُنْسَ طالِعاً من أفقك ، والدنيا تجري في وَفْقِكَ ،
ولا زالت قِداحُكَ فائزةً ، وأحكامُكَ جائزة ، وحظوظك لكل أُمْنِيَةٍ
حائزة .

[وله^٤ من رقعةٍ خاطب بها بعضَ الأعيان يعتذر من ذكر المقامة^٥ ،
واستفتحها بهذا البيت :

ما كنتُ أَشْتُمُ قوماً بعد مدحهم^٦ ولا أَكْدَرُ نَعْمى بعدما نَجِبُ
مَنْ يُسَرِّ فيه — أَيْده الله — للحسنى ، وفاز من لِقائِهِ بِالْحِظِّ الأَسْنَى ؛
فله ما تَمْنَى ﴿ وما يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت : ٣٥) ومن أتى

١ ط د س : منه .

٢ ط د : جذله .

٣ من قول قيس بن الخطيم (ديوانه : ٤ - ٥) :

إذا ما اصطبحت أربعاً خط منزري وأتبعمت دلوي في السباح رِشَاءَهَا

ثارت عدياً والخطيم فلم أضع ولاية أشياد جعلت إزاءها

٤ ابتداء من هنا وقع بياض في ب م ، حتى آخر رسالته في التمهيد من « المقامة » .

٥ هذه المقامة تسمى القرطبية ، وقد قيل إن الفتح بن خاقان هو الذي صنعها على ابن السيد البطليوسي وعليها رد يسمى الانتصار ؛ وقد نسبت لابن أبي الخصال ، وهو في هذه الرسالة يحاول أن يتبرأ منها ، ويخاطب برسالته هذه الوزير أبا الحسين ابن سراج ؛ والمقامة القرطبية في كتاب « رسائل إخوانية » الورقة : ١٢ - ١٤ ؛ أما رد ابن أبي الخصال فقد ورد في كتاب « ترسل ابن أبي الخصال » الورقة : ٧٣ وما بعدها ؛ قلت : وانظر كتابي « تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمراهم » ص : ٣١٤ - ٣١٥ .

الله بقلب سليم . واني مع عدم الاستطاعة ، ومزجى البضاعة ، أتوهم
سقوط الفرض ، وأخلد إلى الأرض ، وأحمل الأمر محمل العرض ،
ودونه - أيده الله - مهابة لإجلال تنسيه ، وكرم خلال يذنيه ، فأنا بينهما
عصي طيع ، هذا يجيء < بي > وهذا يرجع ٢ ، لا جرم أني أفقر إليه من
جفن إلى كرى ، ومن أذن إلى بشري ، بل من جذية إلى نديم ، ومصعب
إلى إبراهيم ٣ ، بل من الشمال إلى اليمين ، والأنف إلى العينين ، بل من
دريد إلى الشباب ، والقارظ إلى الإياب ، وسأستأنف وأستدرك ، وأخب
نحو علاه وأبرك ٤ ، وأتوسل بتشيع في مجده غال ٥ ، وأمت بمنافسة مغال :

فلا تلزمني ذنوب الزمان - إليّ أساء وإياي ضارا

وهل هو إلا نقصان يقعد عن كمال ، وحرمان يبعد عن نوال ، أروح
وأغدو ، أنجب روضه وأجيل أعدو ، أستغفر الله من غربة ركبت مطاها ،
ووصلت خطاها ، وأثرت قطاها ، أنصت شباي بل نضته ، وسلت
مشيبي وانتضته ، فها أنا طليح أو جريح ، وأبقت علي دركا ، وبوأنني
دركا ، فضاعت أثناها الحقوق ، وبس الاسم العقوق . نعم - أدام الله

١ د : فيها :

٢ من قول المتنبي :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع

٣ مصعب بن الزبير ، وإبراهيم بن مالك بن الأشتر قائد جيوش مصعب ، وقد ظل وف
بعد أن تغير عليه سائر القادة .

٤ الترسل : إلى علاه وأبرك ؛ س : نحو علاه وأبرك ؛ ط : وأترك .

٥ س والترسل : عال .

٦ ط د : أجنب .

سَعَدَكَ ، تحولاً إلى الكاف ، وإسناداً من الاعتراف بحقك إلى كاف - :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أَتاني ودوني راكسٌ فالضواجعُ^١

فانطويتُ على حريق ، وتعلّلتُ برحيق :

وفضيلةُ الراحِ الخروجُ بأهلها عن عالم هو بالأذى مجبولُ

فما سَلِمْتُ معَ ذلك من ظنونهم ، ولا غَبْتُ عن عيونهم ، وأنّى لي بالسلامة
من كاشحٍ يُغري ، ويد ترميني من حيثُ لا أدري ، تمنحني الفصاحة
ضراً ، وتمنعنيها نفعاً وخيراً^٢ ، ان مرّ به ذكرى فيها غُمِيزَ وَغُمِصَ ،
أو ادعي لي حظ نفيس بُخِيسَ ونُقِصَ^٣ ، أو قرىء لي « قُبِصَ » قرأ
« قبص » ، ما هذه المقامة إلاّ قِيامةُ حَشَرَتِ الكرامَ وحاشَتْ^٤ ، وما
استثنت ولا حاشَتْ ، أصابت وأشوت ، وصابت وأخوت ، وعمت
لتخصّ ، وباحت لتقصّ ، والمناجى لبيب ، « وقد يؤذى من المقة الحبيب » .
اللهم اعصمنا من^٥ الدعوة ، واجعلني فيها مجابَ الدَّعوةِ ، حتى
ندعوها لأبيها ، ونؤثّر الأقسطَ عندك فيها ، بعزتك .

أولى لهذا المتهم ، ساءَ ما حكم ، ويا بُعدَ ما توهم :

أبها المنكحُ الثرياً سهيلاً عَمَرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ^٦

١ البيت للنايفة الذبياني ، ديوانه : ٤٥ .

٢ الترسل : ضراماً . . . برداً وسلاماً .

٣ ط د : حظ نفس ونقص .

٤ ط د : وجاشت .

٥ الترسل : طهرنا من دنس .

٦ لمعر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٤٣٨ .

هي شامية^١ إذا ما استقلت^٢ وسهيل^٣ إذا استقل^٤ يمانى

منع الجار صقبا^١ ، وادعى لابن^٢ طريف عقبا ، وما ينام^٣ أبو سفيان عن زياد ، ولا يترك في ثقيف^٤ ثمر الفؤاد ، هيهات هيهات ! ! يدل^٥ على الفجر سناه ، ويُعرب^٦ عن الشجر جنّاه^٧ ، ويفضّح^٨ الشناشن^٩ أخزم ، وينسب^{١٠} الحكم^{١١} إلى اكثم^{١٢} ، وما هو بمطاع^{١٣} ثم^{١٤} أمين^{١٥} ، ولا أنا على غيب^{١٦} السيادة بضنين^{١٧} ، لاسيما وقد افتتح بمن افتتح ، وبمن ورن فرجّح ، وسعى فأنجح^{١٨} ، ومملك فأسنّجّح^{١٩} ، وأشفى فحفّ ، وكفى فكفّ^{٢٠} ، وثناه بمن أتى ما أتاه ، وتقيّل^{٢١} في الفضل أباه ، وتخطّاه إلى صنيو كماء^{٢٢} المزن ، وروض^{٢٣} الحزن^{٢٤} ، تجافى جنبه^{٢٥} عن المضاجع ، وطلّق^{٢٦} الدنيا غير^{٢٧} مُرّاجع^{٢٨} ، وتجاوزته إلى ابن جم^{٢٩} ، وكبير في المكارم جَم^{٣٠} ، خلع على المروّة^{٣١} عمره ، وقلّدها أمره ، هجر^{٣٢} مراتب^{٣٣} وخطط^{٣٤} ، وأبى^{٣٥} إلا^{٣٦} أن يكن^{٣٧} أمة^{٣٨} وسطّا^{٣٩} ، ثم جاء بالجلّة^{٤٠} لفيفا^{٤١} ، فنكّر^{٤٢} معروف^{٤٣} ، ومنع^{٤٤} الصرف^{٤٥} في غير^{٤٦} ضرورة^{٤٧} مصروف^{٤٨} ، وماذا له^{٤٩} ، في مصون^{٥٠} أذاله^{٥١} ؟ ومن^{٥٢} أجاهه^{٥٣} ، إلى قبيح^{٥٤} جاءه^{٥٥} ؟ ومن^{٥٦} جرّه^{٥٧} إلى هُجر^{٥٨} أجرّه^{٥٩} ؟ ومن^{٦٠} قاده^{٦١} إلى القادة^{٦٢} ؟ ومن^{٦٣} سامه^{٦٤} هُلك^{٦٥} سامة^{٦٦} ؟ ومن

١ س والترسل : سقبا .

٢ الترسل : لأبي .

٣ الترسل : وتنسب الحكم أكثم .

٤ فيه إشارة إلى الآية : « مطاع ثم أمين » والآية « وما هو على الغيب بضنين » (التكوير :

٢١ ، ٢٤) .

٥ الترسل : السيادة .

٦ ط د س : تعريفا .

٧ سامة بن لؤي بن غالب فقا عين أخيه وهرب إلى عمان ، فكانت منيته من نهشة أفعى (أنساب

الأشراف ١ : ٤٦) .

أداره على فعل ابن دارة ١؟. هلا أسر ما أشر ٢ ، وعشى ولم يغتر ٣؟ ولما توجه الي بين ٤ يدي الوزير الأجل - دام سعه - منها ٥ ظن ٦ أخطأ ، وهم أسرع وأبطأ ، لا تقبله ٧ حالي ، ولا يفرغ ٨ له بالي ، أدرجته أثناء تنصلي ، ووصلته ٩ بتوسلي ، إلى علائه ١٠ وتوصلي :

ليعلم أني لا أظن ١١ بمثلها وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

ولن يخفى على ذي بصير نمطها ، ولا يغيب مستنبطها ، وكيف وهناك فطنة ١٢ تخلص بين الماء واللبن ، وتفرق بين القبيح والحسن ، فليصرف هذا اللجام ١٣ إلى من علكه ، ولينشط هذا الدم بمن سفكه ، فليس المرئي ١٤ من جرير ، ولا ابن الزبير من ابن الزبير ١٥ ، والوزير الأجل ١٦ - دام سعه - يحجب عن ادراكه عيبي ، ويحرس بكرم نثاه غيبي ١٧ ، ويضعني حيث وضعت نفسي من تأميله ، ويعود علي ١٨ بحسن تأويله ، متطولاً ، إن شاء الله تعالى] .

١ ابن دارة واسمه عبد الرحمن بن مسافع (أو ابن ربيعي بن مسافع) هجا بني أسد كثير أقبضوا عليه وتشاوروا هل يطلقونه كي يمدحهم: ثم إن رجلاً منهم اغتفله فضر به بسيفه فقتله (الأغاني ٢١ : ٢٧١) .

٢ الترسل : ولو وقف لأسر .

٣ من المثل : عش ولا تفر (الميداني ١ : ٣١١) .

٤ طاد : وبين .

٥ طاد : فيها .

٦ لعل صوابها : أزن .

٧ لعلها أن تقرأ في الترسل : المرئي ؛ وهو مهجو ذي الرمة .

٨ ابن الزبير الأسدي شاعر أموي (انظر الأغاني ١٤ : ٢٠٨) .

٩ س : عيبي .

[٢١٩ ب] ولما نكب الوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التي أنبأت بتعذر أوطار : ذري الأخطار ، وأعلنت بكساد الفضل ^٢ ، واستئساد النذل ^٣ . لأنه كان طود جمال ، وبحر لإجمال ، وناظم خلال ، وحين ثل الدهر عرشه ، وأحلّ سواه فرشاه ، مخاطبه كل زعيم ^٤ جليل مسلماً عن نكبته ، وانتقاله عن رتبته ، فكتب إليه برقة مستبدعة وهي : مثلك - أنس * الله فؤادك ، وخفف عن كاهل المعالي ما هاضك وآدك - يلقي دهره غير مكترث ^٥ ، وينازله بعصر غير منتكث ، ويبسم عن ^٦ قطوبه . ويفل شباة خطوبه . فما هي إلا غمرة ثم تنجلي . وخطرة ويليهما من الصنع الجميل ما يلي . لا جرم أن الحرّ حيث كان حر ، وأن النور برغم من جهله درّ ، وهل كنت إلا حساماً انتضاه : قدر أمضاه ، فإن أغمده فقد قضى ما عليه ، وإن جرده فذلك إليه . أما إنه ما تثلم حده ، ولبس جوهر الفرند خده ، لا يعلم طبيئاً يشترطه ، ويميناً تخترطه ، هذه الصمصامة ، تقوم على ذكرها القيامة : طبقت البلاد أخباره ، وقامت مقامه في كل أفق آثاره . فأما حامله فنسي منسي ، وعلم منفي ، كلا لقد بقيت الخقائق ، وانبتت ^٨ تلك العلائق ، فلم يصحبه غير غرار ، ومتن عار ، كلاهما بالغ ما بلغ ، والغ معه في الدماء إذا ولغ ، وما الحسن إلا المجرد العريان ، وما الصبح إلا الطلق الأضحيان ، وما النور إلا ما صادم ^٩ الظلام ، وما النور إلا ما فارق الكمام ، وما ذهب ذاهب ، أجزل منه العوض واهب ، ولئن قضى حق المساهمة في هذه

١ هذا نص دخیل علی الذخيرة، وهو منقول عن قلائد العقیان: ١٨٧ ، وام یرد إلا فی ب م .

٢ القلائد : الفضائل والمعاني .

٣ القلائد : الوضع علی الماجد المعالي .

٤ ب م : رعية .

٥ القلائد : ثبت .

٦ من قول المتنبي :

لا تلق دهرک إلا غیر مکترث ما دام یصحب فیہ روحک البدن

٧ القلائد : عند .

٨ القلائد : فنیت . . . وأنهیئت .

٩ ب م : صارفه .

الحال التي التوى عرضها ، وتأخر للأعداء القاطعة فرضها ، أسف تردد ، وإرتماض تجدد ، وذنوب على الأيام لا تحصى وتعدد ، وحبا للثام منها > تحل < وتعتقد ، فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت فيه هذه الأقسام ، ونهيت^١ فيك حتى المزن عن الابتسام^٢ .

وله أيضاً : ليست الأذنان كالأعراف ، ولا الأنذا كالأشراف ، ولا كل أشراف بأشراف ، فتم^٣ من يزيل^٤ ما ولي ، ويعمى عن الصبح وقد جلي ، إن ذكر نسي ، وإن عدل فكأنما أغري ، وكثيراً ما يمتد شططه ، تحذف نقطه ، ويهجر نمطه ، وإن ساحناه في الضبط ، وأمتعناه بالنقط ، نبذ الوفاء فحذفنا الفاء ، وجفا الكريم ، فألغينا الميم ، وله بعد ما ألغى ما بقي ، إن أشرف فعلى الخطير العظيم ، وإن اطلع ففي سواء الجحيم ، ورب طويل النجاد ، عريق في الآباء [٢٢٠ أ] والأجداد ، ولايته أمان ، وعمله إيمان ، وخلقه رضوان ، تود النجوم أن يخطها^٥ في كتاب ، وينسقها نسق الحساب ، قد ارتقى بخطته باذخ السناء ، وأخذ بضبعها رفعاً إلى السماء ، فهناك - وأنت ذاك - طاب الجنى ، وذنت المني ، وأيقن الشرف أنه في حرم وحمي ؛ وأقسم^٦ بالمبسم البارد ، والحبيب الوافد^٧ ، قسماً تبقى على الشباب مدته^٨ ، وتعز على المشيب حدته^٩ ، ذكرى من ذلك العهد مدت بسبب ، ومنت إلى القلب بنسب ، ليحنون^{١٠} على الكرام ، وليجترو^{١١} > على < الأيام^{١٢} ، وليأخذن^{١٣} فوق أيديها ، وليكن^{١٤} من تعديها^{١٥} ، ما لها^{١٦} تنحت أثلاثهم > وتسهم بغير سماتهم ، تصفهم

١ ب م : وبقيت .

٢ ناظر إلى قول المعري :

نقمت الرضى حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

٣ القلائد : يصم .

٤ القلائد : ينظلمها .

٥ القلائد : الوارد .

٦ القلائد : جدته .

٧ ب م : حده .

٨ ب م : وليحرمهم .

٩ القلائد : الأنام .

١٠ القلائد : أيديهم . . . تعديهم .

١١ القلائد : ما لهم .

بصفاتهم، وتعلمهم بعلاقتهم^١ ، فأين أنت من الذب ، وسنام قد استؤصل بالحب ، وكيف ارتياحك لعبد شمس^٢ اذ زارت ، ومكرمة كالشمس أشرقت وأنارت ، لا جرم أنك منها على ذكر ، وبمدرجة حمد وشكر ، وما هو إلا الشريف الأوحى ، ومن لا ينكر فضله ولا يحسد ، أبو بكر — أعزه الله — وناهيك^٣ انتماء ، وحسبك علاء وسناء ، فتي دهي في ضيعته هناك بدواه ، ورمي بخطوب غير ريوث ولا سواه ، ورأيك — أصاب الله برأيك ، وجبر الأولياء بسعيك — في تحصيل مراعاته ، وترفيهه ومحاشاته ، ولولا عذر منع ، لكان على أفك النير قد طلع ، ولكنه أناب فلاناً وحسبه أن يدفع^٤ كتاباً ، ويقضي جواباً ، ويتصرف على حكمك جيئة وذهاباً .

وكتب إلى أبي بكر بن رحيم يهنئه بولايته خطة الاشراف :

إذا ما شرف الاشرافُ قوماً فإن بني رحيم شرفوه
كفاةً للملوك على سبيل ودين نصيحة ما حرفوه
أبو بكر له ولهم كُفيل بكل كفاية اذ صرفوه
وما الاشراف إلا عبد قنّ لهم فمتى تولى استصرفوه

هذه — أعزك الله — بديهة البشرى ، وعجالة كمعجالة القرى ، فأنا لها بالاقبال ضمين ، وعليّ آية ويمين ، لتحوطها أفلامك ، وليحمدن فيها مقامك ، ولتعرفن بالحجول والغرر أيامك ، فحالفك السعد ، ولا عذمتك الملك الجعد ، وأبل وأخلق مثلها جديداً^٥ بعد ، وما حق من بشر باعتلائك ، وسرى بأنباتك إلى أوليائك ، أن يؤخر مراده [٢٢٠ ب] أو يضيع عمله واعتقاده ، وأن الحاج ابن شقران أملك — أبقاء الله وجبره — أشعري بهذه المسرة ،

١ ب م : وتضميمهم بضمياعهم وتقلهم بقلاتهم .

٢ القلائد : بغير خمر .

٣ ب م : وناهيه .

٤ ب م : إنه .

٥ القلائد : يؤدي .

٦ القلائد : جدداً .

والديمة الثرة ، ولقد هممت على هذا البرد > بخلع البرد < وحل العقد ، وفض النقد ،
فدافعي انقباضاً ، وأعلسني أن له في عملك — أبقاه ^١ الله — أغراضاً ، تكون على ذلك أثماناً
واعواضاً ، وأراني ^٢ عقداً يشهد بعلمه ، وصحة ما استحثه في مقدمه ، وأنه ليس له سوى
غرس قد صار عليه > كلاً < ، بل استدار في ساقيه كبلاً ، والثوى في عنقه > غلاً ،
وأص له > غلالاً مغلاً ، ولك الطول في نظرك بالتخفيف عن مثله من الضعفاء ، ومن لا
قدرة له على الأداء ، وحمل الأعباء ، فإن ذلك ذكر في العاجل ، وذخر في الآجل ، إن
شاء الله .

في ذكر الأديب أبي بحر يوسف بن عبد الصمد واثبات جملة من أشعاره ، مع ما يتشبه بها من مستطرف أخباره ^٣

وهو يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد ، جدهم
الأول كان السمح بن مالك بن خولان ، أحد أمراء الأندلس في ذلك
الأوان ، قبل دخول بني مروان ، من تقديم عمر بن عبد العزيز . وهؤلاء
الصمديون قوم من ذوي الهيئات ، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل
النباهات ^٤ ، وأصلهم فيما أخبرت من إقليم الشبتان ^٥ من كورة جيان ،
وخدم أبو القاسم والد أبي بحر الخزائن في المرية ^٦ زمان زهير وخيران ،

١ القلائد : أئمة .

٢ ب م : وأرى .

٣ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٢٠٣ والمسالك ١١ : ٤٥٠ والنفع ٤ : ٢٥٩ . وذكره
صاحب القلائد : ٣٠ وأورد له مراثية في المعتمد بن عباد .

٤ ب م : النباهة .

٥ ب م : المسميان ؛ ط د : الشمسان .

٦ ط د س : بالمرية .

وفي دولة المنصور بعدهما ، ومات في دولة ابن صمادح سنة ثمان وأربعين ،
وبنوه وقرباته أكثر خدّمة المرية ، وفيهم يقولُ بعض أهل الأوان ،
لما رأى من كثرة عددهم والتباسهم بالسلطان ^١ :

ملأوا قلبي هموماً مثلما ملأ الأرض بنو عبد الصمد
كأثر الشيخ أبوهم آدماء فغدوا أكثر أهل الأرض عد ^٢
كلهم ذئب أزلّ مثنه ^٣ والرعايا بينهم مثل النقّد

ونشأ أبو بحر منهم : بحر [نبل] كاسمه ، في نثره ونظمه ، حسن
الحديث حاضر النادر ^٤ ، ذو رويّة وبديهة . ومن ظريف شعره مما أنشدت
له قوله ^٥ :

فوصلت ^٦ أقطاراً لغير محبة ومدحت أقواماً بغير صلات
أموال أشعاري نمت فتكاثرت فجعلت مدحي للبخیل زكّاتي [٢٢١أ]

وهذا من غريب المعاني ، وإنما ألم بقول ابن رشيق القيرواني ^٧ :

فإن وجبت عليّ زكاة شعري جعلتك من مساكين الكرام

١ انظر النفح ٣ : ٥٣٥ .

٢ ط د : أكثر نسل وعدد ؛ النفح : أكثر نسلا وولد .

٣ النفح : إذا آمنتته .

٤ ب م : المبادر .

٥ البيتان في المسالك والنفح ٣ : ٥٣٤ .

٦ د ط س : ووصلت .

٧ لم يرد البيت في ديوانه المجموع .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له من قصيدة أولها ^١ :

أدبلوا بالشموسِ في الأغصانِ ومَشَّوْا بالحدوجِ في الكثبانِ
حيث جالَ الوشاحُ واصطحب العِقة مع المرهفِ الحسامِ اليماني
كلما سارَ ^٢ شادن ذو سوار راع ليثٌ غصنفرٌ ذو سنان
يا لها من ضراغمٍ وسروجٍ ^٣ خالطتها هودجٌ وغوان
كم قطعت الزمانَ والعيشَ غص [في ارتياح] ما بين تلك المغاني
واذا غرَّدَ الحَمَامُ على الأيِّ لكِ وأصبَتْ مرجعاتُ القيانِ
صلصلتْ حولها الجيادُ وهزَّتْ ذابلاتُ أعطافِها للطعانِ
ربَّ ليلٍ قطعتهُ في رياضٍ وندامى وقهوةٍ ومثاني
ووجوهٍ مثلِ البدرِ تلالاً وقُدودٍ كأنها قُضْبُ بان
فوق أطواقها سنا صفحاتٍ مُعجَماتِ السطورِ بالخيالان
وعيونٍ من نرجسٍ وخدودٍ من شقيقٍ على طلا سوسان
فاجتنبنا زهرَ الحدودِ غصيفاً وقبضنا أرواحَ [تلك] الدنان
لم تزلْ تسجدُ الأباريقُ للشَّـرِّ بـ سجودِ الرهبانِ للصلبانِ
نتعاطى الكؤوسَ والليلُ خفّاً قُ الحوافي ممزقُ الطيلسانِ

ومنها في المدح :

فثناءٌ يسيرُ في كلِّ أفقٍ ومديحٌ يُتلى بكلِّ مكان

١ ورد منها بيتان في المسالك . ٢ ط س د : شان ؛ ب م : شار .

٣ ط د س : وأسود . ٤ ط د : غصن .

يحملُ السرجُ حينُ يركبُ بدرًا كاملاً آمناً من النقصان
[ومنها] :

لستُ بالألكن الذي يُبهِمُ القو لَ ولا بالمعجز المتواني
ولعمري لقد [كشفت] دجى الش لكَّ وأوضحتُ غامضات المعاني
ذلَّ في ذا الزمان نثري ونظمي^١ ذلةَ السيف في يمين الجبان [٢٢١ب]
وهذا المعنى قد نهبنا عليه فيما سلف^٢ ، ومنه قول ابن شرف :

تقلدني الليالي وهي مدبرة^٣ كأنني صارم^٤ في كف منهزم
ولأبي بحر من أخرى في الوزير [أبي بكر] ^٥ ابن زيدون :

زمانٌ يمنعُ الخيلَ الطرادا	وسيرٌ يحسبُ النخل القتادا ^٤
وأيامٌ تُغَسِّبُ كلَّ ضد	وتخلعُ في رضى النعل ^٥ النجادا
وقد جبن الشجاعُ فليس يدري	أيرتبطُ الحمارَ أم الجوادا
عليك الحدّ في طلبِ المعالي	وليس عليك أن تعطي القيادا
فأستنى المجد ما أدركت سعيًا	وخيرُ السَّعي ما كان اجتهدا
ولا يقنَّعكَ عيشٌ في خمول	فغيرُ البازي من صَادَ الجرّادا
سأبقي حدَّ حسّادي كهامًا	وأجعلُ نارَ أعدائي رمادا

١ ط د : نظمى ونثري .

٢ ط د : تقدّم .

٣ زيادة من س وحدها ؛ وأبو بكر هو ابن الشاعر أبي الوليد ابن زيدون ، وكان وزيراً لبني عباد .

٤ ب م : ألحل القيادا ؛ ط د : النقادا .

٥ ب م : النغل .

بذكرٍ يُخْجَلُ المسكُ انتشاقاً وذهنٍ يحرقُ النارُ اتقاداً

ومنها في المدح :

لك البشرُ الذي سألني وسرّي وأدركَ منتهى أمني وزادا
وما أخشى عليكَ نفاداً^١ لون ومن يخشى على الشمس النفاذا
تنزّهك العزائمُ^٢ أن تضاهي وتمنعك المكارمُ أن تسادا
فإن خصّتك بالحمد القوافي فقد عمّت أياديك العبادا
أجادَ نظامها قلبي وحلّى^٣ ولولا وصفُ مجدك ما أجادا

[ومنها] :

أبا بكر تقولُ ليَ القوافي وجدتَ البحرَ فاطرحِ الثمادا
لك القلمُ الذي ان خَطَّ سطرأ يودُ المسكُ لو كان المدادا
سللتَ على المهارقِ منه حداً فللتَ به الصوارمُ والصعبادا
فإن زهّدتَ طيأً في حبيب فقد زهّدتَ في كعبٍ إيابا
فلا جلبَ الزمانِ إليكَ هماً ولا منعتكَ حادثةَ رقادا
فإن الناسَ والأيامَ عينٌ وجدتكَ بين جفنيها سوادا [٢٢٢أ]

وله [من] أخرى في المعتمد يقول فيها في وصف طيرف :

وأقبَّ تحملهُ رِيحُ أربعُ لولا اللجامُ لطار في الميدانِ
من جملةِ العقبانِ إلا أنه من حسنه في طلعة الغزلانِ
يمشي إلى مِيدانه متبخرأ من تيهه كتبخترِ الشوان

٢ س : العوالم ؛ ط : الموازم .

١ م : بعاد .

٣ س : وجل .

وعلوتُ أذنيه بأذنٍ ثالثٍ كالنجم منقضاً على شيطان
 رمحٌ ولكن هزّ من أعطافه فأنخيلُ تنفرُ منه كالشعبان
 ومكّللٍ [مما انتضت يدهُ قيصر وبلت ظباه يدا أنو شروان^١
 عشقَ الطلا وبودّها لو عوضت منه مكان الوصل بالهجران]
 جرّده من غمده وهزّزتهُ فكأنما جرّدت غرّب لسان

ومنها ، وقد حضر المجلس أبو بكر بن اللبانة وأبو تمام الحجام فقال معروضاً بهما^٢ :

والشعرُ بهجته إذا نطقت به بين المحافلِ ألسنُ الأعيانِ
 ما كان قولُ الشعرِ إلاّ خطّةً كانت مراتبها على كيوان
 حتى تدنسَ ثوبها بزعانفٍ نشأت على الأوضار والأدران
 من صنعةِ القزاز والجزار أو من صنعةِ الحجام واللبان
 فعجبا من ذلك ، وأخجلهما هنالك .

وله من أخرى في المعتمد ويصف يوم الجمعة [الذي بدد الله فيه شيعة الطاغية أذفونش] :

خضعت لعزّتكَ^٣ الملوك الصيد وعنت لك الأبطالُ وهي أسودُ
 رأيٌ يفلّ الجيشَ وهو عرمرمٌ ويعفرّ الجهارَ وهو عنيد
 وهذا مما أراه نظراً إلى قول مختار بن النجار من جملة الطارئين على

١ هذه رواية البيت بهامش س ؛ وفي ط د : مما تطاير قيصر ، وثلاث يمانه ؛ س :

تصايد . . . وثلاث طبات ؛ وسقط من م ب .

٢ ب م : به ، وسقطت من ط د .

٣ ط د : لهيتك .

الجزيرة ، وكان من غرائب الدهر أمياً ، لا يفهم ولا يقيم حرفاً سوىاً ،
أنشد المعتمد بن عباد من جملة قصيد فريد قال فيه :

ذات^١ لعزتك الملوكة الصيدُ يا من إذا نقصَ الزمان يزيدُ
وفتحت بابَ الغرب يا ابنَ محمد وبلغت أقصاه فأين تريد

أرتاح ابن عباد لقوله وقال له : يا ابن الفاعلة ، إلى بغداد . [٢٢٢ ب]

لم ترض^٢ إلا^٣ والسيوف توائم والحربُ ظئرٌ والسروجُ مهودُ
ولقد شققت إلى الطعانِ سفيرها^٣ وحملت وطأتها وأنت وليد
ولكل^٤ نصرٍ من ظباك مخيلة^٥ ولكل^٤ فخرٍ من قذاك عمود

ومنها :

هيات لا يمضي لحقك شاهد^١ يومُ العروبةِ شاهد^٢ مشهودُ
يوم^٣ تواصلت الترائبُ والقنا فيه وعانقت الأسودَ أسود
والشمسُ مرَّهاً^٣ الجفونِ كليلة^٤ والجوُّ مغبرٌ^٤ الذرى مسدود
والمرهفاتُ من النجيع كأنها صفحاتُ بيضٍ بينها توريد
والخيلُ قد نكصت على أعقابها والرومُ زرعٌ والرؤوسُ حصيد
وكأنما كانت هناك كنائس^٥ قد حان فيها للصليب سجود
لوزلت زال الدينُ وانتهب الهدى ونبا اليقينُ وفاق^٥ التوحيد

١ المغرب : خضعت .

٢ س : لم ترض .

٣ ط د م ب : سبقت ؛ د ط : سفيرها .

٤ ط د : فالروم .

٥ د ط : وأذن ؛ س : وأظعن .

لكن وقفت وملءٌ درعك للعدا
والوجه لا متغيرٌ والرأي لا
نالتك في ذات الإله شدايد^١
درعٌ يهد الراسيات شديد
متبلدٌ والعزم لا مردود
تركت لك الأملاك وهي عبيد

ومنها ٢ :

والملك لا يحميه إلا أروع^٢
فاطن ولو أن الثريا ثغرة^٣
وافتح ولو أن السماء معاقل^٤
واطلب بملك الأرض حقاً^٥ إنه
وطل ابن عبّاد على أملاكها
إن الرياسة والنفاسة والعلاء
حرّم تدافع دونها وتلدود
ثبت الجنان على الجلال جليل
واضرب ولو أن السماك وريد
واهزم ولو أن النجوم جنود
فرض على بيض السيوف وكيد
فقد ارتضاك الواحد المعبود
إن الرياسة والنفاسة والعلاء

وله من أخرى في يحيى بن فانو^٥ بسجلماسة :

عزم تضيق بجيشه البيداء^٦
وعرامة^٧ لو أنها لي لأمة^٨
في عفة لو أصبحت مسومة^٩
فلتلحظ الغزلان ولتتمايل^{١٠} الـ
ومنى أقل مرامها الجوزاء^{١١}
لم تمض فيها الصعدة السمراء^{١٢}
في الناس لم تتقنع الحسناء [٢٢٣أ]
أغصان ولتترجرج الأنقاء^{١٣}

١ ب م : سوابك ؛ ط د : شوابك .

٢ منها بيتان في المغرب . ٣ س : حقه .

٤ ط د س : بالاعلا .

٥ في النسخ : بانو ؛ والتصويب عن الهليلق : ٦٢ وابن القطان : ٢٣٠ - ٢٣١ ، وفانو

أمه هي أخت علي بن يوسف بن تاشفين .

٦ د ط س والمغرب : وصرامة .

ومنها :

وأَحْمَ "مسود" القميصِ كأنما
وكأنما خاض الصباحَ فأرضهُ
سامي التليلِ يروقُ تحت لجامه
أطغيتهُ فمشى العريضة تائهاً
وخلعت عنه عنانه في روضة
مخضرة زهرت كواكبُ نورها

خلعت عليه ثيابها الظلماء
مبيضةً وسناؤه دهماء
فرعٌ أحمرٌ وغرةٌ بلجاء
يبدو عليه الكبرُ والخيلاء
شطأ النباتُ بها وقاض الماء
فكانها تحت السماء سماء

ومنها :

وتطلعت زهرُ النجوم كأنما
بتنا نراعي النجم إلا أنه
دارت كؤوسُ الطل وانتشت الربي
والقضبُ تخضعُ للغدير كأنه

نثرت هناك عقودها الحسناء
باتت تراعيها مهلاً وظباء
ومشى القضيبُ وغنت الورقاء
يحیی وقد خضعت له الأمراء

ومنها :

كثر القتل عليه في عريسه
يمشي كما تمشي المها مترفقا
[حتى إذا ما توجته لبدة
هدم الجبال^٣ بصدرة فكانما

فبساطه^١ الأوصال والأشلاء
ويصدّه عن طرفه استحياء
أو كللته^٢ الغفرة الزباء
في منكبیه الهضبة السماء]

١ ط د : قد ساطه ؛ ب م : فتكاثر .

٢ س : توجت في لبده أومت إليه ؛ وبهامش س كما أتته .

٣ ط د : الجبال .

وله من أخرى في مجلس أنس بروضة :

وحديقة مخضرة أثوابها في قضبها للطير كل مغرد
نادمت فيها فتية صفحاتهم مثل البذور تنير بين الأسعد
والجدول الفضّي يضحك ماؤه كالعقد بين مجمع ومهدد
وترجرت^١ للناظرين كأنها درّ نثير في بساط زبرجد

وكان^٢ بسرقة شيوخ يكنى بأبي عبد الصمد ، من شعراء ذلك العصر ، وأراه من سلف أبي بحر ؛ أخبرني ذو الوزارتين أبو عامر بن عبدوس أنه اجتمع [به] في ذلك الثغر ، ورآه قد لبس بياضاً في جنازة الكاتب أبي عمر بن القلاس ، وقد حضرها المقتدر بن هود ، فرثاه بقصيدة نعى فيها تلك الدولة ، ووصف أنها بعد ابن القلاس على طرف ، وفي [٢٢٣ ب] سبيل تمام وتلف ، فتعجب منه المقتدر ، وجميع من حضر . وكان ذلك الشيخ يستعمل وحشيّ الالفاظ ، ويخاطبُ العوامّ بكلام لو خوطب به رؤية بن العجاج ما فهم عنه ؛ وأخبرت أن بعض أصحابه قال له يوماً : مالك وللتعير^٣ في كل وصف ! فقال له الشيخ : يا قرارة النوك وعنصر السخف ، أتنكر أن أستمع الغريب وفصيح الكلام ؟ ! لو كان في طبعك ، ما حجّه سمعك ، أين أنت من قول أوس^٤ :

ألم تر أن الله أنزل منّته وعُفّر الظباء في الكناس تسَمَعُ

١ ط د : وترجرت ؛ وسقط البيت من س .

٢ انفردت س بمذون قبل هذا وهو : أبو عبد الصمد السرقسلي .

٣ ط د س : والتعير .

٤ ديوان أوس بن حجر : ٥٧ ، ولم يرد إلا الأول .

على دَبَرِ الشهرِ الحرام بأرضنا وما حوله بعيد السنين يُلقَعُ
ومن قول امرئ القيس^١ :

وما ذَرَفَتْ عيناك إلّا لتقدّحي بسهميك في أعشارِ قلبٍ مقتلٍ

قال له : وأيهما ألوطُ بالقلب وأقربُ إلى مجاري النفس ؟ قال الشيخ : قول
أوس لأنه جَزَلُ المقطع ، بعيدُ المرمى غريبُ المنزع ، وأما قول امرئ
القيس فهو من باب الغزل وظريفِ الألفاظ ، لا يحرك عالماً ، ولا يثيرُ من
غامضِ المعرفة كامناً ، ولا يُتعبُ مفسّراً ، وإنما يدرّ الدمع ، ويهيجُ
الوجد ، ويثير الصهابة ، ويؤكدُ الكتابة ؛ فقال له ذلك الرجل : وهذه
صفةُ المحبوب من الشعر ، ألا ترى أن امرأ القيس لم يحزْ قَصَبَ السِّبْقِ ،
ولا أعطي غايةَ الخصل [إلّا] لإتيانه بهذه الألفاظ السهلة ، وأن أبا نواس
لم يسبق الناس [إلّا] بعدوبةِ ألفاظه ، [فمن] احتذى هذه الطريقة نجح ،
ومن حاد عنها افتضح ؟

وكان ذلك الشيخ أبو عبد الصمد [في عصر] أبي حفص بن برد
الأصغر ، واجتمع في خزائنه زهاء خمسمائة رسالة ، أقلّها فيما بلغني
من عشر ورق ، مع قصائد له مطوّلات ، لا يقدر أحد أن يفسرَ له منها
عشرة أبيات ، لوحشية ألفاظه ، واشتباك معانيه ؛ ورسائل ابن بردٍ سائرةٌ
لعدوبة كلامه ، في نثره ونظامه .

وفي هذا الشيخ يقول [ابن] الصّفّار السرقسطي :

لأبناء هودٍ قلوبُ الأسودِ لها عند لقيا الرزايا جَلَدٌ

١ ديوان امرئ القيس : ١٣ .

٢ ب س م : لا يجد أحداً يفهم

وأعجب^١ أفعالهم صبرهم على برّدِ شعر ابن عبد الصمد

وأخبرت أن بعضَ أدباءِ ذلك الثغر^٢ استدعى هذا الشيخ لمجلس أنس بهذا النثر : أنا أطالَ الله بقاءَ الكاتبِ الفاضلِ ، سراجِ العالم ، وشهابِ الفهم ، في مجلسٍ قد عبقت^٣ تفاحه ، وصفت^٤ [٢٢٤ أ] أقداحه ، وخفقت فوقنا للطرب ألوية^٥ ، وسالت بيننا للهوى أودية ، لكننا لنأيك عنا مُقلّة^٦ سال إنسانها ، وصحيفة بُشّيرَ عنوانها ، فإن رأيتَ أن تتجشّمَ إلينا غاية القصد ، لنحصلَ بك في جنة الخلد ، صقلت نفوساً أصدأها بُعدُك ، وأنرت سُرُجاً أدجاها فقدك .

فأجابه [أبو] عبد الصمد^٧ : فضضتُ أيها الكاتب [المميم] ، والخبرُ المِصْقَعُ [العميم] ، طابَعَ كتابك ، فمنحني منه جوهرأً منتخباً ، لا يشوبه مَشْخَلَبٌ ، هو السحرُ إلاّ أنه حلال ، [والدرّ إلاّ أنه جلال] ، دلّ على ودّ حُنيّت لي عليه ضلوعك ، ووُثِقَ عَقْدُ انتدب^٨ كريمٍ سجيّتك إليه ، فسألتُ فالقَ الحَبِّ ، وعامرَ القلبِ بالحب ، أن يصونَ لي حظي منك ، ويدرأَ لي النوائبَ عنك ، ولم يمنعني أن أصرف وجهه الإجابة^٩ إلى مرغوبك ، وأمتطي جوادَ الانحدار إلى محبوبك ، إلاّ عارضُ ألمٍ ألمّ ، فقيّد بقيده نشاطي ، وزوى براحته بساطي ، وتركني أتملّلُ على فراشي

١ ط د : فأعجب .

٢ هو علي بن خير التعليلي ، انظر النفح ٣ : ٤٠٢ .

٣ س : غلفت ؛ ط د : علقت .

٤ ط د : فنحن . ٥ انظر النفح ٣ : ٤٠٣ .

٦ ط د : أسدت .

٧ ط د : الإيجاب .

كالسليم ، وأستمطر الإصباح من الليل البهيم ، وأنا منتظرٌ لادباره .
فكان يُستنزل في هذه الألفاظ وغرابة^١ هذا المنزع ، ويُستبَرَدُ في
هذا المقطع .

في ذكر الأديب أبي تمام غالب الملقب بالحجّام^٢

وكان معدوداً في شعراء عصره ، إلاّ أنه كان متخلفاً في شعره ،
لأن طبعه كان ينبو عن الرقيق السهل ، ولا يلحقُ بالفصيح - الجزل ،
وربما ندرت له أبيات في النظام ، كرميّة من غير رام ، ووجدته قد
سلك في الأوصاف طريقة الرمادي ، فغرق في بجوحة ذلك الوادي ،
وقد أخذت هنا من شعره بطرف ، يُعربُ عما به ذكر ووصف .

جملة من شعره في النسيب مع ما يتشبه به من المديح

له من قصيد في الرشيد يقول فيه :

أراعي الفرقدين ولستُ أعيّا كأيّ ثالثٍ للفرقدين

١ ط د س : فكانت تستهول له هذه . . . ط د : وعارية .

٢ غالب بن رباح المعروف بالحجّام شاعر قلعة بني رباح الذي نوه بقدرها ، ورفع من رأس
فخرها ؛ وقلعة رباح غربي طليطلة ، سميت كذلك باسم علي بن رباح اللخمي الذي اشترك
في فتح الأندلس ، وقد سقطت في يد اذفونش (الفونسو السادس) سنة ٤٧٦ (انظر الترجمة
الفرنسية من الروض الممطر : ١٩٦) وراجع ترجمة أبي تمام هذا في المغرب ٢ : ٤٠
والمسالك ١١ : ٤٥١ وله ذكر في رايات المهريين وشعر في النضج .

غدوا في مشرق الدنيا ونفسي تناجيهم بأقصى المغربين
أأنسى عهدهم وهمٌ بقلبي وأشكو فقدهم وهمٌ بعيني
سقى زمناً سقاهم كل صفو وقد قَدَّيْتُ^١ جفون الحاسدين
وقد حياً بطاسات الحميا قضيبٌ في الغلائل من الحين [٢٢٤ب]
إذا سيم المزاج سقى لماه ونزهنا بروضة وجنتين
تقلد طرفه سيفاً ولكن حمائله نبات العارضين

وهذا البيت من متداولات المعاني ، ومنه قول ابن رشيقي القيرواني^٢ :

وهل على عارضيه إلا^٣ حمائل قلدت حسابا

ومن مديح هذه القصيدة :

شكوتُ إليه عدوان الليالي وما ألقاه من تشيت بين
فأمن من صروف الدهر سري وأصلح بين أيامي وبين
رآني والظلام علي ثوب^٤ فأطلعني طلوع النيرين

وله من قصيد :

مالي حرمتُ على اتصال مدائحي أعقرتُ في الشعراء ناقة صالح

ويناسب هذا قول الآخر^٣ :

أناقة الله حاجتي عقرت أم نبت الحرف في نواحيها

١ س : قرت .

٢ ديوانه : ١٦٩ باختلاف في الرواية .

٣ ط د س : وهذا كقول الآخر .

وأنشدني له من قصيدة^١ :

دعوت الندى^٢ من كل باب قرعته دعاء^٣ ولكن^٤ كان غير^٥ مجيب
فما هو إلا^٦ كالحبيب تمنعاً^٧ عليه من الغيران كل^٨ رقيب
فكن^٩ طالباً للمجد إن كنت طالباً بهز^{١٠} سنان^{١١} وانتضاء^{١٢} قضيب
ولا تبتغ من زيد^{١٣} وعمرو مكانة^{١٤} لحفظ^{١٥} سوار^{١٦} في بياض عصيب

ومنها :

ليالي كان العيش^١ غصاً يُظِلّني نضيراً وماء^٢ الورد^٣ غير^٤ مشوب
وعيني قد نامت بليل^٥ شيبتي فما انتهت^٦ إلا لصبح مشيب

وله من أخرى [أولها] :

أحين^١ وصِلْتُ أحدث^٢ الفراقا لقد حمَلْتُ قلباً لو أطاقا
أحين^٣ كدَرَعْتُ في ماء^٤ الأمانى سقيتني^٥ الأسى كأساً دهاقا

ومنها :

عرفت^١ الدهر^٢ ثم طلبت^٣ منه ليسقي^٤ صفوه فسقى زعاقا [٢٢٥]
[فكنت^٥ كطالب في البحر^٦ ماء^٧ تشكك^٨ في مرارته فذاقا
ولم أر^٩ مثل^{١٠} أيام^{١١} التصابي وقد ضرب^{١٢} الهوى فوق^{١٣} رواقا]

١ ط د س : وله من قصيدة .

٢ س : الهدى .

٣ ط د : بمنعاً .

٤ ب م : فحفظ .

٥ س : العيش .

وقد زُفِّتْ عروسُ الكاسِ نحوي^١ وقد كتبوا لها [شعري] صداقا
ومن كلّفي بها وبمن سقاني وصلتُ بها اصطباحاً واغْتَباقا
غزالٌ لم يزلْ قلبي عليلًا بعلّةٍ مقلتيه فلا أفاقا
رقيقٌ الحصرِ لو شاءَ احتزاماً بخاتمه لكان لسه نطاقا
ومنها :

سلاماً لم يكنْ إلاّ وداعاً وجمعاً لم يكنْ إلاّ افتراقا
وهذا كقول المتنبي^١ :

افترقنا حولاً فلما اجتمعنا كان تسليمُهُ عليّ وداعا
وكقول علي بن جبلة^٢ :

ركبَ الأهوالَ في زورته ثم ما سلّم حتى ودّعا
وذكرتُ بهذا المعنى خبراً حكاه الزبير بن بكار قال : سمع أبو السائب
المخزومي قول مالك بن أسماء الفزاري :

بكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي تبتغي الصبرا
بيننا همٌ سَكَنٌ^٣ لحيّرتهم ذكروا الفراقَ فأصبحوا سفرا
فظللتُ ذا ولهٍ يعاتبني في حبّهم من لا يرى الأمرا
فقال أبو السائب عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! ما قدموا

١ ديوان المتنبي : ٥٢٦ وروايته : افترقنا عاماً .

٢ ديوان المكي : ٧٦ .

٣ ط د س : سَكَناً .

ركاباً حتى ودّعوا صديقاً ؛ قال الزبير : يرحمُ الله أبا السائب ، فكيف
لو سمعَ قول العباس بن الأحنف ^١ :

سأءلونا عن حالنا كيف أنتم ^٢ فقرنّا ودّاعهم بالسؤالِ
ما أنحنّا حتّى افترقنا فما فرّقت بين النزول ^٣ والارتحال

وأبو السائب هذا كان له جدٌ يُكنّى أبا السائب أيضاً ، خليطُ
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذُكِرَ قال : « نعم الخليطُ كان أبو
السائب لا يُشاري ولا يُماري » . وكان أشراف المدينة يستظفون أبا السائب
هذا حفيدهُ ، واسمه عبد الله ، ويقدمونه لشرفِ منصبه ، وحلاوةِ
ظرفه ، وكان غزيرَ الأدب ، كثيرَ الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ،
[٢٢٥ ب] وأخبارٌ مشهورة .

وقولُ ابنِ رباح : « بعلّةٍ مقلتيه فلا أفاقا » كقول أبي عامر بن شهيد ،
من شعر قد تقدم ^٤ :

فأنا المجروحُ من عضّتها لا شفاني اللهُ منها أبداً ^٥

١ ديوان العباس : ٢٣١ ، وقد تقدم البيت الثاني على الأول .

٢ الديوان : إذ قدمنا .

٣ الديوان : حتّى ارتحلنا فما نفرق بين المناخ .

٤ هذه العبارة قد خضعت في جزئها للتقديم والتأخير في ط د س .

٥ ط د س : معنى قد تظرفه لابن شهيد حيث يقول .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٠٤ .

جملة من شعره في أوصاف شتى

له في الصورة التي بجمام الشطارة البديعة الشكل^١ باشييلة^١ :

ودمية مرمرة تزهى بخد^٢ تناهى في التورد والبياض
لها ولد^٣ ولم تعرف^٣ حليلاً ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر^٤ ولكن تتيمننا بأحاط مراض

وأنشدني في صفة خاتم :

وخاتم تبر قلند الدر^٥ حوله ومن^٥ أحمر الياقوت ما يتقلد^٥
كأن الثريا بالهلال تعلقت^٥ وفي طرفيه البشري يتوقد^٥
واللطيب فيه مخبأ فكأنه سريرة حب قد فشت وهي تجحد^٥

وقال^٦ :

زرت الحبيب ولا واش^٧ أحاذر^٧ه والصبح عين^٨ لوت^٨ بالغمض أشفارا
في ليلة خلت من حسن كواكبها دراهماً وحسب^٨ البدر ديناراً

١ انظر نفع الطيب ١ : ٥٣٣ .

٢ النفح : مجيد .

٣ س : تنكح ؛ ط د : تصحب خليل .

٤ ط د : التبر .

٥ ب م : وما .

٦ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

٧ النفح : شي . ٨ النفح : في ليلة قد لوت .

وقال :

انظرُ إلى زُهرِ النجومِ وقد بدَّتْ في البحرِ تعجبُ ذاتها من ذاتِها
فكانها سِرْبُ الحسانِ تطلَّعتْ لترى من المرأةِ حُسْنَ صفاتها
وذكرتُ بوصفهِ صوَرَ الكواكبِ في الماء ، قولَ أبي العلاء^١ :

فمدَّتْ إلى مثلِ السَّماءِ رقابَها وعَبَّتْ قليلاً بين نَسْرِ وفرقَدِ
وصفَ إبلاٍّ وردتِ الماءَ ليلاً ، وهو أزرقُ صافٍ وفيه صوَرُ النجومِ ،
فكانتها شربتْ بين هذينِ الكوكبينِ ، وإنما أخذه من قولِ الأخطلِ يذكر
سمتَ إبلٍ قصدته :

إذا طلعَ العيوقُ والنجمُ أُولجَتْ سوافها بين السماكين والقلبِ^٢
أراد إذا طلعَ العيوقُ والثريا يَمْتَمْتُ هذه الإبلُ سَمْتُ ما بين السماكين
والقلبِ^٣ ، فكانها وَصَّعتْ سوافها بينهما معرفةً ، وموضعُ العيوقِ وراءَ
الثريا في جانبِ المجرَّةِ الأيمنِ ، والعيوقُ أقربُ إلى القُطْبِ من الثريا ،
وهما يَظْلُمان صُبْحاً ، عند اشتدادِ الحرِّ معاً ، ويكونُ [٢٢٦ أ] قلبُ
العقربِ والسماكان طالعين حينئذٍ ليلاً ، فوصفَ الأخطلُ أنه سرى
الليلِ ، ولا يكونُ العيوقُ في وقتٍ أقربَ إلى الثريا منه في وقتٍ ، ولكن
الكواكبَ إذا كبِدتْ^٤ تقاربَ ما بينها في رأي العين ، ولذلك قال الآخرُ^٥ :

١ شروح السقط : ٣٧٢ .

٢ ديوان الأخطل : ١٩ والأنواء : ٣٦ .

٣ ط د : وصف إبلا يمت ما بين السماكين . . الخ .

٤ ب م : كبِرت ؛ وكبد النجم السماء : توسطها .

٥ البيت لبشر بن أبي خازم ، ديوانه : ٦٦ والأنواء : ٣٦ .

وعانَدَتِ الثرياَ بعدَ وَهْنٍ^١ معاندةً لها العيوقُ جارُ
 أيْ عَدَلَتْ عن الطريقين معاندةً من أجلها جاورَ العيوقُ الثريا ، ولم يُردْ
 أنهما اجتماعاً أو تقارباً قُرْباً زالا به عن مجاريهما .
 وقال أبو ذؤيب^٢ :

فَوَرَدَنَ والعيوقُ مَقْعَدَ رابِئِ الضَّرْباءِ فوقَ النجمِ لا يَتَتَلَعُ
 أراد أنها وردت الماءَ سَحَرًا ، والعيوقُ من النجم قريبٌ كقرب الرقيب
 من الضارب بالقдах ، ولم يُردْ أنها وردت سَحَرًا وهما طالعان ، كما
 فسّر بعضهم ، بل وهما مكبدان^٣ ، وذلك عند كونِ الشمسِ في الأسد ،
 وهو أشدُّ ما يكونُ من الحرِّ .

وذكرتُ بقوله : « لترى من المرأة حُسْنَ صفاتها » قولَ البحرى^٤ :

إذا النجومُ تراءتْ في جوانبها ليلاً حَسِبْتَ سماءَ رَكْبَتِ فيها
 وأخذه الصنوبريُّ فقال^٥ :

ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوءُه بدجلةَ في تشرينَ في الطول والعرضِ
 وقد قابلَ البدرُ المفضضَ لونه وبعضُ نجومِ الليلِ يقفُو سَنًا بعضُ
 توهمَ ذو العينِ البصيرةِ أنه يرى باطنَ الأفلاكِ من ظاهرِ الأرضِ

وذكرتُ أيضاً بهذا التشبيه ، ما قد أكثرَ الناسُ فيه ، من ضوء القمر

١ الديوان والأنواء : هذه .

٢ ديوان الهذليين ١ : ١٩ .

٣ د : مكبران ؛ ب م : مكدان .

٤ ديوان البحرى : ٢٤١٨ .

٥ ديوان الصنوبري : ٤٨٢ .

[على الماء ؛ من ذلك] قولُ بعضهم حيثُ يقول ^١ :

قام الغلامُ يُديرُها في كفهٍ فحسبتُ بدرَ التّمّ يحملُ كوكبا
والبدرُ ينجحُ للأفولِ كأنّه قد سلّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهبا
وقال التّمّار الواسطي ^٢ :

أما ترى الليلَ قد ذلتْ عساكرُهُ مهزومةٌ وجيوش الصبحِ في الطلبِ
والبدرُ في الأفقِ الغربيّ تحسبُهُ قد مدّ جِسراً على الشطينِ من ذهب
وقال القاضي التنوخي ^٣ : [٢٢٦ ب] .

أحسّن بدجلة ^٤ والدجى متصوّبٌ والبدرُ في أفقِ السماءِ مُغرّبٌ
فكأنها فيه بساطٌ أزرق وكأنّه فيها طرازٌ مُذهّبٌ
وقال كشاجم ^٥ :

والبدرُ فوقَ دجلةٍ والصبحُ لما يُشرقِ
مكحلة ^٦ من ذهبٍ فوقَ رداءٍ أزرقِ

١ البيتان لمصور بن كهلغ ، النظر اليتيمة ١ : ١٠٨ و غرائب التشبيهات : ٢٨ .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٧١ .

٣ اليتيمة ٢ : ٣٤٠ .

٤ اليتيمة : لم أنس دجلة .

٥ ديوان كشاجم : ١١١ (نسخة التيمورية) .

٦ ب م س : كعلية .

رجع :

وقال ابن رباح^١ في ثريا المسجد الجامع^٢ :

تحكي. الثريا الثريا في تألقها وقد لَوَّها^٣ نسيمٌ وهي تتقدُّ
كانتها لدوي الإيمانِ أفئدةً من التخشعِ جوفَ الليلِ ترتعدُ
وله فيها^٤ :

انظر إلى سُرجٍ في الليلِ مشرقةٍ من الزجاجِ تراها وهي تلتهبُ
كانها ألسنُ الحياتِ بارزةً عند الهجيرِ فما تنفكُ تضطربُ
وقال :

بَسَرَيْنَا إِلَى الْحَمَّارِ عَنْهَا وَقَدْ بَدَا لَنَا فِي الدَّجَى نَوْراً مِنَ الْحَانِ سَاطِعُ
[فَقَامَ إِلَى صَفِّ الدَّنَانِ كَأَنَّهَا عَجَائِزُ مِنْ قَطَنِ عَلَيْهَا مَقَانِعُ]
وَبَتْ بِجَنْبِ الزُّقِّ أَرْشَفُ رَيْقَةٍ كَمَا شَدَّ كَفَّيْهِ عَلَى الثَّدِيِّ رَاضِعُ
وقال في مثله^٥ :

لَمْ أُنْسَ لَيْلاً قَطَعْتُهُ وَأَنَا مَتَكِيٌّ لَاصِطْحَابِ زَقَيْنِ

١ ط د : ابن أبي رباح .

٢ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٥ .

٣ النفح : عراها .

٤ ط د : وقال ؛ وانظر نفح الطيب ٣ : ٤١٦ .

٥ ط د س : بجانب .

٦ البيتان في مسالك الأبصار .

ونمتُ سكرانَ بين ذاك وذا تناوُمَ الطفلِ بين ثديين
وقال في الطائر المعروف بالمقلين^١ :

صَبَّغُوا بِرُقْرَاقِ الْعَبِيرِ جَنَاحَهُ وَيُرَى عَلَى فِيهِ أَحْمَرًا الْعَنْدَمِ
وَأُظْلِمَتْ قَدْ غَرَّةٌ فِي وَرْدِهِ مَاءُ الْيَفَاعِ^٢ فَظَلَّ يَكْرَعُ فِي الدَّمِ
وقال في البَلَّارِجَةِ^٣ :

وَبَعِيدَةُ الْأَوْطَانِ فِي إِقْبَالِهَا بَشَرٌ بِإِقْبَالِ الزَّمَانِ الْمَقْبَلِ
نَشَرَتْ جَنَاحَ الْإِنْبُوسِ وَصَادَرَتْ بِالْعَاجِ فِيهِ وَقَهْقَهَتْ بِالصَّنْدَلِ
وَفِي الشُّغْرِ :

بَدَا نَشْرُ فَاَسْوَدَ أَفْقٌ بَدَتْ بِهِ وَقَدْ نَظِمَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا سَلُوكُهَا
[وَصَاحَتْ فَمَا أَبَقَتْ بِقَلْبٍ مَسْرَّةً صِيَاحَ بَنَاتِ الزَّيْجِ مَاتَ مَلِكُهَا]
وَفِي الْعُقَابِ^٤ :

إِنَّ الْعُقَابَ لَهُ بَطْشٌ يُهَابُ بِهِ لِلطَّيْرِ عَنْهُ بِذَلِكَ الْبَطْشِ تَكْمِيشُ^٥ [٢٢٧]
كَأَنَّهُ فِي اخْتِرَاقِ الْجَوِّ مَنْدَفَعًا إِلَى الْفَرِيسَةِ رِيحٌ ضَمَّتْهَا رِيشُ
وَفِي النَّسْرِ^٥ :

١ المقلين أو المقلنين : Chardonneret .

٢ ط : البقاع ؛ د : البقاء .

٣ البَلَّارِجَةُ : Cigogne .

٤ ط د س : وقال في ؛ والبَيْتَانِ فِي الْمَسَالِكِ .

٥ ط د س : النَّسُورُ ؛ وَانْظُرْ نَفْحَ الطَّيْرِ ٣ : ٤١٦ .

تري النسر والقتلى على عددِ الحصى وقد مزقت أحشاءها والثرائبها
مُضَرَّجَةً مما أكلنَ كأنها عجائزٌ بالحنّ خَضْبَنَ ذوائبها
وفي الأجلِ :

وأجدلٍ أقلقه فرطُ القرمِ أطلقتهُ بين الكراكي والرخمِ
فانتَهزَ الفرصةَ لما أن هجم فعاد للكفِّ وما شكَا ألم
يمسحُ منقاراً علاه نضحُ دم ككاتبٍ يمسحُ حبراً عن قلم
وفي النحلِ :

شفاؤك من دنياك في خُرْمٍ نحلة وفيها كما فيها لك الصَّابُ والشهدُ
وزينةُ ما أبدتْ نسيجةُ دودةٍ لتعلمَ أن اللهَ في حُكْمِهِ فرْدُ

وذكرت بقوله : إنه شفاءٌ وهو خُرْمٌ نحلة ونسيجةُ دودة ، حديثاً يُروى عن جابر بن عبد الله قال : خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجابر بن عبد الله إلى الجبّانة ، فتذاكرا الدنيا ، فتنفّسَ جابر ، فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : علامَ تنفّسُ يا جابر ؟ أعلَى الدنيا ؟ فوالله ما لذاتها إلاّ سبعٌ^١ : مأكول ومشروب وملبوس ومسموع ومشموم ومركوب ومنكوح ، فألذّ ما أكلَ فيها ابن آدم العَسَلُ ، وهو خُرْمٌ ذُبَابَةٌ ، وألذّ ما شربَ الماء ، وهو كثيرٌ موجود ، وألذّ ما لبسَ الحرير ، وهو قيء^٢ دود ، وألذّ ما اشتم^٣ المسكُ ، وهو دمُ دابة ، وأما مسموعها ،

١ طادس : لذتها إلا شيع (س : سبع) .

٢ طاد : نسج .

٣ طاد : شم .

٤ طاد : مسموعاتها .

فلنمّ حاضرٌ ، ومركوبها الخيل ، وهو قبر محفور ، ومنكوحها مَبَّالٌ في مَبَّالٍ ، يريق من الجارية أحسنَ ما فيها ، لتؤتيَ أقبَحَ ما فيها .

رجع :

وقال ابن رباح^١ في وصفِ دولابٍ :

يا حُسْنٌ ما نظروا من الدولابِ والغيمُ يحسُدُهُ لدى التَّسْكابِ
تشدو فيطربنا تردُّدُ شجوها فكأنما أخذتَهُ عن زرياب
وإذا الظلامُ أتى تشوق صوتها فكأنما داودُ في المحراب
وله فيه وقد طار منه لوحٌ فوقف ، وهو من أغرب ما وصف^٢ :

وذاثِ شدو وماها كليمٌ كلُّ [فَيَّ] بالضمير حيّاها [٢٢٧ب]
وطار لَوَحٌ منها فأوقفَهَا كلمحةِ العينِ ثم أجراها
كأنها قَيْنَةٌ وقد قَطَعَتْ تسمعُ مَنْ قال دونها وaha

وقال ابن رباح في القلم^٣ :

يزدادُ حسنًا في الكتابِ إذا بدا نقصٌ به فيريكُ كلَّ بيانٍ
ان السراج إذا قطعت ذُبَالُهُ صحَّ الكمالُ له من النقصان

وله [فيه] • :

١ ط د : ابن أبي رباح .

٢ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٥ .

٣ البيتان في مسالك الأبصار .

٤ د : فيزيد .

٥ انظر نفح الطيب ٣ : ٤١٨ .

لا يفخر السيفُ والأقلامُ في يده
فإن يكنْ أصلُها لم يقوَ قوتُها
قد صار قطع سيوف الهندِ والقُضْبِ
« فإن في الحَمْزِ معنى ليس في العنب »^١
وله فيه :

جوادٌ إذا ما شقَّ في البري رأسه
وتمنعه أن يوضح الحرفَ شعرةً
وإن لم يكنْ شقٌّ به فبخيلٌ
كذي لثغٍ بعض الحروفِ يُحيلُ
وقال^٢ فيه :

حازِ البلاغةَ غائصاً في بحرِها
وكانما عَلِمُوا بطولِ نزاعِهِ
فيريكَ من صَدَفِ الكمالِ الجوهرا
فلذلك سَمَّوا كلَّ سيفٍ أبترا
وقال فيها^٣ :

ثَقُلْتُ على الأعداءِ إلا أنها
أخذتْ من الليلِ البهيمِ سوادهُ
خَفَّتْ على السَّبابِ والإبهامِ
وبدتْ تنقُ أوجُهَ الأيامِ
[وقال] في الجيشِ^٤ :

يا من إذا سار والأعداءُ يومَ وغى
والجيشُ كالبحرِ لكن ماؤه زردٌ
تري ذؤابته محمّرةَ العَدَبِ
والبيضُ تطفو عليه موضعَ الحِيبِ
ومن شعره في وَصْفِ العيونِ والثَّغورِ [والخيلانِ] وما يناسبُ ذلك
من التَّسْيِبِ :

١ عجز بيت المتنبي ، وصدده : فإن تكن تغلب الغلباء عنصرها .

٢ ط د : وله .

٣ سقط البيتان في د ط س ، وقوله « فيها » يعني الأقلام ، وانظر الفتح ٣ : ٤١٨ .

٤ البيتان في مسالك الأبهصار .

ترنو بعين خشوعٍ وهي باكيةٌ
تريك حكمتكم سليمان إذا حكمت
وقال^١ :

للافحوان أرى^٢ عليك ظلامةً
لا يحملُ البورُ الأنيقُ تمسهُ
وجلاؤه المخلوقُ فيه قد كفى
وله :

تعلم الغصنُ لينا من معاطفه
من كلٍّ أحورٍ يُبدي في تبسمه
وأقبلَ الظبيُ يستجديه في الغيدِ
تألقَ البرقِ بين الجمر والبردِ
وقال :

خيالانُ خدك^٣ ردَّتْ
في العين سودٌ ولكن
صحيح صبري مريضاً
ما زلن في القلبِ بيضاً
وقال في مثله :

خدكُ مرآةٌ كلُّ حُسنٍ
مالي أرى فوقه نجوماً
تحسنُ من حسنِ الصفاتِ
قد كُسفتُ وهي نيراتُ

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٤١٦ .

٢ النفع : الأفحوان رمى .

٣ ط د س : عهقت . ٤ ط د : غراره .

٥ ط د : وجهك .

وقال ١ :

يا حبيباً له الفؤادُ محلُّ
كتب الحسنُ فوقَ خدِّكَ خالاً
كيف تجفو وأنتَ في سَوْدائِهِ
فامحى الشكلُ غيرَ نقطةٍ خائِهِ

وقال ٢ :

يا طالعَ البدرِ المنيرِ جمالهُ
أوقدتَ قلبي فارتمتُ بشرارةٍ
ألْبَسْتَنِي للحسنِ ثوبَ سماءِهِ
نزلتُ بخدِّكَ فانطفت من مائه

ومن المليح في مثله قولُ ابن المعتز :

غلالةُ <خدّه> صُبِغَتْ بوردي
ونونُ الصُّدُغِ مُعْجَمَةٌ بخالِ

ولكشاجم :

فلم يزلْ خدّهُ ركناً أطوفُ به
والخالُ في خدّهِ يُغْثِي عن الحجرِ

وله في النهود ٣ :

وكأنما النهْدُ الذي هو بارزٌ
في صورةِ التَّفَاحِ إلا أنَّه
من صدرها سرٌّ به قد باحا
في شكله لا يألَفُ التفاحا

وقال ٤ :

١ البيتان في مسالك الأبصار .

٢ انظر مسالك الأبصار أيضاً .

٣ ط د س : وقال في النهْد ؛ والبيتان في المسالك .

٤ منها بيتان في المسالك .

يا صاحبي بمهجتي خُمَصَانَةٌ مالت مَمِيلَ الغصنِ في أعطافها
في الصدرِ منها للطعانِ أَسَنَةٌ ما أشرِعتْ إِلَّا لِحِمِّي قِطَافِهَا
ان أنكرت قتلي هناك ففتّشَا تريا دمي قد جفَّ في أطرافها

وقال :

أَبَقَى الشَّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ غِلَاثِلِهِ مَا أَثَرَتْ فِيهِ مِنْ لَيْنِ غِلَاثِلَتِهِ [٢٢٨ ب]
وَفِي تَرَائِبِهِ وَالْحَلِيُّ يُحْجِبُهُ نَهْدٌ تَصَوَّرُ فِي قَلْبِي حِكَايَتَهُ

وقال :

قَدْ نَالَنِي مِنْكَ فِي فِرْطِ الصَّدُودِ أَذَى وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا زَادَ يَنْتَقِصُ
إِنَّ الْبَيَاضَ إِذَا مَا جَازَ غَايَتَهُ فَلَا مَحَالَةَ فِيهِ أَنَّهُ بَرَصٌ

ويناسبُ هذا [من وجه] قول ابن الرومي ^١ :

وَمَا يَعِيبُ السَّوَادَ حُلُكَّتُهُ وَقَدْ يُعَابُ الْبَيَاضُ بِالْبَهْتِ

[وقال] ^٢ :

نَظَرَ الْحَسُودَ فَاذْرَأْ لِي [صَالِحاً] ^٣ وَالْفَضْلُ مِنِّي لَا يَزَالُ مُبِينَا
قَبَّحَتْ صِفَاتِي مِنْ تَغْيِيرِ وَدِّهِ صَدَأَ الْمِرَاةِ يُقْبِحُ التَّحْسِينَا

وقال :

تَحَمَّلْتُ أَعْبَاءَ الزَّمَانِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَحْمِلِهَا فِيمَا لَدَيَّ مِنَ الْوَهْنِ

١ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ .

٢ نفع الطيب ٣ : ٤١٨ .

٣ النفع : هيبة .

٤ ب م : لديك ؛ س : لذلك من وهن .

كَمَا حَمَلَتْ ثِقْلًا مِنَ الْأَرْضِ نَمْلَةً^١ وَمَا هِيَ مِنْهُ فِي قِيَاسٍ وَلَا وَزْنَ

وقال ١ :

تَصْبِرْ وَإِنْ أَبَدَى الْعَدُوُّ مَذْمَةً^٢ فَمَهْمَا رَمَى تَرْجِعْ إِلَيْهِ سَهَامُهُ^٣
كَمَا يَفْعَلُ النَّحْلُ الْمَلْمُ^٤ بِلِسْعَةٍ يَرِيدُ بِهِ ضَرًّا وَفِيهِ حِمَاةُ^٥

وقال ٢ :

صَغَارُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ فَسَادًا^١ وَلَيْسَ لَهُمْ لَصَالِحَةٍ نَهْوَضُ^٢
أَلَمْ تَرَ فِي سِبَاعِ الطَّيْرِ سَرًّا^٣ تُسَالِمُنَا^٤ وَيُؤْذِنَا^٥ الْبَعُوضُ

وقال :

ابْخُلْ بِسَرِّكَ لَا تَبْهُجْ يَوْمًا بِهِ^١ فَصَغِيرُهُ^٢ يَأْتِي بِكُلِّ عَظِيمٍ^٣
أَوْ مَا تَرَى سِرَّ الزَّنَادِ إِذَا فُشَا^٤ يَأْتِي وَشِيكًَا^٥ سِقَظُهُ^٦ بِجَحِيمٍ

وقال ٤ :

وَبَارِدِ الشَّعْرِ لَمْ يَأْلَمْ بِمَا حَمَلَا^١ أَضَرَّ مِنْهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَاعْتَزَلَا^٢
كَأَنَّهُ الصِّلُ لَا تُؤْذِيهِ رِيقَتُهُ^٣ حَتَّى إِذَا جَعَّهَا فِي غَيْرِهِ قَتَلَا^٤

وقال :

١ نفح الطيب ٣ : ٤١٨ .

٢ اليبتان في المغرب والمسالك .

٣ ب م : سرأ يسالمنا .

٤ نفح الطيب ٣ : ٤١٨ .

٥ ب م س : به نجلا .

يا ملكاً تخضعُ الملوكُ له اللهُ أعلى على الملوكِ يدكُ
تعجبُ الناسُ من جوادك بالأم سر وما في شِماسه اعتمدك
أراك عند النزولِ سُبُكَّةُ وقال^١: في عينِ [كل] من حسدك
وقال :

لي صاحبٌ لا كانَ من صاحب فإنه في كبدي جَرَحَه
يحكي إذا أبصرَ لي زلَّةً ذُبابَةٌ تضربُ في قُرْحَه
وقال من قصيدة^٢ :

ولني من زماني في خمول دُفِنْتُ به ومن لي بالنشور
وقد عكست يدُ النعمى فلاحاً مكانَ الغلّ من عتق الأسير
[وان سراي في ليلٍ بهيم ولا صبحٌ يشير إلى سفور]
فما للملكِ ليس يرى مكاني وقد كُحِلَتْ لواحظه بنوري
كذا المسواكُ مطرَحاً^٣ هواناً وقد أبقى جلاءً في الثغور

١ ط د : وبال .

٢ منها بيتان في المغرب والنفع ٣ : ٤١٧ .

٣ ب م : تنظره .

فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق [إبراهيم] بن معلى^١

قيدحُ البلاغةِ المعلنى ، وسيفُها المحلّى ، أحدُ من بنى منارَها ، ورفع
بالغورِ اليفاع نارَها ، ولم أظفرُ من كلامه لانزعاجي في تحرير هذه النسخة
إلا بلمعة كهلال ليلة ، أو ظلّ أثيلة^٢ ، وقد أوردتها بأسرها ، لأنبّه^٣
على قدره وقدرها .

قال يرثي بعض أعيان وقته بقصيدة أولها^٤ :

هل بين أضلّعنا قلوبُ جنادلِ	أم خلفَ أدمعنا مُدودُ جداولِ
في كلِّ يومٍ حُزنُ نجمٍ ساقطِ	ما بيننا وكسوفُ بدرٍ آفلِ
سدّكتُ بنا الأرزاءُ غيرَ مُغيبةِ	والحسّتُ النكباتُ غيرَ غوافلِ
وعلتُ بنا الأيامُ في سطواتها	فجلتُ لنا عن كامنات غوائلِ
وهي الليالي ليس يخفى نقصها	فلذاك تطلبُ كلَّ حرٍّ كاملِ
آهاً وواهاً للمعالي لأنها	رُزئتُ بركنَي عرشِها المتمايلِ
بدعامتِي حَسَبَ ونجمتِي سُودَدِ	وحديقتي أدبٍ وبحرِّي نائلِ
أخوَيَّ صفاءٍ في المودة أجرياً	في المكرمات إلى المدى المتطاوِلِ

١ هو طرسوفي ، نسبة إلى طرسوفة إحدى مدن الثغر ، وقال فيه صاحب المسهب : شاعر ممتد
النفس شديد المرس قدير على التطويل ، اشتهر ذكره بمدح ملك الثغر المقتدر بن هود ،
وجال على بلاد الأندلس (انظر المغرب ٣ : ٥٧ والمسالك ١١ : ٤٥٣) .

٢ ب م : أَيْكَة .

٣ منها بيتان في المغرب ٢ : ٤٥٧ .

[فبذا تحمّلُ كلَّ عبءٍ مُثْقَلٍ
فكأن هذا حاجبٌ في خندِفٍ
إن طال حزني يومَ ذاكَ فإني
أو سالَ صبري في الدموعِ فبعدما
وبذا إقامةُ كلِّ أمرٍ مائلٍ]
وكأنَّ هذا مالكٌ في وائلٍ
لم أحلَّ بعدُ من الحياةِ بطائلٍ
دُفِنْتَ هناكَ ذرائعي ووسائلِي

[ومنها] :

أينَ الذي يرتاحُ بِشِراً بالقرى
زَفَرَ الزمانُ بذاكَ زفرةً مُغْضَبٍ
صلَّى المهيمَنُ ذو الجلالِ عليكما
وتظافرتُ^٢ أيدي الغمامِ فأخْصَمَلَتْ
لأرى الرياضَ على الرياضِ وأقتدي
والحقُّ يَصْدَعُ مظلماتِ الباطلِ
وسطابذاك الدهرُ سَطوةَ صائلٍ [٢٢٩ب]
والكلُّ من ملأ^١ السماءَ الحافلِ
حُلِّلَ^٣ الربيعَ عليكما بنخائلِ
ببكا السحابِ على السَّحابِ الهاطلِ

وله^٤ من أخرى يرثي :

فلا تَغْرُرْكَ بهجةٌ مستحيلِ
أبا الحجاجِ لو لم يؤتَ بِدْعٌ
وزارك من بني الآمالِ حَقْلٌ
[مُعَدٌّ للطريقِ ولا كعهدِ
فقد بارتَ بضائِعُهُمْ عليهم^٥
إذا ما الجمرُ عادَ إلى الرمادِ
لحجَّ الناسُ قَبْرَكَ في احتشادِ
يضمُّ الأرضَ من هيدٍ وهادِ
مضى أغْنَيْتَ عن لابلٍ وزادِ
وخلّوا السوقَ مُفْرِطَةً الكسادِ

١ ب م : ملك .

٢ ط : وتظافرت .

٣ ب م : ملك .

٤ ط د س : وقال .

٥ ط د : هاد ؛ ب م : هند .

فسيان الركوبُ على قَتودٍ
أَمَعَتَقْ^١ الصَّعِيدِ وَكَانَ يَغْدُو
أَرَى لُبْسَ الحَدَادِ عَلَيْكَ مِمَّا
فَكَمْ أوردتهنَّ على وريدٍ
فإن تبعُدُ فما بعدتُ صفاتٍ
وَأينَ قيرَى مسائكٍ في الموالِي
وَأينَ نَدَاكَ يَهْتَفُ كُلُّ حينٍ
وَأينَ بياضُ بَشْرِكَ وهو يجلو
وَأينك في عرائكك اللواتي
إذا ما زرتُ قبرَكَ رُضْتُ نفسي
فَأَمَكْتُ لا يطاوعني لساني
أحاذرُ أن يفوه به فَأَقْضِي^٢
وكيف يكونُ عهدي منك هذا
وأعجبُ كيف يقنعُ فيكَ قومٌ
وَكَانَ^٣ يَقُلُّ لو نَحْرُوا المطايا
وَحَلَّ^٤ الكَلُّ يومَ حَلَّتْ عَهْدًا
فيا لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَهْفَ غَيْرِي
ولما لم أُنَلِّ أُمْلِي وعاقَتُ
سَعِيْتُ^٥ بأن أَقيمَ مقامَ نفسي

لَعافٍ والمبيتُ على قَتَادٍ
عَالِيَهُ وَهُوَ مَعْتَقِلُ الصُّعَادِ
يَشْقُ على المَهْنَدَةِ الحَدَادِ
وَكَمْ أَهْدَيْتَهُنَّ إِلَى الهَوَادِي
قَرِينَ لِمَادْحِيكَ عَلَى البَعَادِ
وَأينَ قَرَى صَبَاحِيكَ فِي الْأَعَادِي
بِبُغْيَةٍ مَجْتَدٍ وَرِضَاءٍ شَادٍ
دَجَى النُّكَبَاتِ حَالِكَةَ السَّوَادِ
أَلَنْ عَرَائِكَ النَّوْبِ الشَّدَادِ
لَأَسْتَسْقِي بِهِ سَبِيلَ الْغَوَادِي
بِذَاكَ وَلَا يَسَاعِدُنِي فَوَادِي
بَأَنَّ رَبِّي حَلَّتْ بِهِنَّ صَادٍ
وَأَحْمَلُ مِثْلَهُ بِكَ لِلْعِهَادِ
بِجَدِّ فِي بَكَائِكَ وَاجْتِهَادِ
عَلَيْكَ وَبَادِرُوا عَقَرَ الْجِيَادِ [٢٣٠ أ]
فَقَاسِمُكَ التَّرَابَ إِلَى التَّنَادِ
وَلَهْفَ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ التَّلَادِ
عَوَائِقُ دُونَ سُؤْلِي وَاعْتِقَادِي
أَزَاهِرَ رَوْضَةِ الْأَدَبِ الْمَعَادِ

٢ ط د س : فيقضي .

١ ط د س : أَمَعَتَقِل .

٣ ط د : فَكَانَ .

٤ ب م : وَحَال .

٥ ط د : بَعَثَتْ .

فجاءتكم ثمَّ ببعض وُدِّي وتعبقُّ عن صفائي واعتدادي^١
 [وإن لم ترضَ منتقداً بحالي تبينَ وجهُ عذري في انتقاد]
 ضلوع^٢ مسا يفارقها التهاب^٣ وجفن^٤ مسا يمتنع بالرقاد
 وسُقْم^٥ يستزيدُ لنقصِ جسمي فقد وقع انتقاصي في ازدياد

قوله : « وأحملُ منّةً بك للعهاد » كقول ابن المعتز^٦ :

وحاشاهُ من قولِي سقى الغيثُ قبره يداهُ يروى قبرُهُ من نداهما
 وأخذه من قول أبي تمام^٧ :

سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه^٨ وإن لم يكنْ فيه سحابٌ ولا قطرُ
 وكيف احتمالي للسحابِ صنيعه^٩ باسقاتها قبراً وفي لحدِهِ البحر
 وقال ابن المعتز^{١٠} :

لم تمتْ أنتِ إنما ماتَ مَنْ لم يبقِ للمجدِ والمكارمِ ذكرا
 لستُ مستسقىاً لقبرِكَ غيثاً كيف يظما وقد تضمَّنَ بحرا
 وبيته الأول من هذين ، من قول حبيب أيضاً^{١١} :

ألم تمتْ يا سليلَ المجدِ من زمنٍ فقال لي لم يمتْ من لم يمتْ كرمُهُ

١ د : والوداد ، وفي موضعها بياض في ط ؛ س : واعتقادي .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٧٤ وروايته « تسقى قبره » ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٨٤ .

٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٤٨ في رثاء عبده الله بن سليمان ؛ وزهر الآداب : ٦٦٦ .

٥ ديوان أبي تمام ٤ : ١٣٧ .

٦ الديوان : يا شقيق النفس .

وقال عبد السلام بن رَغْبَان^١ :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتكَ وساحةً لقبرك فيها الغيثُ والليثُ والبدْرُ
وما هيَ أهلٌ إذ أصابتك بالبلَى لسقيا ولكن من حوى^٢ ذلك القبر

أخذ [هذا] البيت الأولَ الراضي فقال يرثي أباه المقتدر :

بنفسي ثرى ضاجعتَ في ساحةِ البلى لقد ضمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا
فلو أنَّ عُمري كان طوعَ مشيتي وأسعدني المقدورُ قاسمتك العمرُ [٢٣٠ ب]
ولو أنَّ حياً كان قبرا لميت لصيرتُ أحشائي لأعظمِهِ قبرا

وينظر في هذا المعنى إلى قول المتنبي^٣ :

حتى أتوا جَدثاً كأنَّ ضَرِيحَهُ في قلبِ كلِّ موحدٍ محفورُ

وقال ابن معلّى يرثي من قصيدة أخرى^٤ :

رزه^٥ بكتَ منه العُلا ومُصابُ شَقَّتْ عليه جيوبُها الأحسابُ
أعيا مَرَامُ الصبرِ يومَ حلولِهِ نفسي وسُدَّتْ دُونَهُ الأبوابُ
وطفقتُ أَلْتَمِسُ العزاءَ فخانني نَفْسٌ تَذوبُ وأدمعُ تنسابُ
وتلجلجَ الناعي [به] فسألتُهُ عَوْدَ الحديثِ لعلَّه يرتابُ
أنفَى^٥ ويوجبُ أن يقولَ حقيقةً فعلَ الشفيقِ ، فغَلَبَ الإيجابُ

١ ديوانه : ١٧١ نقلا عن زهر الآداب : ٦٦٧ .

٢ ب : نوى ؛ م : سوى .

٣ ديوان المتنبي : ٦٥ .

٤ ب م : ومن قصيدة له أخرى يرثي .

٥ ط د : أبقي .

تَرَبَّتْ يَدَاهُ مَدَى الْحَيَاةِ بِمَنْ^١ نَعَى
 [فَلَكُمْ حِمَاهُ عَلَى الْمَكَارِمِ إِنْ نَبَا
 يَا عَامِرٌ لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ عَامِرٌ^٢
 أَنْعَى إِلَى الْإِعْرَابِ مِنْكَ مُعِيدَةٌ^٣
 وَإِلَى لِبَابِ الْفَهْمِ فَهَمَّتْ إِنَّهُ
 وَإِلَى السِّيَادَةِ وَالصَّبَا فَلَكُمْ أَتَتْ
 وَلَكُمْ نَزَعَتْ بِسَهْمِ فِكْرِ صَائِبِ
 كَمْ أَعْدَلُ الْأَيَّامُ فِيكَ بِمَا جَنَنْتَ
 وَأَعَاتَيْتُ الزَّمَنَ الْخَوُونََ فَيَنْقُضِي
 ذَبَابُ بَرُوضِ الْمَجْدِ بَعْدَكَ دَوَّحَةٌ^٤
 نَاحَتْ بِكَ الْأَقْلَامُ غَايَةً وَسُغِيهَا
 وَتَقَطَّعَتْ نَفْسُ الْكِتَابَةِ حَسْرَةً^٥
 لَا يُبَلِّلُ مَهْجَتَكَ التُّرَابُ وَأَنْتَ
 وَسَقَى ضَرْيَحَكَ بَعْدَ أَخَذِ عَهْدِهِ
 وَغَدَا عَلَيْكَ الرُّوضُ وَهُوَ كَأَنَّمَا
 وَإِذَا تَنَفَّسَتْ^٥ الرِّيَاحُ بِكَلِيلَةٍ
 يَا أَيُّهَا الشَّيْبُلُ الْمُعْفَرُ بَعْدَمَا
 أَرْتِي لِلْيَمِّ لَكَ إِنَّهُ بِكَ مَضْمِرٌ^٦
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ مَوْضِعَ قَلْبِهِ

وَعَدْتُ بِفِيهِ جَنَادِلُ^٧ وَتُرَابِ
 وَطَنُ^٨ بَدِي أَمَلٍ وَضَاقَ جَنَابِ
 لِمَنَازِلِ الْعُلِيَاءِ فَهِيَ خَرَابِ
 غَضًّا كَمَا نَطَقْتُ بِهِ الْأَعْرَابِ
 كَانَتْ تُقَرُّ بِفَهْمِكَ الْأَلْبَابِ
 تَدْعُو نَهْكَ عَنِ الصَّبَا فَتَجَابِ
 يُرْمَى الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ فِيَصَابِ
 لَوْ كَانَ لِلْأَيَّامِ عَنْكَ^٩ مَتَابِ
 كُلُّ الْعِتَابِ وَلَمْ يَكُنْ إِعْتَابِ
 وَخَبَا بِأَفْقِ الْعِلْمِ مِنْكَ شَهَابِ
 وَبَكَتْ بِأَبْلَغِ جُهِدِهَا الْآدَابِ
 وَأَسَى عَلَيْكَ وَأَسْعَدَ الْكِتَابِ
 فِيهِ ثَرَاكَ كَوَاكِبُ أَتْرَابِ
 أَلَا يُغَيِّبُ مُجَلَّجِلُ^{١٠} سَكَابِ
 نُسِرتْ بِهِ مِنْ سُنْدُسِ^{١١} أَثْوَابِ [٢٣١أ]
 فَعَلَيْكَ مِنْهَا جِيئَةٌ وَذَهَابِ
 حُمَيِّ الْعَرِينِ بِهِ وَعَزَّ الْغَابِ
 حُرْقًا لَهَا بِضُلُوعِهِ إِلْهَابِ
 قَلْبِي فَيَبْقَى سَالِمًا وَأَذَابِ

١ ب م : لقد . ٢ س : يديعه .

٣ ط د س : عنه .

٤ ط د س : فيه (منه) شذاك .

٥ ط د : تنافست .

ولنُبْتُ عنه إذا بكاكَ بأدمعِ فلکمُ له في ما أريد مَناب
وهذا كقول عليّ بن بسام البغدادي يرثي عليّ بن يحيى بن منصور
المنجّم ، مما أنشده أبو اسحاق الحصري ^١ :

قد زرتُ قبرك يا عليّ مُسَلِّمًا ولكَ الزيارةُ من أقلِّ الواجبِ
ولو استطعتُ حملتُ عنك ترابَهُ فلطالما عنتي حملتَ نوائي

قال الحصري : وقد أنشدني ^٢ هذين البيتين أبو بكر بن محمد بن القاسم
الأنباري ، قال : أنشدني علي بن سليمان لنفسه ، فأنشدهما وزاد :

ودمي فلو أني علمتُ بأنه يروي ثراكَ سقاه صوبُ الصائبِ
لسفكتُهُ أسفًا عليكَ وحسرةٌ وجعلتُ ذاكَ مكانَ دمع ساكب
ولئن ذهبتَ بملءِ قبرك سؤددًا فجميعٌ ^٣ ما أوليتَ ليس بذاهب
وقوله : « وسقى ضريحك بعد أخذِ عهوده » . . . البيت ، من قول
طرفة ^٤ :

وسقى طولكٍ - غيرَ مفسدٍها - صوبُ الربيعِ وديمةٌ تنهي
وقد تُتْبِعَ هذا المعنى على ذي الرّمةِ في قوله ^٥ :

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيٍّ على البلى ولا زال منهلاًّ بجرعائكِ القطرُ

١ ط د س : وهذا كقول ابن بسام في ابن المنجم من أناشيد الحصري ؛ انظر زهر الآداب : ٦٧١ .

٢ ط د س : أنشد .

٣ ط د : فجميل .

٤ ديوان طرفة : ٩٣ من قصيدة يمدح فيها قتادة بن سلمة .

٥ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ .

لأن في مداومة الانهلال تعفية الرسوم ومحو الآيات ؛ على أنه قد احتس من الاعتراض احتراضاً قدّمه في صدر البيت وهو قوله : « اسلمي » ، فدعا لها بالسلامة على تعاقب الأحوال الموجبة بلى الديار ، واندراس الآثار ؛ وبيت طرفة أسلم. والذي فتق للشعراء هذا الفن^١ فافتنوا فيه وجاءوا بالاحتساس وغيره امرؤ القيس^٢ بقوله^٣ :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرقَتِ الأرضُ واليومُ قرّاً [٢٣١ ب]
فقلوه : « واليوم قر » تتميمٌ للمعنى ومبالغةٌ في اللفظ ، وقال [الآخر] :
إذا الله أسقى دمتين ببقعةٍ من الأرض سقياً رحمةٍ فسقاها
وقال أبو الطيب^٤ :

صلّى الإلهُ عليكَ غيرَ مودّعٍ وسقى ثرى أبويك صوبُ غمامٍ
ومن هذه المبالغة في التتميم أيضاً قول امرئ القيس^٥ :
كانَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجِرْعُ الذي لم يثقبِ
فتناوله زهير فقال^٦ :

كأن فتاتَ العِينِ في كلِّ منزلٍ نزلن به حبُّ الفتنا لم يُحطِّمِ

١ ط د : الفتق .

٢ ط د : الملك الضليل .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٥٤ .

٤ ديوان المتنبي : ٤١١ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٥٣ .

٦ شرح ديوان زهير : ١٢ .

ويسمى أصحابُ البديع ما كان مخصوصاً من هذا النوع بالقافية : « الإيغال »
[والتتبع] وما كان في أضعافِ البيت : « المبالغة » و « التتميم »^١ ؛ ومن
المبالغة قوله^٢ :

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دبَّ حَوْلُ^٣ من الدَّرِّ فوق الإِتْبِ منها لأثْرا
وأخذه حَسَّان فقال^٤ :

لو يدبُّ الحوليُّ من وَلَدِ الدَّرِّ عليها لأنْدَبَتْهُ الكَلُومُ
فقصر حَسَّان عنه لأن امرأ القيس قال : « فوق الإِتْبِ » وهو ثوب ، وأيضاً
فإن في بيته معنىً متقدِّماً وهو قوله : « من القاصراتِ الطَّرْفِ » يريد أنها
غير متطلِّعة إلى غير زوجها ، وقيل : تقصرُ الطرفَ ألا يجاوزها إلى غيرها ،
كما قال أبو الطيب المتنبي^٥ :

وخصِرَ تَثَبَّتُ الأبصارُ فيه كأنَّ عليه من حَدَقٍ نطاقاً
وأصلُ هذا المعنى من قولِ امرئ القيس :

* بمنجردٍ قَيِّدِ الأوابدِ هَيْكَلٍ*^٦

ففرعه الناس فقالوا : قَيِّدُ العيون وقَيِّدُ النواظِرِ ، فأخفاه أبو الطيب
وملَّحَهُ ، والذي نهه على الزيادة فيه بشار بقوله^٦ :

١ انظر نقد الشعر لقدماء ، ٧٥ ، ٩٧ في التتميم والإيغال .
٢ هو امرؤ القيس ، ديوانه : ١٠٣ (ط . هندية) والصناعتين : ٣٦٠ .
٣ ديوان حسان : ٤٠ .
٤ ديوان المتنبي : ٢٧٩ .
٥ صدره : وقد أغتدي والطير في وكناتها .
٦ ديوان بشار : ١٤٢ (جمع العلوي) .

ومكَلَّلَاتٍ بِالْعِيُونِ طَرَفْنِي وَرَجَعَنْ مَلْسًا

وأخذه السريُّ فقال ١ :

أحاطتْ عِيُونُ الْعَاشِقِينَ بِخَصْرِهِ فَهَنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ
وَتَنَاوَلُ ابْنُ الْمُعْتَزِ مَا تَنَاوَلُ حَسَّانُ فَقَالَ [٢٣٢ أ] [وَتَجَاوِزُ الْحَدَّ] :

أَنَّ فَلَوُ مَرَّتْ بِهِ ذَرَّةٌ فِي رِجْلِهَا نَعْلٌ مِنَ الْوَرْدِ
لَمَزَّقْتُ دِيْبَاجَتِي خَدَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ جَالَتْ عَلَى الْحَدِّ

وقول ابن المعتز : « وتلجلج الناعي به » . . . البيت ، من قول المتنبي ،
وقد تقدم إنشاده ٢ :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدع لي صدقهُ أملاً شرتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

وأخذه أبو الحسين ابن الجدد فقال من شعري قد تقدم أيضاً إنشاده في القسم
الثاني من هذا المجموع :

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المني وقلتُ عساها في الأحاديثِ بُهتانُ

رجع :

وأنشدتُ له يصفُ خروجَ أهلِ بلنسية للحربِ العدوِّ في غير ثياب الحرب ،

١ ديوان السري : ١٦٧ .

٢ ط د س : إنشاد هذا المعنى ؛ وانظر ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وهزيمتهم [بموضع يُعرَفُ ببطرنة]^١ :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُلُلَ الحرير عليكمُ ألوانا
ما كان أقبَحهمُ وأحسنكمُ بها لو لم يكنُ ببطرنةٍ ما كانا

قال أبو الحسن : وذكرتُ بما وصفه عن أهل بلنسية^٢ من خروجهم
لقتال^٣ عدوهم في ثياب الحرير ، زينتهمُ ، ما حكاه أبو مروان بن حيان
في فصل من تاريخه الكبير ، في صفة أهل طليطلة ، وقد خرجوا لعدوهم
على تلك الهيئة ، فانهزموا وقتلوا :

قال ابن حيان : فلم يرُعِ الأسماعُ إلاَّ ورودُ الخبر بما صكَّها من
توريطِ المسلمين في جحيم ذلك المأزقِ ؛ ومما وقع [من] التعجبِ منهمُ
أنه أخذَ من البياضِ المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألفُ غفارة
من لبوسِ أهلِ الرفاهيةِ أيامَ المباهاة ، ركبوا بها إلى الطاغيةِ - قصمتهِ
الله - كأنهم وفدُ سلَمٍ يشهدون المعاقدةَ ، فيا للرجالِ حلومِ قنومِ
سُكَّانِ بَغْرِ مَخُوفٍ ، أبناءِ قَتَلَتِي وسلالةِ أُسْرَى ، قلَّما خلوا من
هَيْعَةٍ ، عدموا الراعي العَنُوفَ منذ حَقَبِ ، فنبذوا السلاحَ وكلِفُوا
بالترقيحِ ونافسوا في النَّشَبِ ، وعطَّلوا الجهادَ ، وقعدوا فوقَ الأرائكِ
مَقْعَدَ الجبابرةِ المتفاتنين^٤ ، من أهلِ مَوْسَطَةِ الأندلسِ ، ينتظرونَ مَنْ
ينبعثُ من أهلها للقتالِ عنهم حِسْبَةً ، ولا يَرْفِدُونَ المختلَّ مَمَّنْ

١ انظر نفح الطيب ١ : ١٨١ ، وبطرنة قرية من عمل بلنسية .

٢ ط د س : وصفه عنهم .

٣ ط د س : لحرب .

٤ د : المتفانين ؛ ط : المتفاتيئين .

رابطه إليهم بعليّهِ ، فتباً لهم تباً ! ! فتضعضع^١ ثَغْرُهُمْ بتوالي هذه النكبات ، ولحقت المسلمين بهم مضايقٌ يكرّبُ سماعُها ، حتى عمّ تلك [٢٣٢ ب] الثغورَ الجلاءُ ، ونوزّعَ المسلمين البلاءُ ، وخربت ديارُهُمْ ، وبادت آثارهم .

وذكرت [أيضاً] بهذه الحكاية ما حكاه الفرزدقُ عن نفسه قال : كنتُ أخرجُ أنا وجرير كلَّ يومٍ إلى المناقضةِ بالمربد ، ويحضرنا وجوهُ أهلِ البصرة ، وكنتُ أُرسلُ كلَّ غداةٍ إلى جرير عينا^٢ ، فإذا لبسَ زياً لبستُ أحسنَ منه أو مثلهُ ، أباهيه بذلك ، فجاءني عيني^٣ عليه يوماً فأخبرني أنه في حُلّةٍ فاخرةٍ وزيٍّ من الرفاهية ، وأنه على قتلوصٍ في مرّكبٍ نبيلٍ ورحلٍ ظاهر ، فسرتُ في مثلِ ذلكِ الزيِّ ، وانتهيت إلى المربدِ فلم أجدهُ ، فلم يرُعني إلّا انقضاضُ فارسٍ قد اعتقل قناةً خطيّةً وظاهر بين درعين ، وتقنّع بالحديد ، فلم يظهر إلّا عينهُ ، وجاء حتى ركّزَ قناته إلى جنبي ، وأنا أشبهُ شيءٍ بالهديّ تُزَفُّ إلى بعلها ، فإذا جريرُ رافعٌ عقيرتهُ يُنشدُ :

أَعِدُّوا مَعَ الحَلَتِي المَلَابَ فلَمَّا جريرٌ لكم بعلٌ وأنتمُ حلالُلهُ

فانصرف الناسُ بذلك البيت ، وانصرفتُ أخزى مُنصَرَف .
وقولُ ابنِ المعلّي : « لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا » . . . البيت ، يسمي بعضُ أهلِ النقدِ هذا النوعَ من البديع « الإيماء » ، وهو عند بعضهم من أقسامِ الإشارة ، وهي من غرائبِ الشعرِ ومُلَحِّهِ ، ويدلّ على بُعدِ المرمى ،

١ ط د س : قد تضعضع .

٢ ط د : عبداً .

٣ د : فجاءني من أرسلكه ، وفي ط بياض .

وليس يأتي بها^١ إلاّ الشاعرُ المبرّز الماهر ، وهي في كل نوعٍ من الكلام
لمحةٌ دالة واختصار وتلويح ؛ قال أبو علي بن رشيقي في كتاب « العمدة »
له^٢ : فمن الإيماء المليح للمتقدمين قولُ قيس بن ذريح :

أقول إذا نفسي من الوجدِ أصدّدت لها زفرةً تعتادني هي مساها
ومثله قولُ كُثَيِّر^٣ :

نجافيت عني حين لا لي حيلةٌ وخلففت ما خلفت بين الجوانح
فقوله : « وخلففت ما خلفت » إيماءٌ مليح .
ومن أنواع الإشارة : « التلويح » كقول المجنون^٤ :

لقد كنتُ أعلو حُبّاً ليلي فلم يزل بي النقض والإبرام حتى علانيا
فلوّح بالصحة والكتمان ، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً ؛ وإياه عنى
المتنبي^٥ بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال^٦ :

كتمتُ حَبِّكَ حتى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثم استوى فيكٍ إسراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاضّ عن جسدي فصار سقمي به في جسم كتمانِي [١٢٣٣]
فأخفاه وعقده كما تراه ، حتى صار أحجيةً يتحاجاها^٧ الناس ؛ ومن أجود

١ ط د س : بهذا .

٢ انظر العمدة ١ : ٢٠٧ .

٣ ديوان كثير : ٥٢٦ ، وينسب أيضاً لغيره .

٤ ديوان المجنون : ٣٠٠ .

٥ ط د س : وإليه ذهب بقوله أبو الطيب .

٦ ديوان المتنبي : ٥٢ . ٧ ب م : يتلافها .

ما وقع في هذا المعنى قولُ النابغة في طول الليل^١ :

تقاعسَ حتى قلتُ ليس بمنقُصٍ وليس الذي يرعى النجومَ بأيبِ
والذي يرعى النجومَ هنا هو الصبح ، أقامه مقامَ الراعي الذي يغدو فيذهبُ
بالإبلِ والماشيةِ ، فيكونُ حينئذٍ تلوِيحُهُ هذا عجباً في الجَوْدَةِ . وزعم
بعض أهلِ النظر أن الذي يرعى النجومَ هنا إنما هو الشاعر الذي شكَا السهرَ
وطولَ الليل ، وليس هذا الزعمُ لذي فهم^٢ ؛ وقد ذكر أن الأيب لا يكون
إلا بالليلِ خاصة ، ذكر ذلك عبد الكريم بن إبراهيم .

ومن أنواع الإشارة « التفخيم » كقول كعب الغنوي^٣ :

أخي ما أخي لا فاحشٌ عندَ بيتِهِ ولا ورِعٌ عندَ اللقاءِ هَيُوبُ

ومن أنواعها « التعريضُ » والرمزُ واللغزُ » واشتقاقه من لغز اليربوع ، إذا
حَقَّرَ مستقيماً ثم أخذَ يَمَنَةً ويسرةً ، ليوري [ويعمِّي] على طالِبِهِ ، و [منه]
قول امرئ القيس^٤ ، وبعضهم يُسمِّيهِ : « التتبيع » .

ويُضْحِي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها نؤومُ الضحى لم تتطيقِ عن تفضُّلِ

يعني أنها مخدومةٌ مكفّية المؤونة ، فأتى في هذا البيت بثلاثِ إشارات كلها
تتبع ، ترك الصفةَ فأتى بما يتبعها ؛ وبعضهم يسمِّي هذا النوعَ « الارداف » .
ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممدوقاً :

١ ديوان النابغة : ٥٥ .

٢ ط د س : وليس هذا الوجه بشيء .

٣ الأصمعيات : ٩٧ .

٤ ديوان امرئ القيس : ١٧ .

جاءوا بملق^١ هل رأيت الذئب قط

فأشار إلى تشبيه لونه ، لأن الماء إذا غلب عليه صار كلون الذئب انتهى كلام ابن رشيقي .

قال أبو الحسن : واستقصاء هذه الألقاب^٢ في كل باب ، مما يوضح حجم الكتاب ، وقد تفرق^٣ من أنواع البديع ، في أثناء هذا المجموع^٤ ، ما فيه كفاية ، ويربني على النهاية^٥ .

إيجاز الخبر عن وقعة بطرنة التي ذكر

قال أبو الحسن ! قد جهدت أن أجده هذا الخبر في ما وقع إلي من كتاب أبي مروان^٥ ، فأوليه حكمته ، وأعتمد فيه وصفه الراق ونظمه ، فأعياني مرأته^٦ ، وغرب عني سوامه^٧ ، وأنا أثبتته^٨ ، حسبما التقطته ، من فم من شهيد ذلك ، وحدث عما [جرى] هنالك [٢٣٣ ب] ممن لا يحسن الوصف ، ولا يجيد الرصف ، بيد أنني أتحري الصواب ، وأتبع الصريح اللباب :

حدثني غير واحد من أهل بلنسية^٧ قال : دلفت [إلى] بلنسية

١ ط د : يضح ؛ س : يضح .

٢ ط د س : واستقصاء ما يمرض .

٣ ط د س : وقد تفرق في تصانيف هذا التصنيف من ذلك .

٤ ط د س : الغاية .

٥ ط د س : قال ابن بسام لم يقع لي هذا الخبر في كتاب ابن حبان .

٦ ط د س : فإذا أعياني . . . فانا أصفه .

٧ أورد ابن عذاري وصف المعركة (٣ : ٢٥٢ - ٢٥٣) اعتماداً على ما ذكره ابن بسام .

[سنة خمس وخمسين] قطعة من الافرنجة ، كدّين آفاق هذه الجزيرة المروع — كان سرّ بها ، الذلول بتناصر غوغائيا ، وتخاذل أمرائها ، [يومئذ] صعبها ، من طواغيت الروم المحيطين بجهاها ، أبناء المخرّجين من جنّاتها ، الموتورين بأيدي المسلمين حُماتها ، أيام رسوخ أقدامهم في عرّصاتها ، واجتماع كلمتهم على الذبّ عن حوزاتها ، فسَمّوا إليها لأوّل إطباق الفتنة ، واشتمال [تلك] المحنة ، مُضيين لأحكامهم المفسوخة ، مقارعين عن ملّتهم المحوّة المنسوخة ، مغنمين^٢ للفتنة ، متنسّمين لروح الكربة ، فسال منها يومئذ بيلنسية سَيْلٌ عَرَمٌ عَفَى على ما [كان] بها من بهجة ورونق ، ومزّق أهلها بأطراف الرماح وظُبا الصفاح كلّ مزق . قال المحدث : فأناخت تلك القطعة يومئذ بيلنسية سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وأهلها : جاهلٌ غرّ أو مترفٌ مغشّرٌ ، أو غفلٌ لا خيرَ ولا شرّ . قد خَلّوا بشهواتهم ، وانخدعوا بإغضاء^٣ الدهر عن غراتهم ، لا عهدَ لهم [يومئذ] بصريح إلّا من كاس شمول ، أو لحظات أعين^٤ كحيل ، ولا بعان كنيع^٥ إلّا لعتاب خليل ، أو إعراض حبيب ووصول ، مغفلين للتدبير ، غافلين عما يتّعاور أطرافهم من الحذف والتغيير ، فطار بهم الدُّعْرُ^٦ كلّ مطار ، وسارت عن زعمائهم في استقبال محنتهم تلك أعجب أخبار ، ثم كأيدهم العدو بإظهار^٧ الاضطراب ، والاستتار

١ ط د : بتنازع .

٢ ط د : مستظرين .

٣ البيان : باغفاء .

٤ ط د : أغر .

٥ العاني الكنيع : الأسير المتقهقش في قده ؛ ومنه قول متمم « وعان ثوى في القدح حتى تكنما » .

٦ د : العدو ؛ وفي ط : يياض .

٧ ط د : باضممار .

عن عيونهم ببعض تلك الهضاب ، استدراجاً لهم واستطراداً ، وجيداً في طلب مكروهم واجتهاداً ، فهاج رعاؤهم ، ونادى بالنفير مهنتهم وصناعتهم ، حتى بلغني أن مخنثين من مخنثيها تناديا إلى الخروج ، وقد حلما بسبي العلوج ، فهما يتنازعا إلى المنى ، ويقولان نحن أعلم بفعلات القنا ، وهيهات ! تلك أقصف للظهور ، وهذه أشقى لبعض الصدور ، وخرجنا ولا سلاح إلاّ رشاء تجاذبه ، ثم اصطلحا بعد فقسماه ، لا يستريان بضيق المنهاج ، ولا يشكان في اقتياد الأعلاج ، وساعد أولئك الرعاع الحائنين^١ أميرهم [يومئذ] المترف^٢ عبد العزيز بن أبي عامر - المتقدم الذكر - فخرج بالعين والنفير ، والجم الغفير ، بحسب الطعن كالقنبل ، ولم يكن من محبين ، ويظن^٣ السيوف كالقل ، ولم يتعقب على مشتهين^٤ ، ويتخيل صليل الحسام ، بين القسصر والهام ، ما كان اتسع له ذرعه ، ومرن عليه سمعه ، من [٢٣٤ أ] نغم الأوتار ، وترنم الأطيّار ، فلم يرع العدو يومئذ إلاّ خروج أهل بلنسية الأغمار الأغفال ، إلى تلك المصارع والآجال :

يمشون^٥ مشي قطع البطاح تأوداً هيف الحصور^٥ رواجح الأكفال^٦

فظفر [العدو] منهم يومئذ بغنيمة أحلى من السرور ، وأبرد من النسيم على كبّد المخمور ، أتاها من ظهورهم ، فحكّم السيف في جمهورهم ،

١ ط ب د س م : الحائنين .

٢ ط : المنزف .

٣ ط د : مشبهين ؛ ب م : مشبهين .

٤ ط د س : يمشين (وهي الرواية الأصلية) .

٥ ط د : البطون .

٦ البيت للكميت في الأغاني ٨ : ٢٢٧ والحيوان ٥ : ٢١٧ وديوانه ٢ : ٥٣ .

فلم يبقَ إلّا من أحرزه أجلكهُ ، وخفيَ على [سهم] المنية مقتله .
 حدثني^١ من رأى ابنَ أبي عامر يومئذ متحصّناً بربوةٍ بين لمةٍ من
 فرسانه ، يُنشدُ وقد عقد الرعب^٢ عَدَبَةَ لسانه :

خليليَّ ليس الرأيُ في صدرٍ واحدٍ أشيرا عليَّ اليومَ ما تريانِ
 فنجا منها مننَجى أبي نصر ، بعد أن أعطى على القسر^٣ ، ولم يحفل بما
 أحاط به من أصحابه المغترّين به من قتلٍ وأسر .

في ذكر الأديب أبي عامر بن الأصيلي واجتلاب جملة من شعره^٥

وكان أبو عامر جوابَ آفاقٍ ، وناظماً وناثراً باتِّفاقٍ ، وله بيتٌ شرف ،
 وسابقةٌ سَكَف ، وقد أثبتُ بعضَ ما وقع إليَّ من شعره ، على معرفتي
 بقدره ، لنباهةٍ سلفِهِ واشتহারِ ذكره .

فصل^٦ له من رقعة : أنت - أعزّك الله - أشدُّ استِثباتاً ، وأكرمُ
 التفاتاً ، من أن تتأملَ ما ينقلُهُ الواشون ، وتبتغِ بهِ واجسك سُوءَ الظنون ،
 فتبيِّنَ بهِرجَ قولٍ لم يُعرَهُ الحقُّ نورَهُ^٦ ، ولا الصدقُ ظهوره . والوزيرُ

١ ط د س : أخبرني . ٢ ط د س والبيان : الذعر .

٣ ط د س : قسر .

٤ ط د س : يحفظ ما .

٥ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ والمسالك ١١ : ٤٥٣ والخريدة ٢ : ٣٠٨ (ط) .
 تونس) والنقل فيها عن ابنِ بشرون .

٦ ورد في ب م بعد هذا : « وكان الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم سويداء قلب ذلك
 الاقليم . . . من شدة » وستأتي بعد ص : ٨٦٥ - ٨٦٦ ولهذا أسقطتها من هذا الموضع .

أبو القاسم بن صارم ، ظالمٌ لي وإن كان غيرَ ظالم ، [٢٣٤ ب] فإنه
نَقَصَ فاضلاً ، وقطعَ واصلاً ، وتَمَيَّعَ يسيراً ، وعظَّمَ حقيراً ، تَقَمَّنَا
لمسرةٍ ولدٍ له مدللٌ يحسبُ أن كسرى من أعوانِهِ ، وأن هاروتَ ينفثُ
عن لسانه ، [يتعاطى ما لا يُحسِنُ ، ويحقرُ ويمتهنُ ، فيورطُ أباه في
بحور السباب ، ويبيعُ عِرْضَهُ لَألسنةِ الشعراء والكتّاب] وجرى عليّ بجهتك ،
التي أَلَمْتُ بها من أجلك ، وتسترتُ [فيها بظُلُك ، تطاولٌ لم تَقْبَلْهُ
طباعي ، ولا استقرَّتْ عليه أضلاعي ، إذ لم أعهدْ مثله] في سائر البلاد ،
ولا مُنِيتُ بشكليه في حاضرٍ ولا باد ، وذلك أن الوزيرَ الأعلى أبا عامر ،
القائدَ الشجاعَ الشاعرَ - أنهض الله همتهُ ، وضمَّخَ بمسكِ الثناءِ لِمَتِّهِ ٢ -
أراد أن يُدخلني تحت قدمه ، ويعدّني من خَوَلِهِ وَحَشَمِهِ ، وتوهم أنه
يستطيع بعزته عليّ ، ويستميلُ بكثرةِ دراهمه مَنْ لديّ ، فأدركني لذلك إباءٌ ٣
أوقع الوحشةَ بيني ٤ وبين أبيه ، ونقلني عن حُسْنِ ظَنِّي فيه ، فلم يُمْنِهني
غايته غيرَ ثلاث ، حتى تسبب إليّ بأسباب رثاث ، كانت سبباً لانزعاجي
دون تسليمٍ ولا توديع ، وفراري فِرارَ الخائفِ المروع .

١ ط س د : عند .

٢ وذلك أن الوزير . . . لِمَتِّهِ : لم ترد في د ط س ، وورد في موضعها « وذلك أنه أراد أن
يدخلني » ، والسياق في ب م مخالف لطبيعة الرسالة إلا إذا حمل محمل التهكم .

٣ ط د : ما .

٤ د ط : يهينه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال يتذكّر وطنهُ بسرّفسطة^١ ويضمّن^٢ بيتين من إنشاد الثعالبي لبعض أهل عصره^٣ :

على سرّفسطة أبكي دماً وأموأها العذبة المحيية^٤
وقوم كرام فواحسة^٥ على الجمع منهم أو التثنية
وأصبحتُ في بلدة أهلها سباع لأهل النهى مؤذيه
كان^٦ بلنسية زينت لشاطبة فاختفت^٣ مُرسية
تعوّضتُ منها بأرض أرى أفاعيل أربابها^٤ ملهيه
فكم كاس ذل تجرّعتها ولم أبدها وهي لي مخزيه
وكم ليلة بثها طاوياً ونفسي عن^٥ الكشف مستحيه
« وقد يلبسُ المرءُ حرّ الثياب ومن تحتها حالة^٦ مضنيه »
« كما يكتسي خدّه حمرة^٦ وعلّتها ورَمٌ في الرية^٦ »
عسى الله يُعقبنا صحة^٦ فمن عنده الداء والأدويه

١ ط د : وضمن .

٢ من إنشاد . . . عصره : سقط من ط د .

٣ ط د س : فاختفت .

٤ ط د : سكانها .

٥ ط د : حل .

٦ هذا البيت والذي يليه لأبي الفتح البستي (اليتيمة ٤ : ٣١٤ والتشيل والمحاضرة : ١٨٣) وأوردهما صاحب المسالك للأصيلي خطأ .

وقال وهو يَقْلَمُ رِيَّةَ من عمل الطاغية^١ اذفونش^٢ - قصمه الله - :

قلقتُ وحقَّ بأنَّ يَقلِّقا	مصونٌ غدا غَرَضاً للشقا
حلتُ بلاداً كسَّتني بها	يدُ الليثِ من سقمٍ يلمقا [٢٣٥أ]
وردتُ قلمريَّةً طامعاً ^٣	فلم ألفِ برّاً ولا مرَفَقاً
حرِمتُ كأني دونَ الوري	طلبتُ العَفْوَقَ بها الأبلقا
[ورمتُ الرجوعَ ومَن لي به	وقد غلَّقَ البابَ من غلقا
إذا الشوقُ مرَّ على خاطري	شرقتُ وحقَّ بأنَّ أشرقا]
أحبابنا هل لنا رجعة	وهل لي بكم أبداً ملتمقى
توركتُ بحرَ الأسى بعدكم	ولاني لأحذرُ أن أغرقا
وصرتُ وإن كنتُ ذا همة	وحزمٍ بأيدي النصارى لَتقى
يقولُ أناسٌ ولو أنصفوا	لكذبَ فيَّ الذي صدقا
فلانٌ حريصٌ به نُهْمَةٌ	إلى الرزقِ من قبلِ أن يرزقا
وليس ، ولكن نحوسي أبت	بسُوقِ النباهةِ أن تنفقا
ولو وُفِّقَ المرءُ في سعيه	تخيَّرَ في رزقه وانتقى
تلوّنَ دهري بأحداثه	عليَّ فشبهتُهُ عَقَعَقا

وكان أبو عامرٍ مشحوداً المديّةِ في الكدية ، وهي التي بلَّغَتْهُ كما ترى
إلى بلادِ النصارى^٥ .

١ ط د س : بعمل ؛ ط د : الطاغوت .

٢ ب ن م : اذفونش .

٣ ب م : طامعاً .

٤ ط د : تورطت ؛ ب م : تدرطت .

٥ ط د س ؛ إلى بلاد كما ترى .

وهو أيضاً القائل ، وقد تطوّفَ على بلاد الساحل ، فما حظي^١ أيضاً
منها بكبير طائل :

إلى أين الفرارُ ولا فرارُ	ومن لي بالقرارِ ولا قرارُ
أرى الأوغادَ يعتمرون دُوراً	ومالي في بلادِ الله دار
إذا ركبوا المذاكي والمطايا	فمركوبي على شَرَفِي حمار
أجولُ فلا أرى إلّا رِيعاً	كبارُهُمْ إذا اختُبِروا صغار ^٢
أباجةٌ لا وقاكِ الله شراً	فأهلكِ أهلُ مفسدةٍ شرار
أشائبٌ لا جزاكِ الله خيراً	فلا خيرٌ لديكِ ولا خيار
أشنتِ مَرِيَّةً قُبِحتِ داراً	كؤوسُ المعزياتِ بها تدار
أشلطيشُ ألا غرقَ وشيكُ	تموجُ على ثراكِ به البحار
أونبةٌ تعدتُكِ الغواذي	ولا هطلتِ بساحتكِ القطار
أبلّةٌ كنتِ صالحةً ولكن	أتى ابن حليفةٍ وأتى الشنار
بلادٌ عُرِيَتْ من كلِّ خير	فملبس ^٣ أهلها مَسَتْ وعار ^[٢٣٥ب]
غَلَطْتُ فزرتُها فرأيتُ قوماً	منازلهم وإن عُمِرَتْ قفار
تُرَدُّ عليّ أشعاري ويحفي	رسولي ، والنباهةُ لي شعار
شعوتُ بها على كَرِهٍ فغطى	على جدّي ومعرفي الغبار

وله مما كتب به للحصري :

حلفتُ بمحكم السُّورِ ومنزلِ محكمِ السُّورِ

١ ط د : حلي .

٢ سقط البيت من ط د ، وفي موضعه : « ومنها » .

٣ ط د س : ملابس . ٤ ب م : به ، وسقط من ط د س .

وَمَنْ بَعُدَتْ جلالته عن الإدراك والنظر
وما سَنَّ النبيُّ لنا وما أبقي من السير
ولاً لستُ منه وَمِنْ أبي بكر ومن عمر
لقد أولى الزمانُ يداً سأشكرها مَدَى عُمري
أطالَ يدي وفضلني بلقى الفاضلِ الحُصَري
أقولُ ، لمن ينافِسُهُ رويدكَ لستَ ذا بصر
تخلُ عن البديعِ له وسَلِّمُ فيه للقدر
شهدتُ له على علمي بسبقِ البدو والحضر
وجئتُ إليه معترفاً بما في الباعِ من قِصر
وما أدلتُ من أَشْيَرِ ولا استرسلتُ من بطر
ولكن خاطري أبدى له ودِّي على خَطَر
جعلتُ بضاعتي تمرأ وجئتُ بها إلى هَجَر
ذكرناهُ بواجبه وهل يخفى سنا القمر
طمعنا أن نفاكِههُ فجئنا النجمَ بالشرر
فكيف نطولهُ طولاً ومن للعُورِ بالخور
وليس الغَرْفُ من بحر كمثلِ النحتِ في الحجر

وهبط ١ [أيضاً] إلى الأشبونة [أيام كوني بها] وقد أصبح به المنصور
إلى قائدها كتباً في معناه ، فحَسُنَ بها مثواه ، وأجْزَلَ بها قراه ، وزرته
ونزلتُ عليه في منزلهِ أوَّلَ التقائي به في لمة من أهلِ الأدب ، فلما انصرفنا
عنه خاطبَ كلَّ واحدٍ منا بأبيات شعر يشكرُ على ما تهيأ له هنالك من البرِّ ،
واعتمد بمخاطبته أيضاً غلاماً وضيءَ الوجه [وسيماً] ، وكان زاره معنا ،

١٠ وردت هذه الفقرة موجزة في د ط س .

يسمى عيسى ، وخرج في وصفه إلى النسيب ، فمن شعره مما خاطبني
به أبيات أولها :

يا دوحة العلم والآداب والخُطَبِ ومن غدا فارساً في حَلَبَةِ الطَّلَبِ
ماذا تحيطُ به من علمٍ مسألةٍ سألتُها منك بين الجَدِّ واللعبِ
وردُ الحدودِ ووردُ الروضِ أيهما أجلُّ عندك يا ذا العلم والأدبِ
وقهوةُ الريقِ والصهباءِ واحدةٌ أم قهوةُ الريقِ تحزي قهوةُ العنبِ
وما سألتك عن جهلٍ بأمرهما لكن نزعْتُ إلى شيءٍ من الطربِ^١ [٢٣٦]

فراجعتُهُ بأبياتٍ منها^٢ :

طوّقتَ كلَّ أديبٍ طوقَ لؤلؤةٍ غرّفتَها من بحورِ العلمِ والأدبِ
لكن أجدتَ رويَّ السنين من شغف إذ همةُ الليثِ في المسلوبِ لا السلبِ

فراجعتني [ثانية] بأبيات قال فيها :

إليه أبا حسنٍ يا راقمَ الصُحُفِ ما إن أجدنا رويَّ السنين من شغف
لكن طربتُ لما ألقاه من حُرْقٍ وما أكابده من شدّةِ الكلفِ
وما انتفاعي بمحبوبٍ أفارقهُ عما قريب ولم أربحْ سوى الدنفِ
[هذا الذي في الهوى قسراً يزهدني ولو سكتُ لكان العذرُ غيرَ خفي]

وله في الوزير الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري بالأشهبونية ،
قصيدة خمسة وتضمن أبيات المتنبي ، يقول فيها^٣ :

١ جاء في د ط س بعد هذا : « وكان اعتمد مخاطبته غلاماً وسيماً يسمى عيسى فراجعته ... الخ » .
٢ ط د : قلت فيها .
٣ ط د س : وله من قصيدة خمسة اندرج له فيها قصيدة المتنبي ؛ والأبيات المضممة من قصيدة المتنبي في ديوانه : ١٧٤ - ١٧٨ .

دَبَّارٌ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ وَمِينَهَا نَفَضْتُ يَدِي مِنْ سَامِهَا وَبَلَحِينَهَا
فَقُلْتُ وَنَفْسِي قَدْ تَصَدَّتْ لِحَيِّئِهَا ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمَفْتَرَقٌ جَارَانِ دَارَهُمَا عَمَرُ

فَلَا تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ سُكْرًا وَلَا كَرَى فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا هِمَّةٌ تَذَرُ الْوَرَى
وَنَفْسٌ تَرَى أَشْهَى مِنَ الدَّعَةِ السَّرَى وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تَرَى
لَكَ الْهَبَاتِ السُّودَ وَالْعَسْكَرُ الْمُتَجَرُّ

وَأَخَذُكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا كَانَ أَحْزَمًا وَكَفَّفَكَ فِيهَا عَنْ عَسَى وَلَعَلَّمَا
وَصَدُّكَ عَنْ وَصْلِ الْأَوَانِسِ كَالدَّمَى وَتَرَكُوكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْسَلُهُ الْعَشْرُ

وَرَبَّ أَمِيرٍ مُفْرِطٍ فِي احْتِيَالِهِ قَبَضْتُ يَمِينِي نَخْوَةً عَنْ شِمَالِهِ
وَنَزَهْتُ نَفْسِي رَفْعَةً عَنْ نَوَالِهِ وَمَنْ يَنْفَقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
خَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

أَهْبَيْلَ زَمَانِي وَذِكْمٍ غَيْرُ خَالِصٍ فَلَسْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَقِيَتْ بِشَاخِصٍ
شَكَرْتُ وَشُكْرِي رَعْدَةٌ فِي الْفَرَائِصِ إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
[٢٣٦ ب]

عَلَى هَيْبَةٍ فَالْفَضْلُ فِي مَنْ لَهُ الشُّكْرُ

تَجَنَّبْتُ فِي أَشْبُونَةِ آلِ أَخْطَلٍ وَأَمَلْتُ رَكْنِي فِي الْخَطُوبِ وَمَعْقَلِي
قَطَعْتُ إِلَيْهِ كُلَّ بَيْدَاءٍ مَجْهَلٍ وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآثِي كَأَنِّي لِي
سَوَى مَهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

١ بعد هذا في ط د س : وفيها يقول .

سَعَيْتُ وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ « مِنْ سَعَى رَعَى » إِلَى أَنْ لَقَيْتُ النَّاسَ أَجْمَعَ أَكْتَعَا
فَتَى لَوْذَعِيًّا بِاسْمِ الثَّغْرِ أَرَوْعَا مَفْدَى بَابَاءِ الرِّجَالِ سَمِيدَعَا
هُوَ الْكَرْمُ الْمَدُّ الَّذِي مَالَهُ جَزْرُ

سَرَيْتُ إِلَيْهِ أَهْتَدِي بِضِيَائِهِ وَيُرْشِدُنِي فِي الْفَقْرِ طَيْبُ ثَنَائِهِ
وَمَا زِلْتُ أُسْتَسْلِي بِطَوْلِ بَقَائِهِ وَأُسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَيْرُ الْخُبْرُ

إِلَيْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ أَدَّى بَنَاءُ الْهَوَى وَمَنْ عَرَفَ الْأَطْوَادَ حَادٍ عَنِ الصَّوَى
أَمْنَاكَ وَالْإِخْلَاصُ مُسْتَحْكَمُ الْقَوَى وَجَنَّاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونِكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْتَجَى وَيَا كَوْكَبًا يَذْكُو إِذَا حَادَتْ دَجَا
وَيَا مِيقَلَدَةَ الْمَحْيَا إِذَا الْبَابُ أُرْتَجَا دَعَانِي لِإِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحُجَى
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ

لِمَجْدِكَ عِنْدِي حَكْمِي فُخْرِ نَعْوَتِهِ^١ وَوَدَّ كَمَاءِ الْمَزْنِ صَبْحَ ثَبْوَتِهِ^٢
فَدَعُ كُلَّ شَعْرٍ فُطْبَعِي يَفْوَتِهِ وَمَا قَلْتُ مِنْ شَعْرٍ تَكَادَ بِيَوْتِهِ
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ^٣ مِنْ نَوْرِهَا الْخَبْرُ

[قَالَ ابْنُ بَسَامٍ] : وَكَانَ الْوَزِيرُ الْفَقِيهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [مُحَمَّدٌ] ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ،
سَوِيْدَاءَ قَلْبِ ذَلِكَ الْأَقْلِيمِ ، وَجَلَسَهُ بِالْأَشْبُونَةِ مَرْمَى جِمَارِ الْمُنْثَوْرِ وَالْمَنْظُومِ ،
هُوَ الْمَقْتُولُ هُنَاكَ الْمَظْلُومُ^٣ ، - رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ ، وَقَتَلَ قَتَاتَهُ - ؛ وَلَمَّا

١ ط د : ب ي . في النسخ : يفوته .

٣ ط د س : وقتل بها ظلماً .

كُسِفَ ذلك النيرُ المشرق، وأظلم عليهم بغتة^١ الأفق ، انطلقت [بالغرب يومئذ] أيدي الدهماء ، إذ عدموا مَنْ كان يُفيضُ عليهم أنوارَ الآراء ، فيقبلونها [٢٣٧ أ] قبولَ الكواكب لشعاع ذُكاء ، ويُدني من لبائاتهم ما شَسَع ، ويستنزلُ بها ما امتنع ، بآراء سديدةٍ الأنحاء ، كالسيوف في المضاع ، وسياسات لطيفة : من شدةٍ ولين ، وحركةٍ وسكون ، وكنت قد علكتُ منه في ذلك الغربِ بالحبلِ المتين ، وأسندتُ منه إلى ثبيرِ الحصين ، وتبواتُ منه أرحبَ مَرَبَع ، وأخصبَ مرتع ، وفي وصفٍ سؤدده وفضله ، وكيفية قتله ، طولٌ خارجٌ عن غَرَضِ هذا المجموع^٢ . ولأبي عامر الأصيلي في تأبينه قصيدة أولها^٣ :

على مصرعِ الفهريِّ ركني وموئلي	بكيثُ وأبكي طولَ دهري وحقَّ لي
أوبنُ من مات الندى يومَ موته	وقلَّصَ ظلُ الجودِ عن كلِّ مُرمِلٍ
وما كان صمتي منذ حينٍ لسلوةٍ	ولكنَّ عظمَ الرزءِ أخرسَ مقولي
إلى أيِّ طودٍ يُسْنِدُ الشعرُ بعده	وقد حطَّ منه الدهرُ أركانَ يذبل
تولى ابنُ إبراهيم فالغربُ بعده	لكلِّ غريبِ الدارِ حلقةٌ جلجل
فأصبحتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ	تنادي ألا بُعْدًا لكلِّ مؤمل
خليليَّ مالي لا أذوبُ ولاني	لأطوي الحشا منه على غليِّ مِرْجَل
وفي من يُحاكُ المدحُ جزلاً كأنما	أنى عن لبيدٍ قوةٍ ومهلل

١ ط د : بعده .

٢ ط د س : يشق سرده أضربت عنه لبعض الأمر .

٣ منها ثلاثة أبيات في المغرب .

٤ المغرب : أرمل .

٥ ط د س : ولكن عظيم .

ألا أيُّها النّوَامُ هبُّوا لتسمِعوا جدالَ قَتِيلٍ بالرزَايا مجدل
أما إنه والحقُّ أبلجٌ واضحٌ لقد جثمُ بالعارِ يا آل أخطل
غدرتمُ فكان الغدرُ منكم سجيّةً ففى العلم والمجدِ التليدِ المؤثّل
لثامٌ رعاغٌ جاهلون تحاسدوا على قتلِ صنيديدِ أغرَّ محجل
سقى الله قبراً ضمَّ جسمَ محمدٍ سحائبَ ترى بالحيا المنزل
وجازاه عن إحسانِهِ وأثابه جزاءَ المنيبِ القانتِ المتبطل
سأندبُهُ عمري وإن قالَ قائل « رويدك لا تهلكِ أسيّ ونجمل »
وأتبعه ذكراً بشعر كأنّه « نسيمُ الصَّبَا جاءتْ بريّاً القرنفل »

فصل في ذكر الأديب أبي الفضل

جعفر بن محمد بن شرف^١ [٣٢٧ب]

ذو مِرَّةٍ لا تناقض ، وعارضةٍ لا تعارض ، وطراً أبوه على جزيرة
الأندلس من بلدة القيروان، حسبما نشرحه إن شاء الله في ما يأتي^٢ من هذا
الديوان ؛ وأبو الفضل هذا [أيومئذ] لم يَصُبْ قَطْرُهُ ، ولا خَرَجَ من
الكمامة زَهْرُهُ ، ومن المريّة درجَ وطار ، وباسم صاحبها أنجدَ ذكره وغار ،
وهو اليومَ بها قد طَلَقَ الشعرَ ثلاثاً ، ونقضَ غزله [بعد قوة] انكاثاً ،
وارتسم في حُدّاقِ الأطباء ، واشتمل بما بقيَ له هناك من الجاهِ والثراء ،

١ خرج عن القيروان سنة ٤٤٧ هـ واستوطن برجة من ناحية المرية ، وكان شاعر وقته غير مدافع، وله تواليث في الأمثال والأخبار والآداب والأشعار ، توفي عصر الثلاثاء منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ (انظر الصلة : ١٢٩ والقلائد : ٢٥٢ والمطرب : ٧١ والمغرب ٢ : ٢٣٠ وبغية الملتبس رقم : ٦١٠ والخريدة ٢ : ١٧١ (ط : تونس) والنفح ٣ : ٣٩٥)
٢ طردس : في القسم الرابع

ولم أظفر من شعره ، إلاّ بما لا يكادُ يفني بِقَدَرِهِ ، وقد أثبتتهُ على نَزَرِهِ ،
لئلا يُخِلَّ بكتابي إهمالُ ذكره .

فصل له من رقعة في ^١فتح بلنسية : من ذكر - أعزك الله - عهدك
الكريمَ والتزامه ، وأبصرَ مجدك العميمَ وانتظامه ، ووضع نفسه حيث
وضعها ماضي الدّمام ، وأنزلها منك حيث أنزلتَها تلك الأيامُ الكرام ،
وعلم أن رَبَطَكَ مُبَرِّمُ الشَّدِّ ، وضبطك مُحَكِّمُ الْعَقْدِ ، وإن وافاك
أكبرُ من رضوى جسدًا ، وأكثر من حَزْوَى عددًا ، تخطى بِقَدَمِ العهد ،
وتخطى بِقَدَمِ الودِّ ، حتى زارَ الصفائحَ بالصحائف ، وبأشر ^٢الكتائبَ
بالكتب اللطائف ، وحيّاكَ بلسانِ الأقلام ، تحت لسانِ الأعلام ، حين ^٣
أشرقَ وجهُ الدينِ فأسفر ، وزهقَ حُزْبُ الملّحين فنفر ، وأقبل الفتحُ في
لمةِ التأييد ، يرفلُ في ثوبِ النصرِ الحديدِ ، وجاء الوعدُ الناجزُ ببلنسية
تجذبها أعنةُ الأقدار ، وتسوقها أحكامُ الجبّار ، فالآن قد نُشِرَ الميثُ من
لحده ، وعادَ الحسامُ إلى غمده ، فسبحانَ من سبَّبَ ما سبَّبَ ، وأدبَ
بالموعظة من أدبَ ، تحصَّ الدّلة فأزالها ، وقدَّرَ العثرة فأقالها ، وأعاد
نعمتهُ كان قد أذهبَ خضراءها ، وأبادَ غَضْرَاءها ، وفتح باباً سدَّ رتاجه ،
وصدَّ منهاجه ، حتى خرَّ شامخه ، وذلَّ ^٤بأذخه ، [ثم نشر ميثه ،
ونجَّدَ بيته] ، فهبَّتْ ريحُ النصر ، ومدَّ بحرُ الظفر بعد الحَسَر ^٥:

١ ط د س : وذكر فيها .

٢ ط د س : وقاس .

٣ ب م : حتى .

٤ س : ووهن .

٥ ب م : وزال .

٦ ب م س : الحصر .

فقل* - أعزك الله - في فتح عمّ الله ببهجته قلوب المؤمنين ، وخصّ بالفضل فيه أمير المسلمين [وناصر الدين] ، ووفى به ضمانه ، وأرجع بفخريه وأجره ميزانه ، حتى اقتدح بحساميه ، ووسم بأعلاميه ، وورّخ بسعيد أيامه ، دعا مانعه فأجاب ، وجلّى عاتمه فأنجاب ، فتحّ سالت تيّلاعه بماء النعمة ، وجالت سوامه في ضمان العِصمة .

وفي فصل [منها] : ومن زكاة الجاه التي هي من الفروض [١٢٣٨] وأداء المفروض ، مشاركة مؤصليه جارنا القديم ، وصديقنا الحميم ، له هناك أطلال رسمها دائر ، وجدّها عائر ، يرجو تجديد خرابها ، وتعمير يبابها ، وإليك إسناده ، وعليك اعتمادُهُ ، ومن كان منك بعين فقد أوى إلى ركن ، واعتصم بحصن ، فلك الفضل في تصديق أراجيه ، ولإظهار جميل الرأي فيه .

وله من قصيد [فريد] أوله ١ :

مَطَلَّ الليلُ بوَعْدِ الفلق وتشكّى النجمُ طُولَ الأرقِ
وَمَرَّتْ رِيحُ الصَّبَا مسكَ الدجى فاستفادَ الروضُ طيبَ العبقِ
وَالأَحَ الفجرُ خدأً خجلاً جالَ من رشح الندى في عرقِ
جَاوَزَ الليلَ إلى أنجمه فتساقطنَ سِقَاطَ الورقِ
واستفاض الصبحُ فيها فيضةً أيقنَ النجمُ لها بالغرقِ

وهذا كقول أبي الحسن مولى البكري ٢ :

١ منها أبيات في المغرب والحريفة ، ومعظمها في النفع ٣ : ٣٩٣ وقدم لها بقوله « ولما وفد أبو الفضل بن شرف من يركة في زي تظهر عليه الهداية بالنسبة إلى حضرة المملكة العظمى أنشده (أي المعتصم) قصيدته الفائقة » .

٢ ترجمته في القلائد : ٢٩٠ .

• ونجمُ الدجى في لَحَّةِ الصبحِ يَغْرُقُ •

وطمى الشرقُ عليه فانتحى
فانجلى ذاك السنّا عن حَلَكِ
بأبي بعد الكرى طيفُ سرى
زارني والليلُ ينعى شَرْقَهُ^١
ودموعُ الطلّ تمرّ بها الصبا
فتأنّى في إزارٍ ثابتٍ
وتجلّى وجهه عن شعره
نهبَ الصبحِ دُجى ليلته
سَلَبَتْ عيناه^٢ حَدَّيْ سيفه
وامتطى من طيرفه ذا حسبٍ^٣
أشوس الطرفِ عَرَّتَهُ نخوةٌ
لو تَمَطَّى بين أسرابِ المها
من هلالٍ غائبٍ في زورقٍ
وامسَحَتْ تلك الدجى عن بهقٍ^٤
طارقاً عن سَكَنٍ لم يَطْرُقِ
وهو مطلوبٌ بباقي الرمقِ
وجفونُ الروضِ غَرَقَى الحدقِ
وتشنى في وشاحٍ قلقٍ
فتجلّى فَلَقٌ عن غسقٍ^٥
فحباً الخلدُ ببعض الشفقِ
وتحلّى^٦ خدّه بالرونقِ
يلثم الغبراء إن لم يعتق
فتهادى كالغزالِ الخرقِ
نازَعَتَهُ في الحشا والعنقِ [٢٣٨ ب]

وهذا كقول سعيد العروضي يصف فرساً :

< كانت > من الظلمان آباؤه فَوَرَّثَتَهُ الباقَ والجَوْجُوا

١ ط د س : غارب .

٢ النفخ : شفق ؛ ط س د : لثق .

٣ النفخ : سدفة ، وهو أصوب .

٤ ط د س : شعره عن خده . . . غسق عن فلق .

٥ ب م : خداه .

٦ ط د س : وتولى ؛ النفخ : فتحل .

٧ النفخ : ذا خبيب .

خَسَرَتْ دُهْمَتَهُ عَنْ غُرَّةٍ
لَبَسَتْ أَعْطَافَهُ ثَوْبَ الدَّجَى
وَانْبَرَى تَحْسِبُهُ أَجْفَلَ عَنْ
مَدْرَكًا بِالْمَهْلِ مَا لَا يَنْتَهِي
ذُو رَضَى مُسْتَرٍ فِي غَضَبٍ
وَعَلَى خَدٍّ كَعُضْبٍ أَيْضُ
كَلِمًا نَصَّبَهَا مُسْتَمْعًا
حَارَدَتْ حَرْدًا^٢ شَبَا خَطِيئَةٍ
كَلِمًا شَامَتْ غِرَارِيَّ حَدَّةً
فِي ذِرَا ظِلْمَانٍ فِيهِ هَيْفٌ
يَتَلَقَّاكَ بِكَعْبٍ مِصْقَعٍ
إِنْ يَدْرُ دَوْرَةَ [طَرْفٍ] يَلْتَمَحُ
وَتَرَى مِنْ هَزَّةٍ مُخْتَلَفًا
عَصَفَتْ رِيحٌ عَلَى أَنْبُوبِهِ
كَلِمًا كَلِمَتَهُ بَاعَدَ عَنْ

كَشَفَتْ ظِلْمَاؤُهَا عَنْ يَقَقٍ
وَتَحَلَّى خَدَّهُ بِالْفَلَقِ
لَسَعَةً أَوْ جِنَّةً أَوْ أَوْلَقٍ
لَا حَقًّا بِالرَّفْقِ مَا لَمْ يُلْحَقِ
وَوَقَارٍ مِنْطَوٍّ فِي خُرْقٍ
أُذُنٌ مِثْلُ سَنَانٍ أَزْرَقِ
نَدْبٌ الشَّهْبِ إِلَى مُسْتَرْقِ
لَا تَجِيدُ الْخَطَّ مَا لَمْ تَمُشَقِ
خَفَقَتْ خَفَقَ فُؤَادِ الْفَرَقِ
لَمْ يَدْعُهُ لِلْقَضِيبِ الْمُورِقِ
يَقْتَفِي شَاوً غِرَارٍ مُفْلِقِ
أَوْ يَجْلُ جَوْلَ لِسَانٍ يَنْطِقِ
جَالٌ فِي مَتْنِهِ مِنْ مُتَّفِقِ
وَجَرَتْ أَكْبَعُهُ فِي زَيْبِقِ
مَتْنٍ مِلْسَاءَ كَثَلِ السَّرَقِ

ومنها :

جَمَعَ السَّرْدُ قَوَى أَزْرَارِهَا
أَوْجَسَتْ فِي الْحَرْبِ مِنْ وَخْزِ الْقَنَا
كَلِمًا دَارَتْ بِهَا أَبْصَارُهَا
فَتَأْخُذْنَ بِعَهْدٍ مُوثِقِ
فَتَوَارَتْ حَلَقًا فِي حَلْقٍ^٣
صَوَّرَتْ فِيهَا مِثَالَ الْحَدَقِ

١ النفع : بدت .

٢ النفع : حاذرت منه ؛ س حاز منه .

٣ بعد هذا في ب م : لو سقي حسان . . . وسينأتي في موضعه .

وهذا كقول [أبي محمد] ابن عبدون :

ودموعٌ طلَّ الليلَ نجلو أعيناً ترنو إلينا من عيونِ الماءِ [١٢٣٩]
زلَّ عنها منْ مصقولِ القَرَا يرتمي في مائها بالخرقِ
لو نضا وهو عليها ثوبه^١ لتفرّى عن شواظِ عرقِ
أكهبُ من هبواتِ أخضرٍ من فرندِ أحمرٍ من علقِ
وارتوتُ صفحاه حتى خيلتهُ بجياً من سَحْبِ كفيك^٢ سقي
يا بني مَعْنٍ لقد طابتْ بكم شَجَرٌ لولاكمُ لم تورقِ
لو سَقَيْني حَسَّانُ إحسانكمُ ما بكى نُدْمانه في جيلقِ
أو دنا الطائيُّ من حيِّكمُ ما حدا البرق [لربع] الأبرقِ
طنَّبتْ منكم تجيبٌ في حمى طالبِ شأو^٣ المعالي لحقِ
إن من أنجبتْ من نجلِ زكوا فانتھوا غايةَ ذاكِ الطَّلَقِ
قلْ لمن عَافَ زماناً جائراً أو شكا من صَرَفِ دهرٍ موبقِ
بمعزِّ الدولة الأوحديِّ أو عزَّها أو سيفها فاعتلقِ
نجلُ عيناك إذا زرتهمُ بنظامِ للعسلا متسقِ
أبدعوا في الفضلِ حتى كلّفوا كاهلَ الأيامِ ما لم يُطَقِ

قوله : « وتشكى النجم طولَ الأرق » كقول ابن رشيق^٥ :

* أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني *

١ ط س د : حلية .

٢ ط د س : كفيه .

٣ س : طلب سامي .

٤ د ط : قد خاف دهرأ .

٥ لم يرد في ديوانه المجموع .

وقال أبو جعفر التطيلي^١ :

وطال على النجوم سُراهُ حتّى أتتْ وكأنما تطأُ القنادا

وقال^٢ :

قد أذنَ الشرقُ للصباحِ وَحَيَّعَلَ الفجرُ بالفلاحِ
وانجأَ جيشُ الدجى ببيضِ قد جئن^٣ في سمرةِ الرماحِ
[سالت] لها مسكةُ الدياجي أمامَ كافورةِ الصباحِ
واندمجَ الليلُ في مَضيقِ وانبلجَ الصبحُ عن براحِ
نبهته والنسيمُ يُهدي الشد ميم في أنفِ الرياحِ
فقام كسلانَ دونَ أينِ واهتزّ نشوانَ دونَ راحِ [٢٣٩ب]
يُظهر للسخطِ وهو راضٍ ويدعي السكرَ وهو صاحِ
كأنه كلمسا تنسَى يُصني إلى نغمةِ الوشاحِ

وقال :

أمسكْ" بصدغكَ أم شامةُ غفلنا عن الأمرِ حتى التبسِ
إخالُ العذارِ أراد انتشاراً فصَلَّتْ بلحظك حتى احتبسِ
قد اختلسَ الشيبُ من بعضها شباباً وما الدهرُ إلاّ خَلَسِ
فخالطَ فيها ضياءُ البياضِ ظلامَ السوادِ فصارا غلسِ
كأن المحبَّ شكاً من هواك سرّاً إليك بما [قد] أحسِ
فأودعَ أذنك سرّاً الهوى فسودَّ صدغكَ حرّاً النفسِ

.....

١ لم يرد في ديوانه .

٢ دطس : وله من أخرى .

٣ قد تقرأ في ب : قدحن .

ومعنى هذا البيت الأخير معنىً غريباً ، وإنما نبهه عليه أبو حفص
ابن برد بقوله يصف كلفَ البدر ، [وقد تقدم] :

والبدرُ كالمرأةٍ غيرَ صَقَلِها عَبَثُ العذارى فيه بالأنفاسِ^١
ومن أخرى :

في ضَمَانِ الطَّيِّفِ بُقْيَا رَمَقِي صدقت عيني أم لم تصدقي
زارني بل عادي من مرضي إذ شغاني زارني في قلتي
نعمت عيناك بالطيفِ وقد نفث الفجرُ به عن حنق^٢

وفي صفة الليل :

فهو يُبدي بَلَقاً عن دُهْمَةٍ ثم يُبدي شُهْبَةً عن بَلَقِ
وكان الفجرَ في ذَيْلِ الدجى وافدٌ يقرعُ بابَ الأفقِ
أنبه الروضة^٣ عن قلبِ شجٍ لتناثيه وجفنٍ غريقِ
لاحَ فاهتزتْ إياه قُضْبُها ورمَاهُ نورها بالحرقِ
وكان الصبحَ في آثارِهِ صارمٌ يضربُ وجهَ الغسقِ
كلما عن لراياتِ الدجى سقطتْ منه سقوطَ الصَّعقِ^٤
ونجومُ الليلِ صرعى كلما نهضتْ عن نكبةٍ لم تطق [١٢٤٠]
سَبَحَتْ جَوَازِها في بحرِهِ والثريا راحةُ المعلقِ
كابدتهُ شعريها برُهةٍ والسَّها عنه ضعيفُ الرمقِ

١ هنا تنتهي الترجمة في ط د س .

٢ م : حمق .

٣ ب م : الروض .

٤ ب م : الصفق .

وكان النسر في مغربه
ولتالي النجم قلب راكض
وذراع الليث قد مددها
قد بكى جفن الحيا عن أدمعي
غضبت وشحك من ليلتنا
صمت الخلخال عن تنقيها
بسمت إذ كشفت عن نحرها
ثم أدنت طرة من وجنة
قد تداوينا من الشوق بها

قد تولي طائراً عن قلق
كلما يوجس بخوف يخفق
فهي إن تظفر بجبل تعلق
واشتكى نجم الدجى من قلقي
فعلما غيظها بالقساق
حين أفشى السر نطق النطق
كابتسام الفجر قبل الفلق
كتداني ليلة من شفق
غير أنا بعدهم لم نفيق

ومنها :

سبقت جدواكم فاطردت
قد رمى الدهر بسهم نافذ
طلب الغاية في كل مدى
بشر وجه تحته ماء ندى
لبسوا ثوب المعالي حلة
كنجوم صعدت في ذروة
لو أطقنا وهو الخط لنا

كأنابيب القنا المتسق
وشباً ماضٍ وحد ذليق
فهو يجري في عنان مطلق
وفرند السيف تحت الرونق
عطروها بالثناء العبق
أو شمس طلعت عن مشرق
لفديناهم بنور الخلق

وله :

بتنا وأجفان الكمام نوم
والليل أعمى والكواكب تنظر

١ هذه قراءة تقديرية قلقة ؛ وفي ب م : قد بدا وينام .

والروضُ يُأرجُ والظلامُ يبلِّه
حقى استشارته الصَّبَا وكأَنه
فهنالك صاحَ بنا الصِّباحُ وبيننا
ضمٌ يموتُ الشوقُ فيه وينشر

وله :

أنت والروضُ يعطفُ جانبيها
وما بالرَّمْلِ ان خافتُ سليمي
وليس على شعابِ الحَزْنِ بأسٌ
إذا صدق الغرامُ فكلُّ قاصٍ

وله :

ولما تلاقينا وقد ضمَّنا الهوى
تمازجَ ما بين النِّجادِ وعقدِها
مزاجاً تخالُ الكأسَ مانعها الحيا
فتهمي بطيُّ الثوبِ في الثوبِ كلما
ضجيعين ماتَ الحسُّ بيني وبينها

وله :

بتنا نشدُّ على القلائدِ بيننا
والريحُ ما نَبَسَتْ لنا بسريرةٍ
خفنا فأخفتنا خمائلُ روضةٍ

وله :

أنت تنفضُ الأعطافَ من بللِ الندى
وقد رَشَقَتْ ماءَ الندى الورقُ الخُضْرُ

تحفّ بها الظلماءُ وهي مبرّوعةٌ تفضلُ فتهدّيها الصّباةُ والذكرُ
فبتنا وقد باتَ العناقُ يضمنا على دعةٍ حتى استرابَ لنا الفجرُ
فباتُ وفي عينيّ من قسّماها خيالٌ وفي ثوبيّ من طيبها عطرُ
[وله] ١ :

ألمي لفقدِ الدمعِ عند فراقهِ ألمُ الجراحةِ بالدم المحصورِ
[... ]
[وله] :

وما ذقتُ طعمَ النومِ إلا وللصّبا تنفّسُ مشتاقٍ وللروضِ مدمعُ
وللصبحِ في الآفاقِ جيّبٌ مشقّقُ وللورقِ في الأغصانِ نوحٌ مرجعُ
فخفّفَ ما بي أنّ فيهنّ أسوةٌ وأنا جميعاً كلّنا متوجّعُ
وله :

إذا نالكَ الدهرُ بالحادثاتِ فكنْ رابطاً الجأشِ صعبَ الشكيمةِ
ولا تُهينِ النفسَ عند الخطوبِ إن كان للنفسِ عندك قيمة
فوالله ما لقيَ الشامتون بأحسنَ من صبرِ نفسٍ كريمه [١٢٤أ]
وله :

أتى الليلُ يطلبُ غزوَ النهارِ في أنجمٍ ما درى عدّها
فجاء النهارُ بشمسٍ الضحى وقال : كفتني ذي وحدّها
وله :

١ البيت في الخريدة : ١٧٢ والمطرب : ٧١ .
٢ بياض بمقدار سطر في ب م .

تسلّ وخلّ عنك الهمّ جانبُ
ودعْ عنك الأوائلَ واطّرحها
ولا تيأسْ وإن بعدتْ ظنونُ
فكم ظنّ يكذبُ وهو حقّ
ولا تحفّلْ بطارقةِ النوائبِ
سدىّ إن المدارَ على العواقبِ
فإن الدهرَ يأتي بالعجائبِ
وكم أملٌ يُصدّقُ وهو كاذبٌ

وله في الثريا :

استقنيها وللظلامِ ركودُ
والثريا كأنها قدّمٌ أو
ونجومُ الدجى هبوطٌ صعودُ
راحةٌ في الظلامِ أو عنقودُ

وله ^١ :

رأى الحسنُ ما في خدّه من بدائعِ
وقال لقد ألّفتُ ^٢ فيه نوادرأ
فأعجبه ما ضمّ منه وصرّفا
وقال يصف كتفاً بيضاء مدهونة :

وواضحة كمثلِ النصلِ تجري
حوتٌ حلّك المداد بجسمِ نورِ
معَ الأبصارِ كالماءِ القراحِ
جرت منها السطورُ على بياضِ
كمخضرّ الفِرندِ على الصفاحِ
كأن سوادهُ في صفحتيها
كجري المسك في ثغر الملاحِ
بقايا الليلِ في وجه الصباحِ

وله :

ولما استقلتُ بالشبابِ ركابهُ
وأيقنتُ من شعلِ الصبا بتفرّقِ ^٣

١ البيتان في المغرب ٢ : ٢٣١ .

٢ المغرب : ألفيت .

٣ كذا ورد مفرداً .

وله في الصباح :

وأبيضَ فياضٍ على القوم كلما
نفى كلَّ منسوبٍ إلى المجدِّ والعلا
إذا ارتاحت الدنيا إليه أصابها
أدار سُلُفاً شجَّها بقراح
فساروا وقد طاروا بكلَّ جناح
بنارٍ أطلَّت من وراء رياح

وله يصف خاتماً :

وأبيضَ من شطيرِ الغنى ردَّ ظهره
أديرَ كدورِ البدرِ ثم لبسته
إلى كوكبٍ عالي المكانةِ غالٍ [٢٤١ب]
فلم ترَّ منه العينُ غيرَ هلال

وله :

ووائقي بالليالي الحادعات له
وقال سَعْدِي يحميني فقلتُ له
يغترُّ بالبيض لا يخشى من السَّودِ
هل يطلبُ النحاسُ إلا كلَّ مسعودٍ

وله :

لا تقبلنَّ قوامَ ذي عِوَجٍ
كالصخرِ يعلو حين ترفعه
فرجوعُهُ أدنى من الرَّجْعِ
بالقَسْرِ ثمَّ يعودُ للطبعِ

وله :

ألا كلُّ خطبٍ نالني أو ينالني
فلا تغلُّ في عَتَبِ فَعْتَبِكَ مَوْجٍ
رأيتك مثلَ السيفِ أمّا غيراره
وأنت إلى الخيراتِ أَسْبَقُ سابقٍ
لئن حَسُنُوا في موطنٍ دونَ موطنٍ
إذا أنت لم تغضبْ عليَّ فهِينُ
ولا تَعْمَ عن عذري فعذري بيِّن
فماضٍ وأما صَفْحُهُ فهو لين
وان أَوغلوا في الصالحاتِ وأمعنوا
فلأنك في كلِّ المواطنِ تحسن

وله :

عجبتُ لها كيف استطاعتُ لحاظُها بأن طعنتُ قلبي بغيرِ سنانٍ
فقلتُ وكيف استطعتُ أنتِ على هوى تفوهُ به عيناكِ دون لسانٍ
فقلتُ لها سرّي وسرُّكِ في الهوى يلوحُ وإن لم تنطقِ الشفتانِ

وله :

قد وقفَ الشكرُ بي لديكمُ فلستُ أقوى على الزيادةِ
ونلتُ أقصى المرادِ منكم فصرتُ أخشى من الإعادهِ

وله يصف الثريا^١ :

ألا فاسقنيها والصباحُ كأنه على الأفقِ الشرقي ثوبٌ ممزقُ
ولاحت لرائيها الثريا كأنها على جنباتِ الأفقِ كيسٌ مفتقُ

وله :

أقَى زائراً والصبحُ يكشرُ نابهُ لريّانٍ من ماءِ الندى متضوعِ
ولاحتُ على الأفقِ الثريا كأنها مواقعُ دمعِ الساجدِ المتضرعِ

وله :

بادرُ صباحاً والثريا قد بدتْ تختالُ في ثوبِ الصّباخِ المدّهبِ
تبدو وينهجها الصّديقُ كأنه أثرُ السجودِ على الصّعيدِ الطيبِ

وله في وصف درقة : [٢٤٢ أ]

١ البيت الأول في المغرب ٢ : ٢٣١ .

جاءتك فاديةُ الكماةِ بنفسها بيضاءُ يغمرها العجاجُ فتَسَطَّعُ
فتظللُ تقصدها الختوفُ كأنما فيها لكلُّ شيا وحدٌ موضع
فإذا تعاورتِ الظُّبَا صفحاتها ورمتْ جوانبها الرماحُ الشرعُ
وردتْ ورود الإبلِ وهي رويّةٌ تُدْني السقاةَ من الحياضِ وترجعُ

ومن حكمه^١ :

— الفاضلُ في الزمانِ السوءِ كالمصباحِ في البَرّاحِ ، قد كان يضيءُ لو تركته الرياحُ .

ومنها :

— لتكنْ بالحالِ المتزايدةُ أغبطَ منك بالحالِ المتناهية > فالقمرَ آخرَ إبداره ، أوّلَ إبداره < .

— لتكنْ بقليلك أغبطَ منك بكثير غيرك ، فإن الحَيَّ برجليه ، وهما ثنتان ، أقوى من الميتِ على أقدامِ الحَمَلَةِ ، وهي ثمان .

— المتلبّسُ بمالِ السلطانِ كالسفينةِ في البحرِ ، إن أدخلتْ بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه .

— الحازمُ مَنْ شكَّ فروى وأيقنَ فبادرَ .

— ربّ سامحِ بالعطاءِ على باخلٍ بالقبولِ .

— ابنُ آدمَ ، تدمُ أهلُ زمانك وأنتَ منهم ، كأنك وحدك البريء ، وجميعهم الجريءُ ، كلا بل جنيتَ وجُنيتَ عليك ، فذكرتَ ما لديهم ، ونسيتَ ما لديك .

— اعلم أن الفاضلَ الزكيَّ لا يرتفعُ أمره حتى يَظْهَرُ قلبُه ، كالسراجِ لا تَظْهَرُ أنواره أو يرفعُ مناره ، والناقصُ الدنيءُ الذي لا يبلغُ لنفعه إلّا بوضعه كَهَوِّجَلِ السفينةِ ، لا يُنْتَفَعُ بضبطه ، إلّا بعد الغايةِ من حطّه .

وله^٢ فصل من رسالة : توصّلْ الهمم — أدامَ اللهُ عزك — كتوسّلِ الدُّمَمِ ، وربّ راقٍ بوسيلةِ ، ذي اشتياقِ > واستباقِ إلى فضيلةِ ، رَصَدَ فقصد ، واحتشدَ فتحترى

١ من هنا يبدو أن النص دخیل وأنه مأخوذ من القلائد : ٢٥٢ وانظر الخريدة : ٢ : ١٧٣ .

٢ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٤ .

الرَّشْدُ ٨ ولما طلع بك المجدد من معالنه ، وأنبغ المجدد في كرائمه ، فلاح محبتك قمرأ زاهراً ،
 < وفاحت سجياك > زهراً عاطراً ، وأنار بأفقك منار الأوبار ، ودار على قطبك مداره
 الفخار ، ووقف ١ لديك بالقلوب ارتياحها ، وطار إليك بالنفوس جناحها ، فجوارح ٢
 الجوانح ظهرو ، ونواظر الخواطر إليك صُورٌ ، وقد تخيلتكَ نظراتُ الغيوب ،
 ويمتلكَ خطراتُ القلوب ، فحفتَ إليك بأرواحها ، وتلقَّتكَ القاب ٣ بالتماسحها ،
 فقد يرقبُ الصباح ، ويَلْمَحُ القمرُ اللياح ، وليس على عاشقِ الفضلِ جناح .

وكتب ٤ : أطال الله بقاء الوزير الجليل الأحمدي وأعلتني مرتقاه في رفيع
 العز ، ومنيع ٥ الحرز ، الوزير كالمطر الجود يملأُ الحياض ، ويُنبتُ الرياض ، بل
 كالقمر ، يقذفُ بالنور ، ويدنِّبُ بالدَّيجور ، وقد ألخفي ٦ من سناه ، وسقاني < من >
 سقياه ، ما أنار فأضوى ٧ ، وجاد فأروى ، فله أيادي الوزير [٢٤٢ ب] ما أنزلها
 بكلِّ فياء ، وأسمعها لكلِّ نداء ، حتى رعى قصدي وهو قصي ، ووعى صوتي وهو
 خفي ، فالآن أضربُ بحسام اعتناؤه جردَه ، وآوي إلى زمام وفاءه ٨ وكده ، والله
 يُديمُ بقاءه ، ويعلي ارتقاه ، حتى أظهر في سمائه ، وأشهر بأرفع أسمائه .

وله فصل من رقعة ٩ : مثلي - أعزك الله - في عناء بلا غناء ، كما خُضَّ الماء ،
 زُبْدُه ١٠ الرُّبْدُ ، ووعْدُه الأبد ، وأستغفرُ الله ، ما استهديت بغير منار ، ولا اقتدحتُ
 بغير عَقَّار :

-
- ١ القلائد : وخف .
 - ٢ القلائد : فجوامع .
 - ٣ القلائد : العيون .
 - ٤ القلائد : ٢٥٢ والخريدة : ١٧٥ .
 - ٥ القلائد والخريدة : رفعة . . . ومنعة .
 - ٦ ب م : ألفني ؛ القلائد : أتحفني .
 - ٧ ب م . فاستوى .
 - ٨ القلائد : علاؤه ؛ الخريدة : علاؤك .
 - ٩ القلائد : ٢٥٨ . ١٠ القلائد : يريد .

* ولكن حُرِّمَتُ الدَّرَّةُ والضرعُ حافِلٌ *

وما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ حارِمٍ كما يُوجِعُ الحرمانُ من كَفِّ رازِقٍ
وما فَعَلَتْ تلكَ الأبياتُ ، والرجاءُ الذي في بطون الحاملات ، أزعَجَتَهُ الأرحامُ ،
حتى كَثُرَ عليه الزحامُ فأقام^١ ؟ وتلك النتيجة : هل حان نِفاسُها ، أم دام^٢ احتباسُها ،
أم وُلِدَتْ ثم وُيِدَتْ ، أم وَضَعَتْ لِيلاً ، وأَرْضَعَتْ غَيْلاً ، فهي لا تَدُبُّ ولا تَشَبُّ ،
والنجمُ أَفْلٌ ، والكفيلُ غافلٌ ؟ ومهما يكنُ من أمرٍ فما ضاعَتْ إلّا في ضِمانِكَ ، ولا جاعَتْ
إلّا على خِوانِكَ ، هلاَّ حَلَبْتَ ما دَرَّ وطب ، وَطَبَعْتَ والطينُ رطبٌ ؟ فلا أمانَ من
الزمان :

* ومن ذا الذي يَبْقَى على الحدَثانِ *

وله :

ذو فطنة تبصرُ الأشياءَ غائبةً كأنَّ كلَّ سماعٍ عندها نظَرُ
كأنما الدهرُ مرآةٌ تقابِلُهُ إذا تأملها لاحَتْ له الصور

وله :

إذا أَعْرَضْتُ نحو الصِّباحِ لوى بها من الليلِ مسودُّ الجوانحِ أسْحَمُ
كأنَّ على أخفافها كلِّما سَرَّتْ بروقاً تغنَّى الليلَ والليلُ مظلمُ
إذا قَطَعْتَ غُفْلَ الظلامِ بعزيمةٍ مضت ورداءُ الصُّبحِ بالفجرِ مُعْلَمُ
نظرنا إليها ضاحكين إلى المني بها وهي من أين عوابسُ سُهَمِ

وله :

١ القلائد : أم كره الزحام ، أم استقر به المقام .

٢ القلائد : خاؤها .

كم طالب للغز لم يختار له وقتاً يليق ولا أعد مكاناً
طالب التعز فاستفاد مذلة ومن التعز ما يجز هوان

ومن قصيد :

والأجر لئلا في نواك ذخيرة
جودي علي فما عليك ملامة
أنكرت ما ألفتته من مهجتي
ودمي بخدك شاهد مقبول [٢٤٣ أ]

وله :

وما ضر لو كان الترحل واحداً
فكان مشوق حيشما كان شائق

وقال :

زارت على خطري وقد
والنجم مرفوع الذرى
حتى دنت فتساقطت
لله ما منح الهوى
خلط الغلائل بالحما
بتنا على رغم الروا
من فوق آكام الريا
في ليلة قادت إلي
فقضى الرضى بالقرب وار
وأنى العناق على ضعي
تهفو عليه الوشح
عقد الكرى راحاً براح
والليل منشور الجناح
ما بين ريحان وراح
وأتاح من وصل الملاح
ثل والقلائد بالسلاح
صيد والحواشيد واللواح
ض وتحت أذيال الرياح
الوصل من بعد الجراح
تاح الوصال إلى السماح
في بين أثناء الوشاح
ن الغصن والكفل الرراح

بنتنا يضيقُ بنا التّعا
 والروضُ يمرحُ في الرّبي
 حتّى إذا ارتاب الظّلا
 وجلا احمرارَ الفجرِ عن
 وكأنّما غسّلتْ دما
 عاد الفراقُ إلى القطي
 نقُ بين أردانٍ فساح
 والريحُ تصفقُ في برّاح
 مٌ بفتح أجفانٍ الأفاح
 ه بياضُ صبحٍ في اتّصاح
 ه الفجرِ أمواهُ الصّباح
 عة بيننا بعد اصطلاح

ولأبي الفضل^١ :

سرّوا ما امتطوا إلّا الظلامَ ركائباً
 وقد تحطّطَ أرماحُهم مفريقَ الدجى
 وليلٍ كطيّ المسحِ جبّنا سوادهُ
 خبطنا به الظلماءَ حتّى كأنّنا
 لأميرٍ سرّينا نمتطي العيسَ في الدجى
 وركبٍ كأنّ البيضَ أمستَ ضرائباً
 إذا ما سرّوا داسوا الهضابَ نزاهةً
 فما يحملون السّمَرَ إلّا عوالياً
 إذا أوبوا ساروا شمساً منيرةً
 يردّونَ جِمامَ الماءِ بالقاعِ أزرقاً
 إذا اعتقلوا للطعنِ سُمرّاً عوالياً
 رأيتَ أسوداً ينهرونَ > إلى الوغى
 ولا اتّخذوا إلّا النجومَ صواحباً
 فباتَ بأطرافِ الأستِ شائبا
 كأنّنا امتطينا من دجاءِ النواثبا
 ضربنا بأيدي العيسِ إبلًا غرائبا
 ركاباً ونقتادُ الجيادَ جنائبا
 لهم وهمُ أمسّوا لهنّ مضارباً^٢
 عن الخفضِ وارتادوا الذرى والغواربا
 ولا يركبون الخيلَ إلّا سلاهما
 وإن أدلّجوا أسرّوا نجوماً ثواقبا
 ويرتدّونَ نورَ الروضِ بالحزنِ عازبا
 أو اتّشعّوا للضربِ بيضاً قواضبا
 عجا < لآتجاري يستسلن مذانباً [٢٤٢ ب]

١ انظر القلائد : ٢٥٥ والخريدة : ١٧٨ وفي عدد الأبيات وروايتها اختلاف مما في هذين المصدرين مما يرجح أنها ليست مقتبسة عن القلائد .

٢ القلائد : ضرائباً .

فانك من قومٍ إذا أعجزتهم
فما اتخذوا إلاّ ظُباها وسائلاً
إذا علقّت بالموردِ سوء خيلهم
مطالبهم مَدُّوا السيوفَ طوالها
ولا سلكوا إلاّ شَبَها مَذاها
رَجَعْنَ على بَرَحٍ وَعَفْنَ المشاربا

وله ١ :

أَرِحْ خطاكَ فحليُ النجم قد نُهِبَا
سلِ النجوم هل ارتابتُ بصفحتها
إذا استمرتُ بمجرى النجم سالكةً
تهفوا الركابُ فتهدى أَسَنَتُها ٢
وباتت الخيلُ يقدحُن الحصى حَنَقاً
والليلُ مثلُ عِذارِ الكهلِ شَيْبَةً
تلك الفوارسُ لا تثني أَعْنَتُها
باتوا على نشوةٍ ما نالها طربُ
إذا أناروا القنا في ليلٍ مظلمةٍ
وقد قضى الشوقُ من وصل الدجى أربا
لما أَثَرْنَ اليهنَّ القنا السلبا
خِلَتِ المجرةُ من آثارها ندبا
كأنما عارضتُ أطرافها الشهبا
حتى تضرمَ حبلُ الليل والتهبا ٣
جَوْرُ الزمانِ على الأحرارِ فاختضبوا
عن وجهةٍ أو ينالَ السيفُ ما طلبوا
وقد أداروا بكاساتِ السرى نخبا
شالوا النجومَ على أطرافها لهبا ٤

١ انظر القلائد : ٢٥٦ والخريدة : ١٧٣ .

٢ القلائد : فتهدينا أَسَنَتُنا .

٣ القلائد : تضرم ذيل الليل .

٤ القلائد : هاجها .

٥ القلائد : عذبا .

فصل يشتمل على طوائف مقلبين من سكان هذا الجانب الشرقي
من الأندلس ، تنمة لمعانيه ، واستيفاء لغايات الإتقان فيه

وقد أذكرُ الشاعرَ ليس له شعر كثير ، ولا إحسانٌ مشهور ، إما
لاشتهارٍ ذِكره ، أو لخبرٍ يتعلّقُ بشعره . منهم :

أبو عبد الله بن عائشة^١ : من بلنسية ، أي فتيّ [هو] طهارة أثواب ،
ورقة آداب ، وأكثرُ ما عوّلَ على [علم] الحساب ، فهو اليوم فيه آية
لا يقاس عليها ، وغايةٌ لا يُضافُ إليها ، وله من الأدبِ حظٌّ وافٍ ، وفي
أهله اسمٌ طائرٌ ، يقولُ من الشعرِ ما يشهد له بكرم الطّبّع ، وسعة الدّرع .
كان يوماً مع أبي اسحاق بن خفاجة وجماعةٍ من أهل الأدب تحت
دوحةٍ خوخٍ مُنوّرةٍ ، فهبّت ريحٌ صرصرٌ ، أسقطت عليهم جميعَ
الزّهَر ، فقال ابن عائشة :

ودوحةٌ قد علّت سماءً تُطْلِعُ أزهارها نجوما
هبّ نسيمُ الصّبا عليها فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجوُّ غارَ لما بدّت فأغرى بها النسيما [٢٤٤ ب]

وينظر هذا إلى قول لإدريس من بعض الوجوه :

١ كان صاحب أعمال بلنسية في أيام علي بن يوسف بن تاشفين ثم استدعي إلى المغرب فوكل
أمر الحسابات إليه (انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٣١٤ والمطبع : ٨٤ والمسالك ١١ :
٤٥٤ والخريدة ٢ : ٢١٦ ، ٥٨١ ط . تونس) ؛ وقد وردت أشعاره في أكثر المصادر
المذكورة .

وإخوان صدق قد أناخوا بروضةٍ وليس لهم إلاّ النبات^١ فراش^٢
فخلتهم^٣ والتور^٤ يسقط فوقهم مصايح^٥ تهوي نحوهن فراش^٦
وأنشدني الأديب أبو عبد الله محمد بن فرج الجياني^٧ لنفسه في ما يجانس^٨
[هذا المعنى] :

أضحى ابن عبدوس^٩ مُعشّق^{١٠} معشرٍ قد خلطوا في حبّه تخليطا
فهو السراج^{١١} وهم فراش^{١٢} حوله يتهافتون على سناه^{١٣} سقوطا
وكان ابن فرج في هذه المُلح من أهل البديه ، فأما طويل القصيد
فقلما رأيتُهُ نَجَحَ فيه . وكان يوماً بقرطبةَ فمرّ به غلامٌ وسيم به بعض^{١٤}
صفرة ، فقال بعض من حضر : إنه للمليح لولا صفرة^{١٥} فيه ، فقال ابن فرج^{١٦} :
قالوا به صفرة^{١٧} عابت محاسنَه فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه^{١٨} تطلب في آثار من قتلت فلست تلقاه^{١٩} إلاّ خائفاً وجلا
وكان يوماً مع لمة من أهل الأدب في مجلس أنس فاحتاج صاحب المنزل
إلى دينار ، فوجّهه عنه إلى السوق ، فدخل به عليهم غلام^{٢٠} من أهل الصّرف ،
في نهاية من الجمال [والظرف] ، ورمى بالدينار إليهم من فيه تماجنأ^{٢١} ،
فقال ابن فرج [في ذلك] :

أبصرتُ ديناراً بكفّ مهفهفٍ يزهو به من كثرةِ الإعجابِ

١ ط د : الثياب .

٢ انظر ترجمته في المغرب ٢ : ٥٩ .

٣ ب م : يجانسه .

٤ ط د : فقلما ينجح ؛ ب م : فما رأيتُه نجح .

٥ ورد البيتان في المغرب ٢ : ٥٩ مع اختلاف في بعض الرواية .

أَوْمَى بِهِ مِنْ فِيهِ ثُمَّ رَمَى بِهِ فَكَأَنَّهُ قَمَرٌ رَمَى بِشَهَابٍ

> عود إلى ابن عائشة < ١ .

ولما أنهضه أميرُ المسلمين إلى بساطه ، وأوضعه في بساطِ العين وفسطاطه ، هبَّ من مرقدِ خموله ، وشبَّ جَبَدُوه٢ مأموله٣ ، فبدأ منه انزواءً عن الخطوة ، والتواءً في تسنُّمِ تلك الربوة ، وكان له أدبٌ واسعٌ المدى ، يانعٌ كالزَّهْرِ بَتَلَتُهُ النَّدى ، ونظمٌ مُشْرِقُ الصَّفْحَةِ ، عَسَقُ النِّفْحَةِ ، إلَّا أنه قليلاً ما كان يحلُّ رَبْعَهُ ، وَيَذِلُّ له طبعه ، > وقد أثبت له منه ما < يدعُ الألبابَ حائرةً ، والقلوبَ إليه طائرةً ، فمن ذلك قوله في ليلةٍ سمحت له بفتى يهواه ، ونفحت له هبةً بدَّدَتْ شملَ جواه [:

لله ليلٌ باتَ في جنحه طوعَ يدي مَن مهجتي في يديه
فبثَّ أسهرُ أنسا به ولم أزل أسهرُ شوقاً إليه [٢٤٥]
عاطيته حمراء مشمولة كأنها تُعَصِّرُ من وجنتيه

وله فيه وقد طُرِّزَتْ غلالةُ خدِّه ، وركب من عارضه سنانٌ على صَعْدَةٍ قده :

إذا كنت تهوى خدَّه وهو روضة به الوردُ غصَّ والأقاحُ مفلَّجُ
فزد كلفاً فيه وفرطاً صَبَابَةٍ فقد زيدَ فيه من عِذارٍ بنفسح

وكان ٣ في زمن عَطَلَتِيهِ ، ووقتِ اضطرارهِ وَقَلَّتْهُ ، ومقاساتِهِ من العيش أنكدَهُ ، ومن التحرّف أجهلَهُ ، كثيراً ما ينشرحُ بِجَزِيرَةِ شَقَرٍ وَيَسْتَرِيحُ ، ويستطِيبُ هبوبَ تلك الريح ، ويحولُ في أجارعِ واديها ، وينتقلُ من نواديها إلى بواديها ، فإنها صحيحةُ

١ وضعت هذا العنوان للتمييز بين ما سبق من حديث عن ابن فرج وبين هذه القطعة التي هي دخيلة أيضاً فهي مأخوذة من ترجمة ابن عائشة في المطبع : ٨٤ - ٨٥ وانظر النفع ٤ : ٥٣ .

٢ المطبع : لهلوغ .

٣ وردت هذه القطعة في ترجمة أبي الفضل بن شرف ، ولكنها هي نص ترجمة ابن عائشة في المطبع : ٨٤ وعنه ينقل صاحب النفع ٤ : ٥٤ - ٥٥ ولذلك حولتها إلى هذا الموضع .

الهواء ، قليلةُ الأدواء ، خَضِيْلَةُ العُشْبِ ، قد أحاط بها نهرها كما تحيطُ بالمعاصمِ الأساورُ ،
 والتوى عليها كالأرقمِ المساور ، والأليكُ قد نَشِرتْ ذوائبها على صَفْحِهِ ، والروض
 قد عطَّرَ جوانبه بنفحه ، وأبو اسحاق بن خفاجة منزعُ نفسه ، ومضْرَعُ أنْسِهِ ، وبه
 نَفَسَ له بالمنى عَبَقٌ وشذا ، وَضَرَحَ عن عيونِ مَسْرَاتِهِ القذى ، وغدا على ما أحب
 وراح ، وجرى متهافتاً في ميدانِ ذلك المراح ، وسنُّهُ قَرِيبُ عهدٍ بالقطام ، ودهرُهُ
 ينقادُ للإسعادِ في خطام ، فلما اشتعل رأسُهُ شيباً ، وزرَّتْ عليه الكهولةُ جيباً ، أقصر
 عن تلك الهناتِ ، واستيقظ من تلك السَّناتِ ، وشبَّ عن ذلك الطَّوقِ ، وأقصرَ عن
 الحنين والشوق ، وقنع باهداء تحية ، وما يستشعره في وصف تلك المعاهد من أريحية ،
 فقال [٢٤٤ أ] :

ألا خَلْياني والأسى والقوافيا	أردّدها شجواً فأجهشُ باكيا
أؤبى شخصاً للمرة بائناً	وأندب رسماً للشبية باليا
تولّى الصباً إلا توالى فكرة	قدحتُ بها زنداً من الوجد واريا
وقد بان حُلُو العيش إلا تَلَّةٌ	تحدّثني عنها الأمانى خاليا
ويا بَرْدَ ذلك الماء هل منك قطرة	فها أنا أَسْتَسْقِي لمائيكَ صاديا
وهيهات حالت دون حَزَوَى وعهدا	ليالٍ وأيامٌ تُخالُ لياليا
فقلْ في كبيرٍ عادِه عائد الصبّا	فأصبح مهتاجاً وقد كان ساليا
فيا راكباً يستعمل الخطوَ قاصداً	ألا عُدْ بشقيرٍ راححاً أو مغاديا
وقفْ حيث سال النهرُ ينسابُ أرقماً	وهبْ نسيمُ الأيكِ ينفثُ راقيا
وقلْ لأثيلاتٍ هناك وأجرعِ	سقيتِ أثيلاتٍ وحييتِ واديا
وليس بيدعٍ أن تعدّيتُ في الهوى	فحييتُ من أجلِ الحبيب المغانيا

فصل في ذكر الشيخ الماهر أبي محمد بن السيد البطلبوسي^١ : إمامُ

١ ترجمته في الصلة : ٢٨٢ والديباج المذهب : ١٤٠ والمغرب ١ : ٣٨٥ والقلائد : ١٩٣
 وأزهار الرياض ٣ : ١٠١ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وأخبار وتراجم أندلسية =

الأوان ، وحاملُ لواءِ الإحسان ، وهو بالأندلس كالجاحظ بل أرفعُ
 درجةً ، وأنفعُ لمن شامَ بَرَقَهُ أو شمَّ أَرَجَهُ ، وشَلِبُ بَيْضَتُهُ ، ومنها
 كانت حَرَكَتُهُ ، ونُسِبَ إلى بطليوس لتردده بها ، ومولده في ثُرْبِهَا ،
 ومن حيث كان فقد طبَّقَ الأرضَ رقعةَ ذِكْرِ ، وسبَّقَ أهلَهَا بكلِّ نَزْعَةٍ
 فكر ، وقد أثبت من محاسنه ما يَبْهَرُ الألبابَ وَيَسْحَرُ ، ويحسده الوسمي
 المبتكر ، فمن ذلك قوله يصفُ طولَ ليلة :

تري ليلنا شابت نواصيه [كبرة] كما شَبَّتْ أو في الجوّ روضُ بهارٍ
 كأن الليالي السبع في الأفق جُمِعَتْ ولا فضلَ فيما بينها لنهار

وأنشدني لنفسه من جملة أبيات :

خليلي ما للريح أضحى نسيمها يذكرني ما قد مضى ونسيتُ
 أبعدَ نذيرِ الشيبِ إذ حلَّ عارضي صبوتُ بأحداقِ المها وسُيِّتُ
 تلاحظني العينان منها بنظرةٍ فأحيا ويقسو قلبُها فأموت
 فيا قمرأ أغرى بي النقصَ واكتسى كمالاً ووافى سَعْدُهُ وشقيت

وأنشدني من أخرى له :

أيا قمرأ في وجنتيه نعيمُ لعيني وفي الأحشاء منه جحيمُ
 إلى كم أقاسي منك رَوْعاً وقسوةً وصَرَمًا وَسُقْمًا إنَّ ذا لعظيم
 ولاني لأنهى النفسَ عنك تجلداً وأزعمُ أني بالسُّلُو زعيمُ

— ٢٤ ، ٩٧ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٦ والخريدة ٢ : ٤٧٨ (ط . تونس) وغاية النهاية
 ١ : ٤٤٩ والشذرات ٤ : ٦٤ ومرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ ويغية الوعاة ٣ : ٢٨٣ ؛ والمقدمة
 التي وردت هنا لم ترد في ط د س وبدأت الترجمة هنالك : « أبو محمد بن السيد البطليوسي
 من سكان مرسية » أنشدني لنفسه : خليلي ما للريح . . . الخ .

وأنشدني أيضاً لنفسه يستدعي بعض إخوانه ، يسمّى راشداً^١ : [٢٤٥ ب]

عندي [مسكوب] من الراح عبيق	فيه مئى مصطبح ومغثيق
يحكي شذا المسك إذا المسك فُثِق	كأنه من خُلِقِكَ [الخاو] خُلِق
كأنما كؤوسه تحت الغسق	في راحة الساقى نجوم تأتلق
[تخالها وهي تلظى كالخرق	أحشاء صبّ ملهّب من الحرق
ترى لدى المزج إذا الماء اندفق	فيها حبّاباً لاح كالدرّ انتسق]
وأنت أنسي والمفدّى بالحدق	فاطلع طلوع القمر التّم اتسق
في يومنا هذا إذا الظهر نطق	يا راشداً إذا دجى الغي سبق
[وماجداً كم حاز في السبق السابق]	لله معنى طابق اسماً لك حق

توافقاً فيك إذا الاسم اتفق

وأنشد لأخيه أبي الحسن الكاتب من جملة قصيدة :

يا ربّ ليلٍ قد هتكتُ حجابهُ	بزجاجة وقّادة كالكوكب
يسعى بها ساقٍ أغر ^٢ كأنها	من خدّه ورضابٍ فيه الأشنب
بدران : بدرٌ قد أمّنتُ غروبه	يسعى ببدرٍ جانح للمغرب
فإذا نعمت برشف بدر غارب	فانعم برشفةٍ آخرٍ لم يغرب
حتى ترى زهراً النجوم كأنّها	حول المجرة ربّ ربّ في مشرب
والليل منحفز يطير غرابهُ	والصبح يطرده ببازٍ أشهب

وما أحسن قول المعريّ في هذا التشبيه ، وعلى لفظه عوّل فيه^٣ :

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١١٣ - ١١٤ .

٢ د ط : أحوى الحفون ؛ س : ساق أغن .

٣ شروح السقط : ٤٢٣ وروايته هناك :

يا ليل [بالله أذق غرابها موتاً من الصبح بباز كُرَز]
وقال تميم بن المعز^١ :

وكانَّ الصبحَ في الأفق باز والبدجى بين مخليه غرابُ
و [قد] أخذ هذا المعنى أبو محمد أخوه [المذكور] فقال ، ونَقَلَه إلى
ذكرِ الشباب :

أرى الدهر يأبى أن يَرى وهو مسعفُ بما الهمةُ العليا تكلّفنيه
طوى جدّي طيَّ السجلَّ وعاضني بثوبٍ بلى [أمسى] يبادلنيه
وطار غرابُ للشبيبة راعهُ موافهُ بازٍ للمشيب تليه
ولم أنسَ من ليلِ الشباب وظلّه أثيثَ جناح بات يُلحفنيه
وعهداً تولّى باللّبانة خِلْتُهُ لى الحبّ في أفواه مرتشفيه

وله^٢ يصفُ فرساً ، وهو مما اندفع في التمثيل له والتشبيه ، وخلع عليه شِيَعَاتٍ لاحق
والوجه : [٢٤٦ أ] .

وأقبَّ من نسلِ الوجهِ ' ولاحقِ قَبْدِ العيونِ وغايةِ التأملِ
ملككَ النواظرَ والقلوبَ بحبّه فمتى ترقَّ العينُ فيه تسهّل
ذي منخرٍ رحبٍ وزورٍ ضيقِ وسماوةٍ خصبٍ وأرضٍ ممحل

= بالله يا دهر أذق غرابها موتاً من الصبح بباز كُرَز
والكرز من الطير : الذي سقط ريشه .

١ ديوانه : ٧٠ ، وشروح السقط : ٤٢٣ .

٢ هذه القطعة دخيلة على الترجمة الأصلية - في ما أقدر - وقد اعتمدنا عليها على ترجمة مفردة
لابن السيد ألفها الفتح بن خاقان واقتبسها المقرئ في أزهار الرياض ٣ : ١٠٧ ، وقارن
بالقائد : ١٩٤ .

قَصُرَتْ لَهُ تِسْعٌ وَطَالَتْ أَرْبَعٌ وَزَكَتْ ثَلَاثٌ مِنْهُ لِلْمَتَأَمِّلِ
وَكَأَنَّمَا سَالَ الظُّلَامُ بِمِثْنِهِ وَبَدَأَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
وَكَأَن رَاكِبَهُ عَلَى ظَهْرِ الصَّبَا مِنْ سُرْعَةٍ أَوْ فَوْقَ ظَهْرِ الشَّمَالِ

وحضر^١ مع ابن ذي النون بطليطلة بمجلس الناعورة ، في المنية المتناهية البهاء والإشراق ،
المباهية لزوراء العراق ، التي تنفجر أبدأ وتقطر ، وتكاد من الغضارة تمشطير ، والقادر
قد التحف الوقار وارتداه ، وحكم العقار في جوده ونداه ، والدولاب يحن كساقية لئلا
الحوار ، أو كشكلى من حرّ الأوار ، والمجلس يروق كالشمس في الحمل : وأهله
يبتهجون بمثل الأمل ، والجو قد عبرته أنواؤه ، والروض قد بللته أنداؤه ، والأسد
قد فغرت أفواهها ، ومسجت أمواها ، فقال :

يَا مَنْظَرًا إِنْ رَمَقْتُ بِهِجَتَهُ أَذْكَرُنِي حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
تَرْبَةً مُسَكًى وَجَوْ عَنَبَةٍ وَغَيْمٌ نَدَى وَطَشٌ مَأُورِدِ
وَالْمَاءُ كَاللَّازُورِدِ قَدْ تَنَظَّمَتْ فِيهِ اللَّالِي فَوَاغُرُ الْأَسَدِ
كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحَبَابِ بِهِ يَلْعَبُ فِي جَانِبِهِ بِالنَّوْدِ
تَرَاهُ يَزْهَى إِذَا يَحِلُّ بِهِ الْإِلَاقَادُ زَهْوُ الْفَتَا بِالْعَقْدِ
تَحَالَهُ إِنْ بَدَأَ لِنَظَرِهِ تِمَامًا بَدَأَ فِي مَطَالَعِ السَّعْدِ
كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْ مَحْدَاقَهُ مَا حَازَ مِنْ شِيَمَةٍ وَمِنْ مَجْدِ
كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوَّضَهَا بِنَائِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ

ودُعي^٢ ليلة إلى مجلس قد احتشد به الأنس والطرب ، وقُرِّع فيه نبع السرور بالغرب ،
ولاحت نجوم أكواسه ، وفاح نسيم رنّده وآسيه ، وأبدت صدور أباريقه أسرارها ،
وضمّت عليه المحاسن أزوارها ، والراح يديرها أوطف ، وزهرة الأمانى تجنى وتقطف ،
فقال^٣ :

١ انظر ازهار الرياض ٣: ١٠٧ والقلائد : ١٩٤ ونفح الطيب ١ : ٦٤٤ .

٢ انظر أزهار الرياض ٣ : ١١٠ .

٣ هنا تجده نسب الأبيات لأبي محمد مع أن صاحب الذخيرة أوردتها من قبل ص : ٧٩٢ لأخيه
أبي الحسن .

يا ربَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابَه بمدامةِ وقادة كالكوكب [٢٤٦ ب]

.....

وله في وصف فرس :

وأدمم من آل الوجيه (الآيات)

ودخل السرقسطة أيام المستعين ، وهي زهرة الدنيا ، وفنتة المحيا ، ومنتهى الوصف ، وموقف السور والقصف ، فنزل منها بمثل الخورنق والسدير ، وتصرف فيها بين روضة وغدير ، وكان فرّ من ابن زرين ، فدار السور من نفس الحزين ، وخلص من اعتقاله ، خلوص السيف من صقاله ، فقال :

هم سلبوني حسن صبري إذ بانوا
لئن غادروني باللوى إن مهجتي
أحبابنا هل ذلك العهد راجع
ولي مقلّة عبرى وبين جوانحي
تكرت الدنيا لنا بعد بعدكم
أناخت بنا في أرض شتّمريّة
رحلنا سوامّ الحمد عنها لغيرها
إلى ملك حباه بالمجد يوسف
إلى مستعين بالإله مؤيد

بأقمار أطواق مطالعها بان
مسايرة أظعانتهم حيثما كانوا
وهل عنكم لي آخر الدهر سدوان
فؤاد إلى لقياكم الدهر حنان
فعاودنا من مفضل الخطب ألوان
هواجس ظنّ خان والظنّ خوآن
فلا ماؤها صدأ ولا الثبت سعدان
وشاد له البيت الرفيع سليمان
له النصر حزب والمقادير أعوان [٢٤٧ أ]

وکتب مراجعاً ۲ :

ليس بالمستنكر أن طرّ سبّقاً غير مدفوع عن السبق العربُ

١ انظر أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .

٢ هذه القطع حتى آخر ترجمة ابن السيد لم ترد في القلائد ، ولا في الترجمة التي نقلها المقري في أزهار الرياض ، وأكبر الظن أن المقري لم يورد جميع تلك الترجمة .

واقاني — أعزك الله — كتابٌ شغل حاستي سمعي وبصري ، وملاً حافتي فكري
وخاطري ، وأراني الدرّ إلا أنه لم ينظم ، وأسمعي السحر إلا أنه لم يحرم ، لو صيغ
عقيداً لأحجل الدرّ والعقيان ، ولو حيثك برّداً لعطل الديباج والخسروان ، فله
قريحة أذكت ناره ، وأطلعت أنواره ، إن مزنّها لتغير جهام ، وإن سيفها لتغير كهام ،
وان ثمرها > . . . < ونضار ، وإن زندها لمرخ وعفار ، حبذا سيدي — أدام الله
عزه — وقد طلع علينا طلوع البدر في الغسق ، وضح أفقها بخدوق ذلك الخلق ،
واقترحنا زند ذكائه فأورى ، ولحنا كوكب سمائه فأعشى ، وشاهدنا به البلاغة شخصاً
محسوساً ، والرئيس المتعاطي البراعة مرعوساً ، أقدمه الله خيّر مقدم ، وأغنمه أفضل مغنم .
وكتب مستديماً : نحن — أعزك الله — في مجلس مدام تديرنا أفلاكه ، وعقيد
نظام نظمنا أسلاكه ، بين غيم يكي بمثال عين المهجور ، وروض يضحك عن مثل
درّ الثغور :

ومدام كأنما كل شيء يتمنى غير أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها وتبقى لبابها المكنونا

فلك الفضل في الخفوف إلينا لتكون شمس تلك الأفلاك ، ووسطى تلك الأسلاك ،
إن شاء الله .

وكتب في مثل ذلك : ما ظنك — أعزك الله — بعروسٍ هو ، تختال في ثياب عجب
وزهو ، وتصبي القلوب بحسن قصفٍ وشدو ، قد سمرت من وردها عن خدّ خجل ،
ورّت من نرجسها بطرفٍ غير مكتحل ، ونحن بين فرشٍ مرفوعة ، وأكوابٍ
موضوعة ، فبادر إلينا .

وأشادت لابن هند الداني^٢ وقد طلّقت عليه امرأته :

١ لابي نواس ، قطب السورور : ٦٩٧ .

٢ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٠٨ والخريدة ٢ : ١٨٦ وورد اسمه في المغرب « ابن هندو »
وانفار نفح الطيب ٣ : ٢٦٥ حيث ورد الاسم كذلك .

أَبْدَيْتُ سِرِّي مَدَ كَتَمْتُ سِرَّكَ
وَنَثَرْتُ أَسْلَاكَ الدَّمْعَ مَعْرُضاً
أَرْخِيمةَ الْأَلْفَاظِ غَيْرَ رَحِيمةِ
لَا دَرٌّ دَرٌّ صَبَّاحَ لاسْتِحْلَالِهِ
هَبَّتْ ضَحْيٌ وَأَهَابَ طَيْبُ نَسِيمِهَا
لَمَّا أَسْرَوْا الْبَيْنَ أَسْرَوْا وَالِدَجِي
فَطَفَقْتُ أَنْشُدُهُمْ وَأَنْشُدُ بَعْدَهُمْ

ومنها :

هَلَا بَعَثْتَ وَلَوْ يَفْرَعُ بِشَامَةٍ
وَقَرَأْتَ حِينَ قَرِيتُ^١ رُبْعَكَ أَدْمَعِي
يَا بِنْتَ مَعْتَبَقِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا
لَا قِرْنَ أَرْهَبُهُ سِوَاكَ وَلَنْ غَدَا

ومنها :

أَهْوَاكَ حَالِيَةً^٢ وَعَاطِلَةً^٣ وَإِنْ
وَيْسَرُهَا مَا سَاعَنِي مِنْ حَبِهَا
مَهْمَا رَحَلْتُ وَصَارَ حَبُّكَ قَاطِنًا
رَفَقًا بَقَلْبٍ أَنْتَ فِي سَوْدَائِهِ
وَعَزِيمَةً أَمْضِيَّتِهَا لَمْ أَخْلِسِهَا

١ ب م : نزلت .

٢ د ط : عاطلة وحالية .

٣ ط د : حزم .

فعلَ الكرامَ ولَمَني لزعيمهم فاخترتُ تسريحاً على إمساك
ولو أني أحببتُ ذاكَ لردّها للقول مرهفةً وجردُ مذاكي
فالحقُّ أبلغُ لا شهادةُ كاذبٍ من جهله يزكو وليس بذاك
يحيي ويقتل بالشهادةِ وهو لا يدري ، فأفّ ليزوره السفّاك

واعترض الحاجبُ منذر بن هود يوماً بعضَ الجنود ، وزعيمهم بعض
أعلاج العبيد ، يسمى خياراً ، في نهاية من الجمال ، فجعل ينفضُ في القرن
لجمع أصحابه كعادة أعلاج العبيد ، فقال ابن هند ارتجالاً :

أعنْ بابل أجفانُ عينيك تنفضُ وعن قوم موسى [قد جعلت تحدثُ]^١
أفي الحقَّ أن تحكي سرافيلَ نافخاً وأمكثَ في رمسِ الصدود وألبث
عساكَ خيار الحسنِ^٢ تأتي بآيةٍ فتنفضَ في ميثِ الغرامِ^٣ فيبعث

ووجدتُ له في بعض [التعاليق] هذه القصيدة منسوبةً إليه بخط عبد الجليل
ابن وهبون المرسى ، أولها :

فرقتُ لتوديعِ الخليلِ الموافقِ وقد حُميتُ بالبيضِ سودُ المفارقِ
ولا ثغرَ إلاّ دونه ثغرُ بارقٍ ولا خدَّ إلاّ دونه حدُّ بارقٍ^٤
أمانِي تحميها المنايا وللهمى بها موردٌ يغري مشوقاً بشائقِ [١٢٤٨]
ومما شجاني شدوُ أوركِ ساجعٍ يراجعهُ تنعابُ أسفعِ ناعقِ

١ النفض : أنت للمهد تنكث ؛ س : حزت قرباً تحشحت .

٢ النفض : ذهب الحسن .

٣ النفض : ميت الصدود .

٤ ط د : لتفريق .

٥ د ط : حجبت .

٦ ط د : خد خارق .

وفكَّ معصَى النّائحين كليهما
فمن ذاتِ قَلْبٍ فوقِ وجنّاء خيفي
ومن عاتقٍ فعلُ الحليّ بجيدها
من اللّائي لا الأقراطُ يرضين زينةً
شقن قلوباً لا جيوباً كرامةً
وضاعف وجدي عطفُ صدغٍ معقربٍ
ولينُ قدودٍ كالغصون يعوقها
فأبديتُ ما أخفيتُ والموتُ حاضرٌ
فأقبلن يُسدّلنَ البراقعَ عِفّةً
وسِرْنَ يؤمّلنَ الحمى فنزلنه
ولني لمن حاز الغبيطَ لغابطُ
سيلحني بالحى من كلِّ وجهةٍ
عليمٌ بسرى جسمه جسمٌ [مقرب]
وأسمرُ مهما سرتُ سار مسامري
ومن شيتي حبُّ الحسامِ كأنّه
وليلٌ يظلُّ النجمُ فيه كأنما
سريتُ ودوني كلُّ خرقٍ كأنما
فما راعهم إلّا الكرى قد أطاره
ومن لم يعرضُ للمهالكِ نفسَه
وأجدرُ من نال الأمانى ساكنُ
وأخلقُ خلقٍ بالمدايحِ ماجدُ
ثنيتُ عناني بالمودةِ نحوه
فأوردني من برّه وثنائه
ترنّم حادٍ بالمطايا وسائق
تسيرُ ومن قَلْبٍ هنالك خافق
يدكرها فعلُ النجادِ بعاتق
لهنّ ويستحسنُ لبسَ القراطق
لنا ونثرن الدرّ فوقَ الشقائق
كنونُ أجادت خطها كفّ ماشق
إذا مسّن أن تنقدّ شدّ المناطق
ومثلي لا يزهى بحبّ منافق
ويرميننا من كلِّ لحظٍ براشق
لإسّادٍ عَشْرِ بعدَ وَحدٍ الأيانق
على صابحٍ بالوجد قلبي وغابق
أنحو الرياح من آلِ الوجيه ولاحق
كريمٍ ولكنّ نفسه نفسُ عاشق
وأبيضُ مهما نمتُ نام معانقي
إذا شيمَ في الهيجا تألّقُ بارق
مغاربهُ موصولةٌ بالمشارق
تُرَدّدُ فيه الجنُّ لحنَ مخارق
صليلُ العوالي أو صهيل السوابق
وفاءً لمن يهوى فليس بواق
ظهورَ المذاكي في بطون السماق
صليبُ قناة الدين لدنّ الخلائق
مُجدّ أولم [أحفل برأي] المحائق [٢٤٨]

ومن كأبي عبد الإله مؤملاً
جري بميدان العلوم مؤيداً
فما شئتُهُ من طاعنٍ فيه خارق¹
فأعجبُ له من ناظمٍ فيه ناثرٍ
جميلُ الأيادي في المبادي معيدها
إذا استمطر الدهنَ الذكي تفتحت
فيا لك من مستعذبِ العرفِ عاطرٍ
لعمرك إجلالاً لما أنسا حالفٌ
لقد أهدتُ بي من أياديك منّة²
وعاقَ لساني أن يطيلَ عنانه
واني أن قصرتُ فالشكرُ مسهب
فقل³ لأناسٍ أمّلوا نيلَ شأوهِ
فدونكها من مُخلصٍ لك ممحضٍ
ومن لم يساعدهُ الرشادُ فغيّه
إذا الجددُ لم يجدي عليك فلا تكن⁴

لقمع أباطيلٍ ونَصْرِ حقائقٍ
على قِرنِهِ في المأزقِ المتضايقِ
وما شئتُهُ من ضاربٍ فيه فائق
وأعجبُ له من فاتقٍ فيه رائق
حميدُ المساعي في العلا والطرائق
أزاهيرُ علمٍ في رياضِ المهارق
ويا لك من مستغربِ الحُسْنِ رائق⁵
به قولَ ذي ودٍ وحلفَةٍ صادق
تذكرني في الحسنِ زهرَ الحدائق
أمورٌ عرت⁶ والمرءُ رهنُ العوائق
يطيلُ وإن أبصرتهُ غيرَ ناطق
مكانكمُ فالشاهُ ربُّ البيادق
هو العليقُ إلا أنه غيرَ نافق
مفيدُ الأعادي من جهاتِ الأصادق
من الجددُ ما حاولتَ شيئاً بوائق

وأنشدت لأبي عامر بن زهرة الصائغ من دانية في ابن هند هذا، إذ
طلقت عليه امرأته :

لا تلوما نجلَ هندٍ يا خليلي⁷ وكُفّا

١ ط د س : حاذق .

٢ بمد هذا البيت وقع في ط د س بيت أوله «فقل لأناس . . .» وسيأتي حسب موضعه في ب م .

٣ ط د : عدت ؛ س : عفت .

فهو في الناس رشيدٌ أبصرَ الغيَّ فكفَّ
 طلقَ الفرجَ ١ ثلاثاً وابتنى ٢ بالزبِّ ألفاً

وسرق رجلٌ من دانية دنانيرَ لرجل اسمه غالب ولم يعاقبْ ، فقال
 ابن زهرة :

أفي الحقَّ أن يدرا ويدراً حده وقد غلَّ شطراً من دنانيرِ غالبٍ
 وتقطعَ مخزوميةٌ في نجارها تمتُّ بقربى من لؤي بن غالب

وأنشدت لأبي بكرٍ الفرضي الداني وخاطب بها أبا الحسن بن سابق ،
 صاحب سوق بلنسية [٢٤٩ أ] :

يا ماجداً أصبح ممنوحاً بكلِّ فضلٍ بانَ تصريحاً
 طالت مواعيدُك لا معدماً فاستقصرت في عمره نوحاً
 واستقبلتُ رُسليَ أعيانُها من فرطٍ ما حملتها ريحاً
 لعلَّ اسرافيلَ إذ زاركم ينفخُ في بيت الدجى روحاً

فأجابه ابن سابق :

يا مخطيءَ التقديرِ ٣ إني [امرؤ] مكابدٌ منك تباريحاً
 قستَ بما تبصره باطني إن شئتَ خذ سريَ مشروحاً
 كم ضاحكِ السنِّ [إذا] جردوا أثوابه أُلْفِيَّ مجروحاً
 إليه أبا بكرٍ لقد غادرتُ دمعِي أبيتُك مسفوحاً

١ ط : الحرج .

٢ ب م : وانثنى .

٣ ط د س : التدبير .

أُبَكِّيكِ مِنْ حَرٍّ أَنْخِي فِطْنَةً أَصْبَحَ بِالْحَرَمَانِ مَفْضُوحَا
سَبْحَانَ مَنْ صَيَّرَ مِثْلِي عَلَى قَلَّةٍ قَدْرِي مِنْكَ مَمْدُوحَا
مَحْمَلًا رُسُلَكَ مَهْمَا أَتَوْا بَرَقَةً مِنْ لَفْظِكَ الرِّيحَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ كُنْتُ بِكَاسِ الْغَى وَالْعَزِّ مَغْبُوقًا وَمَصْبُوحَا

ولأبي بكر الفرضي من جملة أبيات :

قَالَتْ وَقَدْ نَشَرْتُ الصَّبَاحُ رِدَاءَهُ وَجَسَّ الصَّبُوحُ فَعَاطِنِي الْجِرْيَالَا
فَسَقَيْتُهَا حَتَّى انْتَشَتْ وَتَمَايَلَتْ كَالْغَصْنِ حَرَكَةَ النِّسِيمِ فَمَالَا
وَشَرِبْتُ فَضْلَاتِ الْكُؤُوسِ وَقَدْ أَبَتْ إِلَّا لِتَجْعَلَ قَبْلِهَا الْأَنْقَالَا^١

وأنشدني الشيخ أبو [جعفر] أحمد بن عتق الفضة^٢ من مدينة سالم لنفسه :

رَضِيَ [جاء] عَنْ لِحَظَاتٍ غِيْضَابٍ وَعُتْبِي . تَحَاوَلُ مَحْوِ الْعَتَابِ
يَقُولُ فِيهَا :

فَلَوْلَا حَيَاءُ الْمَحِيَّا وَمَا عَرَانِي [لَفَقْد] الصَّبَا مِنْ تَصَابِي
لَمَرَّغْتُ خُدْيَ وَأَلْفْتُ بَيْنَ هَشِيمِ الْمَشِيبِ وَرَوْضِ الشَّبَابِ

وأول من أفرغ على هذا المعنى وصبَّ على هذا القلب ابن الرقاع^٣
بقوله : [٢٤٩ ب]

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزَرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

١ ط د : نقلها ؛ س : الانقلا .

٢ في المغرب ٢ : ٤٦٢ ترجمة لجعفر بن عتق الفضة من مدينة سالم ، فلمله هو .

٣ انظر الشعر والشعراء : ٥١٦ وياقوت (جاسم) والكمال ١ : ١٤٨ والأغاني ٩ : ٣٠٥ .

وقال تميم بن المعز :

والله لولا أن يقالَ تغيّراً وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعاد تفاحَ الحدود بنفسجاً لثمي وكافورَ الترائب عنبراً

ولو قال تميم في هذا البيت :

لأعاد وردَ الوجنتين بنفسجاً لثمي

لتمَّ له الوصفُ ، وَحَسُنَ الرَّصْفُ ، لكونِ الورد من قبيل البنفسج ،
كما جمع بين الكافور والعنبر ، وسلم بذلك من كل ناقد ، لأنهما من قبيل واحد.
وقال محمد بن هاني^١ :

والله لولا أن يُسَقَّهني الهوى^٢ ويقولَ بعضُ القائلين تصابى
لكسرتُ دُمْلُجها بضيقِ عناقها ولثمتُ من فيها البرودِ رضاها

وأنشدت لأبي محمد بن سفيان^٣ وزير الأمير ابن قاسم صاحب حصن
البونت من جملة أبيات خاطبَ بها أبا عيسى بن لبون :

ألاموا وقالوا مذنبٌ ومُليمٌ وعرضيَ من تلك الهناتِ سليمٌ
وما فيّ ما يُنْعَى ولكنَّ سؤدداً هوتَ لذوي الرجحان فيه نجوم
فقلتُ وجفني قد تداعتْ شئونهُ وحرُّ ضلوعي مُقْعِدٌ ومقيم

١ ديوان تميم : ٤٦٢ ، وهي من الإضافات إلى الديوان ، وانظر التخريج في الحاشية .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٨ .

٣ دطس : الوري .

٤ ترجمته في القلائد : ١٣٦ .

لئن دَهَمْتُ دَهْمُ الخطوبِ وآلْتُ
يَجْلِي دَجَى عَمَائِهَا فَتَجَرُّ رَأْيَهُ

فإن . أبا عيسى أغرُّ كريم
وينقض منها والزمان بهيم

ومن جواب أبي عيسى :

ليهنِكَ مَجْدٌ مُحَدَّثٌ وَقَدِيمٌ
بَنَى لَكَ سَفِيانٌ وَقَدْ زِدْتَ يَا ابْنَهُ
كَأَنَّكَ تَمَثِيلًا سَمَاءُ جَلَالَةٍ

بناه كريمٌ قد تلاه كريمٌ
وהל طاب فرعٌ أو يطيبَ أروم
لها من ضروبِ المعلّواتِ نجوم

ومنها :

وَأَسْمَرَ عَرِيانٍ مِنَ الْعُشْمِ^١ جَاهِلٍ
إِذَا جَنَّةُ الْأَقْلَامِ يَوْمًا تَمَرَّدَتْ
وَأَن خَطَّ قُرْطَاسًا بَدَا فَوْقَ صَحْنِهِ
يَعْطَلُ سَحَرَ السَّحَرِ سَحَرُ بَيَانِهِ
رَأَيْتُكَ الْمَعَالِي هَادِيًا عَالِمًا بِهَا
يَهْبُ عَلَى الْآفَاقِ ذَكَرَكَ عَاطِرًا
وَدُونُكُمَا وَالْعَدْرُ مَا قَدْ عَلِمْتُهُ^٢
نَتِيجَةُ فِكْرٍ قَدْ ثَقَلَبَ^٣ مِيزَهُ
وَحَقٌّ فَإِنَّ الْمَاءَ قَسَدٌ بَلَغَ الزَّبِي
[عَلَى أَنِّي صَعْبُ الْقِيَادِ إِذَا دَهَتْ
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا مَا ابْتَنَتْهُ ثَلَاثَةٌ

وأما إذا صرّفتهُ فعليمٌ
فأدنى مراميه لمن رجوم
نثيرٌ لآل تارةً ونظيم
ويقعدُ حدَّ السيفِ حين يقوم [٢٥٠ أ]
فلاذتُ بمن يَهْدِي بها ويهيم
كما هبَّ من نحو الرياض نسيم
همومٌ تنسي ، خطبُهُنَّ عَظِيمٌ^٢
سواءٌ صحيحٌ عنده وسقيم
ولازمَ من صرف الخطوب عَزِيم
دواهٍ فإني بالدفاع زعيم
حسامٌ ونفسٌ حرةٌ وعزيم]

١ د ط : القشب .

٢ د ط س : هموم .

٣ د ط س : ذهن . . . ثقلت .

فإن مرّ منك النّقدُ منها بسقطةٍ فحلّمك يُغضي والكريمُ حلّيم

وأنشدت ليحيى السرقسطي المعروف بالجزّار^١ في رجل ساوم طبيباً :

عجبت لذي سقم معضل يسوم الطبيب ويكدي عليه
يضمنُ عليه بديناره ويجعل مهجته في يديه

وأمر الحاجب ابن هود الوزير أبا الفضل بن حسداي أن يوبخ يحيى هذا على رجوعه إلى الجزارة من بعد أدبه ، فخطبه بأبيات أولها :

تركتَ الشعرَ من ضعفِ الاصابه وعدتَ إلى الدناءة^٢ والقصابه^٣
فأجابه يحيى الجزّار :

تعيبُ عليّ مألوفَ القصابه^٤ ومن لم يدرِ قدّرَ الشيءَ عابه^٥
ولو أحكمتَ منها بعضَ فنّ لما استبدلتَ منها بالحجابه
أما ولو اطلّعتَ عليّ يوماً^٦ وحولي من بني كلبٍ عصابه
لهالك ما رأيتَ وقلتَ هذا هزبرٌ صيرَ الأوضامَ غابه
فتكنا في بني العتريّ فتكاً أقرّ الدّعْرَ فيهم والمهابه
ولم نُقلِيعَ عن الثوريّ حتى مرّجنا بالدم القاني لعابه
ومن يغرّ منهم بامتناعٍ فإنّ إلى صوارمنا إياه
ويبرزُ واحدٌ منا لألفٍ فيغلبهم وتلك من الغرابه

١ ترجمته في المغرب ٢ : ٤٤٤ وانظر نفع الطيب ٤ : ١٥٢ وزاد المسافر : ١٤٠ .

٢ النّفع : وملت إلى التجارة ؛ زاد المسافر : وعدت إلى التجارة .

٣ زاد المسافر : فانك لو نظرت إلي فيها .

٤ زاد المسافر : لهالك منطري ولقلت .

ومنها :

وحقّك ما تركتُ الشعرَ حتى رأيتُ البنخلَ قد أمضى شهابه^١
وحتى زرتُ مشتاقاً حميماً^٢ فأبدى لي التجهّم والكآبه [٢٥٠ ب]
وظنّ زيارتي لطيلابٍ شيءٍ فنافرني وغلّظَ لي حجابه
ومن تلكُ سهمتهُ الماضي ويأملُ بك الغرضَ الذي يهوى أصحابه
من الأوشالِ لجُ البحرِ طامٍ وفيضُ البحرِ من نُقْطِ السحابه
كتبْتُ به عليلَ الجسمِ نضواً وذو الأسقام قد يعدو صوابه
وموقفُ حُسنِ نقدِ الشعرِ صعبٌ فيسرُّ عند موقفهِ حسابه
وأنشدت له من أبياتٍ خاطبَ بها صاحبَ الأحكام بسرقسة :

خليليّ ما أولى المكاوي وبأسها ييافوخ من يبتاع داراً مُطبّله^٣
وصبّحتي خصمٌ ألدّ وإنّي وحقّك في أمرِ الخصام لذو بقلته
أقلّ بناتٍ^٤ الخصوم تهدّني وإن عنّ نظمُ الشعر طبقت مفصله
ومالي من شيءٍ أدافعهُ به سوى عُسرةٍ بكلّ حالي موكله
ولي مقعدٌ خمسون يوماً مضتُ بما حوتهُ يدي في قابضات مسهاله
فكنّ باسط الشورى بفضلِكَ قاضياً عليّ ولي إن القضاء لمعدّله^٤
ولم ألتمز مجهولَ وقتٍ لوزنه وحسبك ذا رسمي بخطّ ابن حنظله

وكان والده تقبّل أرضاً للأحباسِ فضاع ، واجتمع عليه خراج الأرض ،
فكتب إلى العامل في ذلك :

-
- ١ المغرب : أذكى شهابه ؛ النفع : أوصى أصحابه .
٢ المغرب : حبيباً ؛ النفع : خليلي .
٣ ب م : بنات ؛ ط د س : فتيات .
٤ ط د س : أمر .

يا أبسا جعفر^١ لعا من عشار
 مبيدي اسمع لعبدك القن^٢ [يحيى]
 كان لي والد^٣ وكان لعمري
 ناقص^٤ الرأي تاجر البر والبحر
 مثل ما سمّي اللديغ سليمان
 وكذا يسلك النجيب ويقفو
 لو وردت البحار أطلب ماء
 أو لمست العود النضير بكفي
 أو رمى بأسى النجوم الدراري
 ولو آني بعت القناديل يوماً
 ومنها في كراء الأرض المذكورة :

اكترها ولم يكن مستخيراً
 جدبة^٥ بعضها من الشؤم أضحي
 لم يزل زارعاً بها حمل بغل
 ساءني ما أصبت فيها ولكن
 ما أبالي وقد غدا لي ركناً
 وقت شؤم بطالع الإدبار
 في علو^٦ وبعضها في انحسار
 رافعاً منه نصف حمل حمار
 سرني منه خيبة العشار
 صاحب الشرطة الكريم النجار
 وله من أبيات استهدى فيها مشروباً :

هاتها كوثرية^٧ عسجديه^٨ بنت كرم رحيقة عطرية^٩
 كلما شفه النحول تقوّت^{١٠} فاعجبوا من ضعيفة وقويه

١ س : أبها عامر . ٢ ط د : كامل .

٣ هذا البيت ورد في المغرب ٢ : ٤٥٥ ومعه بيت آخر وهو « ولو آني بعت القناديل . . . »

ربّ خمارةٍ سريت إليها والدجى في ثيابه الزنجيه
وحشوشُ الصُّبّا تحثُّ ركابي وشياطينُهُ تجدد نيه
ثم ناديت ربةَ الدير قومي فتشت^١ كأنها حوريّه
تمسح النومَ عن جفونِ أُمّاقٍ ببنانٍ مخضّبٍ فضيه
قلت هاقي التي بها يستمال^٢ الـ شادين الصعب والنفوس الأبيه
فأتني بها تلاًّلاً نوراً في كؤوسٍ كأنها عديّه
كم عقارٍ بذلته بعُقارٍ وثيابٍ صبغتها خمريّه
ودنانٍ ثنائيّ السكر عنها مترعَ البطن فارغَ السبّنيّه^٣

[ومنها] :

هاك روضاً من التادّبِ غضباً بفصولٍ غريبةٍ معنويّه
من شكورٍ أهدى إليك ثناءً حين لم يستطع سواه هديّه
فلتقارض عليه ماءً بماءٍ لا تقلّ غدوةً ولا في العشيّه
إن خيرَ البيوع ما كان نقداً ليس ما كان أجلاً بنسيّه [٢٥١ب]

ورفع بعض المستمنحين رقعةً رديئة الخطّ واللفظ للوزير أبي عبد الله بن
زراعة^٢ بسرقة ، فوقّع على ظهرها :

إنّ مَنْ يقصد الملوكةَ ليعطى بمدادٍ مسطرٍ في كتابٍ
دونَ نظمٍ ولا براعةٍ لفظٍ رائعٍ حُسْنُهُ ذوي الألبابِ
لحقيقٍ بالمنع في كلّ وجهٍ وجديرٍ بالطرد في كلّ بابِ

١ ط د س : فأتني .

٢ ترجم له في المغرب ٢ : ٤٤٣ وقال انه من رؤساء سرقة ومن ساد بصحبته الملوكة ، مع البيت القديم ، وأنشد له أبياتاً ذكر أنها وردت في الأخيرة ولكنها لم ترد هنا .

ورفعت طائفةً من الرعية على خازن المتنانة إلى المستعين بالله بن هود،
فوقع لهم :

نسبتم الظلمَ لعمّالكم ونتمم عن قبّح أعمالكم
تالله لو حكمتهم ساعة ما خطر العدل على بالكم

وأنشدت للأديب أبي الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري^١ ، منسوباً
إلى قريةٍ له بعمل سرقسطة^٢ :

يا غُصْنًا هَزَّهْ نداه يمنعه الحلم أن يميذا
لم يثِنْ منك الشبابُ عِطْفًا ولا استمال الفخار جيذا
غرَّكَ مِنْ وَصْلِنَا غرامٌ فنازع الوصلَ والصدودا
كلُّ معنَى سواكَ أَمسى صَبًّا بغير العلا عميدا
كم شرفٍ في العلا [يفاع] أحرَزْتَه يافعا وليدا
ومنطقٍ في الندى جرّازٍ أرسلته ضامنا سديدا
راعَ جلالاً وجلَّ قدراً وفاتَ سَبَقاً وبدَّ جودا

[ومنها] :

إن تَلَقَّيْتَه فالأنام طُرّاً وإن غدا واحداً فريدا
[يهزُّ منك القريض عطفاً والمدح يثني إليك جيذا]
سوف أوفّيه منك حظّاً يحفظه الدهر أن يميذا

١ في المغرب ٢ : ٤٧ ؛ أبو الطاهر يوسف بن محمد الاشكركي ؛ وفي ب م : الاشكوري ؛
ش : الأشكديري ، وورد مرة أخرى في المغرب : ٤٣٣ الاشكورتى ، وقال فيه إنه إمام في
اللغة وكان له جاه عند ملوك النضر بني هود وأكثر أمداحه في المعتصم بن صمادح ملك المرية .
٢ منها أربعة أبيات في المغرب ٢ : ٤٤٨ .

وله من أخرى يخاطب رفيع الدولة بن صمادح^١ :

ألا مبلغٌ عني الرفيع تحيةٌ	كما نهبه الروضَ النسيم المخلّق
عَدِمْتُ رسولاً بالتحية نحوه	فسار بها عني الهوى والتشوق
ونازعني ذكره شوقٌ مبرّحٌ	كما علّل الشربَ الرحيقَ المعتق [٢٥٢]
فيا ليت شعري هل يُعرجُ خاطرٌ	عليّ وهل يجري بكريّ منطق
وإني لأخشى أن يسوّغَ كاشحٌ	وأحذر من كَيْدِ العُدّةِ وأشفق
سواكَ لأسبابِ المودةِ قاطعٌ	وغيرك منّ تبلى أديه وتخلّق ^٢

وله يشكره على مبرةٍ كانت منه لأحد بني الراضي يزيد بن المعتمد
ابن عباد^٣ :

إليك رفيعَ الملك تُهنّدي المحامد	وباسميكَ تبهي في الزمانِ المشاهدُ
سلكتَ سبيلاً في المكارمِ أولاً	لك الفضل هادٍ تقتفيه وراشدُ
وجرّدتَ دونَ المجدِ للجود صارماً	وللهِ حامٍ عن حمى المجدِ ذائد
وإنك للغيثِ الذي عمّ سَيِّئُهُ	تساوى قصيٌّ في نذاكَ وشاهد
تغيّرَ فيك المكرّمات فكلّما	تبرعتَ عادتُ بالخزيلِ عوائد
بدائعُ مجدٍ أنطقتُ كلَّ أوحدٍ	فإنك فذٌّ في البريّةِ واحد
ولما رأيتَ الفتحَ روضةً سؤددٍ	ذوى يانعٍ منها وجفتَ موارد
وكم عَدُبْتُ تلكَ الرياضُ مشارعاً	فعرّجَ منتابٌ وخيّمَ رائد
سقاه ذنوبٌ من نوالِكِ سلسلٌ	وسجّ عليه من سحابك سجايد

١ منها أربعة أبيات في المغرب .

٢ هنا تنتهي النسخة ب ، وقد سقطت منها ورقتان على الأكثر .

٣ منها بيتان في المغرب .

٤ المغرب : ورائد .

فأضحى وعودُ العيش رِيَّانُ مَورِقُ
وعاد عليه الدهرُ سلماً وكم غدا
سلالةُ مجدٍ صرَّم الدهرُ حَبْلَهُ
وبينكما للمجدِ قُربى قُربىةُ
أبوك ابنُ معنٍ والمؤيدُ جدُّه
لأجلتِ برّاً واحتفلتِ كرامةُ
ولني زعيمٌ والقواني ضوامنُ
فقدُمتَ على الأيامِ تزهو بك العلا

وغصنُ الصَّبَا لدنُ المعاطفِ مائد
يحاربه منه عدوٌّ معانسد
فواصلَ منه الحبلَ أروعُ ماجد
وحسبك قُربى أنْ تطيبَ المحائد
سما بكما جدُّ همامُ ووالد
فحيّاك مني شاكرٌ لك حامد
بشكرٍ تعاطيه الزمانُ القصائد
وحظّك موفورٌ وجدُّك صاعد

وله من قصيد طويل ، خاطبه به من غرناطة وهو عابر سبيل ، أوله :

ألا هل أتى عني الرفيع سلامُ
وهل زاره عني ثناءُ كأنما
عليك سلامُ الله أمّا تشوّقي
عهدتك من ذكرى خليلك والندى
ولني لتشيبي إليك نوازعُ
تصاحبني عليك في كلّ بلدةٍ
وترفع لي إما ضللت على السرى
محارب أقبالٍ وأعلامٍ سوددٍ
لذكرك ما حسنت ركابي فشاقي
فهنّ حوانٍ كالقسيّ وإننا
أعلّناها أن الرفيع أمامها
فهل جاءها أن الديارَ قصبةُ
فقلت لها لما أضرت بها الوجى

كما فُضّ للمسك الذكي ختامُ [٢٥٢ب]
يخامر عطفَ الدهر منه مُدام
فبرخُ وأمّا أدمعي فسجام
كما هزّ يومَ الروع منك حسام
كما اعتاد صبيّاً لوعةً وغرام
كأنّ اضطرابي في البلاد مقام
قبابٌ لكم فوق السها ونخام
بهنّ على صدرِ الزمانِ أقاموا
حينّ به تُطوى الفلا وبغام
مسيراً وعزماً في البلاد سهام
فتترك مَرَوَ الحزن وهو قتام
وأن وراءَ خلفته أمام
وقد جدّ منها غاربٌ وسنام

إذا ما حططتِ الرحلَ بآبن صمادحِ
ومن لركابي أن تنيخَ بظلالهِ
ومن لي بأني من ذراه بروضةِ
فأرتعَ منها في معاطفِ سَرَحَةٍ
وأسفرَ عن وجه من الودِّ واضحِ
مشارع أُرخی الفضل فيها لِمَزاره
سلامٌ على تلك المحاسِنِ كلِّما
فإن السرى بسَلِّ عليك حرامِ
فيخلعَ منها مِقْوَدٌ وزمامِ
يسحَّ عليها من نداه غمامِ
تغنِّي بها للمكرماتِ حَمَامِ
كما حُطَّ عن وجه الصباح لثامِ
وَضُمَّ العلا والمجد منه نظامِ
تردَّد ذكرٌ في الورى وسلامِ

وله يعارض أبا الفضل بن حسداي في قصيدته التي أولها ١ :

عهدٌ للبنى تقاضيته ٢ الأمانات بانث وما قُضِيَتْ منها لباناتُ

فقال أبو الطاهر :

وعدٌ لعلوة أن تقضى لبانات
لم تُرضِها منك أنفاسٌ مقطّعة
قالت وقد أبصرت من بينها ٣ جزعي
وفي سبيل الهوى والشوق ما صنعت
عوض رجاءك من يأس [ومن ترحٍ]
بيني وبينك عهدٌ سوف أحفظه
ألوت بها يوم وشك البين علاّت [١٢٥٣]
حتى تقطع أطواقٌ ولبّات
لا تياسنَ فإن الدهرَ حالات
روائع البين لا تحزنك روعات
فلليالي وإن باعدنَ كرات
وربما ضيّعت يوماً أمانات

هاجنا انتهى ما أثبتته ابن بسام رحمه الله
في القمم الثالث من كتاب الذخيرة

١ انظر ما تقدم ص : ٩٢ .

٢ ط د : تقاضيته .

٣ ط د : بينهم .

تعليقات

١ - ص ٤٠ س ٢١ : أشير إلى ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز في قلائد العقيان : ١٦٧ (صوابه ١٦٣) وهذا خطأ ، فإنها ترجمة رجل آخر اسمه أبو بكر بن عبد العزيز ويعرف بابن المرخي ، وله ترجمة في القسم الثاني من الذخيرة .

٢ - ص ٢٢٥ س ٢٠ : البيتان « لا بد من فقد ومن فاقد » قيل في التعليق عليهما : وردا منسوبين لأبي نواس في محاضرات الراغب ٤ : ٥١٣ والصحيح أن البيتين لأبي فراس الحمداني (ديوانه : ٢٢٥) واليتمة ١ : ٥٢) ، وقد ضللتني التصحيف الواقع في محاضرات الأدباء ، واستدركت ذلك في فهرس القوافي .

٣ - ص ٣٢١ س ١ : أبيات لابن مهران ، أوردها الحميدي في الجندوة : ٣١٧ ونسبها لموسى بن الطائف .

٤ - ص ٤٤٨ س ١١ : أبو جعفر بن جرج : في الذيل والتكملة (١ : ٨٠) ترجمة لأبي جعفر أحمد بن جرج القرطبي الوزير ، وكانت وفاته بعد ٥٧٠ ، قال ابن عبد الملك : ولأئنا أثبت هذا هنا لأنني وجدته هكذا منسوباً إلى جرج ، وما أراه أباه الأقرب والله أعلم ؛ ثم ترجم ابن عبد الملك لأحمد بن محمد بن جرج ، وهو قرطبي سكن مالقة ، ووصفه بأنه كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء ،

مكثراً سريع البديهة وأنه توفي سنة ٤٨٦ ؛ ولعلّ الأوّل منهما هو الذي ترجم له ابن بسام .

٥ - ص ٤٦٢ س ٢ : ورد البيت :

ولو كنت بالعنقاء أرباً سومها لخلتلك إلاّ أن تصدّ تراني
وصواب القراءة : أو بأسومها ، كما ورد في النسخ الخطية ، وقد
ورد البيت في الأغاني (٦ : ١٨٩) لمحمد بن عبد الله النميري ،
وهذه روايته :

فلو كنت بالعنقاء منك تطير بي لخلتلك إلاّ أن تصدّ تراني
ورواه صاحب الأغاني (٢٢ : ٣٧٥) للعديّل بن الفرخ ، على
النحو الآتي :

فلو كنت في ثهلان أو شعبيّ أجا لخلتلك إلاّ أن تصدّ تراني

وأورده المبرد (الكامل ٢ : ١٠٣ ، ٢٠٦) للنميري وروايته
كما جاءت عند ابن بسام « أو بأسومها » وفي المرة الثانية (٢٠٦)
« أو بيسومها » ؛ وورد البيت في الجمان في تشبيهات القرآن لابن
ناقيا (ص : ٢٢٧) للنميري ، وروايته « أو بأسومها » . وقد
ذكر ياقوت أن يسوم اسم جبل ، ويبدو أن « أسوم » قراءة أخرى
فيه ، وإن لم تذكرها المعاجم الجغرافية .

٦ - ص ٤٧٧ س ٥ : الرجز « قد حلفت بالله لا أحبه » . ورد في كتاب
خلق الإنسان لثابت ، وفي اللسان والتاج (زبب ، خصي) .

٧ - ص ٨٢٤ س ١١ : ورد الخبر عن الزبير بن بكار في زهر الآداب :
٧٤٣ على النحو الآتي : وقرأ الزبير بن بكار في أخبار أبي السائب
المخزومي ، فاما بلغ إلى قول مالك بن أسماء الفزاري :
بكت الديار لفقد ساكنها أفعد قلبي أبتغي الصبرا

هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

بيننا هم سكن بحيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذا وله يعاتبني من لا يرى أمري له أمرا

وان أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا !
أما قدموا ركاباً ؟ أما ودعوا صديقاً ؟ فقال الزبير : رحم الله أبا
السائب ، فكيف لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرننا وداعنا بالسؤال
ما أنحنأ حتى ارتحلنا فما فرقن بين النزول والارتحال

هكذا رواها الزبير بن بكار لمالك بن أسماء ، ورواها غيره لأيوب
ابن شبيب الباهلي .

٨ - ص ٨٣٦ س ٧ - ٨ : قول ابن المعتز « غلالة خده صبغت بوردا . . . »
البيت ، في الأوراق للصولي : ١٩٩ وزهر الآداب : ٧٣٠ .

فهرس الكتاب

أ - فهرس الأعلام

ابن أخي الحصاد : أبو أيوب ذو الوزارتين

. ١٤٠

أحمد (الرسول) ، انظر : محمد (الرسول).

أحمد بن جدار ٥٨١ .

أحمد بن الحسين ، انظر : المتنبي .

أحمد بن الحصب ٢٤٤ .

أحمد بن صبغون (والد أبي المطرف بن

المثنى) ٤١٠ .

أحمد بن عباس ، أبو جعفر ٢٢٧ ، ٢٢٩

. ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٧٤٦ .

أحمد بن عنق الفضة ، أبو جعفر (٩٠٢

- ٩٠٣) .

أحمد بن غرسية ، انظر : ابن غرسية .

أحمد بن المعدل ٢٩١ .

أحمد بن يوسف بن هود ، انظر : المستعين

ابن هود .

الأحنف (ابن قيس) ٣٨٠ .

الأخطل ٤٦٣ ، ٨٢٧ .

إدريس بن اليماني العبدي اليايسي ، أبو

علي (٣٣٦ - ٣٤٥ ، ٣٥٢ - ٣٦٠)

أ

آدم ٣٨٩ ، ٦٧٤ ، ٧٤٠ ، ٧٤٥ ، ٨١٠ .

إبراهيم (الخليل) ١٦٠ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧

. ٦٩٣ ، ٧٤٥ .

إبراهيم (ابن الأشر) ٨٠٢ .

إبراهيم بن معلّى الطرسوني ، أبو إسحاق

. (٨٤٠ - ٨٥٤) .

إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ، أبو إسحاق

. ٦٢٣ .

ابن أبي حصاد ١٤٥ .

ابن أبي حمامة ٧٧٨ .

ابن أبي الحصاد ، أبو عبد الله ذو الوزارتين

. ٦٣٨ ، ٦٣٩ . (٧٨٤ - ٨٠٩) .

ابن أبي عامر ، انظر : المظفر بن أبي

عامر ، المنصور بن أبي عامر (عبد

العزيز بن عبد الرحمن) ، المنصور الكبير

ابن أبي عامر (محمد) .

ابن أبي الفتح (في شعر أبي حاتم الحجاري)

. ٦٦٤

ابن أبي موسى ، انظر : ابن مقنة .

٨٨٧ .

ابن أدهم (القاضي) ٦٦١ .

أذفونش (الطاغية) ٤٣ ، ٩٢ ، ٩٣

٨١٤ ، ٨٦٠ .

ابن أذينة ، انظر : عروة بن أذينة .

أرسطاطاليس ٣٦٨ .

ابن أرقم ، أبو الأصبع ١٥٠ ، ٣٦٠

— (٤٠٩) ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

ابن أرقم ، أبو عامر ابن أبي الأصبع ٤٠٣ .

إساف ٧١٢ .

إسحاق بن كنداج ٥١٤ .

أبو إسحاق الماذراني ، انظر : الماذراني .

أبو إسحاق ابن ميمون ، انظر : ابن ميمون .

أسعد أبو كرب الحميري ٧٤٤ .

الأسعد بن بليظة ٤٩١ ،

أسقليبيوس ٤٧٩ .

أسماء (في شعر الأخطل) ٤٦٣ .

أسماء (في شعر ابن عطية) ٧٧٤ .

إسماعيل (النبي) ٧٤٥ ، ٧٥٣ .

إسماعيل بن ذي النون (الظافر بن عبد

الرحمن بن سليمان بن ذي النون)

١٠٩ ، ١١١ .

إسماعيل بن المعتضد عباد ، انظر : المنصور

ابن عباد ، أبو الوليد .

ابنة إسماعيل بن عباد ١٣٦ .

الأسود العنسي ٧٣٧ .

أشعب ٧٣٩ .

ابن الأشعث ٢١٣ .

الأشكوري (محمد بن يوسف) أبو

الظاهر (٩٠٩ — ٩١٢) .

أبو الأصبع البلنسي المتطبب ٦٥٦ .

أبو الأصبع ابن أرقم ، انظر : ابن أرقم .

أبو الأصبع .

ابن الأصيلي ، أبو عامر ٦٧٣ ، ٨٥٧

— (٨٦٧) .

الأعشى ٥٤١ .

أغلب (مولى مجاهد) ٤٢٧ .

ابن الأفطس ، انظر : المتوكل ابن الأفطس

(عمر بن محمد) ؛ المظفر بن الأفطس ؛

المنصور بن الأفطس (نجي) .

أففى نجران ٧٣٧ .

إقبال الدولة (علي بن مجاهد العامري ؛ ابن

مجاهد) ٨١ ، ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٥

١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٢

٣٢٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠

٣٩٣ ، ٤٢٩ ، ٧٥٨ .

إقليدس ٢١٥ .

أكثم بن صيفي ٥٧٩ ، ٨٠٤ .

امرؤ القيس (الملك الضليل) ١٠ ، ٤٩٥

٤٩٦ ، ٥٦٧ ، ٨١٩ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨

ابن برد الأصغر ، أبو حفص ٨١٩ ، ٨٧٤ .
 ابن برد الأكبر ، أبو حفص ٢٢ .
 البرذقون (الطيب ، الحكيم) ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٨١ .
 البرلياني (محمد بن أحمد) أبو عبد الله
 ١٤٦ ، ١٤٧ .
 ابن بسام (علي) أبو الحسن (مؤلف
 « الذخيرة ») ٩ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
 ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٣١ ،
 ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ،
 ٢٧٣ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ ، ٤٤٨ ، ٤٩٤ ،
 ٤٩٨ ، ٦٥٥ ، ٧٦٦ ، ٧٩٨ ، ٨٥٠ ،
 ٨٥٤ ، ٨٦٥ .
 ابن بسام البغدادي البسامي (علي) ٨٤٦ .
 بشار بن برد ٣٧٢ ، ٦٧٦ ، ٨٤٨ .
 بشر بن عوانة ٢٧٤ .
 بصيص ٧٤٠ .
 بقراط ٤٧٥ ، ٦٥٤ ، ٧٣٨ .
 ابن بقي ، أبو بكر ٧٩٤ .
 البقلة ٢٧ .
 أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبانة .
 أبو بكر الصديق ٥٠٥ ، ٨٦٢ .
 أبو بكر الفرضي الداني (٩٠١ - ٩٠٢) ..

٨٥٣ .
 أمية بن أبي الصلت ٧٤٤ .
 أمية بن عبد العزيز العراقي ٥٢٥ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٩ .
 أبو أمية ابن عصام ، قاضي القضاة ٥٦٦ .
 أنوشروان ٨١٤ .
 أوس بن حجر ٨١٨ ، ٨١٩ .
 ابن أيمن ، أبو عبد الله الوزير ٢٥٣ .

ب

ابن باجة ، انظر : ابن الصائغ .
 باديس بن جبوس الصنهاجي ١٤١ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ٣٥٥ .
 الباقلاني . أبو بكر ٣٧٤ .
 البغا . أبو الفرج ١٣٣ .
 بشينة (صاحبة جميل) ٦٩٢ .
 البحري . أبو عبادة الوليد ١١ ، ٢٧٣ ،
 ٣١٥ ، ٨٢٨ .
 أبو بحر (يوسف) بن عبد الصمد . انظر :
 ابن عبد الصمد .
 بختيار ١٣١ ، ١٣٣ .
 بدر ٣٨٠ .
 بدر الحرمي ، أبو النجم ١٣١ ، ١٣٣ .
 بديع الزمان الحمداني ٤٩ ، ٦٠٤ ، ٦٥٣ .
 البرجمي ١٠ .

- أبو بكر (أبو يحيى) بن إبراهيم، انظر :
 ابن تيفلوت .
 أبو بكر ابن صاحب الأحباس الفقيه ٣٦٧ .
 أبو بكر ابن عبد العزيز الوزير ٢٦ ، ٣٣ .
 ٣٩٠ ، (٤٠ - ٤٤) ، ٢٥٠ ، ٤٥٢ .
 أبو بكر ابن العربي ، انظر : ابن العربي .
 أبو بكر ابن عمار ، انظر : ابن عمار .
 أبو بكر بن محمد بن القاسم الأنباري ٨٤٦ .
 بلال بن أبي بردة ٣٨٥ .
 البليته . أبو مروان الأديب ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
 البماري . أبو عامر (٥٢٩ - ٥٣٠) .
 بهجة ١٨٧ .

ت

- تاسلاس ٤٧٩ .
 تاشفين بن علي بن يوسف ٤٠٧ .
 ابن التاكرفي . أبو عامر ٤٠ ، (٢٢٦) -
 (٢٤٨) . ٢٥٠ .

- تبع ٧٢٩ .
 تختون . الوزير ابن أحمد ٢٧٤ .
 أبو تغلب ١٣١ .
 التدار الواسطي ٨٢٩ .

- أبو تمام حبيب بن أوس ٣٤٣ ، ٣٧٣ .
 ٦٧٧ ، ٨١٣ ، ٨٤٣ ، ٨٧٢ .
 أبو تمام (غالب بن رباح) الحجاج ٩٤ .

- ٨١٤ ، (٨٢١ - ٨٣٩) .
 تميم بن المعز ٨٩٣ ، ٩٠٣ .
 تميم بن يوسف بن تاشفين . أبو الطاهر ٦٤٣ .
 التميمي الشاعر ٥٧٣ .
 التنوخي القاضي ٨٢٩ .
 توبة بن الحمير ٧٧ .
 ابن تيفلوت (أبو يحيى وأبو بكر بن
 إبراهيم) ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٦٢١ .
 ٦٣١ .

ث

- الثريا (صاحبة عمر) ٨٠٣ .
 الثعالبي . أبو منصور ١٣١ ، ٧٦٩ ، ٨٥٩ .
 ثعلب اللغوي ٥٨٢ .
 ابن ثوبة ١٣٢ .

ج

- جابر بن عبد الله ٨٣٢ .
 الجاحظ ٥٩ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ ، ٨٩١ .
 جالينوس ٣٨٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤ .
 جبريل بن بخنيشوع ٦٥٣ .
 ابن جبير . انظر : سعيد بن جبير .
 ابن جحاف ، أبو أحمد ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ -
 ٩٨ ، ١٠٢ .
 ابن الجلد . أبو الحسين ٩٤ ، ٨٤٩ .

جذع ٧٥٢ .

جذيمة ٦٦٨ ، ٨٠٢ .

جرادتا عاد ٧٥١ .

بن جرج ، أبو جعفر الوزير الكاتب
(٤٤٨ - ٤٥٧) .

جرول ، انظر : الخطيئة .

جرير ٣٧٩ ، ٨٠٥ ، ٨٥١ .

جلزار ، يحيى السرقسطي (٩٠٥ -
٩٠٨) .

جلزيري (عبد الملك بن ادريس) ٦٧٧ .

بن الجصاص ، أبو عبد الله ١٣٢ ، ١٣٣ .

جعفر (ممدوح ابن هانيء) ٥٠٩ .

جعفر بن محمد بن شرف ، انظر : ابن
شرف أبو الفضل .

أبو جعفر البجاني ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

أبو جعفر التطيلي ٨٧٣ .

أبو جعفر الحكيم ٦٩ .

أبو جعفر عامل الأحباس ٩٠٧ .

أبو جعفر بن أبي ٦٦٢ .

أبو جعفر بن أحمد (٧٥٥ - ٧٥٦)

(٧٥٧ - ٧٧٣) .

أبو جعفر بن اللودين ، انظر : ابن اللودين .

أبو جعفر بن عباس ، انظر : أحمد بن

عباس .

جمل ٣٢٨ .

جميل بثينة ٦٩٢ .

ابن جني ، أبو الفتح ٤٩٦ .

أبو جهل ابن هشام ٧٤٤ .

ابن جهور ، أبو الخزم ٤٢ ، ٥١٢ ،
٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ .

ابن جهور ، أبو الوليد ٤٢٤ ، ٥٢٧ .

جوهرة (جارية المعتمد) ٦٣٥ .

ابن الجيار ٥١٩ .

ح

حاتم الطائي ٣٦٤ ، ٧٧٣ ، ٧٨٠ .

أبو حاتم الحجازي (٦٥٢ - ٦٦٦) ،
٧٦٩ ، ٧٧٠ .

أبو حاتم اللقوي ٣٨٦ .

حاجب بن زرارة ٥٠١ ، ٧٥٢ ، ٨٤١ .

الحارث بن كلدة ٧٥١ .

الحارث بن مسرة الفقيه ٧٧٦ .

الحائك (حكيم بن سعيد) ٥١٦ ، ٥١٨ ،
٥٢٠ ، (٥٢٢ - ٥٢٦) .

حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام .

الحجاج بن يوسف ٣٠ ، ٢١٣ .

أبو الحجاج (مرثي ابن معلى) ٨٤١ .

ابن الحداد ٤٦٧ .

ابن الحذاء ، أبو عمر ١٢٦ .

أبو حزام العكلي ٣٥١ .

ابن حزم ، أبو محمد الفقيه ٣١٨ ، ٣١٩ .
 حسام الدولة ابن رزين (عبد الملك بن
 هذيل) ، أبو مروان ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ١٠٥ .
 (١٠٩ - ١٢٤) ، ٢٢٢ ، ٣٦٥ .
 ٤٥٩ ، ٨٩٥ .
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد
 الملك) ٧٥ .
 حسام الدولة بن هود (يوسف بن سليمان)
 ١٨١ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
 حسان بن ثابت ٥٤١ ، ٦٨٨ ، ٨٤٨
 ٨٤٩ ، ٨٧٢ .
 ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٨٤ ، (٤٥٧
 - ٤٩٤) ٤٩٩ ، ٩٠٥ ، ٩١٢ .
 حسن (شقيق بن مجاهد) ١٦٩ ، ١٧٠ .
 الحسن البصري ٣٨٥ .
 الحسن بن هانئ ، انظر : أبو نواس .
 أبو حسن (في شعر ابن خفاجة) ٦٠٣ .
 أبو الحسن (في شعر ادريس) ٣٥٤ .
 أبو الحسن الكاتب (أخو ابن السيد البطليوسي)
 ٨٩٢ .
 أبو الحسن مولى البكري ٨٦٩ .
 أبو الحسن ابن الأستاذ ٦٧٢ .
 أبو الحسن ابن بسام ، انظر : ابن بسام .
 أبو الحسن ابن سابق ، انظر : ابن سابق .
 أبو الحسن بن يحيى الجوهري الوزير ٤٤٠ .

أبو الحسن صالح الشتمري ٤٩٠ .
 الحصادي ١٤٧ .
 الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي
 ٥٢٩ ، ٨٤٦ .
 الحصري ، أبو الحسن عبد الغني ٣٣٠
 ٤٨٥ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ .
 الحطيئة ٤٩ ، ٢٢٨ .
 أبو حفص ابن برد ، انظر : ابن برد .
 أبو حفص الخوزني الوزير ٧٨٢ ، ٧٨٣ .
 الحكيم المصري ٤٩٢ .
 ابن حماد ٢٠٨ .
 ابن حمديس ، أبو محمد عبد الجبار ٥٧٣ .
 ابن حمدين ، أبو عبد الله محمد ٥٩٠ .
 ٥٩٢ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 ابن حمود ، علي ٥٢٠ .
 الحنيدى ٣١٩ .
 ابن حنظلة ٩٠٦ .
 ابن حيان ، أبو مروان المؤرخ ١٣ ، ١٤
 ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ، ١٠٩
 ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٩
 ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٩
 ٣٢٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦
 ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٨٥٠ ، ٨٥٤ .

خ

خالد بن سنان ٧٤٤ .

خالد بن يزيد ٧٢٧ .

ابن الخراز ، أبو جعفر (أحمد بن محمد الأنصاري) ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

خراش ٩٧ .

الخصيب ٣٩١ .

الخضر ١٥٢ .

أبو الخطاب ابن عطيون ، انظر : ابن عطيون .

أبو الخطار ٦٩ .

ابن خفاجة ، أبو إسحاق لإبراهيم ١٠٠ (٥٤١ - ٦٥٢) ، ٨٨٧ ، ٨٩٠ .

بن خلصة الضرير ، أبو عبد الله محمد (٣٢٢ - ٣٣٠) .

الخليل ، انظر : إبراهيم (الخليل) .

الخليل بن أحمد ٦٧٦ .

خمارويه ، أبو الجيش ١٣٣ .

الخنساء ٣٧٩ ، ٦٣٨ .

الخوارزمي ٦٠٤ .

خيار ٨٩٨ .

خيران الصقلبي العامري ١٠ ، ٨٠٩ .

ابن خيرون ، أبو القاسم ٢٠١ ، ٣١٥ .

د

ابن دارة ، عبد الرحمن ٨٠٥ .

ابن الدباغ ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن فاخر) ٢٠٤ ، (٢٥١ - ٣١٧) .

ابن دراج القسطلبي ، أبو عمر ١٠ ، ١٣ .

٢٢ .

دريد بن الصمة ٨٠٢ .

دغفل النسابة ٣١٥ .

أبو دلالة ٦٩ .

ابن الدودين البلنسي ، أبو جعفر أحمد

(٧٠٣ - ٧٥٥) .

الديباجي ، أبو جعفر ٥٢٩ .

ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) ٨٤٤ .

ذ

ابن ذكوان ، القاضي ٥١٨ .

ذو الرمة ٧٨٠ ، ٨٤٦ .

ذو القرنين ٧٢٩ .

أبو ذؤيب الهذلي ٣٨١ ، ٨٢٨ .

ابن ذي النون ، انظر : إسماعيل بن ذي

النون ؛ القادر بالله يحيى ؛ المأمون يحيى .

ر

راشد (صديق ابن السيد) ٨٩٢ .

راشد بن سليمان ١٠٦ .

الراضي (الخليفة العباسي) ٨٤٤ .

الراضي (يزيد بن المعتمد بن عباد) ١٩٠ .

أبو الربيع القضاعي (سليمان بن أحمد)

٣٤٥ ، (٤٩٩ - ٥١٤) .

ربيعة بن مكدم ٥٧٩ .

ز

- الزباء ٦٦٨ .
 الزبير بن بكار ٨٢٤ ، ٨٢٥ .
 الزبير بن عمر ، أبو محمد ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
 ابن الزبير ، عبدالله ٣٧٤ ، ٧٣٠ ، ٨٠٥ .
 ابن الزبير ٨٠٥ .
 الزجاجي ٤٥٥ .
 ابن زارة ، أبو عبد الله الوزير ٩٠٨ .
 زرقاء اليمامة ٤٨٢ ، ٧٣٧ ، ٧٩٢ .
 ٧٩٦ .
 الزعفراني ، أبو القاسم ٤٩٧ .
 زفراء ٧٥٢ .
 ابن زهرة الصائغ ، أبو عامر (٩٠٠ -
 - ٩٠١) .
 زهير الفتي العامري ٢٢٧ ، ٨٠٩ .
 زهير بن أبي سلمى ٣٤٣ ، ٣٧٧ ، ٨٤٧ .
 زهير بن جناب الكلبي ٧٣٧ .
 زياد ، انظر : النابعة الندياني .
 زياد بن أبيه ٤٩ ، ٣٨٥ ، ٨٠٤ .
 زيد الخليل ٣٨٢ .
 زيد بن عمرو ٧٤٤ .
 ابن زيدون ، أبو بكر ٧٦٨ ، ٨١٢ ،
 ٨١٣ .
 ابن زيدون ، أبو الوليد ١٢٥ ، ٤٤٦ ،
 ٦٨١ .

- أبو رجاء الضبيعي ٣٩٠ .
 ابن رحيم ، أبو بكر ٨٠٨ .
 رذريق ، انظر : الكنيستور .
 ابن رذمير ١٠٠ .
 ابن رزين ، انظر : حسام الدولة ابن رزين
 (عبد الملك بن هذيل) أبو مروان ؛
 حسام الدولة ابن رزين (يحيى بن عبد
 الملك) هذيل بن خلف بن لب بن رزين .
 الرشيد بن المعتمد ٦٧٤ ، ٨٢١ .
 ابن رشيقي ، عبد الرحمن ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
 ابن رشيقي القيرواني ٨١٠ ، ٨٢٢ ،
 ٨٥٤ ، ٨٧٢ .
 الرضي الشاعر ، انظر : الشريف الرضي .
 أبو رغال ٧١٢ ، ٧٢٠ .
 رفيع الدولة ابن صمادح ٩١٠ ، ٩١١ ،
 ٩١٢ .
 ابن الرقاع ، انظر : عدي بن الرقاع .
 الرمادي (يوسف بن هارون) ٣٤٦ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٨٢١ .
 الرماني ٣٨٥ .
 رؤبة بن العجاج ٨١٨ .
 ابن الرومي ١٢٠ ، ٣٤٢ ، ٥٣٠ ،
 ٨٣٧ ، ٥٨٠ .
 ريمته (أمير الفرنجة) ٢٠ .

س

سليمان (النبى) ٣٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٨٦

. ٨٩٥

سليمان بن الحكم ٣١٨ .

سليمان بن مهران السرقسطي ، أبو الريح

(٣١٧ - ٣٢١) .

سليمان بن وهب ٢٤٤ .

السمح بن مالك الخولاني ٨٠٩ .

السميسر الشاعر ٣٣٨ .

سمية ٧٥٢ .

ابن سنون ، أبو عامر ١٢١ ، ١٢٤ .

سهيل (زوج الثريا) ٨٠٣ ، ٨٠٤ .

سيبويه ٣٧٢ .

ابن سيد (في شعر) ٦٧٠ .

ابن السيد البطليوسي ، أبو محمد ٦٢٠ .

(٨٩٠ - ٨٩٦) .

ابن سيده ، أبو الحسن ٣٦٨ ، ٣٧١ ،

٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١

٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .

ابن سيرين ١٢٣ .

سيف بن ذي يزن ٧٤٤ .

سيف الدولة الحمداني ٤٩٥ - ٤٩٨ .

سيف الدولة ، أبو الفتوح الحاجب ٢٧٧

. ٤٣٦ ، ٤٣٩ .

ابن سابق ، أبو الحسن ١٢٣ ، ٩٠١ .

سارة (زوج إبراهيم) ٧٠٨ ، ٧٥٣ .

ساسان ٦٨٧ ، ٧١٣ ، ٧٢٧ .

سامة بن لؤي ٨٠٤ . .

أبو السائب المخزومي ٨٢٤ ، ٨٢٥ .

ابن ست الجيش ٣٢١ .

سحبان وائل ٤٩ ، ٣١٥ .

ابن سريج ٧٣٩ .

سطيح ٧٣٧ .

ابن سعدون ، أبو جعفر ١٢٠ ، ١٢٢ .

سعيد العروضي ٨٧٠ .

سعيد بن جبير ٩ .

سعيد بن حميد ٦٥٧ .

السفاح ٦٨٨ .

ابن سفيان ، أبو محمد (٩٠٣ - ٩٠٥) .

أبو سفيان (صخر بن حرب) ٨٠٤ .

ابن سقبال ، أبو محمد الوزير (لعله ابن

سفيان) ٤٩٢ .

سقراط ٤٦٢ ، ٧٣٨ .

سلمة ١٧٠ .

سليمي ٤٦٧ ، ٦١٤ .

سليمان المستعين ، انظر : المستعين .

ش

- صالح (الذي) ٧٤٥ .
صالح الشتيمري ، انظر : أبو الحسن
صالح الشتيمري .
ابن الصائغ (ابن باجة الفيلسوف) ٦٢١ .
صخر (أخو الخنساء) ٦٣٨ .
أبو صخر الهذلي ٤٦٤ .
ابن الصق ٣٨١ .
ابن الصفار السرقسطي ٨١٩ .
ابن صمادح ، انظر : رفيع الدولة ابن
صمادح ، عز الدولة ابن صمادح ، المعتصم
ابن صمادح ، عز الدولة ابن صمادح .
الصنوبري ٨٢٨ .
الصولي ٣٨٦ ، ٥١٤ .

ط

- ابن طالوت ٢٥٠ .
ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن (٢٤ - ٤٠)
(٤٤ - ٩٢) ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ،
٤٦٤ .
أبو الطاهر الأشكوري ، انظر : الأشكوري .
الطائي ، انظر : حاتم الطائي .
طرفة بن العبد البكري ٨٤٦ ، ٨٤٧ .
ابن طريف ٨٠٤ .
طليحة الأسدي ٧٢٧ .

- شانجة بن غرسية بن فرذلند ٣١٨ .
بنت شانجة ملك البشكنس ٣١٨ .
أبو شحمة ١٦٠ .
شداد ٧٤٧ .
ابن شرف ، أبو عبد الله ٨١٢ .
ابن شرف ، أبو الفضل (جعفر بن محمد بن
شرف) ٦٩٧ ، (٨٦٧ - ٨٨٦) .
الشريف الرضي ٣١٥ ، ٥٧٤ .
شند ٤٤ .
شعيب ٧٤٥ .
شقي ٧٣٧ .
ابن شقران ٨٠٨ .
ابن شماخ الغافقي ٣٣٤ .
شمر ٧٢٩ .
ابن شهيد ، أبو عامر ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٨٢٥ .

ص

- الصابي ، أبو إسحاق ١٣١ ، ١٣٢ ،
٣١٥ .
الصاحب بن عباد ٢٥ ، ٤٩٧ .
ابن صارم ، أبو القاسم ٨٥٨ .
صاعد بن الحسن الربيعي ، أبو العلاء ٣٩٠ .

ابن طولون ١٣٢ ، ٥١٤ .

طويس المغني ٧٣٩ .

ابن الطويل ١٨٢ .

أبو الطيب القروي (عبد المنعم بن من الله)

٧٢٢ ، ٧٤١ .

أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي .

ع

العافية المنجم ٤٧٤ .

عامر (مرثي ابن معل) ٨٤٥ .

عامر بن الطفيل ٧٤٤ .

أبو عامر الوزير الأعلى ٨٥٨ .

أبو عامر ابن الأصيلي ، انظر : ابن الأصيلي .

أبو عامر ابن التاكربي ، انظر : ابن التاكربي .

أبو عامر ابن زهرة الصائغ ، انظر : ابن

زهرة الصائغ .

أبو عامر ابن سنون ، انظر : ابن سنون .

أبو عامر ابن عبدوس ، انظر : ابن عبدوس .

أبو عامر ابن غرسية ، انظر : ابن غرسية .

أبو عامر ابن الفرج ، انظر : ابن الفرج .

عائشة ٣٧٨ .

ابن عائشة ، أبو عبد الله (٨٨٧) ،

(٨٨٩ - ٨٩٠) .

ابن عباد ، انظر : المعتضد عباد ، المعتمد

ابن عباد .

أبو عباد ، انظر : البحري .

العباس بن الأحنف ٦٥٧ ، ٨٢٥ .

أبو العباس القاضي ٢٤٤ .

أبو عبد الإله (ممدوح ابن هند) ٩٠٠ .

ابن عبد البر ، أبو محمد الكاتب (ابن

الفقيه أبي عمر) (١٢٥ - ١٣١)

(١٣٤ - ١٤٣) ، (١٦٥ - ٢٢٦)

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٤٣٧ .

عبد الجليل المرسي ، انظر : ابن وهبون .

عبد الرحمن بن أبي عامر ٢٢١ ، ٢٢٧ .

عبد الرحمن بن محمد بن حناط الوزير

٥٢١ .

عبد الرحمن بن يسار الوزير ١٤ ، ١٥ .

أبو عبد الرحمن بن طاهر ، انظر : ابن طاهر .

عبد السلام بن رغبان ، انظر : ديك الجن .

عبد الصمد الفقيه (ممدوح الحجاري) ٦٦٢ .

ابن عبد الصمد ، أبو بحر يوسف (٨٠٩

- ٨٢١) .

أبو عبد الصمد ، الشيخ (٨١٨ - ٨٢٠) .

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر .

انظر : المنصور بن أبي عامر .

عبد العزيز بن اللبابة ، انظر : ابن اللبابة .

عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ٨٥٣ .

عبد الله (في شعر المعري) ٢٩٨ .

عبد الله بن ربيعة (صديق ابن خفاجة) .
 ٦٠٨ .
 عبد الله بن عامر ٣٨٥ .
 عبد الله بن محمد الأمير الأموي ١٦٠ .
 عبد الله بن المنصور الكبير العامري ١٦٠ .
 أبو عبد الله ٧٨ .
 أبو عبد الله البزلياني ، انظر : البزلياني .
 أبو عبد الله ابن حمدين ، انظر : ابن حمدين .
 أبو عبد الله بن زرارة ، انظر : ابن
 زرارة الوزير .
 أبو عبد الله بن عائشة ، انظر : ابن عائشة .
 عبد المجيد الثقفي ٤٩٨ .
 عبد المجيد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
 عبد المطلب بن هاشم ٧٤٤ .
 عبد الملك بن ادريس الجزيري ، انظر :
 الجزيري .
 عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ،
 انظر : المظفر ابن أبي عامر .
 عبد الملك بن مروان ٣٨٠ .
 ابن عبدوس ، أبو عامر ذو الوزارتين
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١٨ ، ٨٨٨ .
 ابن عبدون ، أبو محمد الوزير عبد المجيد
 ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ، ٤٩٨ ،
 ٦٧٢ ، ٨٧٢ .
 عبيد الله بن خاقان الوزير ١٣٢ .

عبيد الله بن سليمان ١٣٢ .
 عبيد الله بن منبه الششمري ، أبو الحسين
 الفقيه ٣٢١ .
 أبو عبيدة معمر بن المثنى ٧٧ .
 أبو العتاهية ٦٨٠ .
 العتبي ٣٨٥ .
 عتية ٦٦٧ .
 عثمان بن عفان ٣٨٥ ، ٤٤٣ .
 أبو عثمان الوزير ٤٣٥ .
 العجاج ٣٧٤ .
 عدي بن الرقاع العاملي ٢٠٤ ، ٩٠٢ .
 ابن العربي ، أبو بكر ٣١٩ .
 عروة بن أذينة ٥٤٢ .
 عروة بن الزبير ٢٢٠ .
 عز الدولة بن صمادح الحاجب (ابن المعتصم)
 ٢١٩ ، ٤٩١ .
 ابن العطار ٦٤ ، ٢٠٣ .
 ابن عطرون ، أبو الخطاب (عمر بن أحمد
 التجيبي) (٧٧٣ - ٧٨٣) .
 عفراء ٥٧٧ .
 عقيل (نديم جليلة) ٦٨٩ .
 أبو العلاء المعري ١٩٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧
 ٤٦٣ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٧١٤ ، ٨٢٧
 ٨٩٢ .
 علوة ٩١٢ .

الأفضس .
 عمر بن الخطاب ١٣٣ ، ١٦٠ ، ٣٧٣ .
 ٨٦٢ .
 عمر بن عبد العزيز ٧٤٦ ، ٨٠٩ .
 عمر بن العلاء ٦٨٠ .
 أبو عمر الزاهد (محمد بن عبد الواحد)
 ٥٨١ .
 أبو عمر ابن عبد البر . انظر : ابن عبد البر .
 أبو عمر ابن القلاس ، انظر : ابن القلاس .
 عمران بن حطان ٣٨٥ .
 عمرو ٧٨ .
 عمرو بن السعلاة ٤٠٥ .
 عمرو بن العاص ٧٧٨ .
 عمرو بن معديكرب ١١ ، ٢٧ .
 أبو عمرو بن العلاء ٣٨٥ .
 عنان جارية الناطفي ١٢٠ .
 عيسى (المسيح) ٢٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٦٩ .
 ٧٢٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٤ .
 عيسى بن سعيد . أبو الاصمغ الوزيير ٣١٩ .
 عيسى بن عمر ٣٨٥ .
 ابن عيسى قاضي بربرشت ١٨٢ .
 أبو عيسى ٤٨٨ .
 أبو عيسى ابن لبون ، انظر : ابن لبون .

علي (في شعر) ٧٩٥ ، ٧٠٣ .
 علي بن أبي طالب ٢٩٦ ، ٨٣٢ .
 علي بن بسام . انظر : ابن بسام (مؤلف
 الذخيرة)
 علي بن بسام . انظر : ابن بسام البغدادى
 البسامي .
 علي بن جبلة ٨٢٤ .
 علي بن الجهم ٣٣٤ .
 علي بن داود ٥١٠ .
 علي بن سليمان ٨٤٦ .
 علي بن مجاهد . انظر : إقبال الدولة .
 علي بن محمد الإيادي ٤٦٢ .
 علي بن محمد الكوفي ٥١٠ .
 أبو علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ .
 عماد الدولة ابن هود (عبد الملك بن أحمد)
 ٣٤ ، ٣٥ ، ٩٠٥ .
 ابن عمار . أبو بكر ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ .
 ٢٩ ، ٤٤ ، ٥١ ، ١٢١ ، ٢٥٢ .
 ٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٦٧٥ .
 عمارة بن عقيل ٣٧٦ ، ٣٨٦ .
 عمر (ممدوح بشار) ٥٧ .
 عمر بن إبراهيم ٥١٤ .
 عمر بن أبي ربيعة . أبو الخطاب ٣١٥
 ٣٧٨ .
 عمر بن الأفضس . انظر : المتوكل ابن

غ

- غالب ٩٠١ .
 غالب بن رباح الحجّام ، انظر : أبو تمام
 الحجّام .
 أبو غيثان ٧١٢ ، ٧٢٠ .
 غرسية المنبوز بالقم المعوج ١٠٠ .
 ابن غرسية ، أبو عامر أحمد ٧٠٤ ،
 ٧٠٥ ، ٧٢٢ ، ٧٤٦ .
 الغريص ٧٣٩ .

- ابن غصن الحجاري ، أبو مروان (٣٣١)
 — (٣٣٥) ، ٣٣٩ .
 غلياناش ٣٨٩ .
 ابن غندشلب ذو الوزارتين ٢٧٤ .

ف

- فاطمة (بنت الرسول) ١٢٨ .
 فائر بن المغيرة ٥١٤ .
 الفتح بن أفلح ١٢ .
 الفتح بن خاقان ، أبو نصر ٧٥٥ ، ٧٨٦ .
 الفتح بن الراصي بن المعتمد ٩١ .
 أبو الفتوح الحاجب ، انظر : سيف
 الدولة أبو الفتوح .
 ابن الفرات الوزير ١٣٣ .
 ابن الفرج ، أبو عامر ذو الوزارتين (١٠٣)

— (١٠٤) ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

- الفرزدق ٢٠٢ ، ٣٧٩ ، ٨٥١ .
 فرفوريلوس ٣٦٨ ، ٣٨٨ .
 ابن فضالة ، عبد الله ٧٣٠ .
 فضل الشاعرة ٦٥٧ .
 أبو الفضل ، الشيع ٧٠ .
 الفكيك الشاعر ٦٧٤ .
 ابن فورك ٣٧٤ .

ق

- أبو قابوس ، انظر : النعمان بن المنذر .
 القادر بالله بن ذي النون (يحيى) ٣٧
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤
 ٨٩٤ .

- القاسم بن حمود الحسني ٢٤٩ .
 ابن قاسم صاحب البونت ٩٠٣ .
 أبو القاسم (والد أبي بحر بن عبد الصمد)
 ٨٠٩ .

- أبو القاسم الوزير ٦٨٤ .
 أبو القاسم بن صارم ، انظر : ابن صارم .
 أبو القاسم عبد الدائم ٥٨ — ٦٠ .
 أم القاسم (في شعر) ٩٠٢ .
 قتيبة بن مسلم ٦٦٧ .
 أبو قحافة ٣٨٩ .
 قدامة بن جعفر ٤٩ .

ل

- ابن اللبانة ، عبد العزيز ٦٦٧ .
 ابن اللبانة ، أبو بكر الداني (محمد بن عيسى)
 (٦٦٦ - ٧٠٢) : ٧٧١ ، ٨١٤ .
 لبني (في شعر) ٤٩٢ ، ٩١٢ .
 ابن لبون ، أبو عيسى القائد (١٠٤ -
 ١٠٨) : ١٢٣ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ .
 ابن لبون ، أبو محمد ذو الوزارتين ١٠٦
 لبيب الصقلي الفتي ٢٠ ، ٥٠٨٠٠ .
 لبيد بن ربيعة ٤٩ ، ٨٦٦ .
 اللجام (علي بن الحسن الحراني) ٧٦٩ .
 لقمان ٧٢٨ .
 لوط ٧٠ .
 ليلي (في شعر) ٤٦٤ ، ٨٥٢ .
 ليلي الأخيلية ٧٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .
 ٣٨١ .

م

- الماذراني ، أبو إسحاق ١٣٢ .
 مالك (سيد وائل) ٨٤١ .
 مالك (نديم جديمة) ٦٨٩ .
 مالك بن أسماء الفزاري ٨٢٤ .
 مالك بن فهم ٧٣٤ .
 المأمون (العباسي) ٢١٣ .

ابن الفزاز ٧٣ ، ٥٢٩ .

- قس بن ساعدة ٣١٥ ، ٧٤٤ .
 القسطلي أبو عمر ، انظر : ابن دراج
 القسطلي .
 قصير ٦٦٨ .
 القطامي ٣٧٤ .
 قطر الندى ١٣٢ ، ١٣٣ .
 ابن القلاس ، أبو عمر (٤١٨ - ٤٢٦)
 ٨١٨ .
 قيس بن الخطيم ٣٥٦ .
 قيس بن ذريح ٨٥٢ .
 قيسر ٨١٤ .

ك

- كاسان ٧٢٧ .
 ابن الكتاني المتطبب : أبو عبد الله ١١٢
 (٣١٩ - ٣٢٠) .
 كثير عزة ٣٧٨ ، ٣٩١ ، ٨٥٢ .
 كسرى ٢١٥ ، ٥٠١ ، ٦٨٧ .
 كشاجم ٧١٦ ، ٧٢٢ ، ٨٢٩ ، ٨٣٦ .
 كعب بن سعد الغنوي ٨٥٣ .
 كعب بن مامة ٧٨٠ ، ٨١٣ .
 الكنييطور ، رذريق ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ - ٩٩ .

٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٧١٣ ،

٧٨٩ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٨٢٥ ،

٨٦٢ ، ٨٦٥ .

محمد بن إبراهيم الفهري ، أبو عبد الله

٨٦٣ — ٨٦٧ .

محمد بن أحمد الاصمعياني ٥٨١ .

محمد بن أحمد البزلياني ، انظر : البزلياني .

محمد بن الحسن المدحجي ، انظر : ابن

الكتاني المتطبيب .

محمد بن عبد الله الأمير الأموي ١٦٠ .

محمد بن عبد الملك ٢٤٩ .

محمد بن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل

٤١٠ ، ٤١٥ ، ٥١١ .

محمد بن عبد الواحد الزاهد . انظر :

أبو عمر الزاهد .

محمد بن عمر المرزبان ، أبو عبد الله ٣٧٤ .

محمد بن فرج الجبائي ، أبو عبد الله (٨٨٨—٨٨٩) .

محمد بن قاسم الفهري ٥١٥ .

محمد بن مسلم ، أبو عبد الله (٤٢٧ —

٤٤٨) .

محمد بن المظفر بن أبي عامر ٥١٦ .

محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء .

محمد بن هشام بن عبد الجبار الناصري ٢٢٧ .

أبو محمد الصقلي . انظر : ابن حمديس

الصقلي .

المأمون يحيى بن ذي النون ٤١ ، ٤٢ ،

٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١

— ٣٤٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧ .

مبارك العامري (١١ — ٢٠) ، ٢٢٦ .

المبرد ، أبو العباس ٣٢١ .

مبشر بن سليمان ، انظر : ناصر الدولة .

المتنبي (أحمد بن الحسين) أبو الطيب ٥٤

٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٤٩٠

(٤٩٤ — ٤٩٨) ، ٦٥٣ ، ٦٧٩

٨٢٤ ، ٨٤٤ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩

٨٥٢ ، ٨٦٣ .

المتوكل بن الأوطس (عمر بن محمد) ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٦٣٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٧٧٤ — ٧٧٧ .

ابن مثنى ، أبو المطرف (عبد الرحمن بن

أحمد بن صبغون) ٢٥٠ ، ٣٤٦ ،

٣٤٧ ، (٤٠٩ — ٤١٨) .

مجاهد العامري ، الموفق أبو الجيش ٢١

٢٣ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩

٣٤٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٩ ، ٧٠٤ .

ابن مجاهد ، انظر : إقبال الدولة .

المجنون ٨٥٢ .

ابن محاسن الوزير ٥٠٥ ، ٥٠٧ .

ابن محرز ٧٣٩ .

المحلق ٥٤١ .

محمد (الرسول) ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤

- أبو محمد بن عامر الوزير المشرف ٥٩٨ .
أبو محمد بن عبد البر ، انظر : ابن عبد البر .
أبو محمد بن عبدون ، انظر : ابن عبدون .
أبو محمد بن قاسم الوزير ٨٠٦ .
أبو محمد بن هود ٢٨٩ .
أبو محمد بن لبون ، انظر : ابن لبون .
أبو محمد مزدلي ، انظر : مزدلي .
مخارق المغني ٨٩٩ .
مختار بن النجار ٨١٤ .
المرار ٣٨٠ .
مربع ٢٠٢ .
المرتضى المرواني ٥١٥ ، ٧٠٢ .
ابن المرشاني ٤٨٩ .
مروان بن الحكم ٣٨١ .
أبو مروان الفقيه ٦٩ .
أبو مروان ابن حيان ، انظر : ابن حيان .
أبو مروان ابن غصن الحجاري ، انظر : ابن
غصن الحجاري .
مزاحم العقيلي ٤٦٤ .
مزدلي الأمير المرابطي ، أبو محمد ٥٠ .
١٠١ ، ٤٠٥ .
المستعين سليمان الأموي ٢١ ، ٢٢ ، ١١٠ .
المستعين بالله ابن هود (أحمد بن يوسف) ٦٢ ،
٩٤ ، ١٢٣ ، ٤٦١ ، ٤٩٣ ، ٥١٧ ،
٨٩٥ ، ٩٠٩ .
- مسلم المغني ٥٠ .
مسلمة بن عبد الملك ٧٢٧ .
المسيح ، انظر : عيسى .
مسلمة الحنفي ٧٣٧ .
مصعب بن الزبير ٨٠٢ .
أبو المطرف ابن مثنى ، انظر : ابن مثنى .
مظفر العامري ١١ - ١٨ .
المظفر بن أبي عامر (عبد الملك بن عبد
العزيز) ١٨ ، ٤١ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ٢٢٦ ،
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٩ ، ٤٣٩ ، ٥١٩ .
المظفر بن الأفتس ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٢٣ ،
٧٧٥ .
المظفر بن هود ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٧١ .
المظفر ، أبو مناد الرئيس ٤٣٤ .
أبو المظفر البغدادي ٦٨٨ .
معاوية بن أبي سفيان ٢٥٢ ، ٣٨٩ ،
٧٣٩ ، ٧٤٤ .
معبد المغني ٧٣٩ .
المعتد هشام بن محمد الناصري ٥١٤ ،
(٥١٥ - ٥٢٩) .
ابن المعتز العباسي ١١٥ ، ١٣٣ ، ٥١٢ ،
٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٧٧٩ ، ٨٣٦ ، ٨٤٣ ،
٨٤٩ .
المعتصم بن صمادح ١٢٧ ، ٢١٦ ، ٣٢٢ ،
٣٤٣ ، ٣٧١ ، ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٦٧٣ .

٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩

٤٥٨ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٨٥ ، ٤٩٣

٤٩٤ ، ٨١٨ .

ابن مقنة ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

مكي بن أبي طالب ٥١٧ .

ابن الملح ، أبو بكر ٤٩٢ .

الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس .

ابن مناذر ٤٩٨ .

المنتصر بالله الحمودي (حسين بن يحيى)

٥١٢ .

ابن المنجم (علي بن يحيى بن منصور)

٨٤٦ .

منذر بن هود ٨٩٨ .

منذر بن يحيى الحاجب ١١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩

٥٠٧ .

المنصور بن أبي عامر (عبد العزيز بن عبد الرحمن)

٢١ ، ٤٠ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩

٢٢٧ — ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨

(٢٤٩ — ٢٥١) ، ٤١٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠

٥١٦ ، ٨١٠ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ .

المنصور الكبير بن أبي عامر (محمد) ١٣ ، ٢٢

١٦٠ .

المنصور ابن الأنطس (يحيى والد المظفر)

٢٢٣ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ .

المنصور اسماعيل بن المعتضد العبادي

٦٩٩ ، ٧٠٤ ، ٨١٠ ، ٩١١ .

المعتضد عباد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٢

١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ —

١٤٨ ، ١٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٧٥٩ .

المعتضد العباسي ٥١٤ .

المعتضد بن عباد ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ١١٥

١٤٢ ، ٢٥١ — ٢٥٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤١

٦٣٥ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨

٦٨٠ ، ٦٨٦ ، ٧٥٩ — ٧٦١ ، ٨١٣ —

٨١٦ ، ٩١١ .

المعري . انظر : أبو العلاء المعري .

المعز الفاطمي ٣٥٢ .

المعز بن باديس ٢٤٥ ، ٣٦١ .

معز الدولة ٨١ .

معز الدولة أبو عامر ٣٢٩ .

معز الدولة ابن صمادح ٨٧٢ .

المعقلي ٤٩٧ .

معن بن زائدة ٤٩٧ .

ابن معن الصمادحي ، انظر : المعتصم

ابن صمادح .

مفرج العامري ١٩ .

مقاتل الصقابي العامري ٢٢٩ ، ٣٦٣ .

المقتدر العباسي ٨٤٤ .

المقتدر بالله ابن هود (أحمد) ٨٢ ، ٨٣ ، ١٨٩

ن

النابغة الذبياني ٤٩٢ . ٦٦٨ . ٨٥٣ .
 الناصر بن أبي عامر ٢١٦ .
 الناصر عبد الرحمن ٥٢٥ .
 ناصر الدولة مبشر بن سليمان ٦٨٣ - ٦٨٤ .
 ٦٨٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ .
 الناطفي ١٢٠ .
 نائلة ٧١٢ .
 ابن نجية . أبو مروان ٤٠٢ .
 أبو نصر . انظر : الفتح بن خاقان .
 نصيب الأكبر ٣٣٨ .
 النعمان بن المنذر . أبو قابوس ٣٠٥ . ٤٩٢ .
 ٧٣٣ . ٧٣٤ . ٨٠٣ .
 أبو نواس (الحسن بن هانيء) ١١٥ . ١٢٠ .
 ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩١ . ٤٦٣ . ٨١٩ .
 نوح ١٥٢ . ١٦٥ . ٤٩١ . ٦٥٣ . ٩٠١ .
 هاجر ٧٤٦ . ٧٥٣ .
 هاشم بن عبد مناف ٧٤٥ .
 ابن هانيء الأندلسي (محمد) ٣٤٢ . ٣٤٥ .
 ٣٥٢ . ٥٠٨ . ٥٧٥ . ٩٠٣ .
 هذيل بن خلف بن لب بن رزين ١٠٩ -
 . ١١١

١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٤ - ١٤٨ . ١٦١

ابن مهران ٣٢٠ .
 المهلب ١٠٠ .
 مهلهل ٨٦٦ .
 ابن مهلهل ٦٩٧ .
 مهيّار ٦٤٠ .
 المؤتمن العامري . انظر المنصور بن
 أبي عامر .
 المؤتمن ابن هود ٣٩ ، ٨٣ ، ٤٦٤ ، ٤٩٣ .
 موسى (النبي) ٤٣٨ ، ٤٤٧ . ٤٧٥ . ٥٠٢ .
 ٧٤٤ . ٨٩٨ .
 موسى بن أبي الفصن ٣٩٢ .
 موسى بن نصير ١٧٩ .
 الموفق العامري . انظر : مجاهد العامري .
 مؤمل القشتالي ١٨ .
 المؤيد ابن عباد . انظر : المعتمد بن عباد .
 المؤيد هشام بن الحكم المستنصر . الخليفة
 الأموي ٢١ .
 الميلاء ٧٤٠ .
 ميمون بن يوسف بن دري ٣٣٧ .
 ابن ميمون . أبو اسحاق القاضي ٦٣٤ .
 مية (صاحبة ذي الرمة) ٨٤٦ .
 مية (في شعر النابغة) ٥٤٧ .

ابن هذيل ، يحيى الشاعر ٣٤٦ - ٣٤٨ .

هرم بن سنان المري ٣٤٣ ، ٧٧٣ .

هزار ١٣٣ .

هشام المؤيد ، انظر : المؤيد هشام .

هند ٢١٤ .

ابن هند الداني (٨٩٦ - ٩٠٠) .

هود ٧٤٥ .

ابن هود ، انظر : حسام الدولة ابن

هود ، عماد الدولة ابن هود ، المستعين

بالله ابن هود ، المظفر ابن هود ، المقتدر بالله

ابن هود ، المؤتمن ابن هود .

ابن هود ٢٠ ، ١٣٤ ، ٤٥٨ .

و

الواثق العباسي ٢٤٤ .

ابن واجب ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

ورقة بن نوفل ٧٤٤ .

الوليد ، انظر : البحري .

ابن وهبون المرسي ، عينه الجليل ٥٧٥

٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٧٦٦

٨٩٨ .

ي

يحيى السرقسطي ، انظر : الجزار السرقسطي .

يحيى بن الأفتس ، انظر : المنصور بن

الأفتس .

يحيى بن حمود ٣٥٢ .

يحيى بن ذي النون ، انظر : القادر بالله .

يحيى بن ذي النون ، انظر : المأمون بن

ذي النون .

يحيى بن زكريا ٥٠٠ .

يحيى بن عبد الملك ابن رزين ، انظر :

حسام الدولة ابن رزين .

يحيى بن فانو ٨١٦ ، ٨١٧ .

أبو يحيى وأبو بكر ابن إبراهيم ، انظر :

ابن تيفلويت .

أبو يحيى بن محمد بن الحاج ٧٨٤ ،

٧٨٦ .

يزيد بن الصفعب ٢٧ .

يزيد بن معاوية ٤٩ ، ٧٢٧ .

ابن يسار ، انظر : عبد الرحمن بن يسار .

ابن اليسع ١٠٦ .

يعقوب ابن السكيت ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

يهوذا ٧٢٠ .

يوسف الإسلامي ، انظر : ابن حسداي .

يوسف الصديق ٥٨٦ ، ٧٥٣ ، ٨٩٥ .

يوسف بن تاشفين ، أبو يعقوب ٥٦ .

٩٣ - ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

يوسف بن سليمان بن هود ، انظر :

حسام الدولة ابن هود .

٢ - فهرس الأماكن

٦٠٧ . ٥٤٢ . ٤٥٧ . ٤١٢ . ٣٩٢	أ
٧٥٦ . ٦٦٧ . ٦٥٢ . ٦٢٣ . ٦٢٠	
٨٥٥ . ٨٥٠ . ٨١٥ . ٨٠٩ . ٧٨٨	الأبلاق الفرد ٧٦٢ .
٨٦٧ . ٨٨٧ . ٨٩١ .	أرش اليمن ٧٠٥ .
أوزيولة ٤٣٠ ، ٤٣٩ .	إرم ٧٢٨ .
أونبة ٨٦١ .	الاسكنلرية ٤٨٣ .
ايوان كسرى ٧٦٠ .	الاشبونة ٧٠٣ . ٨٦٢ . ٨٦٣ . ٨٦٤ .
	اشيلية ١٢٦ . ١٣٧ . ١٤٥ . ١٤٦ .
ب	١٧٠ . ٢٢٩ . ٢٥٢ . ٢٥٣ . ٦٠٧ .
بابل ٣٠٥ ، ٥٧٤ ، ٦٢٠ ، ٨٩٨ .	٦٨٠ . ٧٥٩ . ٧٧٨ . ٧٨٨ . ٨٢٦ .
بجاجة ٧٠٥ ، ٧٥٥ .	أغمات ٦٠٦ ، ٦٠٧ .
بربشتر ٨٧ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ .	افريقية ٣٦١ .
١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .	البونت ٥١٥ . ٩٠٣ .
برشاونة ٢٠ ، ٤٢٥ .	ألش ٤٣٧ .
برطانية ١٧٩ .	المرية ٣٤ . ٤٠٣ . ٤٣٠ . ٤٣٤ .
البشر ٤٦٣ .	٦٤٨ . ٦٧٣ . ٨٠٩ . ٨١٠ . ٨٦٧ .
البصرة ٨٥١ .	الأندلس ٢٩ . ١٦ . ٢٥ . ٣٩ . ٤٤ .
بطرنة ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٤ .	٨٦ . ٨٨ . ٩٢ . ٩٥ . ٩٩ . ١١٠ .
بطليوس ٢٥٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٧٧٤ .	١١٢ . ١٢٥ . ١٢٦ . ١٧٤ . ١٧٩ .
٨٩١ .	١٨٠ . ١٩٠ . ٢٥١ . ٣٣٦ . ٣٤٧ .

بطن نخلة ١٠ .

بغداد (بغدان) ١٣٢ ، ٤١٤ ، ٦٢٠
٦٥١ ، ٦٧٤ ، ٦٩١ ، ٨١٥ .

بلاد الجحوف ٦٧٠ .

بلنسية ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،
٢٠ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٥٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ،
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ٢١٦ ،
٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٥١٦ ،
٥٩٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٩ ،
٨٦٨ ، ٨٨٧ ، ٩٠١ .

بحار ٥٢٩ .

البيت الحرام ٣٤٩ .

ت

التاج ٤٣٢ ، ٤٣٥ .

تاجو ٧٨٣ .

تبالة ٧٠٦ .

تهامة ٤٨٣ ، ٥٨٩ ، ٦٤٠ ، ٧٢٧ ،
٧٨٠ .

تيماء ٤٨٩ ، ٥٦٨ ، ٧٦٢ .

ث

ثبير ٤١٦ .

الثغر الأدنى ١٠٩ .

الثغر الأعلى ١٠٩ ، ٢٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٨ .
ثهلان ٣٤٤ ، ٥٦٨ ، ٦٨٨ .

ج

جامسم ٦٠١ .

الجزائر الشرقية ٢٢ ، ٢٢٧ ، ٣٣٦ .

الجزيرة الأندلسية، انظر : الأندلس .

الجزيرة الخضراء ١٤٠ ، ١٤٥ .

جزيرة شقر ، انظر : شقر .

جلق ٢٨٥ ، ٤٨٨ ، ٧٣٤ ، ٨٧٢ .

جمع خيف ٦٥٨ .

الجودي ٤٩١ .

الجولان ٧٣٥ .

جيان ٨٠٩ .

ح

حارب ٧٣٥ .

الحجاز ٧٠٧ ، ٧٠٩ ، ٧٣٤ ، ٧٤٧ .

حزوى ٦٠١ ، ٦١٢ ، ٨٦٨ ، ٨٩٠ .

حصن ابن الشرف ٥٢٨ .

حصن الزاهر ١٤٥ .

حصن ٤٨٣ .

حمام الشطارة ٨٢٦ .

حمص ، انظر : اشيلية .

حنين ٣٥٧ ، ٦٥٣ .

حومل ٦٦٠ .

الحيرة ٧١١ ، ٧٣٤ .

خ

خراسان ٦٦٧ ، ٧٢٧ .

الخورنق ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٤٣٥ ، ٨٩٥ .

خجير ٣٥٧ .

د

دار سابور ٣٥٠ .

دار السرور ٢٧٤ .

دانية ١٢ ، ٢٢ ، ٤٢ ، ٨١ ، ٢٢٧ .

٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٧٠٤ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ .

٩٠١ .

دجلة ٦٨٩ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ .

الدخول ٦٦٠ .

ذ

ذات البين ٤٦٤ .

ذات الجيش ٤٦٤ .

ذات المجاز ٧٠٧ .

ذو الأنصا ٧٠٢ .

ذو حسي ٥٤٧ .

ذوقار ٧٣٤ ، ٧٥٢ .

ذو المجاز ٧٤٧ .

ر

الرافدان ٦٩٢ .

راكس ٨٠٣ .

رامة ٧٧٩ .

رضوى ٢٨٩ ، ٥٦٣ ، ٨٦٨ .

روطة ٤٨٩ .

روية (رومية) ١٨٢ ، ٧٢٧ .

ز

الزاهر ٤٣٢ ، ٤٣٥ .

زمزم ٤٠٩ ، ٦٩٥ ، ٧٥٣ .

الزهراء ١٤٣ ، ٤٥٤ .

الزوراء ٧٣٥ ، ٨٩٤ .

س

ساباط ٢٧٤ .

سجلماصة ٨١٦ .

السدير ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٨٩٥ .

السراة ٥٧٤ .

ص

- صخرة ابن الشرف ، انظر : حصن
ابن الشرف .
صفين ٢٥٢ .
صنعاء ٣١٧ ، ٧٣٤ ، ٧٦٣ .
صبيداء ٧٣٥ .

ط

- طرطوشة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢٨ ، ٥١٤ .
طليلة ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٥٠ ، ٨٥٠ .
طيبة ٧٢٧ .

ع

- عالج ٦٤٤ .
عدن ٧٢٧ .
العراق ٥٩ ، ٦٨٩ ، ٥٨٢ ، ٨٩٤ .
عسيب ٥٧٧ .
العقيق ٤٣١ ، ٦٠١ .

غ

- غرب الأندلس ٨٦٦ .
غرناطة ٩١١ .
غمدان ٦٥١ .

- سرقسطة ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٧٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ،
٨١٨ ، ٨٥٩ ، ٨٩٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ ،
٩١٢ .
سرّ من رأى ٥١٤ .
سمرقند ٧٢٩ .
سنداد ٧٤٧ .
السهلة ١٠٩ ، ١١١ .
السواد ٥٠١ .

ش

- شاطبة ١٥ ، ٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ،
٥١٧ ، ٨٥٩ .
الشام ٧٠ ، ٧١١ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ .
الشبتان ٨٠٩ .
شدونة ١٤٥ .
شقر ٥١٧ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ .
شقورة ٧٨٧ .
شلب ٦٢ ، ١٢٩ ، ٨٦١ ، ٨٩١ .
شلطيش ٨٦١ .
الشماسية ١٣٢ .
شمام ٣٩٤ ، ٦٤٤ .
شتمرية ١١٤ ، ٨٦١ ، ٨٩٥ .
شتمرية ابن هارون ٣٣٦ .

الغميم ٦١٢ .
الغوطة ٧٣٥ .

ف

فاس ٣٥٩ .
الفرات ٧٣٤ .

ق

قرطبة ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،
٢٠ ، ٢٣ ، ١٠٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ،
١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٤٦ ،
٢٤٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ،
٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،
٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ،
٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٦٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ،
٨٨٨ .

قرمونة ١٤١ .
قسطلة الغرب ٣٣٦ .
القسطنطينية ٧٢٧ .

القصر المبارك ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥ .
القصر المرواني ٤٤١ .
القصر المكرم ٧٥٩ .
قلمرية ٨٦٠ .
قونكة ٩٣ ، ٢٥٠ .
القبروان ٥٢٩ ، ٨٦٧ .

ك

كبيك ١٠ ، ٥٥١ .
الكعبة ٧١٢ ، ٧٢٠ .

ل

لاردة ٣٦ ، ١٧٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ،
٥١٧ .

لبلة ٨٦١ .
لبنان ٥٨٦ ، ٦٢٠ .
لعلع ٦٤٠ ، ٦٤٤ .
لورقة ٦٤٨ .
ليبط ٦٤٨ .

م

ماردة ١٧٩ .
ماسان ٧٢٧ .
مالقة ١٤٦ .
ما وراء النهر ٧٢٧ .
مجريط ٧٧٦ ، ٧٧٧ .
مجلس الذهب ٢٧٤ .
مجلس الناعورة ٨٩٤ .
مدين ٧٢٧ .
المدينة ٨٢٥ .
مدينة سالم ٩٠٢ .

مدينة الفرج ٦٥٥ .

المربك ٨٥١ .

مربيطر ١٠٥ ، ١٢٣ .

مرسية ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٦٧ ، ٨٥٩ .

المسجد الأقصى ٧٢٥ .

المسجد الجامع (بلنسية) ١٨ .

المسجد الجامع (قرطبة) ٤٤٢ .

مصر ٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٩١ .

٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٥٢٩ ، ٦٨٤ ، ٦٩٢ .

٦٩٣ ، ٧٧٨ ، ٧٩٠ .

المغرب ٣٤٧ ، ٦٦٧ .

المغرب الأقصى ٤٠٠ .

مكة ٣٨٦ ، ٧٧٠ .

منتشون ١٨٥ .

منية العيون ١٢٤ .

الموصل ١٣١ .

ميورقة ٩٤ ، ٤٢٧ ، ٦٨١ ، ٦٨٤ .

٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٧٠٢ .

ن

الناصرية ٦٨٢ .

نجد ٤٥٩ ، ٥٥٥ ، ٥٨٩ ، ٦١٢ ، ٦٢٠ .

٦٤٠ ، ٦٥٢ ، ٧٢٧ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ .

٧٨٠ .

نجران ٧٤٤ .

نعمان ٤٨٨ ، ٥٨٥ ، ٦٨٤ .

نعمان الأراك ٣٤٩ .

النيل ٦٨٤ ، ٦٨٩ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

هـ

هجر ٧٧٥ .

الهند ٣٠٥ ، ٣٥٦ ، ٤٣٧ .

و

وادي آش ٤٠٣ ، ٦٩٧ .

وادي الحجارة ٦٥٢ ، ٦٧٢ ، ٧٧٦ .

وادي الزيتون ٢٨٢ ، ٢٨٤ .

وادي شوش ١٤١ .

وادي طلبيرة ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

وشقة ٥٠٦ .

ي

يابرة ٢٥٢ ، ٦٧٤ .

يابسة ٣٣٦ ، ٣٤٠ .

يسوم ٧٥٣ .

اليمامة ٧٢٧ ، ٧٨٠ .

اليمن ٤٠٥ .

٣ - فهرس القبائل والأمم والطوائف . . .

الترك ٥٠٩ .	آل أخطل ٨٦٤ ، ٨٦٧ .
تغلب ٧٤٤ .	الأذواء ٤٠٥ .
تميم ٦٩ ، ٣٨٥ .	الأردمانيون ١٨١ .
بنو ثعل ٦٥٨ .	الأزد ٦٨٢ .
ثقيف ٨٠٤ .	بنو الأصغر ٧١١ .
ثمالة ٣٢١ .	الأعاجم ، انظر : المعجم .
ثمود ٤٤١ ، ٧٢٩ .	الأعراب ٨٤٥ .
جذام ٧٤٧ .	الأفرنج ، انظر : الفرنجة .
الجلالقة ٢٩ ، ٩٥ .	الأقباط ٧٣٠ .
الحبش (الحبشان ، الحبشة) ٤٥٣ ، ٧١٠	الأكاسرة ٧٠٦ ، ٧٢٤ .
٧١٢ .	بنو أمية ١٥١ .
بنو الحليدي ٩٦ .	الأنباط ٧٣٠ .
بنو حماد ٦٨٥ .	الأنصار ٤٤٤ .
بنو حمدين ٥٩١ .	إياد ٨١٣ .
بنو حمود ٣٣٦ .	البرابر ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠ ، ٧٢٧ .
حمير ٧٢٩ ، ٧٤٣ .	البراجم ٥٠٢ .
بنو حية ٣٨٢ .	البربر ، انظر : البرابر .
خندف ٨٤١ .	البشكنس ١٦ ، ٣١٨ ، ٤٢٥ .
الدهرية ٧٤٠ .	بنو تاشفين ٤٠٩ .
بنو الديان ٧٤٤ .	التبابعة ٤٠٥ ، ٧٢٩ ، ٧٤٤ .

٧٢٢ ، ٧٢٠ ، ٧١٩ ، ٧١١ ، ٧٠٨	بنو ذبيان ٩ .
٧٢٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣٩ .	آل ذي حسان ٧٠٥ ، ٧٤٧ .
بنو علي ٧٤٤ .	ربيعة ٥٦٦ .
العرب ٢٧ ، ٣١ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ١٠٠	بنو رحيم ٨٠٨ .
٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٦ ، ٣٦٨ ، ٣٢٠	بنو رزين ١١١ ، ١١٩ .
٣٩١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٥٠١ ، ٦٧١	الروم ١٨٥ ، ٢٤١ ، ٤٠٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠
٦٨٧ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧١٢ ، ٧١٧	٦٥٥ ، ٧٤٤ ، ٧٨٢ ، ٨١٥ ، ٨٥٥ .
٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥	رومان ٧٣١ .
٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٣	الزنج ٥٢٨ .
٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩	بنو ساسان ٧٣٤ .
٧٤٣ ، ٧٤٥ .	بنو سعد ٦٨١ ، ٨٠٠ .
العرب العاربة ٧٢٨ .	الصقلب ١٤ ، ١٦ ، ١١٢ .
العربان ، انظر : العرب .	الصمديون ، انظر : بنو عبد الصمد .
العمالقة ٧٢٩ .	صنهاجة ٣٥٥ .
غسان ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ٧٠٥ ، ٧١٣	بنو طاهر ٢٤ .
٧٣٤ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ .	الطبيعيون ٧٤١ .
غطفان ٧٣٧ .	طي ٣٨٢ ، ٨١٣ .
الفراعنة ٧٢٩ .	عاد ٤٤٢ ، ٧٢٨ ، ٧٤٧ ، ٧٩٦ .
بنو الفرج ٩٣ .	بنو عامر ١٦ ، ٢٠ ، ٤١ .
الفرس ١٤٢ ، ١٥١ ، ٧٣٤ .	بنو عباد ٩٤ ، ٦٧٤ .
الفرنجة ١٦ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ٢٤١ ، ٨٥٥ .	بنو العباس ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٠ .
القارة ٧٢٣ .	بنو عبد شمس ٧٩٣ ، ٨٠٨ .
قريش ٥٤ ، ٣٨٦ ، ٦٦٤ ، ٧٤٥ .	بنو عبد الصمد ٨٠٩ ، ٨١٠ .
القياصرة ٧٠٦ ، ٧٢٤ .	بنو عبد المدان ٢٠٣ .
آل كاسان ٧٣٤ .	العجم ٤٩ ، ١٠٠ ، ٤١٤ ، ٦٧١ ، ٧٠٥

ملوك الطوائف ٢٤ ، ٣٣٦ ، ٤٤٨ ، ٥٤٢
 ٦٥٢ ، ٦٦٧ ، ٧٥٧ .
 المنجمون ٧٤٢ .
 الموالي العامريون ١١٠ .
 نزار ٢٢٨ .
 النصاري ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٥
 ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٧٤٢ ، ٧٦٧ ، ٨٦٠ .
 بنو هاجر ٧٠٧ .
 بنو هاشم ٥٤ ، ٧١٢ .
 بنو هود ٩٥ ، ٤١٩ ، ٨١٩ .
 وائل ٨٤١ .
 يعرب ٦٨٢ .
 اليهود ١٨٦ ، ٢٨٣ ، ٤٥٧ ، ٧٢٠
 ٧٢١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٥٣ .
 اليونانية ٣٨٩ .

كليب ٣٧٨ .
 كندة ٦٩٢ .
 كنعان ٧٣١ .
 كهلان ٧٢٩ .
 آل لبون ١٢٣ .
 لحم ٤٤٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢ .
 لتونة ٤٠٨ ؛ وانظر : المرابطون .
 محارب ٣٧١ .
 المرابطون ٩٥ .
 مراد ١٦٣ .
 بنو مروان ٦٨٨ ، ٧٩٣ ، ٨٠٩ .
 مضر ٧٤٥ .
 المعتزلة ٣٧٤ .
 بنو معن ٨٧٢ .

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- | | |
|-------------------------------|--|
| بسام ٢٥ ، ١٠٣ . | اصطلاح المنطق لابن السكيت ٣٨٧ . |
| شرح الحماسة لابن سيده ٣٨٧ . | باري أرمنياس ٣٦٨ . |
| شرح الفصيح لابن درستويه ٣٦٨ . | البيان والتبيين للجاحظ ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٥٠٥ . |
| طي المراحل لابن مسلم ٤٢٧ . | التاريخ الكبير لابن حبان ٨٥٠ . |
| عقاب المتسور لابن أرقم ٣٧٢ . | التذكير والتأنيث لأبي حاتم ٣٨٦ . |
| العمدة لابن رشيق ٨٥٢ . | الحجة لأبي علي الفارسي ٣٧٢ ، ٣٧٩ . |
| العين للخليل بن أحمد ٣٧٢ . | الحيوان للجاحظ ٤٧٨ . |
| قاطاغورياس ٣٦٨ . | الذخيرة لابن بسام ٧٩١ . |
| الكامل للمبرد ٣٦٨ . | رداً على إصلاح المنطق لابن سيده ٣٨٧ . |
| كتاب سيبويه ٣٦٨ ، ٣٧٥ . | رسالة السجن والمسجون للحجاري ٣٣٢ . |
| كتاب في الشبان للصولي ٣٨٦ . | رسالة العشر كلمات للحجاري ٣٣٢ . |
| المحكم لابن سيده ٣٨٧ . | الرياض لمحمد بن عمر المرزبان ٣٧٤ . |
| المختص لابن سيده ٣٨٧ . | سر الذخيرة لابن بسام ١١٧ . |
| المذكر والمؤنث لارماني ٣٨٥ . | سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر لابن |

٥ - فهرس القوافي

قافية الهمزة

٦٢٧	ابن خفاجة	الكامل	ضياء
٦٣٠	»	السريع	بيضاء
٨٧٠	سعيد المروزي	»	والجوجوا
٧٧٧	ابن عطيون	الطويل	ويكلا
٣٧٧	زهير	الوافر	الأداء
٧١٣	الحطية	»	الحداء
٨١٦	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	الجوزاء
٦٢١	ابن خفاجة	»	ذكاؤه
١٠٨	ابن ليون	»	بدائي
٣١٧	ابن الدباغ	»	مسائي
٥٢١	ابن شهيد	»	الأعداء
٥٨٢	ابن خفاجة	»	والأمساء
٥٨٩	»	»	الوعساء
٥٩٧	»	»	الغيناء
٦١٥	»	»	النظراء
٦٣٥	»	»	الأنواء
٦٣٥	»	»	الأنداء
٧٥٨	ابن أحمد	»	الوزراء

٨٧٢	ابن عبدون	الكامل	الماء
٨٣٦	الحجام	»	سمائه
٧٠٣	ابن الدودين	الكامل المجزوء	بضياته
٢٤٢	ابن الرومي	الخفيف	بالايماء
٣٨٦	-----	»	العواء
٨٣٦	الحجام	»	سوداته

قافية الباء

٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	الوافر	النوائب
٦١٣	ابن خفاجة	المتقارب	اضطرب
٥١١	أبو الفضل البغدادي	الطويل	تعيبا
٥١١	أبو الربيع القضاعي	»	شرابا
٥٧٠	ابن خفاجة	»	قبابا
٨٣٢	الحجام	»	والتراثبا
٨٨٥	أبو الفضل ابن شرف	»	صواحبا
٨٨٦	» » » »	البسيط	أربا
٥٧٢	ابن خفاجة	مخلع البسيط	سحابا
٦٦٩	ابن وهبون	الوافر	الذنوبيا
٩٠٥	ابن حسداي	»	والقصابه
٩٠٥	الجزار السرقسطي	»	عابه
٥٧٥	ابن هانيء	الكامل	مذهبا
٦٧٤	ابن اللبانة	»	مذهبا
٨٢٩	ابن كيغلغ	»	كوكبا
٣٤٢	ابن هانيء	»	عذابا

٩٠٣	ابن هانيء	الكامل	تصابى
٥٧١	ابن خفاجة	»	محرابا
٦٣١	»	»	خضابا
٧٠٤	ابن الدودين	»	جوابا
٦٣٦	ابن خفاجة	المتقارب	أشهباً
١٥٤	ابن عبد البر	الطويل	جانبُ
٣٥٦	قيس بن الخطيم	»	فنضاربُ
٣٨١	أبو تمام	»	عجائب
١٦٣	المتنبي	»	يتقلبُ
٣٥٢ ، ٣٤٥	ابن هانيء	»	ممشوب
٥٧٦	ابن خفاجة	»	طبيبُ
٦١٨	»	»	يطيبُ
٦١٩	»	»	نسيبُ
٦٢٨	»	»	منشيبُ
٦٣٦	»	»	ضروب
٦٤٩	»	»	قريبُ
٦٤٩	ابن وهبون	»	سليبُ
٨٥٣	كعب الغنوي	»	هبوب
٣١٤	المتنبي	»	خطاب
٥٦٥	ابن خفاجة	»	عتاب
٦٧٠	ابن اللبابة	»	سكبُ
٦٧٣	ابن خفاجة	»	والعبُ
٢١	أبو تمام	»	عواقبه
١٠٧	ابن لبون	البسيط	آراب
٨٣٠	الحجّام	»	ثلثهب

٤٥٤	ابن جرج	البسيط	قرب
٨٠١	-----	»	تجب
٦٦٩	ابن اللبانة	مخلع البسيط	الكتيب
٣٥٥	ابن عبدون	الوافر	الرقاب
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	الريطب
٥٧١	ابن خفاجة	الكامل	كتاب
٨٤٤	ابن معلى	»	الأحساب
٤٧٣	-----	»	توهب
٦١٦	ابن خفاجة	»	صائب
٥٦٩	»	»	فتلعب
٦٢٩	»	»	تشرب
٣٤٠	ادريس بن اليماني	»	مغرب
٨٢٩	القاضي التنوخي	»	مغرب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	الرملى	العزاب
٨٩٣	تميم بن المعز	الخفيف	غراب
٦١٦	ابن خفاجة	الرجز	ذهب
٤٧٧	-----	»	أحبه
١١٥	-----	الطويل	ذائب
٥٨٦	ابن خفاجة	»	النعائب
٦٩٦	ابن اللبانة	»	حاجب
٧٣٥	-----	»	حارب
٩٠١	ابن زهرة الصائغ	»	غالب
٨٥٣	النابعة الديباني	»	بآيب
٥١٠	علي بن محمد الكوفي	»	طبيبي
٦٣٥	ابن خفاجة	»	ريب

٨٢٣	الحجّام	الطويل	محب
١٠	امرؤ القيس	»	كبكب
٨٤٧	»	»	يثقب
١٢	ابن دراج	»	الغرب
٨٢٧	الأخطل	»	والقلب
٦٨	أبو الأسود الكناني	البسيط	تجريب
٥٥٢	المتنبي	»	محبوب
١١٥	ابن المعتز	»	والكذب
٣٥٣	ادريس بن اليماني	»	الكتب
٤٥٣	ابن جرج	»	الأشب
٨٢٩	التمار الواسطي	»	الطلب
٨٣٤	الحجّام	»	والقضب
٨٣٤	»	»	العذب
٨٤٩	المتنبي	»	الكذب
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	الطلب
٨٦٣	ابن بسام الأندلسي	»	والأدب
٣٣٤	ابن غصن الحجاري	مخلع البسيط	سحابه
١٦٥	-----	الوافر	القريب
٣٣٩	اذنيس بن اليماني	الكامل	عنا
٢٩١	أبو تمام	»	مغرب
٦١٥	ابن خفاجة	»	مشرب
٨٩٢	أبو الحسن ابن السيد	»	كالكوكب
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	كالكوكب
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	المذهب
٨٤٦	البسامي أو غيره	»	الواجب

٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	الاعجاب
٨٣٣	الحجام	»	التسكاب
٣٢١	ابن مهران السرقسطي	»	نصبي
٥٥	البحري	»	بغريب
٣١٥	ابن الدباغ	»	إعرايه
٣١٥	ابن خيرون	»	عذابه
٥٣	ابن طاهر	»	أصحابه
٦١٨	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	الشباب
٥٣٠	أبو جعفر البجائي	»	حبيبه
٥٣٠	الهماري	»	مطايبه
٢٧٤	ابن غند شلب	الرمل	واحرني
٧٤١	المتنبي	السريع	كسبه
٦٥٧	العباس بن الأخنف	المنسرح	والغضب
٧٩٥	ابن أبي الخصال	»	الطرب
٣٣٧	ابن دري	»	موعبه
٤٣٣	ابن الرومي	الخفيف	غراب
٥١٣	ابن شهيد	»	الأسباب
٩٠٨	ابن زرارة	»	كتاب
٥٧٣	التميمي	المتقارب	كتاب
٥٨١	ابن الرومي	»	الكاتب
٩٠٢	ابن عنق النضة	»	العتاب
٣٦٧	— — —	الرجز	بيه

قافية التاء

٧٩٣ ، ٧٨٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	عرفت
٩٥٤			

٦٨٠	ابن اللبانة	الطويل	فأسكتُ
٨٩١	ابن السيد البطلوسي -	»	ونسيتُ
٩١٢ ، ٤٩٢	ابن حسداي	البسيط	لبانات
٦٩٦	ابن اللبانة	»	استحالات
٩١٢	أبو طاهر الأشكوري	»	علاّت
٨٣٥	الحجّام	مخلع البسيط	الصفات
١١٦	ابن رزين	الخفيف	مميتُ
٦٩	الطرمّاح	الطويل	لوتّ
٥٥٥	طارق بن نابي أو غيره	»	ظنّت
٧٩٥	ابن أبي الخصال	مخلع البسيط	جامعات
٨١٠	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	صلات
٦٧٩	المتنبي	»	أبياتها
٨٢٧	الحجّام	»	ذاتها
٣٣٣	ابن غرض الحجاري	المنسرح	اشتت
٣٧٤	العجاج	الرجز	رحبتي

قافية الثاء

٨٩٨	ابن هند الداني	الطويل	تحدّث
-----	----------------	--------	-------

قافية الجيم

٦٠٥	ابن خفاجة	الطويل	مخارجا
٤٩١	ابن صمّادح	الرملي	دملجا
٣٧٥	— — —	الرجز	خدلجا

٥٤	ابن طاهر	الطويل	منضج
٨٨٩	ابن عائشة	»	مفلج
٧٨٠	ذو الرمة	البسيط	الفراديج
٦٩٧	ابن اللبانة	الكامل	أراجها
٦٩٨	أبو الفضل ابن شرف	»	عجاجها

قائمة الخاء

٥٧٣	ابن حمديس	السريع	الأفاح
٦٩٩	ابن اللبانة	»	فصاح
٤٩٢	ابن الملح	المنسرح	قزح
١٠٧	ابن لبون	البسيط	التباريحا
٣٤	ابن طاهر	الكامل المرفل	سممحا
٨٣٦	الحجام	الكامل	باحا
٤٨١	—	مجزوء الرمل	ملحة
٩٠١	ابن سابق	السريع	تباريحا
٩٠١	أبو بكر ابن الفرضي	»	تصريحا
٨٣٩	الحجام	»	جرحة
٧٧	توبة بن الحمير	الطويل	صفائح
٦١٧	ابن خفاجة	»	نافح
٣٣٨	ادريس بن اليماني	»	صحاح
٧٧٥	ابن عطّيون	»	براح
٢٤٠	—	»	وتملح
٦٠٦	ابن خفاجة	»	أمسح
١٠٥	ابن لبون	الواغر	ارتياح

٦٢٦	ابن خفاجة	الوافر	جناح
٦٤٥	» »	»	جناح
٦٢٦	» »	»	سلاح
٧٢٦	سعد بن مالك	مجزوء الكامل	والمرح
٧٨١	ابن عطيون	الرجز	يلتاج
١٤٦	— —	الطويل	المناكح
٨٥٢	كثير أو غيره	»	الجوانح
٣٤١	المعتمد بن عباد	»	برح
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	بقراح
٨٧٣	» » » »	مخلع البسيط	بالفلاح
٨٧٨	» » » »	الوافر	القراح
٣٤٣	ادريس بن اليماني	الكامل	الفصاحي
٨٢٢	الحجّام	»	صالح
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	مجزوء الكامل	براح

قافية المدا

٨١٠	— —	الرميل	الصمد
٦٢٥	ابن خفاجة	السريع	وقد
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	معاد
٨١٩	ابن الصغار السرقسطي	المتقارب	جلد
١٦٩	— —	الطويل	يدا
١١٩	ابن رزين	»	مقعدا
٦٢٥	ابن خفاجة	»	ندآ
٧١٢	— —	»	سوددا

٢٠٣	— —	البسيط	قودا
٩٠٩	ابن طاهر الأشكوري	مخلع البسيط	يميدا
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	» »	الزياده
٧٧٧	ابن عطيون	الوافر	بعادا
٨١٢	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	القتادا
٨٧٣	التطيلي	»	القتادا
٦٢٦	ابن خفاجة	الكامل	مبادا
٦٢٨	» »	»	فرقدا
٤٨٢	— — — —	»	واحده
٨٢٥	ابن شهيد	الرميل	أبادا
١١٩	ابن رزين	السرير	حدّة
٨٣٩	الحجام	المنسرح	يتدّكّ
٦١٨	ابن خفاجة	المجتث	عقدّا
٦٥٢	» »	»	قاده
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	المتقارب	عدّها
٧٠٧	— —	الرجز	مجادا
٣٥٨	ادريس بن اليماني	الطويل	جديد
١٦٧	المتنبي	»	وأطارّد
٩١٠	أبو طاهر الأشكوري	»	المشاهد
٦٢٤	ابن خفاجة	»	سهاد
٥٥٨	ابن الرومي	»	رمدد
٥٦٧	ابن خفاجة	»	وتنجد
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	أصيد
٨٢٦	الحجام	»	يتقلد
٣٩٦	— —	»	العقد

٧٠٩	الخطيئة	الطويل	شدوا
٨٣٢	الحجام	»	والشهد
١٥٨	—	»	اجتهاده
١٦٩	المتنبى	»	أستجده
٨٣٠	الحجام	البيسط	تتقد
٢٠٣	—	»	محمود
٤٥٥	ابن جرج	مخلع البسيط	حصيد
٤٥٥	ابن شهيد	»	موجود
٦٦٥	أبو حاتم الحجارى	الكامل	أسود
٨١٤	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	أسود
٨١٥	مختار بن النجار	»	يزيد
٧٩٤	ابن أبي الخصال	»	أزدادها
٨٧٨	أبو الفضل بن شرف	الخفيف	صعود
٦٩	عمرو بن ذي الاصبع	الطويل	الثرائد
٥٥٨	دريد بن الصمة	»	أبعد
٨٢٧	أبو العلاء المعري	»	وفرقد
١١٨	ابن رزين	»	الزهد
٥٨٨	ابن خفاجة	»	الورد
٦٨١	ابن اللبابة	»	الورد
٧٨٥	ابن أبي الخصال	»	بعدي
٧٧٦	ابن عطيون	»	المجد
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	عندي
٧٢٩	—	»	المتمدد
٢٠٤	الراعى النميرى	البيسط	أحمد
٣٤٧	ابن هذيل	»	واكبدي

٦٢٩	ابن خفاجة	البيسط	نزد
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	بيد
٨٣٥	الحجّام	»	الغنيّة
٦٧٩	ابن اللبّانة	»	باد
٦٦٩	»	مخلع البسيط	فؤادي
١٦٣	---	الوافر	الحمايد
١١	عمرو بن معديكرب أو غيره	»	تنادي
١٦٣	عمرو بن معديكرب	»	مراد
٦٤٦	ابن خفاجة	»	حداد
٧٣٠	ابن فضالة	»	معاد
٨٤١	ابن معلى	»	الرماد
٢١٦	---	الكامل	لوداد
٣٧٣	أبو تمام	»	متبغدد
٤٧٥	الناطقة الذبياني	»	باليد
٦٣٠	ابن خفاجة	»	مقيد
٨١٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	مفرد
١١٧	ابن رزين	مجزوء الكامل	وعود
٢٢٥	أبو فراس الحمداني	السريع	خالد
٦٦٤	أبو حاتم الحجاري	»	أملود
٨٤٩	ابن المعتز	»	الورد
٦٩٥	ابن اللبّانة	»	خده
٨٩٤	ابن السيد البعلبوسي	المنسرح	الخلد
٣٥٠	أبو العلاء المعري	الخفيف	شاد
٦٧٧	أبو تمام	»	الجوادي
١٠٤	ابن الفرّج	المجث	خدك
٧٦٤	---	المتقارب	الوداد

قافية الذال

تنبذُ الطويل بشار ٣٧٢

قافية الراء

٦٠٥	ابن خفاجة	مجزوء الكامل	والنظرُ
٤٦٢ ، ٤٦١	علي بن محمد الايادي	السريع	الديارُ
٣٣٨	— —	المجث	بمعدر
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	النظر
٨٤٧	امرؤ القيس	»	قرّ
٨٠	أبو حزابة	الطويل	أخضرا
١٠٧	ابن لبون	»	تتغيرا
٣٨١	الفرزدق	»	تأزرا
٢٢٩	امرؤ القيس	»	آخرا
٦١٣	ابن خفاجة	»	خضرا
٦٧٧	— —	»	اليسرى
٨٤٤	الراضي العباسي	»	والبدرا
٨٤٨	امرؤ القيس	»	لأثرا
٦٠٥	ابن خفاجة	»	نهارا
١١	ابن دراج	»	ادكارك
٦٩٥	ابن اللبانة	البسيط	قمرا
٨٢٦	الحجّام	»	أشفارا
٣٣٨	ادريس بن اليماني	مخلع البسيط	الصغارا
٣٣٩ ، ٣٣٥	ابن غصن الحجاري	الوافر	الصغارا
٥٠	ابن رزين	الكامل	السكر

٢٣٤	— —	الكامل	يشمرا
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وأنضرا
٦٣٨	» »	»	فأقمرا
٦٧٥	ابن عمار	»	مجوهررا
٧٦٤	— —	»	الورى
٨٣٤	الحجّام	»	الجوهررا
٩٠٣	تميم بن المعز	»	أجدرا
٨٢٤	مالك بن أسماء	الكامل المرفل	الصبرا
٥٧٤	ابن خفاجة	السريع	مقطارا
٦٧٤	— —	»	خاسره
٨٤٣	ابن المعتز	الخفيف	ذكرا
٦٣١	ابن خفاجة	»	نارّه
٦٥٢	» »	المجتث	مسرى
٦١٥	» »	»	غرّه
٦٧٢	ابن عبدون	»	الحجاره
٣٣٤	المتنبى	المتقارب	سارا
٣٨٠	الخنساء	»	الازارا
٨٠٢	— —	»	ضارا
٣٠١	— —	»	زندره
٧٤	نہشل بن مالك	الرجز	الحضاره
٦٩٩	ابن اللبانة	الطويل	المواطر
٧٣٥	ابن حمار البارقى	»	مسافر
٣٧٨	عمر بن أبي ربيعة	»	معصر
٧٨٦	الفتح بن خاقان	»	تقطر
٧٨٦	ابن الحاج	»	أسطر

٣٩١	أبو نواس	الطويل	تسير
٥٧٥	ابن وهبون	»	تلور
٦٦٨	»	»	قصير
٦٧٦	بشار	»	مبير
١٢٠ ، ١٢٢	ابن سعدون	»	الأمر
١٢١	ابن رزين	»	السكر
١٢٢	»	»	نثر
١٦٢	---	»	العذر
٤٦٤	أبو صخر الهذلي	»	سطر
٦٠٤	ابن خفاجة	»	السكر
٦٢٧	»	»	سر
٦٣٢	»	»	والجهر
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	الحضر
٨٤٦	ذو الرمة	»	القطر
٨٤٢	أبو تمام	»	قطر
٨٤٤	ديك الجن	»	والبدن
٣٧١	---	»	ناصره
٣٧٦	عمارة بن عقيل	»	ضميرها
٣٨٤	القرزدق	»	نثيرها
١١	المبجّري	البيسط	شعروا
٢٧٤	»	»	أعتذر
١٠٦	ابن أبون	»	وينحدر
٦٧٥	ابن عمار	»	معتكر
٦٨٣	ابن اللبانة	»	يتشر
٧٢٩	---	»	زهر

٧٦٠	----	البسيط	الحجرُ
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	نظار
٣٠	----	»	العير
٣٨٦	----	»	الأعاصير
٥١٤	أبو الربيع القضايعي	مخلع البسيط	وزير
٣٣٨	نصيب	الوافر	انصغار
٨٢٨	بشر بن أبي خازم	»	جار
١٠٠	ابن خفاجة	الكامل	النار
٥٦٤	» »	»	دوآر
٥٩٦	» »	»	تدار
٨٤٤	المتنبي	»	محفور
٣٥٧	أبو العلاء المعري	»	الأحمرُ
٦٣٢	ابن خفاجة	»	فيقصرُ
٨٧٥	أبو الفضل بن شرف	»	تنظر
٧٩٦ ، ٧٨٥	أبن أبي الخصال	الكامل	آثارُه
١١٦	ابن رزين	مجزوء الكامل	برّ
٧٥٨	أبو جعفر ابن أحمد	مجزوء الرمل	يجورُ
٦٢٩	ابن خفاجة	السريع	خمر
٣٦٧	— —	»	حفّارها
٤٦٣	— —	المنسرح	مطر
٦٥٧	أبو حاتم الحجاوي	»	الفجر
٧٧٣	أبو جعفر ابن أحمد	»	القطر
٥٨٠	ابن المعتز	الخفيف	صغير
٦٧٨	أبو العلاء المعري	المتقارب	البنهر

٧٣٢	حاتم أو غيره	الرجز	قرّ
٥٦١	— —	»	فراره
٣٧٠	— —	الطويل	تسري
٣٧١	الأخطل	»	تبري
٤٦٣	»	»	الدهر
٣٧٨	— —	»	العشر
٥٧٨	ابن خفاجة	»	يكري
٦٣٧	» »	»	كالعشر
٦٤١	» »	»	الزهر
٧٩٦	ابن أبي الخصال	»	الشكر
٧٩٧	» » »	»	البدر
٢٣٨	جرير	»	مري
٣٣٤	ابن الجهم	»	البحر
٨٩١	ابن السيد البطليوسي	»	بهار
٦٢٢	ابن خفاجة	»	عداره
٧٧٤	ابن عطيون	المديد	حورّه
٣٣٤	ابن شماخ	البسيط	وأغوار
٤٥٦	ابن جرج	»	أخطار
١٥٩	ابن المعتز	»	الخبر
٦٤٧	ابن خفاجة	»	وانظر
٦٩٦	ابن اللبانة	»	بالبصر
٢٩٨	أبو العلاء المعري	»	البشر
٧٠٧	» » »	»	والسير
٧٠٨	» » »	»	والعكر
٧٣٢	» » »	»	الحضر

٤٩٣	ابن حسداي	البيسط	البكري
٥٣٠	ابن الرومي	»	بالبحر
٥٣٠	البحاري	»	خري
٧٦٩	أبو حاتم الحجاري	»	الصدر
٧٧٠	» » »	»	الحجر
٧٧١	» » »	»	النظر
٧٧٠	أبو جعفر ابن أحمد	»	المصر
٧٦٩	» » »	»	الحجر
٨٣٦	كشاجم	»	الحجر
٦٣٥	ابن خفاجة	»	العار
٧١٨	الناطقة الديباني	»	واكوار
٣٨٧	— —	»	النار
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البسيط	وقاري
٣٧٩	— —	الوافر	إزاري
٣٥٦	ابن عبدون	»	الدهور
٨٣٩	الحجام	»	بالنشور
٦٦٨	ابن اللبانة	»	قصير
٨٦١	ابن الأصيلي	مجزوء الوافر	السور
٢٢٨	— —	الكامل	الأحرار
٥٦٨	ابن خفاجة	»	الأزهار
٥٩٢	» »	»	نهار
٧٢١	الناطقة الديباني	»	البقار
١٥٥	التهامي	»	نار
٣٥٦	»	»	الخطار
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	»	مقفر

٣٥٨	ادريس بن اليماني	الكامل	الاكدير
٥٩٨	ابن خفاجة	»	الأعصر
٦٣٢	»	»	فاعبر
٦٧٧	الحزيري	»	للخنصر
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	»	المحصور
٥٠٣	—	»	الزاهر
٦٠٤	ابن خفاجة	»	ظهره
٣٧٩	الخرنق	الكامل المرفل	الأزر
٢٣٥	زهير	»	ستر
١١٨	ابن رزين	مجزوء الكامل	المنير
٥٨١	الأصبهاني	السريع	الأمر
٥٨٨	ابن خفاجة	المنسرح	مطر
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	قراري
٦٨٥	ابن اللبانة	المتقارب	يعتري
٣٧٤	—	الرجز	الداري
٣٧١	طرفة أو كليب	»	بمعمر

قافية الزين

٣٢٨	ابن خلصة	الطويل	معتزا
٦٥٦	أبو حاتم الحجاري	الكامل	هزازا
٦٠٣	ابن خفاجة	»	إعجاز
٤٥٤	ابن جرج	البسيط	بتطريز
٨٩٣	أبو العلاء المعري	الرجز	كرز

قافية السين

٦٣٠	ابن خفاجة	المتقارب	الغلسُ
٨٧٣	أبو الفضل ابن شرف	»	التبس
٥١٣	أبو الربيع القضاعي	الكامل	حنديسا
٦٨٤	ابن اللبانة	»	الأوعسا
٨٤٩	بشار	مجزوء الكامل	ملسا
٧١٣	—	الكامل	الناسُ
٤٠٣	ابن أرقم	السريع	رمسُ
٦١٧	ابن خفاجة	المتقارب	والمعطس
٢٨٨	أمرؤ القيس	الطويل	المقدسـ
١١٤	ابن رزين	»	اللمس
٥٠٧	—	»	بحارس
٢٢٨	الحطيثة	البسيط	الكاسي
٤٥٣	ابن جرج	»	آسي
٦٨٠	أبو العتاهية	»	وجلاسي
٣٣٤	ابن غصن الحجارى	مخلع البسيط	نقسي
٥٩٠	ابن خفاجة	الكامل	دامس
٨٧٤	ابن برد	»	بالأنفاس
٦٢٣	ابن خفاجة	الرملى	نفس
١٣٠	ابن عبد البر	السريع	بالنفس

قافية الشين

٦٩٩	ابن اللبانة	المتقارب	طائشة
-----	-------------	----------	-------

٨٨٨	ادريس بن اليماني	الطويل	فراشٌ
٨٣١	الحجام	البسيط	تكشيرٌ
٣٣٧	ادريس بن اليماني	المديد	العطشِ
٤٥٣	ابن جرج	البسيط	فرشِ
٩٤	أبو الحسين ابن الجله	الوافر	الفراشِ

قافية الصاد

٤٧٥	— —	الطويل	البرص
٤٨٧	ابن حسداي	الرميل	الفصصا
٩٦	ابن طاهر	مجزوء الرمل	عويصا
٨٣٧	الحجام	البسيط	يتنقصُ

قافية الضاد

٧٠٢	ابن الابانة	الكامل	الأضا
١١٨	ابن رزين	الخفيف	مراضا
٨٣٥	الحجام	المجث	مريضاً
٨٣٨	الحجام	الوافر	نموضُ
٤٩١	سيف الدولة	الطويل	الأرضِ
٨٢٨	الصنوبري	و	والعرضِ
٨٢٦	الحجام	الوافر	والبياضِ

قافية الطاء

٨٥٤	— —	الرجز	قطُ
-----	-----	-------	-----

٤٩١	ابن بليطة	الطويل	اسفوطا
٨٨٨	محمد بن فرج	الكامل	تخليطاً
٦٥٧	سعيد بن حميد	المنسرح	بمغتبط

قافية العين

٢٨٩	— —	الطويل	مسمما
٦٢٠	ابن خفاجة	»	ربعا
٦٢٣	» »	»	فرجما
٦٩٦	ابن اللبانة	»	شفعا
٧٠٢	» »	»	فرعا
١٨١	القطامي	الوافر	استطاعا
٨٢٤	علي بن حيلة	الرملي	ودعا
٤٤٧	أوس بن حجر	المنسرح	سما
٨٢٤	المتنبي	الخفيف	وداعا
١٢٤	ابن رزين	الطويل	مدمع
٢٢٥	— —	»	أوسع
٢٢٣	— —	»	تدمع
٣٨٠	— —	»	أنزع
٣٩١	عروة بن الورد	»	مقنع
٤٥٢	— —	»	فيتع
٤٨٦	ابن حسداي	»	مروع
٨١٨	أوس بن حجر	»	تقدم
٨٧٧	أبو الفضل ابن شرف	»	مدمع
١٥٢	— —	»	جامع

٢٨٨	— —	الطويل	ناقعُ
٨٠٣	النابعة الذباني	»	فالضواجعُ
٨٣٠	الحجّام	»	ساطعُ
٦٧٨	ابن اللبانة	البسيط	أطلعُ
٦٨٥	» »	الوافر	الخداعُ
٧٨٢	ابن عطبون	الكامل	المسموع
٥٦٣	ابن خفاجة	»	مرتاع
٢٠٢	جرير	»	مريع
٣٥٥	ادريس بن اليماني	»	مصرع
٨٨١	أبو الفضل ابن شرف	»	فتسطع
٣٨١	أبو ذؤيب	»	يقطع
٨٢٨	» »	»	يتتلع
١٥٤	المجنون	الطويل	الأصابع
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	متضوع
٣٣٩	ادريس بن اليماني	الكامل	نزاع
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الكامل المرفل	الرجع

قافية الغين

٤٥٢	ابن جرج	المتقارب	أصباغهُ
-----	---------	----------	---------

قافية الفاء

٧٦٩	الحجّام	مجزوء الخفيف	ينصرف
٦٢٩	ابن خفاجة	المتقارب	الحروف

٥٠٨	أبو الربيع القضاعي	الطويل	ضعفا
٥٠٨	ابن هانئ	»	شفا
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	وصرفا
١٠٥	ابن لبون	الكامل	مفوقا
٩٠٠	ابن زهرة الصائغ	مجزوء الرمل	وكفا
٤٦٧	—	الطويل	أطوف
٤٩٠	ابن حسداي	»	يكشف
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	لحلف
٦٧٧	—	البسيط	والصحف
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	الطويل	إلني
٥٧٠	ابن خفاجة	»	سوالف
٦٦٩	ابن اللبانة	البسيط	شف
٨٦٣	ابن الأصيلي	»	شف
٧٦٨	أبو جعفر ابن أحمد	»	زخاريف
١١٦	ابن رزين	»	منتصفه
٨٣٧	الحجّام	الكامل	أعطافها
١٢٨	ابن عبد البر	مجزوء الكامل	طرفك
٧٩٥	ابن أبي الخصال	المتقارب	الوفي

قافية القاف

٧٠١	ابن اللبانة	السريع	استفاق
٦٢٨	ابن خفاجة	المتقارب	أشفق
٣٨١	—	»	الصعق
٨٩٢	ابن السيد البطليوسي	الرجز	عقب

٨٤٨	المتنبي	الوافر	نطاقا
٨٢٣	الحجّام	»	أطاقا
٥٨٣	ابن خفاجة	الكامل	لحاقا
٨٦٠	ابن الأصيلي	المتقارب	للشقا
٣٧٦	أبو نخيلة	الرجز	الفتقا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	شائق
٣١٨	ابن مهران السرقسطي	»	خلاق
٤٨١	المجنون	»	لصديق
٦١٤	ابن خفاجة	»	معرق
٧٧١	ابن اللبانة	»	ويعبق
٧٧١	أبو جعفر ابن أحمد	»	يشرق
٨٧٠	مولى البكري	»	يفرق
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	ممزق
٣٧٨	كثير	البسيط	العبق
٦١٢	ابن خفاجة	»	شفق
١٠٤	ابن الفرّج	الكامل	صادق
٦٠٩	ابن خفاجة	»	يتدفق
٦٩٣	ابن اللبانة	»	يحرق
٨٧٦	أبو الفضل ابن شرف	»	تنطق
٧٥٤	العباس بن عبد المطلب	المنسرح	الورق
٣٣٢	ابن غصن الحجارى	المتقارب	غريق
٨٨٣	— — —	الطويل	رازق
٨٩٨	ابن هند الداني	»	المفارق
١٥٤	أبو نواس	»	صديق
١٠٩	أبو الطمّحان	»	بالنهق

٣٧٦	عقنان اليربوعي	العلويل	تشتقي
٦٠٧	ابن خفاجة	»	المتدفق
٨٧٨	أبو الفضل ابن شرف	»	يتفرق
٦١١	ابن خفاجة	البسيط	والعنى
٩٤	الحجّام	الوافر	بالطلائ
٦٥٧	— — —	»	المذاق
٦٣٨	ابن خفاجة	الكامل	وعناق
١١٨	ابن رزين	»	مشتاق
٦٢٦	ابن خفاجة	»	وحرّيق
٣٧٤	القنّامي	»	الأوثق
٥٩٦	ابن خفاجة	»	المورق
٨٦٩	أبو الفضل ابن شرف	الرمّل	الأرق
٨٧٤	» » »	»	تصادق
٦٥٦	أبو حاتم الحنجاري	المنسرح	الأفنى
٧٩٣	ابن أبي الحصال	»	طرق
٨٣٧	ابن الرومي	»	بالبهق
٥٨٢	— — —	المتقارب	يلمق
٦٢٥	ابن خفاجة	»	الرحيق
٧١٤	— — —	»	لاق
٦٦٣	أبو حاتم الحنجاري	مجزوء الرجز	خرق
٨٢٩	كشاجم	» »	يشرق

قافية الكاف

٣١٦	ابن الدباغ	البسيط	بقرباكا
٩٧٤			

٦٨٦	ابن الالبانة	البسيط	حلكا
٦٧١	»	الوافر	ذاكا
١٠٤	ابن الفرج	الخفيف	عليكا
٢٨٧	أبو نواس	»	بفيكا
٨٣١	الحجّام	الطويل	سلوكها
٣٤٤	أدريس بن اليماني	الكامل	أراك
٣٤٥	أبو الربيع القضاعي	»	رياك
٣٤٦	ابن هذيل	»	باك
٣٤٧	الرمادي	»	أبكاك
٣٤٨	البليّنه	»	عيناك
٦٤	ابن خفاجة	»	شاك
٨٣٥	الحجّام	»	بالمسواك
٨٩٧	ابن هند الداني	»	هواك

قافية اللام

٢٤١	---	الطويل	وصل
٤٨٠	---	»	كالهجل
٢٨	ابن عمار	»	قبولا
٥٠٠	ليلي الأنخيلية	»	هلا
٥٨٤	ابن خفاجة	»	خيالا
٩٠٦	الجزار السرقسطي	»	مطلبه
١٥٨	المتنبي	البسيط	رجلا
٢٣٥	---	»	قبلا
٨٣٨	الحجّام	»	واعترلا
٨٨٨	محمد بن فرج	»	نزلا

٢٤٠	---	الوافر	يقالا
٧٦٦	ابن وهبون	"	ملالا
٣٥١	---	"	انتكالا
٣٢١	المبرد	"	ثمالة
٦٤٩	ابن خفاجة	الكامل	صقيلا
٩٠٢	أبو بكر ابن الفرضي	"	الجر يالا
٦٤٦	ابن خفاجة	مجزوء الرمل	جهلا
٣٢٩	ابن خلصة	الخفيف	خيللا
٧١١	المتني	"	الاجياللا
١١٥	ابن المعتز	المقارب	شائلا
١١٥	المعتصم بن عباد	"	زائلا
٢٠٤	إبراهيم الصولي	"	ينالا
٦٨٣	ابن اللبابة	"	الغليلا
٦٩٢ ، ٦٨٦	"	"	وأصيلا
٤٨٠	صخر بن عسير	الرجز	التفلة
٨٤	الحطيطنة	الطويل	قلائل
١٤٢	---	"	مقاتل
١٦٦	--	"	الشمائل
٥٨٠	أبو تمام	"	نازل
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	"	وباخل
٨٨٣	--	"	حافل
٨٣٤	الحجاء	"	فبخيل
٦٤٠	ابن خفاجة	"	فأقول
٣٥٠	أبو العلاء المعري	"	مينال
٣٧٩	جرير	"	جلال

٨٥١	جرير	الطويل	حلائله
٧٢٣	زهير	»	قائله
١١٦	ابن رزين	»	نصالة
٥٥٩	الأعشى	البسيط	الإعسل
٦٣٣	ابن خفاجة	»	العطل
٦٣٥	»	»	الأول
٧٢١	أبو تمام	»	قتلوا
٨٣٧	الحجاء	»	غلاته
٣٥٦	ادريس بن اليماني	الكامل	بابل
٦٦١	أبو حاتم الحجاري	»	سائل
١٢٠	عنان أو أبو نواس	»	هلال
٤٠٧	أبو عامر ابن أرقم	»	الآمال
٦٢٢	ابن خفاجة	»	مكسال
١٣٠	ابن عبد البر	»	يصول
٦٠٩	ابن خفاجة	»	جميل
٦١٠	»	»	ظليل
٦٨٩	أبو المظفر البغدادي	»	قليل
٦٩٠	ابن اللبانة	»	قليل
٨٠٣	—	»	مجبول
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	»	جميل
٧٦٩	اللجاء	»	المهمل
٥١	ابن طاهر	مجزوء الكامل	رسول
٤٥٩	—	السريع	مثله
٣٢٩	ابن خلصة	الخفيف	العليل
٤٩٥	امرؤ القيس	الطويل	خلخال

٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	الطويل	غال
٧٠	امرؤ القيس	»	الرواحل
٢٠١	الطارماح	»	طائل
٥٩٠	ابن خفاجة	»	فصل
٦٣٠	»	»	العذل
٦٨١	ابن زيدون	»	الحفل
٨١٩	امرؤ القيس	»	مقتل
٨٤٨	»	»	هيكل
٨٥٣	»	»	تفضل
٨٦٦	ابن الأصيلي	»	لي
٣٢٧	ابن خالصة	البيسط	مخطل
٣٤٢	ابن الرومي	»	الملل
٤٠٤	أبو عامر ابن أرقم	»	كسل
٤٩٦	المتنبي	»	قبلي
٢٥٦	المتنبي	الوافر	نبال
٧٣٥	اللعين المقرئ	»	النبال
٨٣٦	ابن المعتز	»	بخال
٣٨٤	المتنبي	»	قبلي
٦٦٠	أبو حاتم الحنجاري	»	للأفول
٧١٤	أبو العلاء المعري	»	جميل
٨٤٠	ابن معلى	الكامل	جداول
١٢٤	ابن رزين	»	قتال
٤٩٠	صالح الشنتمري	»	إعصال
٦٦٢	أبو حاتم الحنجاري	»	الاكفال
٦٧٧	الحجّام	»	العالي

٨٥٦	الكميت	الكامل	الاكفال
١٠٦	ابن ليون	»	التمويل
١٠٦	راشد بن سليمان	»	بجزيل
٨٣١	الحجّام	»	المقبل
٧٩٠	—	الكامل المرفل	جمل
٣٥٥	—	مجزوء الكامل	مسالك
٦٨٧	ابن الرومي	مجزوء الرمل	بمثاله
٩٠٩	ابن زرارّة	السريع	أعمالكم
٧٢٢	عسر بن أبي ربيعة	الخفيف	الذيول
٨٢٥	العباس بن الأحنف	»	السؤال
٤٨٩	ابن الفرج	المجتث	الجرّيال
٤٨٩	ابن حسداي	»	بعل
٢٥٢	—	المتقارب	الرجال
٢٥٣	المعتمد بن عباد	»	المقال
٢٥٣	ابن الدباغ	»	الفعال
٤٨	المتنبي	»	طائل
٢٢٩	»	»	القابل
٤٣٩	—	»	المتزل

قافية الميم

٧٣٧	مرقش السدوسي	مجزوء الكامل	الرتائم
٥٧٣	ابن خفاجة	»	تلّم
٥٧٩	»	»	وننعم
٥٧	بشار	المتقارب	نم

علم	المتقارب	ادريس بن اليماني	٣٤١
النسم	»	أسعد أبو كرب	٧٤٤
نجوم	»	ابن أبي الخصال	٧٩٥
القرم	الرجز	الحجّام	٨٣٢
أدهما	الطويل	ابن خفاجة	٥٦٢
فتيمما	»	»	٥٦٨
شما	»	»	٥٧٧
غموما	»	»	٥٧٩
دما	»	»	٦٤١
ومكرما	»	ابن أبي الخصال	٧٩٧
نداهما	»	ابن المعتز	٨٤٣
فستاهما	»	—	٨٤٧
حساما	مخلع البسيط	ابن رشيق	٨٢٢
الغماما	»	ابن خفاجة	٦١٤
الخزامي	»	»	٦١٤
نجومما	»	ابن عائشة	٨٨٧
قسما	الوافر	ابن خفاجة	٦١٢
بتسامه	»	ابن عطيون	٧٧٩
سقيما	الكامل	ليل الأخيلى	٣٨٠
يسوما	»	»	٧٥٣
كالحمامه	مجزوء الرمل	ادريس بن اليماني	٣٣٩
جذيمه	»	أبو بكر ابن بقي	٧٩٤
علما	المنسرح	ابن خفاجة	٥٧٨
ديمه	الخفيف	ابن أبي الخصال	٧٩٤
الشكيمه	المتقارب	أبو الفضل ابن شرف	٨٧٧

٧٠٧	— — —	الرجز	أمه
٤٩٥	المتنبي	الطويل	نائم
٧٢٨	»	»	والقوادم
٤٦٤	مزاحم العقيلي	»	قديم
٨٩١	ابن السيد البطليوسي	»	جسيم
٩٠٣	ابن سفيان	»	سليم
٩٠٤	ابن لبون	»	كريم
٢٤٥	— — —	»	كرام
٩١١	أبو طاهر الأشكوري	»	مختام
٦٩٩	ابن اللبانة	»	وسلام
١٠٥	ابن لبون	»	لديكم
٢١٩	— — —	»	وتقدموا
٥١٢	أبو الربيع القضاعي	»	منتم
٨٨٣	أبو الفضل ابن شرف	»	أسحم
٧٦٢	— — —	»	سهامه
٨٣٨	الحجّام	»	سهامه
٢٣٩	— — —	البيسط	اظلام
٣٨٠	بدر	»	خدم
٦٧٨	— — —	»	الخدم
٥٤	المتنبي	»	أمم
٦٧٩	»	»	والظلم
٨٤٣	أبو تمام	»	كرمه
٢٨٩	ابن عبدون	مخلع البيسط	شمام
٢٤٣	نصر بن سيار أو غيره	الوافر	الكلام
٦٤٨	ابن خفاجة	»	حمام

١٦١	المتنبي	الكامل	يظلم
٦٨٠	ابن اللبابة	»	معلم
٧٩٧	ابن أبي الخصال	»	متجهم
٢٠٣	أبو الأسود الدؤلي	»	مخصوم
٧٠٨	أبو تمام	»	أرحام
٥٤	المتنبي	الخفيف	الأجسام
٨٤٨	حسان	»	الكلام
٤٠٨	أبو عامر ابن أرقم	المقارب	المظلم
٦٧٣	ابن اللبابة	»	العالم
٦٧٣	ابن الأصيلي	»	العالم
٥٩٧	ابن خفاجة	الطويل	بفاحم
٦٠١	»	»	المباسم
٤٦٣	أبو نواس	»	رسوم
١٥٢	---	»	صميمي
٥٧٤	الرضي	»	السلام
٦٤٣	ابن خفاجة	»	غرام
٦٨١	أبو العلاء المعري	»	سهم
٢٣٢	المتنبي	»	توهم
٣٢٣ ٣١٤	»	»	أنكلم
٨٤٧	زهير	»	يحطم
٦٢١	ابن باجة	المديد	رسم
٦٢١	ابن خفاجة	»	والحرم
٦٢١	»	»	والديم
٧٥	المتنبي	البسيط	للقلم
١١٩	ابن رزين	»	الأمم

٣٨٠	---	البسيط	الكروم.
٣٨٩	---	»	كالحمم.
٦١٧	ابن خفاجة	»	ظلم
٨١٢	ابو عبد الله ابن شرف	»	منهزم
٣٥١	أبو العلاء المعري	الوافر	أمامي
٨١٠	ابن رشيق	»	الكرام
٩٠٢	ابن الرقاع	الكامل	القاسم
٦١٩	ابن خفاجة	»	تمام
٨٤٧	المتنبي	»	غمام
٨٣٤	الحجّام	»	والاياهم
٨٣١	»	»	العندم
٦٠٥	ابن خفاجة	»	ملثم
٦٣٣	»	»	لمنم
٨٣٨	الحجّام	»	عظيم
١١٧	ابن رزين	»	المبدوم
٨٤٦	طرفة	الكامل المرفل	تحي
٣٢٣	ابن خلصة	مجزوء الكامل	المستقيم
٦٧٢	ابن عبدون	السريع	المسلم
٧١٢	---	»	هاشم.
٤٦٣	---	المنسرح	ملتئم
١٢٠	ابن رزين	الخفيف	الغمام
٦٣٤	ابن خفاجة	المتقارب	الكلام
٥١٢	ابن المعتز	الرجز	مظلم

قافية النون

١٢١	ابن رزين	الطويل	ومعلنا
١٢١	ابن عمار	»	المنى
٣٢٤	ابن خلصة	»	الدنا
٦٧٠	ابن الالبانة	»	معنى
٣٩٠	ابن المعذل	»	حزينه
٣٥٦	بشامة بن حزن أو غيره	البسيط	بأيدينا
٧٣٢	» » » »	»	يغنوننا
٥٧٥	ابن خفاجة	مطلع البسيط	حنينا
٥٧٦	» »	» »	دينا
٥٧٨	» »	الوافر	تائبونا
٦٥٩	أبو حاتم الحجاري	»	ضمانا
٨٣٧	الحجّام	الكامل	مبيننا
٨٨٤	أبو الفضل ابن شرف	»	مكاننا
٨٥٠	ابن معل	»	ألوّانا
١٢٤	ابن رزين	مجزوء الرمل	العاشقيننا
٦٧٤	الفكيك	السريع	جنة
٧٩٥	ابن أبي الخصال	المنسرح	وسنة
٥٤٣	— — —	الخفيف	يصطاوننا
١١٥	أبو نواس	»	المكذونا
٨٩٦	» »	»	يكوننا
٢٣٠	المتنبي	»	نتفانى
١٠	ابن دراج	الطويل	أزمان
٦٢٠	ابن خفاجة	»	وريحان

٦٣٢	ابن خفاجة	الطويل	حرانُ
٨٤٩	أبو الحسين ابن الجلد	»	بهتانُ
٨٩٥	ابن السيد البطليوسي	»	بان
٨٧٩	أبو الفضل ابن شرف	»	فهمين
٣٩١	كثير	»	يزينها
١٠٨	ابن لبون	البيسيط	أغتبين
٤٨٨	ابن حسداي	»	البان
٨٣٥	الحججاء	»	واللاين
٨٠	— — —	الوافر	المنون
٧٧٢	أبو جعفر ابن أحمد	»	الزمان
٣٢٦	ابن خلصة	الكامل	خوون
٥٨٣	ابن خفاجة	»	الظلمان
٦٩٧	ابن اللبانة	»	ثمين
٥٨١	ابن جدار	السريع	إعلان
٣٠	— — —	المجثث	تدان
٣٣٠	الخصري	المتقارب	الزمان
٣٣٠	ابن خلصة	»	أوان
٥٧٦	ابن المعتز	»	عيون
٦٩٦	ابن اللبانة	»	المعدن
٢٤٤	ابن الدمينه	الطويل	قضياني
٤٦٢	منصور النمري أو غيره	»	ترافي
٧٠٧	— — —	»	وأفان
٨٥٧	— — —	»	تريان
٨٨٠	أبو الفضل ابن شرف	»	سنان
٨٨٠	— — —	»	الحدثان

٥٨٥	ابن خفاجة	الطويل	مأذن
١١٨	ابن رزين	»	أعاني
٣٥٠	أبو العلاء المعري	»	أعني
٤٦٣	» » »	»	الخصن
٦٥٣	» » »	»	السفن
٨٣٧	الحجّام	»	الوهن
٢٠١	— — —	البسيط	خلافي
٦٧٦	الحليل بن أحمد	»	الباني
٨٥٢	المتنبي	»	واعلافي
٤٥٤	ابن جرج	»	المزن
٦٦٢	أبو حاتم الحجاري	»	والوسن
١٢٣	ابن رزين	»	بالرياحين
١٢٣	ابن سابق	»	ليون
٧٨	ذو الأصبع العدواني	»	اسقوني
٧٩٨	— — —	»	الدين
٨٧٢	ابن رشيق	»	يشكوني
٢٠٣	دعبل	الوافر	المدان
٦٥٣	أبو حاتم الحجاري	»	قهرماني
٦٥٨	» » »	»	المدان
٧٢٤	معن بن أوس	»	رمانى
٥٤٤	— — —	»	للسكون
٨٢١	الحجّام	»	للفرقدين
٤٩٢	ابن حسداي	الكامل	للأجفان
٦٠٤	البديع	»	شيطاني
٦٨٦	ابن اللبانة	»	الغزلان

٦٨٧	ابن اللبانة	الكامل	التيجان
٧٥٢	المتنبي	»	السر حان
٨١٣	أبو بحراثة عبد الصمد	»	الميلدان
٨٣٣	الحجّام	»	بيان
٦٣٣	ابن خفاجة	»	هتون
٨٣٠	الحجّام	السريع	تزيين
٣٨٦	ابن بيص	الخفيف	رمتني
٨٠٣	عمر بن أبي ربيعة	»	يلتقيان
٨١١	أبو بحر ابن عبد الصمد	»	الكثبان
٤٨٦	ابن الفرّج	المجتث	الدياخيون
٤٨٧	ابن حساداي	»	الفنون

قافية الهاء

٨٢٨	البحثري	البسيط	فيها
٥١٤	— — —	مخلع البسيط	رأها
٥٧٨	ابن خفاجة	» »	أذاها
٦٥١	» »	» »	كراها
٨٢٢	— — —	المنسرح	نواحيها
٨٣٣	الحجّام	»	حيها
٢٩٦ . ٩٠	أبو العتاهية	المتقارب	لها
٧٢٣	— — —	الرجز	نلقاها
٧٣٣	— — —	»	فيها
٣٥٢	ادريس بن اليماني	الطويل	فأبكاهُ
٨٠٨	ابن أبي الخصال	الوافر	شرفوهُ

٥٦١	— — —	الهنزج	ماشاه
٢١٤	— — —	الخفيف	علاه
٨٩٣	ابن السيد البطليوسي	الطويل	تكلفنيه
٧٠١	ابن اللبانة	الوافر	قالصيه
٨٨٩	ابن عائشة	السريع	يديه
١٠٦	ابن ليون	الخفيف	الدواهي
٩٠٥	الجزار السرقسطي	المتقارب	عليه

قافية الياء

٣٠٠	— — —	الطويل	ورائيا
٨٥٢	المجنون	»	علائيا
٨١٥	— — —	»	شماليا
٨٥٢	قيس بن ذريح	»	هيا
٨٩١	ابن عائشة	»	باكيا
٦٥٠	ابن خفاجة	»	رياء
٦٠٣	» »	مخلع البسيط	الحميا
٦٤٦	ابن خفاجة	الكامل	عافيا
٦٧٢	ابن اللبانة	مجزوء الرمل	بآية
٩٠٧	الجزار السرقسطي	الخفيف	عطرية
٦٦٥	— . . —	المتقارب	مضنيه
٨٥٩	ابن الأصيلي	»	المحيه
٧٠٣	ابن الدودين	مخلع البسيط	العلي
٣٣٥	ابن غصن الحجاري	» »	جلي
٤١٣	أبو تمام	الوافر	بي

مصادر التحقيق

- الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ، ج ١ ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر .
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ .
- أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، دمشق ١٩٦٥ .
- أزهار الرياض (١ - ٣) للمقري ، تحقيق السقا والاباري وشلبي ، القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ .
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هلموت ريتز ، استانبول ١٩٥٤ .
- الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
- إعتاب الكتاب لابن الأبار ، تحقيق صالح الأشر ، دمشق ١٩٦١ .
- أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (١ - ٢٥) دار الثقافة ، بيروت .
- أمالى الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢ .
- أمالى القالي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٣ .
- أمالى المرتضى (غرر الفوائد) للشريف المرتضى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .
- أمثال الضبي . ط . إلخواب ، القسطنطينية ١٣٠٠ .
- إنباه الرواة على انباه النجاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
- أنساب الأشراف (ج ١) تحقيق محمد حميد الله . مصر ١٩٥٩ .

- الأنواء لابن قتيبة . ط. حيدر آباد الدكن ١٩٥٦ .
- بدائع البدائع لابن ظافر ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٧٠ .
- البداية والنهاية لابن كثير . ط مصر ١٣٥١ . ١٣٥٨ .
- البديع في وصف الربع الحميري ، تحقيق مفرتي بيريس . الرباط ١٩٤٠ .
- بغية الملتزمس في تاريخ رجال الأندلس لابن عميرة الضبي . مجريط ١٨٨٤ .
- بغية الوعاة للسيوطي ، مصر ١٩٢٦ .
- البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ج ٢ (تحقيق كولان وبروفنسال ١٩٤٨) ، ج ٣ (تحقيق بروفنسال ١٩٢٩) ، ج ٤ (قطعة في تاريخ المرابطين . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٧) .
- البيان والتبيين للجاحظ (١ . ٤) تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦١ .
- تاج العروس (١ - ١٠) لمرتضى الزبيدي . ط. بولاق .
- تاريخ ابن خلدون (ج ٤) . ط. بولاق ١٢٨٤ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة لإحسان عباس ، ط. ثانية . بيروت ١٩٦٨ .
- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس . ط. ثانية . بيروت ١٩٦٥ .
- تاريخ بني عباد (Historia Abbadidarum) جمع دوزي ، لندن ١٨٤٦ .
- تاريخ البيهقي (كتاب أخبار المهدي) تحقيق ليفي . بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي (١ - ٢) ط. بيروت .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس لابن الفرزي (١ - ٢) . مصر ١٩٥٤ .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة . القاهرة ١٣٢٦ .
- تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب . ط. باريس ١٩٣٤ .
- تحفة القادم ، انظر : المقتضب من تحفة القادم .
- ترسل ابن أبي الخصال (مخطوطة بمعهد المخطوطات بالقاهرة) .
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لمحمد بن الكتاني . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٦٦ .
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ - ٢) ط. مصر (يشار إلى الصفحة ، وحيث يشار إلى الرقم فالمعتمد طبعة مجريط) .

- التييجان لوهب بن منبه . ط . حيدر آباد الدكن ١٣٤٧ .
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦١ .
- ثمار القلوب للثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ .
- جذوة المنتهس للحميدبي . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مصر ١٩٥٢ .
- الجمهرة لابن دريد (١ - ٤) ط . حيدر آباد الدكن .
- جمهرة الأمثال للعسكري (بهامش الميداني) و ١ - ٢ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .
- جيش التوشيح لابن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور ، تونس ١٩٦٧ .
- الحلل الموشية لمؤلف مجهول ، تحقيق ي . عاوش . الرباط ١٩٣٦ .
- الحلة السيرة لابن الأبار (١ - ٢) تحقيق حسين مؤنس . مصر ١٩٦٣ .
- حماسة أبي تمام . انظر : شرح ديوان الحماسة .
- حماسة البحري . تحقيق لويس شيخو . بيروت ١٩١٠ .
- الحماسة البصرية لعل بن أبي الفرج البصري (١ - ٢) ط . حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .
- الحيوان للجاحظ (١ - ٧) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥ .
- خريدة القصر للعماد الاصفهاني (قسم المغرب والأندلس ٣٠٢) تحقيق آذرتاش آذرتوش ، تونس ١٩٦٦ - ١٩٧٢ .
- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (١ - ٤) ط . بولاق .
- الخصائص لابن جني (١ - ٣) تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ .
- خلق الإنسان لثابت . تحقيق عبد الستار فراج ، الكويت ١٩٦٥ .
- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك . تحقيق جودت الركابي ، دمشق ١٩٤٩ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون . مصر ١٣٥١ .
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ديوان ابن خفاجة . تحقيق السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ١٩٦٠ .

ديوان ابن دراج القسطلاني ، تحقيق محمود مكّي . دمشق ١٩٦١ .
ديوان ابن الدمينة . تحقيق أحمد راتب النفاخ ، القاهرة ١٩٥٩ .
ديوان ابن الرومي (١ - ٢) تحقيق حسين نصار . القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٤ (واختيار
كامل كيلاني) .

ديوان ابن شهيد . جمع يعقوب زكي . القاهرة ١٩٦٩ .
ديوان ابن المعتز (٣ - ٤) تحقيق ب . لوين . أستانبول ١٩٤٥ . ١٩٥٠ .
ديوان ابن هانئ الأندلسي ، بيروت ١٩٥٢ .
ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق محمد آل ياسين . بغداد ١٩٥٤ .
ديوان أبي تمام (١ - ٤) تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ١٩٥١ - ١٩٦٥ .
ديوان أبي الحسن التهامي . المكتب الإسلامي . بيروت ١٩٦٤ .
ديوان أبي العتاهية . تحقيق شكري فيصل . دمشق ١٩٦٥ .
ديوان أبي فراس الحمداني . تحقيق سامي الدهان ، بيروت ١٩٤٤ .
ديوان أبي نواس ، ط اسكندر آصاف ، مصر ١٨٩٨ .
ديوان الأخطل ، تحقيق انطون صالحاني ، بيروت ١٨٩١ .
ديوان الأعشى : تحقيق رودلف غيار ، لندن ١٩٢٨ .
ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مصر ١٩٥٨ .
ديوان أمية بن أبي الصلت . جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤ .
ديوان أوس بن حجر . تحقيق محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٦٠ .
ديوان البحري (١ - ٤) تحقيق حسن كامل الصيرفي . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ -
١٩٦٥ .

ديوان بشار بن برد (جمع بدر الدين العلاوي) . بيروت ١٩٦٣ .
ديوان بشر بن أبي خازم . تحقيق عزة حسن . دمشق ١٩٦٠ .
ديوان تميم بن المعز . دار الكتب المصرية . ١٩٥٧ .
ديوان جرير (١ - ٢) تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧١ .
ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (١ - ٢) . تحقيق وليد عرفات ، لندن ١٩٧١ .

- ديوان الخطيئة ، تحقيق نعمان أمين طبع ، مصر ١٩٥٨ .
- ديوان الخنساء . ط. بيروت (باسم : نزهة الجلساء في ديوان الخنساء) .
- ديوان ذي الرمة (١ - ٣) تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ١٩٧٢ .
- ديوان الراعي النميري . تحقيق ناصر الحائلي . دمشق ١٩٦٤ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤ .
- ديوان الطرماع . تحقيق عزة حسن . دمشق ١٩٦٨ .
- ديوان العباس بن الأحنف . تحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ديوان العجاج رواية الأصمعي وشرحه . تحقيق عبد الحفيظ السطلي ، ١٩٧١ .
- ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت . تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق ١٩٦٦ .
- ديوان العكوك علي بن جبلة ، جمع حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت ١٩٦١ .
- ديوان الفرزدق (١ - ٢) ، بيروت ١٩٦٦ .
- ديوان القطامي ، تحقيق إبراهيم السامرائي . بيروت ١٩٦٠ .
- ديوان قيس بن الخطيم . تحقيق ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٦٢ .
- ديوان كثير عزة ، تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٩٧١ .
- ديوان كشاجم (نسخة التيمورية رقم : ١١١) .
- ديوان الكميت (١ - ٢) ، جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٩ .
- ديوان المتنبي ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان المعاني للعسكري (١ - ٢) ط. القدسي ، مصر ١٣٥٢ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق شكري فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان نصيب بن رباح ، جمع داود سلوم ، بغداد ١٩٦٨ .
- ديوان الهذليين (١ - ٣) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان المجنون ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة (دون تاريخ) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (١ / ٢ ، ١ / ٤) ، القاهرة ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- الذيل والتكملة (ج : ٥) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ .

- الصلة لابن بشكوال (١-٢) القاهرة ١٩٥٥ .
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وأبو الفضل ، القاهرة ١٩٥٢ .
- طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ .
- طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٦ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٥٢ .
- الطرائف الأدبية ، انظر : ديوان إبراهيم بن العباس الصولي .
- كتاب العبر ، انظر : تاريخ ابن خلدون .
- العقد لابن عبد ربه (١-٧) ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- عقود الجمان للزركشي ، مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- العلوم البحرية عند العرب (مصنفات سليمان المهري) تحقيق إبراهيم خوري ، دمشق ١٩٧٢ .
- العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق ، تحقيق شيبني الدين عبد الحميد ، القاهرة .
- عيون الأخبار لابن قتيبة (١-٤) ط. دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١-٢) ط. مصر ١٣٠٠ .
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١-٣) ، تحقيق برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ .
- غرائب التشبيهات لابن ظافر ، تحقيق زغلول سلام ومصطفى الجويني ، القاهرة ١٩٧١ .
- الماخر في الأمثال للمفضل بن سلمة ، تحقيق استوري ، لندن ١٩١٥ .
- الفائق في غريب الحديث للزحشري (١-٣) تحقيق أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١-٥) مصر ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصل المقال لأبي عبيد البكري ، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ، ط. ثانية ، بيروت ١٩٧١ .
- الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل ، بيروت ١٩٦٤ .
- فهرسة ابن خير ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٦٣ .

- رايات المبرزين لابن سعياد . تحقيق غرسية غومس ، ط . مدريد .
رسائل أبي العلاء المعري . تحقيق مرغوليوث . اكسفورد ١٨٩٨ .
رسائل اخوانية وسياسية أندلسية (نسخة الاسكوريال رقم : ٥٣٨) .
الروض المعطار للحميري . تحقيق ل . بروفنسال (وترجمته الفرنسية) القاهرة ١٩٣٧ .
زاد المسافر لصفوان بن ادريس المرسى . تحقيق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٩ .
زهر الآداب للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . مصر ١٩٥٣ .
مرح البعوت في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٦٤ .
سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي للبكري . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ١٩٣٦ .
شذرات الذهب لابن العماد . القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ .
شرح أسماء العقار لأبي عمران الإسرائيلي الزطبي . تحقيق ماكس مايرهوف . القاهرة ١٩٤٠ .
شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١ - ٤) القاهرة ١٢٩٦ .
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١ - ٤) تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥١ .
شرح ديوان المتنبي للعسكري (١ - ٤) . القاهرة ١٩٣٦ .
شرح ديوان المتنبي لاواحدى . برلين ١٨٦١ .
شرح شواهد المغني للسيوطي . مصر ١٣٢٢ .
شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) القاهرة ١٣٠٠ .
شروح سقط الزند للمعري (١ - ٥) دار الكتب المصرية ١٩٤٥ - ١٩٤٨ .
شرح شواهد الكشف لمحب الدين . مصر ١٢٨١ .
الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ - ٢) بيروت ١٩٦٤ .
شفاء الغليل للخفاجي . مصر ١٣٢٥ .
صحيح البخاري . ط . بولاق .
الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي . تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦٤ .

فوات الوفيات لابن شاکر الکنبی (١ - ٤) ، تحقیق إحسان عباس ، بیروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .

قطب السرور للرقیق . تحقیق أحمد الجنیدی . دمشق ١٩٦٩ .

قلائد العقیان للفتح بن خاقان . بولاق ١٢٨٣ .

الکامل للمبرد ، تحقیق محمد أبو الفضل لإبراهیم ، القاهرة ١٩٥٦ .

کتاب السبعة فی القراءات لابن مجاهد . تحقیق شوقي ضیف : دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
کتاب سیبویه (١ - ٢) ط . بولاق .

کتاب من اسمة عمرو من الشعراء لابن الجراح (نسخة النافع) .

لسان العرب لابن منظور (١ - ١٥) بیروت ١٩٦١ .

مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٣ ج ١ - ٢) : مقالة ألفاظ مغربية من کتاب ابن هشام فی
لحن العامة ص ١٢٧ - ١٥٧ . ٢٨٥ - ٣٢١ لعبد العزيز الأهواني .

مجمع الأمثال للمیداني (١ - ٢) مصر ١٣١٠ .

مجموعة المعاني . ط . الجوائب . القسطنطينية ١٣٠١ .

محاضرات الراغب الأصبهاني (١ - ٤) ، ط . بیروت .

المحتسب لابن جني (١ - ٢) تحقیق علي نجدي ناصف ورفیقه ، القاهرة ١٣٨٦ - ١٣٨٩ .

مرآة الجنان للیافعی (١ - ٤) ط . حیدر آباد الدکن ١٣٣٧ - ١٣٣٩ .

مروج الذهب للمسعودی (١ - ٩) ط . باريس ١٨٦١ - ١٨٧٧ .

مسالك الأبصار للعمري (ج ١١) مخطوطة آيا صوفيا .

مسند أحمد (١ - ٦) بیروت ١٩٦٩ .

المطرب لابن دحية الكلبي ، تحقیق إبراهيم الابياري ورفیقه ، القاهرة ١٩٤٥ .

مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ، ط . الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠٢ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٢) ط . حیدر آباد الدکن ١٩٤٩ .

المعجب فی تلخیص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقیق محمد سعيد العريان ،
القاهرة ١٩٦٣ .

معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ - ٢٠) القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

- معجم البلدان لياقوت الحموي (١-٥) بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- معجم الشعراء للمرزباني . تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .
- المعجم في شيوخ أبي علي الصائفي لابن الأبار . مجريط ١٨٨٥ .
- المغرب في حلل المغرب لابن سعياد (١-٢) تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .
- مفردات ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ١-٤ ، طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ، بغداد .
- معبد العلوم لابن الحشاء . ط . الرباط ١٩٤١ .
- المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزانة الأدب) .
- مقامات بديع الزمان الهمداني شرح محمد عبده . الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٦٩ .
- المفتيس في أخبار الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجّي . بيروت ١٩٦٥ .
- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار . تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٥٧ .
- مهاج الدكان لابن أبي نصر الإسرائيلي . مصر ١٢٨٧ .
- المؤتلف والمختلف للأندلسي ، نشر ف . كركوك ، ط . القدسي ، القاهرة .
- الموشح للمرزباني ، تحقيق علي البجاوي ، القاهرة ١٩٥٦ .
- نثار الأكرهار للتيفاشي . ط . الجوائب ١٢٩٨ .
- نظام الغريب للربيعي . تحقيق بولس برونله ، مصر .
- نظم الجمان لابن القطان . تحقيق محمود مكّي ، الرباط .
- نفع الطيب للمقري التلمساني (١-٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر . تحقيق س . بونيباكر ، لندن ١٩٥٦ .
- نكت الهديان للصعدي . ط . مصر .
- نوادير المخطوطات (المجموعة الثالثة) وتحتوي رسالة ابن غرسية في الشعبية والردود عليها . تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٣ .
- الرائي بالرفيات للصفيدي (١-٩) فيسبادن ١٩٣١ - ١٩٥٩ ؛ وج ١٠ مخطوطة .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (١-٨) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ - ١٩٧٢ .
- يتممة الدهر للخالجي (١-٤) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧٥ - ١٣٧٧ .

- Dozy R. Recherches sur l'Histoire et la Litterature de l'Espagne, Tome I et II, Troisième édition, Amsterdam, 1965.
- Dozy R. Supplement aux Dictionnaires Arabes, Tome I et II, Beyrouth, 1968.
- يشار إليه باسم « ملحق دوزي » .
- Miranda, A. H. Historia Musulmana de Valencia y su Region, I-III, Valencia, 1970.
- Munroe, James. The Shu'ubiyya in Al-Andalus, University of California, 1970.
- Sciaparelli C., Vocabulista in Arabico, Firenze, 1871.
- Vila, J. Bosch. Historia de Albarracin y Su Sierra, Tome II, Albarracin Musulman, Teruel, 1959.

فهرس المحتويات

٥٤١	في ذكر الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة
٥٤٢	فصول من شعره في أوصاف شتى
٥٦٢	جملة من شعره في أوصاف شتى
٥٧٨	ومن شعره في أوصاف شتى
٦٠٣	ومن مقطوعات قالها زمن الصبا
٦٣٩	من شعره
٦٤٠	[وله شعر]
٦٤٨	[أخبار عنه وأشعار من الفلاند]
٦٥٢	مصل في ذكر الأديب أبي حاتم الحجاري
٦٦٦	في ذكر الأديب أبي بكر محمد بن عيسى الداني ، ابن اللبابة
٦٦٩	جملة من شعره في أوصاف شتى
٧٠٣	فصل في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن الدودين البلنسي
٧٠٥	نسخة رسالة ابن غرسية إلى ابن الخراز
٧١٥	رسالة ابن الدودين في الرد على ابن غرسية
٧٢٢	رسالة أبي الطيب القروي في الرد على ابن غرسية
٧٤٦	من كتاب لابن عباس يرد فيه على ابن غرسية
٧٥٥	فصل عن الفلاند في ذكر الوزير أبي جعفر ابن أحمد
٧٥٧	فصل في ذكر ثلاثة من رجال الأندلس جمعهم وقت ومكان
٧٥٧	الكاتب أبو جعفر ابن أحمد
٧٥٩	مصول له من رقعة على لسان القصر المبارك

٧٦٢	الجواب عن ذلك
٧٦٧	[فصول أخرى من نثره]
٧٦٨	جملة من شعره
٧٧٣	فصل في ذكر أبي الخطاب ابن عطيون التجيبي
٧٧٤	جملة من شعره في أوصاف شتى
٧٨٤	فصل من القلائد عن أبي عبد الله بن أبي الخصال
٧٨٦	في ذكر الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال
٧٨٧	فصول من نثره
٧٩٣	مقطوعات من شعره وَجَّهَ بها إلى ابن بسام
٧٩٨	فصول من كلامه وقعت بعد ذلك لابن بسام
٨٠٦	عودة إلى إدراج فصول من القلائد
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي البحر يوسف بن عبد الصمد
٨١١	جملة من شعره في أوصاف شتى
٨١٨	[في ذكر أبي عبد الصمد السرقسطي]
٨٢١	في ذكر الأديب أبي تمام غالب الحجام
٨٢١	جملة من شعره في النسيب وما يتشبه به من المديح
٨٢٦	جملة من شعره في أوصاف شتى
٨٤٠	فصل في ذكر الأديب أبي إسحاق بن معلى
٨٤٠	[جملة من شعره في أوصاف شتى]
٨٥٠	وصف ابن حيان لخروج أهل بلنسية في قتال العدو
٨٥١	[حكاية للفرزدق وجريير]
٨٥١	[الإيماء والتلويع والتتبيع . . .]
٨٥٤	إيجاز الخبر عن وقعة بطرنة
٨٥٧	في ذكر الأديب أبي عامر ابن الأصبلي
٨٥٩	جملة من شعره في أوصاف شتى

٨٦٧	فصل في ذكر الأديب أبي الفضل جعفر بن محمد بن شرف
٨٦٨	[جملة من نثره وشعره]
٨٨١	[من حكمه ورسائله عن القلائد]
٨٨٣	[جملة أخرى من شعره]
٨٨٧	فصل يشتمل على طوائف مقلين من سكان الجانب الشرقي
٨٨٧	أبو عبد الله بن عائشة
٨٨٨	أبو عبد الله محمد بن فرج الجلياني
٨٨٩	[عود إلى ابن عائشة ، عن القلائد]
٨٩٠	فصل في ذكر أبي محمد بن السيد البطليوسي
٨٩٢	أخوه أبو الحسن ابن السيد
٨٩٣	[رجع إلى أبي محمد بن السيد]
٨٩٧	ابن هند الداني
٩٠٠	أبو عامر بن زهرة الصائغ
٩٠١	أبو بكر الفرضي الداني
٩٠٢	أبو جعفر أحمد بن عتق الفضة
٩٠٣	الوزير أبو محمد بن سفيان
٩٠٥	يحيى السرقسطي المعروف بالجزار
٩٠٨	الوزير أبو عبد الله بن زرارة
٩٠٩	أبو الطاهر محمد بن يوسف الاشكوري
	تعليقات
	فهارس الكتاب
	١ - فهرس الأعلام
	٢ - فهرس الأماكن
	٣ - فهرس القبائل والأسمم والطوائف
	٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن
	٥ - فهرس القوافي
	مصادر التحقيق

بعمونه تعالى
تم طبع الجزء الثالث من كتاب الذخيرة
في محاسن أهل الجزيرة

دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣

بيروت - لبنان